

رِجَالُ الْكِتَابِ وَفَجَاءَ الْمُنَابِ

لِذِي الْوَزَارَتَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ

حققه ووضع مقدمته وشواهده.

محمد عبد الله غنيان

المجلد الأول

الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1980

القاهرة

المطبعة العربية الحديثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كنت قد عقدت العزم خلال عملي في تحقيق كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» لدى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب ، أن أعمل عقب الفراغ من إعداده في دراسة كتاب «الريحانة» وتحقيقه . وقد انتهيت بحمد الله من تحقيق كتاب «الإحاطة» وإعداده كاملاً للنشر في المحرم سنة ١٣٩٣ هجرية الموافق فبراير سنة ١٩٧٣ . وكان من حسن الطالع أن دعيت عقب ذلك بقليل إلى القيام بمهمة علمية بالخزانة الملكية بالمغرب ، فألقيت نفسي على مقربة من مخطوطات كتاب «الريحانة» العديدة ، التي تحتويها الخزائن المغربية الغنية بنفائس التراث الأندلسي . وكنت قد حصلت قبل ذلك على نسخة مصورة من مخطوط الريحانة المحفوظ بمكتبة دير الإسكوريال ، والذي يحمل رقم ١٨٢٠ الغزيري و ١٨٢٥ ديرنبور ، وكان في نظري أهم مخطوطات «الريحانة» وقطعها العديدة الموجودة في الخزائن المغربية والخزائن الأخرى ، المشرقية والأوروبية ، لأنه أقدم هذه المخطوطات جميعاً حيث تم نسخه في شوال سنة ثمانية وثمانين وثمانمائة هجرية أعني منذ أكثر من خمسمائة عام . ومن ثم فقد اخترت أن يكون هو النص الأصلي في تحقيق الكتاب ، وقت بمقارنة هذا النص بعدد من مخطوطات الريحانة الأخرى ، وانتهيت بعد البحث والمقارنة ، إلى أن نسخة الريحانة المحفوظة بالخزانة الملكية المغربية والتي تحمل رقم ٢١٩٥ هي أفضل نسخ الريحانة المخطوطة من حيث سلامة النص وضبطه ووضوحه ، ومن ثم فقد اتخذتها أساساً للمقارنة والتحقيق ، إلى جانب نسخة الإسكوريال الأصلية . وأعتقد أني خرجت من هذه المقارنة بكثير من المكاسب العلمية ، ما بين تصحيحات ، وإضافات قيمة عديدة . وإلى جانب ذلك فقد رجعت في المقارنة والتحقيق إلى قطعة «الريحانة» المخطوطة المحفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية برقم 252 Borg والتي تحتوي على السفر الثالث من الريحانة ، وتقع في ١٢٠ لوحة كبيرة .

كتاب الريحانة

هو كتاب « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب المولود بمدينة لوشة بالأندلس في رجب سنة ٧١٣ هـ (نوفمبر سنة ١٣١٣ م) والمتوفى قتيلا بمدينة فاس في خريف سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م)^(١). وهو يعتبر ، بعد كتاب « الإحاطة » أهم كتب ابن الخطيب التاريخية والأدبية . وفيه يشرح لنا ابن الخطيب في ديباجته سبب تسميته ، ويحمل أقسامه في قوله : « وسميته لتنوع بساكنه المشوقة وتعدد أفانيه المعشوقة ، « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » وقسمته إلى حمدلة ديوان ، وتهنئة ياخوان ، وتعزية في حرب للدهر عوان ، وأغراض ألوان ، وفتوح يجليها السلوان ، ومخاطبات إخوان ، ومقامات أنقى من شعب بوان ، وغير ذلك من أغراض ألوان ، صنوان وغير صنوان ، ثم يفصل لنا محتوياته على النحو الآتي :

« تمهيدات من أوائل المصنفات » ، وفي هذا الباب يختار ابن الخطيب نبذاً من مقدمات كتبه ورسائله السابقة مثل « بستان الدول » و « تخليص الذهب » و « جيش التوشيح » و « الإكليل الزاهر » و « الإحاطة » و « كتاب الطب » و « روضة التعريف بالحرب الشريف » و « استنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود » . ثم يلي ذلك أبواب التحميدات ، والفتوحات الواقعة والمرافعات التابعة ، والصدقات ، والبيعات من الأغراض السابقة ، كتب الشكر على الهدايا ، كتب التهاني ، كتب الاستظهار على العداات والاستنجاز بالمعدات ، كتب الشفاعات . ثم يلي ذلك طائفة كبيرة من الرسائل السلطانية التي كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة ، والتي وردت عن سلاطين المغرب ، في أغراض الحرب والسياسة ، وغيرها ، في باب يسميه « جمهور أغراض السلطانيات » . ويلي ذلك كتب مخاطبات الرعية والجهات ، ظهاير الأمراء والولاة ، مخاطبات ابن الخطيب لأرباب المناصب والهيئات ، جمهور الإخوانيات ، ويلي ذلك كتب الدعابات والفكاهات . وهي رسائل شخصية إلى خاصة الأصدقاء ، ثم المقامات . وهنا ينقل ابن الخطيب بعض رسائله وكتبه - خطرة الطيف ، ورحلة الشتاء والصيف ، الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ، كتاب معيار الاختيار ، رسالة السياسة ، كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة والسياسة ، مفاخرة بين مالفقة وسلا ، أوصاف الناس في

(١) لم نجد في هذا التقديم ضرورة للحدث عن حياة ابن الخطيب ، فقد استوفينا ذلك ، أولاً في كتابنا « لسان الدين بن الخطيب » حياته وتراثه الفكري (القاهرة ١٩٦٨) ثم في مقدمة كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » المجلد الأول (الطبعة الثانية) (ص ٣ - ٧١) .

التواريخ والصلوات ، وهو عبارة عن التراجم الموجزة التي تضمنها كتابه « التاج الحلى فى مساجلة القدر المولى ». ويختتم الكتاب بكتب الزواجر والعظات . وقد ذكر لنا ابن الخطيب خلال ذكر كتبه فى ترجمته بالإحاطة أن كتاب « الريحانة » يقع فى ثمانية أسفار .

وفى كثير من رسائل الريحانة ، وهى تبدأ من سنة ٧٥٠ هـ - وبعضها مؤرخ بتواريخ متأخرة ، مثل سنة سبعين وواحد وسبعين وسبعائة - ما يدل على أن مواده ورسائله قد جمعت خلال إقامة ابن الخطيب بغرناطة ، أثناء وزارته الثانية للسلطان محمد الغنى بالله (٧٦٤ - ٧٧٢ هـ) وقبل نزوحه إلى المغرب فى جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ .

ويتضمن كتاب « الريحانة » عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية الهامة ، منها ما يقع تحت باب « الفتوحات الواقعة » مثل رسائل فتح حصن قيط ، وفتح حصن أشرف ، وغزوات برغة وأطريرة وجيان وأبدة ، واستفتاح الجزيرة الخضراء . ومنها رسائل السلطان الغنى بالله إلى الشعب الغرناطى فى الحث على الجهاد . ومنها فى باب « كتب الاستظهار على العداة والاستنجاز » ، كذلك عدة وثائق تاريخية ، ومنها رسالة عن غزوة قرطبة . كما تضمنت « كتب مخاطبات الرعية والجهات » عدة وثائق دستورية وإدارية هامة تتعلق بالتعيينات فى المناصب الكبيرة ، مثل مراسيم تعيين قاضى الجماعة ، ومراسيم التعيين فى منصب خطابة الجامع الأعظم ، ومنها كذلك مراسيم البيعات السلطانية ، وفى مقدمتها بيعة السلطان محمد الغنى بالله ، وحتى كتب التهانى فقد تضمن بعضها رسائل تاريخية ، مثل رسالة تهنئة سلطان الأندلس لسلطان المغرب أبى عنان بفتح مدينة تلمسان ، ثم بعد ذلك رسالة تهنئة سلطان تلمسان باسترجاع ملكه .

هذا ومن المعروف أن ابن الخطيب كثير التكرار فى كتاباته ، وأنه يثبت بعض فصوله ورسائله فى أكثر من مؤلف من مؤلفاته . وفى « الريحانة » أمثلة كثيرة لهذا التكرار نشير إليها فيما يلى :

أولاً - أنه ينقل فى « الريحانة » فى مواضع مختلفة معظم الرسائل التى بعث بها السلطان يوسف أبو الحجاج ملك غرناطة إلى معاصره السلطان أبى عنان ملك المغرب فى شئون مختلفة . وجمعها ابن الخطيب أيام إقامته بسلا فى مؤلف مستقل أسماه « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » .

ثانياً - أنه ينقل فى الريحانة « الفصل المتضمن نص الصداق المنعقد على اخت السلطان أبى الحجاج للرئيس أبى الحسن بن نصر ، وقد ورد أيضاً فى كتاب « كناسة الدكان » .

ثالثاً - أنه ينقل في « الريحانة » نص الرسالة المرسلة إلى صاحب تونس عن مجموع الفتوحات والغزوات التي قام بها السلطان الغني بالله . وقد وردت في كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » (المجلد الرابع ص ٥٦١ - ٥٨٨) .

رابعاً - أنه ينقل فيها نص الرسالة المعنونة « مناقب الحلم والكظم من مآزق الجهاد » وقد وردت أيضاً في « الإحاطة » (ج ٢ ص ٤٨) .

خامساً - أنه ينقل فيها نص الرسالة التي عنوانها « رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد » الصادرة عن السلطان الغني بالله . وقد وردت كذلك في « الإحاطة » (ج ٢ ص ٥٤) .

سادساً - أنه ينقل فيها الرسائل المتعلقة بغزو حصن برغة وحصن أشر والغزوة إلى أطريرة وجيان وأبدة ، وهي الواردة أيضاً في كتاب « الإحاطة » (ج ٢ ص ٧٩ - ٨٨) :

سابعاً - أنه ينقل فيها رسالة « السياسة » التي وردت في كتاب « الإحاطة » ضمن ترجمته الشخصية (ج ٤ ص ٦١٤ - ٦٣٤) كما ينقل فيها بعض قصائده الكبرى الواردة في ترجمته المشار إليها .

ثامناً - أنه ينقل كذلك في « الريحانة » بعض مقاماته ورسائله وبعض كتبه الصغيرة حسبما تقدم ذكره ، وبعضها وارد في كتاب « الإحاطة » وبعضها مستقل بذاته .

ولكتاب « الريحانة » مزية أدبية وإنشائية خاصة ، فهو بما يضمه من رسائل عديدة في شئون وموضوعات سياسية وعسكرية وملوكية ، ورسائل مودة ومجاملات ومخاطبات مختلفة ، يقدم لنا نماذج عالية للمكاتبات الملوكية والأميرية والدبلوماسية ، وأساليب البروتوكول ، والأدعية ، والتحيات الملوكية ، والمراسيم الدستورية والإدارية ، في الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري ، مدبجة بقلم وزير من أعظم وزراء الأندلس وسياسي من أعظم سياسيا ، وكاتب من أعظم كتابها .

المخطوطات التي رجعنا إليها

ذكرنا فيما تقدم أن عمدتنا في تدوين نص « الريحانة » هو مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ بها برقم ١٨٢٠ الغزيري ١٨٢٥ ديرنبور . وهو يحمل عنوانه واسم مؤلفه ، على النحو الآتي في صفحة عنوانه :

كتاب ريحانة الكتاب

ونجعة المتتاب

تأليف الشيخ الفقيه الكبير الشهير ، العلم الأوحى ، وحيد قطرنا ، وعالم مصرنا ، وفخر أندلسنا ، وسمر نادينا ومجلسنا ، الجليل المثلل الحسيب الأصيل ، ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب ، أوزع الله هذا القطر الغريب شكر مناقبه الفاخرة ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة بمنه .

وبلى ذلك بيان بمحتويات الكتاب . وفى ذيل الصفحة صيغة شراء باسم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بحضرة مراکش فى سنة اثنين وتسعين وتسعمائة .
وورد فى الصفحة الختامية من المخطوط ما يأتى :

« انتهى هذا الكتاب المسمى بريحانة الكتاب ونجعة المتتاب ، على يد ناخها لنفسه ، ثم لمن شاء من ولده من بعده ، عبد الله ، المقر بذنوبه الراجى عفو ربه ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله البقنى الأنصارى ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وثمان مائة ، والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » .

ويقع مخطوط الإسكوريال فى مجلد كبير يتكون من ٢٨١ لوحة مزدوجة كبيرة ونصف لوحة ختامية ، وفى الصفحة ٢٧ سطرأً ومكتوب بخط أندلسى مطعم بالسمة المغربية . وقد كان هذا طراز الخط الأندلسى فى أواخر أيامه ، وصاحب هذه النسخة أحمد بن عبد الله هذا حسبما يبدو من فاتحة الكتاب أندلسى ، والمرجح أنه كتبه فى مدينة غرناطة ، ومن المرجح أيضاً أنه هو أبو جعفر البقنى مختصر كتاب «الإحاطة» ويحملنا على ذلك الاعتقاد ثلاثة أمور : الأول ما ورد فى مخطوط الإحاطة إسكوريال (رقم ١٦٧٣ ديرنبور) من اختتام مماثل جاء فى آخره ذكر نسخ المخطوط كما يلى : « وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة . والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » . والثانى هو التقارب الواضح بين تاريخى نسخ المخطوطين ، والثالث هو الشبه الكبير الموجود بين خطى المخطوطين .

والمخطوط الثانى الذى رجعنا إليه فى التحقيق والمقارنة هو مخطوط الخزانة الملكية المغربية ، وهو يحمل رقم 2195 . وهو يحتوى على جزئين كبيرين يقع أولهما فى ٢٢٣ ورقة ، ويقع الثانى فى ٢١٥ ورقة ، وفى الصفحة ٢٢ سطرأً ، مكتوب بخط مغربى ، يختلف فى مواضع من الجزئين ، وليس به ما يدل على تاريخ كتابته . وقد اختتم جزؤه الثانى بما يأتى : انتهى النصف الثانى من ريحانة الكتاب لأبى عبد الله بن الخطيب السلمانى

الأندلسي ، وبه تم جميع الديوان ، والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم . وقد سبق أن أشرنا إلى ما يمتاز به هذا المخطوط من سلامة النص وضبطه إلى حد كبير .

والمخطوط الثالث الذي رجعنا إليه في التحقيق المقارن هو قطعة الريحانة المخطوطة المحفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية برومة Bib · Apostolica Vaticana رقم 252 Borg . وهي تقع في ١٢٠ ورقة ، وفي الصفحة ١٧ سطراً ، مكتوبة بخط مغربي قديم ، وقد ورد في صفحة عنوانها ما يأتي « السفر الثالث من ريحانة الكتاب ونجعة المتتاب تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد الخطيب » وبلى ذلك ذكر محتوياتها بخط آخر « كتب الشفاعات » ، « كتب تقرير المودات » ، « جمهور الأغراض السلطانية » . وبلى ذلك صيغة تحييس بخط ردئ لا يكاد يقرأ نصها : « الحمد لله حبس هذا السفر المبارك عن الأمر العلى أيداه الله ونصره ، على المقصورة الجديدة الانتهاء بجامع الزيتونة . . . بتاريخ أول جمادى الآخرة . . . » وفي يسارها توقيع أميرى ، وفي ذيلها توقيع أميرى آخر ، صيغ كل منهما في طرة مركبة يتعذر قراءتها .

وقد لوحظ عند التحقيق المقارن ، أن نص هذه المخطوطة يمتاز بقسط كبير من السلامة والضبط ، وأنه يتفق في كثير من مواطنه سواء في المفارقة أو في الإضافة أو النقص مع نص نسخة الخزانة الملكية المغربية .

وفيما عدا ذلك فإنه توجد من الريحانة ، نسخ وقطع مخطوطة عديدة في الخزانة الملكية ، وخزانة الرباط العامة ، ومكتبة القرويين الكبرى ، ومكتبة الجزائر الوطنية ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة أوبسالة بالسويد ^(١) . وقد راجعنا الكثير منها ولا سيما المجموعة المغربية ، فوجدنا معظمها يتسم بالأخطاء الكثيرة في النص ، ووجدنا بعضها يخالف البعض الآخر في ترتيب الأبواب . ولم نجد في النهاية ضرورة للإكثار من النسخ المقارنة ، ضناً بضياح الوقت ، وتجنباً للبلبل في تدوين النص المعتمد .

اهتمام الإستشراق الإسباني بكتاب (الريحانة)

كان من الطبيعي أن يهتم المستشرقون الإسبان بتراث ابن الخطيب ، وهو من مواطنهم ، وابن غرناطة أعز بقاع الأندلس وإسبانيا المسلمة لديهم ، ومن أعظم ساسة هذه الأندلس المجيدة ، وكتابتها ومؤرخيها وشعرائها . وقد تركز هذا الاهتمام بنوع خاص

(١) وقد أوردنا أماكن هذه النسخ والقطع المخطوطة من كتاب الريحانة وأرقامها مفصلة في كتابنا :

« لسان الدين بن الخطيب ، حياته وثراته الفكرى » (ص ٢٥٤ - ٢٥٩) فلتراجع هناك .

حول كتابيه « الإحاطة » و « الريحانة » ، وذلك لما يتضمنه كلاهما من النصوص التاريخية القيمة ، المتعلقة بالتاريخ المشترك ، ومنها الكثير من أسرار مملكة غرناطة ، التي كان ابن الخطيب وزيرها ورجلها الأول ، وموجه سياستها نحو قشتالة ، وحلقة الوصل بينها وبين ملوك المغرب من بني مرين ، عضد غرناطة القوى وحلفائها ضد قشتالة . وقد كان من آثار هذا الاهتمام أن قام عمدة المستشرقين الإسبان الأستاذ فرانثيسكو كوديرا في أواخر القرن الماضي برحلة خاصة إلى تونس ليستنسخ لمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد نسخة من مخطوطة كتاب « الإحاطة » المحفوظة بجامع الزيتونة ، باعتبارها يومئذ هي النسخة الوحيدة الكاملة من « الإحاطة » ، وذلك بالرغم مما يعتورها من الاختصار الخل ، في كثير من التراجم ، ومن التصحيف البالغ والأخطاء الكثيرة . ثم كان من آثار هذا الاهتمام بعد ذلك ، أن قام المستشرق الإسباني الكبير ماريانو جيسار ريمرو^(١) في أوائل القرن الحالي بترجمة عدد كبير من رسائل الريحانة إلى اللغة الإسبانية

تحت عنوان : *Correspondencia diplomatica entre Granada y Fes en el Siglo XIV* .

« المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر » وقد بلغت هذه الرسائل نحو خمس عشرة رسالة ، وعدة من الخطابات الملحقة بها ، ومعظمها مرسل من السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة إلى السلطان أبي عنان فارس ملك المغرب ، في شئون مختلفة سياسية وعسكرية ، ورسائل تهاني بالفتوح ، وشكر عن الهدايا المتبادلة ، وبعضها مرسل من ولده السلطان محمد الغني بالله إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز ملك المغرب ، يخبره فيها بغزواته الناجحة ضد النصاري ، ومنها رسالة في نفس الموضوع مرسله منه إلى الخليفة الحفصي بتونس .

ونشرت هذه الرسائل تباعاً مقرونة بترجمتها الإسبانية في مجلة :

Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y Su Reino
« مجلة مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكها » .

(١) ماريانو جيسار ريمرو ، مستشرق إسباني أصله من أراجوان ، وولد نحو سنة ١٨٧٠ ، ودرس العربية في مدريد على العلامة الكبير فرانشيسكو كوديرا ، وبدأ عمله أستاذاً للعربية والعبرية بجامعة غرناطة ، وأصدر كتابه الشهير عن « تاريخ مرسية الإسلامية » *His. de Murcia musulmana* (سرقطة سنة ١٩٠٥) . وأنشأ منذ سنة ١٩٠٩ معهداً للدراسات العربية بغرناطة باسم : « مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكها » *Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino*

صدرت عنه المجلة التي تحمل نفس الاسم ، وصدر منها خمسة عشرة عدداً . ونشرت بها ترجمة إسبانية لعدة من رسائل « الريحانة » كما نشرت بها ترجمة إسبانية لتاريخ . . الأندلس وإفريقية « الوارد بكتاب « نهاية الأرب » للنويري في مجلدين (سنة ١٩١٧ - ١٩١٩) . وتوفي الأستاذ ريمرو حوالي سنة ١٩٤٠ .

وقد افتتحت هذه الرسائل بما يعتبر أهمها ، وهي الرسائل المتعلقة بفرار الأمير أبي الفضل محمد المريني ولد السلطان الكبير أبي الحسن ، وأخي السلطان أبي عنان . وكان السلطان أبو عنان ، حينما تولى ملك المغرب ، قد رأى ان يبعث بأخويه أبي الفضل محمد وأبي سالم إبراهيم إلى غرناطة ليقبلا فيها تحت رعاية السلطان يوسف أبي الحجاج ورقابته ، اتقاء لخروجهما عليه . ثم ارتأى بعد أن استقر ملكه وتمكن ، أن يعيدهما إلى المغرب ليكونا تحت رقابته ، فأبى السلطان أبو الحجاج وخشى غائلته عليهما ، واعتذر بأنه لا يقبل أن تخفر ذمته ، وجوار المسلمين المجاهدين . فغضب السلطان أبو عنان لذلك ، ووجه إلى أبي الحجاج رسالة عنيفة ، ينحى فيها عليه باللائمة . فيقال إن السلطان أبا الحجاج أوعز إلى أبي الفضل ، وهو أكبر الأخوين ، أن يلحق بملك قشتالة بيدرو الثاني (دون بطره) فاستمع أبو الفضل لتحريضه ، واستقبله ملك قشتالة بمودة وترحاب ، ورأى أن يجهزه بحملة بحرية إلى المغرب لمناوأة أخيه السلطان أبي عنان ليشغله عن إمداد مملكة غرناطة وإنجادها . وأنزلت السفن القشتالية أبا الفضل في أرض السوس مع بعض القوات . ولكنها كانت محاولة فاشلة . وبعث أبو عنان قواته إلى السوس ، فاحتلت أقطاره ، وانتهى الأمر بالقبض على أبي الفضل واقتياده إلى فاس ، واعتقاله ، ثم قتله خنقاً في محبسه بإيعاز أخيه بعد ذلك بأيام قلائل . وانتهت بذلك مغامرته التعسة ، وكان ذلك في سنة ٥٧٥٥هـ (١٣٥٤ م) (١) .

وبعث السلطان أبو الحجاج على أثر ذلك ثلاث رسائل متوالية مكتوبة بقلم وزيره ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان يعتذر فيها عما حدث ، ويبرئ نفسه مما وجه إليه من الظنون ، ويشيد بما بين القطرين - الأندلس والمغرب - من أواصر المودة الوثيقة . وقد وردت في الريحانة اثنتان من هذه الرسائل في باب تقرير المودات ، ووردت الثالثة في باب جمهور الأغراض السلطانية .

ونشرت هذه الرسائل مقرونة بترجمتها الإسبانية مع مقدمة للأستاذ ريمبرو في المجلة الغرناطية المشار إليها في المجلد الثاني منها ، الصادر في سنة ١٩١٢ ص ١٥١ - ١٩١ ، والثالث الصادر في سنة ١٩١٣ ، والرابع الصادر في سنة ١٩١٤ (٢) .

(١) ابن خلدون في كتاب العبر ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ و ٢٩٤

(٢) سوف نشر في نهاية هذا المجلد من « الريحانة » بياناً مفصلاً بالرسائل التي نشرت من « الريحانة » في مجلة الدراسات التاريخية الغرناطية ، وأما كن نشرها في أعداد المجلة المذكورة . كما نشير إلى كل رسالة ترجمت إلى الإسبانية في ذيل هذه الرسالة .

« كما نشرت بقية الرسائل المشار إليها مع ترجمتها الإسبانية تباعاً في المجلد الثاني منها الصادر في سنة ١٩١٢ .

وبنشر كتاب الريحانة يكون ابن الخطيب قد فاز بنشر معظم تراثه الذي انتهى إلينا ، ولا سيما بنشر مؤلفاته الرئيسية . ومما يلفت النظر ، أن يكون نشر كتابي « الإحاطة في أخبار غرناطة » ، و « ريحانة الكتاب ونجمه المنتخب » وهما أعظم مؤلفاته التاريخية ، وأضخمها حجماً ، وأقيمها نصوصاً ، قد تم في الفترة التي تدور حول الذكرى السنائة لوفاته ، (١٩٧٣ - ١٩٧٨) وهي الذكرى التي لم تحظ مع شديد الأسف من الاحتفال والتنويه بما كان واجباً أن تحظى به ، وذلك بالرغم مما لفتنا إليه الأنظار ، ودعونا إليه بشدة من وجوب الاحتفال بها قبل وقوعها بأعوام ، وقد كانت تقع في سنة ١٩٧٤ ، واتجهنا بدعوتنا بالأخص إلى المغرب ، وهو البلد الذي عاش فيه ابن الخطيب فترة قلقه مثيرة من حياته ، وأشاد به وبمحاسنه وبملوكه أعظم الإشادة ، في شعره ونثره ، وكتب فيه عدة من مؤلفاته ، ثم توفي به قتيلاً ، وما يزال يرقد فيه رقدته الأبدية . وقد خسر المغرب ، وخسر العلم المغربي ، بإضاعة هذه الفرصة التاريخية العظيمة ، خسارة أدبية وعلمية فادحة ، تدعو إلى أشد الأسف والامنى .

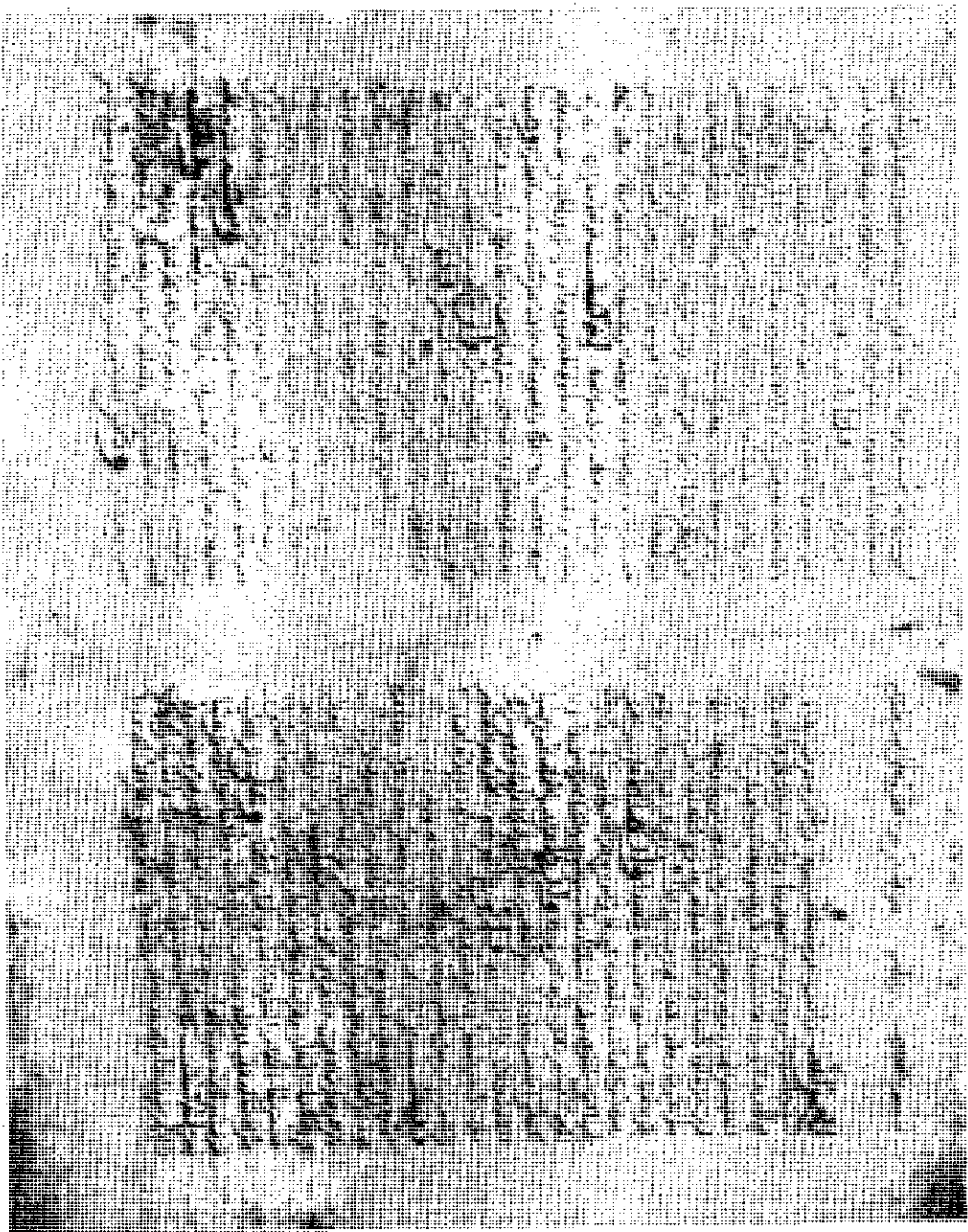
ونحن نرجو أن يجد البحث التاريخي في هذا المجلد الأول من كتاب « الريحانة » فضلاً عن مزاياه الإنشائية والمراسيمية الملوكية ، كثيراً من الرسائل التي تلقى كثيراً من الضوء على تاريخ الأندلس والمغرب في أوائل النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، وعلى علائق بني نصر ملوك غرناطة ، وبني مرين ملوك المغرب ، وبالأخص على الدور الذي كان يضطلع به بنو مرين في إمداد مملكة غرناطة ، أو الأمة الأندلسية « الغريبة » وإنجاحها في جهودها لمداومة مملكة قشتالة ، حيث نجد في كثير من رسائل الريحانة الواردة من ملوك غرناطة على بلاط المغرب ، تنويهاً وتفصيلاً لهذا الدور التاريخي الهام . كما نرجو من الله العليّ القدير ، العون والمهلة ، لإتمام إخراج كتاب « الريحانة » كما أمدنا بجميل عونه في إخراج كتاب « الإحاطة » .

ولإنه لمن حسن الطالع ودلائل الثمن ، أن يجري طبع كتاب « الريحانة » في خاتمة القرن الرابع عشر ، وعلى مقربة من مطلع القرن الخامس عشر من عهد الهجرة النبوية المباركة ، جعلها الله فاتحة سعيدة ميمونة على أمتنا العربية الكريمة ، وعالمنا الإسلامي العظيم ، حافلة ببشائر الخير والعز والرخاء .

محمد عبد السلام عريان

القاهرة في فاتح ذي الحجة سنة ١٣٩٩

الموافق ٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٧٩



الصفحة الأولى من مخطوط كتاب « الريانة » المخطوط بمكتبة دير الإسكوريال
برقم ١٨٢٠ التبريري و ١٨٢٥ دير نوز

[illegible][illegible]

Revista del Centro de

Estudios Históricos

de Granada y su Reino

Núm. 4

AÑO 1914

Tomo IV

CORRESPONDENCIA DIPLOMÁTICA

entre Granada y Fez. (Siglo XIV).

XII

Carta del sultán de Granada Mohamad V a Abulnan Fáres, sobre el estado político creado en Castilla por las discordias entre D. Pedro el Cruel y sus hermanos y sobre las treguas de paz puestas entre ambos reinos (1354-1357)

Por los documentos publicados en los artículos que preceden, inmediatos a éste, se averiguaba que muerto D. Alfonso XI ante los muros de Gibraltar y descercada esta plaza por el rápido levantamiento del campo cristiano en los precisos instantes en que los dos sultanes, Abulnan de Fez y Yúsuf de Granada se disponían a solicitar de aquél, por sus embajadores, un tratado de paz, el nuevo rey de Castilla, el popular D. Pedro I el Cruel, se avino desde luego y de buen grado al deseo de los sultanes moros, si bien exigiendo, particularmente al de Granada, algunas condiciones humillantes, como la de pagarle un tributo anual y la de acudir a auxiliarle con algunos cientos de jinetes en el caso de verse combatido en su gobierno. La paz quedó así pactada en Castilla, aceptando los sultanes moros aquellas condiciones que desde su fundación se exigieron siempre al reino de Granada, no sin gran repugnancia de su parte, obligados siempre por fuerza mayor y con el reservado propósito firme de aprovechar un estado de debilidad en Castilla, para sacudirse de ellas y lanzarse en reivindicación de las plazas que sucesivamente venían perdiendo en Andalucía.

Asesinado el sultán Yúsuf por un demente en Octubre de 1354, habiendo mantenido en sus últimos años de vida relaciones pacíficas

رموز المخطوطات

مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ برقم ١٨٢٠ الغزيري

ورقم ١٨٢٥ ديرنبور ، رمز إليه بكلمة « الإسكوريال »

المخطوط رقم 2195 المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط ، رمز إليه

بكلمة « الملكية »

المخطوط رقم Borg. 252 المحفوظ بمكتبة الفاتيكان الرسولية ،

رمز إليه بكلمة « الفاتيكانه »

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى أقسم بالقلم تفضيلاً وتشريفاً ، واستخدمه من فوق الطبايق السبع ، فأسمع من أسرى به إلى حضرة الجمع صريفاً ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، فأحلّه بذلك محلاً شريفاً ، وصرفه فى كتابة الوحي نصريفاً ، وجعله نايب اللسان بياناً للأمر الغائبة عن البيان وتعريفاً ، ومقيداً لما يذهب بذهاب الزمان تدويناً وتصنيفاً ، فلولا له لم ندر شرعاً ولا تكليفاً ، ولا اجتلينا خبراً طريفاً^(١) ، ولا استطعنا لعلم تأليفاً ، سرّاً غريباً ، ومعنى لطيفاً ، يحار فيه الإدراك ، وإن لم يكن بليداً كثيفاً ، وبموج بحر الاعتبار ، محيطاً بذوى الاستبصار مُطيفاً .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى كيف أسباب السعادة تكييفاً ، وهدى به صراطاً قويمًا ، ودينًا حنيفاً ، وجعله أمينًا ، كى لا يستدعى توهم الاكتساب لما جاء به من النبوة والكتاب قولاً سخيلاً ، وما أَوْهم الالتباس بالآمر الشريف كان شريفاً . والرضى عن آله وأصحابه ، الذين كتبوا الوحي بأقلامهم ، وجؤدوا نقله عن أعلامهم ، لا يقبل تبديلاً ، ولا تحريفاً ، وكفى بذلك ، للكتابة والكتاب ، فخراً لزيماً أليفاً ، فإنى ، وما أولى أنيتى بالمجاز عند الاختصاص بمعرفة نفسى ، والامتنان لما كبج السنّ عنانى ، وعمر التشمير للرحيل^(٢) عن الربع المَحيل جَنانى ، واستقرّ على الزهد فيما [يُجمع ويُؤلف]^(٣) ، ويُدَوّن ويُصنّف شانى ، وإن عَذَل العاذل ، ورغم الشانى ، بقيت فى لفثيات البيان ، البديع الأثر والعيان ، عقايل نظرة ، وبقايا هوى لا يبرح من بعد المشيب عشاق بنى عُذره ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ظريفاً) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الدحيل) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (يؤلف ويجمع) .

وغيره تدعو إلى صون ما مهد له حَجَرٌ ، والنمس في حسن كفائته أجر ، وتلقى في مرأوته وصل وهَجَرٌ ، وارتقب لاجتلابه في ليل العبر فخر . وإن كان ذلك مما لا يحجب ، فالغيرة فيه أعجب ، وفيما فوقه أَوْجَبٌ ، وأُنِفَ لرياضة الأنف ، أن يقطعها الإغفال ، ولخزائنه أن تصدأ فوق مصاريعها الأقفال ، ولجياده العتاق ، أن تلتبس منها بالموادى المشرفة الأعناق والأعجاز والأكفمال . وعلى ذلك فالفيت عند الافتقاد عَقِبَ الرُّقاد ، بدايع^(١) الأدب النثر ، قد ضاعت ، وتملكتها أيدي الدهول عنها ، فوهبت وباعت ، بعد ما أظمأت وأجاعت ، وإذا فلم يبق إلا ثمرات من أوقار عَيْرٍ ، وشعرات من جِلْدَ بَعِيرٍ ، إذ كنت قبل الاعتماد من الدولة النُصيرية ، بالمشاورة والموازرة ، والمعونة والمظاهرة ، والحرص على خدمتها ، بوظيفة الأقلام والمثابرة ، إذ العمر جديد ، وظل النشاط مديد ، أكل مسوداتها المجتلبة ، إلى حفظ الكتبة ، وأرمى بعقودها البِدْخة ، إلى الأنامل المنتسخة ، مشتغلاً عن الشيء بما يتلوه ، غافلاً عن منحنه بالعرض الذي يعلوه . والولد في الغالب المختبر ، لا يقدر قدره إلا مع الكبر ، فلما بت بهمّة ، وتقت إلى جمعه وضمه ، وتوهمت الثراء بجمّة ، راعى صفور ناديه ، وقد عادته عواديّه ، ونُضوب واديّه ، من بعد إمداد غواديّه ، وانخفاض ناديه^(٢) وصمات مناديّه ، بعد حذق شاديّه ، والتقاء حاضره وباديّه . فأدّمت الأنامل ندماً ، أن صار وجوده عدماً ، إلا ورقات تشبّثت بما أسأرتّه الحادثة على الدولة من سقط المتاع ، وشلو مُختلس من برائن سباع . سميت عند الاستقرار^(٣) بمدينة سَلا حرسها الله ، وقد اخترتها موادعاً^(٤) لفرق الدهر ، متمتعاً بصُبابة العمر « كُناسة الدكان بعد انتقال السكان » وأضفت إليه من بعد ما خبأته وجادة ، أو ذخرتّه استجادة ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بضائع) ، والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (شاديّه) (٣) هكذا في الإسكوريال والملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مراعاً) .

وما استلحق من بعد الأوبة^(١) ، وبعد أن أظهر الدهر التوبة ، ولو سلم جمه ،
لزخر يمه بما يلزم حمده أو ذمه ، ويتوجه إلى الإجادة أو ضدها مامه ، فالإكثار
مَظَنَّة السقط ، وطرق السهو والغلط ، من لوازم اللُّغَط ، إذ كنت قد
تعدد عن الدولة النصرية إملاءى ، وتردد في مناظلة أضدادها ومجاملة أولى
ودادها ، إمرارى وإحلاءى^(٢) مما تنوء مفاتيح كنوزه ، بالعُصبة أولى القوة ،
وتضيق منصات محافله عن مواقف عقابله المَجْلُوءة . فرضيت منها بما حضر
مضطراً ، وقنعت بالذى تيسر ، إذ أصبحت قانعاً معترّاً ، وأثبتته فى الأوراق
من بعد الافتراق حَفِيّاً [برّاً]^(٣) ، وإن لم أكن به مُعْتَرّاً . وأتّى لمثلى^(٤) من بعد
البياض بأزهار الرياض ، وعلى مشاورة الارتياض ، بارتشاف تلك الحياض . فقد
كان أولى بى الإضراب عما زوره السراب ، والاقتراب إلى من تُنال بقربه الأراب ،
قبل أن يستأثر بعده الجوارح المعارة^(٥) التراب ، والإطلال على الطيبة والإشراف ،
وخاط الافتراق بالاعتراف ، والسداد بالإسراف ، فجاء موضوعه^(٦) ميدان أغراض ،
وموقف نزاع وتراض ، كم تضمن من مثير اعتبار^(٧) ، ومُشير إلى أخبار ، وذم
للدهر جُبَار^(٨) ، وضراعة جُبَار ، وظفر صَبَّار ، وأمر كُبَّار ، وآداب تستفز السامع ،
وتشنف دررُها المسامع . فسئل الذى حرَّك به عذبة اللسان ، أن يتغمد سيئه^(٩)
بالإحسان ، والذى بث داعيتها فى الجنان ، المغرى بدلالاتها خدمة البيان ، أن يكن

(١) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إخلاء) . (٣) الزيادة من الملكية .

(٤) وردت فى الإسكوريال (تمتلى) والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المعارات) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مجموعه) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (اختيار)

(٨) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ستينا) .

على نكيرها بعادة الامتنان ، فعلى فضله تقف الآمال ، وبهدايته تستقيم الأقوال والأعمال [وهو الذى لا ينبغى إلا له الكمال]^(١) .

وسميته ، لتنوع بساتينه المشوقة ، وتعدد أفانينه المشوقة «ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب» . وقسمته إلى حَمْدلة ديوان ، وتهنئة إخوان ، وتعزية فى حرب للدهر عوان ، [وأغراض ألوان] ، وفتوح يعجليها السلوان ، ومخاطبات إخوان ، ومقامات^(٢) آتق من شُعب بوان ، وغير ذلك من أغراض ألوان ، صنوان وغير صنوان . والآن فلنأت بما وعدت ، ونحل عقال ما اقتعدت ، وتنوع أغراض هذا الريحان المنتشق ، الذكية العبق ، إلى تحميد ثبت فى [صدور]^(٣) بعض ما ينسب إلى من المصنّفات ، وما ألقى من الصدقات والبيعات ، ثم إلى كتب الفتوحات ، ثم إلى التّهانى بالمكيفات ، ثم إلى التعازى عن النايبات ، ثم إلى كتب الشكر على الهدايا الواردة ، ثم إلى الاستظهار على العدو ، واستنجاز العداث ، ثم إلى كُتب الرسائل والشّفاعات ، ثم إلى تقرير المودات ، ثم إلى جُهور الأغراض السلطانيات ، ثم إلى مخاطبة الرعايا والجهات ، ثم إلى ظهاير الأمراء والولاة ، ثم إلى ما خاطبت به عن نفسى ، أرباب المناصب الرفيعة والهيئات ، وعن غيرى من الأبناء والأذيال والحُرَمات ، ثم إلى جُهور الإخوانيات ، ثم إلى رسائل الفكاهات والدُعابات ، ثم إلى المقامات فى الأغراض المختلفة ، ثم إلى بعض من أوصاف الناس فى الأغراض^(٤) والصّلات ، ثم إلى الزّواجر والعظات والمذكرات والموقظات .

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقدمات) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية عبارة (التواريخ المسجعة) .

التحميدات التي صدرت بها بعض التواليف المصنّفات وهي بعض من كل ويسير من جل

ثبت من ذلك في صدر الكتاب [المتعدد الأسفار] ^(١) المسمى ببستان الدول ،
الذي أذهبت الحادثة عينه ، وشعثت الكاينة زينه : أما بعد حمد الله ، الذي قدر
تدبير الوجود ، بمقتضى الغنا المحض والحدود ، على حسب مشيئته ومراده ، وفاضل بين
ضروبه المتشابهة الأشكال ، في إقطاع حصص الكمال ، كل بحسب قبوله
واستعداده ، فبدت مزية ناطقه على صامته ، وظهر فضل حيّه على جماده ،
وأتم على نوع الإنسان جزيل الإحسان ، لما أدله ببيان اللسان ، لقبول إلهامه
وإمداده ، ونخصه بمزبة الإنابة ^(٢) ، لما نصّب له كرسي الخلافة بين عباده ، وأحكم
سياسة وضعه عند اختراع صنعه ، فجعل فكره وزير عقله ، ولسانه ترجمان
فؤاده ، وجبله على الافتقار إلى أبناء جنسه ، والعجز عن تناول مؤنة نفسه ،
وتحصيل مصالحه مع استبداده ، فكان مضطراً إلى التآلف والاجتماع ، متمدناً
بحسب الطباع ، لا يقوم أمره مع انفراده ، ثم ضمّ نشره براع يحوط سوائمه
أن تتناطح وتتردى ، ويحفظ عوايده أن تتجاوز وتتعدّى ، ويحمّله على مصالح
دُنياه ومَعاده . فسبحان الحكيم العليم ، مُقدر الشيء قبل إيجاده ، الذي لا مُعقّب
لحكمه ، ولا مقدّر لعلمه ، ولا مُفْلِت عن معاده .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذي فضله على الأنبياء
برِقة شأنه ، وعُلُو مكانه ، على تأخر زمانه ، وقرب ميلاده ، وأثنى على خلقه
وصفاته . وأقسم ببلّده وحياته ، إعلاماً بشرف ذاته وكرم بلاده ، ووقف على

(١) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الإنابة) .

مَظْهَرُهُ [درجات الكمال] ^(١)، وأبان بلسانه العربى أحوال الحرام والجلال ، وأقامه لإقامة قسطاس الحق والاعتدال ، ورفع عِماده ، صلى الله عليه وسلم ، وبارك وترحم ، من صادع بالله : أفاد روح الحياة ، الساطعة ^(٢) الإفادة لكل حَيٍّ ، وطوى بساط العدوان ، بسلطانه المنصور الأعوان أَى طَى ، وقرر فى ملته رُتَب السياسة الإلاهية ، فكان يعلم كل شىء ، وقابل زُخرف الدنيا باقتصاره واقتصاده . والرضى عن آله وأصحابه ، وخلفائه ، ألسنة جداله ، وسُيوف ^(٣) جلاله ، المستولين من الكمال الأقصى ، والشرف الذى لا يحصى ، على نهاياته ^(٤) وآماده ، صلاة لا انقضاء لغاياتها ، ورضى لا نهاية لأعدائه ، ما أرسل البرق سفر حِياده ، وخطب الطير على أعواده . وهذا الكتاب انفرَد بترتيب غريب ، لاشتماله على شجرات عشر ، أولها شجرة السلطان ، وآخرها شجرة الرعايا ، واستلزام الكلام فى أصناف الموجودات . وتعدّد إلى ما يقارب ثلاثين سفرًا ، ضاعت عند الحادثة ^(٥) ، إلّا مالا عبرة ^(٦) به .

وثبت أيضًا فى الكتاب المسمى « بتخليص ^(٧) الذهب » .
المرفوع إلى خزانة السلطان [المقدس المجاهد] ^(٨) أبى الحجاج [ابن نصر

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السامعة) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، ووردت فى الإسكوريال (سبوع) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نهاية) .

(٥) يشير ابن الخطيب هنا إلى الثورة التى نشبت بغرناطة فى رمضان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) على يد الأمير إسماعيل بن يوسف أخى السلطان محمد (الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب ، وفقد فيها محمد عرشه ، واضطر إلى الفرار ، ثم عبر إلى المغرب ، وقبض على ابن الخطيب ، وصودرت أملاكه ، ثم أطلق سراحه بشفاعته ملك المغرب السلطان أبى سالم ، وعبر مع مليكه متفياً إلى المغرب .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يؤبه) .

(٧) وردت فى الملكية (تخليص) ، وفى الإسكوريال (تلخيص) ، وهو تحريف ، وهو من كتب ابن الخطيب المفقودة . وقد أورد لنا المقرئ اسمه كاملاً فى أزهار الرياض (تخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الأدبيات) (ج ١ ص ١٩٠) .

(٨) هذه الزيادة من الملكية .

رحمةُ الله عليه^(١). أما بعد حمد الله ، الذى قَصَرَ وصف الكمال المحض على ذاته ، وجعل الألسُن تتفاوت فى رُتب البيان ودرجاته ، والثناء عليه ، بما به على نفسه أثنى من أسائه الحسنى^(٢) وصفاته ، والاعتراف بالقُصور عما لا تدركه قوى الأذهان من كنه سلطانه العظيم الشأن ، فكثيراً ما كان عُجْبُ الإنسان من آفاته . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، الصَّادِعِ بآياته ، المُعْجِزِ ببيئاته^(٣) ، الذى اصطفاه لحمل أمانته العظمى ، وعبادته بالقدر الرفيع ، والمحل الأسمى ، والله يعلم حيث يجعل رسالاته . والرضى عن آله وأصحابه [وأحزابه]^(٤) نجوم الدين وهُداة ، وأنصار الحق وحُماته .

وثبت أيضاً فى الكتاب المسمى « بجيش التوشيح »

من تاليفى ، وهو المرفوع للسلطان^(٥) المذكور رحمة الله عليه

الحمد لله الذى انفرد بالكمال المحض ، فى مَلَأِ السموات والأرض ، وَصَفًا وَنَعْتًا ، ولم يَخْصُ بالفضائل الذاتية والمواهب اللدنية ، بلدًا ولا وقتًا ، مُطْلِع شمس البلاغة^(٦) والبيان ، تتجلى من اختلاف أغراض اللسان فى مطالع شئى ، وجعل مراتب حاملى رايتهما ، متباينات فى التماس غاياتها ، فواصلًا ومُتَبِّعًا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، الذى حاز المجد صرفًا ، والشرف نَعْتًا ، ونال من الكمال البَشْرِى ، غاية لا تحدُّ بِإِلَى ولا حتَا ، وخير من ركب ومَشَى ، وصاف وشتًا ، صلاة يجعلها اللسان هجيراء ، كيفما يتمكن له أو يتأتى ، والرضا عن آله وصحبه ، الذين اقتدوا^(٧) به هَدْيًا وَسَمْتًا ، وسلكوا من اتباعه طريقًا ، لا ترى

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ببيانه) .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إلى خزنة السلطان) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العيان) .

(٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (اهتدوا) والأولى أرجح .

فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتًا ، مَا عَلَّلَ الْغَمَامَ نَبْتًا ، وَتَعَاقَبَتِ الْأَيَّامُ أَحَدًا وَسَبْتًا ، وَمَا وَافَقَ سَعَى بَخْتًا ، وَآثَرَتْ أُمَهَاتُ الْقَرِيحَةِ نَبْتًا [وَرَتَبَتْ هَذَا الْكِتَابَ تَرْتِيبًا ، لَا يَخْفَى أَحْكَامُهُ ، وَبَوَّبَتْهُ تَبْوِيبًا ، يَسْهَلُ فِيهِ مَرَامُهُ ، كُلَّمَا ذَكَرْتَ حَرْفًا ، قَدِمَتْ أَرْبَابُ الْإِكْثَارِ ، وَأَوَّلَى الْأَشْتِهَارِ ، مِنْ بَعْدِ الْإِخْتِيَارِ ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْ عَهْدَةِ النِّسْبَةِ ، اتِّهَامًا لِلْأَخْبَارِ . ثُمَّ أَتَيْتُ بِالْمَجْهُولِ مِنْهَا عَلَى الْآثَارِ ، حَتَّى كَمَلْتُ عَلَى حَسَبِ الْوُسْعِ وَالْإِقْتِدَارِ ، فَإِنْ وَافَقَ الْإِرَادَةَ ، فَشَكَرًا لِلَّهِ وَحَمْدًا ، وَإِنْ ظَهَرَ التَّقْصِيرُ ، فَخُذِيمٌ اسْتَنْفَدَ جَهْدًا . وَمَنْ اللَّهُ نَسِئِلُ أَنْ يَتَغَمَّدَ الزَّلْزَلُ ، وَيَتَذَارَكَ الْخَلَلُ ، وَيَبْلُغَ مِنْ مَرْضَاتِهِ الْأَمَلُ ، فَمَا خَابَ لَدَيْهِ مَنْ سَأَلَ] (١) .

وَتَبَيَّنَ أَيْضًا مِنْ تَأْلِيفِي فِي الْكِتَابِ الْمُسَمًّى

«بِالْمَحَّةِ الْبَدْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ»

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَزْمِنَةَ كَالْأَفْلَاقِ ، وَدَوَلَ الْأَمْلَاقِ ، كَأَنجَمِ الْأَحْلَاقِ ، تَطْلُعُهَا مِنَ الْمَشَارِقِ نَبْرَةً ، وَتَلْعَبُ بِهَا مُسْتَقِيمَةً أَوْ مُتَحِيرَةً ، ثُمَّ تَذْهَبُ بِهَا غَابِرَةً أَوْ مُتَغِيرَةً ، السَّابِقُ عَجَلٌ ، وَطَبِيعُ الْوُجُودِ مُرْتَجِلٌ ، وَالْحَيُّ مِنَ الْمَوْتِ وَجَلٌ ، وَالْدَّهْرُ لَا مُعْتَذِرَ وَلَا خَجَلَ ، بَيْنَمَا تَرَى اللَّسْتَ عَظِيمَ الزَّحَامِ ، وَالْمَوْكِبَ شَدِيدَ الْإِلْتِحَامِ ، وَالْوَزْعَةَ تَشِيرُ ، وَالْأَبْوَابَ يَقْرَعُهَا الْبَشِيرُ ، وَالسُّرُورَ قَدْ شَمَلَ الْأَهْلُ وَالْعَشِيرُ ، وَالْأَطْرَافَ تَلْتَمِهُمَا الْأَشْرَافُ ، وَالطَّاعَةَ يَشْهَرُهَا الْإِعْتِرَافُ ، وَالْأَمْوَالُ (٢) يَحُوطُهَا الْعَدْلُ ، أَوْ يَبِيحُهَا الْإِسْرَافُ ، وَالرَّايَاتُ تُعْقَدُ ، وَالْأَعْطِيَّاتُ تُنْقَدُ ، إِذْ رَأَيْتُ الْأَبْوَابَ مَهْجُورَةً ، وَاللُّسُوتَ لَا مُؤَمِّلَةَ ، وَلَا مَزُورَةَ ، وَالْحَرَكَاتُ قَدْ سَكَنَتْ ، وَأَيْدَى الْإِدَالَةِ قَدْ تَمَكَّنَتْ ، فَكَأَنَّ لَمْ يَسْمُرْ سَامُرٌ ، وَلَا نَهَى نَاهٌ وَلَا أَمَرَ أَمْرٌ . مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ ، وَالْعَادِيَةَ بِالرَّايِحَةِ ، إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، كَمَا أَنْزَلْنَاهُ

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الخاصرتين وإرادة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٢) وردت في الإسكوريال (والأحوال) والتصويب من الملكية .

من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ^(١) ، فالويل لمن يترك حسنة تنفعه ، أو ذكراً جميلاً يرفعه ، فلقد عاش عيش البهيمة النهمية ، وأضاع جواهر عمره الرفيعة القيمة ، في السبل غير المستقيمة ، وبدد أمانته [سبحانه] ^(٢) في المساقط العقيمة . وطوبى لمن عرّف المصير ، وغافض الزمن القصير ، في اكتساب مَحْمُدة ^(٣) ، تبقى بعده شهاباً ، وتخلد منقبة ^(٤) ، [تبقى بعده] ^(٥) ثناءً وثواباً ، فالذكر الجميل كلما تخلد استدعى الرحمة وطلبها ، واستدنى المغفرة واستجلبها . فلمثله فليعمل العاملون [وغايته فليأمل الآملون] ^(٦) . والدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذي أوضح ^(٧) حقارة الدنيا عند الله وبَيَّنَّ ، وحدَّ البلاغ منها وعَيَّنَّ ، وخفض الكلمة وبَيَّنَّ ، وحَسَّنَ الدار الآخرة وزَيَّنَّ ، وخفض أمر هذه الدار الغرور وهيئ ، وقال صلوات الله عليه ، أكثروا من ذكر هادم اللذات ، كيلا تتشبت بها يد ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد . والرضا عن آله ، الذين جَسَّازوا على ظهر جسرهما الممدود ومروا ، وَلَقُوا الله وهم لم يَعْتَرُوا ، فكانوا إذا عاهدوا ^(٨) برؤا ، وإذا تليت آيات الله عليهم خروا ، وكانوا عند حدود الله لا يبرحون [وبسوى مذاهبه الباقية لا يفرحون] ^(٩) أولئك حزب الله ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

(١) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (الريح) .

(٢) زائدة في الملكية .

(٣) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (منفعة) والأولى أرجح .

(٤) كذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (محمدة) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (تفيدة) .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (شرح) .

(٨) وردت في الإسكوريال (عهدوا) والتصويب من الملكية .

(٩) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

وثبت في صدر الرجز المشروح المسمى

« برقم الحلل في نظم الدول »

الحمد لله الذي مُلِّكه الثابت لا يَدُول وعِزُّه الدائم لا يزول ، وأحوال ما سواه
تحول ، وإليه وإن طال المدا الرجوع ، وبين يديه المثلوث ، الذي جعل الدنيا
جسراً ، عليه للآخرة الوصول ، ومتاع الحياة القصيرة ابتلاءً يتعقبه النكير
أو القبول . فمهما طلع في دول الأيام شان ، أعقبه الأفول ، أو متع ^(١) في أجوايها
ضحى تلاه الطفول . والصلاة على سيدنا محمد ، رسوله المصطفى ، ونعم الرسول ،
الذي باتباعه يُبلغ من رضى الله السؤل ، ويسوع ^(٢) المأمول . أنصح من بين قدر
الدنيا ، بما كان يفعل ويقول ، وغبط بالآخرة التي في مستقرها الأبدى الحلول .
والرضا عن آله وأصحابه ، سيوف دينه ، التي بها يصُول ، إذا فرقت النُصول ،
وهداة أُمته ، إذا تُنودى الصحيح المنقول [والصريح المعقول] ^(٣) ، فإن الدنيا
ظُهُرٌ قَلِق ، ومتاعٌ خَلِق ، وسرابٌ مُؤْتَلِق . هذا يعد الجميل فيصرع ، وهذا يرى
الجلدة ، فيتمزق ويتصدّع ، وهذا يؤم السراب فيُخذع ، والمعاد الملتقى والمجمع ،
ومن خسر الله فقيم بطمع ، ولا أجلب للاعتبار ، من استطاع الإخبار ، ولا أبت
في غصد الاغترار ، من الاستبصار ، في وقايح الليل والنهار ، وتحول الأحوال ،
وتطور الأطوار .

وثبت في الكتاب المسمى أيضاً

« بالسحر والشعر » من تألّفي ما نصه :

الحمد لله الذي راى أجنحة الأفهام بالإمداد والإلهام ، فمضت إلى أغراضها

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سمع) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (يصوغ) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

مُضَى السهام ، وأنشأت^(١) في آفاق^(٢) العقول ، سحب الخواطر ، ما بين المُخلف والماطر ، والصَّيْب والجِهام . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، خير الأنام ، الذي جعله في روض هذا الوجود المجود ، بسحاب الجود زهرة الكمام ، وختم ديوان الأنبياء ، من دعوته الحنيفية السَّحَّة بِمِسْكَةِ الختام . والرضا عن آله البررة الأعلام ، أولى النَّهْي والأحلام ، ما قذفت بشهد الحكمة نحل الأقلام ، وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد فإنِّي لما يَسَّرَ اللهُ مِنِّي للأدب جالِي سِمَاتِها ، وناشر [رِمَمِها]^(٣) بعد مماتها . وصافِلُ صفحاتها ، وقد محا محاسنها الصَّدا ، بَعْدُ بَعْدُ المذا ، وموضح طريقتهما المثلى ، وقد أَضَحَّت طرائق قِدْدا ، والغاشي لضوء نورها ، لعلى أجد على النار هدى . بذلت فيها من كل دَن ، ولم أَقتصر من [فنون غرايبها]^(٤) على قَن . فجعلت عقايلها تتزاحم على ، تزاحم الحُور على ساكن جنات الجبور ، فقيدت من شَوَارِدِها بالكتاب ، ما لا تَقْلُهُ ذوات الأفتاب ، وأُتِيتُ بيوتها من الأبواب ، فكان ما قيدته من الغُر ، وانتقيته من نفايس تلك الدُّرر ، أناشيد لو تجسَّدت للعيون ، لكانت ياقوتًا ، أو استُطعمت لكانت للقلوب قُوتًا . ولو ورد الأمر في الخبر المنقول ، بحفظ نتائج القرائح [والعقول]^(٥) ، لكانت على المؤمنين كتابًا مَوْقُوتًا . من كل عراقية المنتمى ، مترددة بين الرُّصافة ومحراب الدُّمى ، ماء الرافدين على أعطافها يسيل ، وسُرٌّ من رأى ، ما انجلي عنه خدُّها الأسيل . وشامية تقلَّبت بين الجابية والبلاط أى مُنْقَلَب . وبقيَّة مما ترك آل حَمْدان في حَلَب . وحجازية ورى لها [في الفصاحة]^(٦) الزُّند ، وتَضَوَّع من

(١) وردت في الإسكوريال (وأنشأ) والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في الإسكوريال (أفق) والتصويب في الملكية .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فتوتها) .

(٥) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

أذيا لها الشيخ والرُّند . وبنية تعلّمت صنعاء منها وشئ برودها . وخُرَاسانية غار سَحْبان ببرودها ، ومِصْرِيَّة ضرب على محاسنها الفسطاط ، وهاجرت بسببها الأنباط ، وسكنت مدينة الإسكندرية حيث الرِّباط . وإفريقية تفرقُ النفوس لتوقع فراقها . وتغار الشمس عند إشراقها . وغربية حطت لها العصم ، وطلعت آياتها من المغرب ، فبهت الخصم . وأندلسية لها الشُّفوف ، وأولياؤها الكموت ، وشهودها الصفوف ، وخُدورها البنود ، وظلالها السيوف ، وبيوتها الثغور ، وغروسها الجهاد المعروف ، وهو على ترتيب معلوم ، ووصف موسوم ، من المدح وما يقاربه ، والنسيب وما يناسبه ، والوصف وإن تشعبت مذاهبه ، والمُلاح وفيهسا محاسن الشئ ومعابيه ، والحِكم والزهد ، ومسا اشتمل عليه واجبه ، فجاء تمامه نُسك ، وختامه مِسْك ، ليكون أجمع للفكر ، وأسهل للذكر . وقسمت ما تضمنه قسمين ، سحر وشعر [وربما عُوْجِلت بالاستفهام عن هذا الإيهام ، فنقول إن الشعر ليس في أمة من الأمم محصور ، ولا على صِنْف من البشر مَقْصُور ، وهو فيها يوجد الأوائل ، ويلقى أعم من أن يشمله الوزن المُقَفَّى ، أو يختص به عروض يكمل وزنه فيه ويوقى . فمن الشعر عندهم ، الصور المثلة ، واللعب المخيلة ، وما تأسس على المحاذاة ، والتَّخْيِيل ببنائه ، ككتاب كلية ودمنة وما في معناه . إلا أنه في سجية العرب أنهر ، وهم به أشهر . ولذلك يقول بعض حكماء الفُرس ، الشعر حلية اللسان ، ومُدْرَجَة البيان ، ونظام للكلام ، مفهوم غير مَحْظُور ومشترك غير مَقْصُور ، إلا أنه في العرب جوهرى ، وفي العجم صناعى . ومتى يخلى الكلام عن هذا الغرض ، وعدل عن واجبه المفترض ، وخاض في الأمور الشَّائعة ، والمقدمات الزاهية ، ولم يعدل عن المشهور ، في مخاطبة الجمهور ، بعد ترك الشعر وتعداه ، وأفضى به إلى باب الحكاية مداه ، ولكل منها في الكتب المنطقية باب يضبطُ أصوله ، ويبين خواصه وفصوله . ثم إن العرب لم

تعتبر هذا التَّنْصِيفُ ، وعممت فسَمَّت الشعر كل كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الروى لجناحه مقام الخافية ، ويختص به من الأعاريض المتعارفة فروض ، ويقوم به نظام معروف ، ووزن مفروض . وعددها حسبها نقل واشتهر ، خمسة عشر ، ويقتضى أكثر من ذلك التقسيم والتَّفْعِيل ، لكن نبأ بهم عن لسانهم المقييل ، ولم يركب منجها القيل ، واضطرد على هذه الوتيرة الشُّعر ، فطما منه البحر الزاخر ، وتبعت الأوایل الأواخر ، وثبتت في ديوانه الوقايع والكواين ، والمكارم والمفاخر ، ومات الحيُّ ، وحَيَّى العَظْمُ النَّاخِر ، فما جنح إلى التخييل منه والتشبيه ، وحل محل الاستعارة بالمحل النبیه ، لم ينم عنه عرق أبيه ، وأَغْرَقَ في باب الشُّعر أتمَّ الإغراق ، وكان شعراً على الإطلاق . وما قعد عن درجه ، ولم يعرج على مُنْعَرِجِه ، فهو عندها شعر تَسْتَحْسِنُه وترْتَضِيهِ ، ويوجبهِ لِسَانُنَا ويقتضيه . وإذا تقرر هذا التقسيم ، وتَضَوَّعَ من روض البيان النَّسِيم ، وبَهَرَ الحق الوجه الوسيم ؛ فلنرجع إلى غرضي الذي اعتمدته ، ومطالبي الذي قصدته . ولما كان السُّحر قوة ، ظهر في النفوس انفعالها ، واختلفت بحسب الوارد أحوالها ، وتراءى لها في صورة الحقيقة خيالها ، وابتدئ في هيئة الواجب مجالها ، وكان الشعر يملك مقادتها ، ويغلف عاداتها ، وينقل هيئتها ، ويسهل بعد الاستصعاب جيئتها ، ويحملها في قَدِه على الشيء وحده . وإذا عضد بما يناسبه ، وتفضى إليه مذاهبه ، وقرنت به الألحان ، عَظُمَ الأثر ، وظهرت العِبَر ، فشجَّعَ وأَقْدَمَ ؛ وسَهَّرَ ونوِّمَ ، وأَضْحَكَ وأَبْكَى ، وكثير من ذلك يُحْكِي . وهذه قوى سحرية ، ومعانٍ بالإصابة إلى السحر حَرِيَّة ، فمن الواجب أن يسمى الصنف من الشعر ، الذي يخلب النفوس ويفزُّها ، ويستثني الأعطاف ويهزُّها ، باسم السُّحر الذي ظهرت عليه آثار طباعه ، وتبيَّن أنه نوع من أنواعه . وما قَصُرَ عن هذه الغاية القاصية ، والمزية الأبوية ، على المدارك المتعاصية ، سمى شعراً ، تختلف أحواله عند الاعتبار ، ويتبين شبهه من النظار .

فمنه ما يلفظ ، عند ما به يلفظ ، فلا يُروى ولا يُحفظ . ومنه ما يُعَبَث به
ويُسَخَّر ، ولا يُقْتَنَى ولا يُدْخَر . ومنه ما اشتمل على لفظ فصيح ، ومعنى صحيح ،
وقافية وثيقة ، ومثارة أنيقة ، واشتمل على الحِكم والأمثال ، ومعظم الشعر
على هذا المثال . ولكل قسم بيت مشهور ، وشاهد مذكور ، وإذا قلت شعراً
فعلى هذه المقاصد المنويّة ، وإذا قلت سجعاً ، فالتخصيص والمزية ، بمعنى
الأولوية . وظهر بعد استمرار هذا الترتيب ، برهة من نظم هــلـيـن
السّمطين ، واختيار هـلـيـن التّمطين ، أنّ الفرق بينهما ، كثير الدقة واللطافة ،
وأن الاختيار من باب القافية ، وأن التحسين والتقبيح من باب الإضافة ،
إذ أشخاص المحبوبات ، تقع بينها وبين النفوس التي تكلف بها ، وتتعلق
بسببها ، علاقات لا تُدرك ، ومُناسبات تعجز عى المدارك عنها فتُترك . وكثيراً
ما عشق العقل من الجمال لهذا السبب ، وأخلاق نفوس البشر مشار العجب .
وتركت الاختيار ، بعد أن أشرقت مطالعه ، ووكلته لمن يقف عليه أو يطالعه ،
فإننى إذ أغفلت الاختيار ، حُزْتُ على الأس الخيار ، فيظن الناظر فيه ، بعد
تحكيم ذوقه ، واستنزال روحانية التمييز من فوقه ، أنّ نظرى موافق لنظره ،
وأن أثرى حَلَو أثره . ورتبته على الحروف ، ليكون أنسب للترتيب ، وأليق
بالمعنى العجيب^(١) . فجاء مجموعاً^(٢) قلما اتفق أو تباثى ، ومصنوعاً لا ترى فيه
عَوَجاً ولا أمتاً ، ريحانة الأنوف الثّم ، وخبيثة العجيب والكم ، لم يقع غيرى على
مثاله ، ولا نسج بهذا الصنع^(٣) سوى على منواله ، وهذا حين ابتدئ . والله ولى
المرشد ، فى هذا القصد .

(١) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الخاصرتين وارادة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (موضوعاً) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصنع) .

وثبت أيضاً في صدر كتابي الذي يشتمل على

«تاريخ غرناطة»^(١) في إثني عشر سفرًا ، ما نصه :

[أما بعد حمد الله ، الذي أحصى الخلائق عدداً ، وابتلأهم اليوم ليجزيهم غداً ، وجعل جيادهم تتسابق في ميادين^(٢) الأجل إلى مداً ، وباين بينهم في الصور والأخلاق ، والأعمال^(٣) والأرزاق ، فلا يجدون عما قُسم محيصاً ، ولا فيما حكم مُلتَحداً ، ووسعهم علمه على تباين أفرادهم^(٤) ، وتكاثر أعدادهم ، والدأ وولداً ، ونسباً وبلداً ، ووفاة ومولداً . فمنهم النبيه والخامل ، والحالي والعاطل ، والعالم والجاهل ، ولا يظلم ربك أحداً . وجعل لهم الأرض ذلولاً ، يمشون في مناكبها ، ويتخذون من جبالها بيوتاً ، ومن متاعها عدداً . وخص بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتياب والاعتبار ، وتحث على السكون والاستقرار ، مُتبوءاً فسيحاً ، وهوياً صحيحاً ، وماءً نقيراً ، وإمتناعاً شهيراً ، ورزقاً رَغداً . فسبحان من جعل التفاضل في المساكن والسكن ، وعرف العباد عوارف اللطف ، في الظاهر والباطن ، ولم يترك شيئاً سداً .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله^(٥) ، الذي ملأ الكون نوراً وهدى ، وأوضح سبيل الحق ، وقد كان طرايق قدداً ، أعلى الأنام يداً ، وأشرف الخلق ذاتاً ، وأكرمهم مَحْتِداً ، الذي أنجز الله به من نصر دينه [الحق]^(٦)

(١) تاريخ غرناطة يقصد به هنا كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، وقد استعمل ابن الخطيب هذه التسمية في مواطن كثيرة ، ومنها في صيغة الوقف التي صدرت بتحيس نسخة كتاب «الإحاطة» التي أرسلها ابن الخطيب إلى القاهرة ، وفقاً على طلاب العلم (٧٦٩ هـ) . ويستعمل الغزيرى في فهرس الإسكوريال هذه التسمية أيضاً فيما ينسبه من الشذور الكثيرة التي نقلها في فهرسه عن «تاريخ غرناطة» ، هذا وقد ورد اسم الكتاب كاملاً «الإحاطة في تاريخ غرناطة» في الملكية .

(٢) هكذا في الإحاطة والإسكوريال ، وفي الملكية (ميدان) .

(٣) هكذا في الإحاطة والإسكوريال ، وفي الملكية (أعمار) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي مقدمة الإحاطة (أفراقهم) ، (القاهرة ١٩٧٣ ج ١ - ص ٧٩)

(٥) واردة في الإسكوريال والملكية وساقطة في الإحاطة .

(٦) واردة في الإحاطة والملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

موعداً ، حتى بلغت دعوته ، ما زوى له ، من هذا المغرب الأقصى ، فرفعت بكل هَضْبَةٍ معلماً ، وبنت بكل قلعة مسجداً . والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا لسماء سنته عمداً ، ليوث العدا ، وغيوث الندى ، [ما أقل ساعد يدا ، وعمر بكرُ خالدا ^(١) ؛ وما صَبَّاحَ بدا ، وأورق شدَا] ^(٢) . فإن الله عزَّ وجهه ، جعل الكتاب لشوارد العلم قيِّداً ، وجوارحَ اليراع تثير منه في سهول الرقاع صَيِّداً . ولولا ذلك لم يشعر آتٍ في الخلق بذاهب ، ولا اتصل شاهد بغائب ، فماتت الفضائل بموت أهلها ، وأفلت نجومها عن أعين مُجْتَلِيها ، فلم يُرجع إلى خبر يُنقل ، ولا دليل يعقل ، ولا سياسة تُكْتَسَب ، ولا أصالة إليها يُنتسب ؛ فهدى سبحانه وألهم ، وعلم الإنسان بالقلم عِلْمَ ما لم يعلم ، حتى أَلْفِينَا المراسم بادية ، والمرشد هادية ، والأخبار منقولة ، والأسانيد موصولة ، والأصول محرزة ، والتواريخ مقررة ، والسير مذكورة ، والآثار مأثورة ، والفضائل من بعد أهلها باقية خالدة ، والمآثر ناطقة شاهدة ، كأن نهار الطُّرس ، وليل المداد ، ينافسان الليل والنهار ، في عالم الكون والفساد ، فمهما طويا شيئاً ، ولعا بنثره ، أو دفنا ذكراً دعوا إلى نشره . ولو أن لسان الدهر نطق ، وتأمل هذه المناقضة وتحقق ، لَأَتَى بما شاء من عتب ولوم ، وأنشد : أعلمه الرماية كل يوم .

ولما كان هذا الفن التاريخي فيه مَأْرَبُ البشر ، [وداع إلى ترك الأثر] ^(٣) ، ووسيلة إلى ضم النثر ، يعرفون به أنسابهم ، وفي ذلك شرعاً وطبعاً ما فيه ، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والتَّرفيه ، ويستدلون ببعض

(١) وردت في الإسكوريال (فكر خلدا) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) الفقرة الواردة بين الحاصرتين هي التي وردت فقط في الملكية من مقدمة الإحاطة . ووردت في صفحة مقدمة على مكانها في نسخة الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الريحانة وساقطة في الإحاطة .

ما يبديه الدهر على ما يخفيه ، ويرى العاقل في قدرة الله تعالى ، ما يشرح صدره بالإيمان ويشفيه ، ويمر على مصارع الجبابرة ، فيحسب ذلك واعظاً ويكفيه . وكتاب الله يتخلله من القصص ، ما يتم شاهد لهذا الفن ويؤفيه . قال الله سبحانه ^(١) : «وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتَ بِهِ فَؤَادَكَ» . وقال عز وجل : «نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ» .

فوضح من حقّه سبيل مبين ، وظهر أن القول بفضله ، [يقضى به] ^(٢) عقل ودين ، وأن بعض المصنّفين ممن ترك نومه لمن دونه ، وأنزف ماء شبابه ، مودعاً إياه بطن كتابه ، يقصده الناس ويردونه ، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم ، فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان ، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان ، عجزاً عن الإحاطة بمثل هذا الشأن ، عموماً في أكثر الأوقات ^(٣) ، وخصوصاً في بعض البلدان . فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان ، وتوسّعوا بحسب مادة الإطلاع وجهد الإمكان ، وجنح إلى التخصيص من أثر الأولوية ، بحسب ما يخصه من المكان ، ويلزمه من حقوق السكان ، مُعَرِّمًا برعاية عهود وطنه ، وحسن العهد من الإيمان ، بادئاً بمن يعوله ، كما جاء في الطُّرق الحسان . فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد [تاريخاً لبلده] ^(٤) ، هزّ إليها علم الله ، وفاءً وكرم ، ودار عليها بفضل الله ، من رحمته الواسعة ، حرم ، كتاريخ كذا ، وتاريخ كذا ^(٥) .

(١) هكذا في الريحانة ، وفي الإحاطة (تعالى) .

(٢) هكذا في الريحانة ، وفي الإحاطة (يقتضيه) .

(٣) هكذا في الريحانة ، وفي الإحاطة (الأقطار) .

(٤) هكذا وردت في الريحانة ، وفي الإحاطة (لوطنه تاريخاً) .

(٥) هنا أغفل ابن الخطيب ذكر أسماء ما أورده في مقدمة « الإحاطة » من مختلف أسماء كتب التاريخ

الخاصة بمختلف البلدان مما يملأ نحو صفحتين .

فداخلتني لقومي^(١) ، عَصَبِيَّةٌ ، لا تقدر في دين ولا منصب ، وحمية لا يُذم في مثلها متعصب ، رغبة أن يسع سواهم ذكرهم ، من فضل الله جناب مخصب ، ورأيت أن هذه الحَضْرَة^(٢) ، التي لا خفاء بما وقر الله ، من أسباب إثارها ، وأراد من جلالته مقدارها ، إذ جعلها ثغر الإسلام ، ومتبوعاً العرب الأعلام ، قبيل رسوله ، عليه أفضل الصلاة ، وأطيب^(٣) السلام ، وما خصها به من اعتدال الأقطار ، وجريان الأنهار ، وانفساح الاعتمار ، والتفاف الأشجار . نزحها العرب الكرام عند دخولهم ، مختطفين ومقتطفين ، وهبوا بدعوة فضلها مُهْطَين ، فَعَمَرُوا وأولدوا ، وأثبتوا المفاخر وخلدوا ، إلى أن صارت دار مُلْك ، وَلَبَّةً سِلْك ، قَبْلَهُ المقدار ، وإن كان نبياها ، وازدادت الخُطَة ترفيها ، وجلب لسوق الملك ما نفق فيها . فكم ضمت جدرانها من رئيس ، يتقى الصباح هجومه ، ويتخوف الليل إطراره ووجومه ، ويفتقر الغيث لتوافله الممنوحة وسجومه ، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصمها ، وتدعو المشكلات فيأخذ بنواصمها ، وعارف^(٤) بالله قد وسع السجود جبينه ، وأشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرم يمينه ، وبليغ أذعنت لبراعة خطه وشيخة الخط ، يغوص على دُرر البسائط ، فيلقبها من طرسه الرائع على الشط ، لم يقم بحققها تمتع حق الامتعاظ ، ولا فرق بين جواهرها ولا بين الأعراض ، هذا وسُمِر الأقسام مُشرعة ، ومكان القول والحمد لله ذو سعة ، فهي الحسناء^(٥) التي عَدِمَت الدَّام ، وزينت الليالي والآيام . وإن قيل كلفت بمعانيها وقصرت الهوى على مغانيها ، فعاشق الحُسن عذره مقبول [وسيف العدل دونه مفلول]^(٦) ، والله درُ أبي الطيب إذ يقول :

ضروب الناس عشاق ضروبا فاعذرهم أشقهم حبيبا

(١) واردة في الرحانة وساقطة في الإحاطة . (٢) يريد بذلك مدينة غرناطة حاضرة الأندلس يومئذ .

(٣) في الإحاطة (وأزكى) . (٤) في الإحاطة (وعالم) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (الحسنى) .

(٦) وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وأغفلت في الإحاطة .

فلست ببديع ممن فُتِن بحب وطن ، ولا بأول من شاقه منزل فألقى بالعَظَن ،
فحب الوطن معجون في طينة ساكنه ، وطرفه مغرى بالباح محاسنه ، وقد
نبه على بن العباس^(١) على السبب ، وجاء في التماس التعليل بالعجب ، حيث
يقول :

وَحَبَّ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدُ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُوا لَذَلِكَ
ورميت في هذا المعنى بسهم سديد [وَأَلَحْتُ بِغَرَضٍ]^(٢) إن لم يكنه ، فليس
منه ببعيد :

أَحْبَبَكَ يَا مَغْنَى الْجَمَالِ بِوَجِب وَأَقْطَعُ فِي أَوْصَافِكَ الْغُرَّ أَوْقَاتِ
تَقَسَّمُ مِنْكَ التُّرْبُ قَوْمِي وَجِيرَتِي فِي الظُّهْرِ أَحْيَاءُ وَفِي الْبَطْنِ أَمْوَاتِ
وثبت في صدر « التَّاجُ الْمُحَلَّى فِي مُسَاجَلَةِ الْقِدْحِ الْمَعْلَى »

الذي رفعته لخزانة السلطان أبي الحجاج رحمه الله في زمان الحداثة ما نصه :
أما بعد حمد الله الذي شمل بجلوه أصناف وجوده ، إنعاماً وإحساناً [وأودع
البشر من بين ما ذراً ونشر خصايص كريمة ومزايا حسناً]^(٣) ، [وميزهم لاعتناية
الموصول بالصُّور والفصول فجعل الناطق إنساناً]^(٤) ، وفطر العرب أرجحهم حلماً ،
وأفصحهم لساناً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، النبي العربي ،
أعظم الأنبياء شانا ، وأكرمهم عند الله مكانة ، وأرفعهم مكانا ، وأقدمهم مسابقة
أزلية لديه وإن تأخر زمانا ، الذي خاطب الأمم بلسانه العربي فوسعههم تبياناً ،
وأطلع آياته لأبصار البصائر عياناً ، ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ، ويزداد

(١) هو الشاعر الكبير على بن العباس بن جريج الشهير بابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) .

(٢) وردت هذه العبارة في الإحاطة ، وأغفلت في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الجملة في الإسكوريال مضطربة ومتداخلة مع الجملة اللاحقة .

(٤) الفقرة التي بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

الذين آمنوا إيماناً . فبين صلى الله عليه وسلم الحلال من الحرام بياناً ، ووضع للناس أحكامه بأفعاله أحياناً ، ويقول له أحياناً ، وأعلن بفضل هذا الفن الآدمي إعلاناً ، فسمع الشعر ، ووَصَلَ عليه حسناً ، وأصغى لِكَعْب ، وبذل له أماناً ، وخلع عليه بُرْدَه الطاهر تكريماً وامتناناً ، والرضا عن آلِه وأصحابه وأنصاره الذين لم يزالوا بالنهار أُسْداً ، وبالليل رُهباناً .

وثبت في صدر كتاب «الإكليل الزاهر

فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر»

المرفوع أيضاً للسلطان المذكور رحمه الله ، ما نصه :

[الحمد لله الذي قصر على ذاته^(١) وصف الجمال ، وجعل النفوس البشرية مُباينة فيما وهبها من الخلائق والخلال ، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد ، ذى الفخر البعيد المثال ، ونرضى عنه له من الصحابة والقراية والآل^(٢) . ونقول لما صممت بتأليف كتاب «التاج» ، حشدت وجمعت ، وناديت وأسمعت ، حتى عظم المدد ، وكثر العدد ، ودعا ترتيبه على عدد معلوم ، ولاقتفاء نهج مرسوم ، فَفَضَّلَ من الفضلاء جُملةً ، لم يزدوا تنقصاً عن حوضه ، ولا منع رايدهم عرضاً عن روضه ، فمنهم أعلام علوم وأديان ، ومتقدمون بمعارف وأَسنان ، ومنتمون إلى مجد أصيل ، وإدراك وتحصيل ، وكثير ممن فَضَّلَ بعدالته وخيره ، وإن ضعف حظه في الأدب ، فربما قوى في غيره . فرأيت أن أضم منهم ما انتشر ، وأبتدل على العين بالآخر ، مترفعاً عن النزول إلى متاهة الكلام المهزول ، ومن بَاءَ بالحصّة البرة ، ولم يلم بالأدب في الندرة ، وكان له خطر ، وفي صحيفة الفضلاء سطر ، لم أربأ بتأليفي عن ذكره ، ولا أنفت بخطبتي من بنات فكره ، ليكون هذا الباب

(١) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (وصفه) والأولى أرجح .

(٢) هذه الفقرة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

رحب المجال ، آخذاً بطرف من صلاة الرجال . وقد جمع شيخنا أبو البركات بن الحاج جزءاً من كلام مشايخ زمانه ، وعلماء قطره وأعيانه ، وسماه «شِعْر من لا شِعْر له» بما اقتضاه فضل بيانه ، فما أنف أحد منهم لسانه ، ولا استعدى بحكم الإنصاف على لسانه ، إذ كان الكثير منهم ، في غير فن من الأدب من العلوم خَصْل رهانه ، وسبق ميدانه . ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا الردة الذي أخذ أعقاب هذه التربة السريّة ، من العادمين أولى الشيم الزكيّة . ولما قضى منه الأمد ، وكمل الغرض المعتقد ، سمّيته «الإكليل الزّاهر فيمن فُصل عند نظم التاج من الجواهر» وربّته طبقتين ، إحداهما ، فيمن أطلّعت هذه البلاد من أولى الخَصْل والأدب المُستجاد ، والثانية فيمن قدم عليها إلى هذا العهد من الأعلام ، أو أَلَمَ بها بعض إمام ، من فُرسان الأفلام ، وأبطال مجال الكلام . وإن طعن الناقد في تأخير من لزم تقديمه ، وأوجب له الحق حديثه وقديمه ، فقد يتقدم الملك حاجبه ، والمخدوم خديمه .

وثبت في صدر كتاب الطب «عمل من طبّ لمن حبّ»

من تأليف لسلطان المغرب أبي سالم بن السلطان أبي الحسن رحمهما الله :

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة أمشاج ، وأنشأه معلول تركيب ماء ومزاج ، وجعله ذا افتقار في لحظ حاله التي عين بها قوامه ، واحتياج إلى تدبير وعلاج . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، مُتيح النجاة لكل ناج ، وهادى الخلق^(١) بنور الحق والليل داج ، والرضا عن آله غيوث كل ندّى ، وليوث كل هياج . وبعد فإن الله عز وجل جعل الدنيا دارَ عَمَلٍ واكتساب ، والآخرة دارَ جزاء وحساب ، ومن المعلوم أن العمل لا يتم بكماله ، إلا بصحة الفاعل واستقلاله . واستقام هيئته الطبيعية وأحواله ، لأن الصحة لا تحفظ

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

إذا انحرفت ، ولا تردُّ إذا انصرفت ، إلا بصناعة الطب ، التي لما النظر في حفظ
الجُسُوم : والسير من تقدير الدواء لها والغذاء على المحدّد والمرسوم ، وتفاضل
المدارك في هذا الباب لتفاضل الفُهوم . ومما يشهد لهذه الصنعة بعلو الشأن ،
ورفعة المكان ، قوله عليه السلام ^(١) « العِلْمُ علَمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان » .

وثبت في صدر كتاب « روضة التعريف بالحبيب الشريف »

من تألّفي لهذا العهد

اللهم طيّب بريحان ذكرك أنفاس أنفُسنا الناشقة ، وعلل بجريال حبك
جوانح أرواحنا العاشقة ، وسدّد إلى أهداف معرفتك نبال نبُلنا الرّاشقة ، واستخدم
في تدوين حمدك شبا أفلما الماشقة ، ودلّ على حضرة ^(٢) قدسك خطرات خواطرنّا
الرائقة ، وأبّن لنا سُبُل السعادة ، التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس
الناطقة ، وأصرفنا عند سلوكنا عن القواطع العابقة ، حتى نأمن مخاوف جبالها
الشّاهقة ، وأحزابها المنافقة ، وأوهامها الطارية الطارقة ، وبرازخها القاسية الغاسقة ،
فلا تسرق بضايِعنا العوامر السّارية السارقة ^(٣) ، ولا تحجبنا عنك العوارض
الجسيمة اللاحقة ، ولا الأنوار المُغلّطة البارقة ، ولا العقول المُفارقة . يا من
له الحكمة البالغة ، والعناية السابعة . وصلّ على عبدك ورسولك محمد ^(٤) ، درّة
عقود أحبابك المتناسقة ، وجالب بضايِع توحيدك النّافقة ، المؤيّد بالبراهين
الساطعة ، والمعجزات الخارقة ، ما أطلعت أفلاك الأذواح زهر أزهارها الرّايقة ،
وحلّت قطار السحاب حداة رعوّدها التايقة ، وجمعت ريح الصّبا ، بين قدود
غصونها المتعانقة .

(١) في الملكية (صلى الله عليه وسلم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (حضرات) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٤) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

أما بعد ، فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية ، المحروسة بحدود سيوف الله حدودها ، الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها ، وصل الله عوائد صنّعه الجميل لديها ، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، «ديوان الصبابة»^(١) وهو الموضوع الذى اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظم ونثر ، وأسدى فى غزل غزلهم وألحم ، ودلّ على مصارع شهدائهم من وقف وترحم . فصدق الخبر والمخبر ، وطمت اللجة التى لا تقهر^(٢) ، وتأرجح من مسراه المسك والعنبر ، وقالت العشاق عند طلوع قمره «الله أكبر» :

مررتُ بالعشاق قد كبروا وكان بالقرب صبيّ كريم
فقلتُ ما بالهم قسالى ألقى للحسب كتاب كريم
لا غرو أن قام بهذه الآفاق ، أسواق الأشواق ، وزاحم الزفّرات ، فى مسالك الأطواق ، وأسأل جواهر المدامع ، بين أطباق تلك الأحقاق^(٣) ، وفتك نسيمه الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق [جنى النسيم علينا ، وما تبينتُ عُذره ، إذ صير الأرض غورا ، والخلق أبناء عُذره]^(٤) . فوقع للمحبة المصرية التسليم ، وقالت ألسنة الأقلام معربة عن ألسنة الأقاليم :

سَلَّمْتُ لمصر فى الهوى من بلد يهديه [هوى لُدّ فى]^(٥) استنشاقه
من يُنكر دعوأى فقل له عنى يكنى امرأة العزيز من عشاّقه

(١) «ديوان الصبابة» هو عنوان الكتاب الذى وضعه ابن أبى حجلة ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد التلمسانى نزىل القاهرة المتوفى سنة ٨٧٧٦ هـ ، وهو يعالج فى مقدمته أحوال العشاق ، ثم يتحدث عن الحسن والجمال ، وما قيل فيه ، وعن المحبين والظرفاء ، وعن ذكر من عشق على السراى وغير ذلك . وكان لصدر هذا الكتاب صدى كبير فى دوائر الأدب بمصر وغيرها .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تعتبر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحقائق) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (هواؤه لى) .

فعمر المحافل والمجالس ، واستجلس الراكب ، واستركب الجالس ، يدعو
الأدباء إلى مادبته فلا تتوقف ، ويلقى عصا سحره المصرى فتتلقف ، ما شئت من
ترتيب غريب ، وتطريب من بنان أريب ، يشير إلى الشعر ، فتنقاد إليه عيونُه ،
ويصيح بالأدب النثر ، فتلبيه فنونه ، ويلام بالحديث العذب ، فتثير الشجون
شجونه . وأنهى خبره إلى العلوم الشريفة المقدسة ، ومدارك العلم الموطدة المؤسسة ،
وسما به الجد صعداً إلى المجلس السلطاني ، مقر الكمال ، ومطمح الأبصار والآمال ،
حيث رفارف العز قد انسدت ، وموازن القسط قد عدلت ، وفصول العقل قد
اعتدلت ، ووُرق أوزان المحامد والممادح قد هدلت ، مجلس السلطان المجاهد
الفاتح الماهر ، المتحلى في ريعان العمر الجديد ، والملك السعيد ، بحلى القانت
الزاهد ، شمس أفق الملة ، وفخر الخلفاء الجلة ، بدر هالات السروج المجاهدة ،
أسد الأبطال البارزة ، إلى حومة الهياج الناهدة ، مُعْشَى^(١) الأبصار المشاهدة ،
مُظْهَر رضى الله ، عن هذه الأمة الغريبة عن الأنصار والأفكار ، من وراء أمواج
البحر الزخار ، باختياره لها واعتنايه ، وملبسها بُرود اليمن والأمان ببركة أيامه ،
ومن أطلع الله أنوار الجمال من أفق جبينه ، وأنشأ أمطار السباح من غمام يمينه ،
وأجرى في الأرض المثل السائر بفضله وحلمه وبسالته ودينه ، أمين الله على
عهد الإسلام هذا القطر ، وابن أمينه ، وفخر الأقطار والأمصار ، ومطمح الأبدى
الحنيف ، لحياته وبداه ، أو تمثل الكمال صورة ، ما تعداه ، مولانا السلطان
الكذا^(٢) ، جعل الله ثغر الثغر مُبْتَسِماً ، عن شنب نصره^(٣) ، والفتح المبين

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مغنى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وورد في الملكية اسم السلطان على النحو الآتى : الإمام العادل العامل
المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله بن مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدس أبي الججاج بن مولانا السلطان المجاهد
المقدس أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر الأنصارى الخزرجى .

مذخوراً لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ، وسوّغه من مواهب الكمال ، ما تعجز الألسنة عن حصّره ، ولا زالت أفنان أقلامه تتحف الأقاليم بجنى فنون فخّره ، فخصّته عين استحسانه [أبقاه الله] ^(١) بلحظة لحظ وما يلقاها إلا ذو حظ .

وصدّرت إلى منه الإشارة الكريمة بالإملاء في فنّه ، والمنادمة على بنت دَنّه ، وحسب الشّحم [من ذى ورم] ، والله يجعلنى عند [حسن] ظنه . ومتى قُورن المُتّرى بالمتّرى ، أو وُزن المشرق بالمغرب ، شتان بين من تجلّى الشمس منه فوق منصتها ، وبين من يشره أنفّه المغربى إلى ابتلاع قُرصتها . لا كنى امتثلت ، ورشت ونثلت ، ومُكرّها لا بطلا مثلت . وكيف يتفرغ للتأليف أو يتبرّع للوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا في سِنِّ الكهولة على كاهله ، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله ، واشترى السّهر بالنوم ، واستنفد سواد الليل وبياض اليوم ، في بعث يجهز ، وفرصة تُنتهز ، وثغر للدين يُسد ، وأزرّ للملّك يُشد ، وقصة تُرفع ، ووساطة تنفع ، وعدل يُحرّص على بذله ، وهوى يُجهد في عدّله ، وكريم ^(٢) قوم يُنصف من نذله ، ودين تُراح الشوائب عن سُبله ، وسياسة تشهد للسلطان بنبله [وإصابة نبيله] ^(٣) ما بين سيف وقلم ، وراحة وألم ، [وحرب وسلم] ^(٤) ونشر عِلْم أو عِلْم ، وجيش يُعرض ، وعطاء يُقرض ، وقَرْض حسن لله يُقرض ، في وطن توفر العدو على حصّره ، ودار به دور السوار على خصّره ، وملك قصر الصبر والتوكل على نصره ، وعدد نسبته من العدد العظيم الطاقة ، الشديد الإضافة ، نسبة الشّعرة من جلد الناقة . وبالله نستدفع المكروه ، وإلى الله ، نمد الأيدى ونصرف الوجوه .

(١) هذه العبارة واردة في الملكة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (وكبير) والأولى أرجح .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في « روضة التعريف » (ص ٨٣) ، وساقطة في الإسكوريال والملكية .

وسألت منه أيده الله القنوع بما يُيسره الوقت ، مما لا يناله المقت ، والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترتيب والسّن ، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن . وما كنت ممن آثر الجدّ على الهزل ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بسمة الجدل ، ولا أنف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره ، واجتنيث ثماره ، وأقمت مناسكه ، ورميت جماره ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة ، فلهوى أول تميمة قلدتني الرّاية ، والتّرب التي عرفتها في البداية ، وأنا الذي عن عروقه نبت ، والذي بُعثت إلى الرّصافة لأرقّ قُدُبْتُ ، إلى أن تبين الرّشد من الغي ، وصار النشر إلى الطّي ، وتشايخ ولدان الحي ، وتذكر الفخر لأيام الرّى .. كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم :

جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما جزى ناصحاً فازت يداى بخيره
ألقت طريق الحبّ حتى إذا تمّنى ^(١) تعوّضت حب الله من حبّ غيره

حال السواد فحال الفؤاد ، وصدّح المرعى ، فانقطعت الرّقاد ^(٢) ، وتهانى عن أزوار خيال الزّوراء ، والتفات عاذل الشيب عن المقلة الخوراء ، وكيف الأمان ، وقد طلع منه النذير العريان ، يدل على الخير بخبره ، وينذر بهادم اللذات على أثره .

دعنى عيناك نحو الصّبا دعاء يُردّد فى كل ساعة
فلولا وحقك عذر المشيب لقلت لعينيك سمعاً وطاعة

ولو لا أن طيف هذا الكتاب طرّق مضجعى ، وقد كاد يبدو الحاجب ويضيق ^(٣) من الفرض الواجب ، لجريت فى ميدانه ، وعقدت بنانى لبنانه ، وتركت شانى ، وإن رغم الشانى لشانه ، وقلت [معتذراً عن التوهيم فى بعض أحيانه] ^(٤) :

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نهى) . (٢) فى الملكية (الرواد) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يضع) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

أَهْلًا بِطَيْفِكَ زَائِرًا أَوْ عَائِدًا يُفْدِيكَ عَنِّي غَايِبًا أَوْ شَاهِدًا
يَا مَنْ عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ أَحَاثِي أَتُظَنُّ جَفْنِي مِثْلَ جَفْنِكَ رَاقِدًا
مَا نَمْتُ لَكِنْ الْخِيَالُ يَلُمُّ بِي فَيَحْيِيهِ طَرْفِي فَيَطْرُقُ هَاجِدًا (١)

ومن العصمة أن لا تجد حلًّا قبل المشيب ، ومع الزمن القشيب ، وقبل أن
تمخض القربة ، وتبنى الخانقة ، وتونس بالله الغربة . وعلى ذلك فقد أثر ،
ويا قلبي المغتر ، اللهم لا أكثر .

وبدا له من بعدما اندمل الهوى برقٌ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرَّدَى وَدُونِهِ صَعْبُ الذُّرَى مَتَمْنَعًا أَرْكَانِهِ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته ، أيده الله ، علاوة ، وبعد الفراغ من ألوان
ذلك الخوان حلاوة . وقلت أخطب مؤلف كتاب الصبابة ، بما يتغمده جانب
إنصافه ويغطي على نقص ، إن وقع فيه كمال أوصافه :

يَا مَنْ أَدَارَ مِنَ الصَّبَابَةِ بَيْتًا قَدَحًا يَنْمُ الْمِسْكُ مِنْ رِيَّاهُ
وَأَتَى بِرِيحَانِ الْحَدِيثِ فَكَلَمًا صَبَحَ النَّدِيمُ بِرَاحَةِ حَيَّاهُ
أَنَا لَا أَهْمُ بِذِكْرِ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى لَكِنْ أَهْمُ بِذِكْرِ مَنْ أَحْيَاهُ (٢)

وعنَّ لي أن أذهب هذا الحب المذهب المتأدَّى إلى البقاء ، الموصل إلى ذُرْوَةِ
السعادة في معارج الارتقاء ، الذي عَاقِبَتْهُ (٣) نعيم لا ينقضي أَمَدُهُ ، ولا ينفد مدده ،
ولا يفصل وصله ، ولا يفارق الفرع أصله ، حبُّ الله الْمُبْلَغُ إِلَى قُرْبِهِ ، الْمُسْتَدْعَى
لِرِضَاهُ وَحُبِّهِ ، الْمُؤَثِّرُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ ، وَيَالِهَا مِنْ غَايَةِ الْمَلَقِ رَحْلَ الْمُتَصَفِّ بِهِ ،
بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولاية . [وكننت وقفت من الكتب المؤلفة في

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ساجدًا) .

(٢) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (غايته) .

المحبة ، على جملة ، منها كتاب شيد له . كتاب تشهده العوام ، ويستحقه الهوام ^(١)]
ورسالة ابن واصل ، رسالة مهذارة ، تظفر من دارة إلى دارة ، في مظاردة هر
وفارة . وكتاب ابن الدباغ القيرواني ، كتاب مفرقع ، ووجه المقصود منه متبرقع .
وكتاب ابن خلصون ، وهو أعدها لولا بداوة تسم الخرطوم ، وتناسب الجمل
المخطوم ، فكنت بما ذكر لا أقنع ، وأقول ما لصنع الله ، يعطى ويمنع :
قلت للساخر الذى رفع الأنف واعتلا أنت لم تأمن الهوى لا تعير فُتبتلا
ومن المنقول ، لا تُظهر الثمالة لأخيك ، فيُعافيه الله ويبتليك :

بلانى الحب فيك بما بلانى فشانى أن تفيض غروب شانى
أجل بلانى من الغرض الذى هو من القلوب سر أسرارها ، ومن أفنان الأذهان
بمنزلة أزهارها ، ومن الموجودات وأطوارها ، قُطب مدارها ، ليكون كتابى هذا
المقدم على المار والمهلك ، والمتشبع بما لا يملك ، وإن لم يقع الانصاف ، فعسى أن
يشفع الانصاف ، والافتراق يذره الاعتراف . أنا عن المنكسرة قلوبهم ، ولا
تجود يد إلا بما تجدد ، وعسى الذى أنطق شوقاً أن ينطق ذوقاً ، والذى حرك
سِفلاً ، أن يحرك فوقاً ، والذى يسره مقالا أن يكيفه حالا . وأول الغيث طل ثم
ينسكب [الحرب أول ما تكون بحاجته ، والحرب أولها الكلام] ^(٢) . ونحمد الله
على الكلف بهذه الطريقة ، [فما يلقيها إلا ذو حظ عظيم ، وللأرض نصيب من
كأس الكريم] ^(٣) :

أليس قليل نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل
إن فاتنى أن أرى التيار بطرفى فلعلنى أرى الديار بسمعى
وعلى ذلك ، فذهبت في ترتيبه أغرب المذاهب ، وقرعت في التماس الإعانة

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

باب الجواد الواهب ، وأطلعت فصوله في ليل الجبر طلوع نجوم الغياهب ،
وعرضت كتاب العزيمة عرضاً ، وأقرضت الله قرضاً ، وجعلته شجرة وأرضاً .
فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيها ، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتنبئها .
والأرض [النفوس التي]^(١) تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التي تستوفيها ، والأوراق
حكاياتها التي تحكيها ، وأزهارها أشعارها التي تجنيها ، والوصول إلى الله ، ثمرتها
التي تدخرها بفضل الله وتقتنيها ، شجرة لعمر الله يانعة ، وعلى الزعازع ممتاعة ،
ظلها ظليل ، والطرف عن مداها كليل ، والفايز بجناها قليل . رست في الثخوم ،
وسمت إلى النجوم ، وتنزّهت عن أعراض الجُوم ، والرياح الحُوم ، وسقيت
بالعلوم ، وغذيت بالفهوم ، وحملت كمامها بالزهر المكتوم ، ووفت ثمرتها
بالغرض المروم . فاز من استأثر بجناها ، وتعنى من عنى بلفظها دون معناها ،
فمن استصبح بزيتها ، استضاء بسناها ، [ما أبعداها]^(٢) وما أدناها ، عينا
ملأت الأكف بغناها ، كم بين أوراقها من قلب مقلّب ، وفي هوائها من هوى
مُغلب ، وكم فوق أفنانها من صادح ، وكم في التماس سقيطها من كادح ، وكم
دونها من خطيب فادح ، ولأربابها من حاجم ومادح . تنوعت أسماؤها ، ولم تنوع
أرضها ولا سماؤها ، فسميت نخلة تُهز وتُجنى ، وزيتونة مباركة ، يستصبح
بزيتها الأسنى ، وسدرة إليها ينتهى المعنى ، أصلها للوجود أصل ، وليس لها ،
كالشجرة جنس ولا فصل ، وتربتها رُوح ونفس وعقل ، وشرها يعضده بدمية
ونقل ، يحط الهائمون بفنائها ، ويصعد السالكون فوق بناها ، وتمترق السبع
الطباقي ببرايقها ، وتمحى ظلم الحس بنور إشراقها . فسبحان الذى جعله قطب
الأفلاك ، ومتنافس الأضواء والأملاك ، ومُغرّد طيور^(٣) الأملاك ، وسبب انتظام

(١) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) وردت في الإسكوريال (ظهور) والتصويب من الملكية .

هذه الأسلاك ، لم يتحل بها طريد بعيد^(١) ، ولا اتصف بصفاتهما إلا سعيد ، ولا اعتلق بأوجها هاو في حضيض ، ولا تمحّض لبرهانها متخبط في شرك نقيض ، ولا تعرض لنسيم^(٢) بوارقها متّسم بسمة بغيض . الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ومنه نستزيد الاستغراق^(٣) في بحارها ، والاستنشاق لنواسم أسحارها ، والاستدلال بذرى أفنانها عليه ، والوصول بسببها إليه ، ولئى ذلك سبحانه . فطاب لعمرى المنبت والنابت ، وسما الفرع الباسق ، ورسا الأصل الثابت ، وفاءت الأفنان ، وزخرفت الجنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان . ولم أترك فناً إلا جمعت بينه وبين مناسبة ، ولا نوعاً إلا ضممته إلى ما يليق به ، واستكثرت من الشعر ، لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذى يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدى إلى الأنوف روائح بُسْتانها ، وهو الزمار ينقخ الشوق فى يراعته ، والعزيمة التى تنطق [مجنون الوجد]^(٤) من ساعته ، وسلعة السنة العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ، ومجلى صدر المعانى الرقاق ، ومكان قنايص الأذواق ، به عبّر الواجدون عن وجودهم ، وأشار المحبّون إلى قصدهم ، وهو رسول الاستلطاف ، ومتنزل^(٥) الألطاف . اشتمل على الوزن المطرب ، والخيال المعجب المغرب ، وكان للألحان مركبا ، ولانفعال النفوس سببا ، فلا شئ أنسب للحديث منه فى المحبة ، ولا أقرب منه للنفوس الصّبة . وجلبت^(٦) الكثير من الحكايات ، وهى نوافل بروض الحقائق ، ووسايد مجالس الرّقائيق ، ومراوح النفوس من كدّ الأفكار ، وإحمّاض مسارح الأخبار ، وحظّ جارحة

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ليثم) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الإغراق) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجنون الوقت) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منزل) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واحتلبت) .

السمع من منح الاعتبار ، وبغض الجواذب^(١) لنفوس المحبين ، والبواعث لهمم السالكين . وحجتنا واضحة بقوله ، وكلا نقص عليك في القرآن المبين ، ونقلت شواهد من الحديث والخبر ، تجرى صحناتها^(٢) مجرى الزكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال ، ويجرى ما سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال ، ليكون هذا الكتاب بعموم خيره ، مسرحاً للقارئ وغيره ، ويجد كل ميداناً لسيره ، ومُلَقَطاً لطيره [ومحكاً لغيره]^(٣) فمن فاق كَلِفَ بأصوله ، ومن قصّر قنع بفصوله ، ومن وصل حمد الله على وصوله .

وسمّيته « روضة التعريف بالحب الشريف » . ويحتوى على أرض زكية ، وشجرات فلكية ، وثمرات ملكية ، وعيون غير بكية . والحب حياة النفوس الموات ، وعلة امتزاج المركبات ، وسبب ازدواج الحيوان والنبات . وسرّ قوله عز وجلّ ، أفمن كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات . ليس كالحب الذي دونّ فيه المدوّنون ، ولعبت بكرات أقناصه^(٤) صوالج الجنون ، وقاد أهوى أهله بحبل الهون ، وساقط فيه^(٥) المُنَى للمنون ، حين نظرت النفس من سفلى الجبين^(٦) ، ورضيت الأثر عن العين ، وباعت الحقّ بالمين ، ولم تحصل إلا على خُفَى حنين . وراحمتا لعشاق الصور ، وسُبّاق ملاعب الهوى والهوى ، لقد كَلِفُوا بالزخارف الحاضرة الحائلة ، والمحاسن الرأيقة الزائلة ، وسلع الجبّانة ، وبضايح الأمانة ، ونتائج^(٧) الميضات ، ومنازف الحيفات ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الحوادث) والأولى أرجح .

(٢) وأردت في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة وأردت في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (أقياسه) .

(٥) وأردت في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجنين) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فضايح) .

وظروف القَدَا ، وتَعْدَلَات العِذَا ، ونفساء بيوت الأَذَى ، أزمان التمتع بهم قصيرة ،
والآنكاد عليهم مغيرة ، فتراهم ما بين طاعين يعامل قد ، ومضرّج بدم خَد ،
وأسير تُغَر ، قد أعوز فداؤه ، وسَقِم طَرَف قد أعضل داؤه . وماشيت من ليل
يُبْهَر ، ونداء به يَجْهَر ، وجيوب تشق ، وبصاير تُخطف أبصارها إذا لمع البرق ،
ونواسم تحمل التحيات ، وأصايل تتلقى بخلع الأريحيات ، وربما اشتد الجبل ،
وأصابت النبل ، فكان الخبل ، قلوبٌ اشتغلت عن الله ، فشغلها بغيره ، وهَب
الحُبّ الجسماني لا تبعث عليه شهوة بهيمية ، ولا تدعو إليه قُوّة وهميّة ، أليست
الدّاعية مرتفعة ، والباعثة منقطعة ، وصورة الحُسْن دائرة ، وأجزائه المتناظرة
مُتَنَاطرة ، أليس الجزء العُنْصُرى عابداً إلى أصله ، أليس الجنس مفارقاً لفصله ^(١)
ولله درُّ على رضى الله عنه ، وقد نظر إلى قدح الماء : لما أراد أن يشرب ، وعن
الاعتبار أعرب ، فقال كم فيك ^(٢) من خراسيل ، وعين كحيل ، فأواه مكررة من
ددة ، وواخفاء معادة مُجَدِّدة ، على قلب أصبح يقلب كفيه ، على ما أنفق فيها ،
وهي خاوية على عروشها ، ويقول يا ليتنى لم أشرك برى أحدا ، وحسبنا مرارة
الفراق ذُلاً ، وفقر الفقر قُلاً ، والغفلة عن الله شَقاً محتوماً ، والكآبة على الفايث
شُوما :

صَلَّيْنِي عَنْ حَلَاوَةِ التَّشْيِيعِ اتَّقَانِي مَرَارَةَ التَّوَدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنَسُ ذَا بَوْحُشَةٍ هَذَا فَرَأَيْتُ الصَّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ

وإن كانت الشهوة ، فأخسِس بها داعية ، وإلى الفضيحة ساعية ، حَسْبُكَ
من حمار يعلو بنداء المحبة نهاقه ، ويعدديه على السياق احتياجه ، إلى السَّفَادِ
واشتياقه . أسير خبال ، وصريع ميال ، أولى له ثم أولى ، لو تأمل محاسن

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (لأصله) مرة أخرى .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فيه) .

الجسوم ، ما أكذب رايدها المَطْرَى ، وأخبت زخرفها المَغْرَى ، وأقصر مدة استمتاعها ، وأكثر المساوى تحت قناعها :

على وجه مَيّ مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا
ما ثمّ إلا أنفاس تردد^(١) وتخبت ، وعِلَلٌ تنشأ ثم تحدث ، وزخارف
حُسْن تعهد ثم تنكث ، وتركيب يطلبه التحليل بدينه ، ويأخذ أثره بعد عينه ،
وأنس يفقد ، واجتماع كأن لم يُعقد ، وفراق إن لم يكن فكأن قد :

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوء فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا
آخر :

منغص العيش لا يأوى إلى دعة من كان ذا بلد وكان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان ولم يسكن إلى أحد
وقلت ، وقد فات سكن عزيز على أيام تغريبي^(٢) بمدينة سلا [حرسها الله]^(٣)
[عظم عليه جزعى]^(٤) :

يا قلب كم هذا الجوى والخُفوت ذمّك استبق لثلا يفوت
فقال لا حول ولا قول لى قد كان ما كان فحسبى السكوت
فارقنى الرشد وفارقتسه لما تعشّقتُ بشيء يموت
والزمان لا يعتبر ، وحاصله خبر ، والحازم من نظر فى العواقب نظر المراقب ،
وعرف الإضاعة ، ولم يجعل الحلم بضاعة . إنما الحب الحقيقى حب يُصعدك
ويُرقيك ، ويُخلّدك ويُبقيك ، ويطعمك ويسقيك ، ويخلصك إلى فئة السعادة

(١) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (تذكر) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التبرى) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

مَنْ يُشْقِيكَ ، ويجعل لك الكون أرضاً^(١) ، ومشرب الحق حوضاً ، ويُجَنِّبُكَ
 زهر المنى ، ويغنيك عن أهل الفقر والغنى ، ويخضع التيجان لنعلك . ويجعل الكون
 مُتَصَرِّفَ فعلك . ليس إلا الحبُّ ثم الوصل ، ثم القرب ، ثم الشهود [ثم البقا]^(٢) ،
 [بعد ما اضمحل الوجود]^(٣) ، فشفيت الآلام ، وسقط الملام ، وذهبت الأَصْغَات
 والأحلام ، واختصر الكلام ، ومُحِيت الرسوم ، وعُفِيت^(٤) الأعلام ، ولمن الملك
 اليوم والسلام . فالحذر الحذر ، أَنْ تُعَجِّلَ النفس سيرها ، ويفارق القفص
 طيرها ، وهى بالعرض الفانى متشبطة^(٥) ، وبثاء الثقيل مرتبطة ، وبصُحبة الفانى
 مُتَّعِبَةٌ ، فالمرء مع من أحب . يموت المرء على ما عاش عليه [ويحس على ما مات
 عليه]^(٦) أَنْ تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جَنبِ الله ، وإن كنت لمن
 السَّاحِرِينَ . أو تقول لو أَنَّ الله هدانى لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب
 لو أن لى كَرَّةً فأكون من المحسنين . وفى مثل ذلك قلت :

أَعْشَاقَ غير الواحد الصمد الباقي	جنونكم والله أَعَيْت على الرَّاقي
جُنَيْتُمْ بما يفنى ويبقى مضاضةً	تُعَذِّب بعد البَيْن مهجة مشتاق
وتربط بالأجسام نفساً حياتها	مباينةً الأجسام بالجواهر الراق
فلا هى فازت بالذى ظَفِرَتْ به	ولا رأس مالٍ كان ينفعها باق
فراقٌ وقَسْرٌ وانقطاع وظُلْمَةٌ	قنا البعد عن نيل السعادة ياواق
كأنى بها بعد ما كشف الغطا	صريرة أحزان لريقة أشواق

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (روضا) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية كالآتى (ثم اضمحل الوجود) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وخفيت) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (متشبطة) .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

تقلب كفيهسا بخيط موصل
فلا تطعموها السم في الشَّهْد ضلَّة
بما اكْتَسَبَتْ تسعى إلى مستقرها
وليس لها بعد التفرق حيلة
ولو كان مَرَمَى الحزن منها إلى مدى
فجِدُّوا فَإِنَّ الأَمْرَ جَدُّ وشَمُّروا
ولا تطلقوا في الحسّ ثنى عنانها
ودُسُّوا لها المعنى رويداً وأيقظوا
وعاقبة الفاني اشرحوا وتلطّفوا
ومهما أفاقَت فافتحوا لاعتبارها
فإن سَكِرَتْ واستشرفت عند سُكْرها
أطيلوا على روض الجمال خطورها
وخلُّوا لهيب الشَّيْب يطوى بها الفلا
فما هو إِلَّا أَنَّ تحطَّ رحالها
وتنفى إذا ما شاهدت عن شهودها
هنالك تلقى العيش تضيفو^(٢) ظلاله
وما قسم الأرزاق إلا عجيبة

وثيقته من دون سبعة أطباق
فذلك سم لا يداوى [صحيح برّياق]^(١)
فأما بوقرٍ مُحسب أو بإملاق
سوى ندم يزرى مدامع آماق
لأن الأسى ما بين وَخْدٍ وأعناق
بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق
وشيّموا بها للحق لمحة إشراق
بصيرتها من بعد نوم وإغراق
بأخلاقها المرضى تلطف إشفاق
مصاريح أبواب وأقفال أغلاق
لما هيّة السُّقيا ومعرفة السَّاقِ
إلى أن يقوم الحبُّ فيها على ساقِ
إلى الوجد في مَسْرَى رموز وأذواق
بمشوى التجلّى والشهود بإطلاق
وقد فنى الفاني وقد بقى الباق
وتنعم من روض^(٣) الحياة برقراق
فلا تطرد السؤال يا خير رواق^(٤)

(١) وردت في الإسكوريال في مساق النص ، وفي الملكية (برّياق) . ولكنها وردت وفق ما بين الخاصرتين مصححة في هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (تصفوا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (عين) .

(٤) انتهى بانتهاء هذه القصيدة مانقله مخطوط الإسكوريال من مقدمة كتاب (الحجة) . ولكن مخطوط الملكية يورد بعد ذلك برنامج الكتاب مفصلاً في أربع صفحات . وقد رأينا أنه لاجل لإبانتها .

[وتبيث في صدر كتابي المسمى « باستنزال اللطف الموجود

في أسرار الوجود » ، وهو مما جمعته لهذا العهد

الحمد لله الذي خلق الإنسان مهيضاً جناحه ، بالافتقار لما فيه صلاحه ،
كسيراً ، وقدر عمره ، وإن طال المدا ، وسالم الردى يسيراً ، وأقامه عانياً في أيدي
الأقدار ، وحكم الليل والنهار أسيراً . وجعل مرام الخلاص من قيود الوجود عليه
إلا بلطف الموجود عليه عسيراً . وملك ناصية قضا لا يجد فيه مراعاة ، ولا يستطيع
عنه مسيراً ، ومزاجاً محتاجاً إلى المراعاة مع الساعات فقيراً ، وتكليفاً يأخذ بباطواقه
عن تراضى أشواقه فلا يملك لنفسه قبيل إلا بإذنه ولا دبيراً ، وسياسة يطيع فيها
مرعاه راعياً ، ويتبع مأموره منها أميراً ، ومعاشاً يضطر فيه إلى إمداد حياته وصلاح
ذاته ، اضطراباً كبيراً ، ومعاشرة بأبناء جنسه تكون السلامة لأجله منهم ، وإدراك
الكفاف من أيديهم حظاً أثيراً ، وابتلاء بما يلحق هذه الملكات ، علاوة على أحماله
المهلكات ، فلا تجد غيره ولياً ولا نصيراً ، وخياله المكروء في المحبوب ابتلاء
وتطهيراً ، والمحبوب في المكروء إخفاء لسيرد المحجوب في استعار الغيوب وتدبيراً .
فقال وعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . ثم أتاح الراحة منهم لمن
اضطنعه ، وأنشأه من الحضيض الأوهـد ، ورفع فجلل قامه تنويراً ، ومهد له
التوفيق سريراً ، وجعل الفكر السديد هدايته لنفسه الناطقة وزيراً ، واتصال
عقله المستفاد بالعقل البري ، من لواحق الكون والفساد كمالات أخيراً . والصلاة
على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، الذي بعثه مبشراً ونذيراً ، ودليلاً إلى حضرة
الحق ، من أقرب المآخذ على الخلق ، تنبيهاً وتحذيراً ، وإرشاداً . وتبصيراً ،
وأنيب بسعيه في هذا الوجود الأول ، والحلم المسلول ، عيناً ، يشرب بها عباد الله ،
يفجرونها تفجيراً . والرضا عن آله وصحبه ، الذين أوسعوا هديه بياناً وتفسيراً ،
ما أطلع الروش من روح البهاء ، في عذير الظلماء وجهاً منيراً ، ولمع برق الغمام
في السحب السحاج ، سيفاً ظهيراً .

أما بعد ، فإنه جرى ببعض هذه المجالس ، التي نجعلها لكلال الأحباب جَمَاماً ، ولعل المتلومين عن العلال غماماً ، وفي أوقات التذكير التي لا تخلق ، والمِنَّة لله ، محن مع الساعات لبسكب ، وسبيل إلى الخلاص يركب ، وحكمة يُطارِد شاردُها ، حتى يُلقى المقادة ، ويمتاح مواردها حتى تملأ مَزَاد السعادة ، ذكر ما يعتور الإنسان في هذا العالم من القواطع المساجلة ، والعوايق عن آماله العاجلة والآجلة ، ويحفُّ به في هذه الأحلام من ضروب الآلام ، ويناله من القَسْر في هذا الأسر ، وما الحيلة في تسليس قيوده الثقال ، وتوسعة محابسه الضيقة الاعتقال ، إلى أن تقع رحمة الافتكاك والانتقال ، وتوسعة الصِّدا بإدالة الصِّقال ، ويصح المقام من بعد المقال . فوعدت من له عناية بنفسه ، وارتقاب لمطلع شمسهِ ، من الأصحاب المتعلقين بأهداب النظر ، والمتشوقين إلى الخبر من بعد الخبر ، والحرص على قطع هذه المرحلة الحلمية بحال السلامة ، وارتفاع عتاب ومَلَامَة ، واستشعار جَنَّة المكاره ولامه ، أعلن في ذلك مقالة ، تخفض البث ، وتعمل في طلب الخلاص الحث ، فتخف لأجلها العلائق ، ويأخذ بحظِّه منها المبتدئ والفايق ، والله وليُّ الهداية في كل سبيل ، والوقاية من كل مَرَعَى وبيل . ولما تحصل الوعد ، وقع في الافتصاد الإلحاح والاستنجاز الصِّراح ، ولم يقع الإعفا ، ولم يسع إلا الوفا^(١) .

[وتبث في صدر تأليفي المسمى « بالوصول لحفظ الصحة في الفصول »

الحمد لله الذي فصل الفصول بحركات الشمس ، وجعل الحس مدينة لتلك النفس ، واستخدم له فيها حركة الحواس الخمس ، بين السمع والبصر والشم والذوق واللمس . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، شرف النوع والجنس ، بسعادة الجن والإنس . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين ، أمنت حقائق فضلهم

(١) هذا الفصل الواقع بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال وساقط كله في الملكية .

من اللبس ، ما تعاضد الظن بالحدس ، وتعاقب اليوم مع الأمس . وبعد ، فإن الصنائع إن تشرفت بغاياتها ، وتميزت عند التعامل براياتها ، فعلوم الأديان والأبدان ، صادقة في الفضل بآياتها ، متوصلة إلى الذنوس الناطقة بإفادة كماخا ، وحفظ حياتها ، ولذلك ما صرفت إليهما الأنظار والأفكار أعنة عناياتها . وربما كانت علوم الأبدان ، لسواها أصولا ، ولم يرجُ الراجى لعلم الأديان ، قبل علم الأبدان ، حصولا . فإن مقاصد الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، إنما تنال الصحيح السوى ، والمطبق القوى . وهذه الحالة جسّية في الغالب عن سياسة الجسم ، بحفظ الصحة ، وإزالة السقم . فوضح فضل صناعة الطب وتبيين ، وتقرر غناؤها وتبيين . ولما كان غرضها المهم ، وغايتها التي بالفصل إليها تتم ، حفظ الصحة إذا حصلت ، وردها إلى معتادها كلما انتقلت وارتحلت ، وكانت النفس لا تقدر قدر الحاصل المصاحب ، ولا تسير من إيجاب حقه على السنن اللاجب ، شأنها في الصحة والشباب ، والتمتع بالأحباب ، والغنى والأمان ، ومساعدة الزمان ، حتى إذا ذهب ، واسترجع الله منه ما وهب ، قدر حنين قدره ، وأعظم أمره ، وكثر عليه الأسف واللهف ، وأمل العود ، ورمى الخلف ، على هذا تبع السلف الخلف ، إلا من بان لديه بالحكمة الكلف . كانت العناية باسترجاع نعمة الصحة أشد والكلام فيها أمد ، والتدوين قد جاوز الحد ، فكثرت كنانيش العالم ودواوينه ، وتعددت أغراضه وأفانيته ، وألنى القول في حفظ الصحة المستقرة وصون حماها من طرق الغرة ، تافها من كثير ، ولفظة من نشير ، ولو حكم الإنصاف لكان حفظ الصحة أولى بالعناية ، وأحق بالإفصاح والكناية ، إذ لو حفظ منها العرض ، لقل أن يروع سرورها المرض ، فظهر لي أن نعتني بما أغفل وأهمل ، واعتبر وتؤمل ، وأن أفصل وأجمل ، وأتمم وأكمل ، وأدون فيه كتاباً ، يعظم في الخلق نفعه وجدواه ، ويحق الافتقار لما سواه ، وأرجو به إحسان الله ، ولكل امرئ ما نواه ^(١) .

وكتبت عن السلطان أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بن نصر
رحمه الله إلى التربة المقدسة تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهي من أوليات ما صدر عني في هذه ^(١) .

إذا فاتني ظل الحمى ونعيمه	كفاني وحسبي أن يهب نسيمه
ويقنني أني به متكئ	فزمزمه دمعي وجسمي حطيمه
يعود فؤادي ذكر من سكن الفضا	فيقعه فوق القضا ويقيمه
ولم أريوما ^(٢) كالنسيم إذا سرى	شفي سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفساً مشوقة	يدير عليها كاسه ويديمه ^(٣)
وما شقني بالغور قد مرّتم	ولا شاقني من وحش وجدة ريمه
ولا سهرت عيني لبرق ثنية	من الثغر يبلو موهناً فأشيمه
براني شوق للنبي محمد	يسوم فؤادي بحدّه ^(٤) ما يسومه

= هذا وقد وردت التحييدات وما يليها في المخطوط رقم D788 بخزانة الرباط الملكية كالآتي :

« بستان الدول - تلخيص الذهب - جيش التوشيح - اللحة البدرية - رقم الخلل في نظم الدول - السحر
والشعر - عمل من طب لمن حب - التاج الحلي في مساجلة القدح الممل - الإكليل الزاهر - الإحاطة في تاريخ
غرناطة - روضة التعريف بالحلب الشريف - ما كتبه عن السلطان إلى التربة المقدسة ، وأولها القصيدة » إذا
فاتني . . . » - التربة المقدسة مرة أخرى دعاء بأقصى المغربين غريب - إلى الأمير بالمدينة المشرقة - الفتوحات
الواقعة - المراجعات التالية - مراجعة الخلافة التونسية - مدينة جيان - الصدقات والبيعات (ص 58) ... إلخ .

وقد وردت في المخطوط رقم ج 10 - [I] من المكتبة السابقة على النحو السابق .

ووردت في المخطوط رقم 331 ك كما يأتي :

بستان الدول - تلخيص الذهب - جيش التوشيح - اللحة البدرية - رقم الخلل في نظم الدول - السحر
والشعر - عمل من طب لمن حب - التاج الحلي في مساجلة القدح الممل - الإكليل الزاهر - الإحاطة - روضة
التعريف - ما كتب عن السلطان إلى التربة المقدسة - التربة المقدسة مرة أخرى (دعائك بأقصى المغربين) - إلى
الأمير بمكة المشرقة - الفتوحات الواقعة .

(١) ورد عنوان هذا الفصل في الملكية كالآتي : (ومن ذلك ما صدر عني مما كتبت به عن السلطان
إلى التربة المقدسة حيث قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (شيئاً) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال ، وفي الملكية (ندير ونديمه) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (في برحه) .

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ
 مشوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ
 إِذَا مَا حَدِيثُكَ عَنْكَ حَاضَتْ بِهِ الصَّبَا
 أَيَجْهَرُ بِالنَّجْوَى وَأَنْتَ سَمِيعُهَا
 وَتَعُوْزُهُ السَّقِيَا وَأَنْتَ غِيَاثُهُ
 بِنُورِكَ نُوْرُ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْهُدَى
 وَمَنْ فَوْقَ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ اقْتَدَى
 لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضَى الَّذِي جَلَّ ذِكْرُهُ
 يَجْلُ مَدَى عَلَيْكَ عَنْ مَدْحٍ مَادِحٍ
 وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ وَرَاثَةٌ
 وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةٌ
 وَكَانَ بُوْدَى أَنْ أَزُورَ مَبُوءًا
 وَقَدْ يَجْهَدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ اعْتِرَاضِهِ
 وَعُذْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزْمِي ظَاهِرٌ
 عَدْتَنِي بِمَا قَصَى الْغَرْبُ عَنْ تَرْبِكَ الْعَدَا
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً
 فَلَوْلَا اعْتِنَاءُ مِنْكَ يَا مَلِجَا الْوَرَى
 فَلَا تَقْطَعُ الْجَبَلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتَهُ
 وَأَنْتَ [لَنَا] ^(١) الْغَيْثُ الَّذِي نَسْتَدْرُهُ
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعْذَرُ مَطْمَعِي

عَلَى الْبَعْدِ ^(١) مَحْفُوظُ الْوُدَادِ سَلِيْمُهُ
 تَهَمُّ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ هَمُّومُهُ
 شَجَاهُ مِنَ الشُّوقِ الْحَدِيثُ قَدِيمُهُ
 وَيُشْرَحُ مَا يَخْفَى وَأَنْتَ عَلَيْهِ
 وَتَتَلَفَسُ الْبَلَوَى وَأَنْتَ رَحِيمُهُ
 فَأَقْمَارُهُ وَضَّاحَةٌ وَنُجُومُهُ ^(٢)
 خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَأَ لَهَا ^(٣) وَكَلِيمُهُ
 وَمَجْدُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ^(٤) عَظِيمُهُ
 فَهُوَ سِرٌّ دَرَّ الْقَوْلُ فِيكَ عَدِيمُهُ
 وَمَجْدُكَ لَا يَنْسَى الدِّمَامُ كَرِيمُهُ
 هِيَ الْفَخْرُ لَا يَخْشَى انْتِقَالًا مَقِيمُهُ
 بِكَ افْتَخَرْتَ أَطْلَالُهُ وَرُسُومُهُ
 وَيَعُوْزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرْوَمُهُ
 إِذَا ضَبَاقَ عُذْرُ الْعَزْمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ
 جَلَالَتُهُ الثَّغَرُ الْغَرِيبُ وَرُومُهُ
 هِيَ الْبَحْرُ يَعْجِي أَمْرُهَا مِنْ يَرُومُهُ
 لَرِيْعَ حِمَاهِ وَاسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ
 فَمَجْدُكَ مَوْفُورُ النُّوَالِ عَدِيمُهُ
 وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي نَسْتَدِيمُهُ
 وَأَقْلَقْنِي شَوْقٌ يَشْبُ جَحِيمُهُ

- (١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (النَّائِي) .
 (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَوَرَدَتْ فِي الْمَلِكِيَّةِ كَالآلِ فِي (فَأَنَوَارُهُ مُلْتَقَةً وَغَيُومُهُ)
 (٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (كِهِ) وَالتَّصْوِيبُ فِي الْمَلِكِيَّةِ .
 (٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْعَظِيمِ) .
 (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ .

بعثت بها جَهد المُقلِّ معولاً على مجدك الأعلى الذى جلّ خيمه
وكلت بها همى وصدق قريحى فساعد فى هاء الروى وميمه
فلا تنسى يا خير من وطئ الثرى فمثلك لا يُنسى لديه خديمه
عليك صلاة الله ما درّ شارق وما راق من وجه الصباح وسيمه

إلى رسول الحق ، إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة ، الصادق البرق ، والحازم
فى ميدان اصطفاء الرحمن ، قَصَب السَّبْق ، خاتم الأنبياء ، وإمام ملائكة السماء ،
ومن وجبت له النبوة ، وآدم بين الطين والماء ، شفيع أرباب الذنوب ، وطبيب
أدواء القلوب ، ووسيلة الخلق إلى عَلام الغيوب ، نبيّ الهدى ، الذى طهر قلبه ،
وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربّه ، وجرى فى النفوس مجرى الأنفاس حبّه ،
المشفع^(١) يوم العرض ، المحمود فى ملأ السموات والأرض ، صاحب اللواء المنشور ،
والمؤمن على سِرِّ الكتاب المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد
بكفاية الله وعصمته ، [الموفور حظه من عنايته وحرمته]^(٢) ، الظّل الخفّاق على
أُمته ، من لو حازت الشمس بعض كماله ، ما عدمت إشراقاً ، أو كانت للآباء
رحمة قلبه ، ذابت [نفوسهم]^(٣) إشفاقاً ، فأيتته الكون ومَعْنَاه ، وسر الوجود ،
الذى يبهر الوجود سنّاه ، وصفى حضرة القدس ، الذى لا ينام قلبه إذا نامت
عيناه . البشير الذى سبقته له البشرى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، ونزل
فيه سبحانه الذى أَسْرَى . الأنوار من عنصر نوره مستمدة ، والآثار [تخلق]^(٤)
آثاره مستجلة . من طوى بساط الوحي لفقده ، وسُدَّ باب [النبوة والرسالة]^(٥)
من بعده . وأوتى جوامع الكلم ، فوقفت^(٦) البلغاء حَسْرَى دون حدّه ، الذى انتقل

- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الشفيع) .
- (٢) هذه العبارة المحصورة بين الخاصرتين واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالألف (الرسالة والنبوة) .
- (٦) وردت فى الإسكوريال (فوقفت) والتصويب من الملكية .

في الغرر الكريمة نوره، وأضاعت لميلاده^(١) مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته، فجاء بتصديق الخبر ظهوره، [وأخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته]^(٢) المفرع الأمتع، يوم الفزع الأكبر، والسند المعتمد في أهوال المحشر، ذو المعجزات^(٣) التي أثبتتها المشاهدة والحس، وأقر بها الجن والإنس، من جماد يتكلم، وجذع لفراقه يتألم، وقمر له ينشق، وحجر^(٤) يشهد أن ما جاء به هو الحق، وشمس بلعاه عن مسيرها تحبس، وماء من أصابعه يتفجر^(٥)، وغمام باستسقياه يصب^(٦)، وركية بصق في أجاجها، فأصبح مأوها، وهو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب، المسمى بالحاسر العاقب، ذو المجد البعيد المراق والمراتب، أكرم من بُعث إليه، وسيلة المعترف المغترب، [ونجحت لديه قربة البعيد المغترب]^(٧) سيد الرسل، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي فاز بطاعته المحسنون، واستنقذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، صلى الله عليه وسلم، ما لَمع برق، وجمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس، من عتيق شفاعته، وعهد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المُستثنى بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة كلما تكلم، الذي يمثل طلوعه بين أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر، وجد فيه طيب خلاله، وإن سمع الأذان تُذكر صوت بلالِهِ، وإن ذكر القرآن، تردد جبريل بين معاهدده وجلاله، لاثم تُرِّبه، ومؤمل

-
- (١) وردت في الإسكوريال (نوره) والتصويب في الملكية .
 - (٢) هذه العبارة المحصورة بين الخاصرتين واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
 - (٣) هكذا وردت في الملكية، وفي الإسكوريال (المشاهد) والأولى أرجح .
 - (٤) هكذا وردت في الملكية، وفي الإسكوريال (وشجر) والأولى أرجح .
 - (٥) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي الملكية (بنجس) .
 - (٦) هنا وردت في الملكية عبارة مكررة (ومعناه وسر الوجود . . . وأثاره مسنجه) .
 - (٧) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

قربه ، ورهين طاعته وحبه ، المتوصل^(١) به إلى رضى الله وربّه ، يوسف بن إسماعيل ابن نصر ، كتبه إليك يا رسول الله ، والدمع ماح ، وخيل الوجد ذا جماح ، عن شوق يزدد ، كلما نقص الصبر ، وانكسار لا يُتاح له إلا بدنو مزارك الجبر ، وكيف لا يعي مشؤك الأمر ، وتوطى على كبده الحجر ، وقد مطلت الأيام بالقدوم على ترتبك المقدسة اللحد ، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد ، وانصرف الرفاق ، والعين بإثر ضريحك ما اكتحلت ، والركائب إليك ما ارتحلت ، والعزائم قالت وما فعلت ، والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح ، وظهور الآمال عن ركوب^(٢) العجز لم تبرح ، فيالها من معاهد ، فاز من حيّاها ، ومشاهد ما أعطر ريّاها . بلاد نيظت بها عليك التّمايم ، وأشرق بنورك منها النّجود^(٣) والتّهايم ، ونزل في حجراتها عليك الملك ، وانجلى بضيا فُرْقَانِكَ فيها الحَلَك . مدارس الآيات والسُّور ، ومطالع المعجزات [السافرة الغرر]^(٤) ، حيث قُضيت الفروض وحُتّت ، وافتتحت سور الوحي وخُتّت ، وأبدئت الملة الحنيفيّة وتُمتّت ، ونسخت الآيات وأحكمت . أمّا والذي بعثك بالحق هادياً ، وأطلعك للخلق نوراً بادياً^(٥) ، لا يطفى غلّي إلا شربك ، ولا يسكن لوعتي إلا قُربك ، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك ، وأصبح بعد أداء ، ما فرضت ، عن الله ضيف كرمك ، وعفّر البخد في معاهدك ، ومعاهد أُسرتك ، وتردّد ما بين دارى^(٦) بعثتك وهجرتك . وإنّ لما عاقتني عن زيارتك العوايق ، وإن كان شغلى عنك بك ، وصلّيتني^(٧) الأعدا فيك عن وصل سببي يسببك ، وأصبحت بين

(١) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (المتوصل) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وكور) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الوجود) والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، وفي الإسكوريال (السافرة والغرر) .

(٥) وردت في الإسكوريال مرة أخرى (هادياً) والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (دار) والأولى أرجح .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وعدتني) .

بحر تتلاطم أمواجه ، وعدو تتكاثف أفواجه ، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه ، في طائفة من المؤمنين ، بك وطمّوا على الصبر نفوسهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ، ورفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم ، واستعذبوا في مرضاة الله ومرضاتك نفوسهم ، يطرون من هيعة إلى أخرى ، وينفلقون ^(١) ، والمجاربون ^(٢) عن نحي ويسرى ، ويقارعون وهم الفئة القليلة ، جموعاً كجموع قيصر وكسرى ، لا يبلغون [من عدو هو الذر عند] ^(٣) انتشاره ، معشار معشاره ، قد باعوا من الله الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله هي العليا ، فياله من سرب مروع [وصريخ عنك ممنوع] ^(٤) ودعاء إليك وإلى الله مرفوع ، وصبية حُمر الحواصل ، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل ، والصليب قد تمطى بمد ذراعيه ، ورفعت الأطماع بضبعيه ، وقد حُجبت بالقتام السما ، وتلاطمت أمواج الحديد ، والبأس الشديد فالتقى الماء ولم يبق إلا الذما ، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ، ولا ساءت الظنون ، وما وعد به الشهدا تعتقده القلوب ، حتى تكاد تشاهده العيون ، إلى أن أتلقاك غداً إن شاء الله ، وقد أبلينا العذر ، وأرغمنا الكفر ، وأعلمنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر . استنبت رُقعتي هذه إليك لتطير بجناح خافق ، [وتشعر نيتي] ^(٥) التي تصحبها برفيق مرافق ، فيؤدي عن عبدك ويبلغ ، ويعتمر الخد في تربك ويُمَرِّغ ، ويطيب برّياً معاهدك الطاهرة وبيوتك ، ويقف وقوف الخشوع والخضوع تجاه تابوتك ، ويقول بلسان التملق ، عند التشبث بأسبابك ، والتعلق منكسرة الطرف ، حذراً بمرجها من عدم الصرف ، يا غياث الأمة وغمام الرحمة ، ارحم غُربتي وانقطاعي ، واتعمد بطولك ، قصّر باعي ، وقو على هيئتك خور طباعي . فكم جُزّت من لُجّ مهول ، وجُبت من حُزُون وسهول ، وقابل بالقبول نيابتي ،

- (١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ويلفنتون) .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (المخاوف) والأولى أرجح .
 (٣) وردت في الإسكوريال (من عدد وهم الذر من) ، والتصويب من الملكية .
 (٤) هذه العبارة وأردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتسعد من نيتي) .

وعجّل بالرضا إجابتي ، ومعلوم من كمال تلك الشّيم ، وسخاء^(١) تلك الدّيم ، أن لا يخيب قصد من حطّ بفنائها ، ولا يظمأ وارداً أكبّ على ما بها . اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى ، وآخرهم بالصّورة ، وأعطيته لواء الحمد ، يسير آدم فمن دونه ، تحت ظلاله المنشورة ، وسلّكت أمته ، ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتني من أمته المجلولة على حبه ، المؤملة لقربه [المفطورة ، وشوقتي إلى معاهده المبرورة ومشاهده المزورة]^(٢) ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلبي بالحنين إليه ، ورغبتني في التماس ما لديه ، فلا تقطع عنه أسبابي ولا تحرمني ، في حبه أجر ثوابي ، وتداركني بشفاعته ، يوم أخذ كتابي . هذه يا رسول الله وسيلة من بعُدت داره ، وشطّ مزاره ، ولم يُجعل بيده اختياره . فإن لم تكن [هذه]^(٣) للقبول أهلاً ، فأنت للإغضاء [والسّمع]^(٤) أهل ، وإن كانت ألفاظها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل ، وإذا كان الحبُّ يتوارث كما أخبرت ، والعروق تدسّ ، حسباً إليه أشرت ، فلي بانتسابي إلى سعد عميد أنصارك [مزيّة]^(٥) ووسيلة أثيرة حفيّة ، فإن لم يكن لي عمل أرّضيه فلي نيّة ، فلا تنسني ، ومن بهذه الجزيرة [التي افتتحت]^(٥) بسيف كلمتك ، على أيدي خير أُمّتك ، فإنما نحن وديعة تحت بعض أقفالك ، نعوذ بوجه ربّك من إغفالك ، ونستنشق من ريح عذايك نفّحة ، ونرتقب من محبّا قبولك لَسحة ، ندافع بها عدواً طغى وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما انتفى . فمواقف التّمحيص قد أعيت من كُتب وأرّخ ، والبحر قد أصمّت [بنواعث لجّجه] من استصرخ ، والطاغية في العدوان

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (وسجيا) ، والأولى أرجح .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (عني) .

(٤) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (المفتحة) .

مستبصر ، والعدو محطّق [والمولى مُنصر] ^(١) . وبجاهك نستدفع مالا نطيق ،
وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفنيق [فلا تفردنا ولا تهملنا وناد ربك فينا ربنا
لا تحملنا ، وطوايف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم] ^(٢) وربك يقول
وقوله الحق : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . والصلاة والسلام عليك
يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ، وصلى على جميع أحزابك وآلك
بما يليق ^(٣) بجلالك ، ويحق لكالك ، وعلى ضجيعيك وصديقك وحبيبك
ورفيقيك ، خليفتك في ملّتك ، وفاروقك المستخلف بعده على ملّتك ، وصهرك
ذو النورين ، المخصوص ببرك وتجلّتك ، وابن عمك سيفك المسلول على [حلتك] ^(٤)
بدر سمايك ، ووالد أهلتك ، [والسلام الكريم عليك وعليهم كثيراً] ^(٥) ورحمة الله
تعالى وبركاته . وكتب بجزيرة ^(٦) الأندلس ، غرناطة ، صانها الله ووقاها ، ودفع
عنها ببركتك كيد عداها .

وكتبت لهذا العهد عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله إلى ضريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وضمنت ذلك ما فتح الله به عليه وساقه من
الفتوحات السنيّات إليه ، وفي أوائل عام أحد وستين وسبع مائة ^(٧)

دعاك بأقصى الغربيين غريب وأنت على بعد المزار قريب
مدل بأسباب الرجا وطرفه غضيض على حكم [المحيا وهيب] ^(٨)
يكلف قُرض البدر حمل تحية إذا ما هوى والشمس حين تغيب

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (والولى مقصر) ، والأولى أرجح .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (صلاة) .
(٤) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
(٥) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (بحفرة جزيرة) .
(٧) ورد هذا الفصل في الملكية تحت العنوان الآتي (ومن ذلك ما كتب به إلى الترتبان المولوية النبوية)
(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الحياء مريب) .

لنرجع من تلك المعالم غلوةً
ونستودع الريح الشمال شاملاً^(١)
ويطلب في جيب الجنوب جوابها
ويستفهم الكف الخضيب^(٢) ودمعته
ويتبع آثار المطى مشياً
إذا أثر الأحباب^(٣) لاحت محاربا
ويلقى ركاب الحج وهى قوافل
فلا قول إلا أنه وتوجع
غليل ولكن من قبولك منهل
ألا ليت شعري والأمانى ضلّة^(٤)
أينجد نجد بعد شط^(٥) مزاره
وتقضى ديونى بعد ما مطل المدا
وهل [اقتضى دهرى]^(٦) فيسمح طالعا
ويا ليت شعري هل لحومى مورد
ولكنك المولى الجواد وجاره
وكيف يضيق الذرع يوماً بقاصد
وما حاجنى إلا تالّقت بارق
ذكرت به ركب الحجاز وجيرة
فبت وجفنى من لآلى دمعته

وقد ذاع من ورّد التحية طيب
من الحب لم يعلم بهن رقيب
إذا ما أطلت والصباح مُنيب
غراماً بحناء النجيع خضيب
وقد زمزم الحادى وحنّ نجيب
يخذ عليها راکماً وينيب
طلاح وقد لبّاء للنداء لبیب
ولا حول إلا زفرة ونحیب
عليل ولاكن من رضاك طيب
وقد تخطى الآمال ثم تُصيب
ويكتب بعد البعد منه كتيب
وينفذ بيعى والمبيع معيب^(٧)
وأدعو بحظى مسمعاً فيجيب
لديك وهل لى فى رضاك نصيب
على أى حال كان ليس يخيب
وذاك الجناب المُستجار رحيب
يلوح بفؤد الليل منه مشيب
أهاب بها نحو الحبيب مُهيب
غنى وصبرى^(٨) للشجون سليل

(١) فى الملكية (الخضية) . (٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأخفاف) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (ظلة) والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شط) .

(٥) هذا البيت وأرد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال (٦) وردت فى الإسكوريال . (يتقضى

دينى) والتصويب من الملكية تمثيلاً مع نص البيت السابق .

(٧) وردت فى الإسكوريال (وسيرى) والتصويب من الملكية .

تريحنى الذكرى ويهفو بنى الجوى
وأحضر تعليلاً لشوقى بالمنى
منأى لو أعطيت الأمانى زورة
فقول حبيب إذ يقول تشوقاً
تعجبت من سبى وقد جاوز^(١) الفضا
وأعجبت أن لا يورق الرمح فى يدى
فيا سرح ذلك الحى^(٢) لو أخلف الحيا
ويا هاجر الجوى^(٣) الحليب تلبنا
ويا قادح الزند الشجاع ترفقاً
أيا خاتم الرسل المكين مكانه
فؤادى على جمر البعاد فيك مقلّب
فوالله ما يزداد إلا تلهفاً
فليلته ليل السليم ويومسه
هدأى هوى فيك اهتديت بنوره
وحسبى علأ أنى لصحبك منم
عدت عن مغانيك المشوقة للعسا
حراس على إطفاء نور قدحته
فكم من شهيد فى رضاك مجدل

كما مال غصن فى الرياض رطيب
ويطرق وجد غالب فأغيب
يُبتُّ غرام عندها ووجيب
عسى وطن يدنو إلى حبيب
وقلبى فلم يسكبه^(٤) منه ملذّب
ومن فوقه غيث الشوق سكيب
لأغناك من صوب الدموع صبيب
فعهدى رطب الجانبين خصيب
عليك فشوق الخارجى شيب
حديث الغريب الدار فيك غريب
يماح عليه للدموع قلّيب
لأبصرت ماءً ثار عنه طيب
إذا شدّ للشوق العصاب عصيب
ومُنْتَسَى للصحب منك نسيب^(٥)
وللخزرجيين الكرام نسيب^(٦)
عقارب لا يخفى لهنّ ديب
فمستلب من [دونها ونسيب]^(٧)
يظللّه نسر ويندب ديب

(١) وردت فى الإسكوريال (سابق) والنصوب من الملكية .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يسكه) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الوحى) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحد) .

(٥) هذا البيت وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دونه وسليب) .

تمرّ الرياح الغفل فوق كلومهم
بنصرك عنك الشغل من غير منة
فإن صبح منك الحظ طاعت المنا
ولولاك لم تُعجم من الروم عودها
وقد كانت الأحوال لولا مراغب
فما شيت من نصر عزيز وأنعم
منابر عزٍّ أذن الفتح فوقها
تقود إلى هيجائها كل صاهل
ونجتاب^(١) من سود اليقين مدارعاً
إذا اضطرت الخطى حول غديرها
فعذراً وإغضاءً ولا تنس صارخاً
وجاهك بعد الله نرجو وإنه
عليك سلام الله ما طيب القضا
وما اهتزَّ قد^(٢) للغصون مُرنج

فتعَبَّ من أنفاسها وتطيب
وهل يتساوى مشهد ومنيب
ويبعد مرمى السهم وهو مصيب
فعود الصليب الأعجمي صليب
ضمنت ووعد بالظنون^(٣) تريب
أذاب جهنَّ المؤمنين مُثيب
وأفصح للعضب الطير خطيب
كما ريع مكحول اللهاظ ربيب
يكيّفها من يجتنى ويثيب
يروقك منها لجة وقضيب
بعزك يرجو أن يجيب مجيب
لحظ حلّ بالوفاء رغب
عليك مطيل بالثناء مطيب
وما افترّ ثغر للبروق شبيب

إلى حجة الله ، المؤيد ببرايمين أنواره ، وفائدة الكون ونكتة أدواره وصفوة
نوع البشر ومنتهى أطواره ، إلى المُجْتَبَى ، وموجود الوجود ، لم يُغن بمطلق
الجود عديمه ، والمصطفى من ذرية آدم ، قبل أن يكسو العظام أديمه ، المختوم في
القدم ، وظلمات العدم ، عند صدق القدم [تقديمه وتفضيله]^(٤) ، إلى وديعة
النور ، المنتقل في الجباه الكريمة والغرر ، [ودرة الأنبياء التي لها الفضل على

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بالظهور) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية محرفة (تنجيب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (قطر) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (تفضيله وتقديمه) .

الدُّرر^(١) ، وغمام الرحمة الهامية الدرر ، إلى مختار الله المخصوص باجتنابيه ،
وحبيبه الذى له المزية على أحبّايه ، من ذرية أنبياء الله آبايه . إلى الذى شرح
صدره وغسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد ، وأرسله ، وأتمّ عليه إنعامه ،
الذى أجزله ، وأنزل عليه من [النور والهدى] ^(٢) ما أنزله . إلى بشرى المسيح
والذبيح ، ومُلهم التجر الربيع ، المنصور بالرعب والريح ، المخصوص بالنسب
الصريح . إلى الذى جعله فى المَحول غماماً ، وللأنبياء إماماً ، وشق صدره لتلقى
روح أمره غلاماً ، وأعلم به فى التوراة والإنجيل إلاماً ، وعلم المؤمنين صلاة
عليه وسلاماً . إلى الشفيح الذى لا تُرد فى العصاة شفاعته ، والوجيه ^(٣) الذى
قرنت بطاعة الله طاعته ، والرؤوف الرحيم ، الذى خلصت إلى الله فى أهل الجرائم
ضراعتة ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى أرى على الألف
عُدّها . فمن قمر يُشق ، وجذع يحن له وحق ، وبنان يتفجر بالماء ، فيقوم برى
الظماء ، [وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره ، وغمام] ^(٤) يظل به مقامه ومستقره ^(٥)
خطيب المقام المحمود ، إذا كان العَرَض ، وأول من تُشق عنه الأرض [ووسيلة
الله التى ما أقرض القرض] ^(٦) ولا عرف النفل والقرض ، محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذى الجلال ، الشاهدة
بصدقه صحف الأنبياء وكتب الإرسال ، وآياته التى أثلجت ^(٧) القلوب ببرد
اليقين السلسال ، صلى الله عليه ، ما درّ شارق ، وأومض بارق ، وفرق بين اليوم
الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تتأرجح عن شذا الدهر ، وتنبّج عن سنا

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (من الهدى والنور) .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين ، وقد تكون (الوحيد) .

(٤) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومسيره) .

(٦) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (انبلجت) والأولى أرجح .

الكواكب الزُّهر ، وتتردّد بين السّرّ والجهر ، وتستغرق ساعات النهار^(١) ، وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدّهر ، من عبْد هداه ، ومُستقرى مواقع نداه ، ومزاحم أنصاره في منتداه ، ويعض سهامه المفوكة إلى [نحور]^(٢) عداه ، مُؤمل العنق من النار بشفاعته ، ومُحرز طاعة الجبّار بطاعته ، الآمن باتصال رعيه ، من إهمال الله وإضاعته ، مُتخذ الصلاة عليه وسایل نجاه ، وذخاير في الشّدايد أي مُرتجاة ، ومتاجر بضايعها غير مزجاة ، الذي ملأ بحبّه جوانح صدره ، وجعل فكره هالة لبدره ، وأوجب قدره^(٣) ، على قدر العبْد لا على قدره ، محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي ، نسيبُ سعد بن عبادة من أصحابه ، وبوارقِ سحابه ، وسيوف نُصرتِه ، وأقطاب دار هجرته ، ظلّله الله يوم الفزع الأكبر ، من رضاك عنه ، بِظلال الأمان ، كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله من أهل السّياحة في فضاء حُبّك والهيّمان . كتبه إليك يا رسول الله ، واليراع يقتضى مقام الهيبة ، صُفرة لونه ، والمداد يكاد أن يُحول سواد جَوْنِه ، وورقةُ الكتاب^(٤) ، يخفق فؤادها حرصاً على حفظ اسمك الكريم وصوّنه ، والدمع يقطر ، فتُنقّط به الحروف ، وتُفصّل الأسطر ، وتوهم المثول بمثواك المقدس ، لا يمرّ بالخاطر سواه ولا يخطر ، عن قلبٍ بالبعد عنك قريح ، وجفنّ بالبكاء جريح ، كلما هبّ من أرضك نسيمُ ريح ، وانكسارٍ ليس له إلّا جبرك ، واغتراب لا يُونس فيه إلّا قُربك ، وإن لم يُقض فقبْرُك . وكيف لا يُسلم في مثلها الأسى ، ويوحش الصّباحُ المسا ، ويرجف جبل الصّبر بعد ما ربّى ، لو لا ولعلّ وما وعسى . فقد سارت الركاب إليك ، ولم يُقض مسير ، وحومت الأسراب عليك ، والجناح كسير ، ووعدت الأملاك فأخلفت ، وخلفت العزائم ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (اليوم) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (حقه) .

(٤) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (الفؤاد) والأولى أرجح .

فلم تَفِ بما حَلَفْتَ ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأمثل ،
إلا على التَّمثِيل ، ولا من العالم المُلْتَمِسة التَّنْوِير ، إِلَّا على التَّصْوِير ، مَهْبِط
وحى الله ، ومنتزَلُ أسمايه ، ومتردّد ملايكة سمايه ، ومُرافق أوليائه ، وملاحِد
خَيْرَةٍ [أصحاب] ^(١) أنبيائه ، رزقنى الله الرضى بقضايه ، والصبر على جاحم
البعد ورمة قضايه .

من حَمراء غرناطة [حرسها الله] ^(٢) دار ملك الإسلام بالأندلس ، قاصيه
سُبُلِكَ ، ومسلحة ^(٣) رَجْلِكَ ، يا رسول الله وَخَيْلِكَ ، وَأُنثَى مطارح دعوتك ،
ومساحب ذَيْلِكَ ، حيث مصاف الجهاد ، فى سبيل الله وسبيلك ، قد ظللها القتام ،
وشهبان الأسنة أطلعت منه الإعْتام ، وأسواق بيع النفوس من الله ، قد تعدّد لها
الأيامى والأيتام ، حيث الجراح قد تحلّت بعسجد نجيعها النُحور ، والشهداء
تحف بها الحُور ، والأُمم الغريبة ، قد قَطَعَتْها عن المَدَدِ البحور ، حيث المباسم
المُفْتَرّة ، تجلوها المصارع البرّة ، فتجيبها بالعدا ثغور الأزاهر ، وتُنْدُبُها
صَوادح الأدّواح ، برنات تلك المزامر ^(٤) ، [وتحلى السحاب أشلاؤها المعطلة
من ظلّها بالجواهر] ^(٥) حيث الإسلام من عدوّه المكاييد بمنزلة قطرة من عارض
غمام ، وحصاة من تشير أو سَام ، وقد سدت الطريق ، وأُسْلِمَ للفراق الغريق ،
وأغصّ الريق ، ويئس من الساحل الغريق . إِلَّا أن الإسلام بهذه الجهة المستمسكة
بجبل الله وحَبْلِكَ ، المهتدية بأدلة سُبُلِكَ ، سَالِمٌ والحمد لله من الانصداع ،
محروّس بفضل الله من الابتداع ، مقدود من جديد الملة ، معدوم فيه وجود
الطوائف المضلّة ، إِلَّا ما يخص الكفر من هذه العلة ، والاستظهار على جَمْع

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومسحة) والأولى أرجح .

(٤) وردت فى الإسكوريال (المزاهر) مرة أخرى والتصويب من الملكية .

(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

الكثرة من جُموعه بجمع القِلَّة^(١) . ولله الأيَّام يا رسول الله أقام الله أودَه بَرًّا
بوجهك الوجهيه، ورعيًّا، وإنجازاً [بوعدك وسعيًّا]^(٢)، وهو الذى لا يخلف وعداً،
ولا يخيب سعيًّا، وفتح لنا فتوحات، أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب،
وبشّرتنا منه تعالى بتعمد التقصير ورفيع التَّشْرِيب، ونصّرنا وله المنَّة، على
عَبْدَةِ الصَّليب، وجعل لألفنا الرديني^(٣)، ولأما السردى حُكْم التَّغْلِب. وإذا
كانت المولى التي طرقت الأعناق منها، وقررت العوايد الحسنة سيرها وسُنَّها.
تبادر إليها نواها^(٤) الصُّرْمَا، وخدامها النُّصْحَا، بالبشائر والمسرات، التي تشاع
في العشائر، وتجلو لديها^(٥) نتایج أیدیها، وغايات مباديها، وتتاحفها ونهاديها
بمجاى جنَّاتها، وأزاهر غَوادِيها، وتُطرف محاضرها بطرف بواديها، فبابك
يا رسول الله أوَّلَى بذلك وأحق، ولك الحق الحق، والحرُّ منا عبدك المُسْتَرْقَّ.
حسبما سجّله الرُّق، وفي رضاك من كل من يلتمس رضاه المُطْمَع، ومثواك
المجمع. وملوك الإسلام في الحقيقة عبيد سيرتك^(٦) المؤمَّلة، وخَوَلْ مثابتك
المُحَسَّنة بالחסنات المحمَّلة^(٧)، وشهبٌ تَعَثَّى إلى بدورك المكَّملة، ومحض سيوفك
المقلدة في سبيل الله المحمَّلة، وخرسَة مهادك، وسلاح جهادك وبُروق عهادك.
وإن مكفُول احترامك الذى لا يُخفر، وربِّي إنعامك الذى لا يكفر، وملتحف
جهادك الذى بمجاذيته بشفاعتك إن شاء الله ويغفر، يطالع روضة الجنة، المفتحة
أبوابها بمثواك، ويفتاح رضوان القُدس الذى أَحَبَّكَ وحواك، وينشر بضايح
الصلاة عليك بين يدي الضريح الذى طواك، ويعرض جنِّي^(٨) ما غَرَسْتَ

(١) وردت في الإسكوريال (ولهذا) فاقتضى التصويب .

(٢) وردت مكانها في الملكية كلمة (لوعدك) فقط .

(٣) هكذا في المخطوطين .

(٤) وردت في الإسكوريال (نواها) والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال، وفي الملكية (إليها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مدتك) .

(٧) هكذا في الإسكوريال، وفي الملكية (المؤملة) .

(٨) وردت في الإسكوريال (متى) والتصويب من الملكية .

وَبَدَّرْتُ ، ومصدق ما بَشَّرْتُ بِهِ [لما بَشَّرْتُ] ^(١) وَأَنْذَرْتُ ، وما انتهى إليك
 طلق جهادك ، ومصعب عمادك ، انقَرَّ عَيْنِ نصحك الذي أَنَامَ اليُون السَّاهِرَة
 هَجْوَعَهَا ^(٢) ، وَأَشْعَى البطون ورواها ظمأها ، من ^(٣) الله وجوعها . وإن كانت
 الأمور بِمَرَأَى من عين عنايتك ، وغيبها ^(٤) مُتَعَرِّفٌ بين إفصاحها وكنائتك ،
 ومحملة يا رسول الله صلى الله عليك [وبلغ وسيلى إليك] ^(٥) ، وهو أن الله
 سبحانه ، لما عَرَفْنِي لطفه الخفى فى التمهيص المُقْتَضَى عدم المحيص ^(٦) ، ثم فى
 التخصيص المعنى بعيانه عن التَّنْصِيس ، ووافق ببركاتك السارية رحماها فى
 القلوب ، ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب ، إلى استفادة عظة واعتبار ،
 واغتنام إقبال بعد إظهار ، ومزيد استبصار ، واستعانة بالله واستنصار ^(٧) ، فسكن
 هبوب الكفر بعد إعصار ، وحُلَّ مُخَنَّق الإسلام بعد حصار . وجرت على سنن
 السُّنَّة بحسب الاستطاعة والمئة السيرة ، وجُبرت بجاهك القلوب الكسيرة ،
 ويُسِّرْتُ ^(٨) المآرب العسيرة ، ورُفِعَ بيد العزة الضيم ، وكُشِفَ بنور البصيرة
 الغيم ، وظهر القليل على الكثير ، وباء الكفر بخطة التعثير ، واستوى ^(٩) الدِّينُ
 الحنيف على المهاد الوثير . فاهتبلنا يا رسول الله غرة ^(١٠) العدو وانتهزناها ، وشمنا
 صوارم [عزة العدو] ^(١١) وهزَّزناها ، وأرحنا علل الجيوش وجَهَّزناها ، فكان

-
- (١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
 - (٢) وردت فى الإسكوريال (هجومها) والتصويب من الملكية .
 - (٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (فى) .
 - (٤) وردت فى الإسكوريال (وعينها) والتصويب من الملكية .
 - (٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
 - (٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التمهيص) مرة أخرى .
 - (٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (انتصار) .
 - (٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسهلت) .
 - (٩) وردت فى الإسكوريال (واستولى) والتصويب من الملكية .
 - (١٠) وردت فى الإسكوريال (بخوة) والتصويب من الملكية .
 - (١١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال وردت محرفة (عز الله) .

ما ساعد عليه القدر ، والحظُّ المبتدر ، والوردُ الذي حسن منه الصَّدْر ، أننا عاجلنا مدينة بُرْغَةَ^(١) ، وقد جَدَعَت الأختين ، مَالِقَةَ ورُنْدَةَ ، من مداين دينك ، وخزائن^(٢) مبادينك أكواس^(٣) الفراق ، وأذكرت مَثَل مَنْ بالعراق ، وسدّت طرق التَّزاور على الطُّرَّاق ، وأسالت المسيل بالنجيع المراق ، في مراصد^(٤) المراد والمذاق ، ومَنَعَت المراسلة مع هَذَى الحمام ، لا بل مع طيف المنام ، عند الإلهام^(٥) ، فيسر الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشُّفار ، في رؤوس الكفار أَلحامها ، وأزالت بشرُ السيوف من بين تلك الحروف أَقحامها ، فانطلق المسرى ، واستبَشَرَت القواعد الحسرى ، وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصَّرعى [ومثاقب الأسرى]^(٦) ، والحمد لله على فتحه الأسنى ومنحه الأسرى ، ولا إلهَ إِلَّا الله ، هو منفل قيصر وكِسرى ، وفاتح مغلقاتها المنيعه قَسراً . واستولى الإسلام منها على قرار جنات ، وأمُّ بنات ، وقاعدت حصون ، وشجرة غصون ، طهرت مساجدها المغتصبة المكرمة ، وفجع فيها الفيل إِلَّا فيل أبرّهة ، وانطلقت بذكر الله الألسنة المذرّهة ، وفاز بسبق ميدانها جياده^(٧) الفرّهة . هذا وطاغية الروم ، على توفر جموعه ، وهول مرثيه ومسموعه ، قريب جواره ، بحيث يتصل خواره [وقد عرك إليها الحين حوار]^(٨) ثم نازل المسلمون ، بعدها شجا الإسلام الذى أعيا النطاسى علاجه ، وكبر هذا القطر الذى لا يطاول أعلامه ، ولا يصاول أعلاجه ، وركاب الغارات

(١) برغة وبالإسبانية Burgo ، هى بلدة حصينة قديمة تقع فى منطقة رندة .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مواين) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أوكس) .

(٤) وردت فى الملكية وأغفلت فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الإلام) والأولى أرجح .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) وردت فى الإسكوريال (الحفيد) والتصويب من الملكية .

(٨) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

التي تطوى المراحل ، إلى مكايذة المسلمين طي البرود ، وجُحِرَ الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول ، جلود الزرود ، ومنغص الورود ، في العذب البرود ، ومُقَصِّص المضاجع ، وحلم الهاجع ، ومجهز الخطب الفاجي الفساجع ومستدرك فاتكة^(١) الراجع قبل هبوب الطاير الساجع ، حِصْن أَشِرِّ حماء الله ، دعاء لا خبراً ، كما جعله للمتفكرين في قدرته مُعْتَبَراً ، فأحاطوا به إحاطة القلادة بالعيد ، وأدُلُّوا عزَّته بعزَّة ذى العرش المجيد ، وحفَّت به الرايات يَسِمُهَا^(٢) وَسْمُكَ ، [ويلوح في صفحاتها اسم الله واسمك]^(٣) ، فلا ترى إلَّا نفوساً تتزاحم على موارد الشهادات^(٤) أسرارها ، وليوثاً يصدق طعانها في الله وضربها ، وأرسل الله عليها رَجْزاً إسرائيلياً^(٥) من جَرَادِ السَّهَاد ، تشد آيته عن الأفهام ، وسدَّ إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد الإِسْتِغْلَاق والاستبْهَام ، وقد عبثت جوارح صخوره في قنابض الهام ، وأعيا صعبه على الجيش اللِّهَام ، فأخذ مُسَايِفَةُ النَقْض والنَّهْب ، ورغا فوق أحله الصقْب ، ونُصِبَتِ المعارج والمراق ، وفرغت المناكب والتراقي ، واغتتم الصادقون من الله الحِظَّ الباقي ، وقال الشهيد^(٦) المسابق يا فوز استَبَاقِي . ودخل البلد ، فألحم السَّيْف ، واستلَبَ البَهِت والزَيْف ، ثم استَخْلَصَتِ القُصْبَة ، فعلت أعلامك في أبراجها المُشَيِّدَة ، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة ، وشكر الله في قصدها نساعى النصايح الرشيدة ، وعمل ما يرضيك يارسول الله في سد قَلَمِهَا . وهون مستلمها ، ومداواة أَلَمِهَا ، حرصاً على الافتداء في مثلها بأعمالك والاهتداء^(٧) بمشكاة كمالك ، ورُتِبَ فيها الحِمْيَة ، تُشْجِي

(١) هكذا وردت في الملكية . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (يسومها) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الشهادة) .

(٥) هكذا في المخطوطين ، وقد تكون (إسرائيلياً) .

(٦) وردت في الإسكوريال (الشاهد) والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (والافتداء) مرة أخرى ، والأولى أرجح .

العدو ، وتواصل في [مرضاة الله و] ^(١) مرضاتك الرواح والغدو . ثم كان الغزو إلى مدينة أطريرة ^(٢) ، بنت حاضرة الكفر إشبيلية ، التي أظلتها بالجناح السائر . وأنامتها في ضمان الأمان للحسام البائر . وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البايسة ، فوتر الوافر ، وأحفظ منها بادي الوقاح المهاتر ، لما جرته ^(٣) على أسراره من عمل الخاتل الخاتر ، [حسب المنقول المقبول لا بل المتواتر] ^(٤) ، فطوى إليها المسلمون المدا النازح ، ولم يشك المطى الروادح ^(٥) ، وصدق الجدّ جدها المازح ، وخفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام ، وغشيتها أفواج الملائكة المسمومة ، وظلل الغمام ، وصابت من السهام ودق الرغام ، وكاد يكنى السماء على الأرض ارتجاج جوانحها ^(٦) بكلمة الإسلام ، وقد صمّ خاطب عروس الشهادة ، عن الملام ، وسمح بالعزير المصون ، فبايع الملك العلام ، وتكلم لسان الحديد الصامت ، وصمت إلّا بذكر الله لسان الكلام ، ووقت الأوتار بالأوتار ، ووصل بالخطا ذرع الأبيض البتار ، وسلطت النار على أربابها ، وأذن الله في تبار تلك الأمة وتبأبها ، ونزلوا على حكم السيف آلافاً ، بعد أن أتلّفوا بالسلاح إتلافاً ، واستدعيت المقاتلة كثافاً ، ونزلوا في الجول أكتافاً أكتافاً ، وحملت العقائل والخرايد والولدان والولائد ، إركاباً من فوق الظهور وإردافاً ، وأقلت منها أفلاك الحمول بدوراً تضي من ليالى المحاق أسدافاً ، وامتلأت الأيدي من المواهب والغنائم ، بما لا يَصَوِّرُه حلم النائم ، وتركت العوافي تتداعى إلى تلك الولائم ، وتفتت ^(٧) من مطامعها

(١) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) أطريرة وبالإسبانية Utrera هي بلدة صغيرة تقع في جنوب شرق إشبيلية وشرق نهر

الوادى الكبير .

(٣) وردت في الإسكوريال بعد هذه الكلمة عبارة (على حربه) ، وظاهر أنه لا محل لها في السياق .

(٤) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الروازح) .

(٦) وردت في الإسكوريال (أخواتها) والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتفتت) .

في الملايم ، وُسِّت الغارات على حمص ^(١) ، فجللت خارجها مغاراً ، وكست كبار الروم بها صغاراً ، وأحجرت أبطالها إحجاراً ، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحاراً ، ولم يكن إلا أن عدل القسم ، واستقل [بالقبول العزيز] ^(٢) ، الرسم ، ووضح من التوفيق الوشم . وكانت الحركة إلى قاعدة جيان ، قيمة الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، وكيناس القيد الخرد ، وكرسی الإمارة ، وبحر العمارة ، ومهوى هوى الغيث المhton ، وحزب التين والزيتون ، حيث خندق الجنة المعروف ^(٣) ، تدنو لأهل النار مجانيه ^(٤) ، وتشرق بشواطى الأنهار إشراق الأزهار وزهر مبانيه ، والقلعة التى تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم ، وهمت من دون سحابها البيض سحاب الغيث السجوم ، والعقيلة التى أبدى الإسلام يوم طلاقها ، وهجوم فراقها ، سمة الوجوم [لذلك الهجوم فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعة ، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعة وحيثها بالفادحة البارة] ^(٥) ، فغصت الرُّبا والوهاد بالتكبير والتهليل ، وتجاوبت الخيل بالصَّهيل ، وانهالت الجموع [المجاهدة فى الله] ، انهيال الكئيب المهيل ، وفهمت النفوس ^(٦) المجاهدة فى الله حق الجهاد ^(٧) ، معانى التيسير من ربها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأرابت المحللات المُسلمات على التَّأميل . ولما صبحتها النواصى المقبلة الغرر ، والأعلام المكتنبة الطُّرر ، برز حاميتها مُصْجِرِينَ ، وللحوزة المستباحة مستنصرين ^(٨) ، وكاثرهم من سرعان الأبطال رجل

(١) حصن أى مدينة إشبيلية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجالية) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٦) وردت مكانها فى الملكية (نفوس العباد) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جهاده) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (متنصرين) .

الدِّبَا ، وبنيت الوهاد والربا ، فَأَقْحَمُوهم من وراء السور ، وأسْرعت أَقلام الرماح في بسط عددهم المكسور ، وتُركت صرعاثم ولانئم للنسور . ثم اقتحموا رِبَضَ المدينة الأعظم ، ففرعوه ، وجدلوا من دافع عن أسواره وصَرَعوه ، وأكْوَاس الحتوف جَرَّعوه . ولم يتَّصل أولى الناس بأخراهم ، وكمل^(١) ، بمخيم النصر العزيز سراحم ، حتى خَذَلَ الكفَّارَ الصبرُ ، وأسلم الجلد ، ونزل على المؤمنين النصر^(٢) ، فدُخِلَ البلد ، وطاح في السيل (الجارف)^(٣) ، الوالد والولد ، والتهم المطرف والمتلد ، فكان هولاً بعيد الشَّاعة ، وبَعَثًا كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع والسجود ، والسلام عن مطاولة النُجود ، والأيدى عن ردم الخنادق والأغوار ، والأَكْبُش عن مناطق الأسوار ، والتَّفُوط عن إصعاق الكفار^(٤) وعمد الحديد ، ومعاوز الباس الشديد ، عن نقب الأبراج ، ونقض الأحجار ، فهيلت^(٥) الكتبان ، وأبيد الشيب والشبان ، وكسرت الصلبان ، وفجع بهذا الكنايس والرهبان ، وأهبطت النواقيس من مراقيها العالية ، وصروحها المتعالية وخلعت ألسنتها الكاذبة ، ونقل ما استطاعته الأيدى المتجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور ، وجلَّلَ الإسلام شعار الغزو والظهور ، بما خلت عن مثله سوائف الأعوام والشهور ، وأغرست الشهداء من النفوس المبيعة ، [من الله]^(٦) ، نحل الصدقات الصادقة والمهور . ومن بعد ذلك هدم السور ، ومحيت من مختطه المحكم السطور ، وكاد يسير ذلك الجبل ، الذي اقتعدته المدينة ، ويُدك ذلك الطُّور . ومن بعدها خرب الوجار ، وعقرت الأشجار ، وغُقر المنار ، وسلطت

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتخيموا) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الصبر) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الفتجار) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فهيلت) .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

على بنات التراب والماء النار. وارتحل عنها المسلمون ، وقد عمَّتْها^(١) المصايب
وأَصْنَمَى لَبْتَهَا السَّهْمُ الصَّايِبُ ، وظلَّلها^(٢) القشاعم العصايب ، فالذبابُ في الليل
البهيم تعمل ، والضباغ من الحَدَبِ البعيد تَنَسَّلُ ، وقد ضاقت الجدل عن المخائق
وبيع العَرَضُ الثمين بالدائق ، وسبكت إسورة الأسوار ، وسُويت الخضاب بالأغوار ،
واكتُسحت الأحواز القاصية سرايا الغوار . وحجبت بالدخان مطالع الأنوار ،
وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين ، وعِظَةٌ للناظرين ، وآية للمُسْتَبْصِرِينَ ، ونادى
لسان الحمية بالثارات الإسكندرية ، فأسمع أذان القيمين والمسافرين ، وأحق الله
الحق بكلماته ، وقطع دابر الكافرين . ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى ،
وَلَدَّتْهَا الحزينة عليها العُبرى^(٣) ، مدينة أبْدَة^(٤) ، دار^(٥) العمران المستبحر ،
والربض الحرى المحصر^(٦) ، والمباني الشم الأنوف ، وعقايل المصانع الجمجمة الحلى
والشُئوف ، والغاب الأنوف ، وبلد التجر ، والعسكر المجر ، وأفق الضلال الفاجر
الكذب على الله ، الكاذب الفجر ، فجَدَّلَ الله حاميته ، التي يعي الحسين عددها ،
وشجر بحورها التي لا يرام مدها ، وحقَّتْ عليها كلمة الإسلام^(٧) ، فلا يستطيع
رُدُّها ، فدُخِلت لأول وهلة ، واستوعب [جمعها]^(٨) ، والمنة لله ، في نَهْلة ، ولم
يك للسيف من عَضْبِ عليها ولا مُهْلة . فلما تناوَلها العفاء والتخريب ، واجتاحها^(٩)
الفتح القريب ، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن القميريب ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (نجمتها) .

(٢) وردت محرفة في الإسكوريال (وصلابة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الغبرى) والأولى أرجح .

(٤) أبْدَة وبالايبانية Ube da هي مدينة أندلسية قديمة تقع شرق قرطبة على مقربة من منابع نهر

الوادى الكبير .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (ذات) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المصخر) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الله) .

(٨) هذه الكلمة وارادة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٩) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (واستباحها) .

وأُقيدت أبراجُها من بعد القيام والانتصاب ، وأضرعت مسايغها حول المصاب ،
انصرف عنها المسلمون بالفتح ، الذي عظم صيته ، والعز الذي سما طرفه ،
واشرأب لبته ، والقصر ^(١) الذي حمد مسراه ومبيته ، والحمد لله ناظم الأمر ،
وقد رأب شتيته ، وجابر الكسر ، وقد أفات الجبر مفيته . ثم كان الغزو إلى أم
البلاد ، ومثوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما أدراك ما قرطبة . المدينة ، التي على
عمل أهلها في القديم ، بهذا الإقليم ، كان العمل ، والكرسى الذي بفضله أرمى
الهمل ، والمضر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمال ، والأفق الذي هو شمس
الخلافة العُشُمِيَّة الحمل ، فخيم الإسلام بعنوتها المستباحة ، وأجاز مهرها المعبي
على السياحة ، وعم دوحها الأشف بواراً ، وأدار المحلات بسورها سواراً ، وأخذ
بمخنفها حصاراً ، وأعمل النصر بشجر ^(٢) نصلها ، اجتناء ما شاء الله واحتصاراً ،
وجدل من أبطالها من لم يرض الحجار ، فأعمل إلى المسلمين إحصاراً ، حتى فرع
بعض جهاتها غلابا جهارا [ورفعت الأعلام إعلماً بعز الإسلام وإظهاراً] ^(٣) ،
فلولا استهلال الغواذى ، وإن أتى الوادى ، لأفضت إلى فتوح ^(٤) الفتوح تلك
المبادئ ، وأضى تفيئة العاكف والبادى ، فاقتضى الرأى ، ولذنب الزمن بفضل الله
في اغتصاب الكفر إياها متاب ، تعمل ببشراد اقتاد وأقتاب ، ولكل أجل كتاب ،
أن يراض صعبها ، حتى يعود ذلولا ، وتغفى معاهدها الآهلة ، فتترك طولولا ،
فإذا فجع الله بمارج النار طوايفها المارجة ، وأباد نجارجها الطائيرة والدَّارجة ،
خطب السيف منها أم خارجة . فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ، ومفارق الهضاب
بالهشم قد شابت ، والغلات المُستَغَلَّات ، قد دعا بها أهل ^(٥) الفضل فما ارتابت ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العزم) .
(٢) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (بلى) والأولى أرجح .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالملكية وساقط بالإسكوريال .
(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فتح) .
(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

وكأنَّ صفيحة نهرها ، لما أَضرمَت النار خفاني ظهرها ذابَّتْ ، وحيَّةُ فرَّتْ أمامَ الحريقِ وانْسَابَتْ ، وتخلّفت لغمايم الدخان عمايم ، تلويها برئوس الجبال ، أَيْدِي الرياح ، وتنشرها [بعد الركود] ^(١) ، أَيْدِي الاجْتِيَا ح . وأَغْرِينَا ^(٢) ، بِأَقْطَارِهَا الشَّاسِعَةِ ، وَجْهَاتِهَا الْوَاسِعَةِ ، جنود الجوع ، وتوغدت بالرجوع ^(٣) ، فسلبت أهلها لتوقع [الهجوم] ^(٤) ، منزور الهجوع ، فأعلامها خاشعة خاضعة ، وولدانها لثدى البؤس راضعة ، والله يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى ، وينشر رحمته قِبلنا نشرًا . ولهذا العهد ، يا رسول الله ، صلى الله عليك ، وبلغَ وسيلتي إليك ، بلغ [عز] ^(٥) ، هذا القطر المرتدى بجاهك ، الذى لا يذل من أدّرعهُ ، ولا يضلُّ من اهتدى بالسبيل الذى شرعه ، إلى أن لاطفنا ملك الرّوم ، بأربعة من البلاد ، كان الكفر قد اغتصبها ، ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها ، فانجاب عنها [بنورك] ^(٦) الحَلَكُ ، ودار بإداتها إلى دعوتك الفلّك ، وعاد إلى مكاتبها ^(٧) القرآن ، الذى نزل به على قلبك الملك ، فوجبت مطالعة مقرّك النبوى بأحوال هذه الأمة المكفولة فى حجرك ، المفضلة بإدارة تجرك ، المهتدية بأنوار فجرِكَ ، وهل هو إلا ثمرات سعيك ، ونتائج رَعِيكَ ، وبركة حبِّكَ ورضاك ، الكفيل برضا ربِّكَ ، وغمام رَعْدِكَ ، وإنجاز وَعْدِكَ ، وشعاعٌ من نور سعدك ، وبرٌّ رعى زعيه من بعدك ، ونصر رأيك ، وأثر حمايتك ورعايتك . واستنبت هذه الرسالة ، مانحة بحر الندى الممنوع ، ومفاتحته بإبداء الهدى بفتح الفتوح ، وقارعة المظاهر والصروح ، وباقية الرحل ، بتمنزل الملكية والروح ، لتمد إلى

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأغريت) .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، ووردت محرفة فى الملكية (مكاتبها) .

قلبك يد استمنّاح ، ويطير إليك من الشوق الحثيث بجناح ، ثم تقف موقف
الانكسار ، فإن كان تجرها آمناً من الخسار ، وتقدم بأنس ، ويحجم بوحشة
الغربة ، ويحبس لطول الغيبة ، وتقول ارحم بُعد داري ، وضعف اقتداري ،
وانتزاح أوطاني ، وعاق أعطاني ، وقلة زادي ، وفراغ مزادي ، ونقبل وسيلة
اعترافي وتغمد صفوة اقترافي ، وعجل بالرضا انصراف تحملي لا انصرافي ،
فكم جُبْتُ من بحر زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحاشي لله أن يخيب قاصدك ،
أو يتخطأى معاضدك ، أو تطردني مَوَايدك ، أو تضيق عني عوايدك. ثم تمدّ اليد
مُقْتَبِضة من يد رحمتك ، مسندعية دعاء مَنْ حضر من أمتك ، وأصحبتهَا
يا رسول الله ، عرضاً من النواقيس التي كانت هذه البلاد المفتحة ، تعين الإقامة
والأذان ، وتسمع الأسماع الضّالة والآذان ، مما قبل الحركة ، وسالم المعركة ، ومكن
من نقله الأيدي المشتركة ، واستحق بالقدوم عليك ، والإسلام بين يديك السابقة
في الأزل والبركة . وما سواه فكانت جبّالاً عجز عن نقلها الهندام . فنسخ وجودها
الإعدام . وهى يا رسول الله جنّى من جنانك ، ورُطِبٌ من أفناذك ، وأثر ظهر عليها
من مسحة حنانك ، هذه هى الحُلل والانتحال ، والعائق أن تشدّ الرحال ، ويعجل
الترحال إلى أن نلتاك فى عَرَصات القيامة شَفِيعاً ، ونحل بجاهك إن شاء الله محلاً
رفيعاً ، ونُقَدِّمُ فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك ، الناهلة غلهم
فى سِجِلِّكَ ، ونبتهل إلى الله ، أطلّعتك فى سماء الهداية سراجاً ، وأعلى لك فى السبع
الطبايق مِعْراجاً ، وأمّ الأنبياء منك بالنبي الخاتم ، وقفى على آثار نجومها المشرقة
بقمرك العاتم ، ألا يقطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك ، ولا يسدّ فى وجوها
أبوابك ، ويوفقها لاتِّباع هداك ويثبت أقدامها على جهاد عداك . وكيف نعدم
ترفيهاً ، أو نخشى بسخاً وأنّت موفيتها ، أو يعذبها الله وأنّت فيها . وصلاة الله
تحيط بفنايك رحال طيبها ، وتبذر فى ناديك شقائق خطيبها ، ما أذكر الصباح

الطلق هداك ، والغمام السكيب نداك ، وما حنّ مشتاق للثم ضريحك . وفليت
نسيات الأسحار عما أشرق ، من ضريحك ، وكتب في كذا^(١) .

(١) . إن هذه الرسالة الصادرة عن قلم ابن الخطيب والموجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلى ضريحه الشريف باسم السلطان محمد بن يوسف بن نصر (الفتي بالله) والتي قبلها الموجهة كذلك إلى الضريح النبوي باسم والده السلطان يوسف أبي الحجاج . إنما هي نماذج من رسائل عديدة ، كثر توجيهها في هذا العصر إلى الروضة الشريفة ، وإلى النبي العربي ، صادرة عن الملوك والأمراء والكبراء بأقلام أكابر الكتاب المعاصرين ، وهي دلالة على ما كان يشع من القلق المعنوي يومئذ في نفوس الملوك والقادة عن مصائر « الأمة الغريبة » (الأمة الأندلسية) ، المنقطعة فيما وراء البحر ، والتي يطعمها كثير من التشاؤم إزاء ازدياد قوة إسبانيا النصرانية واشتداد ضغطها على مملكة غرناطة الصغيرة ، وقد وردت هاتان الرسالتان في كتاب « الإحاطة في تاريخ غرناطة بالجلد الرابع منه الأولى (ص ٥٢٦ - ٥٣٥) ، والثانية (ص ٥٣٦ - ٥٦٠) .

الصدقات والبيعات

صدر عني في ذلك صِداق منعقد على أخت السلطان أبي الحجاج بن نصر
للرئيس أبي الحسن علي بن نصر ، ما نصه :

الحمد لله مانح أسباب الحيات ومسديها^(١) ، وفتح أبواب الآمال البعيدة
المثال ومُذْنِيهَا ، وجاعل البركات الظاهرة ، مَنُوطَةً باتِّباع [أوامر]^(٢) هذه
الشرِعة الطاهرة ، واجتناب نواهيها . حمداً يَصِلُ المِنَّنُ بالمنن ، ويربط المواهب
بالمواهب ، الذي أنشأ الإنسان ، من نفس واحدة ، وجعل العالم صفات حدوثها
بعزمه شاهدة ، وجاد على الخلايق من نِعَمه وعواطف رَحْمَاه ، بأفضل صلوات
وأكرم عابدة ، وأوردهم من موارد لطفه ، كل عَذْب المِشارب . هو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة ، ومنهجي عباده ، إلى ما سبق فيهم ، من سوابق^(٣) الإرادة ،
وجاعلهم قسمين ، فمُنِيَّة إلى الشقاء ومُنِيَّة إلى السعادة ، لا اعتراض على حكمه
الفصل ، وأمره الغالب . تقدس عن لواحق^(٤) الحوادث والأغيار ، وتعلّى عن
هواجس الخواطر ، وخطرات الأفكار ، ووَسِعَ الأكوان ، ظاهرها وباطنها ،
باللطف الخفي ، والجلود المُنْذرار ، فشملت نعمته الهامية السحاب . أوجر العالم
ليعبده ، وألزمهم أن ينزّهوه ويمجّدوه ، وعرفّهم وجوده الضروري ، ولولاه
ما عرفوه [ولا وجدوه]^(٥) . وخلفهم في بطون أمهاتهم ، خلقاً من بعد خلق ، في ظلمة
الغياهب . شرع لنا الإسلام سبيلاً واضحاً ، وأطلع [لنا من]^(٦) مرآشده الباهرة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ومهديا) .

(٢) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (سابق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (لاحق) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، وفي الإسكوريال (وما جموده) والأولى أنسب للسياق .

(٦) هذه الزيادة من الملكية .

نوراً لامحاً ، وبعث إلينا نبيّه الكريم ، رسولا أميناً ، وهادياً ناصحاً ، فعرّفنا برسائله ، المستحيل من الجأيز ، والمحظور من الواجب . والحمد لله الذى تنزّه فى عظّمته ، وتوحّد فى كبريائه ، وتعلّى ملكه القديم ، وسلطانه الكريم ، فى أرضه وسمايه ، وأحاط علماً بأسباب كل أمر وأحواله ، وانبعثه ومآله ، وابتدأه وانتهاه ، وصوّر نوع الإنسان ^(١) بحكمته من الطين اللّازب . نحمده سبحانه على ما أجزل من إحسانه ، ونحوّل من رفده ، ونُسبّحه آناء الليل وأطراف النهار ، وأن من شيء ، إلّا يسبح بحمده ، ونعترف بأن كل عارفة ونعمة واكفة ، ومئة تالدة أو طارفة ، فإنما هى من عنده . ونبرأ من المجادلة والمناصب ^(٢) ، ونشكره ، عزّ وجهه ، على ما أسبغ من الإنعام ، ونقر له بالوحدانية ، المنزهة عن الانتهاء والانصرام ، ونستزيد من مواهبه القياضة ، وعوارفه الجسام ، وآلايه المُحسّبة المآرب ، ونسّله أن يمدّنا بالتوفيق والعصمة ، ويصل لنا أسباب العناية والنعمة ، وينور أبصارنا ^(٣) بنور هدايه ، الذى يشقّى من العما ، ويذهب بالظلمة ، ويحملنا من رضاه على أوضح المذاهب . ونشهد أنه الله ، الذى لا إله إلّا هو ، الغنى عن الأنداد ، المبرأ عن الاتصال والانفصال ، والصّاحبة ^(٤) والأولاد ^(٥) ، المنفرد بالقبض والبسط ، والإعدام والإيجاد ، الملك الذى لا تفيض خزائنه على كثرة المُسترفد والراغب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الطيب العناصر ، ونبيّه العميم المكارم ، العظيم المفاخر ، وأمينه المُحرّز فضل الأوّل والآخر ، وصفيّه الطاهر المناسب ، الكريم الضرايب . تخيره من أشرف القبائل مَحْتِداً ومُنْتَسِباً ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإنس) .

(٢) واردة فى الملكية ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بصايرنا) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصحابه) .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الأنداد) مرة أخرى والأولى أرجح .

وأَتَاهُ مِنْ كُلِّ الْفَضَائِلِ سَبَباً ، وَاخْتَارَ لَهُ الْبُطُونُ الطَّاهِرَةَ ، وَالْأَصْلَابُ الْفَاخِرَةَ ،
أُمًّا فَأُمًّا ، وَأَبًا فَأَبًا ، وَاخْتَصَمَهُ مِنْ شَرَفِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَرِيمِ الْمُنَاسِبِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ
الْمُفَاخِرِ الرَّايِقَةِ الطَّرَرِ ، وَالْمَحَامِدِ الْمُتَالِقَةِ الْغُرَرِ ، أَشْرَفَ اللَّبَاسِ ، وَأَتَاهُ مِنْ كَمَالِ
الْخِصَائِصِ ، وَخِصَائِصِ الْكَمَالِ ، كُلِّ مُضْطَرَّدِ الْقِيَاسِ ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ الَّتِي كَرَّمَهَا ^(١)
بِاتِّبَاعِهِ ، وَالْإِسْتِضَاءِ ^(٢) ، بِنُورِ شِعَاعِهِ ، خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَمَلَكَهَا بَعْدَ
دَعْوَتِهِ ، مَا زَوَى لَهُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، فَشَرَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النَّكَاحَ
ذَرِيعَةً إِلَى النَّمَاءِ ، وَحَفِظَ الْأَنْسَابَ ، وَمَأَلَفَهُ لِمُتَرَفِقَاتِ ^(٣) الْأَهْوَاءِ ، وَصِلَةً
لِمَتَبَاعِدَاتِ الْأَسْبَابِ ، وَرَفَعَهَا لِمَا يَهْجَسُ مِنَ الشُّكِّ ، وَبَخَّلَهَا مِنَ الْإِرْتِيَابِ ، وَصَوَّنَا
لِبُيُوتِ الشَّرَفِ ، عَنْ الْأَوْشَابِ وَالشَّوَابِ . [وخطب عليه السلام ، وخطب إليه ،
فِي الْأَحْيَاءِ ، وَقَبْلَ الْخُطْبَةِ لِلدَّعَاءِ ، وَجَدَّعَ بِالْحَلَالِ أَنْفَ الْغِيَرَةِ وَالْإِبَاءِ] ^(٤) ،
وَأَمَرَ بِالتَّحْزِينِ لِلنُّطْفِ ، وَالْإِرْتِيَادِ لِعَقَائِلِ الشَّرَفِ تَكْرِيمًا لِلْمُنَاسِبِ ، وَتَنْزِيهًا لِلْمُنَاصِبِ ،
فَسَعَدَ ^(٥) بِاتِّبَاعِهِ كُلِّ سَائِلِكِ الطَّرِيقَةِ [وَأَوَى إِلَى جَنَابِ اللَّهِ كُلِّ آوٍ لِحُزْبِهِ الْمَفْلَحِ
وَفَرِيقِهِ] ^(٦) ، وَبَانَ الْمُتَبَدِّعُ مِنَ الْمُتَبَعِ ، بِتَمْيِيزِ الْحَقِّ وَتَعْرِيفِهِ [لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ] ^(٧) ، وَمَا الْأَخَابِثُ كَالْأَطَايِبِ ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ ، وَتَحِيَّتُهُ وَإِكْرَامُهُ
تَسْتَلِمُ شَرِيفَ تَرَابِهِ ، وَتُزَاحِمُ الْوُفُودَ عَلَى بَابِهِ ، وَتَعْرِسُ رُكَايِبَهَا ، بَيْنَ رَوْضَتِهِ
الطَّاهِرَةِ وَمَحْرَابِهِ ، وَتَحْدُو جَوَانِبَهَا أَيْدِي الصَّبَا وَالْجَنَابِ ، صَلَاةً نَجَّدَهَا
زَلْفَى فِي الْمَعَادِ ، وَقُرْبَةً إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ ، وَذَخْرًا يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ ، وَوَسِيلَةً تَنَالُ بِهَا

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (كَرْمَا) فَاقْتَضَى التَّصْوِيبَ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَةِ (الْإِسْتِبْصَارُ) .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (لِلْمُتَرَفِّقِ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَةِ .

(٤) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارَدَ بِالْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقَطٌ فِي الْمَلِكِيَةِ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (فَضَعْدٌ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَةِ .

(٦) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارَدَ فِي الْمَلِكِيَةِ وَسَاقَطٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٧) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَسَاقَطَةٌ فِي الْمَلِكِيَةِ .

من رضاه أَسْنَى الرغائب ، والرضا عن آله وأصحابه ، نجوم الأفتدَا والإتمام ^(١) ،
وسيوف دين الإسلام ، السادة البررة ، القادة الأعلام ، أخلاص الخيل ، ورهبان
الليل ، وأُسْدُ الكُتَابِ ^(٢) ، ونستوهب من الله للمقام العلى المولى السلطانى
الكريم ، اليوسفى النصرى ، سعداً ضافية حلله ، وعزاً ^(٣) يضاعف به الدين
الحنيف أمله ، وتمهيداً يتوفر لجميل صنع الله فيه جذله ، وعناية إلهية ، يدل
حاضرها على الغائب ، ولا زال نظره الجميل يعم الأقارب والأباعد ، وعطفه
وشفقتة ، يعذبَانِ للخلق الموارد ، [وخلاله الكريمة تقيد الأمداح الشوارد] ^(٤) ،
ولا زال الزمان يتحلى من جلالة ، ومآثر علاه ، بأنفس من عقود الترايب .

أما بعد هذه المقدمة ، التى كرمت اختتاماً وافتتاحاً ، ووجدت فى ميدان الرضا
والسعد ، وبلوغ الأمل ، وإحراز ^(٥) القصد ، مَعْدُلاً ومَرَاحاً ، وأوسعت العيون
قرة ، والصدور إنشراحاً ، فإن [من] ^(٦) المعلوم الذى لا يحتاج إلى دليل ، والمسلم
الذى لا يتطرق إليه بتغليل ، ولا يُخَافُ على محكمه ^(٧) وارد مسخ ولا عارض
تأويل . فقد صح ^(٨) منه كل سبيل ، ما خَوَّلَ الله هذه الدولة النصرية ، كتب
الله نصر كتبها ، وجعل مآثرها قلايد ، تجعلها الأيام قلايد فوق نُحُورِها وترايبها ،
من الكمال الذى وردت به ، غير مدافعة حياطه ، والمجد الذى تفيضات رياضه ،
والعدل الذى رفعت فوق العباد ظلاله ، والفضل الذى استشعرت شيمته ^(٩)

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والالتصاق) .

(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (الركائب) والأولى أرجح .

(٣) وردت فى الإسكوريال مرة أخرى (وسعدا) والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إغزاز) .

(٦) زائدة فى الملكية .

(٧) وردت فى الإسكوريال (تحكه) والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وضع) .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شيمه) .

وخلاله ، والجهد الذى تلقت رايته بالاستحقاق ، [وقامت بعرضه] ^(١) كفاية
عمن دونها من ملوك الآفاق ، وإن الله سبحانه ، نصر الدين الحنيف ، بسلفها
فى القديم ، ثم تداركه بخلفها فى هذا الإقليم ، فضاء بنورهم صبح الليل البهيم ،
وأينع روض ^(٢) العز ، فليس ^(٣) بالمصرح ولا بالمشيم ، وتواترها ^(٤) صدراً عن
صدر ، وهلالاً عن بذر ، وولداً عن أب ، وراثه حق ونسب ، من كل ملك
صادح ^(٥) بالحق ، مبرز فى حلبة السبق ، مراقب ^(٦) لله فى الخلق ، وهمام يحيل
جياذ النصر ، ويطلع شمس السعادة فى العصر . كلما أقل شهاب ثاقب ، طلع
بدرأ فلا كه مُفاخر ومُنَاقب . صانوا حلل العليا عن ابتذالها ، وحفظوا على الأيام
رونق جمالها ، وعالجوا الملة الحنيفية من اعتلالها ، وماذا عسى أن يبلغ القول
وإن اضطرد ، أو ينتهى المدح وإن شرد ، فى أنباء صحابة الرسول وأنصاره ،
وسلالة سعد بن عبادة ، وزيره الذى لا يضاهى فى رفعة شأنه ، وعلو مقداره ،
ووليّه الذى أعلن بإجلاله فى قومه الأنصار وإكباره ، وقال لهم لما أطلّ ، قوموا
لسيدكم تسجيلاً ^(٧) لعقد فخاره ^(٨) ، إلى أن ألبس الله طوق هذه الخلافة النصرية ،
أشرفها فى العشيرة جيداً ، وأكرمها أباً وجدوداً ، وجعل زمامها فى أولى الناس
بمقادتها ، وأخصهم عند إحالة القдах بسهم سعادتها ، وأطوهم باعاً فى توفير
الخلال ، التى يقتضيها ، والمحامد التى يختارها ويرتضيها ^(٩) ، مولانا السلطان

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت محرفة فى الملكية (وفاحت يعرضه) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دوح) .

(٣) فى الملكية (فلا) .

(٤) فى الإسكوريال (وثوارتها) .

(٥) فى الملكية (صادع) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (مراتب) والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تفضيلاً) .

(٨) فى الملكية (افتخاره) .

(٩) وردت فى الإسكوريال مرة أخرى (ويقتضيها) والتصويب من الملكية .

الكبير الشهير الخطير ، العادل الفاضل ، الماجد الكامل ، الأروع الباسل ، المجاهد المحافل ، الماضي الصّفاح ، في ذات الله والدّوابل ، هَضْبَةُ الثّبات ، إذا هفت من الرّوع المضاب ، وسيف الله الماضي الشّبا^(١) إذا كهمت السيوف العضاب ، الذي اشتمل بالطهارة يافعاً وكهلاً ، وكان مذ كان لخلافة المسلمين أهلاً ، المجاهد الكذا ، [السعيد الشهيد]^(٢) أبو الوليد ابن مولانا الهمام الأخطر ، العلم الأشهر ، عنصر المجد اللباب ، وبحر النوال الفياض العباب ، وطود الرّئاسة العالی الجناب ، وصارف عنان الدولة إلى أبنايه ، بالعزم [الماضي الشّبا]^(٣) الثاقب الشهاب ، والرأى المضمی بعزة الصواب ، ومستحقها بالاكتساب والانتساب ، ومخلدها منهم ، في الأعقاب إن شاء الله ، وأعقاب الأعقاب ، ابن سعيد فرج بن إسماعيل ابن يوسف بن نصر ، المضاهي^(٤) من نُصار الانتساب [الرفيع]^(٥) ، بغير الرايق ولا البهرج ، المنتهى في ذؤابة كرام الخزرج ، جدّد الله عليه ملابس الرحمة ، وجزاه أفضل ما جزا به الصالحين ، من ملوك هذه الأمة ، فلله من سنّة أحيائها ، وسيرة عدل أطلع مُحياها ، وسبيل برّ أوضحها ، وأحاديث مجد عن سلفه [من صحابة رسول الله]^(٦) أثبتتها وصحّحها ، وصيّّر الله ملكه إلى قرارة رضاه واختياره ، وخلاصة حبه من بين ساير بنيهِ وإيثاره ، بدر أقماره ، ونذرة نضاره ، وعنوان سعده ، وبركة داره ، الذي أعلى عماد ملكه ورفعته ، وضمّ شمل المسلمين من بعده وجمّعه ، وبني على أساسه ، وأثبّع^(٧) الكمال من مقدمات

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الشفا) وهو تحريف .

(٢) هذه الزيادة من الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٤) هكذا في الاسكوريال . وفي الملكية (المباهى) .

(٥) هذه الزيادة من الملكية .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٧) وردت في الإسكوريال (واتيح) ، والتصويب من الملكية .

قياسه . مولانا وعمدة ديننا ودنيانا ، الواحد المعدول^(١) بآلاف الملوك الصيد ، درّة السلك ، وبيت القصيد ، الجامع لما تفرّق من محاسن الدهر ، كفو الخلافة ، الملى لها بالمهر ، ذى العزم الأمّضى ، والسعى الأرضى ، والسياسة التى أقرت العيون المرهى ، والنفوس المرضى ، الشهير الحلم والأناة فى [معمور الأرض شرقه وغربه]^(٢) الميمون النقيبة ، فى سلمه وحربه ، المصنوع له فى أعدائه ، عناية من ربّه ، أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف ، أبقاه الله ، وأيامه عن غرر السعد سافرة ، وأقسامه من النصر والفضل^(٣) وافرة ، وكتابه ظاهرة ظافرة ، والحوادث عن مقامه ، شاردة نافرة . فمن له مجد كمجد هذه الدولة ، التى لها الفخر الحقيق ، والنسب الصريح العريق ، والسبب المتين الوثيق ، واقتدى هذه الشجرة النصرية الشّماء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء . فروعها من الأقارب الرؤساء ، فكانوا نجوماً أمّلتهم شمسها المنيرة ، بالثناء والثناء ، فلم يألوا فى الاهتداء بهم والافتداء فضلاً منشور اللواء ، وعدلاً مديد الأنباء ، ومجداً كريم الأبناء ، وجهاداً قاماً للأعداء [يقوم منهم الأبناء فى ذلك بحقوق الآباء]^(٤) ، ويتوارثون كابراً عن كابر ، مذخور ذلك العلاء ، فأصبحوا^(٥) صوارم جلادها ، وولاة بلادها ، وظهراء سلطانها ، وزين أوطانها ، حفظ الله عليهم ، من عزّ هذه الإيالة النصرية اليوسفية ، مادّة سعدهم ، وعُنصر مجدهم ، وإنّ من أفضل من أنجبته هذه البيوت الرياسية ، من أبنائها ، الرئيس الكذا الكذا [أبى فلان]^(٦) ، وصل الله سعده ، وحرس

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الممدود) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كالألق (فى شرق المعمور وغربه) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والضفر) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ووردت بحرفة فى الإسكوريال (يقوم بذلك شهير المضاء

الآباء) .

(٥) هكذا فى الملكية ووردت فى الإسكوريال (فأثبتوا) .

(٦) الزيادة من الملكية .

مجده . فإنه نشأ والعفاف يظله ، والمجد ينهله ويعله ، والظاهرة تضفي عليه ،
سوابغ أذيالها ، والأصالة تورده عذب زلالها ، [والسعادة]^(١) تأخذ بضبعيه صعدا
وتفسح له من بلوغ الآمال مدأ ، لم يعلق بأثواب شببته ما يرببها ويشينها ،
ولا تلبس بما ينافيه فضلها ودينها ، وأسندت إليه الولاية فسلك فيها سيرة^(٢)
العدل ، وتحلى بحلى النزاهة والفضل ، وإنه أعزه الله ، ترقّت إلى الغاية القصوى
آماله ، وانفسح له في التماس العز الأقعس مجاله [من الشرف العد]^(٣) ، وتشوفت
نفسه إلى إحراز الوسيلة ، التي لو طمعت فيها الكواكب الزهر ، لتزحزت عن
مراكزها استلطافاً ، وهشّت من آفاقها ، استنزالا واستعطافاً . وسأل الله أن يكيّف
له من المقام اليوسنى ، مصاهرة [يزيّد بها فخره]^(٤) العالى أضعافاً . فوافقت
دعوته من الله إجابة ، ووافقت رغبته من خليفته [اسعافاً]^(٥) وأجابه ، وما يرح
يستخير^(٦) الله [سبحانه]^(٧) ونعم المستخار ، ويمد يد الضراعة إليه ، والله يقضى^(٨)
ما يشاء ويختار . وعرض على [المقام]^(٩) المقتدى بالرسول الذى خطب إليه ،
صلوات الله وسلامه عليه ، ما توجهت إليه آماله ، وتوسل بالقرنى ، الذى يتوسل
بها أمثاله . فلما اتصلت رغبته ، وانشالت وتمادت وتوالت ، ووّرّى بالسعادة زنده ،
وخفق بالظفر بنده ، ورأى مولانا [أيده الله وأعز نصره وأعلا]^(١٠) أن
وصل سببه ، وزكى حسبه ، وأوضح في الإنعام عليه مذهبه ، وأوجب له العهد

(١) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) في الإسكوريال (سير) .

(٣) الزيادة من الملكية .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (تزيد مجده) .

(٥) الزيادة من الملكية .

(٦) وردت في الإسكوريال (يستأخر) .

(٧) الزيادة من الملكية .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (يخلق) .

(٩) الزيادة من الملكية .

(١٠) الزيادة من الملكية .

السُّنِّي ، والإِمْلَاق السُّنِّي في أُخْتِه ، الحرة الجلييلة الطاهرة [المعظمة السعيدة]^(١) ابنة والده ، مولانا أمير المسلمين أبي الوليد ، وصل الله [لهما عوايد] اليُمن والسَّعد ، وعرفَها في انتقائها أضعاف ما عرفته ، من منشا المجد ، إيجاباً حالفته السَّعود ، وأنجزت له الآمال الوعود ، وأسس بنيانه ، على تقوى من الله ورضوانه ، الذي تؤسس عليه العقود الدينية والعهود ، فعرف الرئيس الأجل ، أعزّه الله ، قدّر هذه النعمة ، التي لا تقاس بها النعم ، إلّا وترفّعت عن أجناسها ، وخرجت عن حكم قياسها ، وتلقاها بما يجب من الشكر الذي يقابل جلايل النعم ، وتستزاد به عوارف الكرم ، وانعقد بينهما الإِمْلَاق السعيد ، في الحرة [الجلييلة] ^(٢) المخطوبة [المساة]^(٣) على صداق أوجبت السُّنة ، تعيين مقدمه وتاليه^(٤) ، وتبيين نقده وكاليه ، وأجرى قبوله المقام الكريم اليوسفي ، حرس الله له أسباب معاليه ، [فجرى رفده الذي يصله ، وإحسانه الذي يواليه]^(٥) ، مبلغه ما بين نقد حاضر ، وكالى مستأخر ألفا دينار^(٦) ، إثنان من دنانير الذهب العين ، وكذا وكذا . على هذا انعقد النكاح ، وتم بسببه وكمل . ولو كان [هذا القدر يكافي]^(٧) ، مقداراً ، أو يوازي منصباً ملوكياً وِنجاراً ، لم يكن لهذا المنصب في عروض الدنيا ونقودها ، على اختلاف أقطارها ، وتباين حدودها ، ما يكافي قدراً ، ويوفى مهراً . لا كنها سنة الإسلام ، وافتقاء مذاهب الشرع الواضحة الإعلام ، وسبيل العقود الشرعية ، فيما يخصها من الأحكام . تزوجها بكلمة الله التي علت على جميع

(١) الزيادة من الملكية .

(٢) الزيادة من الملكية .

(٣) الزيادة من الملكية .

(٤) وردت في الإسكوريال (وكاليه) والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الملكية كما يأتي (فجرى ما يبذله في

الأنعام ويواليه) .

(٦) في الملكية (دينار) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (هذا الصداق يوازن) .

الكلم ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المبعث^(١) إلى العرب والعجم ،
 المالحى بنور هداة ، أسداف الظلم ، وبما أخذه الله عز وجل ، للزوجات على أزواجهن
 فى كتابه العزيز ، الذى أوضح لأولى الألباب قصده ، من الإمساك بالمعروف ،
 وما بعده . فليعاملها بما يجب لمنصبها الكبير ، ومجدها الشهير ، من المكارمة
 المتكفلة باستخلاص الضمير ، وهى وصل الله لها أسباب السعادة^(٢) ، تعامله بما
 يقتضيه حالها ، وتعرف له الدرجة ، التى لا ينكرها أمثالها . عقد عليها الأملاك
 [هذا]^(٣) ، السعيد ، وكيل المولى أخوها ، وهو فلان ، بما بيده ، من قبل مقامه ،
 من التفويض العام ، الذى من فصوله النكاح ، من يرجع إلى نظره ، أيده الله
 بسبب أو ملك أو ولاء [حسبما]^(٤) . يعرفه شهوده ، وهى بكر فى حجر المقام
 المولوى ، وتحت ولاية نظره العلى ، وبعد تقديم الاستار^(٥) ، واقتضاء الإذن من
 مقامها الرفيع المقدار ، وتحصيل ما يجب فى [هذا الباب]^(٦) ، شرعاً ، على
 حسب الاختيار . والله تعالى يجعل هذا المقدم مباركاً^(٧) ، قد جادت البركات
 الهامية أرجاءه ، وأجابت السعادة نداءه ، ويبقى عليهما من [عناية]^(٨) ، هذا المقام
 الكريم المولوى ، ما يحمدان إعادته وأيداه ، بفضل الله . شهد على الرئيس
 الكذا والوكيل ، بما فيه عنهما من أشهاد به ، وهما بحال كمال الإشهاد .
 فى الرابع والعشرين لصفر عام اثنين وخمسين وسبعماية .

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المنبعث) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السعد) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الملكية . وفى الإسكوريال (الانتجار) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (هذه الحال) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسند عقد) .

(٨) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

وما صدّر عني في ذلك صداق انعقد للأمير الأجل
أبي علي منصور ، ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان
أبي يوسف بن عبد الحق ، مع بنت الشيخ الجليل
المجاهد أبي سرحان مسعود بن الشيخ أبي عثمان بن
أبي العلي رحمهما الله تعالى (١) .

الحمد لله الذي ارتضى الإسلام ديناً قوياً ، وشرح لنا منه منهاجاً واضحاً ،
وسبيلاً مستقيماً (٢) ، وأسبغ علينا بسابقه ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ،
فضلاً عميماً ، عجزت العقول عن كنه ذاته ، فضأت في بيداؤه الأوهام ، وحارت
الأفكار ، في تعدد صفاته ، فأصبحت طائشة السهام ، وسدّت الأفهام الثاقبة (٣)
والأذهان المراقبة ، إلى هدف ، الإحاطة بعلمه ، فكان القصور قصارى تلك
الأفهام ، فوقفت مواقف الانقطاع ، عن بلوغ ذلك المرام ، لا تستطيع تأخيراً
ولا تقدماً . تقدّس في ربوبيته الواجبة عن النظراء والأنداد ، وتنزه بوحدانيته
عن الصاحبة والأولاد ، وتعلّى في كبريائه عن لواحق الكون والفساد ، وأحاط
علمه بالكائنات ، على تباين الأنواع ، وتنافر الأضداد . لا يعزّب عن علمه
مثقال ذرة ، في السموات والأرض ، إنه كان علماً حكيماً . وتبارك الذي أنشأ
الإنسان ، وسوّاه بيده ، ونفخ روح الحياة في جسده ، ورسم قبول النهي والأمر
في خلقه ، وحفّظ نوعه بعقبه وولده ، وأحسن خلقه في ظلمة الأرحام تقويماً ،
ثم لما أوجده ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وشقّ سمّعه وبصره ، فكان سميعاً
بصيراً ، وأودع قلبه من هداية الحق نورا ، وألهمه طريق النظر والاستدلال ،

(١) ورد موضوع هذا العنوان موجزاً في الملكية خالياً من ذكر الأمير أبي علي منصور .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مقيماً) والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الثانية) وهو تحريف .

فعلم ببديهة عقله ، أن له صانعاً قديماً قديراً ، يسر له المآرب تيسيراً ، وثم له المصالح تتميماً ، ثم أطاف به من الشريعة حمى حصيناً ، وبوآء به من عصمة النفس والمال ، حرماً أميناً [وأسلكه من رفقه ولطفه ، سبيلاً مبيناً] ^(١) ، وأورده من هدايته وإرشاده ، مشرعاً معيناً ، وألزمه من وظائف التكليف ، مفروضاً ومسئولاً ، ومحظوراً ومحتوماً . والحمد لله الذى لا تحصى ضروب نعمه المترادفة ، ولا تنفذ خزائن رحمته ، مع اتصال سحائبها الواكفة ، ولا يتجهم ^(٢) وجوه وجوده على [كثرة الأكف المستمدة من فيض بحورها] ^(٣) الغارقة ، ولا يعدم من لجأ إليه ، وتوكل عليه فضلاً جسيماً . فبأى مواهبه العميمه ، يغرى لسان التمجيد ، وفى أى باب من أبواب آلايه [الكريمة] ^(٤) يحط ركاب التمجيد ، أينعمة الخلق أم بنعمة الرزق ، أم بنعمة التوحيد . لقد بهرت آلاء ذى العرش المجيد ، خصوصاً وعموماً ، ومن عنايته جل جلاله ، بهذا النوع الذى فضله بالعقل على كثير من خلقه ، وشرفه إماماً عرفه طريق ^(٥) القيام بحقه ، أن جعل الآخر منه كالأول ، فى سلوك سبيل الخير ، واتباع طرقه ، وجعل له بمقتضى لطفه ورفقه ، حدوداً يقتضى آثارها ورسومها . فسكن بما شرع له من الإحصان ، بعضه إلى بعض ، وهياً له بالتناسل بقاء النوع وعمُران الأرض ، وجعل له التعاون على وظائف الدنيا ، والإعداد إلى يوم العَرْض ، فحفظت رسوم المصالح الدينية والدنيوية ، بالمشاورة عليها والحض ، وأينعت أدواح الرشد ، بعد أن كانت هَشِيماً . نحمده سبحانه ، حمد معترف بتقصيره ، عاجز من حقه الواجب على أداء كبيره ، ملق زمام التفويض ، إلى لطيف تدبيره ، مستزید من مواهب ^(٦) هدايته وتبصيره ،

(١) ما بين الحاصرتين . وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (تنجم) والتصويب فى الملكية .

(٣) ما بين الحاصرتين . وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الملكية (طرق) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عوايد) .

مُسْتَسْقٍ مِنْ أَلْطَافٍ^(١) لَطْفِهِ الْخَفِيِّ ، وَفَضْلِهِ الْحَفِيِّ نَسِيماً ، وَنَشْكُرُهُ أَنْ أَلْهَمَنَا شُكْرَهُ ، الَّذِي يَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ مِنَ النِّعَمِ ، وَيُضْمِنُ مِنَ الْآلَاءِ^(٢) ، أَوْفَى الْحَظُوظِ ، وَأَوْفَرِ الْقِيمِ ، وَعَلَى أَنْ سَدَّدْنَا إِلَيْهِ ، وَصَرَفْنَا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، شَبَابَ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ ، شُكْراً يَكُونُ بِتَضَاعُفِ هَبَاتِ^(٣) الْجُودِ وَالْكَرَمِ^(٤) زَعِيماً . وَنَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً يَذْهَبُ نُورُهَا بِالشُّكِّ وَالِاتِّبَاسِ ، وَيَتَّارِجُ مِنْهَا رِيَاضُ الصِّدْقِ عَاطِرُ الْأَنْفَاسِ ، وَتَثْنَى نَفْحَاتُ الْبَسْطِ مِنْ مَهَبَّاتِ الْإِيْنَانِ ، وَتُطْلِعُ وَجْهَ التَّحْقِيقِ لِأَبْصَارِ بَصَائِرِ النَّاسِ ، وَضَاحِئاً وَسِيماً . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا ، النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ ، الْقُرْشِيَّ الْهَاشِمِيَّ ، عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، الَّذِي اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ ، وَوَفَّاهُ [مِنْ مَخْصُوصِ اعْتِنَائِهِ]^(٥) ، مَا وَفَّاهُ ، وَأَبْرَأَ بِهِ الْوُجُودَ مِنْ عِلَّتِهِ^(٦) الْمُغْضَلَةِ وَشَفَّاهُ ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْحَكِيمِ وَكَفَّاهُ ، فَخْراً عَظِيماً ، انْتِخَبَهُ مِنْ سَلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَأَنْزَلَ بِشَارَةَ بَعْثِهِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَأَثْبَتَ بِهَدَايَتِهِ الْحَقَّ ، وَمَحَا بِرِسَالَتِهِ الْأَضَالِيلَ ، وَكَرَّمَ بِوِلَادَتِهِ الذَّبِيحَ وَالْخَلِيلَ ، وَجَعَلَهُ أَزْكَى الْخَلَائِقِ عُنْصَراً وَأَطْهَرَهُمْ^(٧) خَيْماً . النُّورَ الَّذِي تَضَاعَلَتِ الْأَنْوَارُ لَطْوَعِهِ ، وَنَفِثَ رُوحَ الْقُدُسِ فِي رَوْعِهِ ، وَتَفَجَّرَتْ بِنَائِيْعِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَاحْتَفَلَ الشَّرَفُ الْعَدِيدُ بَيْنَ أَسْوَاقِهِ الطَّاهِرَةِ وَفُرُوعِهِ ، حَدِيثاً وَقَدِيماً . ابْتِغَاةً وَالشُّرَكَاءَ قَدْ أَظْلَمَتْ^(٨) آفَاقَهُ ، وَالْعُدُوانُ قَدْ قَامَتْ أَسْوَاقُهُ ، وَالْبَغْيُ قَدْ أَثْلَعَتْ أَعْنَاقَهُ ،

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (أَنْفَاسٌ) .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (الْحَظُوظُ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (مَوَاهِبُ) .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

(٥) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَوَرَدَتْ فِي الْمَلِكِيَّةِ كَالْآتِي (مِنْ حَظُوظِ اخْتِصَاصِهِ

وَاعْتِنَائِهِ) .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (عِلْقَةٌ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٧) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (وَأَكْرَمَهُمْ) .

(٨) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (أَظْلَمَتْ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

وحقَّ الله قد نكث عهده وميثاقه ، والعقائد زايغة عن الحق تثليثاً وتجسيماً ،
 فدعا الخلق على بصيرة من خصَّه بنختم الرسالة ، ومحا بنور الحق [ظلمة الجهالة] ^(١)
 وشمل الخلق بالبركات الهامية المُثْثَلَة ، وبين المآخذ والمتارك تبيناً أنقذ من
 العمية والجهالة ، وأوضح المذاهب عن الله تحليلاً وتحريماً ، فكان مما ندب إليه
 النكاح ، الذي أخذ بحكمي الطبع والشرع ، وجمع بينهما [أحسن] ^(٢) ، الجمع
 وأمره بالاختيار للنسل والزرع ، فتطابقت دلالتا العقل والسمع ، منطوقاً ومفهوماً .
 ونصلى عليه عدد الحصاد والتراب ونُهدى من كريم التحية ^(٣) ، ما يغرس بين
 تلك الروضة الطاهرة واليحراب ، ونُعَفِّر الخدود في مواطنه الكريمة ، بالوهم قبل
 القدوم على لحده الرفيع الجنب ، ونهدى إليه بالنفوس التي أنقذها هُذْيِه ،
 وخلصها سعيه على حال الاغتراب ، ونسلم تسلياً ونرضى عن آله وقرابته ، وأوليائه
 وعصابته ، وأنصاره الكرام وصحابته ، المستوجبين من الله عز وجل ، بنصره
 وإجابته ، مزية قوله ، ويدخلهم ^(٤) مدخلا كريماً ، ما ركضت جياد الألسن ، في
 ميادين ثنائهم ، ولجأت الآمال الضاحية إلى ظلالهم وأفياثهم ، واهتدت السُراة
 بأنوار سماهم ، واقتدت الأمة في آداب ^(٥) الدين والدنيا بماثر عليائهم ، انتفاعاً
 بها ^(٦) وتعلماً ، ونستوهم من الله سبحانه [لهذا المقام] [على] ^(٧) ، السعيد السلطاني
 اليوسفي ^(٨) سعداً تبهر العقول عجائبه ، وعزاً لا يُراع ^(٩) حماه ، ولا يذعر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (ظلم الضلالة) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) في الملكية (التحيات) .

(٤) في الملكية (ويدخلكم) .

(٥) وردت في الإسكوريال (دأب) والتصويب في الملكية .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (اشفاعاً) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (للمقام) .

(٨) هذه الزيادة في الملكية .

(٩) في الملكية (يردع) .

جانبه ، وصُنْعاً إِلَهِيّاً لَا تَلْتَبِسُ مَذَاهِبَهُ ، ونَصراً تَجُوسُ خِلَالَ الدِّيارِ كُتُبُهُ
أَوْ كِتَابِيَّتُهُ ، وفَخْراً يَنْتَظِمُ مِنْهُ لِبَّاتُ الزَّمَانِ وَتَرَايِبُهُ ، دِراً نَظْمًا ، وَلَا زَالُ مَلِكُهُ
مَثْوًى الْعَفَاةِ^(١) وَمَحَطُّ الْأَمَالِ ، ومَقَامُهُ السَّعِيدِ ، فَذَلِكَ حِسَابُ الْكَمَالِ ، وَبَابُهُ
الْعَلَى ، كَعَبَةِ الْجَلَالِ ، فَكَلِمَا رَامَ أَمْرًا بَعِيدَ الْمَنَالِ ، كَانَ لَهُ السَّعْدُ خَلِيدِيّاً ،
وَالدَّهْرُ خَدِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ هَذَا الْفَاتِحَةِ ، الَّتِي فَتَحَتْ مِنَ النِّجَاحِ كُلِّ بَابٍ ، وَمَتَتْ إِلَى التَّوْفِيقِ
بِوَسَائِلِ وَأَسْبَابٍ ، فَقَدْ عَلِمَ مِنْ مَذَاهِبِ [أَهْلِ]^(٢) السُّنَّةِ ، وَتَقَرَّرَ ، وَتَرَدَّدَ ،
وَتَكَرَّرَ ، وَتَخَلَّصَ بِالْبِرَاهِمِينَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَتَحَرَّرَ ، أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّقْبِيحَ ، لَا يَجْبَانُ
بِالْعَقْلِ وَلَا بِالطَّبْعِ ، وَإِنَّمَا الْمَرْجِعُ فِيهِمَا إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ ، وَأَنَّ الْعَقْلَ إِذَا شَدَّ لِحُكْمٍ
مِنَ الْأَحْكَامِ عَقْدًا ، وَتَنَاوَلَهُ قَبُولًا أَوْ رَدًّا [فَحَقُّهُ أَنْ]^(٣) يَعْضُضَ عَلَى^(٤) سُلْطَانِ
الشَّرْعِ تَوْقِيعَهُ ، وَيَلْقَى فِي يَدِ ذَلِكَ الْمُسَيِّطِرِ النَّاقِذِ جَمِيعَهُ . فَمَا كَتَبَ بِأَمْضَانِهِ ،
أَنْفَذَ وَأَعْمَلَ ، وَمَا لَمْ يُجْزِهِ ، طُرِحَ وَأَهْمِلَ . وَلَا خُفَاءُ أَنَّ النُّكَاحَ ، مِمَّا اقْتَضَاهُ
الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ ، وَتَعَاوَضَ فِيهِ السَّمْعُ وَالنَّقْلُ ، وَأَنَّ الرِّسُولَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
حَقَّهُ ، وَأَوْضَحَ مِنَ الْهَدْيِ طَرَفَهُ ، نَدَبَ إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ^(٥) وَالْقَوْلِ ، وَبَيَّنَّ حُكْمَ
مُسْتَطِيعِ الطُّوْلِ [وَعَبْرَ مُسْتَطِيعِ الطُّوْلِ]^(٦) حَتَّى كَادَ نَدَبُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ وَجُوبًا ،
وَلِئَلَّا تَلْكَ الصُّبُغُ مَنْسُوبًا ، [فَمَنْ أَوْقَى رَشْدًا ، وَسَلَكَ مِنَ الْإِتْبَاعِ قَصْدًا اقْتَدَى
بِمَا شَرَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيَّنَّهُ ، وَفَتَحَ مَا فَتَحَهُ ، وَحَسَّنَ مَا حَسَّنَهُ ، وَاسْتَمَعَ

(١) فِي الْمَلِكِيَّةِ (الْعَفَات) .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ (حَقْبَانِ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٤) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ (عَنْ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ . وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (بِالْحُكْمِ) .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

القول فاتبع أحسنه^(١) ولا أبهى^(٢) من حلال المجد ، إذا كانت عليها من التقوى طرر مذهبها ، وقلاليد من طاعة الله ورسوله مُنتخبة ، فإن تقوى أولى الرئاسة والمجد ، عز الدين ، وظهور السنة في هذه الميادين ، وهذا القرب من المعمور ، وإن نأى حساً لا معنى ، عن مطالع ذلك النور ، مستمسك بحبل السنة والجماعة^(٣) لا يزال أهله على الحق كما قال عليه السلام ، إلى قيام الساعة . [ولما جعل الله^(٤) بعدوتيه ، الدولتين الساهرتين^(٥) النصرية والمرينية ، على هدًى ، ومنح الخلق منهما ناس وندا ، فاستولتا من الكمال على مدأ ، وجعلتا التعاون في سبيل الله ديناً وسبيلاً مبيناً ، بأن أتحتف الدولة المرينية بالإمداد والإنجاد ، وأتحتفها الدولة النصرية بأجر الجهاد ، ومرضاة رب العباد ، فضفى السُّر [والحمد لله^(٦) ، على البلاد ، واتصلت الأيدي على الدفاع والجهاد^(٧) . ولما كانت أحوال هاتين الإيالتين ، لم تزل على مر الأيام ، وكبارهما ، كأنهما حال واحدة ، وضمايرهما على الصفات متعاقدة ، تنتقل بينهما من ظل إلى ظل ، وتجنح بحسب الدواعي من محل كريم إلى محل ، كأنما ينتقلون من يد إلى يد ، ويترددون بين قلب وكبد . فورد على هذه الأبواب الجهادية ، منهم صدور ميادين ، وأعلام فضل ودين ، وآساد عرين ، وأهله من مطالع سماء بنى مرين ، تلقاهم^(٨) الرُتبُ بانشرار صدورهما ، وتجلُّهم الأملاك بين شمسها وبدورها ، وتستظهر منهم على أعدائها بكريم^(٩) أودائها ، فربَّعها بهم عامر وآهل ، وبيوتهم فيها يدل عليه سنان حایل^(١٠) ، وجواد

(١) ما بين الخاصرتين ورد مرة أخرى مكرراً في الإسكوريال .

(٢) وردت في الملكية « أبى » .

(٣) في الملكية (الساعة) .

(٤) وردت هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (والله قد رفع) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الظاهرتين) والأولى أرجح .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (والله الحمد) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجلال) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (تلتقاهم) .

(٩) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بكرام) .

(١٠) في الملكية (لاعم) .

كاهل^(١). إن تحركت المراكب ، كانوا آساد سروجها ، وإن نُصبت المراتب ، كانوا نجوم بُروجها ، وإن أُحضرت بساتين الكتائب ، كانت عمائمهم البيض أزهار مروجها ، يلقون عصا التسيار بهذا الوطن اعتباطاً ، ويوسعون العدد استكثاراً والجهد ارتباطاً ، ويطيرون إلى الجهاد بأجنحة السمر الحداد ارتياحاً ونشاطاً ، من كل هُمام غذاه الملك بدره ، وبوَاه الملك في مستقره . وإن من أرفع من^(٢) ورد على هذه الإيالة النصرية قدراً ، واستحق من موكب جياها قلباً ، ومن مجلس أمجادها صدرأً ، من استولى من الشرف العد على أتمه ، وتوسّل إلى الملك المريني بأبيه وجده وعمّه [وابن عمه]^(٣) ، ذلك الشيخ الأجل [الأعز الأرفع الأمجد ، الأحفل الأسعد الأوحد ، الأطهر الأصيل المعظم]^(٤) ، أبو على منصور ابن السلطان [الأجل الأعز الأطول الأفضّل الأحفل الأسعد الأطهر الأمجد ، الباسل الفاضل الكامل ، المعظم المبرور المقدس]^(٥) ، أبي على عمر ابن السلطان الجليل ، الأعلى الأمجد الأحفل ، الأسعد الأوحد ، الأرضي ، المجاهد ، الأسمى ، الحافل الكامل ، الجواد الباذل ، علم الأعلام ، ناصر دين الإسلام ، العادل الفاضل المؤيد المعان ، المعظم المقدس ، أمير المسلمين [أبي سعيد]^(٦) ، ابن السلطان الجليل المعظم المقدس ، أمير المسلمين ، وناصر الدين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، من ملوك المغرب الأقصى ، وأولى المآثر التي لا تحصى . مجالسهم بالعلماء مَعْمُورة ، ومكارمهم في الآفاق مشهورة ، ووقائعهم بالكفر مذكورة ، وموالاتهم^(٧) ، لأملاك (الجهاد)^(٨) ، بهذه البلاد ، في صحف

(١) في الملكية (صايل) .

(٢) في الإسكوريال (ما) والتصويب من الملكية .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٥) ساقطة في الإسكوريال وواردة في الملكية .

(٦) سائر هذه الأوصاف واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٧) وردت في الإسكوريال (وولاية) والتصويب من الملكية وهو أنسب للمعنى .

(٨) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

البرّ مسطّورة ، وأبوابهم بالوسايل مقصودة ، وألويتهم في نصر الدين معقودة ،
تغمد الله من سلف من ملوك هاتين الدولتين برضاه ورحمته ، وشمل من ولى
وخلف بمزيد فضله ونعمته . وأنه لما قدم على هذه البلاد النصرية الآن ، وقد
ازدهت بالإيالة اليوسفية أقطارها ، وأضاءت بنور العدل ديارها ، وصفا بها مورد
اليمن وضئ ستر الأوان ، وأشرقت الأرض بنور الرحمن ، واعتدل بعدل
سلالة الأنصار ، وأبناء صحابة النبي المختار فيها وزن الرهان ، تلقاه روح حياتها
وبدر إمامها ، ومعنى معانيها ، وولى المسلمين فيها ، مولانا وعصمة ديننا ودنيانا ،
السلطان الجليل ، الظاهر الطاهر ، العادل المجاهد [الفاضل] ^(١) ، ثمال الأمة ،
[وسلالة كرام الأئمة] ^(٢) ، الداعي للوسايل والأذمة ، أمير المسلمين أبو الحجاج ،
أيده الله ، تلقاه بالرحب والسهل ، وخلطه بالعشير والأهل ، فمهّد له الكرامة
قبل الوساد ، وتكلفت له الغاية ^(٣) ، بتقليل النظراء وتكثير الحساد ، وخبر عنه
[بحضرته] ^(٤) ، أفضل ما خبر من منتقل من مشابه من العقل والدين والعمل ،
على شاكلة أبناء السلاطين ، وأنه ذهب إلى تحصين دينه بالإحصان ، وجمع
شملة بكفو من أهله ، في هذه الأوطان ، واختار في بيوت المجد بيتاً يوافق
أصالته الراسخة البنيان ، فأداه اختياره الذي شهد توفّله بالسداد والرجحان ،
إلى البيت الرفيع ، المستوى في ميدان جلالة الشأن على الأمد ، مقاسمه في بحبوحة
الحسب ، وملاقيه في ذروة النسب ، حيث العز مرفوعة قبابه ، والفخر موصولة
أسبابه ، والجهاد دامية عضابه ، جليس الضراغم الضارية ، وميدان الجياد
المتسابقة إلى الفضل المتبارية . ذلك بيت الشيخ [الأجل الأعز الأرفع الأسنى] ^(٥)
الكذا ، أبي سرحان مسعود ابن الشيخ الجليل الأغر الأرفع المعظم الأسنى ،

- (١) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .
- (٢) هذه العادة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
- (٣) وردت في الإسكوريال (عنايته) والتصويب من الملكية .
- (٤) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .
- (٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

ظهير الدولة الإسماعيلية ، ذى السابقة لدعوتها والأولية ، والاختصاص بتشديد أركانها والمزية ، أسد الحروب ، إذا اضطربت نارها وفار تيارها ، وبذر دُجاءها إذا احتجبت بالنقع أقمارها ، الكريم المآثر فى الدفاع عن الدين ، حسام كبير السلاطين ، أسد العرب ، شيخ المجاهدين ، من مشايخ بنى مريـن ، [المقدس ، الأرضى ، المعظم] ^(١) ، أبى سعيد عثمان ابن الشيخ [الجليل الكبير ، الشهير الخطير ، المعظم الأواحد ، الأظهر الأطهر ، الأمجد ، المعظم المقدس الأرضى] ^(٢) ، أبى العلاء إدريس بن عبد الحق ، النسب المعروف ، والمعدن الذى تنسب إليه هذه السيوف ، والعنصر الذى تشمخ به هذه المعاطير الأنفة والأنوف . فحين ظهر بهذا البيت ، الذى هياً له التوفيق ^(٣) اتفاقه ، ومدّ عليه السعد رواقه ، شدّ يد الظنين على دُخْره ، وثابر منه على مرجح فخره ، وعرض غرضه على المقام الكريم اليوسفى ، الذى أوى إلى إيالته ، واستظل بظل جلالتـه ، ملتمساً بركة إشارته ، وراجياً أثر استخارته ، فاسترجح ، أيد الله نظره ، واستحسن مأخذه فى ذلك وشكره ، ورأى أنها وشايح على مظاهرة مقامه تلتحم ، وعقود مجد فى لبّة دولته الرفيعة ، تنتظم ، وقلوب على محبته تأتلف ، وألسن بحقه ^(٤) الواجب تعترف ، وشآجيب مجد ببابه إن شاء الله تقف ، كافاً الله مقامه ببلوغ الأمل ، وإنجاح العمل ، حتى يودى حقه من صنایعه ، هؤلاء الحفدة والبُنون ، وتجنّى من غرس الخير [فى أهله ، ووضعـه فى محله] ^(٥) ما تقرّ العيون .

فخطب للشيخ [الأجل الأغر الأرفع ، الماـجد المعظم] ^(٥) ، أبى الحسن على ابن الشيخ الكذا أبى سرحان مسعود ابن أبى سعيد المذكور قبل ، أخته الحرة الماجدة الفاضلة ، مسعوده ، وصل الله سعدهما ، وحرس مجدها ، خطبة قابلها

(١) ما بين الخاصرتين واردة فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الاتفاق) والتصويب من الملكية وهو أنسب للباق .

(٣) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) هذا واردة فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

السعيد بوجهه المشرق الأسيرة [وضاحكة اليمن] ^(١) بالثغور المفترة ، وانعقد بينهما في الخطوبة المسماة الأملاك السعيد [الذى يسير به الأمل البعيد] ^(٢) ، على صداق ، أوجبت السنة تعيين حده ، وتبيين كاليه ونقده ، مبلغه بين نقد عجلته يد الإحضار ، وكالى أجلته مكارم الاختبار ، مشتمل على خدم وعروض من الأثواب الرفيعة ، وحلى النصار ، بحسب حسبها الرفيع المقدار ، وذلك أربعة من خلاخل الذهب قيمتها ^(٣) أربعماية دنير من الذهب العين ، وتاج من الذهب قيمته كذا إلى كذا ^(٤) ، تزوجها بكلمة الله التى علت الكلمات العليا ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذى علم آداب الدين والدنيا ، وبما أخذه الله للزوجات على أزواجهن من الدرجة الرفيعة المقررة بلسان الشريعة ، حسبا بينه الله سبحانه وحده ، من الإمساك بالمعروف ، وما بعده . فليتجاريا في ميدان المكارمة تجارى [الجياد] ^(٥) ، العتاق ، ويعملا على شاكلة ما لهما من طهارة الأحساب وكرم الأعراق . عقد عليها هذا الأملاك السعيد ، فلان ^(٦) ، وهى بكر عذراء ، صحيحة الجسم والعقل ، محمولة من الحلية على أوضح السيل ، وبعد تقدم الاستيمار ، وتحصيل ما يجب فى هذه الحال شرعاً ، على الاختيار ، شهد عليهما بما فيه عنهما من أشهاد ، وهما بحال كمال الإشهاد . والله عز وجل ، يجعل هذا العقد أيمن عقد ، يسر السعد أسبايه ، وفتح اليمن أبوابه ، وسحب التوفيق أثوابه ، ورسم النجح كتابه . ويبقى هذا المقام اليوسفى ظلاً لمن قصد جنباه [وثملاً لمن أمل ثوابه] ^(٧) ، ولا أعده مودة صادقة ، ومدحة رائقة ، ودعوة مجابة بمنه .

وكتب فى كذا .

(١) هكذا وردت فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (وضاحكا) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (زنتها) .

(٤) وردت فى الملكية بعد ذلك نحو صفحة مليئة بتعداد الخلل المنوعة والثياب الفاخرة المذهبة والحرير والصوف وغيرها ، وهو ما لم يرد فى الإسكوريال . فرأينا أن نفرض عنها .

(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) ورد مكانها فى الملكية (شقيقها الشيخ أبو الحسن على وصل الله سعاده وحرس مجادته) .

(٧) وردت هذه العبارة فى الملكية وهى ساقطة فى الإسكوريال .

ومما صدر غنى أيضاً صداق منعقد على بنت سيد الشرفاء، الجلة وعلم أعلام هذه الملة، أبي عبد الله بن عمران، لولد الشيخ الفقيه الخطيب الكبير الشهير، أبي عبد الله محمد بن مرزوق، أعزهما الله بعد أن صدر الأمر من سلطان المغرب، أمير المسلمين أبي سالم، أن يكون الصداق المذكور من إملائي على كتاب بابيه، فأملت في اليوم الذي صدر لي الأمر العلى بذلك، ما نصه بعد سطر الافتتاح (١) :

الحمد لله الذى له الحكمة البالغة، والنعمة السَّابِغة، والمُلْكُ الكبير، وبيده الخلق والأمر [والإنشاء] (٢)، والفضل، يؤتیه من يشاء. وهو الحى الحليم (٣) المريد (٤) القدير، الواحد الأحد، الذى لا يحول بقاؤه، وإن حال الزمان، وطال الأمد الفرد، الذى استحال عليه العدد، والصاحبة والولد، فلا يدركه فى ذاته، بتعدد صفاته، التَّكْثِير، الملك الحق الذى غنى بعز جبروته، فى عظيم ملكوته، عن الأعوان والظَّهراء، والصاحبة والوزراء، والأمثال والنظراء، فلا يُنْجده المعين، ولا يُرْشده النصيح، ولا يشاركه الوزير الحكيم، الذى فتق رَتَقَ الأكوان، على اختلاف الصُّور والألوان، وقد تعاقب الملوان، وأعطى كل شئ خلقه، من الجماد والنبات والحيوان. فأذعن له الإبداع، وانقاد له الاختراع (٥)، وأطاعه التصوير. أضلَّ وهدى، وتفرد بالوحدانية، فلم يتخذ

(١) ورد هذا العنوان موجزاً فى الملكية، وأغفل فيه اسم والد العروس وتفاصيل أخرى.

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (العليم).

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (المدبر).

(٥) وردت فى الإسكوريال (الإختار) والتصويب من الملكية، وهو أنسب للسياق.

صاحبةً ولا ولدًا ، وأحصى مدارج الحركات ، ومدارك اللحظات ، فبيّنه ما [يظن وظهر] ^(١) وراح وغدا ، وحصر شوارد الأنفاس ، وأشخاص الأجناس ، فأحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . تجلّى لأبصار البصائر نور جلاله ، وفاض على السموات والأرض ، عيم جوده ، وكريم نواله ، وامتنَّ على الوجود بمنحه قبل استمناحه وسؤاله ، فهو الغنى المحض ، ومن سواه فهو ^(٢) ، الفقير . والحمد لله الذي فضّل نوع الإنسان ، وخصّه بمزيد الإنعام والإحسان ، وحباه بفضل العقل وفضل اللسان ، فأمكنه الإفصاح عن مقاصده الحسان والتعبير ، وابتداه بجزيل نعماية ، واعتمده بعميم آلايه ، وأصوره من الطين اللّازب بيد إنشائه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملايكة سمايه ، واختار منه صفوة أوليائه ، ونخبة أنبيائه ، وجعله محلاً لقبوله ، وأهلاً لاصطفائه ، وأعد لأجله ^(٣) داري جزائه . وحسبك فخاراً يشير إليه المشير . والحمد لله الذي رفع بنية السماء والقبة الشّماء ، ما اتخذ لها عماداً ، وجعل الأرض فراشاً لها ومهاداً ، والجبال الراسية أوتاداً ، وأنشأ البشر ، لما درأً ونشر ، من نفس واحدة ، بث منها أعداداً ، وضرب لهم من بعد الحياة ميعاداً ، فمنه النشأة ، وإليه المصير . وتبارك الله ربّ العالمين ، الذي نطق الحيّ والجماد من تعظيمه ^(٤) بلسان ، واعترف المخلوق أنّه الحق ، وكل من عليها فان . وثبت ببديهة الحق ^(٥) وجوده ، من غير اعتبار مكان ، ولا بسبوق زمان ، وألقت الموجودات إلى حكم ^(٦) قدرته يد الإذعان ، فإن من شيء إلّا يسبح بحمده ، ما بين سرٍّ وإعلان . ونعوذ بالله ، من سخطه ونستجير ، وسبحان من

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (ظهر وما بطن) .

(٢) زائدة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (لا اله) وهو تحريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (توحيد) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (العقل) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

أنشأ النفوس البشرية وسواها ، وأدار على من اصطفى منها ، واختار كؤوس معرفته حتى رؤاها ، وأرشدنا بنور الإلهام في ظلمات الأرحام^(١) ، إلى الوقوف بربوع توحيده والإمام ، وقد مال بها عن الجادة هواها ، وعظم الأرحام إلى جعل تقواه مقترنة بتقواها ، فوضح حقها الأكيد ، وظهر قدرها الكبير .

ونحمده ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، ونثنى عليه بما على نفسه ، اثني من صفاته العلى ، وأسمايه الحسنى [ونشكره على]^(٢) نعمه الباطنة والظاهرة ، ونعترف لمُلْكِهِ الحق ، بعجز العقول الذاهلة ، والنفوس القاهرة ، فكلما بهرت الأبواب مِنْتَهُ الوافرة ، وآلاؤه المتوافرة ، فشأننا العجز ، وصفتنا التقصير . ونشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو ، ثبت بالبدئية وجوده ، فلا يسع جهله ، ليس فى الوجود إلا فعله ، بيده الخلق ، والأمر^(٣) ، وإليه يرجع الأمر كله . عيّن المقاسم والمواهب جوده وفضله ، وأجرى الأقدار على حسب اقتضاه واختاره حكمه وعدله . يحطّ ويرفع ، ويُعطى ويمنع ، لا يُسَلَّ عما يفعل ، ولا يُعْتَرَضُ^(٤) ، فيما يصنع ، بما اقتضته الحكمة البالغة والتدبير ، شهادة تتأرجح نفحات الإخلاص من أزهارها ، وتتخلق [أَكْوان الأردان]^(٥) ، من شذا مِعْطَارِها ، وتُسْفَرُ غُرر التوحيد من مطالع أسرارها ، وتضيء أرجاء الوجود أشعة نجومها وأقمارها ، وتستفاد كنوز^(٦) اليقين من مكان أسرارها ، ونجدها عتاداً إذا زخرفت الجنان وسعرت السعير .

ونشهد أن محمداً عبده الذى شرح صدره ، ورفع ذكره ، ورسوله الذى

(١) وردت فى الإسكوريال (الأجسام) ، والتصويب من الملكية وهو أنسب للسياق .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (أردان الأكوان) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (ثغور) والتصويب من الملكية .

بُلِّغَ نبيه وأمره ، ونجيه الذى أدنى محلّه ، وأسنى قدره ، ونوره الذى أمّن من المحاق بدّره ، ومختاره الأمين ، المكين ، البشير النذير ، أكرم ولد آدم عليه ، وأرفعهم منزلةً لديه ، ومُصطفاه الذى جعل الفضل طوع يديه ، ومُجْتَبَاهِ الذى مدحه فى القرآن الحكيم ، بالخلق العظيم ، وأثنى عليه ، ونبيه الذى له الشرف الأقصى ، والفضل الشهير ، نكتة العالم ، وفائدة الأكوان ، والمتقدم بفضل [السابقة] ^(١) وإن تأخر بالزمان ، وحجة الله المؤيدة بالبرهان ، وخاتم النبیین وناسخ الأديان ، المحرز من شأن ^(٢) الكمال وكمال الشأن ، مالا يحصره العدّ ، ولا يأخذه التقدير . أرسله سبحانه بالحق لجميع الخلق ، بشيراً بلسان الصدق ، بشيراً ونذيراً ^(٣) وداعياً إليه بإذنه لأنس الكون وجنّه ، وسراجاً منيراً ، ونصره بالحرب ، والمجال الصعب ، بجيوش الرعب ، يسير بين يديه شهوراً ^(٤) ، وأذهب عن أهل بيته الرجز وطهرهم تطهيراً ، واختار له من دَوْحَةِ الفخر قبيلًا ، ومن عُتَصِرِ المجد عَشِيرَةً ، فنعم القبيل ، ونعم العشير ، وأضفى عليه ملابس التكریم ، ووصفه بالرؤف الرحيم . وافترض على المؤمنين فرض الصلاة عليه والتسليم ، وجعله فذلّكة الحساب ، وبيت القصيد ، ویتيمة العقد النظيم ، درجة يیس منها المثل ، وعجز عنها النظر ، وأفرده بالفخر الأجلّ ، والقدر الأعلى ، والكمال الأقصى ، [ونصّ عليه] ^(٥) فى صحف أنبيائه نصّاً ، وأولاه من مواهب عنايته ، ولطایف ولايته ، ما لا يُعد ولا يُحصى ، وأسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، [ووسّره له] ^(٦) ، ظهر البُراق ، لاخترق السبع

(١) هكذا وردت فى الملكية وفى الإسكوريال (بالسابقة) .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) زائدة فى الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وبشره) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (نز) .

الطَّبَاق ، فما استصعب ولا استعصا ، فعرف فضله المَلَأُ الأَعْلَى ، والفلك الأثير .
ابتعثه الله ، والجاهلية الجهلاً تصول ، والعدوان تشام منه النصول ، وحرمان الله ،
تُجْتَنُّ منها الفروع والأصول ، والمعروف يقطع بسببه الموصول ، والسعادة
لا يتأتى عليها الحصول ، ودماء الضعفاء تَطْلُ ، وأيدي الأقويا تطول ، فقرَّ
الرجفان ، وارتفع العدوان ، وسهل العسير ، وانتصف الغريم ، ووضح النهج
الكريم ، وثبت التحليل والتحريم ، وطلع الصبح وانصرم الصَّريم ، واستقر الحق فلا
يبرح ولا يريم ، وأخذ الأحكام ^(١) عن الله ، التمهيد والتقدير . فكان مما سنَّه
صلوات الله وسلامه عليه ، النِّكاح ، الذى ندب إليه ندباً كاد يلحق بالإيجاب ، وخطب
إليه تهنئاً بهذا الباب ، فكانت سنة وافقت هَوّاً ، وقصداً جمع بين الضرورية
البشرية ^(٢) ، والثواب ، وذريعة إلى صون الأنساب وحفظ الأحساب ، وتنزيهاً
للدين من شوايب الإرتياب ، وغرضاً كريماً يكلِّ فى ميدانه وتعظيم شأنه ، البيان
والتعبير ^(٣) ، ولم يزل صلوات الله عليه ، يحض عليه بإفصاحه وتبيينه ، وقوله
من تزوج فقد كَمَلَ نصف دينه ، ويُجلى وجه النصح يروق تور ^(٤) جبينه ،
ويحضُّ ذات الدين والشرف بتعيينه ، ليرجع الأُمم فى المعاد ، ويقوم قيام
الإشهاد العدد الكثير . فصلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم وقُدَّس وعظَّم ، وبارك
ورحم ، ما أظلم الليل البهيم ، وأشرق الصبح المنير ، ورضى عن آله وصحابته
وعترته وقرباته ، نجوم الهدى المشرقة ، وبحور الندى المغرقة ، والعصابة المومنة
بالغيب المصدقة ، والأسرة الملتفة فى الرعب المحدقة ، التى كانت تهدى بهديه ،

(١) وردت فى الإسكوريال (التمهيد) ، والتصويب من الملكية .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التفسير) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وجه) .

فيما يشير ، وتَسْرَى بآنوار مراشده وتسير ، ونستوهب من الله لهذا المقام العلى المولوى [الإمامى السعيد السنى] ^(١) ، الإبراهيمى المستعنى ، سعداً يتكفل بعزّ السلطان ، وتمهيد الأوطان ، ونصراً يعلى أعلام الإيمان ، ويرفع رواق اليُمن والإيمان [وصنعنا يخلد آيات الفخر فى صفحات الأزمان] ^(٢) ، وعدلاً يكفّ أكفّ البغى والعدوان ، وتوفيقاً يقود إلى القبول من الله والرضوان ، ويمناً تلوذ به الآمال ، فيحالفها البشير . فهو الذى جدّد الرّسم بعد ما درس ، وحاط الأمة بسيف الله وخرس ، وجنى من ثمرات الملْك الأصيل ، ما ازدرع سلفه الأرضى بالعزم الأمضى واغترس ، فغفّر الله ^(٣) ليثّ البغى لما افترس ، واستخلص أمر الله من يد غاصبه فهو الأحقّ به والجدير . فأشرقّت الأرض بنور ربّها ، وأفادت النفوس من كرمها ، ودارت أفلاك الأمر العزيز على قُطبها ، وألقت الفتنة أوزار حربها ، وابتهج المنبىّ والسرى ، ولا زال جامع شمل الدين بعد شتاته ، وواصل سبب الحق بعد انبثاته ، وحافظ كلمة الله ، والله لا مُبدّل لكلماته . ومُخيف الزمان العادى بعزّماته وطارِدُ شدايدِهِ وأزماته ، يطلع بدرأ فى ظلماته ، ويسطع فجراً فى مُدْهِمَّاته ^(٤) ، حتى يَأْمَن به الخائف ، ويُجبر الكسير ، ودام مستعيناً بالله فى جميع أحواله ، مستزيداً بذكره ^(٥) من نواله ، متوكلاً عليه فى حركاته وسكناته ، وأقواله وأعماله ، فالله نعم المولى ونعم النصير .

أما بعد هذه الفاتحة التى تجلّت وجوه المسرات المستمرات ، خلال اختتامها وافتتاحها ، وتناجحت أزهار تحميد الله ^(٦) وتمجيده ، من بين أدواحها ، ووضحت فى ليل الجبرّ تباشير صباحها ، والمقدمة التى تكفلت للأعمال بنجح

- (١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
- (٤) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (مدايماته) .
- (٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (بشكره) .
- (٦) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

آمالها ، وللآمال بفوز قِدادِها ، فإن السعادة في الاقتداء بسنن خاتم الأنبياء حاصلة ، وآيات الكتاب العزيز ، بين الحق والباطل فاصلة ، وصنعة ^(١) الله وإن أبَت المناصل غير ناصلة ، فمن وُفِّق للسعادة المعادة ، اقتدى واتبع ، وثوى برّبع الهدى ورّبع . والشرع قد قرر الآداب ورّتبها ، ورفض الفواحش واجتنّبها ، وانتقى المرشد وانتخبها ، وله الحكم على العقل ، بسيف النقل ، الرايقة الصقل مهما حسن أو قبح ، وإن وزن العقل ورجّح ، ونأى بصنعة القياس ^(٢) وتبحّح . والنكاح من الأغراض التي حسنّها الشرع وزيّنها ، وأوضح تضافر ^(٣) المصالح الشرعية والطبيعية فيه . وبينّها [ونفق الفضل وحرّم العضل] ^(٤) وأرشد من الحيرة ، وأرغم بالحلال أنف الغيرة ، فتعاضدت الأنساب والأصهار ، وأمكن بالتآلف الاستظهار ، وبان الحق ووضح النهار ، سنة الله التي قرّب بها القرار ، وعمرت المنازل والديار ، وتنافس فيها الأخيار ، وامتدّت إليها الأيدي والأبصار ، وحكمته التي لطّفت منها الأسرار ، ووجب فيها الاعتبار . وكان أولى بالمشاورة على هذه المرشد ، وتتميم ما قرّر من الأغراض الشرعية والمقاصد ، والمسارة إلى هذه المشارع الروية والموارد ، والمبادرة إلى اقتناء هذه المحامد ، وأولو العلم الذين يتقون الله حق ثقافته ، ويحرصون على التماس مرّضاته ، فهم أقطاب سنّته ومفترضاته ، وورثة أنبيائه ودعائه ، وأشرف الملة الذين يحافظون على المناسب الرفيعة ، ويأخذون ويدعون ^(٥) بقسطاس الشريعة . فهناك تزدان حلل العلم والشرف بحلّ العمل ، وتطلع شمس الآداب الدينية ، أبهى من الشمس في الحمل ، وتستبشر النفوس النفيسة ، من إحراز مزايا الدين والدنيا ببلوغ الأمل . وإن هذا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (صبغة) .

(٢) وردت في الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (ظافر) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) واردة في الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

المغرب الأقصى الذى علمت فيه ، والحمد لله ، الفِرَق والأهواء ، وسطعت من [فضايل أهله] ^(١) الأضواء ، ولاح من حسن اقتديهم بإمام دار الهجرة ، رضى الله عنه ، السبيل السواء ، تشرف قديماً ، ببضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلها بين سحره ونحره ، وتبعة من إحدى ريحانتي الجنة ، اتخذها إكليلاً لفرق فخره ، فاستوى على الأمد القصي ، وأصبح كرسيّاً لأهل الوصي ، واسعاً آل عباس بدليل ، ذى بأس ونائل ، لولا أنه اغتبط لتوقد ذروة الشوق وفرعها ، وعجل الكرة وأبدعها ^(٢) ، واستخلص الجنة التي بذرها جده وزرعها ، فصرف لفاس ، عمرها الله بالإسلام حُلَّتْه ، وأورث منها بالبقعة الزكية سرائه وجلَّتْه ، فتبوّأ منها بالدور ... ^(٣) المعشَبَ الروض ، الأَرَجَ النور [قرارة السعد] ^(٤) ومشوى عسير سبط وبأس جعد ، ودست وعيد ووعد ، وفق برق ورعد ، يتناقلون رتب الشرف الصريح ، كابراً عن كابر ، ويروى مسلسل بيتهم الرفيع العمد ، ^(٥) كل حريص على عوالي المعالي مشابر . فالكف عن صلة ، والأذن عن حسن ، والعين عن قرّة ، والقلب عن جابر ، حيث الأنوف الثم ، والوجود الغر ، والعزة القعساء والنسب الحر ، والفواطم في صلف الصون من لدن الكون ، كأنهن الدر . قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ^(٦) ، ونعم الآل ، والوارد الصادقة إذا كذب الآل ، ومن إذا لم يصلّ عليهم في الصلاة ، حبّطت منها الأعمال ، طيبة الركب ، ونشيدة الطالب ، وسراة لؤى بن غالب ، وملتحى نور الله ، ما بين فاطمة الزهراء وعلى بن أبي طالب . والأداسة الذين سيف جدّهم بالمأذنة العظمى ، والمرقب

(١) هكذا وردت في الملكية . وفي الإسكوريال (فضلة) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وأسرعها) .

(٣) هنا بياض بالإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في هذه العبارة في الملكية . وفي الإسكوريال (سلالة سعد) والأولى أرجح وأكثر

تمشياً مع السياق .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (النجد) .

(٦) زائدة في الملكية .

الأسمى ، منتضى مشهور ، قد سلمته أفلاك ودُهور ، وتجاغت عنه أعوام وشهور .
 فله إذا حذفت ^(١) المعالم ، وطمست للفخر المواسم ، ظهور . ولم تزل الملوك الكرام
 تسندعيهم إلى صدور المجالس ، وتزين عقود المحافل بذررهم النفائس ، وتشركهم
 في المآكل والمشارب ^(٢) والملابس ، وتجعل توفيرهم إلى استخلاص ضماير المسلمين
 ذريعة ، وتقديمهم ديناً ، وتجلت لهم شريعة ، وتبرزهم في المَحُول ^(٣) ، إذا شكا
 الناس نازلهم وجهدهم ، وتستسقى بهم غيث السما ، كما استسقى عمر رضى الله عنه
 بجهدهم ، إلى أن تلا الدهر سورة آل عمران ، فياشد ما أعجز ، ووعد أن يحيى
 بآيتها البينة الشرف ، وآثار من [مضى من] ^(٤) ، السلف ، فوفى وأنجز ، فتوفرت
 رغبات الأعلام على التعلق بعروثهم الوثقى ، وسمت منهم الهمم إلى المحل ^(٥) ، الأرقى ،
 وتبادر الفضلاء والأعوان ^(٦) ، ركضاً ^(٧) ، إلى المنافسة في قُرْبهم وسبقاً ، ابتغاء
 لما عند الله ، فما عند الله خير وأبقى ، واغتيباً بذرية رسوله ، الذى من ظفر
 بقرها أحرز الفخر حقاً . أبقى الله أعلامهم سامية ، وبركاتهم هامية ، وآمال
 العلماء ، وورثة جدّهم ، إلى غاية مجدهم مُترامية . وإن السيد الفقيه الجليل ،
 الكبير الشهير الخطير ، رئيس الفئة العلية العديدة الوافرة ، وصدرُ كتبتها
 الغائمة الظافرة ، وجواد هذه الحُلبة الكريمة ، وفارق هذه الدِّيمة ، تاج المَفْرِق ،
 وفخر المغرب على المشرق ، علم الحلة السُّيرا ، وبركة الدولة الغرّاء ، مهد الأقاليم
 برماح الأعلام ، وآسى الكلوم الرعية برقى الكلام ، وعلم الأعلام ، والمؤمن
 على أسرار ملوك الإسلام ، الذى أصبحت مدينة الملك بيمن نقيبته ، وفضل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (خفيت) .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الفحول) وهو تحريف .

(٤) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (محلهم) .

(٦) في الملكية (الأعيان) .

(٧) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

ضريته، مدينة السلام، وانجلت بنور تدبيره غياهب الظلام^(١)، وهيبته لسعادة الخلق، وإبانة طرق الحق، عناية الملك العلام العالم العلا^(٢)، الأوحد، الطاهر الظاهر، الأسعد، الإمام الذي يقدمه الملوك والأمراء، ونسيج وحده، الذي عدمت له النظراء [وتفصرت عن مدى شأوة النظراء]^(٣)، مسند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، غضبا أعمل فيه ركضاً، وقطع جواً فجواً، وأرضاً فأرضاً، يرى نقله من معدنه فرضاً، حتى لفظ من أدواح المشاهد النبوية أزهاره، وأنفذ ليله في اقتناء الفضائل الجلائل ونهاره، وأسمع بلفظه من فوق المراق السامية، مشايخه وكباره، وقفل عن حج بيت الله وزيارة الرسول، الذي اختاره، قُفُول النَّسِيم عن الروض بعد ما زاره وأودعه أسرارهِ، توجب ملوك الإسلام إثاره، وتجلو عن منصات منابرها أفكاره. صدر الصدور، وبدر البدور، وعلم المرقب المشهور، ومؤمل الخاصة والجمهور، الفاضل الكامل، الحافظ المحافظ، العالم العلم^(٤)، المتقن المصنّف، أبا عبد الله محمداً ابن ولي الله، الذي ظهرت بركاته وتقيدت بالكتاب والسنة [سكناته وحركاته]^(٥)، المعمور الزمن بالأحباب والإنابة، المخصوص الدعوة بالإجابة، الذي واصل في مجاورة حرم الله شتاءً وصيفاً، وأخذته به أكف الاختبار، فلم يك عند الاعتبار زيفاً، حتى أمّ بالمسجد الكريم، وإن كان ضيفاً، وتقدم مضلاًه اختباراً لم يجرّ حيفاً. وحسبك بها فضيلة سلّت عليها عناية الله سيفاً، واختار بذلك البقيع الكريم لَحْذَهُ^٣، منقطعاً إلى الله وحده، فأصبحت تربته مزورة مقصودة، وكرامته مشهورة مشهودة، وفضايله ليست خافية ولا محجوبة، الشيخ الفقيه الجليل الطاهر

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي الملكية (الإظلام).

(٢) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال.

(٣) وهذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال.

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الملكية (العامل).

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (سكنته وحركته).

الظاهر^(١)، القانت العابد، الزاهد المتصوف، الصالح المعظم، المقدس، المرحوم أبو العباس أحمد ابن ولي الله، الرفيع الدرجة لديه والرتبة، الكريم اللحد، الزكى الثربة. الذى تدممت بجواه ملوك وطنه، واستنارت بملحده بين أجدائها ومدفنه، ابتغاء الوسيلة إليه^(٢)، والقربة، الشيخ الكذا^(٣)، أبو عبد الله محمد بن مرزوق، سلالة أولياء الله، الذين شهّرت أحوالهم، وقصّرت على مواهب السعادة آمالهم، وأشرقّت بإدامة ذكر الله خلاهم، جيران تاج العارفين، ومشايخ القايمين بمقام تربته والعاكفين، وعماد العباد المتسمين بولاية الله المتصفين، أبقاه الله للعلم والعمل، وبلوغ الأمل، وتدبير الدولة التى لها الفخر على الدول، وحجة فضل العصور المتأخرة عن العصور الأول، لما كان له فى مضمار الفضل [المشرق الأنوار]^(٤)، بالتقديم والتبريز والكمال الذى خلص منه الإبريز، ونشأ فى حجره، فرع مجده، ونير سعده، سلالة الكرامة والولاية، والمؤمل لوراثه فضله وعلمه، بعد بلوغ عمر النهاية، وهلال سمايه الذى حكمت له بالإبدار، والعصمة من السرار، مخايل البداية، وتوهم امتطاؤه كند المنبر، وهو فى كند الراية، الفقيه الكذا^(٥)، أبو القاسم، بلغه الله فيه [غاية الآمال]^(٦) وحفظ عين^(٧)، كماله من عين الكمال، فهو عين الكمال، نظر له النظر الذى يتكفل بحسن العواقب، ويجمع أشنات المناقب، ورشحه إلى أعلى المراقى والمراقب، وولى فيه وجه^(٨)

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.

(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (إلى الله).

(٣) هكذا فى الإسكوريال، ووردت فى الملكية مكانها الفقرة الآتية (الفقيه الإمام الصالح العابد القانت الخاشع الفاضل الكامل المعظم المقدس).

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٥) وردت مكانها فى الملكية هذه العبارة (التجيب الطالب المدرك الحافظ الأسعد الأرضى).

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ومكانها بالإسكوريال (الأمل).

(٧) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٨) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.

اجتهاد الملاحظ المراقب، شطر النجم^(١)، المُصَاقِب للنجم المثاقب ، [وَأَمْدَلَه]^(٢) الوسيلة إلى الجاشر العاقب ، وذهب إلى أَنَّ يَصُون شِبابه بإحصائه في ريعانه ، ويلبسه ثوب العفاف ، يسحب في ميدانه ذيل^(٣) أَرْدَانِه ، فجالت منه في هذا الغرض الذى يسمح في اقتناء جواهره بالعرض ، الخواطر المقدسة والأفكار ، وقرع باستخارته باب من يخلق ما يشاء ويختار ، حسبما كان يفعله في أموره المهمة^(٤) ، النبي^(٥) المختار ، فانبعث لخطاب ، واعتبرت الأعيان في المدينة التى عظم منها الشأن ، وأقرت بفضلها البلدان ، واستحضرت الأقطاب ، وتَنَخَّل الطاب ، فوقف أمله على هذا البيت ، الذى عقد عليه الخنصر ، والفخر^(٦) ، الذى سمعه السامع ، وأبصره المبصر ، واختار وهو السَّديدة أفكاره ، وعنوان عقل الفتى اختياره ، البيت الذى لا يعدل الاختيار عن جنبه [شَرْفًا وَتَجَلَّةً]^(٧) ، وإِعْظَامًا أصبحت رسومه مستقلة ، خير بيت طلعت عليه الشمس ، وتفرعت من قواعده القواعد الخمس ، وشهد بفخره اليوم والأمس ، وصممت لهيبته^(٨) الشفاه ، فشاها الإشارة والهَمْس . بيت الشرف الذى تعرفه الخيام والحلل ، [لا بل النجد]^(٩) ، والملل ، ومعدن الفخر الذى يضرب به المثل ، ويعمل في تعزيزه وتوقيره أمر الله الممثل . ورمى إلى ذلك الجبل المنيف هَمَّتَه ، وأغرا أمله باختطاطه بناء هذا البناء السعيد فى ذروته وقِمَّتَه ، ومثَّ إليه بوسايله التى لا ترد وأذَمَّتَه ، فخطب منهم السيد الشريف [الظاهر الظاهر الأسعد الأصعد الأُوحد الأمجد

- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المجد) .
- (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية (وَأَمَالِه) .
- (٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فضل) .
- (٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
- (٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المجد) .
- (٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إلهية أو تجلة) .
- (٨) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
- (٩) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

الأعدل الأفضل الأكمل^(١) ، المعظم ، لباب لبابهم ، وعنوان كتبهم ، وواصل أسبابهم ، وبركة شبيبهم وشبابهم ، ذى القدر المنيف ، والحسب الغنى عن التعريف ، الذى تذكر بالغرر الفاطمية عزته ، ويدل على نفاسة ذلك العقد الثمين درّته ، جلس الخلافة وأثيرها ، وعميد العصابة العلوية وكبيرها ، أبو عبد الله محمد ابن علم الأعلام ، وكبير الشرفاء الكرام ، والمعتمد بالإجلال والإعظام ، المتميز بقدم الرسوخ ، ورسوخ الأقدام ، المتمسك من مثوى جده ، بمحط الرّحل ومحل الإلام ، المخصوص بميزات الملوك العظام ، المعتمد منهم بالإحطاء والإكرام ، المتبرّك به وبولده ، من أهل بلده عند اللقاء والسلام [الشريف الكبير الجليل التقي الأبواب الأسعد الأرضى المقدس المرحوم]^(٢) ، أبى عبد الله محمد بن عمران ابن عبد الواحد بن أحمد بن على بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن حمّود بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى الحوطى ، الذى جبر البيت ، وأحيا الحى . وخلف الميث ابن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أبى الله علم أعلام ، ورُكن استلام ، وشهاب هدى يجلو كل الإظلام ، ووسيلة إلى الله فى كشف ضُرٍّ أو استنزال غمام ، على ولده الأسعد أبى القاسم ، بنت أخيه السيد الشريف ، [الأجل الظاهر الأسنى الأعدل الأركى]^(٣) قسيمه فى نسبه ، وما تقرر من حميد مذهبه ، فرع الشجرة الشّماء [والسرحة الهاشمية]^(٤) التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، الذى توسّع بالطهارة والعفاف يافعاً ووليداً ، وأحرز الفخر طريفاً وتليداً [الصالح الفاضل التقي الخاشع المتبرك به المقدس المرحوم]^(٥) أبى فلان قدّس الله تربته ، ورفع فى الملاء الأعلى ، مع سلطنة أولى الفضل الذى تتلى رتبته . وهى الشريفة

(١) هذه الأوصاف كلها واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه الأوصاف واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جميل) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

السعيدة ، الفاضلة الطاهرة ، كريمة شرفه ، وبكر حجابيه ، ودرّة صدفه ، فاطمة ، جعلها الله خير خلف ، من أمهاتها اللائي طال ما اهتدى بهن الرجال ، وإن كنّ نسا ، ونقل عنهن إلى أبنائهن ، وهم المؤمنون ، حكم الله صباحاً ومسا ، خطبة كان السعد قايد زمامها ، واليُمن مقرر أحكامها ، والرضى والقبول ضامني تمامها . فتلقى الشريف الطاهر ، أبو عبد الله عنها بالقبول والرضا خطبته ، وأسعف رغبته ، ورأى أنه كما قيل في أولهم : فحل لا يقدرح أنفه ، وكفو يقتضى العدل والعلمية أن يمنع صرفه ، وعلم لا يجهل اسمه ، ولا يُنكر فعله ، ولا يحذف حرفه . فكان الارتياح والنشاط ، والرضا والاغتباط ، ثم الالتزام والارتباط ، وانعقد بينهما [النكاح في الخطوبة : المماة على بركة الله الباهرة الآيات ، وعلى صداق مبلغه ما بين نقد معجل وكالى مؤجل كذا وكذا ، النقصد من ذاك كذا وكذا والكالى وقدره كذا وكذا ، وسعت المكارمة أنظاره إلى كذا وكذا من الآن]^(١) ، تحمّل والد الزوج ، حرس الله أسباب معاليه ، وبلغه من سعادة الزوجين ما يرتضيه ، جميع ما ذكر ، من نقد الصّدق وكاليه ، [تحمّل حمل لا مدخل للحمالة كحكم فيه]^(٢) وعلى ذلك انعقد النكاح ، وتمت معانيه ، وبسببه استقلت مبانيه ، وهى متصفة بالأوصاف التى تبيح كمال الإشهاد وتسنيّه . تزوجها بكلمة الله ، التى علت الكلمات وفاقبتها ، وبهرت الأبصار وراقبتها ، وتقدمت الأعمال الصالحة فما حدّتها الموانع ولا عاقتها ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، التى انتخبته المارشِد وانتقتها^(٣) [ونظمت الميامن ونسقتها]^(٤) ، وعلى ما أخذَه الله سبحانه ، للزوجات على أزواجهن ، وللأزواج على الزوجات ، من حسن العشرة ،

(١) هذه الفقرة وردت كلها فى الملكية . وورد مكانها فى الإسكوريال هذه العبارة فقط (والأملك السعيد على صداق) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (للحمالة) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ونسقتها) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

وإيجاب الدرجات، وكلاهما غنى عن الوصاة بالآداب الكريمة والخلال المرتضاة، حتى تتكفل المكارمة بقرّة العيون، وانشرح الصدور، وتسعد الشמוש بالبدور، وتزين نجوم سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، آفاق المنازل المباركة والدور، وتنظم في لَبّة المجد انتظام الشذور. شهد [على السيد الفقيه الخطيب والد الزوج، وولده السيد الشريف المعظم أبي عبد الله بن عمران بما ذكر عنهم في هذا الكتاب، وحضر إشهد الزوج من أشهدوه به على أنفسهم وهم بحال صحة كمال الإشهد وعلى أنتم الأحوال المسوغة لهذا المراد كذا] ^(١)، والله عز وجل يجعل هذا العقد، أسعد عقد، حَضَرْت لدعاه الجَلَّة، وسرت بتأني مثله الملة، وأنارت [بسعادته] ^(٢) البدور والأهْلَّة، وثبتت من سنيه وأمانيه [وكونه مؤسساً على تقوى الله ورضوانه] ^(٣)، العقود المستقلة، ويبقيهما في العيشة الرغد، واتصال السعد، وتحت بركة من لهما، من الأب الصالح والجد، ويضفي عليهما من العصمة ^(٤)، درعاً حصيناً، ويجعلهما من أهل السعادة، دنيا وديناً، ويسلك بهما من التوفيق، سبيلاً مبيناً. وصلاة الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله، الذي [بوأننا من السعادة] ^(٥) مكاناً مكيناً، وأجلانا ^(٦)، وجه الفوز، يروق جبيناً، وسلم تسليمًا كثيرًا.

(١) هذه الفقرة الطويلة واردة في الملكية ومكانها في الإسكوريال (شهد عليهم).

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال.

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال.

(٤) وردت في الإسكوريال (السعادة)، والتصويب من الملكية وهو أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي الملكية (من الاعتصام بطاعة الله).

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي الملكية (وجللنا).

ولما توفي السلطان أبو الحجاج رحمه الله، ووُلِّي ولده

رضي الله عنه ، الأمر من بعده ، كان مما صدر عن

البيعة المنعقدة عليه من أهل الحضرة العلية والإيالة

الكرمة النصرية نصاً بعد الفاتحة .

الحمد لله الذي جلَّ شأناً ، وعزَّ سلطاناً ، وأقام على ربوبيته الواجبة في كل
كل شيء خلقه برهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً ، إذ كان وجود ما سواه إمكاناً ،
الحى القيوم حياة أبديةً ، منزهة عن الابتداء والانتهاء ، فلا تعرف وقتاً ،
ولا تستدعى زماناً ، العليم الذى يعلم السرَّ وأخفى ، فلا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في الأرض ولا في السماء ، إلّا أحاط بها علماً ، وأدركها عياناً ، القدير الذى
ألقت الموجودات كلها إلى عظمته ، يد الخضوع إسلاماً^(١) له وإذعاناً ، المريد
الذى بيده تصريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإنَّ منَّع ، منع عدلاً ،
وإنَّ منَّع ، منح إحساناً ، شَهِد [تدوّل الملك]^(٢) ، بزمام ملكه ، ودلَّ حدوث ما سواه
على قَدَمه ، وأثنت ألسنة الحى والجماد على مواهبه وقَسَمه ، وفاض على عوالم^(٣)
السماء والأرض ، بحر جوده العميم النوال ، من قبل سؤاله^(٤) ، وكرمه ، فما من
شيء إلّا يسبح بحمده ، ويثني على نعمه سرّاً وإعلاماً ، فهو الله الذى لا إله إلّا هو ،
ليس في الوجود إلّا فعله ، إلّا له الخلق والأمر ، وإليه يرجع الأمر كله ، وسع
الأكوان على تباينها فضله ، وقَدَّر المواهب والمقاسم عدله ، منعاً ومنحاً^(٥) ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (استسلاماً) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (تداوم الملوك) .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (السؤال) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سمحا) .

وزيادة ونقصاناً . والحمد لله الذى بيده الاختراع والإنشاء ، [ملك الملوك] ^(١) .
 يؤتى الملك من يشا ، [ويعز من يشا ويذل من يشا] ^(٢) ، سبق فى مكنون غيبه
 القضا [وخفيت عن خلقه الأسباب ، وعميت عليهم الأنباء] ^(٣) وعجزت
 عقولهم عن أن تستكشف ^(٤) منها كنها ، أو تدرك منها بياناً . والحمد لله الذى
 رفع قبة السماء ما اتخذ لها عماداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال
 الراسية أوتاداً ، ورتب أوضاعها أجناساً متفاضلة ، وأنواعاً متباينة متقابلة ^(٥) .
 فحيواناً ونباتاً وجماداً ، وأقام فيها ، على ربوبيته ^(٦) حكمة الإبداع والآثار ^(٧) ،
 باهرة الشعاع وإشهاراً ، وجعل الليل والنهار ، والشمس والقمر حِسباناً ، وقدر
 لسياسة سياجاً لعالم الإنسان ^(٨) ، يضم منه ما انتثر ، ويطوى من تعديه ما نُشر ،
 تحمله على الآداب التى ترشده إذا ضلَّ ، وتقيمه إذا عثر ، وتجبره على أن
 يلتزم السنن ، ويتبع الأثر ، لطفاً منه شمل البشر وحناناً . ولما عمّر الأرض بهذا
 الجنس الذى فضّله وشرفه ، ووهب له العقل الذى يفكر به فى حكمته حتى
 عرفه ، وبما يجب لربوبيته الواجبة وصفه ، جعلهم درجات ، بعضها فوق بعض ،
 فقراً وغناً ، وطاعة وعصياناً ، واختار منهم سَفَرَةَ الوحي ، وحَمَلَةَ الآيات ، وأرسل
 بهم الرسل بالدلائل ^(٩) والمعجزات ، وعرفهم بما كلفهم من الأعمال المفترضات ،
 ينجزى الذين أساءوا بما عملوا ، وليجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، [يوم اختبار

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مالك الملك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى لإسكوريال ، وفى الملكية (وينزع الملك من يشا) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تدرك) .

(٥) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٦) واردت فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دلائل) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الإنس) .

(٩) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

الأعمال ، واعتبار الحسنات]^(١) ، ونصب العدل والمُجازات ، في يوم العرض عليه قسطاساً وميزاناً .

نحمده ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، ونشئ على مواهبه الجمّة ، وآلايه الوافرة ، ونمّذ يد الضراعة ، في موقف الرجا والطاعة ، إلى المزيد من منّنه الهامية الهامرة^(٢) ، ونسله دوام ألطافه الخافية ، وعصمته الظاهرة ، واتصال نعمه ، التي لا تزال نتعرفها ، مثني ووحدانا ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له ، شهادة نجدّها في المعاد عدّه وافية ، ووسيلة بالأعمال الصالحة إليه راقية ، وذخيرة باقية ، ونوراً يسعى بين أيدينا ، ويكون على الرضا والقبول فينا عنواناً . ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد النبي العربي القرشي الهاشمي ، عبده ورسوله الذي اصطفاه واختاره ، ورفع بين النبيين والمرسلين مقداره ، وطهر قلبه ، وقدس أسراره ، وبلغه من رضاه اختياره ، وأعطاه لواء الشفاعة ، يقفو آدم ومن بعده من الأنبياء الكرام^(٣) آثاره ، وجعله أقرب الرسل مكانةً ، وأرفعهم مكاناً . رسول الرحمة ، ونور الظلمة ، وإمام الرُّسل الاعمة ، الذي جمع له بين مزية السبق ، ومزية التّمّة ، وجعل طاعته ، من العذاب^(٤) المقيم أماناً ، صاحب الشفاعة التي تُؤمّل ، والوسيلة التي بها إلى الله يُتوسّل ، والدرجة التي لم يؤتّها الملك المُقرب ، ولا النبي المُرسّل ، والرتبة التي لم يعطها الله سواه . إنساناً انتخبه من أشرف العرب أماً وأباً ، وأزكى البرية طينةً ، وأرفعها نسباً ، وابتعثه إلى كافة الخلق ، عجماً وعرباً ، وملاً بنور دعوته البسيطة جنوباً وشماً لا ، ومشرقاً ومغرباً ، وأنزل عليه كتابه الذي آمنّت به الجنُّ لما سمعته ، وقالوا^(٥) ، إنا سمعنا قرآناً

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الملكية كالاتي (اعتبار الأعمال واختبار الحسنات) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (القاهرة) .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وقالت) .

عجباً ، تماماً على الذى أحسن ، وتفصيلاً لكل شئٍ وِتْيَاناً ، فَصَدَعَ صلى الله عليه وسلم بأمر من اختار ذاته الطاهرة ، واصطفاه ، وأدى أمانة الله ووفّاه ، ورأى الخلايق على شفا المتالف فتلافها ، وتتبع أدواء الضلال فشفّاه ، ومحا معالم الجهل وعفّاه ، وشاد الحق للخلق^(١) بنياناً ، مؤيداً بالمعجزات ، التى حُجِّجَها تقبل وتسلم ، فمن جذع إفراده يتألم^(٢) ، وجماد بتصديق نبوته يتكلم ، وجيش شكاه له الظلم ، ففجر لريّه المَعِين منه بناناً . وأى معجزة ككتاب الله ، الذى لا تنقضى عجايبه ، فهو اليمُّ ، والعلوم النافعة كلها مَذَانِبُهُ ، وأفق الحق الذى تهدى فى ظلمات البر والبحر كواكبه ، والحجة البالغة التى أصبحت بين الحق والباطل فُرْقَاناً ، فأشرقت الأرض بنور ربها وآياته ، وتمت كلمة الله صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وبلغ ملك أمته ، ما زَوَى له من أَقْطَار المعمور وجهاته ، حتى عَمَرَ من أكناف البسيطة ، وأرياف البحار المحيطة وهادأً وكُثْبَاناً ، ونقلت كنوز كسرى بعزّ دعوته الغالبة [وظفرت بفلح الحسام عزائمها المطالبة]^(٣) ، وأصبح إيوان فارس ، مجرّ رماح العرب العارية ، وقذفت جنود قيصر من دوايلها بالشهب الثاقبة ، حتى فرّ عن مذرته الطيّبة آيباً بالصفقة الخابية ، وخلصت إلى فسطاط مصر بكتائبها المتعاقبة ، فلا تسمع الآذان فى مقاماتهم إلا إقامة وأذاناً ، ولا دليل أظهر من هذا القطر الأندلسى الغريب ، الذى خاضت إليه بسيفها أثباج البحار على بعد المراحل ، ونزوح الديار ، وتكاثف العمالات ، واختلاف الأمصار ، ومنقطع العمارة بأقصى الشمال ومحط السّفار ، طلعت عليه كلمة الله طلوع النهار ، واستوطنته قبائل العرب الأحرار ، وأرغمت به أنوف الكفار ، ضراباً سبيل الله وطعاناً . ولما استقام الدين ، وتممّ معالم الإيمان الرسول الأمين ، وظهر الحق المبين ، وراق من وجه الملة الحنيفية السمحة الجبين ، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فى الخلق) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

والتبيين، وتقررت^(١) المستندات المعتمداً سنة، وقرأنا أسرة الوحي بالرحلة عن هذه الدار، والانتقال إلى محل الكرامة، ودار القراز، وخير الملك، فاختر الرفيق الأعلى، موقفاً إلى أكرم الاختيار، وجد صحبه رضى الله عنهم، في الاستخلاف بعده والإيثار، حُجَّجاً مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً^(٢) وأنطق^(٣) بالصدق لساناً، صلى الله عليه، وعلى آله وصحابته وأسرته الطاهرة، وعصابته وأصهاره وقرباته، الذى كانوا فى معاضدته إخواناً، وعلى إعلاء أمره الحق أعواناً، نجومُ الملة وأقمارها، وغيوثها الهامية وبحورها، وسيوف الله التى لا تنبو شِفَارُها، وأعلام الهدى التى لا تبلى آثارها، ودعائم الدين التى وقفت على البر والتقوى^(٤) أركاناً، وحياً الله وجوه حى الأنصار، بالنعم والنصرة، أولى اليأس عند الحفيظة، والعفو عند المقدرة، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، ويذهبون برسول الله، فنعمت المنقبة والأثرة، الحائزون ببيعة الرضوان، فضلاً من الله ورضواناً، ووزراؤه وظهراؤه فى كل أمر، وخالصة يوم أحد وبدر، لم يزلوا صَدْرًا فى كل قلب، وقلباً فى كل صدر، [يعلمونه كل حمد، ويصلُّون بنفوسهم فى كل سرٍّ وجهراً]^(٥) ويعملون فى إعلاء دينه. بيضاً عضاباً، وسمراً لداناً، صلاة لا تزال سحائبها ثرة، ونحية دأمة مستمرة، ما لهجت الألسن بشنائيم، ووقفت المفاخر على عليائهم، وتعلمت المواهب عن آلايم، وقصرت المحامد على مُسمَّياتهم وأَسَائيم، وكان حشهم على الفوز بالجنة ضماناً. ونسلك اللهم لهذا الأمر النَّصْر الذى سبَّبه بسببهم موصول، وهم لفروعه السامية أصول، فيالها من نصول خلَّفتها نصول أنجزت وعد النصر، وهو ممطول، وأُحيت

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية بياض .

(٥) وردت فى الإسكوريال (الحائزين) فاقتضى التصويب .

(٦) هكذا ورد ما بين الخاضرتين فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالأق : (يصلون دونه كل بحر

ويعلمونه بنفوسهم فى كل سرٍّ وجهراً) .

ربوع الإيمان وهى طُلُول ، نصرأ عزيزأ ، وفتحأ مبینأ ، وتأيیدأ على أعدائك وتمكينأ ، ومُلْكأ يَبْقَى فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب وسُلْطَانأ . وأعْنأ اللهم على ما أوجبت [من حسن الطاعة] ^(١) وتأيدي الحق بجهد الاستطاعة ، وأعْصِمْنَا بِإِيَالته العادلة من الإِضَاعَة ، واحملْنَا من مَرْضَاتِه على سنن السنة والجماعة ، واجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى قيام الساعة ، واعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا .
أَنْتَ مولَانَا .

أما بعد ما افتتح به من تحميد الله وتمجيده ، والثناء الذى تتعطر الأندية بترديده ، فَإِنَّ من المشهور الذى يعضده الوجود ويؤيده ، والمعلوم الذى هو كالشمس ضلَّ من ينكره أو يجهده ، والذائع بكل قطر ترويه رواة الأنبياء وتسنده ، ما عليه هذا الملك النَّصْرَى الحمى الأنصارى الْمُتَمَتَّى ، الذى يصيبُ شَاكِلَة الحق إذا رمى ، ويعم العباد والبلاد غيثه مهمى همى ، من أصالة الأعراق ، وكرم الأخلاق ، والفضل الباهر الإِشْراق ، والجهاد الذى هو سَمَر الكواكب ، وحديث الرفاق ، وإن قومه الملوك الكرام ، إن فُوجِرُوا بنسب ، ذكروا سعد بن عبادة ومجده ، أو كَثُرُوا بعدد ، غلبوا بالله وحده ، أو استنصروا فرجوا كل شدة ، واستظهروا من عزهم الموهوب ، وصبرهم على الخُطُوب ، بكل عدد وعُدَّة . دارهم الثغر الأقصى ونَعِمَت الدار ، وشعارهم لا غالب إلا الله ونعم الشعار ، زهَاد إذا ذكر الدين ، أَسْوَدُ إذا حميت الميادين ، جبال إذا زحفت الصفوف ، بدور إذا أظلمت الزُحُوف ، غيوث إذا مُنِع المعروف ، أفراد إذا ذُكِر الأُلُوف ، إن بويعوا فالملائكة وفود ، وحملة العلم وحملة السلاح شهود ، وإن ولدوا ^(٢) ، فالسيوف تمايم ، والسروج مهود ، وإن أَصْحَرُوا للعدو فالظلال بنود ، وجنود السَّبع السما ^(٣) جلود .
وإن أظلم الليل أسهروا جُفُونَهُمْ فى حياة المسلمين والجفون رقود . وإن هذا

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (من مفروض الطاعة) .

(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (فاخروا) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الطباقي) .

القطر الذي انتهى سبيل الفتح الأول إلى قاصيته^(١)، وأجبلت قِداح الفوز بالدعوة الحنيفية على الإسلام فأخذ الإسلام بناصيته ، كان من فتحه الأول ما قد عُلِمَ حسباً سَطَرَ^(٢) ورُسم ، وأن موسى بن نصير وفتاه ، حلَّ من فُرْضة مجازة ما حلَّ موسى وفتاه ، وحل الإسلام منه دار قرار ، وخطة حقيقة^(٣) بارتياح واختيار ، وبلد لا يُحصى خيره^(٤) ، ولا يفضلُه بشئ من المزية ما عدى الحرمين غيره ، وامتدته الأيام حتى تأنس العدو لروعته ، وخف عليه ما كان من صرْعته ، وقَدَح فأورَى ، وأعْضَل داؤه فاستشْرِى ، وصارت الصغرى ، التي كانت الكبرى . فلولا أن الله دعم الدين منهم بالعمد الوثيقة حماة الحقيقة ، وأئمة الخليفة ، وسلالة مُفْتَتِحِي اليَمامة ، ومُفْتَحِي الحديدية ، لأجهز النصل ، وأجث من الدين الأصل . لا كنهم انتدبوا إلى إمساك الدين بها انتداباً ، ووصلوا بالإسلام أسباباً ، وتناولها منهم صَقَرُ قَبِيل الخزرج ، ذو الحسام المضرِّج ، والثناء المؤرِّج ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر ، أمير المسلمين المنتدب لإقامة سنة سيد المرسلين ، قدوة الملوك المجاهدين ، نَصَّرَ الله وجهه ، وتقبل جهاده ، وشكر دفاعه ، عن حوزة الإسلام وبلاده . فأقشعت الظلمة ، وتماسكت الأمة ، وكَفَّ العدو وأقْصَرَ ، ورأى الإسلام بمن استنصر ، واستبصر في الطاعة من استبصر ، وهبَّت [بطاعته لله]^(٥) الغزائم ، وكُرِّت^(٦) على العدو الهزائم ، وتوارثوا ملكها ولداً عن أب ، مستنلدين إلى عدل وبذل^(٧) وبسالة وجلالة وحَسَب ، تتضح في أفق الجلال نجوم سيرهم هاديةً للسائرين ، وتفرِّق من سطوتهم في الله أَسَد

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (ناصيته) وهو تعريف .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (خليفة) .

(٤) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (بنصر الله) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وكثرت) .

(٧) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

العرين ، إلى أن قام بالأمر وُسْطَى سلكهم ، وبركة مُلكهم ، الخليفة [الواجبة طاعته على الخلق] ^(١) ، [الشهير بالجلالة والبسالة] ^(٢) ، في الغرب والشرق ، أمير المسلمين بواجب الحق ، صاحب أذبال العفاف والطَّهارة ، السعيد الإيالة ^(٣) والإمارة ، البعيد الغارة ، مَنْ ذَعِر العدو لبارق حُسامه ، وذَخَر الفتح السنَى ^(٤) ، لآيامه ، صَدُرُ الملوك المجاهدين ، وكبير الخلفاء العادلين ، البعيد المذا في حماية الدين ، السعيد ، الشهيد أبو الوليد ، ابن المولى الهمام ، الأُوحد الرفيع الممجّد ، الطاهر الظاهر الأعلى ، الرئيس الكبير الجليل ، المقدس الأرضى ، أُنَى سعيد بن نصر ، فأَحْيَا رحمه الله ، معالم الكتاب والسُنَّة ، وجلى بنوره غياهب الدَّجَنَّة ، وأَعَزَّ الإسلام وحماه ، ورعى ثغر الكفر فأَضْمَاه ، قدَّس الله روحه الطَّيِّب ، وسقى لحده من الرحمة الغمام الصَّيِّب ، وأورث المُلك الجهادى من ولده خير مُلِك ^(٥) قُبِلَتْ منه كف ، واستدار به موكب للجهاد ملتف ، وشمخ بخدمته أنْف ، وسما إلى مشاهدته طَرْف ، وتَأَرَّج من ذكره عَرْف ، وحذى إلى بابهِ حرف ، مولانا الخليفة الإمام ، الملك الهمام ، من أشرق بنور إِيالته الإسلام ، وتشرفت بوجوده اللبائى والآيام ، بَدَرُ الملك ^(٥) ، وشمسُه ، وسرُّ الزمان الذى قصر عن يومه أَمْسُه ، الذى شُهر عدله ، وبَهر ^(٦) فضله ، وظهرت عليه عناية ربه ، وكان المصنوع له فى سلمه وحربه ، مولانا أمير المسلمين ، وقُدوة الملوك المجاهدين ، والأئمة العادلين ، السعيد الشهيد [الظاهر الظاهر الأُوحد الهمام الخليفة الإمام] ^(٧) ، أبو الحجاج رفع الله درجته فى أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وشهادته .

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الواجب الطاعة بالحق) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (الهنى) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الملوك) وهو تحريف .

(٦) وردت فى الإسكوريال (وظهر) والتصويب من الملكية .

(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

فوضحت المسالك وبانت ، وأشرقَت المعاهد وازدانت ، وشمل الصُّنع الإلهي ،
واللُّطف الخفي ، أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له ما عنده ، وبلغ
الأجل ^(١) الذي قدره سبحانه لحياته وحده ، وقبضه إليه مطمئناً ، مستغفراً
من ذنبه ، في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ، كأنما تأهب للشهادة ،
فاختار زمانها ومكانها ، وظهر بالصوم ^(٢) ، نفسه ، التي كرم الله شأنها ، وطيب
ريحها ^(٣) وريحانها ، فوقفت إزاء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتنقذ
بعقد ميثاقها ، من أعلام العلم ، بقاعدة ملكه غرناطة ، حرسها الله التي غيرها لها
تبع ، وحماة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا ^(٤) منتفع ، وخلَص الثقات ،
ووجوه الطبقات على مبايعة وارث ^(٥) ملكه ، بحقه الحائز في ميدان الكمال ،
وإحراز ما للإمامة من الشروط والخلال ، خَصَلَ سبقه ، كبير ولده ، وسابق
أمدّه ^(٦) ، ووارث ملكه ، ووُسطى سلّكه ، وعماد فسطاطه ، [وبدر الهالة من بساطه] ^(٧)
مولانا ، قمر العليا ، وادّة الخلفاء ، وفرع الشجرة الشّما ، التي أصلها ثابت ،
وفرعها في السماء ، الذي ظهرت عليه مخايل الملك ، ناشياً ووليداً ، واستشعرت
الأقطار به ، وهو في المهد أماناً وتمهيداً ، واستبشر الدين الحنيف ، فأتلّع جيداً ،
واستأنف شباباً جديداً ، ناصر الحق ، وغياث الخلق ، الذي تميز بالسكينة
والوقار ، والحياء المنسدل الأسرار ، والبسالة المزهوبة الشُّفار ، والجود المنسكب
الامطار ، والعدل المشرق الأنوار ، وجمع الله فيه شروط الملك على الاختيار ،
مولانا ، وعمّدة ديننا ودينانا ، السلطان الفاضل ، والإمام العادل ، والهامم الباسل ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الأمد) .

(٢) هذه الكلمة واردة هنا في الملكية وأثبتت في الإسكوريال بعد في غير مكانها .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (روحها) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٦) هكذا في الإسكوريال . ومكانها بياض في الملكية .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

الكريم الشمايل ، شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ، [أمير المسلمين ،
وقرة عين المؤمنين ، أبو عبد الله] ^(١) ، وصل الله أسباب سعده ، كما حلّى أجساد
المنابر بالدعا لمجده ، وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بالنصر العزيز ، فما
النصر إلا من عنده . ورأوا أن قد ظفرت [بعروة الحق] ^(٢) أيديهم ، وأمن في
ظل الله رايحهم وغاديتهم ، ودلت على حسن الخواتم مباديتهم ، فبادروا وانثالوا ،
وتبختروا في ملابس الأمن واختالوا ، وهبوا إلى بيعته ، تطيرهم أجنحة السرور ،
ويعلن انطلاق وجوههم بانسراح الصدور . واجتمع منهم طوايف الخاصة
والجمهور ، ما بين الشريف والمشروف ، والروسا أولى المنصب المعروف ، وحملة
العلم وحملة السيوف ، والأمناء ومن لديهم من الألوف ، وسائر الكافة ، أولى البدار
لمثلها والخُفوف . فعدّوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله ، على
الناس ، البرى عقدها من الارتياح والالتباس ، الحائزة شروط الكمال ، الماحية بنور
البيان ظلم الإشكال ، الضمينة حُسن العقبي ونُجج المآل ، على ما بويح عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن له من الصحابة والآل ، وعلى السمع والطاعة
وملازمة السنة والجماعة ، فأيديتهم بالسلم والحرب رد ليد ، وطاعتهم إليه
خالصة في يومه وغده ، وأهواؤهم متفقة حالى الشدة والرخاء ، وعهودهم محفوظة
على تداول السراء والضراء . أشهدوا عليها الله ، وكفّى به شهيداً ، وأعطوا
صفقات إيمانهم تثبيتاً للوفاء بها وتأكيداً ، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقاً وثيقاً
وعهداً شديداً . والله عز وجل يقول ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن
أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً . ومن أصدق من الله وعداً أو وعيداً .
وهم قد بسطوا أيديهم يستنزلون رحمة الله بالإخلاص والإنابة ، وصرفوا وجوههم
إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة . يسألون له خير ما يقضيه ، والسير على

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (العروة الوثقى) .

ما يرضيه ، اللهم بابك عند تقلب الأحوال عَرَفْنَا ، ومن بحر نعمك الكريمة
اغْتَرَفْنَا ، وعفوك ستر عيوننا كلما اجْتَرَحْنَا السيئات واقترفنا . من فضلك
أَغْنَيْتَنَا ، وبعينك التي لا تنام حَرَسْتَنَا وحميتنا ، فانصر حِينًا ، وارحم مَيْتَنَا
وأوزعنا شكر ما أوليتنا ، واجعل لنا الخير والخيرة فيما إليه هديتنا . اللهم إن
قطرنا من مادة الإسلام بعيد ، وقد أحلق بنا بحر زاهر ، وعدوّ شديد . وفيما
أَيْم وضعيف ، وهَرَم ووليد ، وأنت مولانا ونحن عبيد ، اللهم من بايعناه في هذا
العقد ، فأسعدنا بمبايعته وطاعته ، وكن له حيث لا يكون لنفسه ، بعد استنفاد
جهده في التحفظ واستطاعته ، وكَفَّ عنا كَفَّ عدوك وعدوه ، كلما هَبَّت به
رياح طماعته ، يامن يفرده العبد بضراعه ، ونعوذ بحفظه من إضاعته ،
اللهم أدِّعنا حقّه . فإننا لا نقوى على أدائه ، وتولّ عنا شكر سيرته ^(١) وما حمدنا من
سير آبايه ، واحمله من توفيقك على سوايه ، اللهم إنا إليه ناظرون ، وعن أمره
صادرون ، ولإنجاز وعده في نصّر من ينصرك منتظرون ، فأعنه على ما قلدته ،
وأنجز لديننا على يديه ، بما وعدته . فما فقد شيئاً من وجدك ، ولا خاب من
قصدك ، ولا ضلّ من اعتمدك ، آمين آمين ، يا رب العالمين . وكتب الملاء المذكورن
أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما التزموه ديناً ودُنْيَا ،
وسلكوا منه سبيلاً مُبِينًا . في الثناني والعشرين لشوال من عام خمسة وخمسين
وسبعماية .

(١) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

الفتوحات الواقعة والمراجعات التابعة

[صدر عنى كتاب عن أمير المسلمين أبي الحجاج

ابن أمير المسلمين أبي الوليد ابن نصر ، إلى ملك

المغرب السلطان أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن] ^(١)

نصه بعد الفاتحة .

المقام الذى مآثره العلية ^(٢) ، لا تحصى ، ومكارمه [السنية عمّت] ^(٣) ،
الأدنى والأقصى ، وأحكام مجده ثبتت فى كتاب الفخر نصاً ، وبدور سعده ،
لا تخاف بفضل الله نقصاً ، وعزائمه فى نصر دين الإسلام ، تروض من صرف
الأيام ما استعصا ، وتقضى للدين دينه الممتول مستقصا ، مقام محل أخينا ،
الذى نجحت آمال الإسلام فى الاستعانة بجلاله ، وصدقته ^(٤) ، مخيلته فى
كرم خلاله ، وخلصت فى سبيل الله زاكيات أعماله ، وابتدر إلى الإصرار
والإنجاد والجهاد فيه حق جهاده ^(٥) ، بمواعيده الصادقة وعزائمه المتلاحقة وأمواله .
[السلطان الكذا] ^(٦) ، أبقاه الله يجلو بنور سعده كل خطب ، ويحيى بوعده ميث
الرجا فى كل قلب ، ويروض بيمن نقيبته كل صعب ، ويُنسى بمكارمه ذكر
حاتم وكعب ، ويسحب أذيال عزه فى كل سلم وحرب ، ويضرب قِداح النصر
فى مأزق كل طعن وضرب ، موَفِّى ما يجب لمقامه من البر المفروض المحتوم ،
وإمحاض الود الذى لا يعى الظاهر منه بالمضمّر ، ولا المكنون منه بالمكتوم ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (العالية) .

(٣) هكذا وردت هاتان الكلمتان فى الإسكوريال . وفى الملكية (المتوالية عمرت) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (صلقت) .

(٥) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الجهاد) ، والأولى أنسب للسياق .

(٦) وردت بعد هذه العبارة فى الملكية (ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا) .

المُثنى على فضله المشهور ، ومجده المعلوم ، فلان ، سلام كريم طيب عيم ،
كما طلع وجهُ الصباح المشرق ، وقرع أشهب الفجر ثنيةً المشرق ، وهب نسيم
الصباح ، مشقق^(١) الجيب ، مخلّق المفرق ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله ، ولى المحامد على اختلاف الأنواع منها والأجناس ،
ومُسنى الصنائع الكافية والألطف الخافية ، تجلّ مسالكها عن^(٢) القياس ، ومُطلع
بوارق الرجا على هذه الأرجاء ، عند اعتكار ظلام الياس ، ومُنجد كلمة التوحيد
في هذا القطر الغريب الوحيد ، بكل مُوازر من أوليائه ومُواس ، فمواهب
عنايته سبحانه لأهل هذه الأمصار ، على مر الأعصار ضافية اللباس ، ورحمته
لمن بها من المسلمين كفيّلة بانسكاب النعمى وذهاب اللباس . والصلاة على سيدنا
محمد رسوله ، أكرم الرسل من شئت إلى إلیاس ، المبتعث من^(٣) ، خير أمة
أُخرجت للناس ، هادى الخلق إلى سبيل الحق في ليل الشك والالتباس ، والرضا
عن آله وأصحابه ، وأسرته وأحزابه ، غيوث الندى وليوث اللباس ، الذين رفعوا
معالم سنته من بعده على أوثق أساس ، وخلفوه في أمته بالنصر الماضى الصوارم ،
والجود الهامى الغمايم ، والعدل القايم القسطاس ، والدعاء لمقامكم الأسمى بعز
يذل مصاعب الأماني من بعد مصاعب الشماس ، ونصر تهب به ریح الصبا بين
سحاب القِتام ، وبوارق الظبا متأرجه الأنفاس ، وتبارى في ترديد وصفه وتجويد
رصفه ، جِياد اليراع في ميدان القرطاس . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لسلطانكم
العلی سعداً وثيق المباني ، ونصراً كريماً الألفاظ والمعاني ، وصنعاً كفيلاً للإسلام
وأهله ، بنيل الأوطار وبلوغ الأماني ، وعزاً تخفق ظلّاله على الأقاصى والأداني .
من حَمراء غرناطة حرسها الله ، ومسرّة اتصال اليد بسلطانكم الأسعد ، للصدور

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية . (مزع) .

(٢) في الملكية (على) .

(٣) وردت الملكية (في) .

شارحة ، [وفى عوالم الأرواح سارية بارحة] ^(١) ، ولآيات السعادة والصنائع المعادة ، قارحة في القلوب إلى ظلها الوارفة جانحة ، والعيون لأنوارها البادية لامحة ، والألسن بشكرها مادية ، والنفوس في انتشاق ربّاه ، [ومعاطاة محيّاها] ^(٢) تصل اليوم الغادي بالليلة البارحة . والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ، وعندنا لمقامكم العلى ، وُدُّ صَفَتْ موارده العذبة ومشارعه ^(٣) ، وإخلاص كأنه الصبح أشرق مطالعه ^(٤) ، وثناء تآرّج في الأرجاء ذابغة . فنحن نعتدّ بذلك الملك ^(٥) ، الكريمة في الدين صنایعه ، وتؤمّل أضراخه إذا راع الإسلام رايه ، ونلتمس منه علاج هذا القطر إذا اضطربت طبایعه . وإلى هذا وصل الله لكم عوايد النصر على أعدايه ، وجعل عزمكم كفيلاً للدين ببرّ دايه وإجابة ندايه . فإننا ورد علينا كتابكم الذي موقعه عند العدو موقع الكتاب ، وخطابكم المشتمل على المواعد الصادقة ، والعزائم المتلاحقة ، والمكارم الغريب ، فاجتلينا منه سحابة جود صابت على الأرجاء ، وتألّقت من خلّالها بروق الرجاء ، ورُدنا منه روضة تعاهدتها الغمايم . وتفتحت عن أزهارها الصفراء والبيضاء منها الكمايم ، فأهلاً به من خطاب ، تبارى ^(٦) في ميدان الكمال قوله وفعله ، واشتمل بحلّة الفضل الذي أنتم أهله ، وشهدت أغراضه بما لكم من الملّك الرفيع محلّه ، والعزّ المديد ظله ، ونطق بإجابة داعي الله ورسوله مُضْمَنه كله ، أعاد في شرح مكارمكم الحافلة ، وأبدى وأسدى من كرم الخلّة ما أسدى ، وأهدى من نفائس الموالات والأموال ، وصدق الأفعال ، والأقوال ^(٧) ، ما أهدى . فكلما تدبرنا فصوله

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الملكية (ومعاطاة كتوس خيها) .

(٣) وردت في الإسكوريال (وشارعه) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (طلابه) .

(٥) وردت في الإسكوريال (المنائب) والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا وردت في الملكية . وفي الإسكوريال (يبدأ) . والأولى أنسب للسياق .

(٧) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

وتأملنا معانيه التي [شرح الفخر بها] ^(١) محصوله ، واجتلينا منه معاني ، أضاء سواد الحبر نورها ، وجروفاً تحمل المداد ظهورها ، انفسح لنا في إنجاز تلك المواعد ميدان الأمل ، وراقنا تطافر النية ، في تلك المخاطبة السنية والعمل ، والله ما تحليتكم به من كرم الذات ، وكمال الصفات ، وسعادة السيات ، ومضاء العزمات ، وما هياً الله لكم من القبول في القلوب ، والمحبة هي عنوان العناية من علام الغيوب ، وما أنطق به الألسنة من الثناء على رفقكم الموهوب ، وفضلكم الذي اعترف الموجود به والوجوب ، ومجدكم الذي تعاضد منه الموروث بالمكسوب ، زادكم الله من فضله المرغوب ، وسنى لكم من نصر دينه أقصى المطلوب . فصدعنا بذلك الكتاب في الحفل المجمع ، وأشدنا بفضل المرى والمسموع ، وبثنا أنس حديثه بين هذه الأقطار والربوع ، ليثوب الولي منه بالخير المشفوع ، واليسر المعين النبوع ، وينقلب العدو بالروح المروع ، وبحكم مسموعه بتنكير المعارف ، وتكسير الجموع ، إن شاء الله .

وآلئى إلينا رسولكم الشيخ [القايد أبو مهدي ابن الزرقا] ^(٢) وصل الله سعادته ، وحرس مجادته ، ما قصرتموه على المشافهة ، من أَلطاف ^(٣) البر ، ومكنون الود الكريم السر ، فأبلغ في أحكام نقله ، بمقتضى دينه وعقله ، واستوعب ما تحمله ^(٤) عنكم ، بما يليق بمثله ، وخرج عن مضمّن تلك الرسالة الكريمة كله ، وبسط لنا القول إرسالنا الآيئون [صحبتته من بابكم الكريم أعزهم الله] ^(٥) فيما وردوا عليه ، من السهل ^(٦) والرحب ، والمكارم الهامية السحب ، وما تلقوه من

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الملكية (شرح بها) .

(٢) هكذا ورد اسم الرسول في الإسكوريال . وورد في الملكية كالأق (الشيخ الكذا أبا عبد الله الزرقا)

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (لطايف) .

(٤) في الملكية (لقته) .

(٥) ما بين الخاصرتين وورد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الملكية . وفي الإسكوريال (الأهل) والأولى أنسب للسياق .

عزائمكم التي تقذف العدو بالرعب . فتقرر لدينا امتعاض مقامكم الكبير الجلالة ،
الشهير بالسالمة ، واستنبطنا أحكام النصر من ذلك التلقين المبين^(١) وتلك الرسالة .
وهذه البلاد أيدكم الله ، إنما استمسكت [بأسباب تلك]^(٢) الإيالة ، واستركت
بركات مكارمها المثالة ، فأكف سكانها على اختلاف أزمانها إلى تلك العزائم
الماضية تُشير ، وبذلك الهمم العالية ، مهمى طرقها الهم^(٣) تستجير ، وقلوب المسلمين
فيها إلى عوايد سلفكم الأرضين تنجح ، ونفوسهم لا تزال تلوذ منهم بمن يمنع
ويمنع ، فإذا كيف الله لها مثلكم من أبواب ذلك العنصر الطاهر ، وخلاصة الملك
العالي الطاهر ، [فقد جبر القلوب ، وبلغ المطلوب]^(٤) . أمتعنا الله بعصمة مجددكم
وعرف الإسلام بركة سعدكم ، وإنجاز وعدكم . ومن الاتفاق الذي عددناه من
سعادة هديتكم ، وحسبناه من آثار نيتكم ، ما كان من مشاهدة رسولكم ، أعزه الله ،
قفول الجيش بحضرتنا من غزوة أغزيناها إياها إلى جهات عدو الشرق ، أبعد
فيها المغار ، وسام من بها من الروم الصغار ، وأطلق في أوطانها السيف والنار ،
واستباح جملة من القرى بأحواز مدينة الكرّس ، ركبت إليها سراياه ظهر
الليل ، وأطلعت بمطالع فجرها قبل غرة الصباح غور الجبل . وبأكرت أبكارها
وعونها بالويل^(٥) ، ونالت من حماها أعظم النيل ، وأذارت على متدبرها أكواس
المنايا ، واستاقت النساء والحريم سبايا ، ودوّخت أرضاً ، خطب^(٦) القدوم عليها
شديد ، وعهدا بسيوف المسلمين بعيد ، كل ذلك بقوة الله سبحانه وحوله ،
وفضله السابغ وطوله ، وبركة الاعتداد بمقامكم الأسمى ، شكر الله مكارم قوله

(١) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية . ومكانها في الإسكوريال (بتلك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (المكروه) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط في الملكية .

(٥) وردت في الإسكوريال (بالليل) ، والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (خطر) .

وفعله ، فإن العدو أهلكه الله ، يهرب صَوْلَةُ سلطانكم العزيز الأنصار . ويفرق من عزائمكم الماضية الشُّبَا والشُّفَار ، ويعلم أن اتصال اليد باليد ^(١) سبب الدمار له والثُّبَار ، على بعد الدار ، ونزوح الأقطار . فبمقامكم نتوعده إذا تعدَّى ، ونصدُّ عزمه إذا تصدَّى ، على مر الأعصار . حفظ الله علينا إعانة مُلْككم الأسمى ، وأجرى للإسلام عوايد دولتكم العظمى . ومن لدنا أوفدنا على بابكم العلى إرسالنا ، وأغلقتنا بمقامكم المرضى ^(٢) آمالنا ؛ أغزينا الجيش غزوات عظُمت في العدو بها النُّكاية ، وصحبت المسلمين من الله الوقاية ، إحداها ^(٣) وقف الجيش فيها بياض يومه على باب مدينة إِسْتِجَّة ^(٤) ، إحدى المدن الخطيرة ، والقواعد الشهيرة ، ودار الحامية ، ومثوى شوكة الطَّاغية ، وضيق عايها بالقتال ، وأذاقها أليم النُّكال . وبآخره لاكت النار زروعها ، وسكنت حُلَّة ^(٥) البوار ربوعها ، وانصرف عنها المسلمون ، وقد تخلف من بها في عداد الأموات ، لما سأمهم من إهلاك الغلات ، وانتساف الأقوات . وأخرى قصد بها مدينة قيجاطة ^(٦) ، وهي أيضاً من قواعد الثغر وأمانته ، ومقر شرار رماته وركاب حماته ، فرمى غرضها ، واستباح ربضها ، ودوخت سراياه ، ما وراءها من الحصون العلایم والقلاع ، والأقطار الزراعية ^(٧) الأصقاع ، وسلطت النار على ما دنا ونآمن تلك البقاع ، والعدو دمره الله شديد التحذير لأرضه مما يلي هذه البلاد ، وفرسانه المعدة لحماية ثغوره

(١) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (بسلطانكم) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (الماضى) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . ووردت في الملكية (إدرادها) وهو تحريف .

(٤) إستجة ، وبالإسبانية Ecija بلدة أندلسية قديمة تقع جنوب غربى قرطبة على نهر شنيل فرع الوادى الكبير . وكانت أيام الدولة الإسلامية عاصمة لكورة أندلسية مستقلة .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (كلمة) .

(٦) قيجاطة وبالإسبانية Quesada بلدة أندلسية تقع جنوب بلدة أبده ، وشمال شرقى جيان ، وكانت من قواعد الأندلس التى تداولها المسلمون والنصارى مرارا .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الثامنة) .

كثيرة كثيفة الأعداد، فما يفارق الحضرة، إلا على توقع مضرتها، واستدفاع
محدور غرتها. هذا ما عندنا شرحناه إليكم، وألقيناه عليكم^(١)، [وإعانتكم التي
لسبيل الله عينتموها، واقعة من الله سبحانه بمكانه ومكان رجاله منه محل
رضوان]^(٢) شكرنا لمقاصدكم الكريمة، وفواضلكم العيمة، لو استظهرنا عليه
بلسان سحبان، لما جلى عن غرضنا ولا أبان، وإلى الله نكل جزاءكم، ونسله أن
يصل اعتناءكم، ويحرس سناءكم، ويذيع في الخافقين ثناءكم، ورسولكم القايد
[الأجل الرئيس أبو مهدى]^(٣) أعزه الله، يقرر لديكم ما حملناه، ويعرض
بين يديكم ما من الله أماناه، وفضلكم بالإصغاء إليه كفيل، ونظركم جميل،
والسلام.

(١) في الملكية (لديكم).

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال.

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالملكية. ومكانه بالإسكوريال كلمة (فلان) .

وصدر غنى أيضاً في مخاطبة السلطان بالمغرب أمير المسلمين أبي عنان المتقدم ذكره ، معرفاً عن أمير المسلمين أبي الحجاج بن نصر بفتح

حصن قنيط

المقام الذى لأنباء النصر اهتزازه وارتياحه ، وفى سبيل الله عزمه وبأسه وسماحه ، ولجهاد أعدائه تحن جياذه وتميل رماحه ، ومن أفضه الأعلى تنشأ سبحانه وتهب رياحه . مقام محل أخينا ، الذى نعظمه ونجمله ، ونثنى عليه بما هو أهله ، السلطان الكذا^(١) ، أبقاء الله ، ومقدمات رفته صادقة الإنتاج ، ودليل سعده غير معارض فى مناط الاحتجاج ، وحرم عزه ممنوع الحمى ، مرفوع السياج ، وعُقبان راياته تظلل من حماته أسود الهياج . مُعظم مجده المعتد بوده ، الداعى إلى الله فى اتصال سعده ، الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد بن [إسماعيل بن فرج]^(٢) بن نصر ، سلام [كريم]^(٣) عليكم سلاماً يودّه البدر وشما فى غرته ، ويكتبه الصباح الطلق [معوذة]^(٤) فى طرته . يخص مقامكم الأسمى ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد لله الذى يسر لنا من لطفه الخفى سبيلاً واضحاً ومنهاجاً ، وجدّد علينا ملابس الإقبال بسعادة ملككم السامى الجلال ، وقد كادت ترق منهاجاً ، فاتح أبواب الأمل ، إذا سآمتها الشدايد أرتاجاً ، ومسخر ضروب الأيام ، وقد

(١) فى الملكية (ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا) زائدة .

(٢) ما بين الخاصرتين زائد فى الملكية .

(٣) زائدة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

أَعْيَتْ جَمَاحاً وَلَجَاجاً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله ، الذى أطلع منه فى أفق المهدي ، سِرَاجاً وَهَّاجاً ، وأقام به عماد الحق لا يعرف اعوجاجاً ، وعقد عليه من جَاهِ الشَّفَاعَةِ العامة تاجاً ، وأيده بنصره وبالمؤمنين ، وأمدّه فى الأرض بملايكته المُسَوِّمين أَفْوَاجاً . والرضا عن شملته [حرمة جواره ، ووسعته رحمة قربه وحبّه وإيثاره]^(١) صحابة وقرباءً وأزواجاً ، الذين لم يألوا فى شدِّ أَرْزِهِ ، وإعلا أمره التحاماً وامتزاجاً ، وإلجاماً فى مجاهدة عداه وإسراجاً ، فكانوا غيوثاً كلما باشروا احتياجاً ، وليوثاً كلما حضروا هياجاً ، فانبج بهم صباح الحق أنيلاجاً ، ولم يدع هديهم فى النفوس ريباً ، ولا فى الصدور اختلاجاً . والدعاء لمقامكم الأعلى أبقاه الله بحرّاً بأمواج الكتاب الناصرة عَجَاجاً ، وغماما لغيوث المواهب الهامة تَجَاجاً ، وأطلع عليه من أنباء الصنع الجميل على يديه ، ما يهز عطفه الكريم ارتياحاً وابتهاجاً ، ولا زالت كواكب يُمْنِهِ أسعد أبراجاً ، وأدلة سَعْدِهِ ، أوفى حظوظاً فى حدودها وأوفر أدراجاً ، وجعل عزمه الأمضى ، وسعيه الأرضى ، لعلل الدين والدنيا علاجا . فلإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم صنعا ، يسحب من أذيال المسرات المستمرات عَصْباً وديباجاً ، وعزّاً يطوف بمقامه وفود البشائر حجاجاً . من حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ حرسها الله ، وعندنا من الثقة بالله عقود لا يتطرق إليها انفصام ، ومن التوكل عليه حصن حصين إليه فى الشدايد والاعتصام . وجنابكم بعد الله ، هو الملجأ الآخى والمقام ، ولمدونة كتابيه [القول ، إذا اشتد العدو والخِصام ، فلا نزال بيمين الاعتداد لمقامكم الأعلى نَجْتَلِي وجوه السعادة عِيَاناً ، ونعرف ضروب الإعانة والتيسير ، حالى المقام والمسير مثْنَى ووحداناً ، ونجد فيها مدلول قوله سبحانه ، « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً » . وإلى هذا وصل الله سَعْدَكُمْ ، وسَنَى فى أعدايه قصدكم . وإنه تقدمت

(١) هكذا ورد ما بين الخاصرتين فى الملكية ، وفى الإسكوريال (حرمة ووسعته رحمته) .

مطالعة مقامكم بما سنّاه الله لجيش المسلمين في الغزوات المنصوصة عليكم من الصُّنع الكريم ، وأنهم تعاهدوا ما بينهم من ديار الكفار معاهدة الغريم ، وأذاقوا من حلّوا بساحتهم ^(١) من أحزاب الضلال طعم الوبال ، بين إحراق الغلات ، وسبى الحريم ، كل ذلك من غير قوة ولا حول ، ولا بفعل منّا ولا قول ، بل بقوة الله التي لا تُضير معها قلة عدد ، وإعانتة التي هي خير مدد ، وبركة نيتكم التي هي بعد الله أسنى مُعتمد . ورأينا الآن أن نصل فيهم النكاية الماضية بالآتية ، ونقرن الغزاة الصايقة بالشاتية ، ولا نقصر العزم على الفصول المواتية . فأغزينا بالجيش خاصتنا ، الحظي لدينا ، القائد أبا النعيم رضواناً أعزه الله وأسعده ^(٢) ، ووفقه وأرشدته . فنهض لقصده ، ونهض بما نعلمه من جدّه ، وتبعه الجيش يكافحه ^(٣) جيش المزن ، وقد فرّق قبالة ، وطوّر بأعلام البروج ^(٤) جباله ، وصم لوجهه أنفة من حلّ العزم المعقود ، وثقة باشمال المكروه على المودود . وقع التفاوض في الوجه المقصود ، والتماس الأثر المحمود ، وروعيت في طريق الترحيح ^(٥) ضمايم الوجود . فتخلص العزم على قصد الحفرة الغربية لتكون المرفقة أسوغ ونكاية العدو فيما يراه مستخلص قهره أبلغ ، ولأنّ الجهة التي لإيالتكم هي علينا أهم ، والفائدة فيما يختص بهم أعم . فنازل بعد أن تلاحقت الجيوش ^(٦) الغربية ، حصن قنيط ، وهو من أشهر تلك الحصون الأطيبية ذكراً ، وأعظمها نُكراً ، وأشدّها امتناعاً ، وأمدّها في نكاية المسلمين باعاً . ووافق قصده ^(٧) ورود الميرة على سكانه ، فأنحصر فيه من أوصلها من رجال العدو وفرسانه ، وحماة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (بساحتهم) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يكافح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (البروق) .

(٥) وردت في الإسكوريال (الترحيح) ، والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (حشود) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

طغيانه . فشرعت العزائم المسلمة في قتاله ، وسالت جداول السيوف إلى إطفاء نار ضلاله ، وفوقت السهام إلى بُرج سُوره وجلاله ، وأخذ [أمر الله من] ^(١) عن يمينه وشماله ، والجو مع هذه الحال مُرعد مبرق ، والنهار قد تجهّم وجهه المشرق ، وعارض الوبل قد خالط عارض النبل ، والحيلة في افتتاحه لا تهدي لسلوك ما تعرفه من السبل . ثم أذن الله في كَفِّ أَكْفِ المطر ، لتيسير الأمل ، وإحراز الوطر ، فسَقَرَت الشمس من نقابها ، وبرزت مُخَدَّرَتها من حجاب سحبها ، كأنما أعانت على تكميل المراد ، لما تطلعت لمشاهدة الطُّراد [فرشت البلل] ^(٢) ، ونقعت الغلل] ^(٣) ، وأزاحت الكسل ، واستأنفت الفعلة العمل ، وعادوت المقاتلة الأمل ، وحكمت آلات النقب في شارة سُوره ، فقعدت وخرم أساسها ، فاتكأت على دعايم الخشب واعتمدت . ثم تليت عليها آية النهار فخشعت ، ثم سجدت ، ودخل المسلمون جِفْنَه عَنوةً ^(٤) بعد حرب أداروا كاسها ، وموافقة راض النصر سِماتها ، واعتصم حماته بقصبته ، وقد أحيط بهم إحاطة القلادة بالجد ، وراع تثليثهم تجاوب كلمة التوحيد ، وكاتبَتهم صروف المنايا بمرنات الجنايا على المرمى البعيد . فاذعن عميدهم عند ذلك إذعان العميد ، ولجؤا في طلب الأمان إلى الركن الشديد . فظهر أن إجابة سؤالهم تسهيل على أمثالهم ومن يجاورهم من أشكالهم ، من العمل الأكيد ، والرأى السديد . فتسلم المسلمون اليوم الثاني قَصْبَتَه ، وأورث الله دينه الذى حجب عُصْبَتَه ، وتسمنت رايات النصر هَضْبَتَه ، وحلّت كلمة الإسلام من بعد العطل لَبَّتَه . وهذا المِعْقَلُ أيدكم الله ، إليه تنسب الحفرة

(١) وردت مكانها في الإسكوريال (من الطرق) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (فشت الغلل) والأول أرجح .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية في هامش الصفحة وهي ساقطة في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

[القَنِيطِيَّة] ، وفي ساحته لمرتاد الخصب منتهى الطَّيَّة [ومناخ الطَّيَّة] ^(١) ولما يجاوره من الحصون بسببه ، إن شاء الله يَنْتَشِر سِلْكُهَا ، ويتيسر مُلْكُهَا ، فَإِنَّمَا هُوَ دِينٌ ، اقْتَضَيْتْ مِنْهُ دُفْعَةٌ ، وحقٌ مشترك ، اسْتُخْلِصَتْ بعضه ^(٢) شُفْعَةٌ ، وبابٌ تفتحت منه فُرْجَةٌ ، وخصامٌ وضحت منه حُجَّةٌ ، وعما قريب إن شاء الله [بمعاهدتكم الكريمة] ^(٣) ، نستوفى من العدو الدُّيُون ، وتُقَرَّر باستخلاص ذلك الحق العُيُون ، ويُفْتَح الباب ، وتتقطع بالخصم الألد الأسباب . وموقع هذا الحصن من طاغية العدو ، قَصَمَهُ اللهُ ، الموقع الذى ينغصُّ أنسه ، ويوحش نفسه ، وقد رَتَّبَ فيه الحماة ، واختير له الرجال والرُّماة ، بخلال ما يقع نظرهم فى إضافته إلى ما يرجع لرُنْدَةِ حرسها الله ، من الثغور ، وتعرَّف نُكْرَتُهُ بالإضافة إلى عِلْمِكُمُ المنصور ، فهو طليعة الفتوح التى فى إيالتكم العالية ترْتَسِم ، ومبدأ ^(٤) الحصون التى فى سِلْكِكُمُ الرفيع بحول الله تَنْتَظِم . وانصرف الجيش المبارك عنه ، حميد السَّعَى ، شديد الرِّقَى ، واستُنْزِلَ مِنْهُ من الأعداء ، أولى القوة والبأس ، والنفوس الحميمة الأنفاس ، جملة تُناهِز الماية . لو لم يكن فى هذا الفتح إلا أن العدو تَكِل ^(٥) ، دفاعهم عن حَوَازَتِهِ ، وكفى الله الإسلام شرهم بعزَّتِهِ ، وتخلَّص من كان به من أسرى المسلمين ، ولحقوا بأهليهم سالمين . ولما كَيْفَ اللهُ هذا الصُّنْع ، قابله معظم مقامكم بالشكر الذى يَسْتَدْعَى المزيد ، ويقربُّ الأمل ^(٦) البعيد ، وعرف به مقامكم الأسمى ، لياخذ من ذلك بالحظ الأوفى ، والشكر الذى يقرب إلى الله زلتى ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) واردة فى الإسكوريال ومكانها بياض فى الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (وميدان) والأولى أرجح .

(٥) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأجل) .

فإنَّ نَسَبَ هذا الفتح إلى عمود مُلِكِكُمْ نسب صحيح ، وشاهده في الانتهاء إلى معاليكم عربى فصيح ، فإنما هو ثمرة أمدادكم ، عرض على مقامكم [الأسمى ليأخذ من ذلك بالخط الأول] ^(١) . ولا خفاء بما هو عليه الإسلام في هذه الأقطار الغريبة من انقطاع المَدَد ، وتعذر العُدَد ، والقِلَّةُ التى ليس بينها وبين عدها نسبة من نسب العدد ، فجميع ما يُسنى الله له من النِّسَبِ الأسعد ، وما تحقَّقه . ٤ -

وصدر عني أيضاً في مخاطبة المذكور عند إقلاع

ملك قشتالة عن جبل الفتح^(١) ما نصه:

المقام الذي أنارت آيات سعه في مَسْطُور الوجود ، وتبارت جياد مجده في
ميدان البناس والوجود ، وضمنت إِيالته لمن هذه الأقطار الغريبة تجديد السُّعود
[وإعادة العهود]^(٢) ، واختلفت كتاب تأييده لوقته المشهور فينا ويومه
المَوْعود^(٣) ، مقام محلّ آخينا ، الذي نعظمه ونُجلّه^(٤) ، ونُوجب له الحق الذي
هو أهله ، السلطان أبي عنان ابن السلطان [أبي الحسن أبي سعيد ابن السلطان أبي
يوسف بن عبد الحق]^(٥) ، أبقاه الله يتهلل للبشرى جنابه ، ويفتح لوارِد الفتح
اللاهي بابه ، وتعمل في سبيل الله مكارمه وعزائمه وركابه ، ويتوفر بالجهاد
فيحيا مجده وسعده ، وفخره^(٦) وثوابه ، [معظم مقامه]^(٧) ، الأمير عبد الله يوسف

(١) جبل الفتح أي جبل طارق ، وهو الاسم الذي أطلقه عليه الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي ، وذلك
حينما زار الجبل في أواخر سنة ٥٥٥ هـ (١١٦١ م) . والحادث الذي يشير إليه ابن الخطيب في هذه الرسالة
مختص بأن ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر غزا سهل الجزيرة الخضراء في سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ، ثم
تسرب الحصار حول جبل طارق ، طمعاً في الاستيلاء عليه . وكانت تدافع عنه حامية مغربية قوية ، وكان
الجيش الغرناطي في نفس الوقت بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج يرايط في مؤخرة النصارى ، وطال الحصار
وخبت قوى النصارى . ثم فشا الزباء الوارد من المشرق في الجيش النصارى ، وهلك ملك قشتالة في مقدمة من هلك
من جنده ، واضطر النصارى إلى رفع الحصار ، وذلك في سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) ، وأنقذ بذلك
الشغل المنيع .

(٢) هذه الزيادة من الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المشهود) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (نرفمه) .

(٥) ما بين الخاصرتين زائد في الملكية . ومكانه في الإسكوريال (الكذا) .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

وتعاملون الله على إظهار دينه وإعلاء أمره . هذا ما تزيّد عندنا ، أرادنا به إعلاء
وأنتم عدة الإسلام
وتعاملون الله على إظهار دينه وإعلاء أمره . هذا ما تزيّد عندنا ، أرادنا به إعلاء
وخاطبنا بنفسه مقامكم . والله يصل عليكم ورحمة الله

هذا
في
١١٦١ م
(١)

ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ، أيده الله ونصره وسنى له
الفتح المبين ويسره . سلام كريم ، مشفوع بالبشائر والتهاني ، محفوظ الركائب
ببلوغ الأمانى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مطلع أنوار الصباح العجيبة متألقة الغرر ، ومنشى سحاب
الأنطاف الكريمة الأوصاف هامية الدرر ، الكريم الذى يجيب دعوة المضطر إذا
دعاه ، ويكشف سوء ما أمره ، إلا واحدة كلمح البصر ، حُجب مكامن العافين
فوق الفطن ومدارك الفطر ، فما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هى إلا ذكرى
للنشر ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المعجزات [الباهرة ،
والآيات]^(١) الكبير ، الذى بجاهه الحصين تمتنع عند استشعار الحذر ، وبنور
هده نستضي عند التباس الورود والصدور ، فنحصل على الخير العاجل والمنتظر .
والرضا عن آله وأصحابه الكرام الأثر ، الذين جنوا من أفنان الصبر فى الله ثمار
الظفر ، وفازوا من إنجاز الوعد بأقصى الوطر ، وانتظموا فى سالك الملة الرفيعة
انتظام الدرر ، والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال المسرات وتوالى البشر ، والسعد
الذى تجرى بأحكامه النافذة تصاريف القدر ، والصنع الذى تجلى عجائبه
فى أجمل الصور . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من خطوة فضله وإحسانه
أجزل الأقسام ، وعرفكم عوارف نعمه الثرة وآلايه الجسام . من حمرء غرناطة
حرسها الله ، واليسر بفضل الله ، طارد الأزمات بعد ما قعدت ، وكاشف الشدايد
بعد ما أرعدت وأبرقت ، ثم بما عندنا من الاعتداد بإيائكم التى أنجزت لنا فى
الله ما وعدت ، ومددنا إليها يد الانتصار على إعدائه فأسعدت ، آلاء الصنع

العجيب ، والبسر الذى أتاح ألطفه السميع المجيب ، واليُمن الذى رفع عماده التيسير الغريب ، وضرب رواقه الفرج القريب . وإلى هذا أيدكم الله على أعدائه ، وأجزل لديكم مواهب آلايه ، وحكم للإسلام على ידיكم بظهوره واعتلايه ، وعرفكم من أخبار الفتح المبين [الموقع] ^(١) ، وأنبيائه ، كل شاهد برحمته واعتنايه . فإننا كتبناه إليكم ، فحقق لديكم البشرى التى يمثلها تمضى ^(٢) الركائب . ويخاض العُباب ، ونعرض عليكم ثمرة سعدكم الجديد الأثواب ، [الفتح الأبواب] علماً بما عندكم من فضل الأغراق ، وكرم الأخلاق ، وأصالة الأحساب ، والمعرفة بمواقع نعم الله التى لا تجرى لخلقه على حساب ، والعناية بأمور هذا القطر ، الذى يتعلق بأذيال مُلككم السامى الجناب ، وقد تقرر لدى مقامكم الأسمى ما كانت الحال آلت إليه بهذا الطاغية الذى غره الإمهال والإملاء ، وأقدمه على الإسلام التمحيص المكتوب والابتلاء ، فتملاً نيهاً وعُجباً ، وارتكب من قهر هذه الأمة [المسلمة] ^(٣) مَرَكِباً صعباً ، وسام كلمة الإسلام بأساً وحرباً ، بكتائب برّه توسع الأرجاء [طعناً وضرباً] ^(٤) ، وكتائب بَحْرِهِ تأخذ كل سفينة غصباً ، والمخاوف قد تجاوزت شرقاً وغرباً ، والقلوب ، قد بلغت الحناجر غمّاً وكرباً ، وجبلُ الفتح ، الذى هو باب هذه الدار وسبب الاستعداد على الأعداء والانتصار ، ومسالك الدين الحنيفى إلى هذه الأقطار ، قد رماه [ببوابه] ^(٥) ، وصير ساحتَه مَجَرَّ عواليه ، ومَجَرى سوابقه ، واتخذ دار مُقامه ، وجعله شُغل يقظته ، وحِلْم منامه ، ويسر الله له ما يجاوره من المعامل ، إملاءً من الله لأيامه ،

(١) هذه الكلمة الزائدة من الملكية .

(٢) واردة في الملكية ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) هذه الزيادة من الملكية .

(٤) الزيادة من الملكية .

(٥) هذه الزيادة واردة بالملكية وساقطة في الإسكوريال .

فاستقرَّ به القرار واطمأنت الدار ، وطال الحصار ، وعجزت عن نَصْر الجبل الأنصار ، ووجمت الظنون وساءت الأفكار [وشجر] ^(١) نظار القلوب الاضطراب إلى رحمة الله والافتقار ، فجبر الله الخواطر لما عظم بها الانكسار ، ودار بإدالة الإسلام الفلك الدوار ، وتمخض عن عجائب صنْع الله الليل والنهار ، وهبت فواسم الفرج عاطرة الأرج عمن يخلق ما يشاء ويختار ، لا إله إلا هو الواحد القهار . وبينما نحن نخوض من الشفقة على ذلك المِعْقَل ، العزيز على الإسلام لجة مترامية الغارب ، ونقتعد منه صعباً لا يلين لراكب . ولولا التعلق بأسبابكم في ارتداد تلك الغياهب ، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامية المواهب ، ومواعيدكم الصادقة ، ومكارمكم الغرايب ، وكتبكم التي تقوم عند العدو مقام الكتاب ، وإمدادكم المتلاحق تلاحق الصبا والجنائب ^(٢) ، لما نآ الكفر بصفقة الخايب ، إذ تجلى النور من خلال تلك الظلمة ، وهبت سحايب الرحمة والنعمة على هذه الأمة ، ورمى الله العدو بجيش من جيوش قُدرته ، أغنى عن العديد والعُدَّة ، وأرانا رأى العيان لطايف الفرج بعد الشدَّة ، وأهلك الطاغية حتف أنفه ، وقطع به عن أمله قاطع حتفه ، وغالت أيدى المنون في غيِّله ، وانتهى إلى حدود القواطع القوية ، والأشعة المريخية تصير دليله . فشَفَى الله منه داءً ، وأخذَه أشد ما كان [اعتداداً] ^(٣) ، واعتداءً ، وحمى الجزيرة الغريبة ، وقد صارت نهباً لحماته ، وأشرقه بريقه ، وهى مُضْغَةٌ في لهواته ، سبحانه لا مبدل لكلماته . فانتثر سلكه الذى نظمه ، واختل تدبيره الذى أحكمه ، ونطق بتبار محله ^(٤) . ألسنة النار ، وعاجلت انتظامها أيدى الانتشار ، وركدت ريحه

(١) هذه الكلمة واردة في الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هذا في الإسكوريال . وفي الملكية (العظام الجنائب) .

(٣) زائدة في الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (محلاته) .

الزُّعْزُع من بعد الإغْصَار ، وأَصْبَح من استظهر به من الأشْيَاع والأنْصَار ،
يُخْرِبُون بيوتهم بأيديهم ، وأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ ، فاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ ، وولوا به
يُحْثُونَ التُّرَاب من فوق المْفَارِق والتُّرَابِ [ويُخْلَطُونَ تَبَر السَّيَال الصَّعْب بِدَوْب
الدَّوَابِ] ^(١) ، قد لبسوا المَسُوح حزنًا ، وأرسلوا الدموع مُرْنًا ، وشقوا جيوبهم
أَسْفًا ، وأَضْرَمُوا [قلوبهم] ^(٢) تَلْهُفًا ، ورأوا أَنَّ حصن إِسْتَبُونَه ^(٣) لَا يَتَأْتَى لَهُمْ به
امْتِنَاع ، ولا يُمْكِنُهُمْ لِمَنْ يرومه من المسلمِينَ دِفَاع ، فَأَخْلَوْهُ مِنْ سَكَّانِهِ ، وعاد فيه
الإِسْلَام إلى مكانه ، وهو ما هو من طِيب البُقْعَةِ ، وانفَسَاح الرُّقْعَةِ ، وأَوْتَسَكَ به
الْعَدُو ، لكَانَ ذَلِكَ الْوَطْنَ بِسُوءِ جَوَارِهِ مَكْدُودًا ، والمَسْلَكُ إِلَى الْجَبَل ، عَصَمَهُ اللَّهُ ،
مَسْدُودًا ، فَكَانَ الصُّنْعُ بِهِ طَرَاظًا [على عَاتِق] ^(٤) تِلْكَ الْحُلَّةُ الضَّافِيَّةُ ، وَمَزِيدًا
لِحَسَنِ عَارِفَةِ اللَّهِ الْوَارِفَةِ . فلما استجَلَيْنَا غُرَّةَ هَذَا الْفَتْحِ الْهَنِيِّ ، وَالْمَنْحِ السَّنِيِّ ،
قَابَلَنَا بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَمْدِهِ ، وَضَرَعْنَا إِلَيْهِ فِي صَلَةِ نِعَمِهِ ، فَلَا نِعْمَةَ إِلَّا مِنْ
عِنْدِهِ ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ عِنَاؤُنْ عَلَى يَمَنِ مَلِكُكُمْ الْأَعْلَى ، وَعِلَامَةٌ عَلَى سَعْدِهِ ، وَأَثَرُ نِيَّتِهِ
لِلْإِسْلَامِ وَحَسَنِ قَصْدِهِ ، وَفَخِرَ ذَخَرَهُ اللَّهُ لِأَيَّامِكُمْ لَا نِهَايَةَ لِحَدِّهِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَرَفْتُمْ وَجْهَ
عِنَايَتِكُمْ إِلَى هَذَا الْقَطْرِ ، عَلَى نَآيِ الْمَحَلِّ وَبَعْدِهِ ، وَلَمْ تُشْغَلْكُمْ الشَّوَاغِلُ عَنْ [إِصْلَاحِ
شَانِهِ] ^(٥) وَإِجْزَالِ رِفْدِهِ . وَأَمَّا الْبَلَدُ الْمَحْصُورُ ، فَظَهَرَ فِيهِ مِنْ عَزْمِكُمْ الْأَمْضَى ،
مَا صَدَّقَ الْأَمَالَ وَالظَّنُّونَ ، وَشَرَحَ الصَّدُورَ وَأَقَرَّ الْعُيُونَ ، مِنْ حُلَّةِ الْإِمْدَادِ عَلَى
الْخَطَرِ ، وَتَعَدَّدَ السَّابِلَةُ الْبَحْرِيَّةُ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ ، وَتَعَدَّدَ الْوَطَرُ ، وَاخْتِلَافَ الشَّوَانِي
الَّتِي تَسْرَى إِلَيْهِ سُرَى الطَّيْفِ ، وَتُخْلَصُ سَهَامُهَا إِلَى غَرَضِهِ ، بَعْدَ أَنْتَى وَكَيْفَ ،

(١) ما بين الخاصرتين وَاَرَدَ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَسَاقَطَ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٢) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) إِسْتَبُونَه أَوْ إِسْتَبُونَةُ وَابِلِإِسْبَانِيَا Estepona ، هِيَ قَاعَةُ حَصِينَةٍ تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْمَتَوَسُطِ
عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ شِمَالِ شَرْقِ جِبَلِ طَارَاقِ .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

حتى لم تعدم فيه مِرْفقة يسوء فقدانها ، ولا عدة يهم شأنها . فجزاؤكم عند الله موفور القسم ، وسَعْيُكُمْ لديه مشكور الذم ، كافاً الله أعمالكم العالية الهمم ، وخلالكم الزاكية الشيم ، فقد سعد الإسلام ، والحمد لله بملككم الميمون الطائر ، وسرت أنبياء عنايتكم بهذه البلاد كالمثل السائر ، وما هو إلا أن يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، وتنازع الأمر [بين] ^(١) أصنافهم ، فنغتنم إن شاء الله فيهم الغرة ، التي ترتقبها العزائم الشريفة ، والهمم المنيفة ، وتجمع شيمكم العليا ، بين فخر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكمال الذي لا شرط فيه ولا ثنياً . فاهنئوا بهذه النعمة التي حباها الله إليكم ، والتحفة التي بعثها السعد إليكم ^(٢) ، وإنما هي بتوفيق الله ثمرة إمدادكم ، وعقبا جهادكم ، أوزعنا الله وإياكم شكرها ، وألهمنا ذكرها ، عرفناكم بما ورد من البشائر علينسا ، عملاً بما يجب لمقامكم من الإعلام بالمتزيدات ، والأحوال الواردات ، ووجهنا إليكم بكتابنا هذا من ينوب عنا في هذا الهنا ، ويقرر ما عندنا من الولاء ، وما يزيد لدينا من الأنباء ، خالصة إنعامنا ، التمييز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا [الحظي لدينا المقرب إلينا] ^(٣) القاييد أبا الحسن عبادا ، وصل الله عزته ويمن وجهته . ومجدكم بنعم بالإصغاء إليه ، فيما أحلنا فيه من ذلك عليه . والله يصِل سَعْدكم ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . [وكتب في اليوم الثالث من شهر الله المحرم عام أحد وخمسين وسبعمائة] ^(٤) .

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (إلى هامكم) .

(٣) هذه الزيادة من الملكية .

(٤) هكذا ورد تاريخ الرسالة في الإسكوريال ، ومكانها في الملكية (وكتب في كذا) .

وصدر عني في أول الحركة الجهادية لهذا العهد وقد تحرك السلطان أعزه الله إلى حصن أشير القريب الجوار لأرض النصارى ، بأهل حضرته وما يجاورها من الأماكن الغربية ، وكان إملأ هذا الكتاب قبل إعمال الحركة بيوم ، فلم تبدل منه لفظة واحدة ، إلهام من الله عز وجل وافق ما وقع في ذلك الفتح القريب ، وقعدت نايباً عن السلطان بدار ملكه على عادتي فكتبته عنه كاتب إنشايه ، معرفاً بذلك صاحب المغرب ^(١)

المقام الذي يُحيى بعز الدين الحنيف وجهه ، ويُطرب ^(٢) بخبر الفتح على [أهل] ^(٣) لا إله إلا الله سمعه ، ويُشرح بنصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة صدره ، مقام محل أختينا ، الذي ينجدنا بفضل الله عزمه ، ويمدنا سعده ، ويؤخرنا وعده ، وَيَحْسُنُ بِإِعَانَتِنَا ^(٤) بالقول والعمل قصده ، السلطان الكذا ، أبقاه الله عيماً فضله ، رفيعاً مجده ، ماضياً عزمه . [من معظّم قدره وملتزم برّه] ^(٥) المطنّب في حمده وشكره ، [الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر] ^(٦) . سلام كريم عليكم ^(٧) ورحمة الله وبركاته .

(١) هذا التعريف المفصل وارد في الإسكوريال ، وورد مكانه في الملكية فقط هذا العنوان (ومن ذلك ما صدر عني عند استفتاح حصن أشرأمة الله) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ويطرب) .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (في أعانتنا) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (معظماً قدره وملتزم برّه) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٧) هكذا وردت صيغة السلام في الإسكوريال . ووردت في الملكية كالاتي (سلام كريم برعميم يخص مقامكم) .

أما بعد حمد الله القوى العزيز ، المُبْدِي المُعِيد ، الولي النصير ، كافي المتوكلين ، وولي المؤمنين ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، قُدوة المجاهدين ، وإمام الصابرين . والرضا عن آله وأصحابه ، المهتدين بهديه ، السالكين في جهاد عدو الله على نَهْجِه ، حتى استقام عمود المسلمين من بعده ، وبلغ التخوم القاصية نور دعوته ، فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أجر من ساهم وأعان ، وأنجد وقوى ، وشمر في جهاد الكافرين عن الساعد الأقوى ، وعامل من إليه الرجعى ، وأخذ بالحظ الرغيب من السرور ، بما يسر الله وسنى . من منزلنا السعيد على المسلمين ، بظاهر حصن أشير ، حماه الله ، ولا زائد إلا الفتح والمنح ، والظهور الذى احتفل به الصُّقْع ، وجمَّ اللطف . والحمد لله الذى بيده الأمر ، مُجْزِلُ المِنَنِ ، ومُخَوِّلُ الآلاء والنعم ، اللهم المنعم ^(١) الولي النصير ، سبحانه لا إله إلا هو . وقد كنا عرفناكم ما أنعم الله به على المسلمين ببركتكم ^(٢) من فتح بُرْغَةِ ، واتصال سببهم من إخوانهم ، من بعد الانبتات والانقطاع وتبر ^(٣) جرثومة الإسلام ^(٤) من تلك الأحواز المسلمة والأصقاع ، فأصبح الشمل جميعاً ، والمنشور منظوماً ، والسبيل قصداً ، والفرقة جمعاً . وما استضيف إلى ذلك من فتح ، كَمَلِ النعمة ، وتم العارفة . ثم أننا رأينا أن الإسلام لا يقرُّ به قرار ، مع كون حصن أشير ركاباً لعدوه ، وسلماً لكيدِه ، ودرباً إلى غارات الكافرين ، وفُرْضة إلى مسارب أعداء الدين ، إذ لا تضبط ما بينه وبين الحدود الإسلامية الرتب ، ولا تغنى المسلحة ، ولا يجدى الحذر ، فإنه الجارح المحلِّق ، والبازي المطل ، واليد المحكمة ، والداء الدفين ، مقضُّ المضاجع ، وقالى مكانم المسارح ، ومضمي أهداف السواحل . فأهْمْنَا شَأْنَهُ ، وحمانا الرقاد بْثُهُ ، ونغص علينا العيش شبَّحه .

(١) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) هكذا في الملكية . وفي الإسكوريال (المسلمين) والأولى أرجح .

واستخرنا الله في قصده ، وسألناه الإعانة على فتحه ، وتيسير صعبه ، فخلق الله سبحانه عندنا الشهود إليه ضربة لازب ، من غير أن نريح الجيش ، ولا نعيد الرأي ، وأشعنا للحين تغيير الجهاد ، ولم نستدع لمأدبة هذا الفتح إلا الأولياء من أهل وادي آش وسنلدها ، وإقليم الحضرة وما اتصل ^(١) بحوزها ، وخيمنا من الغد بظاهرها ، في عفو من الإحتشاد ، ونقاوة من الرجل ، وخف إلا من آلات الحرب ، حرصاً على كتمان القصد ، واستصحبنا أعجلاً تحمل جوالقات ^(٢) السهام وآلات الهدم ، وماعون النقب من الدبابات ^(٣) والستائر الخشبية ، والنفوط والترسة والدرق ، إلى الحصاصيد والسلام ، وألقت الحضرة بأفلاذها . فلم يتخلف عنها محتلم فمن فوقه . وبرزوا في رحل الربا ، زادهم الله نماء وكثرة . وصبحنا ليوم الثلاثاء فجر أولى مظنات ليلة القدر من هذا الشهر المبارك ، فصكت أسماع من به طبول الجهاد التي قدم بها العهد ، وانتشرت حوائيه رايات الصبر ، التي راق منها الجيش ، ورف عليها العز ، ودارت بها المقاتلة المسلمة ، التي لا يخامرها الرعب ، ولا يداخلها الذعر ^(٤) ، وهو مصام منيع ، ومعقل شهير وبلا مبين . قد صرّف إليه الكفر لما ملكه عزمه ، وأغرى به همه ، فسد ثلمه ^(٥) وأصلح خطله ، ونظر إلى عوراته فأوسعها تحصينا ، حتى قطع الأطماع ، وتبرّ الآمال . وكان به عسددجم من رماة الشعرا ، ومساير الحرب ، وأولى الشهرة من السلاح والعدة ، كلُّ مُحسب في الحاجة ، ومُغن في الشدة ، إلا أن الله لا تغالب قدرته ، ولا تُطاول

(١) هكذا بالإسكوريال وفي الملكية (أدخل) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) واردة بالإسكوريال ، ومكانها بياض بالملكية .

(٥) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

عزته [^(١)] ، ولا يرد عن القوم الكافرين بأسه ، فتعلق به المسلمون يخوضون غمار الشهادة ، ويتزاحمون على مراتب المنية ، ويسمحون في مبايعة الله بالنفوس الزكية . فاقتُحمت المائدة المتصلة به ، ولجأ إلى الحصن من كان به من الحامية ، فخلفهم المسلمون ، وهى أولى علامات الظهور ، ومبدئ الفتح المصور ، وقاتلوا ذلك العقاب المروم من جهاته ، وأوسعوا أسواره المنية نقباً ، وحفايره العميقة ردماً ، وصبروا صبر الأبلج فكراً ، ولا يعطى مقادة التصور وهماً ، كأنما ^(٢) هو آثار من آثار عناية الله ، قديم بها للدين عهداً ، وأحمد الله بها للإسلام صنْعاً ، ورأى الأعداء من قدرة الله ، ما راع أفئدتهم ، وأذهل عقولهم ، وفشت فيهم الجراح ، وعجزت منهم الحيل ، فأشاروا ^(٣) إلى طلب الأمان ، بعد أن [بالغوا في الأعذار] ^(٤) ، وبلغوا أبعد مبالغ ^(٥) الصبر ، فقبولوا بانبعاث القصد ، وتنصيم الرغبة ، وأنزلوا عن الأبلق الفرد ، لا بل عن مركز النجم ، وعلت فوق أبراجه رايات الإسلام ، وارتفعت بكلمة التوحيد . وأخذ بيوت عباد الله التطهير وتناول بمثاله التثمير ، وأنزل ناقوسه إنزال التّهوين ، وحلت به على المسلمين عوارفُ الفتح . وللمحين شرعنا في سد ما ثلم من أسواره ، وهُم ^(٦) من شرفاته ، وبقر من بطون مسافاته ، فعمَلنا بيدنا ، [في سبيل الله] ^(٧) ، اقتداءً بِنبيِّنا صلوات الله وسلامه عليه ، نقلاً للآلة ، وعملاً بالمواعين . نسَلُهُ جل وعلا ، أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه ، وذريعة إلى قربهِ ، وأن يجعل غُباره لنا أماناً من

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (فإننا) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (فأشاروا) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مبايد) .

(٦) هكذا في المخطوطين .

(٧) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

دخان ناره ، وأن يسهمكم في أجره . فلو أَبْصَرْتُمْ جد هذه الأمة الغريبة ، لغلبتكم دموع الرقة ، واستفزتكم بواعث الحمية . وفازت يد الإسلام ، من هذا المِعْقَل العزيز عليه ، بقرار القلوب ، وقرة العيون ، وشفى منه داء عضال ، وكفى بلاء لا يطاق . والعدو في أثناء هذا ، حسبنا نتعرفه من ألسن أسراه ، متمهد^(١) بإشبيلية يُعزّز^(٢) قواعد ما صار إليه ، ويمهّد جوانب ما انشال من الدنيا عليه ، وقد بث تلك الأمة المتلاحقة من الشرق بين بلاده ، [وحدّ لهم]^(٣) ارتقاب أمره ، والتماح إشارته . ولا شك في أن هذا القروح ، يصل وخزها إلى قلبه ، ويثير نكاياتها من عزمه ، وبالله تُدرأ في نحره ، وبحزب الله نستعين على حزبه ، وبربنا الله نستظهر على ربه المنصوب ، وإلاّ اله المنحوت . وقد سَبَقناه بانتهاز الفرصة ، وعاجلناه في سبيل الله بالغرّة^(٤) ، وبوعنا الله بالقدرة ، ومع اليوم غد^(٥) ، ومجمل الصّنايع لطائفه خَفِيّة ، وجُنُوده كثيرة ، وما قلّ من كان الله معه ، ولا دُلّ من كان الله ناصره ، ألاّ له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين . طيرنا لكم هذا الخبر ، لِتَسْرُوا به أنتم ومن لنظركم من المسلمين ، ونحن نترأى فيما يكون عليه العمل من قصد غيره ، ومصادمة سواه ، ونشرع في اختيار من يعمره من الفرسان الحماة ، وحدّاق الرماة ، ونستكثر به من الأقوات ، والله المستعان . وأنتم عمدتنا في الله الذي نبشره عند اجتلاء السرور ، ونستصرّحه ، عند اشتداد الأمور ، وإن يسر الله في إنجاز ما به وعدتم ، من إشاعة الحركة إلى سَبْة ، تعيين^(٦) حصّة تبتغون بها وجه الله ، وتُنَجِدُون بها الإسلام ، فآثروها كبير ، وساعها شهير ، وهي الأخبار تأخذها الزيادة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الملكية (مجمع) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (يقرر) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (وحداهم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (بالغزة) .

(٥) هكذا وردت في الملكية . وفي الإسكوريال (الغد) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (لايل) .

إذا تنوقلت ، ويبعلها الإرجاف إذا سمعت ، والكلمة واحدة ، وكل معروف
صَدَقَة ، وظنون الإسلام فيكم جميلة . والله يحملكم على ما يرشدكم ويسعدكم .
[ويوالى عزتكم ، ويحرس مجادتكم] ^(١) ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٢) .

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط في الإسكوريال .

(٢) إن حصن أشر الذي يجرى وصف غزوه وافتتاحه في هذه الرسالة يقع على مقربة من أطريرة شرقي
إشبيلية وقد تول قيادة فتحه السلطان محمد الفتي بالله سلطان ابن الخطيب بنفسه ، واستولى عليه المسلمون في
رمضان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقاموا بتحصيله حسبما ذكر في الرسالة .

ولما وصل السلطان أيده الله من غَزَاة أطيريه بعد استفتاح حصن أشُر
المتقدم الذكر، صدر عني في التعريف بذلك لسلطان المغرب، وهو من
الكلام المرسل، الذي قلما أُلوى على سجع، ولا وقف على قافية لشوف
هذا الغرض في هذه الأقطار^(١)

المقام الذي تيمنت البلاد بولايته، وتعرفت ببركته^(٢) بفضل الله وعنايته
وَأَذْخَرَتِ الاعْتِدَادَ بِرَأْيِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ بِرَأْيِهِ، وتوَعَّدَتِ الْكَفْرَ بِقِيَامِ قِيَامَتِهِ .
فَطُلُوعِ شَمْسِهِ^(٣) من المغرب أَكْبَرَ آيَتِهِ . مقام محل أَخِينَا الَّذِي تُغَوِّرُ نَصْرَهُ
بِوَأَسْمِ، وَأَيَّامِهِ لِلْإِسْلَامِ مَوَاسِمَ، وتَتَوَفَّرُ لَهَا مِنْ صَنْعِ اللَّهِ الْمَقَاسِمَ، السُّلْطَانُ الْكَذَا
أَبُو فَارِسِ بْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَا أَبِي الْحَسَنِ^(٤)، مَعْظَمُ سُلْطَانِهِ، وَمُجَلُّ شَأْنِهِ،
الْعَارِفُ بِأَصَالَةِ مَجْدِهِ، وَرَفْعَةِ مَكَانِهِ، فَلَان .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ، الْمُلْهَمُ الْمُنْعَمُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، الْوَلِيُّ النَّصِيرُ، مُحَرِّكُ
الْعَزَائِمِ بِبَاعِثِ الْإِسْلَامِ، وَمَكْيِفُ الصَّنَائِعِ الْخَفِيَّةِ^(٥) عَلَى الْأَذْهَانِ، الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ،
الْمَعِينُ عَلَيْهِ، الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، الَّذِي لَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمُظْهِرُ
دِينِهِ عَلَى رَغْمِ الْجَاهِلِينَ وَكُفْرِهِ^(٦) الْكَافِرِينَ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ،
عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، مُجَاهِدِ الْأَنْبِيَاءِ، [الْمَنْصُورِ فِي الْأَرْضِ]^(٧) بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، نَبِيِّ
الْمَلَاحِمِ، وَمَسْوُغِ الْغَنَائِمِ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَسْوَدِ الرُّوعِ، وَنَجْوَى الْهُدَى
وَأَعْلَامِ الصَّبْرِ، وَسَيُوفِ الْحَقِّ، وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِكُمْ بِتَوَالِي الْعِزِّ، وَاتِّسَاقِ الصَّنْعِ،

(١) هذه الرسالة جاءت في الملكية متأخرة عن مكانها في الإسكوريال، وجاءت دون عنوان .

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال، وفي الملكية (الشمس) .

(٤) السلطان المقصود هنا هو السلطان عبد العزيز المربني الذي جلس على العرش سنة ٧٦٨ هـ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (الخفيات) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (وكفر) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سنَى الحظ ، وهنَى الفتح ، بعد الاعتراف لدولتكم بيُمن الطير ، ونَصَبَة السعد ، ونفاق سوق الصُّنع بهذا القطر . والله متمم الفضل ، ومجدد عادة اللطف ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الفتح العليم ، وإلى هذا فإننا كنا قد عَرَفْنَاكم بما أُضْفَى عليه الرأى ، من مظاهرة ملك قشتالة على أخيه ، مجليه على مدرته ، والمستحوذ على مملكته ، تعريف يُوصل به دوام الفتنة ، واشتعال نار الإِخْنة ، وتميز المسلمين بخطة العافية ، وتبريزاً^(١) في ميدان حسن المكافأة ، وإقامة لحُسْن المجازاة ، وتمهيداً لرعى قديم الجوار ، وبراءة من التقصير في استصراخ كريم قوم ، أو معرض حسن سعى ، فحاطبنا بلاد الفُرْنِثِيرَة^(٢) ، نضمن لأهلها اتصال السلم ، عند صدق الفتنة ، واستدراك القلّة ، فأهْطَعَ ، منهم السواد الأعظم ، وتغاضى أمة من البلاد تقفها زعماء ، وضبطها قواميس أسلفوا ما أساء بالدليل ظنونهم ، وقطع في عدوه آمالهم . وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، وصدّق ما يعتاده من توهم . فاثبتوا منها في مستنقع الموت أرجلهم ، ليوثقوا منه^(٣) الحيلة ، وكنا قبل هذه البنوّة بسُلطان ملك قشتالة المذكور ، قد عملنا مَضْمُناً طويلاً الجوانح على مثله ، وأغرنا العجز بيبثه في الحادثة على ما يناهز الألف من أسرى المسلمين ، المقرّنين في الأصفاد بدار الصَّنْعَة من إشبيلية ، إلا ذِمَار الحماة ، فلول الوقايح ، وأسارُ الحثوف ، وحيات الأودية الضنيّة بهم يد الكفر ، من لدن سنين عدة ، إذ كان المُجْجَع به بين طراده ، والجهر بخُلْعانه ، وانْتِهَاب قَصْره ، قد أطلقهم نكاية لقومه ، وعاقبة سوء يرتادها للبلد الخاين بعهد ، فانطلقوا أظعان المَسْغَبَة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الملكية (وتبويرا) ، وهو تحريف .

(٢) بلاد الفرنثيرة La Frontera هي المنطقة التي يحتويها غربي الثلث الإسباني جنوبي مدينة شنونة ، وقد كانت يومئذ ملاصقة لجنوبي ملكة غرناطة .

(٣) هنا بياض في الإسكوريال ، ولكن ليس في مكانه في الملكية شيء والكلام متصل كما هو .

وأضر بالأداهم ، وقد لفقوا علالة من مُسْتَهْجِن السِّلَاح وذى الآلة ، يهبون^(١) إلى تحصيل النجاة ، ولاتَ حين مناص ، وقد تَأَذَّنَ اللهُ سبحانه ، بكر ظهور الشهادة على ما رسب من أوزارهم ، وختم به صحايف بؤسهم وشظفهم ، واعترضهم أهل أطريرة ، من بنيات هذه الأمم الممتنعة لإشبيلية ، وعلى نصف بريد من بيضتها ، وأهلها أشهر أكلب الكفر عن نابِ شره ، وأسطاهم بنفس مومنة ، وأخفرهم لذمة ، وأسوأهم معارضة للتمس تجر أو نُجعة أو مُضايقة بسفير رسالة ، يرومهم التخرج من انصرافهم بجلال تلك الأسلحة ، وجعلوا . . .^(٢) في إسلامها إليهم شرطاً ، وبذلوا لهم على ذلك عهداً ، فلما صفر منه أيديهم ، تناولوهم بالإبادة ، وهم لحمٌ على وَصَم ، لم يرقُّوا لطول بدوهم ، ولا أنفذوا فيهم عهد مولاهم ، وتركوهم صرعى بقرا البيوت الكافرة ، والفُرْصاة الغادرة ، وأثكلوا منهم الثغور بجماتها ، ومفرجى أزماتها ، وأسبوا المسلمين بوعى موقف الصبر ، وشهدوا مأزق الدل ، يتلونها للجباه والأذقان ، وينحرونهم نحر إبل القربان ، كتب الله لهم ، أوفر أجور المُحْسِنِينَ ، ونفعهم بما محصهم به يوم الدين . فلما قامت هذه السوق ، ولعت في سماء الفتنة القشتالية البروق ، ثار لدينا ولم يكن خافياً كامن الحمية لله على بعد المرى ، وخطر المسرى ، كتبه الله لنا من مسعى ، يوم تُدان النفوس وتُجزى ، فتوفرنا على قصدهم مضمت الهام ، ونقل الأوهام ، توفراً لم تطل به الأيام ، ولا فسحنا لتدبير الآماد ، وكانَّ الله عز وجل ، أطلع قلوب المسلمين من ذلك على خباياه ، وكشف لهم عما نَوَيْنَاهُ ، فحفوا كثر الله جمعهم ، خفوا لم يذمر بموعد ، ونفروا عن غير مُزعج ، مُهيب في رجل الربا كثرة ، وأسود الشرى نجدة ، ويعاسيب الكور سلاطة وحمية . وخرجنا نُجِدُّ السير ، والنَّجَح قايد ، والتوفيق مواكب ، والسعد للفرض كافل ، والقصد

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (يهبون) .

(٢) هنا بياض في الإسكوريال . ولكن لا مكان له بالملكية .

المبرور ضامن . واحتللنا رُنْدَةَ مرسها الله ، واثقين بقوة الله وحوله ، متمسكين بسببه القوى في الأمر كله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ومن فوض الأمر إليه نجح قصده ، وعلا كعبه . ثم انتقلنا بالمحلات المجتمعات ضفة وادى لكه ، محلة الفتح الأول ، ومحول النصر المتاح المخول ، ومنها صبحنا أولئك الكافرين فشاحت وجوههم ، وأحاط بهم سوء كسبهم ، وحق بهم وبال أمرهم ، فقالوا على الربض صايئنا ولما كاثروهم أولياء الله ، يعلو بالكلمتين نداؤهم ، ويكاثروا أزهار البطحاء المختلفة الألوان راياتهم ، فحاش سرعان من انتشر بذلك السهل العريض من الأمم الكافرة ، والنسم الغادرة إلى مسور الحصن ، وقد كانوا في هذه المدد القريبة أو سعوه تحصينا ، وناصحوا عوراته رماً وتسديداً ، وتخلفوا المنازل مالية بالنعم والأقوات ، والأمتعة والآلات ، فخافهم المسلمون عليها انتهاباً لكثيرها واستلاباً لخطيرها ، حتى لم تبق يد إلا ملئت ، ولا نعمة إلا سُبِيت ، وتحصنوا بالقصبة ، والسيوف تتخطفهم ، والرماح تنوشهم ، والسهام تبعجهم ^(١) ، بعد موافقات صعبة ، وحملات مرة ، ومدافعات تجاه بابها ، استوعب لقيفهم معها التحصن ، واستكملوا التصنع ، وهم ألوف ، حذر الموت يحضرون ، وإلى المحيا يتسابقون ويهرعون ، وصدقوهم المسلمين الضمة ، فأجحروهم صابرين ، وتسنموا العرصة ظاهرين بعد إثنان القتل وإعمال السيف ، وبعد أن سدَّت المسالك ^(٢) جثث القتلى ، وملأت الرحاب أشلاء الصرعى ، ثم عاطوا من تحصن بالقصبة ، كؤوس القتال ، وأرسلوا عليهم حواصب النبال ، وتعلقوا بأسوارهم ، يقرعون الثنايا ، ويطلعون عليهم وجوه المنايا ، واستجدت آلات النقب ، وظهرت إلى ذلك المعتصم المحبور من ذمة الله ، حجارة الرجز ، وأسفوا الله فانتقم منهم ، وعثوا على عباد الله المطهرين ، فجعل لأوليائه وأوليائهم نصيراً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (تنفهم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الهياكل) .

لهم ، فصابروا الشدة عامة ، يوم الهجوم عليهم ، وهو اليوم الذى سفكوا فيه دماء
أسرى المسلمين ، وعتوا على رب العالمين ، ليلة مستهل الشهر الكريم ، مُتَقَبِّل
الأعمال ، ومُتَنَزِّل القرآن . وحنهم الليل فأضرمت النيران فيما استبحر من ديارهم
المتحرقة الأوضاع ، الغاصة بالآلات ، فغشيتهم السماء بدخان^(١) مبير ، وعذاب
أليم ، وضغطهم صهاب من عذاب شديد . ولتنصف اليوم بعده ، ألقوا بالإذعان
إلى حكم المسلمين ، فأنزلوا عامة الليل ، بعد أن علت بنور الإسلام فى أبراجهم
الحصينة ، وقصبهم المتينة لهذا العهد المشيدة ، ومن الغد عمت ردفًا سباياهم
الظهور والأكفال ، وتجاوزت مقاتلتهم وجلداؤهم الجزل والرجال ، ووصلت
إلى امتطاء نبهائهم الأصفاد والأكبال ، وقد أضرمت النار فى بيوتهم ، التى
تأذن الله بخرابها ، فعادت قاعاً لا يُعمر ، ويبابا لا يُسكن بعدها ولا يتدبر ، قد
جلله من رفع مستنجز الإثارة ، متواكف العمارة ، مناخ السيارة ، سخط من أهل
الغربى ، لما بطرت معيشتها ، وأدال الأمم لما ركبت بغيتها . سبحانه لا مُبدل
لكلماته ، ولا دافع لنقماته ، فأصمت [ألسن]^(٢) ، نواقيسه المصطحبة ، ومزقت
أشلاء تماثيله المتبرجة ، وسفكت دمائهم ، فوق دما من قتلوه ، وجزوا جزاء
الضعف بما فعلوه . فيايردها على كبد الإسلام ، من نيران مشبوبة ، وأوثان
مطروحة ، وأغلاق مفصوصة ، وفروش وثرث من زغب الطيور حشاياها ،
ومهدت المشرفين ولا يهاها ، نفضت فخالطت الهباء ، وعمت الهواء . وكذلك
أخذ ربك إذا أخذ القرى . وقفل الجيش يجلب نصراً لا كفاء له ، وصنعاً لا عهد
بمثله ، وقد رفعت ألويته الخافقة ألوية الفخر ، وفازت سيوفه الماضية بإدراك . . .
ور^(٣) وإن كانت ترايب الإسلام أقدم من هذا

(١) وردت فى الإسكوريان (يدخل) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريان .

(٣) هذا البياض موجود فى المخطوطين .

الحق ، وقد كللت^(١) محل الصيحة ، ومنتزَل النعمة ، ومصرع الفِئَة الكافرة
الباغية ، أفواج من عصايب الطير : تتداعى الجفايا ، وتتنادب للوليمة العظمى ،
ولحقت عُمْد الدخان لأعْنان السماء ، ونادت ألسنة الحمية في تلك العرصات
بالنارات الأسرى ، واستباح^(٢) سيوف الله من النَّسم آلافاً عدّة ، ومن الحماة
أولى بأس وشدة ، أعيا حديثها النقل ، فاثمنت عليه النار ، وأعجزت طعمتها
الظهر^(٣) ، يوكل بها الانتساف والتَّبار ، وألصقت جدرانها بوجه الثرى ، وأهلك
ما خرب من زرعها ونأى . والخير لا ينوب عنه كل المناب عن المرأى ، أوزع
الله شكر النعمى ، وكتب للإسلام حسن العُقْبى . وظهر^(٤) المسلمون من البقر على
آلاف ملأت السروج ، وغصت ببراذنها ومراقدها الحزُون والسهول . وأما سائمة
الغنم ، فعاثوا منها فيما لا يكتب ولا يحصى ولا يعد ، وباء المسلمون بشفاء الصدور
وسرور القلوب ، وقرة العيون ، وقد^(٥) للأخذ بترابهم
من لا ينال من الدمنة ، ولا يصانع في رعى الذمّة . وجاست خيل الله من أحواز
حص^(٦) ، أعادها الله بإمدادكم ، ومؤمل جهادكم ، الجو الذى لم يطرق لهذا
الوقت حماه ، ولا عرف اسمه فرضاً عن مسمّاه ، سوق عصية السّوايم ، وتكتسح
المسارح ، فلا تترك لسّع هَجْمة ، ولا نافخ ضَرْمَة ، وتدعر غاراته المُشْعَلَة
الأسراب ، وتتخلل عمرته وسواده الشَّعاب ، ومن بها من الفرسان والأعيان ، أولى
القُدور الرّأسبات ، والزغب الكاسيات ، والأتباع والأشياء ، والرّطانة والجعّجاع ،
قد لاذوا على وفور عددهم بالأسوار ، وأيقنوا بالبوار ، وطرقتهم الغارة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (طالت) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (واستحلت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الدهر) .

(٤) هكذا في المخطوطين .

(٥) هذا البياض موجود في المخطوطين .

(٦) حص أى مدينة إشبيلية ، وقد كانت يومئذ عاصمة قشتالة .

اتسعوا في عقر الدار . ولولا أَنَّ الفضل لم يَأْنُ إدراك غلَّاته ، ولم يستدرك
خصايص مَطْعُوماته ومَقْصُوماته ، لاتخذها الناس مجرى السوابق ، ومجر
العوائق^(١) على التوالي ، ولو صلوا في انتساف النعم وموالات النقم ، أيامهم باليالي .
والعزم على التعقيب بفضل الله متوفر ، والعمل على العود إن شاء الله متجدد ،
وعند المسلمين حاطهم الله وأنجدهم ، من المبادرة إلى الدعوة^(٢) ، والمنوب إلى
الهيعة ، والاعتباط في سبيل الله والروحة ، ما يرجى أن يكون سبباً لظهور
ما تضمنت محجوبه ألواح الغيب وأسرار المشيئة ، والقوة بالله ، والعزة لله ،
وما النصر إلا من عند الله ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله . ومن جعل مقامكم
الكريم رده في سبيل الله ، وتوعد الكفر بحميَّتكم في سبيل الله ، ومن أجله فقدحه
إن شاء الله المعلن ، وحظه بالخير أجدر وأولى . حفظ الله منكم على المسلمين عنصر
كلمتهم ، ومقدر قوتهم ، ومهب ريح نصرهم ، ومقزع شدتهم ، وطية ركاب
منشراهم . ولما عدنا إلى حضرتنا بادرنا تعريفكم بهذا الصنع ، من قبل أن تُنفَض
غبار الغزو من العمايم واللمم ، ونريح الجياد من اللبود واللجم ، وكأننا ننظر من
حسن موقعهم من نواديكم الغاصة بالأحراز ، الهافية لإدراك الثار ، وإجمال الآثار ،
فإن لمحرّكات الحمية ، من بين القبائل المزينة ، وإدراك التراث ترتاح إليه
الهمم الأبية ، لا سيما الهمم المرينية . وذمام الإسلام ، والحمد لله ، غير واهن السبب ،
ولا دارس المذهب . وأكّد جُورنا^(٣) لسرورنا ، ما شهد به
العيان من يُمن دولتكم ، وظهور سعادتكم ، فلم يَعدم معها والحمد لله حُصْب ،

(١) وردت في الإسكوريال (العوائق) . والتصويب عن الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الدعوات) .

(٣) هنا بياض في المخطوطين .

وظهور وخيرٌ مشهور ، والله عز وجل يصل لنا ولكم ما عود ، ويُمَتِّع بما حوّل ،
ويُعين على ما قلّد . وأنتم وُجْهة تعريفنا بالمتزيّدات ^(١) ، والمنن الوافدات ، فمتى
استجلينا منه شيئاً ، جلّوناه عليكم ، أو استطلعنا وافداً ، أهديناه إليكم . والله
يصل بقاكم ، ويعتمد بالصنائع الباهرة علاءكم ، والسلام الكريم عليكم ، ورحمة
الله تعالى وبركاته ، وكتب في كذا من رمضان المعظم من عام ثمانية وستين وسبعمائة ^(٢) .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (بالزيدات) .

(٢) هذا التاريخ ساقط في الملكية .

وكانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان إحدى دار الملك وكرسى دار
الإمارة ولدّات الشهرة ، وافتتحها المسلمون عنوة في أواخر شهر الله المحرم
من عام تسعة وستين وسبعماية فصدرت مخاطبة سلطان المغرب ^(١)
من إملائي ما نصه :

المقام الذى نُبَادِرُ أَبوابه بالبشرى ، مُرَدِّفَةً أُولَاهَا بِالْأُخْرَى ، وَنَسْتُظْهِرُ
بِعِزِّمَتِهِ الْكُبْرَى ، مَتَى أَغْضَلَ الدَّاءَ وَاسْتَشْرَى ، فَهُوَ أَوَّلَى بِالْحَاحَتَيْنِ وَالْأُخْرَى ،
مَقَامَ مَحَلٍّ أَخِينَا ، الَّذِي أَقَامَتْ دَوْلَتُهُ أَسْوَاقَ الْبَشَائِرِ وَالتَّهَانِي ، وَتَكَفَّلَتْ سَعَادَتَهُ
لِلْإِيْمَانِ بِتَسْنِي الْأَمَانِ ، وَتَأْتِي الْأَمَانِي ، السُّلْطَانُ الْكَذَا أَبُو فَارِسِ ابْنِ السُّلْطَانِ
الْكَذَا أَبِي الْحَسَنِ ، ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَا أَبِي سَعِيدِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَا أَبِي يَوْسُفَ
يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ ، أَبْقَاهُ اللهُ بِالصَّنَائِعِ الْجَمِيلَةِ [مَسْرُوراً ، وَبِرِكَائِبِ الْبَشَائِرِ
الْعَجَائِبِ] ^(٢) مَزُوراً ، وَفِي الْفَضَائِلِ الْجَلِيلَةِ ^(٣) عَلَمًا مَنْشُوراً ، وَلَا أَعْدَمُهُ فَتْحًا
وظُهوراً ، مَعْظَمُ قَدْرِهِ ، وَتَمْتَنَزِمُ بِهِ [الدَّاعِي إِلَى اللهِ بِاتِّصَالِ سَعْدِهِ ، وَاتِّسَاقِ
نَصْرِهِ] ^(٤) ، الْأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ أَمِيرِ
الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرٍ ، أَيَّدَ اللهُ أَمْرَهُ ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُ . سَلَامٌ كَرِيمٌ [طِيبُ
بِرْعَمِهِ] ^(٥) ، يَنْمُ بِفَتْحِ الْفَتْوحِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْمَلَأَكَةِ وَالرُّوحِ عَرْفُهُ ، وَيَبْدَى أَنْفَاسُ
رِيحَانِ [الْجَنَانِ] ^(٦) ، فَيُعْبَى عِبَارَةُ اللِّسَانِ ، وَمَوَارِدُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ وَصِفُهُ ، يَخْصُ
مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ، وَمُثَابِلَتَكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) سلطان المغرب المشار إليه هنا هو السلطان أبو فارس عبد العزيز المربني الذي سبق التعريف به .

(٢) ما بين الخاصرتين وأرد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجليل) .

(٤) هذه الزيادة وأرد في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) الزيادة من الملكية .

(٦) الزيادة من الملكية .

أما بعد حمد الله كافي من استكفاه ، وهادى من استهداه ، الذى نصر الحق وأعلاه ، ودحض الباطل وأزاده ، ووعد من توكل عليه ، وفوض أمره إليه ، بحسنى عقابه ، وأخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر [فَاظْنَنْتُمْ أَنْ يُخْرَجُوا] ^(١) ، وظنوا أَنَّ حُصُونَهُمْ ما نِعْتَهُمْ من الله ، فما أوسع رحماه ، وأسبغ نعماه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سرُّ الوجود ومعناه ، وموجد الكمال ومشاها ، ومختار الله من الخليقة ومُجْتَبَاه ، نبي الملاحم ، الذى نُصِر بالرَّعب على عِداه ، وزَوِيَ له الأرض ، فرأى مُلْك أُمته بلغ ما جمع له منها وزواه ، والرضا عن آله وأصحابه وعِترته وأحزابه المخصوصين بمزية قُرْبِهِ ، وَمُنْقِبَةِ حَبِهِ ^(٢) فى مَماته ومحياءه ، الذادة عن حماه ، النَّزْعَةُ فى الهدى إلى هَدًى مرماه ، مزعجى الكفر عن مثواه ، ووازئى الأرض من بعده بذريعة رضى الله وتقواه ، والدعا لمقامكم ، حرس الله جوانب علاه ، وأعانه وتولاه فيما ولاه ، وحفظ عليه ما أولاه ، كما جعل أوصاف الكمال حُلاه ، وعرفه عوارف السعد ، الراقق مُجْتَلَاه ، وذخَر له الفتح المُبِين وَسَّاه [بتوالى العز المشرف سناه] ^(٣) ، والنصر الدانى من غصون الرماح الملد جناه ، والصنع الذى ينال به الدين الحنيف ما يتمناه . فَإِنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم فخراً رايقاً رِيَّاه ، وسعداً مَشِيداً مَبْنَاه ، وأطْلَع من غُرر الفتوح كل وافد بشر محيَّاه ، ووارد مهما تلقاه ، روح الحياة بوَّاه وحَيَّاه . [من حَمراء غَرناطة ، أَمَّنْها الله] ^(٤) ، والدين قد ساعدته بما يرضيه دُنياه ، ونور الله الذى وعد بإتمامه وإن كَرِهه الكافر وأَبَاه ، قد دعا

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (نصحه) .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال . ومكانه فى الملكية (من كذا) .

بوعد الصادق قلباه ، والإسلام بهذا القطر قد استمنح منه سبحانه ، عادة اللطف به والنصر فحياه ، والحمد لله مبدأ كل أمر ومنتهاه ، وآخر كل كدح وأولاه ، فما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ومقامكم عُدَّة الإسلام الذى يكشف جلاه ، ونُساهمه فى المسرات التى تهنئ نواصيها منتداه ، والمبشرات التى تفوز بقدحها يداه . وإلى هذا أَوْزَعنا الله وإياكم شكره ، من منح أعلت معالم الإيمان ، وأعلنت برضى الرحمن ، وعودة الزمان ، وأعرّبت عن إتاحة الكرة وهبوب الريح ، وإطلاق الإدالة ، فإننا نجلو عليكم خبر الفتح المخبوء لزمنا وزمنكم ، المذخور من الله سبحانه ، فضلا علينا وعليكم ، المغرب [عما بعده] ^(١) إن شاء الله ، عن ديون فى الكفر تُقْتَضَى ^(٢) ، ومعارج للذكر الجميل تُرْتَضَى ، وسُبل السلف الصالح تُقْتَفَى ، ومسارع فى الجهاد تقرب إلى الله ^(٣) زُلْفَى ، وتعود منه بالجزاء الأوفى ، فتح الفتوح الذى سَمى اسمه الرفيع ومسماه ، أن يحيط النظم والنثر بمعناه ، إلا أن الإشارة تنزع إلى مرماه ، وشرح المُجمل الذى تقصر عنه ألسن العبارة ، ويستدل على كُنْهه بملامح الإشارة ، هو أننا اتصل بنا ، والحى خلوف ، وحكم السلم مألوف ، أن مدينة جَيَّان ، بلغَاء الشهرة ، وغاب البسالة ^(٤) ، ومنيت الشوكة ، وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين ، ومُختط طائفة العرب الشاميين من كورة قِنْسرين ، والأُمم العديدة البنات ، المستبحرة المُنَا والجَنَّات ، حيث الزياتين منها ، تمتاز البلاد والعباد ، مدد الوقود والكروم ، التى استثمرتها الرُّوم ، تعبق لها الخوايى الجوب بدم العنقود ، والجَنَّات الأشب ، والوضع المنبت المعجب ، حُجر الأراقم المختالة ، فى جلود الزرود ، والليوث الباطشة فوق فيول الخيول ، ومَضْرَحُ النواقيس الصَّايِلة ، ونُصْبُ التماثيل الهابِلة ، ولدَّة دار الخلافة قرطبة ،

(١) هذه الزيادة من الملكية .

(٢) فى الملكية (ترتضى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (رب العباد) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأسود) .

بدا لأهلها في مخالفة سلطانهم الذي جددنا عهده ، وأبرمنا سلّمه ، وأكّدنا عقده ، وأوجبنا لتوفر البواعث نصّره . فأهنبلنا للحين غرة ، وانتهزناها فرصة ، وحللنا إليها عمال الفتك ، الذي كان قد قيده الإيمان ، وسلّلنا عليها سيف الله الذي أغمدته المواعدة^(١) والآمال ، بعد أن استخرنا الله ، الولي في الغربية ، الناصر في الشدة ، الذي بيده القدرة والعزة ، والحول والقوّة ، لا إله إلا هو خيرُ الناصرين ، ومظهر دينه على كُره الكافرين ، ونوينا أن نرفع بها هَضْم الإسكندرية^(٢) ، ونقوم بفرض الكفائية عن الكافة ، فأنمّرت استخارة الله لدينا ، والقوة به ، والتوكل عليه ، الاستهانة بأسوارها المشيدة ، وحماها البئيسة ، وشهرتها الجامحة ، فأبرمنا الحزم الذي شحذ التوكلُ غُربه ، وسدّد الاستبصار سَهْمه ، وأضفى الصبر جَنَّتَه ، وسهّلت الثقة بالله حزبه . واستدعينا أهل الجهاد [لتصير الجهاد]^(٣) ، ونفضنا أطراف البلاد ، عن أولى الجلادة على الجلاّد ، وعيّنّا أمدّاً أضاف الانحياز مدته^(٤) وتحيفت البدار فُسْحته ، وعلى ذلك فاستكثرتنا من آلات القتال ، ورفعنا المجانيق على أفلاك^(٥) الأعجال ، وأفضنا العطا الذي تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما وراءها ، مما لم يستهلّ جنينُ هلاله ، ولا وسمت خيلان الليالي صفحة جماله ، وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرتزة المدوّنين ، إلى حقوقها في الغنم المتقدم ، والنفل المبارك المتيقن^(٦) ، فتضاعفت الارتياش ، وأزيحت العلل ، وأخلصت الضماير النّصفة ، وأطابت القلوب المعدلة ، ولما تكاملت الجموع

(١) وردت في الإسكوريال (المواعدة) والتصويب من الملكية .

(٢) يشير هنا إلى رغبة الانتقام لاعتداء الفرنج على ثغر الإسكندرية سنة ٧٦٧ هـ (١٢٦٥ م) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية . وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (حصته) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (المتعين) .

وتوالت^(١) الحشود ، وتعددت بظاهر حضرتنا الرايات والبُنود ، برزنا نهدي من
الرأى الذى تعودنا يُمثلة بمصباح ، وذُبال استصباح ، لا بل بفلق صباح ،
وخيمنا على بريد من الحضرة ، ترفيهاً على السيقة ، ونظراً للفد والجملة ، مخيا
جمع مقادّه من النسم ، لا يحصيهام إلا من كتب خطاهم فى طاعته ، وأحصى
أنفاسهم المطيَّبة بذكراه ، واستحفظ بقع الأرض شهادتهم بتوحيده . وكان
إطلالنا عليه ، ثالث يوم البروز ، وهو يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر
الله المُحرَّم ، مفتتح هذا العام السعيد ، فى أحسن التعبئة ، وأكمل وأحكم^(٢)
الأهبة . وأمّحرت الينا حامية العدو ، ذابة عن الحوزة ، مبلية من دون العرصة ،
متمرسة بسرعان المقدمات ، ورواد منازل المحلات ، فلما كاثروهم السواد الأعظم ،
والبحر الذى لا يُزحم ، استجنّوا بحمى الأبراج المشيدة^(٣) ، وفُرج الأبواب
العديدة . وتلاحق أوایل الأمم المحشودة المحشورة ، من الجموع المنصورة الموفورة ،
تموج بهم عرقات موقف الجهاد ، وتعرضهم ساهرة نشر البلاد^(٤) ، ويتراكم
منهم ، وفّرهم الله ، رجل الجراد . وكان الغرض يستكمل محمل الطريق ، ويتدارك
جمهور النفير ، ويُجرى حرباً على مقرر الترتيب ومحكم التدبير ، فبشره الناس
إلى العدو ، ووجهوا إلى حومة الحرب خفوفاً . لم يكد فيه المُتقدّم على المتأخّر ،
ولا انتظر المسرع لحاق المتلوم ، فانهارت منهم الهضاب وانهارت ، وتدافعت
الأودية وسالت ، وجنّحت الرايات إلى حومة الرّیض الأعظم ومالت ، كأنهم
سحابيب الخريف . حرّكتها الرّعازع ، وخربت آباط ركابها البروق الخواف ،
وأحاطوا به من قبل أن توزع عليهم الآلات ، وتبوّأ مقاعد القتال
[كماء الحماة وفره]^(٥) الرّماة ، فقرّعوا للحين سوره ، واقتحموا منازل ودوره ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (توافرت) .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المنية) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هذه الزيادة من الملكية .

وَصَدَّمُوا حَامِيَتَهُ الضَّخْمَةَ ، ووالوا عليها الشَّدَّةَ ، حتى أَزَعَجُوهم عنها عَنوةً ، واستلَّحِمُوا منه جُمْلَةً . وشَمَلَ الرِّبْضُ النَّهْبَ ، ورغاً فوق أَهْلِهِ العَذَابُ الصَّعْبُ ، وتعلقوا بعده بِسُورِ البَلَدِ ، وبادرنا الهَيْعَةَ ، وقد هَزَّتْ رِيَّاحُ النَّصْرِ عَذَبَاتِ الرِّايَاتِ ، وسَدَّ ما بَيْنَ الخَافِقَيْنِ عَلُوُّ كَلِمَةِ الشَّهَادَاتِ بِاخْتِلَافِ الْأَصْوَاتِ ، وَصَكَّتِ الْأَسْمَاعُ رَعُودَ الطَّبُولِ ، واستنجز المؤمنون الصَّابِرُونَ مِنْ رَبِّهِمْ مِيقَاتِ الوَعْدِ المَفْعُولِ ، فلا تَرَى إِلَّا هَاوِيًّا مِنْ ذُرَى شُرْفَةٍ ، تخلفه جُمْلَةٌ ، أَوْشَهِيداً يَتَزاحم على مَوَاقِفِهِ لَمَّةً ، أو ثَنِيَّةً تَفْرَعُ ، أو شِعَاعاً يَسْمَعُ . ونَزَلَ الصَّبْرُ ، وَأُنْجِزَ الوَعْدُ ، وَقَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الكَافِرِينَ ، وَأَمَدَّ أَوْلِيَاءَهُ بِالمَلَايِكَةِ المُسَوِّمِينَ . ففَرِغَتْ أَسْوَارُ المَدِينَةِ ضَرْبَةً ، وَدُخِلَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَنوةً ، وَجَازَ فُرْسَانُهَا فِي السَّكَكِ ، يَطِيرُونَ مِنْ ضَيْقَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالمُسْلِمُونَ يَأْخُذُونَ عَلَيْهِمُ الْقُوَّاهُ ، وَيَسْوَقُونَهُمْ ^(١) إِلَى المَتَمَنَعَاتِ ، وَقَدْ شَرَهَتْ السُّيُوفُ ، وَتَخَارَقَتْ الرِّمَاحُ ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ، وَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ . واختار لَمَّةً مِنْهُمْ مِيتَةَ الإِيْجَازِ ^(٢) وَالْإِعْذَارَ لَأَنْفُسِهِمُ بِالْفَرَارِ ، عَلَى المِيتَةِ بَيْنَ الدِّيَارِ ، فَفَتَحُوا بَعْضُ أَسْوَارِهَا ^(٣) وَأَلْهَبُوا الخَيْلَ رَكْضاً ، وَأَجْهَدُوهَا خَضّاً ، وَرَكِبَ المُسْلِمُونَ أَكْثَافَ مُدْبِرِهِمْ ، وَاعْتَرَضُوا وُجُوهَ مُقْبِلِهِمْ ، فَبَهَرُوهُمْ ^(٤) بِالسُّيُوفِ ، وَعَاجَلُوهُمْ بِالحَتُوفِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى أَقْطَارِ المَدِينَةِ اسْتِيلَاءً أَعْجَلَ المَجَانِيْقَ عَنِ الرُّكُوعِ ، وَصَوَاعِقَ الصَّخْرِ عَنِ الْوُقُوعِ ، وَجَبَلَ الحَرْبُ عَنِ الإِحْكَامِ ، وَالْاعْتِدَالُ عَنْهَا بِالْهِنْدَامِ . وَانْطَلَقَتِ الْأَيْدَى عَلَى مَا لَا يَنْالُهُ ، وَلَا يَدْرِكُهُ الْكَسْبُ ، مِنْ الْأَمْوَالِ الدَّرَّةِ ، وَالْأَمْتَةِ الثَّرَةِ ، وَالدَّخَائِرِ المَصْنُوعَةِ ، وَآنِيَةِ الزَّيْنَةِ الثَّقِيلَةِ ، وَالْأَسْلِحَةِ المُسْتَعْجَادَةِ ، وَعَائَتْ فِي الخَزَائِنِ الطَّامِيَةِ : وَالْأَقْوَاتُ الْهَائِلَةُ ، وَدَنَانُ الْأَدْهَانِ

(١) هَكَذَا فِي الإسْكَوْرِيَالِ . وَفِي المَلِكِيَةِ (وَيَسْوَقُونَهُمْ) .

(٢) فِي المَلِكِيَةِ (الإِسْجَارُ) .

(٣) فِي المَلِكِيَةِ (أَبْوَابُهَا) .

(٤) فِي المَلِكِيَةِ (نَضْرَبُوهُمْ) .

المدخرة ، والخمور المقدّمة ، إبادةً ونهباً ، وإراقةً ونقلاً ، إلى ما يُكاثِرُ الحصى ،
 واجزاء الهيا ، من الحيوان المختلفة الأجناس ، صواهل ضامرة ، وسواجحُ بادية ،
 ويعافير فارهة . وغصّت الأضبان ، ووهنت الأكثاد ، بما فيه يُرغب ، من
 الماعون والسقط والخزئ ، وجلال الأسباب ^(١) ، حتى القسي ، والسرّج الدني
 [وما يُشغفه الغنى] ^(٢) وأخذت الدور والقصور ، والبيع وهياكل العبادة ،
 والرباع الشهيرة : [والحانات ، والديرة المقصودة ، والقياسر الميسورة] ^(٣)
 أيدي الإثارة والإبادة ، فسُلّطت النار على أعاليها ، وألهدم على ما يليها ، وجلّلتها
 الدخان ، وظلّلتها الخُسران ، ونادى بها لسان ، الحميّة ، في مرضاة رب البريّة ،
 بالشارات الإسكندرية . وقيدت نواقيسها بالحبل التي حركت جبالها ، وقلقلت
 هضابها ، فأبرزت خاسئة صاغرة ، وتركت بعد ثلّ ألسنتها داميةً فاغرة ،
 وجنّب من الأسرى ، وهم الفل الذي تخطاه الأجل المكتوب ، والقدر المحتوم ،
 أو شفع فيه الحُسن المرموق طوايف غصّت بقطارهم ، السبل العريضة ، وضاق
 بواردهم المناهل المفرقة ، وهلك بين جدرانها من التسم الكافرة ، والطوايف
 المجانبية للحق المنافرة ، بين بهم مُقدّم ، وشجاع مُعلم ، وفارس مغوار ، ومُنتجع
 فلاح ، ومُعاني صناعة . وملتبس تجر وقنية ، ومقيم ملّة ، ما لم تستأصله
 الهزائم الشهيرة ، والوقايح المبيّرة . كفى الله شرهم ، ودفع ضرهم ، سبحانه لأدافع
 لنقمته الحائقة بالمعتدين ، ولا راد لبأسه عن القوم المجرمين . وتخلص من أسرى
 المسلمين جملة ، طرقهم الفرج الذي لا يُحتسب ، واللطف الذي تنجاب به
 الكُرب ، ولجأ الفلّ المحروب من جمهرها ، وهم معشار المعشار من صريعها

(١) في الملكية (الأملاّب)

(٢) ما بين الخاصرتين واردة في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين واردة في الملكية وساقط في الإسكوريال .

ومأسورها ، أزواداً تنشر^(١) عليها عصي سمر الرماح ، وأسراباً تخفق فوقها أجنحة الجراح ، من بيض الصّفايح ، إلى حمى القلعات المشيدة ، فنراكموا بالقنة القائمة بأعلى الندوة ، وقد جنح الأصيل ، وجاذب القرص المسيل ، فرتبنا عليهم المسالح والأحراس ، ووكلناهم إلى غيب الزّحام ، وسوء المقام ، وبرح الظّما ، ورجز السّما ، وتربّصناه بالإجهاز عليهم ، انقشاع الظلماء ، وباكرناهم وطُبول العِزة^(٢) بالله هادِرة ، وكلمة الحقّ قايمة صاعدة^(٣) ، وعزائم الصّدق ماضية . فعاطينا تلك القلعة السّما [في السكك المزاحمة لشُهَب الأفلاك]^(٤) الحرب الضّرسة التي لم يعهد بمثلها ، في زمن سالف ، ودهر غابر ، بانغ فيها الصّبر أغياماً ، تتجاذبه مطولات القصاص ، وغرايب الأسمار^(٥) ، ويجمع فيها ألسنة الأخبار . فدُخلت القصبة الأولى ، وارتفعت في أبراجها البُود ، وانتُقل من بها إلى الثانية . ولما افتقر أمرها من بعد المحاولة إلى المُطاولَة ، ورأينا بعد ذلك أن لا مطمع في استبقاء المدينة ، إذا استخلصنا القصبة الشّاهقة ، وفتحنا القلعة السّامية ، لمكان العقد ، مع ولي قاعتها ، ومستحقّ خربتها ، ضناً بالنفوس المسلمة ، أن تفيض من دونها لجاجاً ، أو تبید عليها مجّاناً ، وأن من تحصّل بها ، أشبه شيء بالعدم ، قلّة وذلّة ، وارتياباً وأشتاتاً^(٦) ، وقد أثبتهم الرّماة ، وفشت فيهم الجراح . ونبا بهم الوطن ، واقتطعتهم المَحَن ، أجبناهم إلى ما بذلوا في جماجمهم من الفدا على الإفراج عنهم ، والإقلاع عن ساحتهم . فتمّ ذلك في يوم الجمعة الخامس من يومِ المنازلة [بعد أن]^(٧) توثّقنا في شأنهم ، واقتضينا مائة من متخير

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (تهش) .

(٢) في الإسكوريال (الغرب) ، والنصويرب من الملكية .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الأشجان) .

(٦) في الملكية (والتيثا) .

(٧) هذه الزيادة من الملكية .

رهائنهم . هذا بعد أن جهر المُنَادى ، بعقر الأشجار ، وانتساف تلك الأقطار ،
 [فأمسى الجنب الأخضر ، لا يظل ضاحياً ولا يقل فراشاً هافياً ^(١)] . وتناولت
 الأفواس جرائيم العقار فعقرتها ، وقرأت ألسنة النار سورة التين والزيتون فجرفتها ،
 وحالت أيدي البوار ، واستوصلت عاديات الأشجار ، وفُجع بخندق الجنة أهل
 النار ، وطاف عليها طائف من الله ، وأصبحت كالصريم ، وطلعت عليها بالصليم ،
 لكثاد غرة اليوم العصيب ، وتقاسمت الأيدي تخريب أسوارها ، فهشمت
 أسنان الشرفات ، وجدعت آناف الأبراج المشرفات ، فهي اليوم الباب البلقع ،
 ووهيها الوهي الذي لا يرفع . واتفق من تمام الصنع أن تلاحق محلتنا عليها
 وزير السلطان صاحب قشتالة ، في كتيبة خشنة من قومه ، وعددهم من أتباعه ،
 مستجيراً بنا من مطالبة سلطانه ، طارحاً نفسه علينا ، في تكفل أمانه ، فرأى
 من وفور محلات المسلمين ما بلد فكره ، وحير لحظه ، وشاهد من عظيم أثرهم في
 البلد المستباح ، الذي دمره ، وعدد من استرقوه وأسروه ، ما ضاعف حسرته ،
 وأذرف عبرته . فكان ذلك طرازاً على الحلة السراء ، وتاماً للنعمة النعمى ، وأملا
 في ظهور الدين ، والحمد لله تكيّف وتأتى . وقفنا بالمسلمين ، هنأهم الله بما وهبهم
 وقد وسم وجوهم الاستيثار ، وحلل قتالهم في سبيل الله النقع للثار ، وقد فجعوا
 الكفر بأمر من أماته ، وأكرسى ملك ^(٢) مستقل بذاته ، وتركوها أوْحش من
 القفر ، وأحلى من جوف القبر ، مرصوفة السكك بالجنث والأشلاء ، مظلة بأعنان
 تبلغ أعنان السماء ، مرقرة فوقها عصايب القشاعم ، متراحمة على شعابها ونقابها
 الضبايع الصرامح ، والعواسل الكواسر ^(٣) ، قد شاه مرآها الجميل ، وأوْحش

(١) وردت هذه الجملة في الملكية كالاتي (وأصبح ذلك الجنب الأخضر لا يظل ضاحياً ، ولا يقل فراشاً هافياً) .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٣) وردت هذه الجملة في الملكية مختلفة التكوين بين تقديم وتأخير .

مَرْبَعُهَا الْأَنْبَس ، قَفُولاً مَلَأَ بِلَادَ الْكُفْرِ رَعْباً ، وَجَاسَهَا ذُعْرًا ، وَأَقَامَ لِلْإِسْلَامِ
[وَأَهْلِهِ فِيهَا] ^(١) وَزَنًا ، وَيَالَهَا مِنْ شَوْكَةٍ خَصَّدَهَا اللَّهُ وَأَبَادَهَا ، وَأَذْهَبَ كِيَادَهَا .
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ . وَعَرَّجْنَا فِي هَذَا الْإِيَابِ الْعَزِيزِ ^(٢)
عَلَى مَدِينَةِ بَاغَةَ ^(٣) الْحَجْرَةِ ، مِنْ بَنَاتِ تِلْكَ الْأُمِّ الْبَائِسَةِ ، وَفُرُوعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
الْمَجْتَثَةِ ، فَصَارَتْ سَحِيرًا لِلْسَّيْلِ ، وَمُلْتَهَمَ الْوَيْلِ ، وَمُنْتَهَبَ الرَّجُلِ وَالْخَيْلِ ،
وَأَلْفَيْنَا قَاطِنَهَا قَدْ وَلَّى هَرَبًا ، وَاتَّخَذَ اللَّيْلُ جَمَلًا ، وَبَيْوتُهَا مَشْحُونَةٌ أَثَاثًا وَأَقْوَاتًا ،
وَنَعْمًا أَشْتَاتًا ، فَأَخَذَهَا النَّهْبُ ، وَفَشَا فِي عَيْصِهَا الْأَشْبُ الْعَيْثُ ، وَتَعَلَّقَتْ النَّارُ
بِزَيَاتِينِهَا لِمَكَانِ الْعَلَاقَةِ ، وَأَغْرَتْ بِهَا لِأَجْلِ السَّلْبِ أَلْسِنَةُ السَّلَاطَةِ ، فَقَلَبَ الدَّمَارُ
أَعْيَانَهَا رَمَادًا ، وَأَلْبَسَهَا الْحَرِيقَ لِلشَّكْلِ حَدَادًا .

وَانصَرَفْنَا عَنْهَا ، وَالْعَمَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى التَّعْقِيبِ مُسْتَوْفِرٌ ، وَالْعَزْمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
عَلَى الْعُودِ إِلَى أُبْدَةِ الذَّاهِبَةِ مَذْهَبِهَا مُتَجَدِّدٌ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتِمَّ عَلَيْنَا النَّعْمُ ، وَيَجْزَلَ
مِنْ فَضْلِهِ الْمَوَاقِبُ وَالْقِسْمُ ، وَيُلْهِمَنَا الشُّكْرَ الْمُسْتَدْعَى لِلْمَزِيدِ ، فَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ .
وَبَادَرْنَا تَعْرِيفَ مَقَامِكُمْ بِمَا سَنَّاهُ اللَّهُ ، قَبْلَ حَطِّ الْبَنُودِ عَنِ الْجِيَادِ ، وَالْحَمَائِلِ عَنْ
الْأَكْتَادِ ، عَلِمًا بِمَوْقِعِ هَذَا الصُّنْعِ مِنْ دِينِكُمُ الْأَصِيلِ ، وَمَجْدِكُمُ الْعَزِيزِ ، وَمُلْكِكُمُ
الْكَبِيرِ ، فَهُوَ دِينُكُمْ وَجِوَارُكُمْ ، وَوَطَنُكُمْ الثَّانِي وَدَارُكُمْ . وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَكِيفَاتُ ،
بِشَايِرِ وَلِيِّ اللَّهِ السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ وَالِدُكُمْ ، الَّذِي لَا يَتَحَفُّ بِأَسْنَى مِنْهَا خَطَرًا ،
وَلَا يَهْدِي أَجَلَ مِنْهَا قَدَرًا . وَأَنْتُمْ وَارِثُ خِلَالِهِ الصَّالِحَةِ ، وَشَيْمَةُ الْبَرَةِ الطَّاهِرَةِ .
وَنَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَتْحُ ، تَمْهِيدًا لِلْمُذْخُورِ نَصْرِكُمْ ، وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ
جِهَادِكُمْ ، وَلِتَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ لَوْ جَمَعَ اللَّهُ جَمْعَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْجِهَادِ ، لَعَادَ الْفَتْحُ الْأَوَّلُ

(١) هذه الزيادة من الملكية .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٣) باغة وبالإسبانية Priego هى بلدة أندلسية قديمة حصينة تقع جنوب غربي جيان وشمال غربي
غرناطة في منتصف المسافة بينهما .

جدعاً ، وتقهر الكُفر جَزَعاً ، وراجع حدوده هرباً . وبيده الخلق والأمر ،
وما أمرنا إلاّ بواحدة . وما ذاك على الله بعزیز . وهو سبحانه يهيئ لكم ولنا من
أمرنا رشداً ، ويوفّقنا لما يقربنا إلى الله زُلْفى ، بفضله ورحمته . والسلام الكريم ،
البرّ العميم ، يعتمدكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته . كتب في آخر شهر
الله المحرم من عام تسعة وستين وسبعماية .

تم السفر الأول

وكانت الحركة بعدها في أوائل شهر ربيع
الأول المبارك من عام تسعة وستين وسبعمائة إلى
مدينة أُبْدَة . فاحتل السلطان [بمن نظره]^(١) من
جيش المسلمين بظاهرها ، فافتتحها عَنوةً واستولى على
مساكنها التدمير والتَّئبِير ، وعفت آثارها ، وهُدِّمت
كنائسها وأسوارها ، وقفل إلى حضرته العليّة بجَنب
نصراً لا كَفَاءَ له . وصدرت عنه مخاطبة سلطان^(٢)
المغرب من إملائي بما نصه بعد سطر الافتتاح .

المقام الذى نعطيه أكواس المسرات دِراكاً ، ونجعل له فى الفتوح وثوابها
المنوح اشتراكاً ، ونُثَحِّفُهُ بالأنبياء الشاهدة بخلوص الولاء على الولاء سكوناً
أو حِراكاً ، مقام محل أخينا ، الذى شأنه السرور بما يفتح الله به على المسلمين
والإسلام ، والابتهاج بما اجتلاه الدين الحنيف من سعادة الأيام ، والمساهمة
التى تليق بمثله من الملوك الأعلام ، السلطان الكذا أبى فارس ابن السلطان الكذا
أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف يعقوب
ابن عبد الحق ، أبقاء الله ، وبابه بالبشائر مقصود ، وسعده فى الأفق الأعلى
مرْصُود ، ومُلكه بالله معْصُوم مَعْصُود ، وشمله باتصال الأمان ورَضَى الرِّحَن
مَنْصُود ، وظلُّ عَدْلِهِ وَفَضْلُهُ مَمْدُود ، وآثاره فى الآثار الصالحة الباقية محْصُوب
معدود ، معْظَمُ قدره العالى الاقتدار ، السرور لِهلالِهِ السَّعيد لِصِفَةِ الأبرار ،
واستقامة الدار ، الدَّاعَى له فى حَالِي الإيراد والإصدار ، بالزُّلْفَى وَعُتْبَى الدار ،
الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (بمنظره) ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة مكانها بياض فى الملكية .

ابن نصر . سلام كريم ، ينم في جو الخلوّص منه نسيم ، ويتجلّى في مظهر الود
المرصوص له محيّا وسيم ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله معرّف العوايد الجميلة ، ومعدّد العوارف ، ومصرّف الألفاظ
الحسنة ، ومحسن المصارف ، مجدد اليّمن المتعاقب المترادف ، ومؤيد العزّ التّأيد
بالطّارف ، الجواد الذي أخلّصت آراؤه العميمة ، ومننه الكريمة وضمّ الواصف ،
ناصر حزب الإسلام ، على معاند دعوته السامية الأعلام والمخالف ، ومظهر دينه
الحق على الأديان ، إنجازاً لوعده السّابق في الزمن السّالف . والصلاة على سيدنا
ومولانا محمد رسول الله ، آمين^(١) العباد عند اشتداد المخاوف ، والظلّ الظليل الوارف ،
وغمام الرحمة الواكف ، المتقدّ بنور هُدايه من المتالف ، والرضا عن آله الشّم
الأنوف العطارف ، سحاب العوارف ، [وبحار العوارف]^(٢) ، الذين نصرّوه
في حياته بالبيّض المواضي ، والسّم الرواعف ، وقاموا بسنّته قيام الواصل
العاكف ، والمناصح الملاطف ، حتّى دنت الغصون للقاطر ، واختالت المِلّة من ثياب
العزّ في أبي المطارف ، والدّعاء لمقام أخوتكم ، أبقاء الله مثابة البادي والعاكف ،
بالصّنع المساعّد المساعف . واليّمن المتزايد المتضاعف ، والنصر الذي تشهد به
ألّسنة المارق من الجهادية والمواقف . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يتكفل
بإسعاد الراخي ، وتمهيد الرّاجف ، وعدلاً تمضي فيه أوراق المطالب ، حكم أوراق
المصاحف ، والسعد برّ المتاحف ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضّل
إلّا فضله ، ومقامكم العلى^(٣) لوجه التعريف بما يتزيد من منّح ، أو يفتح الله
جلّ جلاله من فتح ، تكل في بحر تفسيره الأقلام ، عن فسح وإسهاب وشرح ،
إذ الخلوّص المجدّد ، والحق الذي لا يجمد ، والودّ المتوارث الذي عُقوده تشهد ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (أمل) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

تَأْتِي أَنْ يَقْطَعَ مِنْهُ الْإِغْفَالُ جَنَاباً ، أَوْ تَفْقَدَ مِنْهُ مَنَاباً ، أَوْ [تَسُدَّ الشَّامِتَةُ] ^(١) مِنْهُ بَاباً ، أَوْ يَكْدِرَ صَفْوَاً ، أَوْ يَشْرَبَ ^(٢) لِبَاباً . وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَنْهَى إِلَيْكُمْ كُلَّ رَاجِعَةٍ تَتَّبِعُهَا رَادِفَةٌ ، وَسَالِفَةٌ تَعْقِبُهَا خَالِفَةٌ ، إِشَاعَةٌ لِمَنْ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِشَادَةٌ فِي الْجِهَادِ بِشَمْرِ جِهَادِهِ ، وَعِلْمٌ بِمَوَاقِعِ ذَلِكَ مِنْ مَقَامِكُمْ الَّذِي يُعْلَمُ صَدَقَ وِدَادُهُ ، وَجَمِيلَ اعْتِقَادِهِ ، وَسِيرِهِ فِي الْمَقَاصِدِ الْبَرَّةِ ، عَلَى سَنَنِ الْكِرَامِ أَجْدَادِهِ .

وَقَدْ كُنَّا عَرَفْنَاكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَبْلَ هَذَا ، أَنَّنَا عَلَى رِكَابِ جِهَادٍ ، وَاسْتِيفَانٍ احْتِشَادٍ ، إِلَى مَدِينَةِ أَبَدَةٍ ^(٣) ، لِنَهِيضَ مِنْهَا ثَانِي جُنْحَى الْكُفْرِ ، وَنَوْثَمَنَ الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَادِيَةِ الضَّرِّ ^(٤) ، وَنَفْجَعَ الشَّرْكَ بِحَبِيبِيَّتِهِ ، وَنَصْبِيهِ مِنْ بَعْدِ يَسْرَاهِ بِيَمِينِهِ ^(٥) ، فَاسْتَعْنَا بِاللَّهِ الْقَوَى الْمَعِينِ ، وَاسْتَنْجَدْنَاهُ عَلَى فَتْحِ مَعْقِلِهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ، وَاسْتَدْعَيْنَا كَافَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، لِمَا دُبَّةُ الْجِهَادِ الْوَاضِحِ الْإِشْهَادِ ، فَهَمُّوا طَائِعِينَ ، وَفِي فَوْزِ أَيْدِيهِمُ الْخُسْنِيِّينَ طَامِعِينَ ، وَاسْتَكْثَرْنَا مِنَ الْآلَاتِ وَالْأَسْبَابِ ^(٦) وَاسْتَبَحَرْنَا مِنْ مَعَارِجِ التَّسَوُّرَاتِ ، وَخَزَائِنِ النَّشَابِ ، وَلَمْ نَدْعِ حِيلَةَ تَبْقَرِ سَسُوراً ، وَلَا تَهْوِيلاً يَذْعُرُ مَحْصُوراً ، وَلَا آتَةَ تَحْطُ وَقَايَةَ مَنْصُوبَةٍ ، وَلَا نِكَايَةَ تِكْظُمُ بِلْدَةِ مَخْرُوبَةٍ ، إِلَّا اسْتَزَدْنَا مِنْ أَنْوَاعِهَا وَأَجْنَاسِهَا ، وَتَمَمَّمْنَا مَا نَقَصَ مِنْ أَقْيَاسِهَا ، بَعْدَ أَنْ اعْتَقَدْنَا أَنَّ لَأَغَالِبَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُظْهِرُ دِينَهُ وَيَنْجِزُ وَعْدَهُ ، وَإِلَّا فَمَا يَغْنَى الْعَدَدُ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ الْإِعَانَةُ وَالْمَدَدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ ، وَمُتَمِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الملكية (تفقد منه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (يشربه) .

(٣) سبق التعريف بها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (بيمين يديه) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

وَأَفْضَنَّا الْعِطَاءَ فِي الْمَرْتَزَقَةِ ، وَفَتَحْنَا الدَّوَابِينَ الْمَلْتَحِفَةَ ، وَحَمَلْنَا مِنْ نَفَقٍ فِي سَبِيلِ
 اللَّهُ جَوَادِهِ ، وَأَعْنَّا مِنْ قَصْرِ عَنْ مُؤْنَتِهِ زَادِهِ . وَخَرَجْنَا وَالتَّوَكَّلْ عَلَى الدَّلِيلِ ،
 وَالْمَوَاكِبِ الظَّنِّ الْجَمِيلِ : وَمَتَعُودُ الصَّنْعِ لِلظَّلِّ الظَّلِيلِ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ الْعَلِيَا الْعَلَمِ الَّذِي
 لَا يَمِيلُ ، فَخَيْمُنَا عَلَى أَمْيَالٍ مِنَ الْحَضْرَةِ ، مَخِيماً بِأَدَى الْوُفُورِ ، مُحْفُوفاً بِالْعِزِّ
 الْمَشْهُورِ ، وَالنَّصْرِ الرَّايِقِ الشَّعُورِ . ثُمَّ دَخَلْنَا بَعْدَ مَرَاكِحِ ضَفَّةِ الْوَادِي الْكَبِيرِ مِنْ
 أَحْوَازِهَا الْمُسْتَبَاحَةِ ، وَعَمَائِلِهَا الْمَخْرُوبَةِ السَّاحَةِ ، وَالْعَدُوِّ^(١) بِعَرَصَةِ جَسَرِ عَالٍ ، مِثْلَ
 فَوْقِهِ حِصْنٍ حَصِينٍ يَمْنَعُ الْعَابِرَ ، وَيَصُدُّ الْوَارِدَ وَالصَّادِرَ ، فَأَلْفَيْنَا دُوقْدَ ضَارِيطِ
 دَرْبِهِ ، وَقِيَّومِ سَلَمِهِ وَخَرْبِهِ ، فَأَغْنَانَا اللَّهُ [عَنْ فَضْ]^(٢) غَلْقِهِ ، وَاقْتَحَمْنَاهُ
 تَجْرِي فَوْقَهُ سَيُولَ الْحَشُودِ ، وَنَشْرَ النَّمْلِ غَيْرِ الْمَحْصُورِ وَلَا الْمَمْدُودِ ، لِأَبْلِ قَطَايِعِ
 اللَّيْثِ الْغُلَّبِ وَالْأَسْوَدِ . وَلَمَّا صَبَحْنَا سَاحَتَهَا وَأَزْمَعْنَا بِعِزَّةِ اللَّهِ اسْتِبَاحَتَهَا ، نَظَرْنَا
 إِلَى مَدِينَةِ هَايَلَةٍ ، عِمَارَتِهَا فِي الْأَرْضِ الْفَضَا جَايِلَةٍ ، وَأَدْوَا حِهَا الْأَشْبَةِ مَائِلَةٍ ،
 وَمَحَاسِنُهَا مَتَبَرِّجَةٌ مَتَخَابِلَةٌ ، وَمَنْعَتُهَا دُونَ مَنْ اعْتَصَمَ بِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ حَائِلَةٍ ،
 بِنْتِ جَبَّانٍ فِي مَلَأَتِهَا^(٣) سَعَةِ جَنَابٍ ، وَتَبَحَّرُ قَلَحٍ وَأَعْنَابٍ ، بِلَدِ التَّجَارَةِ الَّتِي يَعْمَلُ
 إِلَيْهَا سِيرَ الرِّفَاقِ . مِنْ نَازِحِ الْآفَاقِ ، وَالْمَارَبِ الْأَمْنَةِ مَسَاعِيهَا مِنَ الْإِخْفَاقِ ، وَالْمَصْرِ
 الشَّهِيرِ الْعِمَارَةِ ، الْفَسِيخِ الْإِثَارَةِ ، فَإِذَا ذُكِرَتِ الْأُمَمَاتُ فَلِإِيَّهَا يُشَارُ ، وَإِذَا
 تَشَوَّقَتِ الْمَعَاطِنُ . فَلَهَا تَحَنُّ الْعِشَارِ . فَقُلْنَا اللَّهُمَّ سَهِّلْ صَعْبَهَا ، وَأَسْفِلْ كَعْبَهَا ،
 وَاجْعَلْهَا لِعِبَادِكَ أَنْفَالاً ، وَاتْرِكْ مَعَالِمَهَا إِغْفَالاً لَرَى النَّصْرِ ثَقَالاً ، وَاقْطَعْ عَمَائِلَهَا
 لِيَدِي الْخَرَابِ ، وَاصْرَعْ آتَافَ مَبَانِيهَا السَّامِيَةِ فِي التَّرَابِ ، وَصَيِّرْهَا عِبْرَةً لِلْأُولَى
 الْأَلْبَابِ . ثُمَّ نَهَدْنَا فَأَدْرَنَّا الْجُمُوعَ بِالْأَسْوَارِ دُورَ السَّوَارِ ، بَعْدَ أَنْ عَمَمْنَا بِكِتَابِ
 الدَّارِ ظُهُورَ النِّجَادَةِ ، وَابْطُونِ الْأَغْوَارِ ، وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا طُيُورَ الْمَنِيَّاتِ مِنْ أَوْكَارِ
 الْحَيَّاتِ ، وَرَجَعْنَا بِذَوَاتِ الْأَدْرَاجِ إِلَى الْأَبْرَاجِ ، وَعَاطَيْنَا حَرْباً تَبَرَّجَتْ لِأَبْطَاذِهَا

(١) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

الحرور ، وتحلّت بشذور النجيع منها النحور ، وعَلَّتْ بالشهادة الأصوات ، وحامت عن موارد الكُماة ، وبيعت من الله النفوس ، ودارت للآجال الكؤوس ، حتى أثمر النصر ثمراته المعهودة ، فافتُرعت الشرفات المفترشات ، وأصبحت المسافات تطأها الآفات ، ودُخلت المدينة ، والقدرة لله غلاباً ، وتقسّمتها أيدي الإسلام ، قَتلاً واستلاباً ، فأخذت جُذُل الرِّماح على كفارها بوجه الأزقة ، واقتطعوا بين عيath الأيدي المستهلكة والمسترقّة ، فاستُبيحت المقاصير والقصور ، واقتُحمت الدِّيرة والدُّور ، وخُسِفَت في مطالع بُروجها الكافرة^(١) البُسُور ، وانْتُسِفَت الأقوات ، وأوقع بالكُفَر القَوَات ، وأُخْلِيَت من سُروج فُرسانهم الصَّهوات ، وأيِّمت من آبايها^(٢) الإخوان والأخوات ، وكان مسورها^(٣) الذي تعاصى عن الذرع والمساحة فوره ، وتعدّى حدود المدينة الرحبية طوره ، قد استودعت أقصيته ، نعم مسارحها التي أخافها الخلاف^(٤) ، وأم فحوصها الفيح التي يخشى عليها الإتلاف ، فألفاها المسلمون ألوفاً لا تُحصى ، وحملاً عسراً إبرازة على الجبل واستعصى ، فتناولوا الانتهاب والاقتسام ، وأمهلّت هضابها الجسام ، وأقيمت لها في هذا الميلاد الكريم المواسم الوسام . وأما الأموال الموصلة ، والخزائن المجمّلة المفصّلة ، فأعيا نقلها الظهور ، واستغرق الأيام بل الشهور . ولجأ القُلُّ من أهلها إلى القصبه التي تسع الجملة ، وتوهم المعتصم بها العُطف والمهلة ، واستأثروا من وراء سورها العاصي البناء ، وأبلوا من دون الحريم والأبناء . وزحف إليهم الرجال ، حتى ضاق بهم المجال ، ورشقتهم السهام بما لا تتصوره الأوهام ، وأمطرت عليهم السماء حجارة القذف ، وشرعت إلى أسبائهم عوامل الحذف ، وأسفوا على المتالف ، ورأوا في أنفسهم ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (إخوانها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مصدرها) ، وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال .

مواقع الرماح من التحور ، والسيوف من السوالف . إلا أننا رأينا أنها قصبة مستعدة ، قد تحصل بها من الناشبة والرامحة عدة ، فلا يتوصل إلى افتتاحها إلا بمهج ونفوس من المسلمين عليها تسيل ، وحماة لها في الإسلام الغناء الجميل ، وفي سلامتها التأمل ، وأن البلد قد استوصل معنوره ، وألصقت بالرغام دوره ، وسدّ دُكّه ، ودكّ سوره ، وتعدّد قتيله ومأسوره ، بحيث لا يفیق أبداً من بواره ، ولا يجبر كسره إلا بعد انقضاء أدوار ، وأن القصبة لا تنبدي في اعتماره ولا تعيد ، وأين يقع ساكنها مما تريد . وشرعنا في الإياب والسكك بالأوقار قد ضاقت ، والأيدى قد حملت فوق ما أطاقت [والمناصل قد أنهرت وأراقت ، ونقمة الله بعدوه قد حاقت ، ونعمه قد بهرت لدينا وراقت]^(١) . وتخلّفنا قصورها السامية قيعانا ، وكنائسها الحافلة أثراً لا عيانا ، وقد أخذ الله صلبانها ، واستعجل النيران رُهبانها ، وأنى الله بيوتها من القواعد فخرت ، وزلزل مصانعها العالية ، فاستوت على وجه الصعيد واستقرت . فما أظن أن مدينة بلغ من معنورها ، واستأصل العفا من حجرات دورها ، ما بلغ في هذه البايسة البائدة ، والغوية المكايّدة ، غير الله محاسنها [وشرد قاطنها]^(٢) . ولما فرغت الأيدى المجاهدة من داخلها الخايل تدميراً وتخريباً ، وتبيّأت هنات الله جلّ جلاله نصراً عزيزاً ، وفتحاً قريباً ، انطلقت على ما بخارجها عقرراً للأشجار ، وتعفيةً للآثار ، وتغويراً للأنهار ، وتسليطاً لسنّة النار ، وأغرّينا^(٣) بهذا العيّاث أياماً سبعة ، تُسبى النعم ، وتُبثّ في جهاتها النقم ، فتركنا مرابع^(٤) البيت الأوّانس أوّحش من الرّمس ، ومغانى الغانيات كأنّ لم تُغن بالأمس ، قد أدلّ الله بعزّ الإسلام طغيانها ، وكفّت بكفّ القدرة غدوانها ، وشان بالدمار شأنها . فكم أجلبت على ثغور الإسلام بخيلها ورجلها ، وكم عظم الفرح في

(١) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقطة بالملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سود ناطلها) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مواقع) .

الدين^(١) لأجلها ، ووفاه الله وله الحمد ، بمحلها . وقفنا والأولوية بالنصر خافقة ، وأسواق الظهور نافقة ، وألسنة الحمد والشكر ناطقة ، والفانون في فضل الصادق صادق ، والكفر قد ذل واستكان ، ودخل ثغره في خبر كان ، وعز الإسلام قد ظهر واستبان ، ورسي كما رسي رضوى وأبان ، والخيل تلاعب الطلال مرحاً ونشاطاً ، والوجه تنلاً لا اغتباطاً ، والجياد الجرد تندافع وتمطر ، والأسال السمر تتهاود وتناطر ، والجهات بشدا الفتح تتعطر ، وقد أقفر هذا الصقع العظيم من عمرانه ، وأطاع الاشتمال بالمنحسة حكم قرانه ، وأناخ عليه ألقاً بجرانه . ومن الله نسل أن يصل الإسلام عوايد النعم الجسام ، ويلهمنا الشكر المستدعى للمزيد من هذه الأقسام ، وإن كان هذا الوطن الذي يغبط من الكفار ، يدفعه الله ويكتبه ، ويعلق الثواب الجزيل ويرقبه ، فكيف لا نحمد الله على تخريب هذا المصر الشهير ، والقطر الخصيب الخطير ، بحيث تمضي الأحقاب ، وهو عبرة للمعتبرين ، وواعظ للمبصرين المستبصرين ، وحديثه لسان صدق في الآخرين . ومقامكم وجهة المبشرات مهما يسرها الله وكيفها ، والصنائع إذا أولاها جل جلاله وعرفها ، عليكم نجلو صورها ، ولديكم نتلو سورها ، علماً من دينكم الذي علمت مساهمته ونصحه ، وأشرق في أفق الفضل صبحه ، ولما لسلفكم من أثر بهذه البلاد لا يخفى ، وإعانة حقوقها المرعية لا تخفى ، وأجورها عند الله توفى . وأنتم وارث [خلداً بهذه البلاد]^(٢) إلا عن كلاله ، وولى ما تخلفه من مجد وجلالة . وإنا لنرجو أن يكون لكم في الجهاد بهذه البلاد القُدح المعلى ، والأثر الذى يتلى ، فيؤمن نقيبتكم قد أشرف وتجلّى ، وعلى ميادين الظهور قد استولى . والله يحقق الآمال ، وينجح الأعمال . وأوجب تعجيل التعريف به ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

وُدُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنَ الْعَذْبِ الزُّلَالِ ، وَخُلُوصٌ يَتَضَاعَفُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ
وَاللَّيَالِ . وَنَحْنُ نَشْرَعُ فِي إِعْمَالِ الْحَرَكَةِ إِلَى قُرْطُبَةَ ، دَمَّرَهَا اللَّهُ ، وَاثْقَيْنِ بِنَذَى
الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ ، مُسْتَظْهِرِينَ بِنَيْتِكُمُ الْكَرِيمَةِ ، الْكَفِيلَةَ بِسَعَادَةِ الْمَنَالِ . وَدَعَاءُ مَنْ
لَدَيْكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، بِمَا يَقْضَى بَبُلُوغِ وَإِجَابَةِ السُّؤَالِ . وَاللَّهُ يَصِلُ لَكُمْ سَعْدًا مُبِيدَ
الظَّلَالِ ، بِأَمْتِدَادِ الْبَكْرِ وَالْأَصَالِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتبت لصاحب تونس^(١) بمجموع هذه الفتوح
عن السلطان رضى الله عنه ، وقد أهدى خيلاً عتاقاً
وأصنافاً من الرقيق والفتيان وغير ذلك صُحبة
الرسول الفقيه أبى الحسن البنا وبتاريخ اليوم
الثالث من شهر ربيع الآخر من عام سبعين
وسبعمائة

الخلافة التى ارتفع فى عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ، واستقلت
مباني فخرها الشائع وعزها الذائع ، على ما أسسه الأسلاف ، ووجب لحقها الجازم
وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسعت الآملين لها الجوانب الرحبة والأكناف ،
فامتزاجنا بعلائها المنيف ، وولائها الشريف ، كما امتزج الماء والسلاف ، وثناؤنا
على مجدها الكريم ، وفضلها العميم ، كما تأرجت الرياض الأفواف ، لما زارها
الغمام الوكّاف ، ودعاؤنا بطول بقائها واتصال علائها ، يسمو به إلى قرع
أبواب السموات [العلا]^(٢) الاستشراق ، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ،
وفواضلها العميمة ، لا تحصره الحدود ، ولا تدركه الأوصاف . وإن عذر فى
التقصير عن نبيل ذاك المرام الكبير ، الحق والإنصاف ، خلافة وجهة تعظيمنا
إذا توجهت الوجوه ، ومن نوثره إذا أهمنا ما نرجوه ، ونفديّه ونبيديّه إذا
استمنح المحبوب ، واسترفع المكروه . الخليفة [الكذا] أبو إسحق ابن الخليفة
الكذا أبى يحيى أبى بكر ابن السلطان أبى زكريا ابن السلطان الكذا أبى إسحق ابن

(١) صاحب تونس المشار إليه هنا هو الأمير أبو إسحق المستنصر الحفصى ، تولى خلافة الدولة الحفصية
منذ سنة ٧٥١ هـ ، حتى وفاته فى سنة ٧٧٠ هـ .
(٢) هذه الكلمة زائدة فى صيغ الأعراس .

الخليفة المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا بن عبد الواحد ابن أبي حفص^(١) أبقاه الله . ومقامه مقام إبراهيم رزقاً وأماناً ، لا يخص جلب الثمرات^(٢) إليه وقتاً ولا يعين زماناً . وكان على من يتخطف الناس من حوله مؤيداً بالله معاناً ، معظم قدره العالی على الأقدار ، ومقابل داعي حقه بالابتدار ، المثني على معاليه المخلدة الآثار ، في أصونة النظام والنثار ، ثناء الروضة المعطار ، على الأمطار ، الداعي إلى الله ببقائه^(٣) في عزّة مُنْسَدِلَةِ الأستار ، وعصمة ثابتة المركز ، مستقيمة المدار ، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ، ونهايات الأعمار ، بالزُفَى وَعُقْبَى الدَّار . سلام كريم كما حملت نسمات الأسحار ، أحاديث الأزهار ، وروت ثغور الأقاحي والبهار ، عن مسلسلات الأنهار [وتجلى على منصة الاشتهار ، وجه عروس النهار]^(٤) يخص خلافتكم الكريمة النجار ، العزيزة الجار ، ورحمة الله الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله الذي أخفى حكّمته البالغة عن أذهان البشر ، فعمّزت عن قياسها ، وجعل الأرواح ، كما ورد في الخبر تحن إلى أجناسها ، مُنْجِدَ هذه المِلَّة ، من أوليائه الجِلَّة ، بمن يروض الآمال بعد شماسها ، وييسر^(٥) الأغراض قبل التماسها ، ويعنى بتجديد المودّات في ذاتِه وابتغاء مَرْضَاتِه ، على حين إخلاق

(١) هكذا ورد هذا التعريف الموجز بالأمير أبي إسحق المستنصر وآبائه في «الريحانة» ، وفي كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» حيث نشرت نفس الرسالة . ولكن النص الذي ورد في صبح الأعشى الذي نقل إلينا أيضاً هذه الرسالة ، يتضمن التعريف والتنويه في صيغة طويلة متعددة الألقاب والأوصاف للأمير أبي إسحق وآبائه (راجع صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٣٦ و ٥٣٧) .

(٢) وردت في الإسكوريال (السماوات) ، والتصويب من الإحاطة (إسكوريال) وصبح الأعشى .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (بدوام بقاءه) .

(٤) ما بين الحاصرتين وورد في الإحاطة وصبح الأعشى ، وساقط في الريحانة (إسكوريال) .

(٥) وردت في الإسكوريال (وينثر) ، والتصويب من الإحاطة .

لباسها ، الملك الحق ، واصل الأسباب بحوله ، بعد انتكاب^(١) أمراسها ، ومُغنى
النفوس بطوّله بعد إفلاسها ، حمداً يدرُّ أخلاف النعم ، بعد إيساسيها^(٢) ، وينشر
رعم الآمال من أرماسيها ، ويقدس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إيلاسيها .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونبراسيها ، عند اقتناء
الأنوار واقتباسها ، مُطهر الأرض من أَوْصَارها وأَدْناسها ، ومصطفى الله من بين
ناسها ، وسيد الرسل الكرام ما بين شيثها وإلياسها ، والآتى مُهيمناً على آثارها
في حين فترتها ، ومن بعد [استياسها]^(٣) ، مرغم الضراغم في أخياسها بعد افترارها
وافتراسها ، ومعفر أجرام الأصنام ، ومُصمت أجراسها . والرضا عن آله وأصحابه
وعِترته وأحزابه ، حُماة شرعته البيضاء وحرّاسيها ، وملقحي غراسيها ، ليوث
الوُغى عند احتدام مراسيها ، ورُهبان الدُّجا ، تتكفل مناجاة السميع العليم ، في
وَحْشة اللَّيل البَهِيم بإيناسيها ، وتفواح نواسيم الأسحار عند الاستغفار بطيب
أنفاسيها . والدعاء لخلافتكُم العلية المستنصرية ، بالصنایع التي تشعشع العزة القعساء
من أكواسيها ، ولا زالت العزة^(٤) الإلهية كفيّلة [باحتراسيها وامتراسيها]^(٥)
وأنباء الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح ، ريحان جُلاسيها ، وآيات المفاخر التي ترك
الأول للآخر ، مكتتبه على الأسطار بأطراسيها ، وميادين الوجود مجالاً لجياد جودها
وبأسها ، والعز والعدل منسوبين [لفسطاطها وقسطاسيها]^(٦) . وصحيفة النصر
العزیز تفيض كمها المؤيدة بالله ، على رياسها عند احتياج أضدادها وسرة انتكاسها ،
لانتهاب البلاد وانتهابها ، وهبوب رياح رياحها ، وتمرد مرداسيها . [فإنّا كتبناه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (انتكاث) .

(٢) وردت في الإسكوريال (إيباسيها) ، والتصويب من الإحاطة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الإحاطة (نصرتها واستيناسيها) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (العصمة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (باحترامها واحتراسيها) .

(٦) هذه الزيادة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الإحاطة .

إليكم ، كتب الله لكم من كتاب نصرد أمداداً ، تذعن أعناق الأيام لطاعة ملككم المنصور الأعلام عند إحساسها ، وأتاكم من آيات العناية آية تضرب الصخرة الصماء بمن عصاها بعصاها ، فتبادر بانبحاسها . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام لولايمها وأعراسها ، وطواعن الطعان [في عدو الدين المعان]^(١) تجدد عريدها بعام عمواسها . والحمد لله حمداً معاداً ، يقيد شوارب النعم ، ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من انتكاب الجدود وانتكاسها ، ولئى الآمال ومكاسها . وخلافتكم هى [المثابة]^(٢) التى تزهى الوجود بمحاسن مجدها ، زهو الرياض بوردها وآسها ، ونستمد أضواء الفضائل من مقياسها ، وتروى روعة الإفادة والإبادة عن ضحاكها وعباسها . وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم ، وقد فعل ، وأنطق بحجج مجدكم^(٣) ، من احتفى وأنشغل ، فإنه وصلنا كتابكم الذى حسبناه على صنائع الله تيممة لا تلتئم بعدها عين ، وجعلناه على حل مواهبه ، قلادة لا يحتاج معها زين ، ودعوانه من [جيب الكنانة]^(٤) آية بيضاء للكتابة ، لم يبق معها شك ولا مئى ، وقرأنا منه وثيقة ود ، هضم فيها عن غريم الزمان دين ، ورأينا منه إنشاء ، خلد الميراث بين يديه مشاء ، وسيل عن معانيه الاختراع ، فقال إنا أنشأناهن إنشاءً ، فأهلاً به من عربى أبى يصف السانح والبانة ، ويبين فيحسن الإبانة ، أدى الأمانة . وسئل عن حيه فانتهى إلى كنانة ، وأفصح وهو لا ينس ، وتهللت قسماته ، وليل حيره يعبس ، وكان خاتمه المقفل على صوانه ، المتحف بباكر الورد فى غير أوانه ، رعى من مسك عنوانه ، والله من قلم دبج تلك الحلل ونقع بمجاج الدواة

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة ومكانها فى الإسكوريال كلمة (المهان) .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الإحاطة (فخركم) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (جانب الكتابة) ، والتصويب من الإحاطة .

المستمدة من عَيْن الحياة الغُلل ، فلقد تخارق في الجُود ، مقتدياً^(١) بالخِلافة ،
التي خلد فخرها في الوجود ، فجَادَ بسرّ البيان ولُبّابه ، وسَمَحَ في سبيل الكرم
[حتى بماء شبابه]^(٢) وَجَمَعَ لفرط بشاشته وفهامته ، بعد شهادة السيف بشهامته ،
فَمَشَى من الترحيب في الطُّرس الرحيب ، على أُمِّ هامته ، وأكْرَمَ به من حكيم أَفْصَحَ
بمَلْعُوز الإكسير ، في اللَّفْظ اليسير ، وشرح بلسان الخبير ، سرَّ صناعة التدبير ،
كأنما خدّم الملكة الساحرة بتلك البلاد ، قبل استنجاز الجِلال ، فآثرت بالطَّارف
من سحرها والتَّلاذ ، أو غير بالملقّة ، وتلك القديمة المطلقّة ، [من قِنية]^(٣)
دار ، أو كَنَزٍ تحت جِدار ، أو ظَفِرٍ لمباني الحنايا ، قبل أن تنقطع به عن أمانيه
المنايا ، ببديعه ، أو خَلَفَ جَرَجِير^(٤) الروم ، قبل منازل القُروم على وديعه ،
أو أسْهُمَه ابن أبي سرح في نَشَبٍ للفتح وسَرَحَ ، أو ختم له روحُ بن حاتم ببلوغ
المَطْلَب ، أو غَلَبَ الحظوظ بخِدْمَةِ آل الأَغْلَب ، أو خصه زيادةُ الله بمزيد ،
أو شارك الشيعة في أمر أبي يزيد ، أو سار على منهاج في مناصحة بني صنهاج ،
وفضح بتخليد أمداحهم كل هاج ، وأعجب له ، وقد عزز منه مثنى البيان
بثالث ، فجلب سحر الأسماع ، واسترقاق الطباع ، بين مثنى الإبداع ، ومثالث
كيف اقتدر [على هذا المَعيد]^(٥) وناصح مع التثليث مقام التوحيد ، نستغفر الله ،
ولِي العون على الصُّمة^(٦) والصَّوْن ، فالقلم هو الموحد قبل الكون ، والمتَّصِف
من صفات السادة أولى العبادة ، بضمُور الجسم ، وصفرة اللون ، إنما هي
كرامة فاروقية ، وإشارة^(٧) من حديث سارية ، وبقية سفر وجهها في الأعقاب ،

(١) وردت في الإسكوريال (متدياً) والتصويب من الإحاطة .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإحاطة ومكانها في الإسكوريال (بأسبابه) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (بدينية) .

(٤) وردت في الإسكوريال (بوجيز) والتصويب من الإحاطة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإحاطة ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (الصمت) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (وإثارة) .

بعد طول الانتِقاب ، وتداول الأحقاب ، ولسان مناب عن كريم جناب ، وإصابة السهم لسواه محسوبة ، وإلى الراى الذى سدده منسوبة ، ولا تنكر على الغمام بارقة ، ولا على المحققين^(١) بمقام التوحيد كرامة خارقة ، فمن شاء الفضل من غرايب برّ وجد ، ومحاريب خلُق كريم رقع الشكر فيها وسجد . حديقة بيان استشارت نواسم الإيداع من مهبها ، واستنارت غمايم الطباع من مصبها ، فأتت أكلها مرتين بإذن ربها ، لا بل كتيبة عز طاعنت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها النقد ولا يطورها ، ونزعت عن قسيّ التونات خطوطها ، واصطفّت من بياض الطرس ، وسواد النفس . فلق تحوطها ، فما كاس المدير على الغدير ، بين الخورنق والسدير ، تغامر ببرد الحباب ، عقول أولى الألباب ، وتغرق كسرى فى القياب ، وتهدى وهى الشمطا نشاط الشباب ، وقد أسرج ابن سريح وألجم ، وأفصح للقريض بعد ما جمجم ، وأعرب النأى الأعجم ، ووقع معبداً بالقضيب ، وشرعت فى حساب العقد بنان الكفّ الخضيب ، وكأنّ الأنامل فوق مثالث العود ومثانيه ، وعند إغراء الثقيل بثانيه ، وإجابة صدا الغناء بين مغانيه . المراودُ تشرع فى الوشى ، أو العناكب تسرع فى المشى ، وما المخبر بنيل الرغائب ، أو قدوم الحبيب الغائب ، لا بل إشارة البشير [بكمّ المشير]^(٢) على العشير ، بأجلب للسرور من زائرة الملتقى بالبرور ، وأدعى للحبور من سفيره الدُّبَّهَج للسُّفور ، فلم ير مثله من كتيبة كتاب تجنّب الجرد [تمرح]^(٣) فى الأرسان . وتتشوّف محالى ظهورها إلى عرايس الفرسان ، وتهزّ معاطف الارتياح من صهيلها الصّراح بالنغمات الحسان إذا أوّجست . الصريخ بارحت^(٤) إثناء الأعنة ، وكاثرت بأسنة آذانها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (المتحققين) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) الزيادة من الإحاطة .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (نازعت) .

مُشْرِعَةَ الْأَسِنَّةِ ، فَإِنْ ادَّعَى الظِّلْمُ إِنْكَالَهَا ، فَهُوَ ظَالِمٌ ، أَوْ نَارِزُ الظُّبَى هَوَادِيهَا
وَأَكْشَالُهَا فَهُوَ هَادٍ أَوْ حَالِمٌ . وَإِنْ سَتَلَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ عُيُوبِ الْغُرَرِ وَالْأَوْضَاحِ ، قَالَ
مَشِيرًا إِلَى وَجُوهِهَا الصُّبَاحِ ، « جِلْدَةٌ بَيْنَ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ سَالِمٌ » ، مِنْ كُلِّ عَجَلٍ
الشَّوْى ، مُسَابِقِ النَّجْمِ إِذَا هَوَى ، سَامِى التَّلِيلِ ، عَرِيضُ مَا تَحْتَ الشَّلِيلِ ، مُشَوِّقَةٌ
أَعْطَافُهُ بِمَنْدِيلِ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ ، مِنْ أَحْمَرَ كَالْمُدَامِ ، تَجَلَّى عَلَى النُّدَامِ عَقَبُ الْفِدَامِ
أَتَحَفَ لَوْنُهُ بِالْوَرْدِ ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، وَحَيًّا أَفُقَ مَحْيَاهُ بِكُوكَبِ السَّعْدِ ، وَتَشَوَّفُ
الْوَاصِفُونَ إِلَى عَدِّ مُحَاسِنِهِ ، فَأَعْيَتَ عَنْ الْعَدِّ ، بَحْرٌ يَسَاجِلُ الْبَحْرَ عِنْدَ الْمَدِّ ،
وَرِيحٌ تَبَارَى الرِّيحَ عِنْدَ الشَّدِّ بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ ، حَكَمَ لَهُ مُدَبِّرُ الْفَلَكَ بِاعْتِدَالِ
فَصْلِ الْقَدِّ ، وَمَيَّزَهُ قَدْرُهُ الْمُمَيِّزُ يَوْمَ الْاسْتِيقَاقِ بِقَصَبِ السِّبَاقِ ، عِنْدَ اعْتِبَارِ
الْجَدِّ . وَوُلِدَ مَخْتَطُ غُرَّتِهِ أَشْكَالُ الْجَمَالِ عَلَى الْكَمَالِ ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ ،
وَنَقَا الْخَدِّ ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخُلُقِ الْوَجِيهَ عَنْ جَدِّهِ الْوَجِيهَ . وَلَا تَنْكَرُ الرِّوَايَةَ عَنْ
الْحَافِظِ بْنِ الْجَدِّ . وَأَشْقَرُ ذَهَبِي ^(١) الْخَلْقُ وَالْوَجْهَ الطَّلَقُ ، أَنَّ يَحْقَرُ كَأَنَّمَا
صَيَغَ مِنَ الْعَسَجَدِ ، وَطُرِفَ بِالْدُرِّ ، وَأُنْعِلَ بِالزَّبْرِجَدِ ، وَوُسِمَ فِي الْحَدِيثِ بِسَمَةِ
[الْيَمْنِ وَ] ^(٢) الْبَرَكَةِ ، وَاخْتَصَّ بِفُلْجِ الْخِصَامِ عِنْدَ اسْتَنْجَازِ ^(٣) الْمَعْرَكَةِ ، وَانْفَرَدَ
بِمُضَاعَفِ السِّهَامِ الْمُنْكَسِرَةِ ، عَلَى الْهَامِ فِي الْفَرَائِضِ الْمُشْتَرَكَةِ . وَاتَّصَلَ ^(٤) فَلَكُ
كَفَلِهِ ، بِحَرَكَتِي الْإِدَارَةِ ، وَالطَّبْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ . أَصْغَى إِلَى السَّمَاءِ بِإِذْنِ الْمُلْهِمِ ،
وَأَغْرَى لِسَانَ الصُّمَيْلِ ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِي الْمُهْمَزِ ، وَالتَّسْهِيلِ بَبَيَانِ الْمُبْهَمِ .
وَفَتَنْتَ الْعُيُونَ مِنْ ذَهَبِ جِسْمِهِ ، وَلُجِّينَ نَجْمِهِ ، بِحُبِّ الدُّنْيَرِ وَالْدَّرْهِمِ ، فَإِنْ
انْقَضَ فَرَجٌ ، أَوْ رِيحٌ لَمَّا هَجَمَ ^(٥) ، اعْتَرَضَ فَشَفَقَ لَاحَ بِهِ لِلنَّجْمِ نَجْمٌ ، وَاصْفَرَّ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (أبي) .

(٢) هذه الزيادة من الإحاطة .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (اشتجار) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (واتصف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (تفشى) .

قَيْدُ الْأَوَابِدِ الْحَرَّةِ ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنَ ، وَأَطْلَقَ الْغُرَّةَ ، وَسِيلَ مِنْ أَنْتَ فِي قُوَادِ
الْكِتَابِ وَأَوَّلَى الْأَخْبَارِ الْعَجَائِبِ ، فَقَالَ أَنَا الْمُهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ، نَرْجِسُ هَذِهِ
الْأَلْوَانَ فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ ، تَحْيَا بِهِ مُحْيَا الْحَرْبِ الْعَوَانَ ، أَغَارَ بِنَخْوَةِ الصَّائِلِ ،
عَلَى مُعْضَفَرَاتِ الْأَصَائِلِ ، فَارْتَدَّاهَا ، وَعَمَدَ إِلَى خِيُوطِ [شُعَاعِ] ^(١) الشَّمْسِ ،
عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ ، فَالْتَجَمَ مِنْهَا حُلَّتَهُ وَأَسَدَّاهَا ، وَاسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْحَاسِنِ
فَمَا أَعْدَّاهَا ، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذِيلِ اللَّيْلِ عُرْفُهُ وَذَيْلُهُ ، وَكَوْكَبٌ يَطْلَعُهُ مِنَ
الْقِتَامِ لَيْلُهُ ، فَيَحْسِدُهُ فَرَقْدُ الْأَفْقِ وَشُهَيْلُهُ . وَأَشْهَبَ سَنَى مِنْ لَوْنِهِ مَفَاضَةٌ ،
[وَتَسْرِبِلُ مِنْهُ] ^(٢) لَامَةٌ فِضْفَاضَةٌ ، قَدْ احْتَفَلَ زَيْنُهُ لِمَا رَقَمَ بِالنَّبَالِ لُجَيْنُهُ ،
فَهُوَ الْأَشْمَطُ الَّذِي حَقَّهُ لَا يُغْمَطُ ، وَالذَّارِعُ الْمُسَارِعُ ، وَالْأَعْزَلُ الذَّارِعُ ، وَرَاقِي
الْهِضَابِ الْفَارِيعُ . وَمَكْتُوبُ الْكِتَابَةِ الْبَارِعُ . وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُرْتَضَى سَالِكِ ، وَمُجْتَهِدِ
عَلَى غَايَاتِ السَّابِقِينَ مُتَهَالِكِ ، وَأَشْهَبُ يَرُوى مِنَ الْخَلِيفَةِ ذِي الشِّمِّ الْمُنِيفَةِ عَنْ
مَالِكِ . وَحُبَّارَى كُلَّمَا سَابَقَ وَبَارَى ، اسْتَعَارَ جَنَاحَ الْخَبَارَى ، فَإِذَا أَعْمَلْتَ الْحِسْبَةَ ،
قِيلَ مِنْ هَذَا جَاءَتْ النُّسْبَةُ ، طَرَدَ [النَّمْرُ لِمَا عَظِمَ] ^(٣) أَمْرُهُ وَأَمْرُهُ ، فَنَسَخَ وَجُودَهُ
بِعَدَمِهِ ، [وَابْتَزَّهُ الْفَرُوءَةُ] ^(٤) مَلَطَّخَةً بِدَمِهِ . وَكَأَنَّ مُضَاعَفَ الْوَرْدِ نَثَرَ عَلَيْهِ
مِنْ طَبَقِهِ ، أَوْ الْفَلَكَ لِمَا ذَهَبَ الْحَلَكُ ، مَزَجَ بِيَاضَ صُبْحِهِ بِحُمْرَةِ شَفِيقِهِ ،
وَقَرطَاسِي حَقَّهُ لَا يُجْهَلُ ، مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ ، إِنْ نَزَعَ عَنْهُ جُلُّهُ ،
فَهُوَ نَجْمٌ كُلُّهُ ، انْفَرَدَ بِمَادَةِ الْأَلْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ [تَشْرِيهَا] ^(٥) الْأَكْوَانَ ، وَتَمَزَّجَهَا ^(٦)
أَقْلَامَ الْمَلَوَانَ . تَتَقَدَّمُ مِنْهُ الْكِتَابَةُ الْمَقْفَلَةُ لَوَاءِ نَاصِعِ ^(٧) ، أَوْ أَبْيَضَ مُمَاصِعِ ،

(١) هذه الزيادة واردة في الإحاطة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإحاطة ، ومكانها في الإسكوريال (التميز الأعظم) .

(٣) وردت هذه العبارة في الإسكوريال كالألق (واقته ابروه) ، والتصويب في الإحاطة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الإحاطة (أن تشوبها يد) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (تمزجها) .

(٦) وردت في الإسكوريال (صانع) والتصويب من الإحاطة .

لبس وقار الشَّيب في رَيَّعَانِ العُمَرِ القَشِيبِ ، وأنصتت الآذَان من صهيله المُطِيل
المُطِيب ، لما ارتدى بالبياض إلى نَغْمَةِ الخَطِيب . وإن تَعَتَّب منه التَّأخِير
المُقَتَّب ، قلنا الواو لا تُرْتَب ، ما بين فحل وحرّة ، وبَهْرُمَانَةٌ ودُرّة ، وبالله من
ابتسام غُرّة ، ووضوح يَمْنٍ في طُرّة ، وبهجة للعَيْنِ وقُرّة . وإن وَلَّعَ الناس بامتداح
القديم ، وطَمَحَ إلى رُتْبَةِ المَخْدُومِ طَرَفَ الخديم ، وقُورِنَ المَثْرَى بالعديم ،
وَبُخَسَ في سُوْقِ الكَسَدِ^(١) الكيل ، ودَجَا اللَّيْلُ ، وظهر في فَلَكِ الإنصاف الميل ،
لَمَّا تَذُوكِرَتِ الخيل ، فَجِئَءَ بالوجيه والخطار ، والزَّايِدُ وذِي الحِمَارِ ، ودَاحِسُ
والسَّكْبِ ، والأبَحِرُ وزاد الرِّكْبِ ، والجموح واليحموم ، والكُمَيْتِ ومكتوم ،
والأَعْوَجَ والحلوان ، ولاحق والغَضْبَانِ ، وعَفْرُوزُ والزعفران ، والمَجْبَرُ واللُّعَابُ ،
والأَغْرَ والغُرَابِ ، وشُقْلَةٌ وألْعَابُ ، وألْفِيَاضُ واليعبُوبُ ، والمَذْهَبُ واليَعْسُوبُ ،
والصَّحُونُ والقَطِيبُ ، وهَيْدَبُ والصَّبِيبِ ، وَأَهْلُوبُ وهَدَاجُ ، والحُرُونُ والحَرَّاجُ ،
وعُلُوى والجَنَاحِ ، والأَخْوَى وَمَحَاحُ ، والعَصَا والنَّعَامَةُ ، والمَبْلَقَا والحَمَامَةُ ،
وسِكَابُ والجَرَادَةُ ، وخَبُوصًا والعَرَادَةُ . وكم بين الشَّاهِدِ والغَايِبِ ، والفُرُوضِ
والرَّغَايِبِ ، وفرق ما بين الأَثَرِ والأَعْيَانِ ، غَنَى عن البَيَانِ ، وَشَتَّانِ ما بين الصَّرِيحِ
والمُسْتَتَبِ ، ولله دُرُّ القَايِلِ «خُذْ مَا تَرَاهُ ، ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ» ، والنَّاسِخُ يَخْتَلِفُ بِهِ
الحُكْمُ ، وشر الدَّوَابِ عِنْدَ التَّفْضِيلِ الصَّمُّ والبُكْمُ ، إِلَّا مَا رَكِبَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ
يَوْمَ الْاِفْتِخَارِ بَرَهَانٌ مَرَعَى^(٢) ، وَمُفَضِّلٌ مَا سَمِعَ عَلَى مَا رَأَى غَبَى . فَلَوْ أَنْصَفْتَ
مَحَاسِنَهَا الَّتِي وُصِفَتْ ، لَأَقْضَمْتَ حَبَّ الْقُلُوبِ عِلْفًا ، وَأَوْرَدْتَ مَاءَ الشَّبِيَةِ
نُطْفًا ، وَتَخَذْتَ لَهَا مِنْ عَذْرِ الْخُدُودِ الْمِلَاحِ عُذْرَ مَوْشِيَّةٍ ، وَعَلَلْتَ بِصَفِيرِ أَلْحَانِ
الْقِيَانِ كُلِّ عَشِيَّةٍ ، وَأَهْلَتْ^(٣) بِالْأَهْلَةِ ، وَغُطِيتَ بِالرِّيَاضِ بَدَلِ الْأَجِلَّةِ إِلَى

(١) وردت في الإسكوريال (الحمد) . والتصويب من التعريف .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الإحاطة (خي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (انملت) .

الرقيق ، الخلق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرعاية روقة الفتیان رعاته ، وتهدي عقيقتها من سبحة أشكالا ، تشهد للمخترع سبحانه ، بإحكام مخترعاته ، وقفت ناظر الاستحسان لا يُرِيم لما بهرها منظره الكريم ، وتحامل الظلم ، وتضائل الرِيم . وأخرص مُفَوِّهُ اللسان [بملكة التبيان]^(١) الحفيظ العليم . وناب لسان الحال عن لسان المقال عند الاعتقال . فقال يخاطب المقام ، الذى أطلعت أزهارها غمايم جوده ، واقتضت اختيارها بركة وجوده . لو علمنا أيها الملك الأصيل ، الذى كرم منه الإجمال والتفصيل ، أن الثناء يُوازيها ، لكِلْنَا لك بكيك . أو الشكر يُعادلُها أو يُجازيها ، لتعرضنا بالوشل إلى نيل نبلك ، أو قلنا هى التى أشار إليها مُستصرخ سَلَفِكَ المستنصر بقوله : « أدرك بخیلك » ، حين شَرِقَ بدمعه الشرق ، وانهمز الجمع ، واستولى الفرق ، واتسع فيه ، والحكم لله ، الخرق ، ورأى أن مقام التوحيد بالمظاهرة على التثليث ، وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق . والآن قد أغنى الله بتلك النية ، عن اتخاذ^(٢) الطوال الردينية ، وبالدعاء من تلك المثابة الدينية ، إلى ربِّ البنية عن الأمداد السنية ، والأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المنيّة ، وعن الجرد العربية في مَقَاوِد اللبوث الأبية ، فجدد برسم هذه الهدية ، مرايم العهود الودية ، والذمم الموحّدية ، لتكون علامة على الأصل ، ومُكذّبة لدعوى الوقف والفصل ، وإشعاراً بالألفة التى لا تزال أَلِفُهَا بِحَوْلِ الله ، أَلِفَ الوصل ، ولأمّها حَرَاماً على النصل .

وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فقرّر من فضلكم ، ما لا ينكره من عرف علو مقداركم ، وأصاله داركم ، وفلك أبعادكم ، وقُطِب مداركم ، واجبنا عنه بجهد ما كنا لننقنع من جناه المُهْتَصِر ، بالمُقْتَضِبِ المُخْتَصِر ، ولا لنقابل طول طوله بأقصر ، لولا طروء الحَصَر . وقد كان بين الأسلاف ، رضوان الله عليهم ود أبرمت من أجل الله

(١) هذه الزيادة من الإحاطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الإحاطة (إنجاد) .

معاقده ووثرت للخلوص الجلى المنصوص ، مضاجعه القارة ومراقده [وتعاهد بالجميل] ^(١) توجع لفقده فيما سلف فاقده ، أبى الله إلا أن يكون لكم الفضل فى تجديده ، والعطف بتوكيده . فنحن الآن لا ندرى أى مكارمكم تذكّر ، أو أى فواضلكم تُشرح أو تُشكر . أمفاتحتكم التى هى عندنا فى الحقيقة فتُح ، أم هديتكم ، وفى وصفها للأفلام سُبْح ، ولعدو الإسلام بحكمة حكمتها كَبَح . إنما نكل الشكر لمن يوفى جزاء الأعمال البرّة ، ولا يُبَخس مثقال ذرة ، ولا أدنى من مثقال الذرة ، ذى الرّحمة الثرة ، والألطف المستمرة ، لا إله إلا هو .

وإن تشوّفتم إلى الأحوال الراهنة ، وأسباب الكفر الواهنة ، فنحن نُطرفكم بطرفها ، وهو أننا كما أعادنا الله من التّمحيص ، إلى مثابة التّخصيص ، من بعد المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة ، ووقفنا على سبيله مساعى الحياة القصيرة ، ورأينا كما نقل إلينا ، وكُرّر من قبلنا وعلينا ، أن الدنيا وإن غرّ الغرور ، وأقام على سرّ الغفلة السرور ، فلم ينفع الخُطور ^(٢) على أجداث الزّمان ^(٣) . والمرور جسر يُعبّر ومتاع لا يُغبط ، من حُبى به ولا يُجبر ، إنما هو خبر فيه يُخبر ، وأن الأعمار أحلام ، وأن الناس نيام ، وربما رحل الراحل عن الخان قد جلّله بالأذى وبالدخان ، أو ترك بعده طيباً وثناً يقوم بعده للآتى خطيباً . فجعلنا العدل فى الأمور ملاكاً ، والتفقّد للشغور مسواكاً ، وضجيع المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه مناط الاجتهاد ، وقوله « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم » دليل الإِشهاد . وبادرنا رَمَق ^(٤) الحصون المُضاعة ، وجُنح

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الحضور) والتصويب من الإحاطة .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (الاحباب) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (من) ، والتصويب من التعريف .

التقية دامس ، وعوراتيه لا ترد يد لأمس ، وساكنها بايس ، والأعصم في
شعباتها من العصمة آيس . فرتبنا^(١) ببيض الشرفات ثناياها ، وأفعمنا بالعذب
الفرات ركايها ، وغشينا بالصفيح المضاعف أبوابها ، واحتسبنا عند موقى
الأجور ثوابها ، وبيضنا بناصع الكلس أثوابها . فهي اليوم توهم حسن العيان
أنها قطع من بيض العنان ، تكاد تناول قرص البدر بالبنان ، متكفلة للمؤمن من
قرع الدنيا والآخرة بالأمان ، وأقرضنا الله قرصاً ، وأوسعنا مدونة الجيش عرصاً ،
وفرضنا أنصافه مع الألهة قرصاً ، واستندنا من التوكل على الله الغنى الحميد
إلى ظل لواء ، ونبدنا إلى الطاغية عهده على سواء ، وقلنا ربنا أنت العزيز ، وكل
جبار لعرك ذليل ، وحزبك هو الكثير ، وما سواه قليل ، أنت الكافي ، ووعدك
الوعد الوافي ، فأفرض علينا مدارع الصابرين ، واكتبنا من الفائزين بحظوظ
رضاك الظافرين . [وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين]^(٢) .

فتحركنا أولى الحركات ، وفاتحة مصحف البركات ، في خف من الحشود ،
واقتنصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود ، إلى حصن أشير^(٣)
السامى^(٤) المطل ، وركاب العدو الضال المضل ، ومهدى نفثات الصل ،
على امتناعه وارتفاعه ، وسمر يفاعه ، وما بذل العدو فيه من استعداده ،
وتوفير أسلحته وأزواجه ، وانتخاب أنجاده ، فصلينا عليه بنفسنا ناره ،
وزاحمنا عليه الشهداء نصابر أواره ، ونلقى بالجوارح العزيزة سهامه
[المسمومة وجلالته]^(٥) الملوثة وأحجاره ، حتى فرعنا بحول الله ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (فرأينا) .

(٢) ما بيني الخاصرتين وارد في الإحاطة وساقط في الإسكوريال .

(٣) كان حصن أشير ، حسبما تقدم من حصون إشبيلية الأمامية في هذا العصر . وقد افتتحه السلطان

محمد الغنى بالله سنة ٧٦٨هـ (٣٦٧ م) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (البازي) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإحاطة وساقط في الإسكوريال .

من لا حول ولا قوة إلاّ به ، أبراجه المنيعّة وأسواره ، وكفّفنا عن العباد والبلاد أضراره ، بعد أن أضفنا إليه حصن السّهلة جاره ، ورحلنا عنه بعد أن شحّناه رابطة وحامية ، [وأوسّعناه] ^(١) أزواداً نامية ، وعملنا بيدنا في رمّ ما ثلّم القتال ، وبقرّ من بطون مسابقه الرجال ، واقتدينا بنبينا صلوات الله وسلامه عليه ، في الخندق ، لما حمى ذلك المجال ، ووقع الارتجاز المنقول خبره والارتحال ، وما كان ليقرّ الإسلام مع تركه القرار ، وقد كُتب الجوار ، وتداعى الدّعرة وتعاون الشرار .

وقد كنا أغزينا الجهة الغربية من المسلمين ، مدينة بُرْغَة ، التي سَدّت بين القاعدتين رنّدة ومالقة الطريق ، وألبست ذلّ الفراق ، ذلك الفريق ، ومنعتهما أن يسيغا الريق ، فلا سبيل إلى الإلّام لطيف المنام إلاّ في الأحلام ، ولا رسالة إلاّ في أجنحة هدّى الحمام ، فيسرّ الله فتحها ، وعجّل منّحها ، بعد حرب انبثّت فيها النحور ، وتزيّنت الحور . وتبع هذه الأمّ بنات شهيرة ، وبقع للزرع والضرع خيرة ، فشقى الثغر من بؤسه ، وتهلّل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبّوسه . ثمّ أعملنا الحركة إلى مدينة أطريّة ^(٢) على بعد المدا ، وتغلغلها في بلاد العدا ، واقتحام هول البلا وغول الردى ، مدينة تبنتها حمص ^(٣) فأوسّعت الدار ، وأغلّت الشّوار ، وراعت الاستكثار ، وبسطت الاعتمار . رجع إلينا قصدنا على البعد ، والطريق الجعّد ، ما أسفت به المسلمين ، من استيصال طائفة من أسراهم ، مروا بها آمنين ، وبظاهرها المشعوم متيمين ، قد أنهكهم الاعتقال والقيود الثّقال ، وأضرّعهم الأسار ، وجلّلهم الانكسار ، فجدّلّوهم في

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الإحاطة .

(٢) هي بلدة أندلسية صغيرة تقع شرق الوادى الكبير وجنوب شرق إشبيلية .

(٣) حمص هو اسم يطلق أحياناً على إشبيلية .

مصرع واحد ، وتركوهم عبرة للرأى والمُشاهد ، وأهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام
 ثَكل الواجد ، وثرّة الماجد . فكبسناها كبساً ، وفجأناها بإلهام من لا يضلُّ
 ولا ينسى . فصَبَحَتْهَا الخيل ، ثم تلاحق الرَجُل ، كما جُنَّ السَّيْل ، وحاَقَ بها
 الوَيْل ، فأبِيح منها الدَّمَار ، وأخذها الدَّمَار ، ومُحِيت من مصانعها البيض
 الآهَلَة ، وخُسِفَت الأقمار ، وشُفِيَت ^(١) من دما أهلها الضلوع الجرار ، وسلَّطَتْ
 على هياكلها النار ، واستولت على الآلات العديدة من سببها الأسار ، وانتهى إلى
 إشبيلية الثكلي المغار ، فجَلَّلَ وجوه مَنْ بها من وجوه كبار النصرانية الصُّغار ،
 واستولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف ، ولا تَقْلُهُ الأوقار . وعُدْنَا والأرض
 تموج سَبِيًّا ، لم تترك بعفرين شَيْلاً ، ولا بوجرة ظَبِيًّا ، والعقائل حسرى ، والعيون
 يبهرها الصنع الأسرى [وصيح السرى قد حمد من بعد بُعد المسرى ، فسبحان الذى
 أسرى ، ولسان الحمية ينادى فى تلك الكنائس المخربة والنوادى ، بإشارات
 الأسرى] ^(٢) .

ولم يكن إلَّا أن نُقلت الأنفال ، ووُسِّمت ، ورُسِّمت بالإيضاح الأغفال ،
 وتميزت الهوادى والأكفال . وكان إلى غزو مدينة جِيَّان الاحتفال ، قدنا إليها
 الجُرد تُلاعِب الظلال نشاطاً ، والأبطال تفتحم الأخطار رضى بما عند الله واغتباطاً ،
 والمهنددة الدلق تسبق إلى الرقاب استللاً واختراطاً ، والردينية السمر تسترط
 حياتها النفوس استراطاً . واستكثرتنا من عُدَد القتال احتياطاً ، وأرحنا العلل عن
 أراد جهاداً ، مُنجياً غباره من نار جهنم ورباطاً ، وناديننا الجهاد الجهاد يأمه
 النبي الهاد ، الجنة الجنة تحت ظلال السيوف الحداد ، فهزَّ [النداء] ^(٣) إلى الله

(١) وردت فى الإسكوريال (وسبيت) والتصويب من الإحاطة .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإحاطة وساقط فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

كل عامر وغامر ، واثتمر الجم من دعوة الحق إلى أمرٍ آمر . وأنى الناس ^(١) من
 الفُجوج العميقة رجالاً ، وعلى كل ضامر ، وكاثرت الرياض أزهار البطاح
 لَوْنًا وعدًا ، وسدت الحشود مسالك الطرق العريضة سداً ، ومُدَّ بحرُها الزاخر مدًا ،
 فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدًا . وهذه المدينة هي الأمُّ الولود ، والجنة التي في
 النار لسُكَّانها الخلود ، وكرسى الملك ، ومجنَّبته الوُسطى من ذلك السُّلك ، بَاءت
 بالمزايا العديدة ونجحت ، وعند الوزان غيرها من أمَّات البلاد رجحت ، غاب
 الأسود وجحر الحيَّات السُّود ، ومنصب التماثيل الهائلة ، ومعلق النواقيس
 الصَّيلة . وأدْنينَا إليها المراحل ، وعينَا ببحار المحلَّات المستقلات منها على
 السَّاحل . ولما اكتسبنا جوارها ، وكدنا نلتَمَح ناراها ، تحركنا ، ووشاح الأفق
 المرقوم بزهر النجوم ، قد دار دَائِرُهُ ، والليل من خوف الصباح [على سرحه
 المستباح] ^(٢) قد شابت غدايرُهُ ، والنَّسر يرفرف باليَمَن طائره ، والسَّمَاءُ الرَّمَاح
 يثَّارُ بعز الإسلام ثائره ، والنَّعائم راعدة [فرائص] ^(٣) الجَسَد من خوف الأسد ،
 والقوس يرسل سهم السعادة ، بوتر العادة ، إلى أهْدَاب النِّعم المعادة ، والجوزاءُ
 عابرة نهر المجرة ، والزَّهرة تغار من الشَّعْرى ، العبور بالضرَّة ، وعطارِدُ يُسْدَى
 في جبل الحروب على البلد المحروب ويُلْحَم ، ويناطر أشكالها الهَنْدَمِيَّة فيفْجَم ،
 والأحمر يبهز ، والعلم [الأَبْيَض يفرى وينهر] ^(٤) والمشتري يُبْدَى في فضل
 الجهاد ويُعِيد ، ويزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفات ويزيد ، وزُحِل
 عن الطَّالِع مُنْزَحِل ، وفي زَلَق السقوط وحِل ، والبدر يطارح حِجْر المنجنيق كيف
 يهوى إلى النِّيَق ، ، ومطلع الشمس يرقب ، وجدار الأفق يكاد بالعيون عنها
 يرقب .

(١) وردت في الإسكوريال (النفوس) والتصويب من الإحاطة .

(٢) هذه العبارة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في الإحاطة ومكانها بياض في الإسكوريال .

ولما فشا سِرُّ الصِّباح ، واهتزت أعطاف الرايات لتحيات مبشرات الرياح ،
أَظَلَّنا عليها إطلال الأُسُود على الفَرايس ، والفُحول على العَرايس ، فنظرنا منظرًا
يَرُوعُ بأساً وَمَنَعَةً ، ويروقُ وضِعاً وَصَنَعَةً ، تَلَقَّعت معاقله الشَّم للسَّحاب ببرود ،
ووردت من عُدُرِ المِزن في برود ، وأسَّرت لاقتطاف أزهار النجوم [والذراع
بين النطاق] ^(١) معاصمُ رود ، وبلد يعى الماسح والذَّارع ، وينتظم المجاني
والأَجَّارح . فقلُّنا اللَّهُم نفلهُ أيدي عبادك وبلادك ^(٢) ، وأَرنا فيه آية من
آياتِ جهادك . فنزلنا بساحتها العريضة المتون ، نزول الغيث الّهْثُون ، وتيمَّنا
من فحوصها الأفيح ، بسورة التين والزيتون ، متبرية من أمان الرحمن للبلد المفتون ،
وأَعجلنا الناس بحمية نُفُوسهم النفيسة ، وسَجِيَّة شجاعتهم البيسة ، عن أن نُبَوِّئَ
للقَتال المقاعد ، ونُدنِّي بآسَاع شهير النفير منهم الأَباعد . وقبل أن يلتقى الخديم
بالمخدوم ، ويركع المنجنيق ركعتي القدوم ، فدافعوا من أَصْحَر إليهم من الفُرسان ،
وسبق إلى حَوْمَة الميدان : حتى أَحَجَّروهم في البلد ، وسلبواهم لباس الجَلَد ، في
موقف يُذهل الوالد عن الولد ، صابت السَّهام فيه غماماً ، وطارَت كَأَسْراب
الحمام تهدي حِمَاماً ، وَأَضَحَّت القنا قِصَداً بعد أن كانت شهاباً رَصِداً ، وماج
بحر القتام بأمواج التُّصول ، وأَخَذ الأرض الرَّجْفان لزلزال الصِّباح الموصول ،
فلا ترى إِلَّا شَهِيداً تُظَلِّل مصرعَه الحُور ، وصريعاً تَقْدِف به إلى الساحل تلك
البحور [ونواشب تبأى] ^(٣) بها الوجوه الوجيْهة عند الله والنُحور . فالْمُقْصِب
فودِه يَخْصِب ، والأَسْمَر غُصْنُه يَسْتَمِر ، والمَغْفَر حِمَاه يُخْفَر ، وظهور القسَى
تُفْصِم ، وعصم الجُنْد ^(٤) الكوافر تفصم ، وذرق ^(٥) اليلب في المُنْقَلَب يسقط ،

(١) هذه العبارة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في الإحاطة .

(٣) وردت هذه العبارة في الإحاطة ، ومكانها في الإسكوريال (تباهي) .

(٤) وردت في الإسكوريال (الجفون) ، والتصويب من التعريف .

(٥) هذه الكلمة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

والبُتْر يكتب ، والسُّمَر تنقط . فافتَحَ الرَبَضُ الأعظمُ لحينه ، وأَظهرَ اللهُ لعيونِ
المُبْصِرِينَ والمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دينه ، وتبرأ^(١) الشَّيْطَانُ من خَدِينِهِ ، وبَهَّتِ الكِفَارُ
وخَذَلُوا ، وكلَّ مَضْرَعٍ^(٢) جَدَّلُوا . ثم دُخِلَ البلدُ بعده غلاباً ، وجُدِّلَ قتلاً واستِلاباً ،
فلا تَسَلْ إِلَّا الطُّبَا والأسَلْ عن قِيَامِ سَاعَتِهِ ، وهَوِّلْ يَوْمَهَا وشَنَاعَتِهِ ، وتَخْرِيبِ
المبَايِتِ والمبَانِي ، وغَيِّبِ الأَيْدِي من خَزَائِنِ تِلْكَ المغَانِي ، ونَقِلِ الوجودَ الأولُ إلى
الوجودِ الثاني ، وتَخَارَقِ السَّيْفُ فجَارَ بغيرِ المعتَادِ ، ونَهَلَتْ القَنَا الرَّدِينِيَّةُ من
الدِّمَا حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كالأَغْصَانِ الْمُغْتَرَسَةِ والأَوْتَادِ ، وَهَمَّتْ أَفلاكُ القَسِيِّ
وسَحَّتْ ، وَأَرْبَتْ حَتَّى بُحَّتْ ، وَنَفِدَتْ مَوَادُّهَا فَشَحَّتْ بِمَا أَلَحَّتْ ، وَسَدَّتْ المسَالِكُ
جِشْتَ القَتْلِ فَمَنَعَتْ العَابِرَ ، واستَأْصَلَ اللهُ من عَدُوِّهِ الشَّافَةَ وقَطَعَ الدَّابِرَ ، وَأَزْلَفَ
الشَّهِيدَ ، وَأَحْسَبَ الصَّابِرَ ، وَسَبَقَتْ رِسلُ الفَتْحِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ
الغَابِرِ ، تنقِلُ البُشْرَى من أَفْوَهِ المَحَابِرِ إلى أَذَانِ المَنَابِرِ .

أَقْمَنَا بِهَا أَيَّاماً نَعْقُرُ الأشْجَارَ ، ونَسْتَأْصِلُ بالتَّخْرِيبِ الوَجَارَ ، وَلِسَانُ الانتِقَامِ
من عِبْدَةِ الأصْنَامِ ينادي يَا لِيثَارَاتِ الإسْكَندَرِيَّةِ تَشْفِيّاً من الفُجَارِ ، وَرَغِيّاً لِحَقِّ
الجَارِ . وَقَفَلْنَا وَأَجْنَحَةُ الرَّايَاتِ بِرِيَّاحِ العَنَايَاتِ خَافِقَةً ، وَأَوْفَاقُ التَّوْفِيقِ النَّاشِيَةِ
من خُطُوطِ الطَّرِيقِ وَأَسْوَاقِ العِزِّ بِاللَّهِ نَافِقَةً ، وَحَمَلَاءُ الرِّفْقِ مُصَاحِبَةً ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
مِرَافِقَةً ، وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الجِبَالِ عَنْ أَعْنَاقِ [الصَّبِّ السَّيَالِ]^(٣) ، وَرَفَعَتْ عَلَى
الأَكْفَالِ رِدْفاً كَرَامِمْ الأَنْفَالِ ، وَقُلُقِلَتْ مِنَ النِّوَاقِيسِ أَجْرَامُ الجِبَالِ ، بِالْمُهَنْدَامِ
وَالْإِحْتِيَالِ ، وَهَلَكْتَ بِهَلَاكِ هَذَا الأُمِّ بَنَاتِ [كُنْ يَرْتَضِعْنَ]^(٤) تُدِيهِهَا الحَوَافِلُ ،
وَيَسْتَوَثِرْنَ حِجْرَهَا الكَافِلِ . وَشَمِلَ التَّخْرِيبُ أَسْوَارَهَا ، وَعَجَّلَتْ النَّارُ بَوَادِرَهَا .

(١) وردت في الإسكوريال (هذا) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (مرصد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في الإحاطة (الصهب السبال) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإحاطة ومكانها بياض بالإسكوريال .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح، وأرسلنا الأدلاء قبل المنح ، فبشرت بالمنح ، وقصدنا مدينة أبدة ، وهي ثانية الجناحين ، وكبرى الأختين ، ومُساهمة جيان في ذى الحين ، مدينة أخذت عريض الفضا الأخرق ، وتمثت فيه أرباضها تمثى الكتابة الجامحة في المهرق ، المشتملة على المتاجر والمكاسب [والوضع المتناسب] ^(١) والفَلَح المُعَيَّ عُدَّ ^(٢) على الحاسب ، وكورة الدير ^(٣) اللّاسِب ، المتعددة اليَعَاسِب ، فأناخ العفا برُبوعها العامرة ، ودارت عقار كؤوس عُقار الحتوف ، ببنان السُيوف على مُتَدِيرها المعاقرة ، وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأغریت ببطون أسوارها عُوج المعاول ^(٤) الباقرة . ودُخِلت مدينتها عَنوة السَّيْف ، في أسرع من خَطَرَة الطَّيْف ، ولا تَسَل عن الكَيْف ، فلم يبلغ العفا من مدينة حافلة ، وعقيلة في حُللِ المحاسن رافلة ، ما بلغ من هذه البائسة التى سجدت لآلة النار أبراجها [وتضاعل بالرغام معراجها] ^(٥) ، وضفت على أعظافها ملابس الخِذلان ، وأقفر من كُنائسها كِناس الغزلان .

ثم تاهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المداين الوافرة ، وربّة الشهرة السَّافرة والأنباء المسافرة ، قُرْطُبة ، وما أدريك ماهية ، ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد الراسخة الراسية ، والمباني المُباهية ، والزهراء المزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السما قد استدارت من السور المشيد البناء داراً ، ونهر المَجَرَّة من نهرها الفَيَاض ، المسلُول حسامه من غمْد [الفياض] ^(٦) قد لصق بها جاراً ، وفلك الدُّولاب المعتدل الانقلاب ، قد استقام مداراً ، ورجع

(١) هذه العبارة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (ريعه) .

(٣) وردت في الإسكوريال (البديد) ، والتصويب من الإحاطة .

(٤) وردت في الإسكوريال (المعاون) ، والتصويب من التعريف .

(٥) هذه العبارة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإحاطة ، وساقطة في الإسكوريال .

الحنين اشتياقاً إلى الحبيب الأول وأدُّ كاراً ، حيث الطود كالتاج يزدان بلجين
العذب المجاج ، فيزرى بتاج كسرى ودارا ، حيث قسيّ الجسور المديدة كأنها
عُوج المطى الغزيرة^(١) ، تعبر النهر قطاراً ، حيث آثار العامرى المجاهد تعبق من
تلك المعاهد شذا معطاراً ، حيث كرايم السحاب تروره عرايس الرياض الحباب ،
فتحمل لها من الدرّ نثاراً ، حيث شمول الشّمايل^(٢) تدور على الأدواح بالغدو
والرواح ، فترى الغصون سكارى وما هى بسكارى ، حيث أيدي الافتتاح
تفتنّ من شقائق البطاح أبكاراً ، حيث ثغور الأقاصى البواسم ، تقلّبها بالسّحر
زوار النواسم ، فتخفّق قلوب النجوم الغيارا ، حيث المصلّى العتيق قد رُحِبَ
مجالا ، وطال منارا ، وأزرى ببلاط الوليد احتقارا ، حيث الظهور المثارة
بسلاح الفلاح تجبّ عن مثل أسنمة المهارا ، والبطون كأنها لتدميث الغمايم بطون
العدارى ، والأدواح العالية تخترق أعلامها الهادية بالجداول الحيارا ، فما شيت
من جوّ صقيل ، ومُعرسٍ للخنس ومقيل ، ومالك للعقل وعقيل ، وخمايل كم
فيها للبلابل من قال وقيل ، وخفيف يُجاوب بثقليل ، وسنابل تحكى من فوق
سوقها ، وقُضِبُ بسوقها الهمزات فوق الألفات ، والعصافير البديعة الصّفات
فوق القُضْب المؤتلفات ، تميل لهبوب الصّبا ، والجنوب مالية الجيوب ، وبطاح
لا تعرف [بدرر الجيوب]^(٣) عين المحل فتطلبه بالدحل^(٤) ، ولا يصرف في خدمة
بيض قباب الأزهار ، عند افتتاح السّوسن والبهار ، غير العُبدان من سودان النّحل
وبحر الفلاحة ، الذى لا يُدرك ساحله ، ولا يبلغ القبة البعيدة راحله ، إلى الوادى
وسمر النوادى ، وقرار دموع الغوادى ، المتجاسير على تخطّيه عند تمطّيه الجسر

(١) وردت في الإسكوريال (المديدة) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (الشال) .

(٣) هذه العبارة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (بالوحد) ، والتصويب من الإحاطة .

العادى ، والوطن الذى ليس من عمرو ولا زيد ، والفرا الذى فى جَوْفِهِ كُلُّ الصَّيْدِ .
أَقْلَّ كُرْسِيهِ خِلَافَةَ الْإِسْلَام ، وَأَغَارَ بِالرُّصَافَةِ وَالْجِسْرَ دَارَ السَّلَام ، وَمَا عَسَى أَنْ
تَطْنَبَ فى وَصْفِهِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَام ، أَوْ تَعْبِرَ بِهِ عَنْ ذَلِكَ الْكَمَالِ فَنُونَ الْكَلَامِ .
فَاعْمَلْنَا إِلَيْهَا الشُّرَى وَالسَّيْر ، وَقَدْنَا إِلَيْهَا الْخَيْلَ ، قَدْ عَقِدَ فى نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ .

ولما وقفنا بظاھرھا المُبْتَهتِ الْمُعْجَب ، وَاصْطَفَفْنَا بِخَارِجِهَا الْمُثْنِيتِ الْمُتَّجِبُ ،
وَالْقُلُوبُ تَلْتَمِسُ الْإِعَانَةَ مِنْ مُنْعِمٍ مُجْزِلٍ ، وَتَسْتَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ مُنْجِدٍ مُنْزَلٍ ،
وَالرَّكَايِبُ وَاقِفَةٌ مِنْ خَلْفِنَا بِمَعْزِلٍ ، نَتَنَاشِدُ فى مَعَاهِدِ الْإِسْلَام : قِفَا نَبْكَ مِنْ
ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ . بَرَزَ مِنْ حَامِيَتِهَا الْمُحَامِيَةُ ، وَوَقُودِ النَّارِ الْحَامِيَةُ ، وَبَقِيَّةِ
السَّيْفِ الْوَافِرَةِ عَلَى الْحَصَادِ النَّامِيَةِ ، قِطْعُ الْغَمَامِ الْهَامِيَةِ ، وَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ الطَّامِيَةِ .
وَاسْتَجَنَّتْ بِظِلَالِ أَبْطَالِ الْمَجَالِ ، أَعْدَادِ الرِّجَالِ النَّاشِئَةِ وَالرَّامِيَةِ ، وَتَصْدَى
لِلنِّزَالِ مِنْ صَنَادِيدِهَا الصُّهْبِ السَّيَالِ أَمْثَالِ الْهَضَابِ الرَّاسِيَةِ ، يَجْنُهَا جَنَنِ السَّوَابِغِ
الْكَاسِيَةِ ، وَنَوَامِيْسُهَا الْمُفَادِيَةِ لِلصُّلْبَانِ يَوْمَ بَوْسِهَا بِنَفُوسِهَا الْمَوَاسِيَةِ ، وَخَنَازِيرِهَا
الَّتِي عَدَّتْهَا عَنْ قَبُولِ حَجَجِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سُتُورِ الظُّلَمِ الْغَاشِيَةِ ، وَضُخُورِ الْقُلُوبِ
الْقَاسِيَةِ . وَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، أَمَامَ جَسْرِهَا الَّذِى فَرَّقَ الْبَحْرَ ، وَحُلَى بِلُجَيْنِهِ
وَلَأَى زِينَهُ مِنْهَا النَّحْرُ ، حَرْبٌ لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَلَا آتَتْ اللَّيَالِىَ الْجُبَالِىَ بِمِثْلِ
أَجْنَةِ أَهْوَالِهَا ، مِنْ قَاسِهَا بِالْفَجَارِ أَقْلَكَ وَفَجَرَ ، أَوْ مِثْلِهَا بِحُفْرِ الْمَبَاءَةِ خَرَفَ وَهَجَرَ ،
وَمِنْ شَبَّهَهَا بِدَاحِسِ الْغُبَرَاءِ ، فَمَا عَرَفَ الْخَبَرَ ، فَلَيْسَ أَلْ مِنْ جَرَبٍ وَخَبَرٍ ،
وَمِنْ نَظَرِهَا بِيَوْمِ شُعْبِ جَبَلِهِ ، فَهُوَ ذُو بَلَكَةٍ ، أَوْ عَادَلَهَا بِبَطْنِ عَاقِلٍ ، فَهُوَ
غَيْرُ عَاقِلٍ ، أَوْ احْتَجَّ بِبِيَوْمِ ذِى قَارٍ ، فَهُوَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ذُو افْتِقَارٍ ، أَوْ نَاضِلٍ
بِيَوْمِ الْكَدِيدِ ، فَسَهْمُهُ غَيْرُ السَّدِيدِ ، إِنَّمَا كَانَ مَقَامًا غَيْرَ مَعْتَادٍ ، وَمَرعى
نَفُوسٍ لَمْ يَفْ بِوَصْفِهِ لِسَانُ مَرْتَادٍ ، وَزَلْزَالَ جِبَالِ أَوْتَادٍ [وَمُتْلَفٌ مَذْخُورٌ] ^(١)

(١) وردت هذه العبارة فى الإسكوريال (ومتلف من حور) ، والتصويب من الإحاطة .

لسلطان الشيطان وعتاد ، أعلم فيه البطل الباسل ، وتردد الأبيض الباتر ، وتآود
الأسمر العاسل^(١) ، ودوم الجلمد المتكاسل ، وابتعث من حذب الحنية إلى
هدف الرمية الناصر الناسل ، ورويت لمرسلات السهام المراسل . ثم أفضى أمر
الرماح إلى التشاجر والارتباك ، وتشبثت الأسنة في الدروع تشبث السمك في
الشباك ، ثم اختلط المرعى بالهمل ، وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف
من فوق المفارق تيجاناً ، بعد أن شقت غدر السواغ خلعاناً ، واتخذت جداول
الدروع فصارت بحراً . وكان التعانق فلا ترى إلا نحرأ يلزم نحرأ ، عناق
وداع ، وموقف شمل ذى انصداع ، وإجابة مناد إلى فراق الأبد وداع ، واستكشفت
منال الصبر الأنفس الشفافة [وهبت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة]^(٢)
ثم أمد السيل ذلك العباب ، وصقل الاستبصار الألباب ، واستخلص العزم
صفوة اللباب ، وقال لسان الصبر^(٣) ادخلوا عليهم الباب ، فأصبحت طوايف
[الكفار]^(٤) حسايد مناجل الشفار ، فمغافروهم قد رضيت حرمانها بالإخفار ،
ورؤوسهم محطوطة في غير مقام الاستغفار ، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج
المستطرفة الأسوار ، ورقرق على المدينة جناح البوار ، لولا الانتهاء إلى الحد
والمقدار ، والوقوف عند اختفاء سير الأقدار .

ثم عبرنا نهرها ، وسددنا بأيدي الله قهرها ، وضيقنا حصرها ، وأدركنا
بالآلي القباب البيض خصرها ، وأقمنا بها أياماً ، تحوم عقبان البنود على فريستها
حياماً ، ونرمي الأدواح ببوارها ، ونسلط النار على أقطارها ، فلولوا عوايق المطر ،
لحصننا من فتح ذلك الوطن على الوطر . فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والانتساف ،

(١) وردت في الإسكوريال (العامل) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الإحاطة وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي التعريف (النصر) .

(٤) واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

ونوالى على زروعها وربوعها كَرَّاتٍ رِيَّاحِ الْإِعْتِسَافِ ، حتى يتهياً للإسلام لَوَكْ طُعْمَتِهَا ، ويتهياً بفضل الله إِرْثُ نِعْمَتِهَا . ثم كانت عن موقفها الإفاضة من بعد نحر النحور ، وقذف جِمار الدِّمار على العدو المذعور ، وتدافعت خلفنا السِّيقَاتِ المتسعات ، تدافع أمواج البحور . وبعد أن ألححنا على جنَّاتِ المُصْحِرَةِ ، وكرومها المُسْتَبْحِرَةِ إلحاح الغريم ، وعوضناها المنظر الكريه [من المنظر الكريم] ^(١) ، وطاف عليها طائف من ربِّها ^(٢) ، فأصبحت كالصَّريم ، وأغرينا خيلان النار بحمم الجحيم ، وراكنا في أجواف أجوايا غمايم الدخان ، تذكر طيبة البان . بيوم الغميم ، وأرسلنا رياح الغارات ، فما تَذَر من شَيْءٍ أَتَتْ عليه إلَّا جعلته كالرَّمِيم . واستقبلنا الوادى يمول مدًّا ، ويردع سيفه الصقييل خدًّا ، يَسْرُهُ الله من بعد الإعواز ، وانطلقت على الفُرْصَةِ بتلك العرضة ، أيدي الانتهاز ، وسألنا من سائله أَسَدُ بنِ الفرات ، فأفقى برجحان الجواز . فعمَّ الاكْتِسَاحُ والاستِباحُ جميع الأجواز ، فادَّيِل المصون ، وانتهبت القرى ، وهُدِّمَت الحصون ، واجتُثَّتْ الأُصول ، وحُطِّمَت الغُصُون ، ولم نرفع عنها إلى اليوم غارة تصاحبها بالبوس ، وتطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس ، فهي إلى الآن مَجْرَى السوابق ، ومجرَّ العوالى على التَّوالى ، والحسرات تتجدَّد في أطلالها البَّوالى . وكأنَّ بها قد صُرِّعَتْ ، وإلى الدعوة المحمدية قد أُسرعت [بقدره من أنزل القرآن على الجبال فخشعت من خشية الله وتصدعت] ^(٣) لعزة من أذعنت الجبابرة لعزه وخنعت . وعدنا والبنود لا يعرف الملف نشرها ، والوجوه المجاهدة لا يخالط التَّقَطُّبُ بشرها ، والأيدي بالعروة الوثقى معتلقة ، والألسن بشكر الله منطلقة ، والسيوف في مضاجع [الغمود] ^(٤) قلقه ، وسراييل الدُّروع خِلقة ، والجياد من رُدِّها إلى

(١) هذه العبارة وأردت في الإسكوريال . وساقطة في الإحاطة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الإحاطة (ربه) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالإحاطة وساقط في الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة وأردت في الإحاطة . وساقطة في الإسكوريال .

[المربط و] ^(١) الأوامر ردّ العواري حنقة ، وبعبرات الغيظ المكظوم مختنقة ، تنظر إلينا نَظَرُ العاتب ، وتعود من ميادين المراح والاختيال تحت حلل عود السلاح عَوْدُ الصُّبَّيَّانِ إلى المكاتب ، والطبل بلسان العزِّ هَادِر ، والعزم إلى منادى العود الحميد مُبَادِر ، ووجود نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح نادر ، والمقاسم تُرتب بين يديه من السبي النوادر . ووارد مناهل الأجور غير المُحَلَّ ولا المهجور غير صادر ، ومناظر الفضل الآتي ، عقب أُخِيهِ الشافي عن المطلوب الآتي مُصَادِر ، والله على تيسير الصعاب ، وتحويل المن الرغاب قادر ، لا إله إلا هو ، فما أجمل لنا صنعه الحفي ، وأكرم لنا لطفه الخفي . اللهم لا نحصى منّا عليك ، ولا نلجأ منك إلّا إليك ، ولا نلتمس خير الدنيا والآخرة إلّا لَدَيْكَ . فأعد علينا عَوَايد نصرك يا مُبْدِي يا مُعِيد ، وأَعِنَّا من وسائل شكرك على ما ننالُ بِهِ المَزِيد ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا فَعَّالٌ لَمَّا يُرِيد .

وَقَارَنْتُ رسالتكم الميمونة لَدَيْنَا حِلَقَ فتح بعيد صيته ، مُشْرِيبٌ لَيْتُهُ ، وفخر من فوق النجوم العوائم مَبِيَّتُهُ ، عجبنا من تَأْتِي أَمَلُهُ الشارد ، وقلنا البركة ، في قدم الوارد ، وهو أَنَّ ملك الروم ، لا طفنا بجملة من الحصون كانت من مُلْكَةِ الإسلام قد غُصِبَتْ ، والتماثيل في بيوت الله قد نُصِبَتْ ، أَدَالَهَا اللهُ بِمَحَاوِلَتِنَا الطَّيِّبِ من الخبيث ، والتَّوْحِيدِ من التثليث ، وعاد إليها الإسلام عودة الأب الغايب إلى البنات الحبايب ، يَسَلُّ عن شُؤْنِهَا ، ويمسح الرقة عن جفونها ، وهي للروم خَطَّةٌ خَسَفَ ، قلما ارتكبوها فيما يعلم من العهود ، ونادرة من نوادر الوجود ، وَآلَى اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفُ الْجُود ، وجعلنا في محارِبِ الشكر من الرَّكْعِ السُّجُود .

عرفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير ، وَيُثْنُ من الله وتيسير ، إذ استيفاء

(١) هذه الكلمة واردة في الإحاطة وساقطة في الإسكوريال .

الجزئيات عسير ، لنسرّكم بما منح الله دينكم ، ونتوّج بعزّ المِلَّة الحَبِيفَةِ جَبِينِكُمْ ، ونخطّب بعده دعاءكم وتأمينكم ، فإنّ دعاء المؤمن لأخيه يظهر الغَيْب سلاح ماضٍ ، وكفيل للمواهب المسئولة من المُنْعَم الواهب مُستَفاض . وأنتم أولى من ساهم في برٍّ ، وعامل الله بخلوص سرٍّ . وأين يذهبُ الفضل عن بيتكم ، وهو صفات حَيِّكُمْ ، وتُراث مَيْتِكُمْ ، ولكم مزية القِدَم ، ورُسُوخ القَدَم . [تساوى في ذلك النحرير مع القِدَم] ^(١) . والخلافة مقرها إيوانكم ، وأصحاب الإمام مالك رضى الله عنه مستقرها قيروانكم ، وتفجير المنابر ذكر إمامكم ، والتوحيد إعلام أعلامكم ، والوقائع الشهيرة في الكفر منسوبة إلى أيامكم ، والصَّحابة الكِرَام فتحة أوطانكم ، وسلالة الفاروق عليه السلام وشيخة ^(٢) سُلطانكم . ونحن نستكثر من بركة خطابكم ، ووَصْلَة جنابكم ، ولولا الأعذار ، لوالينا بالمتزايدات تعريف أبوابكم . والله عزّ وجلّ يتولّى عنا من شُكْرِكُم المحتوم ، ما قصّر المكتوب فيه عن المكتوم ، ويبقيكم لإقامة الرسوم ، ويحلّ محبتكم من القلوب ^(٣) ، محلّ الأرواح من الجُسُوم ، وهو سبحانه يصل سَعْدكم ، ويحرس مَجْدكم ، والسلام [الكريم الطيب الزكى المبارك البر العيم يخصكم كثيراً كثيراً] ^(٤) ، ما أطلع الصباح وجهاً منيراً ، بعد أن أرسل النسيم سفيراً ، وكان الؤميص [الباسم] ^(٥) لأَكْواس الغمام على أزهار الكمام مديراً ، ورحمة الله وبركاته .

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط في الإحاطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الإحاطة (وشايح) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإحاطة ، وساقط في الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة واردة في التعريف .

وكان مما زيد في آخر الرسالة النبوية فصل في استفتاح

الجزيرة الخضراء صدر عن إملاء على الكتاب

عندما توجه الرسول إلى ضريح رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وفي آخر ربيع الأول المبارك

من عام أحد وسبعين وسبعمائة . وأغفل ذلك

عن موضعه إلى أن ألحق بهذا الموضع

واستولى أهل الثغور لهذا الحد على معاقل ، كانت مُسْتَغْلَقَةً ففتحوها ،

وشرعوا أَرَشِيَّة الرماح إلى قلب قلوبها فمنحوها ، ولم تكد الجيوش المجاهدة

تَنْفُض إِلَّا عن الْأَعْرَاف مُتْرَاكِم الْغُبَار ، وترخى عن أباطيلها شَدَّ حَزَم المغار ،

حتى عاودت النفوس سُوقَهَا ، واستتَبَعَتْ ذَوْقَهَا ، وخصت التي لا فَوْقَهَا ، وذُهِبَتْ

بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك الْمُتَعَاصِيَةِ ، على الأفكار المتغاصية .

فقصدنا الجزيرة الخضراء ، باب هذا الوطن ، الذي منه طُرُق وادِئُهُ ، ومطلع

الحق الذي صدع الباطل صَادِعُهُ ، وثنيةُ الفتح الذي برق منها لا مِئُهُ ، ومثيرة

الهجوم الذي لم تكن لتعبر على غيره مطامِعُهُ ، وفُرْصَةُ المجاز الذي لا تنكر ،

وَمَجْمَعُ البحرين في بعض ما يذكر ، حيث يتقارب الشَّطَّان ، وتتقاطر ذوات

الْأَشْطَان ، وتقارب الحَطَّان ، وكاد أن يلتقي حلقة الْبُطَّان . وقد كان الْكُفْر قَدَر

قَدَر هذه الْفُرْصَةِ ، التي طُرِقَ منها حِمَاه ، ورماء الفتح الأول مَرَمَاه ، وعلم أن

لا يتصل أيدي المسلمين من إخوانهم إِلَّا من تلقائِها ، وأنه لا يَعْدَمُ المكروه مع

بقائِها ، فَأَجْلَبَ عليها بخيْلُهُ وَرَجْلُهُ ، وسدَّ أفق البحر من أساطيله ، ومراكب

أباطيله بقطع ليله ، وتداعى المسلمون بِالْعُدُوتَيْنِ إلى استنقاضها من لهواته ، أو

إسساكها من دون مهواته ، فعجز الْحَوْلُ ، ووقع إياها بملكة القول ، واحتازها

قهرًا ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرًا ، وأطرق الإسلام بعدها إطرارق

الوَاجِم ، واسودَّت الوجوه بخبرها الهاجم ، وبَكَتْهَا دموع الغيث السَّاجِم ، وانقطع المدد إلَّا من رحمة من يُنْقِصُ الكروب ، ويُغْرِى بالإدالة الشروق والغروب .
ولما شَكَّكْنَا بِشَبَا الله نحرها ، وأَغْصَصْنَا بجيوش الماء وجيوش الأرض تكاثراً نجوم السَّما برّها وبَحَرها ، ونازلناها نضيقها شديد النزال ، ونَحَجَّها بصدق الوعيد في غير سبيل الاعتزال ، رأينا بَأَوْأ لا يظاهر إلَّا بالله ولا يُطال ، ومنبعه يتحايى شَبَا الأبطال ، وخبايا روضة الغيث الهطال . أما اسوارها فهي التي أخذت النَّجْد والغُور ، واستعدت بجَدال البلاد عن الجلال ، فارتكبت الدور تجوز بحراً من الاعتمار ثانياً ، وتشكَّكُ أَن يسكون لها الإنس بانياً . وأما أبراجها فصُفوف وصُفوف . تزين صفحات المساييف منها أنوف ، وأذان لها من دواع الصَّخر شُقُوف . وأما خندقها فصخر مجلوب ، وسُور مقلوب ، وصَدَقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقتران اغتصابها ببيوسهم ، وأقول شُمُوسهم ، فرشقوها من النَّبال بظلال تحجب الشمس ، فلا يشرق سناها ، وعرجوا في المراقى البعيدة ، يُفَرِّعون ميناها ، ونَقَبُوا أنقاباً ، وحَصَبُوهَا عقاباً ، ودخلوا مدينة البنية^(١) بنتها غلاباً ، وأحسبوا السيوف أسلاباً ، والأيدي استلاباً ، واستوعب القتل مقاتلتها ، السابغة الجنس ، البالغة المنن ، فأخذهم الهول المتفاقم ، وجُدُّلُوا كأنهم الأراقم ، لم تفلت منهم عين تطرف ، ولا لسان تنبي من يستطلع الخبر أو يستشرف . ثم سَمَتْ الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى ، فداروا سواراً على سورها ، وتجاسروا على اقتحام أودية الفنَّا من فوق جُسُورها ، ودنوا إليها بالضروب من خيل الحروب ، وبروجاً مُشَيَّدة ، ومَجَانِيق توثق حبالها منها بشدة ، وخفقت بنصر الله عَذَبَات الأعلام ، وأهدت الملائكة مددَ السَّلام ، فخذل الله كفارها . . . شفارها ، وقلمَ يَدِ قُدْرته أظفارها ، فالتَمَسَ الأمان للخروج ،

(١) مدينة البنية La Pena هي ثغر صغير يقع على البحر الأبيض المتوسط على مقربة من شرق الجزيرة الخضراء .

ونزلوا عن مراقى العروج ، إلى الأباطح والمروج ، عن سماءها ذات البروج ، فكان
بروزهم إلى العراء من الأرض ، تَذَكُّرٌ بـيـومِ العَرَضِ ، قد جَلَّلَ المقاتلة الصَّغار ،
وتعلق بالأمهات الصَّغار ، وبودرت المدينة وكفارها بالتطهير ، ونظقت المآذن
العالية بالأذان الشهير ، والذكر الجَهِير ، وطردت كُفَّار التماثيل عن المسجد الكبير ،
وأُنزلت عن الصُّروح أجراسُها ، يعي الهندام مرامُها ، وألقى منبر الإسلام بها مجفُوءاً ،
فانْسَبَتْ غُرْبَتُهُ ، وأُعِيدَ إليه قُرْبُهُ وقُرْبَتُهُ ، وتَلَاَ وَأَعْظُ الجمع المشهود ، قول
مُنْجِز الوعود ، ومُورِق العود : « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، آية » فكاد
الدَّمع يُغْرِق الآماق ، والوَجْدُ يستأصل الأزماق ، وارتفعت الزعقات ، وعلت
الشَّهَقَات . وجيءَ بِأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقال ، وَيَنسِلُونَ من
أجداث الاعتقال ، ففُكَّتْ عن أسوقهم أَسُودَةُ الحديد ، وعن أعناقهم ملكات
البأس الشديد ، وظلَّلُوا بجناح اللطف العريض المديد . وترتبت في المقاعد الحامية ،
وأزهرت بذكر الله المآذن السَّامِيَّة ، فعادت المدينة لأَحْسَنِ أحوالها ، وسكنت من
بعد أهوالها ، وعادت الحالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابه ، وردَّ على دار
هجرة الإسلام بابُه ، واتصلت بأهل لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أسبابُه . فهي في بلاد الإسلام
قِلَادَةُ النُّحر . أبقي الله عليها ، وعلى ما وراءها من بيوت أُمَّتِكَ ، وودائع الله في
ذِمَّتِكَ ، ظلالَ عنايتك الوافية ، وأَمْتَعْنَا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
بكلمة دينك الصالحة الباقية ، وَسَبَّلَ عليها أَسْتَارَ عِصْمَتِكَ الْوَاقِيَةِ . وعُدْنَا إلى
الحضرة ، والصلاة عليك يا رسول الله ، شعار البُدُور والقُفُول ، وهجيرُ الشُّرُوقِ
والطُّفُول ، والجهاد الشَّاقَّ المعتمد ، ما امتد بالأمل الأمد ، والمستعان الواحد
الفرد الصمد .

* * *

« كمل الجزء الثاني من « ریحانة الکتاب ونجعة المنتخب » يتلوه الجزء الثالث »

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وصدر غنى في مخاطبة صاحب مكة شرفها الله :

وتوجه الرسول بها عن السلطان رضى الله عنه صُحبة الرسالة لقبر الرسول
صلى الله عليه وسلم ، معرفاً بجملته الفتوح التى فتح الله بها على المسلمين بالأندلس
لهذا العهد ، وذلك فى شهر ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمئة .

المقر الأشرف ، الذى فَضَّلَ المحال الدينية بحلّه ، وكرّم فى بئر زمزم ،
مهبط إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، نهله وعله ، وخصّه بإمرة الحرم الشريف^(١)
الأمين من بيده الأمر كله ، فأسفر عن صُبح النصر فضله ، واشتمل على خواص
الشرف الوضاح حسبه^(٢) ، وطاقبت فروعه لما استمد من ريحانتي الجنة
أصله ، مقر السلطان الجليل ، الكبير الشهير^(٣) الظاهر الطاهر ، الأُمجد الأسعد
الأوحد الأسمى ، الشهير البيت ، الكريم الحى والْمَيّت ، الموقر المعظم [ابن
الحسين]^(٤) ذى الحُسنيين ، وحافد سيد الثقلين ، تاج المعالى ، وعز الدنيا
والدين ، أبى الحسن^(٥) عجلان ، ابن السلطان الكبير الشهير الرفيع الخطير^(٦)
الجليل ، المثل^(٦) الظاهر الطاهر ، الشريف الأصيل ، المعظم الأرضى ، المقدس
المنعم ، أسد الدين أبى الفضل رُمَيْثَة بن محمد بن أبى سعيد الحسينى^(٧) ، أبقاء

(١) هذه الكلمة زائدة فى صبح الأعشى .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الصبح (جنسه) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الشريف) .

(٤) هذه الكلمة واردة فى الصبح ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (أبى السبق) .

(٦) هذه الزيادة من الصبح .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الحسنى) .

الله ، وأفيدةً من الناس تشوب إلى فاطمي^(١) مشواه ، على بُعد الدار ، ويُتَقَرَّب فيه إلى الله بالتَّشَام التراب ، واستِلام الجِدار ، وتجبِ أذان نبيِّه إبراهيم بالحج إجابة البِدار ، وهنَّاه المزيَّة التي خصَّه بها من بين ملوك الأقطار ، وأولى المراتب في عباده والأخطار ، كما رفع قدره على الأقدار ، وسجل له بسقاية الحج وعمارة المسجد الحرام عقد النُّجار^(٢) ، يُنْهَى إليه أكرم التحيات تتأرَّج عن شذا الروضة المعطار ، عَقِب الأمطار ، معظَّم ما عَظَّم الله من شعائر مشواه ، ومُلْتَمَس البركة من أبواب مُفَاتَحْتِه ، ولكل امرئ ما نَوَاه ، ومُوجِب حقه الذي يليقُ بمن كان البُتُول ، والرضى ، الذي واخاه الرسول ، أمَّه وأباه ، الشَّيْق إلى الوفادة عليه وإن مَطَلَه الدهر ولواه ، الأمير عبد الله محمد ، ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ، ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، كان الله له في غُربته عن جُرومة الإسلام وانفراده ، وتولَّى عونه على الجهاد فيه حقَّ جهاده .

أما بعدَ حَمْدِ الله ولىَّ الحمد في الدنيا والآخرة ، ومُطْمَح النفوس العالِية والهمم الفاخِرة ، مُؤَيَّد الغزائم المتصارِخة^(٣) [في سبيله]^(٤) الْمُتَنَاصِرَة ، ومُعِزُّ الطائِفة المؤمنة ، ومُذِلُّ الطائِفة الكافرة ، ومُنْفِلُ خزائن القياصرة الغُلب والأَكاسِرة ، وتارك أرضها عبرةً للأَذَان الواعية والعيون الباصِرة ، والصَّلَاة على سَيِّدنا ومولانا مُحَمَّد ، عبده ورسوله ، نبي الرحمة [الهامية الهامرة]^(٥) والبركات [الباطنة و]^(٦) الظاهرة ، المجاهد في سبيل الله بالغزائم الماضية والظُّبَا^(٧) الباتِرة ، مُحَمَّد^(٨)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (قاطي) والأول أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (الفخار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (المتعاضدة) .

(٤) هذه الزيادة من الصبح .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الصبح ، ومكانها في الإسكوريال (الباهرة) .

(٦) هذه الزيادة من الصبح .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (الصوارم) .

(٨) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (مصت) .

الشَّاشِقِ الهَادِرَةِ ، ومَرْغَمِ الضَّلَالَةِ المَكَابِرَةِ ، المَنْصُورِ بِالرَّعْبِ مِنْ جُنُودِهِ ^(١) النَّاصِرَةِ ،
 المَحْرُوسِ بِحِرَاسَةِ [المَلَايِكَةِ] ^(٢) الْوَاقِيَةِ الْوَافِرَةِ ، الْمُوَعِدِ مَلِكَ أُمَّتِهِ بِمَا زَوَى لَهُ مِنْ
 أَطْرَافِ الْبَسِيطَةِ الْعَامِرَةِ ، حَسْبًا ثَبِتَ بِالدَّلَائِلِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ،
 وَعِثْرَتِهِ وَأَحْزَابِهِ ، الْمَجَاهِدَةِ الصَّابِرَةِ ، أُولَى الْقُلُوبِ الْمَرَاقِبَةِ ، وَالْأَلْسِنَةِ الذَّاكِرَةِ ،
 وَالْآدَابِ الْحَرِیْصَةِ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْمَثَابِرَةِ ، الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ،
 يَخْضَعُونَ لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِیَا ، فِي بَحَارِ الرُّوْعِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَقْدُمُونَ
 بِالْجُمُوعِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْآلَافِ الْمُتَكَاثِرَةِ ، حَتَّى قَرَّتْ [بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ] ^(٣) الْغُيُوبُ
 النَّاطِرَةِ ، وَجَلَّتْ فِي الْعَدُوِّ الْفَاقِرَةِ . فَكَانُوا فِي الذَّبِّ عَنْ أُمَّتِهِ كَالْأَسُودِ الْخَادِرَةِ ،
 وَفِي الْهُدَايَةِ بِسَنَاءِ مِلَّتِهِ ، كَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ . وَالدَّعَا لَشَرْفِكُمْ الْأَصِيلِ ذِي الْمُنَاسَبِ
 الطَّاهِرَةِ ، وَالْمَكَارِمِ الزَّاهِيَةِ ^(٤) ، بِبِنُوءِ الزَّهْرَاءِ الْبُتُولِ ، بِضَعَةِ الرُّسُولِ الزَّاهِرَةِ ،
 بِالصَّنْعِ الَّذِي يَتَبَلَّجُ ^(٥) عَنْ الْغُرْرِ الْمَشْرِقَةِ ^(٦) السَّافِرَةِ ، وَالْعَزِ الَّذِي يَضْفُو مِنْهُ
 الْجَنَاحُ عَلَى الْوُفُودِ الزَّائِرَةِ ، وَالْفَضْلَاءِ الْمَجَاوِرَةِ ، وَلَا زَالَ ذِكْرُكُمْ بِالْجَمِيلِ هَجِيرِ
 الرِّكَائِبِ ^(٧) الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَى مَكَارِمِكُمْ يُخْجَلُ أَنْفَاسُ الرِّیَاضِ الْعَاطِرَةِ ،
 عِنْدَ الْغَمَائِمِ الْمَاطِرَةِ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ عَنَیَةً تَحْجِبُ الْأَسْوَأَ
 بِجَنَّتِهَا السَّاتِرَةِ ، وَرِعَايَةً تَجْمَعُ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ ، وَتَضُمُّ الْقُلُوبَ الْمُنَافِرَةَ . مِنْ
 حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ، دَارِ مَلِكِ الْإِسْلَامِ بِجَرِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَفَرَّ اللَّهُ جُمُوعَ
 حَامِيَتِهَا الْمُثَاغِرَةِ ، وَرَمَّ ^(٧) بِيَدِ قُدْرَتِهِ مَا هَمَّ بِهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْعَدَا الْفَاغِرَةِ ، وَلَا زَالَتْ
 سَحَائِبُ الرَّحْمَاتِ السَّانِحَةِ إِلَيْهَا الْغَامِرَةِ ، تَظِلُّ جُمُوعَ جِهَادِهَا الطَّافِرَةِ ، وَتَجُودُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الصَّبْحِ (جُنُودِ رَبِّهِ) .

(٢) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الصَّبْحِ .

(٣) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الصَّبْحِ .

(٤) وَوَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الرَّاهِنَةُ) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الصَّبْحِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الصَّبْحِ (يَسْفَرُ) .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ زَائِدَةٌ فِي الصَّبْحِ .

(٧) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الصَّبْحِ (وَسَدَ) .

رَمِّمْ شَهِادَاتِهَا النَّاخِرَةَ^(١) وَنِعْمُ اللَّهُ تَحِطُ رَكَائِبُ الْمَزِيدِ فِي نَوَادِيهَا الْحَامِدَةُ الشَّاكِرَةُ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا فَضْلُهُ ، وَجَانِبُكُمْ مَوْفٍ حَقُّهُ ، مِنَ التَّعْظِيمِ
الَّذِي أَنَا فِى وَأَرْبَى ، وَقَدَّرَكُمْ يَعْرِفُهُ مِنْ صَامٍ وَصَلَّى ، فَضْلاً عَنْ حِجٍّ مَعَ ذَلِكَ
وَأَبْلَى^(٢) ، وَمُسْتَنْدُودُكُمْ ، « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » . وَإِلَى
هَذَا حَرَسَ اللَّهُ [مَجْدَكُمْ وَ]^(٣) مَقَرَّكُمْ الْأَشْرَفَ ، كَمَا سَحَبَ عَلَى بَيْتِهِ الْعَتِيقِ
ظِلَّكُمْ الْأَوْرَفَ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ وَالْحِجَّ أَخْوَانٌ يَرْتَضِعَانِ ثُدَى الْمُنَاسِبَةِ [وَيَكَادُ أَنْ
يَتَكَافَأَنَّ فِي الْمَحَاسِبَةِ]^(٤) سَفَرًا وَزَادًا [وَنِيَّةً وَاسْتِعْدَادًا وَإِتْلَافًا لِمَصُونِ الْمَالِ
وَإِنْفَادًا ، وَخُرُوجًا إِلَى اللَّهِ لَا يُوَثِّرُ أَهْلًا وَلَا دُلُوءًا]^(٥) وَيَفْتَرِقَانِ مَحَلًّا ، وَيَجْتَمِعَانِ
جِهَادًا ، وَيَرْفَعَانِ لِلْمَلَةِ مَنَارًا سَامِيًّا وَعِمَادًا . وَوُطْنُنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ ،
هُوَ الْمَخْصُوصُ بِكَمَالِ هَذِهِ الْمَزِيَّةِ ، وَالْقِيَامُ بِكِفَايَتِهَا الْبَرِيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ ، السَّلِيمَةِ مِنَ
الضَّلَالِ الْبَرِيَّةِ ، وَهَذَا نَسَبٌ وَاشْجَعٌ عَرُوقُهُ ، وَذِمَامٌ صَادَقَةٌ بِرُوقُهُ ، وَمَتَاتٌ
لَا يَفْضِلُهُ مَتَاتٌ وَلَا يَفُوقُهُ . وَنَحْنُ نَعْرِفُكُمْ بِأَحْوَالِ هَذَا الْقَطْرِ الْمَتَمَسِّكَةِ^(٦) فِرْعَوْنَ
بِتِلْكَ الْجَرِثُومَةِ الرَّاسِيَةِ ، الْمَمْدُودَةِ أَيْدِيهِ إِلَى مَثَابَتِهَا ، الْمَتَصَدِّقَةِ بِالْإِعْدَاءِ الْمَوَاسِيَةِ .
فَاعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ بِهِ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ حَرْجٍ وَأَمْرٍ مَرَجٍ ، وَطَائِفَةِ الْحَقِّ
قَلِيلٌ عَدَدُهَا ، مَنْقَطَعٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ مَدَدُهَا ، مُسْتَغْرَقٌ يَوْمُهَا فِي الشَّدَّةِ وَغَدُهَا ،
وَالطَّلَائِعِ فِي قِنَنِ الْجِبَالِ تَنْوُرٌ ، وَالْمُضْجِرُّ مِنْ بَيْتِهِ مَغْرَرٌ^(٧) ، وَالصَّبِيحَةُ مَعَ الْأَحْيَانِ
مَسْمُوعَةٌ ، وَالْأَعْدَاءُ لَرْدٌ مَا جَازَهُ الْفَتْحُ الْأَوَّلُ مَجْمُوعَةٌ ، وَالصَّبْرُ قَدْ لُبِسَتْ مَدَارِعُهُ ،
وَالنَّصْرُ قَدْ التَّمَسَّتْ مِشَارِعُهُ ، وَالشَّهَادَةُ تَنْوُشُ^(٨) أَشْلَاءَهُمُ الْقَشَاعِمُ ، وَتَحْتَفِلُ لَهَا

(١) الزيادة من الصبح .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (ولى) .

(٣) هذه الزيادة من الصبح .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (المستمسكة) .

(٥) هكذا في الصبح ، وفي الإسكوريال (مغرور) .

(٦) هكذا وردت في الصبح ، وفي الإسكوريال (تجزر) .

منهم المطاعم ، والصَّبيان تدرَّب على السلاح ، وتُعَلَّم المدافعة كما يعلم في القرآن الألواح ، وآذان الخيل مُسْتَشْرِفة للصَّياح ، ومفارق الطَّايحين في سبيل الله تُفَلَّى بأيدي الرياح ، والمآذن تجيبها النواقيس مناقضة ، وتكافحها مكابرة مُعارضة [وعدد المسلمين ^(١) لا يبلغ من عدد الكفار] عند الانتِشار ^(٢) معشار المعشار [ولا برة في جلود العِشار ^(٣)] إلاَّ أن الله عز وجل ، حلَّ بولايتنا المُخَنَّق المشدود ، وفتح إلى اليُسْر المَهْيَع المَعهود ^(٤) ، وأضفى ظلَّ الأمن الممدود ، وأهلم ، وله الشكر على الإطام ، وتسديد السَّهام ، والحمد لله الذي يقود مدارك الأفهام إلى اجتِهَادِ قُرن به التوفيق ، وجهادٍ فُتح به إلى التجارة ^(٥) المُنجية الطَّرِيق ، سبحانه من رَحِم يَجْنِي إليه من يشا ، ويهدي إليه من يئيب ، وكريمٌ يُلهم ليُثيب ، ولطيفٌ يَأْمُر بالدعاء ليُجيب ، فتحرَّكت لهذا حركات ساعدها ، والحمد لله ، السَّعد ، وتولى أمرها : ونصرها من له الأَمْر من قبلها ومن بعد . ففتحنا مدينة برُعة ^(٦) الفاصلة كانت بين البلاد المسلمة ، والشجى المعترض في نحر الكلمة . [وتبعته بنات كن يرتضعن أحلاف درتها ويتعلقن في الحرب والسلام بارزتها] ^(٧) ثم نازلنا حصن أشير ، ركاب الغارات الكافرة ، ومستقرَّ الشوكة الوافرة ، ورفع الله إِصْرَه الثقيل ، وكان من عثرته المقييل ^(٨) . ثم قصدنا مدينة أُطْريرة ^(٩) بنت حاضرة الكفر ، وعرين الأسود الغُلب وكناس الطُّبا القفر ، ففتحناها عَنوة أَضْرَمَت البلد ناراً ، واستأصَلت أهله قَتلاً وأساراً ، وملأت البلاد سبباً تعددت

(١) هكذا في الصبح ، وفي الإسكوريال (العدد) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الصبح .

(٣) هذه العبارة واردة في الصبح وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (الممدود) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الصبح (التجارة) .

(٦) برعة بلدة حصينة تقع شرق مدينة رندة ومكانها اليوم بلدة Burgo الإسبانية .

(٧) ما بين الخاضرتين وورد في الصبح وساقط في الإسكوريال .

(٨) بعد ذلك يختلف مساق الرسالة في الإسكوريال عنها في صبح الأعشى ، وإن كان موضوع النصين واحد

(٩) أُطْريرة Utrera هي بلدة أندلسية متوسطة تقع جنوب شرق إشبيلية . وقد سبق التعريف بها .

آلافه ، وغنماً شَدَّتْ عن العبارة أوصافه . ونازلنا مدينة جَيَّان وشهرتها في المعمور ،
تغنى عن بسط مالها من الأمور ، ففتحها الله غنوة ، وجعل سببها للاسترقاق ،
ومقاتلتها للبيض الرقاق . وغزونا بعده مدينة أُبْدَة ، فكانت أسوة ذا في التدمير
والعفا المُبِير . ثم نازلنا مدينة قُرْطُبَة ، وهى أم هذه البلاد الكافرة ، ودار النعم
الوافرة ، وكدنا نستبيح حماها المنيع ، ونشتت شملها الجميع ، لولا عايق أمطار ،
وأجل مخصوص بمقدار . ورحلنا عنها بعد انتهاك زلزل الطود ، ووعدنا بمشيئة
الله العود ، ونأمل من الله إيفاء البشرى بفتحها على بلاد الإسلام ، ومتاحفة
من بها بالإخبار به والإعلام . ثم فتحنا بعدها ثغوراً مُقْفَلَة الأبواب ، ومعاقل
متعلقة بالسحاب ، كحصن رُوط ، وحصن الحِوَار ، وحصن قَنْبِيل ، آمن
الإسلام جوارها ، وعمر بالمجاهدين أقطارها . وخرج لنا ملك الروم في مشارطات
أردناها ، وفرص لِعز الإسلام ابْتَدَرناها عن حصون أربعة ، طهرنا بيوت الله بها ،
من دنس الأوثان ، وعوضنا النواقيس بكلمة الإيمان . والحمد لله على مواهب
الامتنان ، ومنه نسل المزيد من الإحسان . وأقرب المدائن بافتتاحها ، الجزيرة
الخضراء ، وهى باب الإسلام ، التى منها دخل الفتح ، وعظم عليها بكلمة الله
الْمَنُّ والمنح ، وقدرها الكبير أعظم من أن يَسْتَوْفَى وصفه التعبير . فانبسطت
الآمال ، وضفت على الإسلام ملابس اليُمن والإقبال . وهذه المجملات تحتمل
شرحاً ، تسبح فيه الأقلام سَبْحاً ، من أوصاف مغنم شَدَّتْ عن الحصر ، ومعاقب
لنزول السكينة ، وهبُوب النَّصر ، وما ظهر من جد المسلمين فى افتتاح تلك المعاقل
المنيعه ، ومقارعة الجموع الكثيفة ، وبركة الحزم فى كل حال موجودة ، والوسائل
بأهلِهِ فى القديم والحديث لا مُخَيِّبَة ولا مردودة ، فهو الأصل والغمد ، الذى
سهل منه هذا النصل ، حتى بلغ النجوم القاصية ، وقاد من استعصى بالناصية .
وقد ظهر لنا أن وجهنا إلى المدينة المقدسة ، صلوات الله على من بها وسلامه .
نعرفه بهذه البركات الهامية من سَمَا عنايته . المعدودة خوارقها من آيَتِهِ . فكلها

جِنَاه . وما كنا لَنَهْتَدِي لولا أَن هَدَانَا اللهُ بِهِدَاه ، وَأَصْحَبْنَا شَخْصاً مِنْ نَوَاقِيس
الْفَرَنْجِ مِمَّا تَأْتِي حَمْلُهُ ، وَأَمَكَّنْ نَقْلَهُ ، وَمَا عَدَاهُ فَكَانَتْ جِبَالاً ، لَا تَقْبَلُ فِي
نَقْلِهَا اخْتِبَالاً ، فَتَنَاولَ دُرْعَهَا التَّكْسِيرَ ، وَشَفَى بِذَهَابِ رُسُومِهَا الْإِقَامَةَ وَالتَّكْبِيرَ .
وَمَرَادُنَا أَنَّ تُعْرَضَ بِمَجْتَمَعِ الْوُفُودِ تَذَكُّرَةً ، تَسْتَدْعِي الْإِمْدَادَ بِالْإِعْدَاءِ ، وَتَقْتَضِي بِتِلْكَ
الْمُعَاهِدِ الشَّرِيفَةِ النَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، ثُمَّ نَصَحَبْ رُكَّابَ الزِّيَارَةِ إِلَى أَبْوَابِ النُّبُوَّةِ
وَمَطَالِعِ الْإِنَارَةِ . وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي تَوْفِيقِهِ هَذِهِ الْأَحْوَالُ وَرِعَايَتِهَا ، وَإِبْلَاغِهَا إِلَى
غَايَتِهَا ، مَا يَلِيقُ بِحَسَبِكُمْ الْوَضَّاحَ وَمَجْدِكُمْ الصَّرَاحَ ، وَشَرْفِكُمْ الْمُبْلِّغَ تَبْلُغِ
الصَّبَاحِ ، فَأَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ، وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونِ رَاحٍ ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ
الْحِظُّ الرَّغِيبُ ، فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْبَرَةِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَضْمِيعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَهُوَ
يَتَوَلَّاكُمْ بِمَا يَتَوَلَّى مِنْ أَعَزِّ شَعَائِرِهِ وَعَظَمَئِهَا ، وَرَعَى وَسَائِلَهُ وَاحْتَرَمَهَا ، وَيَصِلُ
أَسْبَابُ سَعْدِكُمْ ، وَيَنْفَعُكُمْ بِقَصْدِكُمْ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الطَّيِّبُ الْبَرُّ الْعَمِيمُ ، يَخْصُ
مُعَاهِدَكُمْ الْكَرِيمَةَ عَلَى اللَّهِ عَهْدُهَا الْهَامِيَةِ ، بِغَمَائِمِ الرَّحْمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ عَهْدُهَا ،
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

وكتبت في مثل هذا الغرض إلى أمير
المدينة المقدسة على ساكنها من الله أفضل
الصلاة وأطيب السلام

يعتمد المقرُّ الأشرف الذي طاب بطيبة نَشْرُهُ ، وجَلَّ بإمارتها الشريفة^(١)
أثره ، وقدر في الآفاق شرفه ، وشرف قَدْرُهُ ، وعظم بخدمته ضريح [سيد ولد]^(٢)
آدم فخره ، الأمير الشريف الكذا أبا فلان ، أبقاه الله منشراحاً بجوار روضة
الجنة صدره ، مشرقاً بذلك الأفق الأعلى بَدْرُهُ ، ذائِعاً على الألسن المادحة في
الأقطار النازحة حمده وشكره ، مزيئاً بشذا المسك الأذفر ذكره ، تحية معظّم
ما عظم الله من دار الهجرة ، داره ومطلع أبداره ، الملتمس بركة آثاره ، المتقرب
إلى الله بحبه وإيثاره . فلان ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي فضّل البقع [بخصائها الكريمة]^(٣) ومزايها ، كما
فضّل الأزاهر بريّاتها ، وجعلها مثابة رحمة تَضْرِبُ إليها العباد آباط مطاياها .
مؤملة من الله غفران زلاتها ، وخطّ خطاياها ، وخصّ طيبة المدينة الأمانة بضريح
سيد المرسلين ، فأسعد مماتها ومحيّاها ، ورفع عليّاها . والصلاة على سيدنا ومولانا
محمد رسوله ، مطلع وجوه السعادة يروق مُحيّاها ، وموضح أسرار النجاة ومبين
خباياها ، الذي تدارك الخليفة بهديه ، فكشف بلاياها ، ورعى بسنة الله
رعايها ، وجمع بين مصالح دينها ودنياها ، والرضا عن آله وصحبه ، وعِترته
وحزبه ، الذين كَرَّمَت سجاياها ، وعظمت أَلطافها الهادية وهداياها ، وجاهدت
بعده طوائف الكفار تُشْعِشِع لها في أكْوَاس الشُّفار مَنايها ، وتطلع عليها في الليل

(١) هذه الكلمة زائدة في الصبح .

(٢) هاتان الكلمتان واردتان في الصبح ، ومكانهما بياض في الإسكوريال .

(٣) الزيادة من الصبح .

البهم ، سنا الصباح الوسيم من غُرر سراياها ، وتسدُّ بغمام الأسنة ، وعواصف رياح الأعنة ثنائياها . والدعاء لمقر أصالتكم الشريفة حيّاها الله وبيّاها ، كما شرفها بولادة الوصى الذى قرر وصاياها ، وسلالة النبی الذى أعظم الله بها مواهب فخره وعطاياها ، بالسعادة التى تبرز أكفّ الأقدار على مرور الأعصار خباياها ، والعز الذى يزاحم فرقد السما وثريّاها . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من مواهب الصنع الجميل أغناها ، كما طيب بذكركم أطراف البسيطة وزواياها ، وجعل فخر الجوار الكريم فى عقبيكم كلمة باقية^(١) لا تختلف قضاياها ما مرّضت الرياح^(٢) مورسات غشاياها ، فجعلت من النواسم مشمومها ، ومن الأزهار النواسم حشاياها . من حمراء غرناطة ، حرسها الله [ونعم الله يحوك حللها الجهاد ، والسيوف الحداد ، وتلبسها البلاد والعباد ، وملوك الكفرنا كصة على الأعقاب . من بعد شدّ الوثاق وضرب الرقاب ، خزاياها]^(٣) وبركات الحرّم الوجيه يستظلها الإسلام وينقيّاها ، وينقع الغلل برواياها ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلاّ فضله ، ولعاهدكم الكريمة الارتياح ، كلما ومضت البروق وخفقت الرياح ، ولسنى عناياتكم الإلتماح ، إذا اشتجرت الرماح ، وفى تأميل المثول بها تعمل الأفكار ، وإن هبّ الجناح ، وبهداها الاستنارة إذا جلى للمرشد الصباح ، وبالإعتمال فى مرضاة من ضمه منها الثرى القوواح ، والصفائح التى تراثها العوامل المجاهدة^(٤) والصفاح ، والجهاد الصّراح ، يعظم فى الصدور الانشراح ويعزّ المغدا فى سبيل الله والمراح . وإلى هذا ، أجزل الله مسرتكم بظهور الدين ، واعتلاء صُبحه المبين ، فإننا نعرفكم أنّنا فتح الله علينا وعلى إخوانكم المؤمنين بهذه الثغور الغربية الماتّة إليكم على الآماد البعيدة ، بالأمم العربية : فتوحاً حرّرت

(١) هكذا فى الإسكوريال : وفى الصبح (صدق) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الرياض) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الصبح وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الصبح .

البلاد ، ونقلت الطَّارِف والتَّلاذ حسبما تقصه مخاطبتنا إلى نبيِّنا الكريم ، الذى شرفكم الله بِخِدْمَةِ لَحْدِهِ ، واستخلفكم على دار هجرته من بعده ، إذ لا حاجة إلى التَّكرار ، بعد ما شُرِّحت به الصدور من الأخبار فى الإيراد والإصدار ، ووجَّهنا صحبتها من النواقيس التى كانت تُشيع ^(١) نِدا الضلال ، وتُعَارِض الأذان بجِلاَد الجدال ، وتبادر أمر التَّمثال بالامتثال ، ما يكون تذكرة ، تحن به القلوب إذا رَأَتْهَا ، وتَلْتَمِس الإعانة من الله كَلَمَا نَظَرَتْهَا ، وتتصور ^(٢) الأيْدِى المجاهدة ^(٢) التى هصرتها ، وهذا كله لا يحصل على التَّمام ، إلا بِمشاركة منكم تُسَوِّغُه ، وإعانة تؤديه وتبلِّغُه ، تشيع لكم عند تعرفها الثناء الدائم التَّرداد ، والدعاء الحسن المكافأة من ربِّ العباد ، ويُسْهِمُكُمْ فى أَجْرِ الجهاد ، وأنتم تعملون فى ذلك ما يناسب مثلكم من الشرفاء الأُمَّجَاد ، والله عزَّ وجلَّ يوالىكم بِنِعْمَةِ الثَّرةِ التَّعْهَد ، ويعرِّفكم عوارف الإِسعاد فى الدنيا ، ويوم قِيام الإِشهاد .

(١) هذه الكلمة واردة فى الصبح وساقطة فى الإسكود يال .

(٢) الزيادة من الصبح .

النهائي بالصنایع المكيفات

صدر عني جواب للسلطان الكبير الشهير أبي عنان عن كتابه الذي وجهه إلى سلطان الأندلس أمير المسلمين أبي الحجاج بن نصر ، رحمة الله عليهما . يعرفه فيه بما أتاح الله له من الظهور على بني زيّان ، واستيلائه على ملكهم بمدينة تلمسان ، وذلك في وسط شهر ربيع الأول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

المقام الذي مقدمة سعده تسلم ولا تمنع ، وحجة مجده لا ترد ولا تدفع ، ونوافل فتوحه المؤيدة بالملايكة^(١) وروحه ، تؤثر وتشفع ، والصنایع الإلهية في دولته الفارسية ، تثني وتجمع ، ويحمل منها ما يُقاس على ما يُسمع . مقام محل أحيينا الذي تبسم النصر عن ثغور نُصولة ، واحتفل الفخر في تدوين محصوله ، وشهدت مخايله الطاهرة بكرم أُصُوله ، [وتألقت خدود]^(٢) المجد سائلة من النقد بين أجناسه وخواصه وفصوله . السلطان الكذا^(٣) ، أبقاءه الله يُورق^(٤) أعواد المنابر كلما سقتها من أنباء فتوحه الغيوث ، وتفرق أسود السرى ، كلما زارت من أبطال حُماته اللُّيُوث ، وتأمّن في ظل إيالته العادلة وخلافته الفاضلة ، السُّهول من الأرض والوعوث ، ويتعاضد بالمكسوب من فخره الموروث ، وينضى إلى استلام ركن يمينه ، ومشاهدة نور جبينه الرّكّاب المحثوث . معظّم مقامه ، الذي تعظيمه مُفترض ، [القايم بحق برّه ، الذي لا يُقدّم عليه غرض]^(٥) فلان ، سلام كريم [طيب بر عميم]^(٦) كما حسّر وجه الفجر [في أعقباه]^(٧) عن

(١) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (بملايكة الله) .

(٢) هكذا وردت في الملكية ، ووردت في الإسكوريال (وتألقت خدود) . والأولى أرجح .

(٣) في الملكية يزيد على ذلك (ابن السلطان الكذا بن السلطان الكذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (تروق) والأولى أرجح .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٧) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

نقابه ، وتقدمته طلائع نسيمه ، ، وشهب الصبح في أعقابه ، يخص مقامكم [الأعلى]^(١) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الفتاح العليم ، مُطلع غرر المسرات المستمرات ، أوضح من فلُق الصباح ، وميسر الآمال السنية وفق الأمنية ، وحسب الاقتراح ، مورث الأرض كما وعد أئمة الهدى والصلاح ، المتكفل لهم بحسن العواقب وفوز القيداح .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، نور الهدى الوضاح ، ذو القدر الرفيع والجاه المنيع والمجد الصراح ، المؤيد بالرعب ، المنصور بهبوب الرياح ، حتى أشرقت أنوار دعوته السمحة فوق الربا والبطاح ، والرضا عن آله وصحبه ليوث البأس وغيوث السباح [الذين راضوا صعاب النصر من بعد الجراح ، ورفعوا سماء قبة الإسلام على عمد الرماح]^(٢) ولم يشغلهم ليل التبتل عن يوم الكفاح ، فكانوا لأئمة أهدى من القمر اللياح ، وعلى أعدائه أعدى من الحين المتاح . والدعاء لمقامكم^(٣) الأعلى بالنصر ، الذي ترسم آثاره في صحف الصفاح ، وتسطر أخباره في صفحات الحسان الصراح ، والعز الذي تبدى له الحيل بسيا الخيلا والمراح . فإننا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم فتوحات منظومة العقود ، معقودة النظام ، وآلاء دائمة الاتصال ، متصلة الدوام ، وسعوداً معلومة الوضوح واضحة الأعلام ، ونصراً يرتاح به قد القناة ، وتبسم له ثغر الحسام ، وصنایع تبهر حلاها على لبآت المنن الجسام ، ويروق مجتلاها في غرر النعم الوسام . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله [جل وتعالى]^(٤) ثم ماعود من آلائه التي تترادف وتتوالى ، إلا الخير الذي أنجزت وعوده ،

(١) ساقطة في الملكية .

(٢) ما بين الحامرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٣) في الملكية (لسلطانكم) .

(٤) زائدة في الملكية .

[والنَّصْر الذى صدقت بروقه ورعوده^(١) والصُّنْع الذى تَأَلَّقَتْ فى أَفُق الدِّين الحنيف سُعوده ، والفتح الذى تَفَتَّحَ به زهره وأورق عُوده ، جعلنا الله ممن استمر فى مقام الشكر قيامه وقعوده] فكلما اعْتَلَّت قوى إدراكه جاءه الإمداد من الله يعوده^(٢) ونحن من السرور بما يُسْنِيهِ الله لكم بحيث لا تلبسون حُلَّة فخر^(٣) إِلَّا لَبَسْنَا مثالها ، ولا تجنلون غُرَّة فتح إِلَّا اسْتَجْلَيْنَا جمالها ، [ولا تنالون سبب نِعْمَةٍ إِلَّا حمدنا منالها]^(٤) نشرب من ذلك فَضْل شربكم ، ونَرِدْهُ عقب^(٥) ورْدكم ، ويمتُّ إلى الله بمثل ممتات مجدكم ، فكلما امتد لدولتكم العلية ظل عزٌّ ، انفسحت آمالنا وامتدَّت ، واشتدَّت للملككم عُرْوَة نصر ، قويت أعضادنا واشتدَّت . وإلى هذا أيدكم الله بنصره ، وحكم للملككم الرفيع بأعلا أمره ، فإنكم جئتمونا بزهرة الفتح الأول أظلال فضله ، وأتخفنا بربواكر نصره قربة العهد باقتطاف نضله ، وعرفتمونا بما كان من الظهور الذى خَفَقَتْ عليكم رايته ، والنصر الذى أنزلت عليكم آيته ، والفخر الذى دَخَرَتْ للملككم غايته ، وأن عدوكم لما ضاقت عليه المسالك [وفغرت أفواهاها إليه المهالك]^(٦) ، أقدم إقدام من استعجل الحِمَام ، ولم تطل به الأيام ، وأملَ انتهاز فرصة كانت وقاية الله من دونها ، واغتنام غُرَّة كان مدد الحرام يَغْضُ عيونها ، وأقبل والمحلات تخيم بيوتها تخيم الحساب^(٧) ، وتطفو قبائبها البَيض طَفُو الحجاب ، فناشب حاميتها الحرب ، وأعمل الطَّعان والضرب ، وسوَّلت له الأَطْماع خطة انتهاء قاوب قد

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) فى الملكية (صنع) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) ساقطة فى الملكية .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التراب) .

خَلَصْتُ ، وَأَبْطَالَ مِنْ بَعْدِ الْإِقْدَامِ مَا نَكَصْتُ ، وَأَقْدَامُ ثَبَتَتْ فِي مَوْقِفِ الْهَوْلِ
وَأَسْتَقَرَّتْ ، وَقِبَائِلُ مِنْ مَرِينٍ عَاهَدَتْ اللَّهَ ، فَوَقَّتْ وَبَرَّتْ . وَإِنْكُمْ لَمَّا عَقَدْتِ الْحَرْبَ
حَبَاهَا ، وَرَجَمْتَ الظَّنُونَ الْكَاذِبَةَ فِي عُقْبَاهَا ، فَدَيْتُمْ مِنْ دُونِكُمْ مِنَ الْخَلِيقَةِ
بِالنَّفْسِ الْحَرِيَّةِ بِالْمَجْدِ الْخَلِيقَةِ ، وَاقْتَدَيْتُمْ بِأَنْصَارِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الْحَدِيقَةِ ، وَأَنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا ارْتَابُوا بِأَوْشَابِهِمْ ، وَعَوَّلُوا عَلَى
أَدْيَانِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ، وَتَبَوَّؤْا مِنَ الصَّبْرِ حَصُونًا ، وَنَادَى أَمْرَاؤُهُمْ أَخْلَصُوا ، فَحَصَلَتْ
مِنْهُمْ كَتِيبَةٌ كَانَتْ الْحِمَالُ لَا تَهْزُهَا ، وَالْأَهْوَالُ لَا تَسْتَفْزُهَا ، حَتَّى عَلَتْ أَيْدِيهَا ،
وَحَيَّعَلْ بِالْفَتْحِ الْقَرِيبِ مَنَادِيهَا ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا أَنْ طَلَعَتْ شَمْسُ غَرْتِكُمْ يَحْمِلُهَا
مِنَ الطَّرَفِ الْعَتِيقِ فَلَمَّكَ ، وَخَفَقَ مَنْصُورُ عِلْمِكُمْ يَتْبَعُهُ مَلَكٌ ، وَيَقْدُمُهُ مَلَكٌ ،
وَنَهْدَ مَوَكِبِكُمْ يُهْدِيهِ مِنَ الرَّأْيِ صُبْحٌ ، وَيَحْجِبُهُ مِنَ الْقِتَامِ حَلَكٌ ، وَتَرَاكَمَتْ مِنْ
النَّقْعِ جُودِ السَّحَابِ ، وَمَاجَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِحُورِ الْكَتَائِبِ ، وَضَحَكَتِ النَّصُولُ
فِي الْيَوْمِ الْعَبُوسِ ، وَدَارَتْ بَيْنَ الرِّجَالِ لِلْآجَالِ الْكُؤُوسُ ، وَأُخْفِرَتْ حُرُمَاتُ
الْمَغَافِرِ ، وَتَجَلَّتْ وَقَاحُ الْحَرْبِ بِالْحَدِّ السَّافِرِ ، وَاشْتَبَهَتْ الطَّرُقُ ، وَرَمَدَتْ مِنْ
الْأَسِنَّةِ الْعَيُونَ الزُّرْقُ ، وَأَجْرَى اللَّهُ مَقَامِكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَأَثَبَتْ فِي
دَرَجَةِ ذَلِكَ الْجَمَاعِ سَهْمُ سَعَادَتِهِ ، فَكَذَبَتْ مِنْ مُنَاوِيكُمُ الْعَزِيمَةُ ، وَصَدَقَتْ عَلَيْهِ
الْهَزِيمَةُ ، وَأَدْبَرَ إِدْبَارَ أَمْسِهِ ، وَمَضَى وَهْمُهُ نَجَاةَ نَفْسِهِ ، وَانْقَلَبَ مَغْلُوبًا مَغْلُوبًا
يَرَى الْبَرْقَ سَيْفًا مَسْلُوبًا ، وَيَحْسِبُ الشُّعَابَ خَيْولًا ، وَيَظُنُّ حِمْرَةَ الشَّفَقِ دَمًا
مَطْلُوبًا ، وَخَلَفَ أَنْصَارُهُ حَصِيدًا ، وَدِيَارُهُ طُلوًا ، وَأَنْكُمْ ثَنَيْتُمْ الْأَعْنَةَ ، وَالنَّصْرَ
لِوَاءِ بَكْلِ ثَنِيَّةٍ ، وَعَلَى كُلِّ رَايَةٍ عَنَاءُ رَبَّانِيَّةٍ ، وَالْوُجُوهُ بِأَدْيَةِ السُّفُورِ ، وَالْخَيْلُ
دَامِيَةُ النَّحُورِ ، وَالسُّيُوفُ مُورَدَةُ الْخُدُودِ ، وَالرِّمَاحُ مَخْضَمَةُ الْقُدُودِ ، وَمَعَابِرُ
الْكُنَائِنِ خَاوِيَةٌ مِنْ أَقْلَامِهَا ، وَمَوَارِدُ السَّوَابِغِ خَالِيَةٌ بَعْدَ أَرْدِحَامِهَا ، وَالْفَتْحُ قَدْ فُتِحَ
لَكُمْ بِأَبِيهِ ، وَالنَّصْرُ حَوْلَكُمْ كِتَابِيهِ ، وَفِي يَدِكُمْ كِتَابُهُ ، فَلَمْ نَكِدْ نَعْطِ السُّرُورَ
بِهَذَا النَّبَأِ حَقَّهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالْإِرْتِبَاحِ ، وَالشُّكْرَ لِلَّهِ عَلَى فَوْزِ الْقِدَاحِ ، وَتَأْتِي

الاقتراح ، والإشادة به في النواح ، ونفَرَغ من مراجعة ذلك المجد الوضّاح ^(١) حتى
اتصل بنا الصُّنع ، الذي عَمَرَ ما قبله ، وشرح مُجْمَل السعد ، وأوضح سُبُلَه ، من
أنكم ملكتم مدينة تلمسان ، فاستأثرتكم بالسَّعد الهَنِي المُعْجَل ^(٢) ، ودخلتموها في
اليوم الأغر المحجَّل ، وحصلتم عليها من غير سلاح أُعمل ، ولا حق أُهمل ، ولا نفس
رِيعت ، ولا حُرْمَة للدين ^(٣) أضيعت ، وأن بناتها من المعقل الشَّم الأنوف ،
والمصانع السَّافرة عن حواجب القُسي ، المبتسمة عن ثغور السُّيوف ، والمعقل التي
تعد أهلة السَّما من الأسورة وجوْزايها من الشُّنوف ، رأت رأى أمها في تعجيل
الطاعة ، وحملت الأمر على القُور بجهد الاستطاعة ، وبادرت التوبة النصُوح ،
قبل قيام تلك الساعة ، فانتظمها سلك الأمر السَّعيد ، واتصل القريب منها بالبعيد ،
واحتجَّت مُعْتَرِلَتِهَا ، بإنجاز الوعد وإخلاف الوعيد ، وكان لسابقها حقُّ التكلم ،
وللاحقها حقُّ المُعيد ، فأقمنا فريضة الشكر والحمد لوقتها ، وتلَوْنَا في بِساط
الاعتبار بالنعم « وما نريهم من آية إلَّا هي أكبر من أختها » وقلنا هذا هو النبا
الذي ارتَقَبْنَا طلوع البشائر من ثنايا تِلاعِهِ ، وأجزنا تلقَّى الرُّكبان لرُخْصَة
استطلاعه . هذا هو الصُّنع السَّني ، والفتح الهَنِي ، والنصر المُشْنِي ، والعزُّ المُتَمَنِّي ،
نصرٌ من الله وفتح قريب ، وتكليف لمُلك الغرب غريب ، هذا هو اليُمن الذي
أصاب قَبِيصَى النصر والفتح بسهم فتح تلمسان ، وما أدريك ما تلمسان ، قاعدة
المُلك ، وواسطة السُّلك ، وقلادة النُّحر ، وحاضرة البرِّ والبحر ، أُسْنِدت إلى
التل ظَهراً ، وأفصحت بالفخر جَهْراً ، وأصبحت للغرب باباً ، ولركاب الحجِّ
ركاباً ، ولِسهم الآمال هدفاً ، ولدُرِّ العلم صِدْفاً . حَسَناء تُسَبِّي العقول ، بين
التقنُّع والسُّفور ، والأطماع والنُّفور . شَمِخت بِأَنفِ الحصانة والإبابة ، وتبجَّحت

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الصراح) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المُجْمَل) .

(٣) زائدة في الإسكوريال .

بوفور العمارة ، ودرور الجبابة ، ولبست حلة الجناب الخصيب ، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب . فيهاها من غادة ، كلما مرت عليها الأيام ، استجد شبابها ، وأينع جنابها ، وضمي من الحسن جلبابها ، حتى كأن عين أم يحيى سقتها من عين الحياة ، فنورها الدهر باهر الآيات ، ومحاسنها رائقة الغرر والشيء ، تخدع باللفظ الخلوب ، وتغلب على لظى الأشواق أفلاذ القلوب . حرّكت الملوك الصيد وسكنت ، فما بذلت من قيادها ولا أمكنت . ضاق بعبد المؤمن طوقها ، فبعد لأي ما مزقه ، ورجع منها إلى السعيد سهمه ^(١) الذي فوقه . ولم تزل أحوال مجيبها من بعد ذلك مختلفة ، وقلوبهم بهواها كلفة ، فمنهم من حيّاها على البعد ، وقنع من وصلها بالوعد ، واقتصر منها على الإلمام ، وإهداء السلام . ومنهم من جدّ الجدّ وهي تسخر ، ولان لها القول منه وهي تبأى وتفخر ، ولم يجد متقدماً عنها ولا متأخر ، حتى غلب اليأس ، وخاب القياس . ومنهم من باع الكرى بالشهد ، ووجد مرارة الصبر أحلى من الشهد ، وبذل لها في المجال نثار رؤوس الرجال ، وسخى عليها حتى بالأعمار والآجال ، ونازع الحرب إلى الغلاب والسجال . فالجنّات يلوى ضلوعها الزفير ، والمجانيق يذمى أنوفها السجود والتعفير ، [فالجياذ] ^(٢) تشكو من باب جهادها إلى غير راحم ، وتظمأ فتسقى من نجيع الملاحم ، حتى أذعنت لإذعان القهر ، ورضيت بما بذل لها من المهر ، وجاذب رداءها من أردى له أوداءها ، وأماط قناعها من غلب بالصبر ^(٣) امتناعها . ثم ضرب الدهر ضرباته ، وأقام للقدر برهانه ، فراجعها من كان يهواها ، وأثبت في الإكراه دعواها ، بعد أن حصلت لها بمقامكم علاقة

(١) ساقطة في الملكية .

(٢) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الملكية وفي الإسكوريال (بالنصر) والأولى أرجح .

كامنة بين الضلوع ، ورسي بجوانحها رسيس هوى [يجل عن الولوع] ^(١) وتغلكها به غرام ظاهر ومُسْتَكْن ، ولسان حالها يتلو [قوله] ^(٢) إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِن . وَرُبَّ مَغْلُوبٍ سَمَحَ بِالرَّغْمِ قِيَادَهُ ، وَمَلَكَ ظَاهِرَهُ وَلَمْ يَمْلِكْ فُؤَادَهُ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ الْآنَ مِنْ حَبِيبِهَا بِقَرَبِ الدَّارِ ، وَأَدْنَى رِكَابِهِ مِنْهَا مُسَاعَفِ الْمَقْدَارِ ، هَمَّتْ وَهَامَتْ ، وَتَطَارَحَتْ وَتَرَامَتْ ، وَتَهَلَّلَتْ مِنْ بَعْدِ الْإِطْرَاقِ ، وَضَحِكَتْ مِنْ حُسْنِ ^(٣) اللَّقَا كَمَا بَكَتْ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ ، وَأَمَكْنَتْ مِنْ وَصَالِهَا عَفْوًا ، وَأَوْرَدَتْ الْعَذَبَ مِنْ زُلَالِهَا صَفْوًا ، وَأَلْقَتْ أَلْيَدَ طَوْعًا ، وَخَيْرَ النِّعَمِ مَا لَمْ تَقْعَ عَنْ كَدٍّ ، وَأَسْنَى الْمُنْعِ ، مَا لَمْ تَجِءْ فِي حِسَابٍ وَلَا وَعْدٍ ، فَكَأَنَّهَا لِقَطْعَ اسْتِحْقَاقِهَا سَيْفَكُمْ مِنْ بَعْدِ التَّعْرِيفِ ، وَنَقْطَةَ اسْتِدَارِهَا عَلَيْهَا مُحِيطَ ذَلِكَ الْمُلْكِ الشَّرِيفِ ، وَنَكِيرَةَ ادْخَلَتْ عَلَيْهَا أَدَاةَ التَّعْرِيفِ ، وَقَبِيلَةَ عَدَلَتْ مِنْ بَعْدِ التَّحْرِيفِ ، وَلَفْظَةَ رُدَّتْ إِلَى الْأَصْلِ الصَّحِيحِ عِنْدَ التَّصْرِيفِ . وَمَا كَانَ الْبَلَدُ الَّذِي عَدَلَتْ نَصْبَهُ لَكُمْ السَّعِيدَ بِمَطَالَعِهِ ، وَاقْتَرَبَتْ السَّعُودَ عَلَى دَرَجَتِي عَاشِرِهِ وَطَالَعِهِ ، لِيَكْذِبَكُمْ وَعْدُهُ ، وَلَا يَتَخَلَّفَكُمْ سَعْدُهُ ، فَمَا بَرَحَتْ بُرُوقُ السَّعَادَةِ تَبْدُو فِي خِلَالِ مَا رُمْتُموه ، وَالتَّوْفِيقُ يَشُدُّ أَوَاخِي ^(٤) الْعِزْمَ الَّذِي أَبْرَمْتُمُوهُ ، وَالْحَرَكَةُ الَّتِي أَزْمَعْتُمْ ، تَتَضَامُ ^(٥) عَلَيْهَا الْأَسْبَابُ الْمَشْتَرَكَاتُ ، [وَتَسْنَحُ عَلَى غُرُوسِهَا الزَّكِيَّةُ سَحَابِيبُ الْبِرَكَاتِ] ^(٦) وَتَجِدُ النُّفُوسَ لَهَا خِفَّةً ، وَحَرَكَةَ الْفَتْحِ أَخْفَ الْحَرَكَاتِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْقِيَاسَ صَادِقًا [وَالتَّوْفِيقُ مُوَافِقًا ، وَالتَّصَرُّعُ لِلتَّصَلُّلِ مُوَافِقًا] ^(٧) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ حُلَّتَهَا السَّيْرًا ، لَمْ يُوْهِنَهَا ^(٧) طَوْلَ الْمَجَادِبَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ ، وَلَا اخْتَلَقَتْهَا أَيْدَى الْمُسَارِقَةِ وَالْمَسَاوِرَةِ ،

(١) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) الزيادة من الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (أنس) .

(٤) هكذا وردت في الملكية . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (تنضافر) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٧) وردت في الإسكوريال (يرمئها) ، والتصويب من الملكية .

وخوّلكم وصلها ، لم يقدح فيه ملل المجاورة ، وليهن مقامكم الذى أقال العثار ،
وخلّد الآثار ، وأخذ الثار ، ما منحه الله من الغر الصادق والبرق ، والفتح الذى
وصل يد الغرب إلى الشرق ، فلقد جمع حسامكم الماضى المضرب ، من مدينتى
تلمسان وفاس ، بين عقيلتى المغرب ، للأولى منهما الأصالة والمجادة ، والثانية
العلاقة والودادة ، وكلاهما الحُسنى والزيادة . فإن فخرت هذه بنصبة المُلْك .
فخرت تلك بنصبة الولادة . ويأبشرى لهذا القطر الغريب ، الذى يمد إلى عزمات
جهاتكم يد الراغب ، ويرتقب ارتفاع الشواغل والشواغب ، بما استروحه من صرف
الاستعداد إلى أعدائه ، والإهطاع إلى ندائه ، والشروع فى معالجة دائه . وإن
منى بالأدكار من تملّكها ، وأدار على قُطب السياسة فلكها ، وجبّ الهنا بالحق
لقطر تملّكتموه ، ومثلك قبضتم عنان أمره وأمسكتموه . فقد جعل الله مقامكم
كعبة الآمال ، وجمع فيكم ما تفرق من أخلاق الكمال . بارك لكم فى العطية من
وهبها ، وراض لكم متن المطية من دالها وأزكبها . وإننا لما استجلبنا عن زهرة
الفتوح الضاحكة المباسم ، والصنایع التى ألبست الأيام ، أثواب المواسم ، رأينا
غاية الشكر بعيدة عن إدراك البيان ، وأن الإيجاز فيها والإسهاب سيان . فلو
طالبنا بهذه الوظيفة أبان لما أبان ، أو دعونا لها سحبان ، لكان فى ميدانها الجبان .
ولو استعنا بعبد الحميد لم نجده فيها حميداً ، أو نبهنا لها ابن العميد لأضحى
عميداً ، أو أردنا لبيداً لانتقلب بليداً ، ولو أقمنا لها الصّاحب لقعد ، أو كلفناها
ابن هلال لرآها من أبيه أبعد . إنما هو عذر يُبَلِّغ ، وإغضاء يُسَوِّغ ، ومن المعلوم
أن أوداء ذلك المقام الكريم ، إن أخذوا [من مسرتهم] ^(١) بحظ ، استأثرونا
بجملتها ، أو تمسكوا منها بمذهب ، قمنا بملئها ، وإن هتؤ بصنع ، قدّمنا نحن
هنا أنفسنا به ، أو توسّلوا بزمّام حب ، سبقنا فى حلبة أحبابه ، وإن حديث

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (بمسرتها) .

نصره ، إلى هذه البلاد الأندلسية عايد ، ومدد سعادته في أفطار هذا القطر مُتزايد ، فكيف لا تتهلل وجوه أهلها ، وتبدو الكآبة على العدو الذي يليها ، وكيف لا ترتفع بالشكر أيديها ، ويقوم على هُضبة الاستيْشار مُناديها . بظهور من يكف أيدي عواديها ، ويتكامل برى صاديها ، وإن نبأ هذا الفتح في قلب العدو لكبير ، وعلى سمعه لأثقل من رضى وثبير ، فمما لا يفتقر إلى تمهيد وتقرير ، أن الجهاد لا يزال تجاه ذلك المقام الكريم ونُصب عينه ، وأن الظهور على أعداء دين^(١) الله دين الحُسامه وهو لا ينام عن اقتضاء دينه . فمأهم النفوس الكريمة ، إلا اكتساب المناقب الفاخرة ، ولا بعد تحصيل الفوز بالدنيا إلا حديث الآخرة [ولا وراء تمهيد]^(٢) الأمة المسلمة ، إلا قتال الأمة الكافرة . وأننا وجهنا كتابنا ليخطب في هذا الهنا ، بمبلغ الجهد ووسع الغنا ، واخترنا للوفادة به من ينوب عنا في هذا الغرض ، ويقوم للوقت بواجبه المُقترض ، وهم صُدور إيالتنا ، ودُرر لبات عمالنا ، فلان وفلان ، وصل الله إعزازهم وكرامتهم . ويمن ظعنهم وإقامتهم ، وأوفدناهم على بابكم المقصود ، وشريعة مملكتكم المزدحمة بالوقود ، وهم يلقون إلى مقامكم في تقرير ودادنا ، والتنبيه على مقدار اعتدادنا^(٣) ما نعلم أن قواعده لديكم غير مُفترقة ، للتقرير بما عندكم من إشراق البصيرة ، وثقوب^(٤) الضمير ، فتفضلوا بالقبول المعهود ، وأوردوه من برّكم أعذب الورود ، ومهدوا لهم جناب الإغضاء فيما قصروا فيه عن الغرض المقصود . والله تعالى يصل لكم أسباب السعود ، ويجعل لكم عزمكم في الجهاد صادق البروق والرعود ، ويبقى منكم على الأنام مثابة الجود ، وفخر الوجود . والسلام عليكم .

(١) وأردت في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة وأردت في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (أعدانا) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (شفوف) .

وصدر عني لما فرَّ الأمير أبو ثابت الزعيم بالفَلِّ
من بني زِيَّان أثر الهزيمة التي جرت عليهم ، ولحق
بأَرْض صاحب بِجَاية فقبض عليهم ، ووُجِّه
بهم إلى السلطان الكبير الشهير أَبِي عَنان رحمه
الله ، فأوقع بهم ، تجاوز الله عنهم . وخطب
سلطان الأندلس أبا الحجاج بن نصر رحمه
الله مراجعته من إِمْلَائِي بما نصه ^(١) :

المقام الذي انتظمت لدولته الفتوح الغُرُّ انتظام العقود ، واقتضيت بعزماء
عزماته ديون الأيام اقتضاء النُقود ، وطلعت من ثنايا آرائه السَّديدة ^(٢) ، وجوه
السُّعود ، وتكفلت نيته الصالحة له بنيل المقصود ، وإنجاز الموعود ، مقام محل
أُخِينَا الذي إن نُشِرت الفتوح ، أَلْفِيَتْ في أَلْفَافِ البِنودِ وادعة ، أو دُعِيَتْ
الآمال كانت بوجوده طائِعة ^(٣) سامعة [أو استُدْعِيَتْ الأمانى انثالت في أيدي
سعوده وإن كانت شاسعة] ^(٤) . فرياض العزِّبه يانعة ، وكواكب السعد بأفائه
طالعة ، وأنفاس الشناء على مُلكه الرفيع البناء بأعطر من المسك الفَتِيَتْ ذائِعة ،
وحدود ^(٥) صوامة قاطعة ، وبالحق المبين صادعة ، السلطان الكذا ، أبقاه الله
مُكَمِّلة مآرب أمره ، مُعَمِّلة عوامل نصره ، مخوِّلاً من الله ما يعجز اللسان عن
حصره ، ثَبَّتَهُ في صحايف الصفايح آيات فخره ، ولا زالت عوامله مُصْرِفة في
زَيْدِ عَدَاهُ ^(٦) وعَمَرُهُ ، حتى تدعن الرقابُ الغُلْبَ لقهره ، وتعرَّفَ الدهور بمِزِيَّة

(١) هذا العنوان وارد بالإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (السعيدة) .

(٣) هذه الكلمة واردة بالملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (وحجج) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (عنوه) .

دهره . سلام كريم كما سَفَرَت الفتوح عن غُرَرها ، ورُقِمَت أنباء النّصر على صفحات السيوف وطُرِرَها ، واستبشرت الأرض بوابل مَطَرها ، وظَفِرت النفوس بأَقصى وطَرها ، يَخْص مقامكم الأعلى [ومثابتهم الفُضلى] ^(١) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله الذي تَمّم لكم الصّنايع تَميماً ، وجلّى لكم وجه السعادة أغرّ وسيماً ، وأثبت لكم في صفحات الفخر ذكراً شهيراً ، ومجداً عظيماً ، وجعل حدّ سيوفكم الماضية ، تَسْتَوْعِب العدا سَبْراً وتقسيماً ، فكلما طلبتم الأيام بديونها ، لم تُمَظَل كفيلاً بكم غرباً ، وكلما دعوتهم الآمال ، انثّالت على مواردكم هيماً ، وكلما أضمرتم أمراً بعيداً ، أصبح بباكم مُقيماً . والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله ، أزكى البريّة عنصراً ، وأشرفها خيماً ، نبىّ الرحمة الذي جلى بنور الحق ليلاً بهيماً ، ودعا إلى توحيد الله نفوساً حازت في ظلمات الضلال تَثْلِيثاً وتَجْسيماً ، وأعمل الحرب العوان حتى سلكت الخلائق من الطاعة لله ورسوله مسلّكاً قويمًا ، ووقفت عند أوامر الله ونواهيه تحليلاً وتحريماً . والرضا عن آله الذين كانوا في الظّلماء نجومًا ، وفي اللّأواء غيومًا ، وفي الهياج أجلاً محتوماً ، ففرعوا السحاب جوداً ، والآساد إقداماً ، والبدور ضياءً ، والمضارب حلوماً ، صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليمًا ، والدعاء لمقامكم الأسمى بالعزّ الذي لا يزال لركابه العلى لزيماً ، والسَّعد الذي تُغنى عن الاختيار أسبابه ، وتفتح قبل الطلب أبوابه ، فلا يحتاج تعديلاً ولا تقويمًا ، والصّنع الذي يروق [أولياء مقامكم] ^(٢) الرفيع خصوصاً ، وسائر المسلمين عمومًا ، ولا زال جنابكم المؤمّل كهفًا ، والثناء عليه رقيماً ، حتى يصبح الكفر بهوب ^(٣) عزائمكم هَشيمًا ، ويستنشق الإسلام

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (مقام أوليائكم) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت في الملكية ، ووردت في الإسكوريال (بعميم) والأولى أرجح .

من إتاحة الكثرة له على يدكم روحاً عاطراً ونسيماً. فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من مواهب عنايته أوفر ما كتب ، وجعل سُعودكم تُضمّن إعتاب الدهر كلما عتّب ، وأقلام رماحكم تثبت في خط خطيها النصر الداخلة على العتب ، وخطباء فتوحكم^(١) تتوقّل من منبر العز أعلى الرتب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، والاعتداد بمقامكم العلى يزيد صبحه^(٢) وضوحاً ، والأمل في ملككم الفارسي ، يهزّ منه نسيم هذه الأنباء غصّاً مروحاً ، وخافت الرجا في هذه الأرجاء ، تنفخ فيه عزائمكم على جهاد الأعداء روحاً ، وتتلو عليه من النصر كتاباً مشروحاً . وإلى هذا ، أيد الله أمركم الرفيع تأييداً ، وألهمه شكراً برّاً لا يعدم منه مزيداً ، وجعل سيفه الماضي كلما تقلده لأبواب الفتوح إقليداً ، حتى يستأنف به الإسلام عزّاً جديداً ، ويتلّع جيداً ، ويملاً بلاد التشليث توحيداً ، ويذيق الكافرين بأساً شديداً ، ويربهم الفتح القريب المُبين قريباً ، وإن كانوا يرونه بعيداً . فإننا ورد كتابكم المستوفى الفصول ، المحكم الفروع بالأصول ، المشتمل على محصول الفخر ، وفخر المحصول ، المُسند خبر النصر إلى قضاة الدهول . فيا لها من وجوه بشر جلّتها البلاغة في أحسن الشّارات ، ومعاني فتوح أوردها البيان بأفصح العبارات ، وعيون نصر أفادتها الآداب أحلى الإشارات ، حتى كأنّ الأقلام في خدمة مقامكم السعيد ، جرت مجرى السيوف في استصحاب التأييد ، وإحراز المقام البعيد . وقفنا من مُضمّنه حسناً قرّرتم على خلوص الطاعة ، والتّثام الجماعة ، واستقرار الحق في أهله بعد الخصام ، وتسوية مشاريع الشريعة لوآردها من بعد الازدحام ، وانطلاق ألسنة العدل بعد الإفحام ، وإلحاق طُرر البلاد القصيّة بأهل العمالة المربنيّة ، بعد الإضراب والإفحام . وإن عدوكم أجهز القدر على جريحه ، ونشأت ريح البشائر لخمود ربحه ، واعتقبه الحسام الصلّت ، فلم يفرق بين طرّقه

(١) وردت في الإسكوريال (الفتوح) والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت في الملكية . وفي الإسكوريال (وضوحه) والأول أرجح .

ولا صريحه . فأصبح الشوق لنور دعوتكم مُشرقاً ، وأساغ ريقه وكان به شريقاً ، واشتمل ملاً الأمان ، وكان خائفاً فرقاً ، وغدا مزاج السياسة المرينية لارتفاع ضدها مزاجاً متفقاً ، وأنشدها لسان السعد :

« فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً »

وإن هذه الوقعة المستأصلة كانت لمرض الخلاف المزمع بحراناً ، وحكماً ينبع من حلول النصر بدرجة النصل قراناً ، وفتوى رضى أسهب الحسام اختيارها ، وكتبت أقلام الرماح [فى صحف]^(١) الأيام آثارها . فقلنا هذا أمر لنا كله أو جلّه ، ومُزّن لنا طلّه ووئلّه . الآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل والشواغب ، وآن أن يحظى بأمله الراغب . الآن تهللت الوجوه ، واستشرف الدين الحنيف كما لم نزل نرجوه . كأننا بالعزائم لأداء حق الله مصروفة ، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة ، والهمم لأن تكون كلمة الله هى العليا مشغوفة . ومن عامل الله فى نصر هذه الأقطار المسلمة ، مع اختلاف الكلمة ، بما جمع بين الكرى والأجفان ، ومد^(٢) القواعد بعد الرجفان ، وأمسك حملها العاصم عند فيض الطوفان ، كيف يكون عمله بعد ارتفاع الموانع وزوالها ، وسكون البلاد من أهوالها ، قياس بمشيئة الله صادق ، وبرهان بين الشك واليقين فارق . فهذه الجزيرة الأندلسية ، من عامل الله فى نصرها بنية صالحة ، ظهر ربحه ، وطلع بالسعادة صبحه . وقد ظهر مجمل ذلك بما يطول شرحه . فأنتم لما صدق فيها عزمكم ، لم تسئلوا سيفاً فيما فينا عن ضريبة ، ولا أعملتم عزمًا إلا بلغ غاية غريبة ، ولا سدّدتم سهماً إلا أصاب غرضاً بعيداً ، ولا أردتم رأياً إلا أثمر مراماً سعيداً ، وإننا أخذنا من السرور بتمام نعمة الله عليكم ، واستقرار فذلّة الفتح لديكم ، بأقصى ما يأخذه الولي الحميم ، وهجنا من اتصال سعدكم بما سناه الله الكريم ، ووجهنا

(١) وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سكن) .

من يَنْوِبُ عَنَّا فِي هَنَائِكُمْ بِهِ مَا يُوجِبُهُ الْوُدُّ الصِّمِيمُ . وَهُوَ قَرِيبُنَا الْكَذَا أَبُو فُلَانٍ ،
وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، مَا يَلْقِيهِ وَيَقْصُهُ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَتَفَضَّلُونَ بِالْإِصْغَاءِ
إِلَى مَا يُؤَدِّيهِ . وَاللَّهُ يَصِلُ سَعْدُكُمْ . وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ .

ولما استولى رحمه الله على بجاية ، ثم ثار بعض
كبار وطنها بقايدِه وَقَتْلَهُ ، فاستدرك أهلها
بعد ذلك الأمر ، فتغلبوا عليه ، ورجعت الدعوة
بها إليه ، ووصل كتابه يُعَرِّفُ بِذَلِكَ ، صَدَرَتْ
مراجعتُه عن سلطان الأندلس أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ
نَصْرِ رحمه الله من إملأني بما نصَّه ^(١) :

المقام الذى أَشْرَقَتْ بِأَفْقِهِ الْأَعْلَى فَجَرَ الْفَتْوحِ ، وَجَرَتْ جِيَادُ سُعُودِهِ فِي
مِيدَانِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ طَلَّقُ الْجُمُوحِ ، وَجَاءَتْ دَوْلَتُهُ الْفَارَسِيَّةُ عَلَى إِیْضَاحِ السَّعْدِ
بِأَحْسَنِ الشُّرُوحِ ، وَتَأَوَّدَ الدَّائِلُ ارْتِيَا حَافً بَعْزُهُ تَأَوَّدَ الْغَضَنِ الْمَرْوَحِ . مَقَامُ مَحَلِّ
أَخِينَا ، الَّذِي حَدِيدُ سَيْفِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَغْنَاطِيسِ الْفَتْوحِ خَاصَّةً عَجِيبَةً ، وَعَزِيمُ
سَعْدِهِ لَهُ فِي أَعْنَاقِ اللَّيَالِ وَالْأَيَّامِ وَجِيبَةً ، وَمَنَادَى طَاعَتِهِ إِذَا دَعَا ، كَانَتْ لَهُ
الْمَسَالِكُ قَرِيبَةً ، وَالْمَمَالِكُ مُجِيبَةً ، [السُّلْطَانُ الْكَذَا أَبُو عَنَانَ] ^(٢) أَبْقَاهُ اللَّهُ ، وَالْمَحَامِدُ
بِذِكْرِهِ كَلِيفَةً ، وَالْقُلُوبُ عَلَى طَاعَتِهِ مُؤْتَلِفَةٌ ، وَالسُّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ بِخِدْمَتِهِ مُتَصَفَّةٌ ،
وَالْأَلْسِنَةُ فِي الْإِقْرَارِ بِعِجْزِهَا عَمَّا يَجِبُ لَهُ مُتَّصِفَةٌ . مَعْظَمُ مَقَامِهِ ، الَّذِي تَعْظِيمُهُ
فَرَضُ لَازِمٍ ، وَالْقَوْلُ بِإِجْلَالِهِ وَإِكْبَارِهِ ، قَوْلُ جَازِمٍ . وَمَوْقَرُّ مَلِكِهِ الَّذِي لَهُ التَّوْقِيرُ
مُحَالِفٌ مُلَازِمٌ . الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يَوْسُفُ بْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ فَرْجِ بْنِ

(١) هذا الشرح كله وارد بالإسكوريال وساقط في الملكية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية وردت كآلاتي ((السُّلْطَانُ الْكَذَا ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا ابْنُ
السُّلْطَانِ الْكَذَا) دون ذكر اسم أبي عنان .

نصر . سلام كريم [طيب بر عميم] ^(١) كما زحفت للصباح شهب المراكب ،
وفجر الفجر نهر النهار ، فظفا فوقه حباب الكواكب ، يخص مقامكم الأعلى ،
وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي آلاؤه العظيمة ^(٢) ، لا يُحصر عددها ، وصنایعه الكريمة
لا ينقطع عن توكل عليه مددّها ، وفتوحاته لأوليائه وصفوة خلفائه ، لا تُبلغ
بالأفهام أمدها ، الفتاح العليم ، ناصر العزائم ومؤييدها ، وموفق الآراء ومسددّها
الذي إذا قرب مسافة أمل ، فمن ذا يُبعدها ، وإذا أعطى فمن ذا يُسوّف عطايها
أو يرددّها . والصلاة [والسلام] ^(٣) على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المعجزات
التي هي الشمس ، ضلّ من ينكرها أو يُجحدّها ، إمام الرسل الكرام وسيدها ،
وأحمدّها ومحمدّها ، وخاتم النبيين ، الذي كمل به عددها ، وشفيع الخلائق ،
يوم الفرع الأكبر ومعتمدّها ، الذي ندخر محبته ونجدّها ، ونلجأ إلى ظلال
وسيلته ، فلا يُخلف إن شاء الله موعدّها ، ونحصى الود في مرّضاته ، ونصل اليد
لإقامة سنته ومفترضاته ، فتعرف الإعانة ونتعدها . والرضا عن آله وأصحابه
وأَنْصاره وأحزابه ، الذين هم كنوز الملة السّميحة وعددّها وأنجمها ، التي لا يضلّ
من يسترشدّها فينصرهم ، طالت يدها واستقام أودها ، حتى أورشهم الله
ما زوى من الأرض ، بالعزائم القائمة على أساس اليقين عمدّها ، فدان لهم أدنى
الأمّاكن وأبعدّها ، وسطا بمنال الأمم موحدّها ، وتمت كلمة ^(٤) الله صدقاً وعدلاً ،
يتوارثها عن الآباء ولدّها ، وينافس فيها اليوم غداته ^(٥) . والدعاء لمقامكم الأسنى

(١) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (كلمات) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (غداها) .

بالنصر الذي يثبت آيات الفخر ويخلدها ، والسعد الذي يسوق ملابس الفتح^(١) ويجدها ، ولا زالت حجج سيوفكم المالكية ، يصيب شاكلة الحق من يتقلدها ، وأودية سياستكم المرضية ، يشقى الغليل مركبها ومفردها ، [ومشارع جودكم تروى من يردها]^(٢) . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عناية يتضح مقصدها ، وسعادة تروى أحاديث الصنع الجميل وتسندها . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا مزيد^(٣) بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، إلا الخير الذي سحائبه ثرة ، والصنع الجميل الذي مباسمه ضاحكة مفسرة ، والأنباء التي لا تعدم معها مسرة ، والصنایع التي ألفتها بالإسلام برة ، وجانبكم عندنا عليه ، بعد الله الموعول ، والإخلاص لكم هو لدينا المعقول الأول ، وبما [فتح^(٤) الله لكم من منحه الكريمة ، هو عندنا المنح المهنأ المخول . وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا لا نزال على ثقة من عناية الله بكم في كل وجه ، تؤمنون إلى هذيه ، وتطلعون كواكب رأيكم الميمون في سدفه ، لما نعلمه من سعدكم ، الذي يروض الصناب إذا رامها^(٥) ، وعزمكم الذي يتناول الأمور المبرمة فيحل إبرامها ، ويسهل مرامها ، وهمتكم التي تروم الكواكب ، فتزاحم أجرامها ، ونعتقد أن الذي سدّد من عزمكم السهام فأصابت ، ودعا السحاب الجهام فصابت ، إنما هو ثمرة نية خلصت لله ، لم يشب صفوها شائب ، وخبيّة صالحة للمسلمين تساوى فيها منهم حاضر وغائب . وكنا قد اتصل بنا أن مقامكم خطب مدينة بجاية فألقت المقاد ، وراجعت الاعتقاد ، وأن من كان لنظره أمرها لما تلى عليه أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، أذعن للحق وانقاد ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الغز) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (زايد) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يفتحة) .

(٥) وردت في الإسكوريال (رأها) والتصويب من الملكية .

ثم تخللت المرافضة أمور ، وحدث في أثناء الوصل نفور ، وللحق من بعد الاحتجاب سفور ، والله في كل شيء قدر مقدور . فجعلنا نرتقب لتلك الحال ^(١) مقالاً يحمد ، وعاقبة يسر بها ذلك المقام الأسعد ، فكلما اختلفت الأحاديث نظرنا ^(٢) في رجالها وطرقها ، ورؤنا الجمع بين متعارضها ومفترقها ، واستعملنا ميزان التعديل والتجريح ، لتخليص السقيم من الصحيح . فلما ورد رسولنا من بابكم ، وقد عني بكشف المشكل وتقييد المهمل . ووفى بحمل المعنعن ^(٣) والمسلسل ، وعرفنا بالفتح الذي تشمخ به الأنوف ، وتبسم لمسرته السيوف ، وترتاح لعزه الجياد الجرد ، وتباود لذكره الرماح الملد ، فتح بجاية حرسها الله ، وما بجاية إلا باب الشرق ، وذات الأصلة بواجب الحق ، ومن لها في ميدان افتخار البلدان قصب السبق ، العتيقة البناء ، السامية الميناء [الأنيقة الرتبة ، الخصيبة البقعة] ^(٤) ، دار البسالة على طول المدة ، ومقل الملوك عند الشدة ، أزرت على القواعد بزيورها وغمامها ^(٥) ، وباءت بباديتها ^(٦) وهماذا ، وصابرت الأزمان على طول ^(٧) آمادها . فهي العقيلة التي أشرقت يوم الافتخار بأسمى سليل ، وسفرت للإسلام ^(٨) عن كل مرأى جميل ، وقعدت على منصّة التشريف والتفضيل ، وضمن عليل نسيمها شفا العليل ، وتختمت بالثريا ، وتعصبت بالإكليل ، وزرت برفيعها وبديعها على الفرات والنيل . دار الجياد الجنوبية ، والأساطيل الموهوبة ، ومرفأ الشفق ومحط الركاب ، ومُتلقى جوابة ^(٩) البيدا ،

(١) وردت في الإسكوريال (الجلال) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في المخطوطين .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في الملكية كالأق (الأنيقة البقعة ، الخصيبة الرقعة) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وبناها) .

(٦) في الملكية (بيادسيها) .

(٧) في الملكية (اتصال) .

(٨) في الملكية (للأبصار) .

(٩) في الملكية (جوابي) .

وخايضى العُباب ، تهوى إليها أجنحة الشُّراع شارعة ، وتبتدرها قوافل السفن
مُتسارعة ، ما بين مُخبرة عن مدينة الإسكندرية ، ومُطرقة بأبناء رومة بنى الأصفر ،
وصادرة عن السَّواحل العُكِّيَّة ، ومُحدثة عن غرائب التُّركيَّة ، وشاكبة إليكم
الكرب ناجية من ظلمة اقتباس الغرب . أَلْقَت اليَد إلى طاعتكم على شهرة إبانها
وشماسيها ، ومنعة وضعيها ، وشهامة ناسيها ، لَمَّا علمت أَنَّ مُغَالِب الحق ^(١) مغلوب ،
ومُحارب القدرة الإلهية محروب ، وخرووف اللجاج مقود مجنوب ، ومكابر
البرهان إلى الجهل مَسُوب . فصانتها أصالة رأيها في الطاعة عن الخطل ، وتحلَّت
منابرُها بذكركم من بعد العُطل ، وطابت بإيالتكم الفارسية نفساً ، واستشعرت
سروراً وأنساً . وكانت قد عدت ناصر الدين معنى ، فوجدت ناصر الدين
معنى وحساً ، وخشعت أصوات أهلها للرحمن من بعد الإجهار بالإيابة والإعلان ،
فلا تسمع إلَّا هَمْساً ، وأصبح مُلككم مطلاً ^(٢) على ماوراءها من الجهات ، [ناسخاً
بمحكم] ^(٣) الحق حجج الثُّرعات ، وإن كانت قد أبدت نفاراً وتيهاً ، وعادت
عادة تجنيها ، فالتَّيه من عادة الغادة ، والتمنع من شيمة الكريمة ، أنما هو المَطل ،
وبعده يحصل الوُصل ، والوعد والإنجاز من بعد ، والبرق والرعد ، وفي أثره الغمام
الرغد ، وأهون المكسوب رخيصة ، ولذة الصَّيد أن يُطارَد قَيْصه ، وإذا ظهرت الآلاء
فما أخفت مَلا لا ، وإن رامت دفاعاً ، فما أضمرت خلافاً ولا امتناعاً . فقد كانت
خَجَلَةً من نشوزها المتقدم ، قارعة سن المتقدم المتندم ، معلنة بطوق ^(٤) الكَلَف ،
متبرمة من الصِّلَف ، معترفة بحقوق من سلف لكم من كريم السِّلَف ، مستدركة
ما فاتها من أيامكم السَّعيدة المستقبلية ، باخعة بتوبتها ، والتائب من الذنب كمن
لا ذَنْبَ له . فلما تحققنا من هذا الخبر الذى هو عِلْم فى عَوَاتِق ^(٥) الإخبار ،

(١) فى الملكية (القدر) .

(٢) فى الملكية (مظللاً) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ناصحاً بحكم) .

(٤) فى الملكية (بفرط) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (هذا) والتصويب من الملكية .

وَسَبَّبُ فِي ثَغُورِ الثُّغُورِ ، وَخَفَّرَ ، فِي خُدُودِ الْأَمْصَارِ ، وَسَجَدَ فِي سُورَةِ الْفَتْوحَاتِ [الكِبَارِ ، وَأَثَرُ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِمَدَادِ اللَّيْلِ فِي قِرْطَاسِ النَّهَارِ ، فَلَنَا تَحْصُلَ الْأَمَلِ ، وَلَمَّا ثَبَتَ الْحَدِيثُ وَجِبَ الْعَمَلُ . وَهَذَا أَمْرٌ لَنَا فِيهِ النَّاقَةُ وَالْجَمَلُ ، إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى مَنْ نَأْمُلُ ^(١) نَصْرَهُ فَعَلَيْنَا فَتْحَ ، وَإِذَا مَنَحَ مَنْ نَرْجُو إِعَانَتَهُ فَإِنَّا مَنَحَ . الْآنَ زَادَتِ الْخُطَّةُ الْمَرْجُوءَةَ سَعَةً ، وَاسْتَأْنَفَتِ الْمَلِكُ الَّذِي يَعْتَدُّ بِهِ تَمْهِيداً وَدَعَةً ، وَآنَ أَنْ يَحْصِدَ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ مَا زَرَعَهُ . الْآنَ أَمَكُنَ الْاسْتِعْدَادَ ، وَتَيْسِيرَ الْحَجِّ وَبَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَيْسِيرَ الْجِهَادِ ، وَأَعْطَيْنَا السُّرُورَ بِهِ مَا شَاءَ ، وَاتَّبَعْنَا الدَّلُوفَ فِيهِ رِشَاءَهُ ، وَعَمَّرْنَا بِتَرْدِيدِ الْحَمْدِ لِلَّهِ صُحَى الزَّمَانِ وَعِشَاءَهُ . وَبَادَرْنَا بِتَوْجِيهِ مَنْ [يُؤَدِّي عَنَّا حَقَّ الْهِنَاءِ هَذِهِ الْآلَاءِ ، وَيَسْلُكُ فِي تَوْفِيَةٍ مَا عِنْدَنَا مِنَ السُّرُورِ عَلَى سَبِيلِ السَّوَاءِ . فَاخْتَرْنَا لِدُنَا فُلَاناً ، وَصَلَّ اللَّهُ سَلَامَتَهُ ، وَيَمِّنْ ظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ ، وَحَمْلَنَاهُ مِنْ تَقْرِيرِ مَا لَدَيْنَا مِنَ الْوُدِّ الَّذِي صَدَقَ ابْتِهَاجَهُ ، وَقَطَعَ الْمَعَابِرَ امْتِجَاجَهُ ، وَرَاقَ عَلَى أَعْطَافِ الْخُلُوصِ دِيْبَاجَهُ ، مَا نَرْجُو أَنْ يَقُومَ بِمَا أَمَكُنَ مِنْ حَقِّهِ ، وَيَسْلُكُ فِي تَبْلِيغِهِ لَا حِجَّ طَرَقَهُ . وَفَضْلَكُمْ كَفِيلَ بِالْإِصْغَاءِ إِلَى مَا يَلْقِيهِ ، وَالْقَبُولِ عَلَى مَا يُؤَدِيهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْقَى مُلْكُكُمْ مَتَاوَدَةً بِالنَّصْرِ عَوَالِيهِ ، مَسْرُوراً بِسَعَادَتِهِ مِنْ يُوَالِيهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

[وَكُتِبَ فِي الثَّانِي عَشَرَ لَشَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ] ^(٢)

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (تَوْمَلِ) .

(٢) هَذِهِ الْفَقْرَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ دُونَ سَاقِطَةٍ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

ولما ثار بجبل الفتح عيسى بن الحسن بن
أبي منديل ، وقُبِض عليه ووُجِّهَ للسلطان
بالمغرب ، عرف سلطان الأندلس بذلك
فكتب في مراجعته كتابه المذكور ما نصه ^(١) :

المقام الذى غريم غرمة ^(٢) كفىل باسترجاع المصوب ، وعامل سعه ضمين
بخفض الباطل المنصوب ، وجبين مجده خليك بتاج العز المنصوب . مقام محل
والدنا ، الذى نشتمل من فضل سروره بالملادة ^(٣) الصافية [ونستند من التشيع
إليه إلى كلاءة وافية ، ونرد من مشرب سعادته فى الموارد الصافية] ^(٤) ، ونحظى
من مقاسم ما يُسنيه الله له ، بالحظوة الوافرة الوافية ، ونسأل الله له اتصال
الصنع ودوام العافية ، حتى لا تزال تطلع علينا من ثنابا عناية الله به ، أنوار ^(٥)
الأنفاس الخافية ، أبقاء الله يروض سعه الصفات فيلينا ، ويتناول المشكلات
فيلينا ، ويطلع غرة الصنع الجميل يروق جبينها ، ويجنى ثمرة النصر العزيز
قد يسرها حينها . مُعظم قدره الذى فاق الأقدار ، واستحق الإجلال والإعظام
والإكبار ، وموقر ملكه الذى صدق الخبر من فضله ^(٦) الأخيار ، فلان [سلام
كريم طيب بر عيم يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله تعالى وبركاته] ^(٧)

أما بعد حمد الله الفتح العليم ، مطلع أنوار العناية بهذا الإقليم ، فى جنح

-
- (١) هذا العنوان والشرح كله ساقط فى الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سعه) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (بالملا) والتصويب من الملكية .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط بالملكية ، ووردت مكانه العبارة الآتية (ونعتد
من أبوته بالعدة الكافلة الكافية) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نوار) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فضايه) .
(٧) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

الخطب البهيم ، ومجنى ثمرة التفويض لأوامره والتسليم ، وتلقى أحكامه بالقلب السليم ، عذبة المذاق ، طيبة^(١) العُرف ، رايقة الأديم ، ومحق الحق ، ومبطل الباطل في الحديث من الحوادث والقديم ، الذي تدارك بالشفا عند الإشفار من القطر السقيم ، وسكن بالابتلاف من بعد قدح زند الخلاف ، نفس الظاعن به والمقيم ، وأحمد بيد قدرته عصفوف الريح العقيم . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الموصوف في كتابه العزيز بالخلق العظيم ، الهادي إلى السبيل الواضح والطريق^(٢) المستقيم ، الذي باتباعه نحظى بالخير العاجل ، والنعم المقيم ، وبجاهه ندرأ في نحر الخطب الجسيم ، فنجتلى غرر^(٣) الوجه الوسيم ، [وفي ابتغاء مَرْضَاتِهِ نثابر على جمع شمل الإسلام]^(٤) واتساق ملكه العظيم . والرضا عن آله وأصحابه أولى الهدي الكريم ، والمجد الصميم ، الذين خلفوه في أمته ، بالتكميل لمرضاته والتتميم ، وكانوا لها من بعده كالنجوم الهادية في الليل البهيم ، وجاهدوا أعداءه بالجد والتصميم ، فامتد بسيوفهم الماضية ، وسيرهم الراضية ، جناح الأمان على الأموال والأنفس والحريم . والدعاء لمقامكم الأسنى ، بالنصر الذي يغني ببرهانه عن السبر والتقسيم ، واليمن الذي يمد جناحه الرحب على العامر والمسيم . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم دوام السعادة واتصالها ، وعمر بإظهار آيات العناية بكم بكر الأزمان وآصالها . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله ، الذي بهرتنا ألطافه ، فأضمرمت^(٥) الألسن الخامدة ، وغمرتنا نعمه تتبع التالية منها الواردة ، إلا انشراح الصدور التي كادت لولا حسن اليقين تضيق ، واستبشار النفوس ، التي كاد

(١) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الصراط) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الوقاية عن) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فاعهرست) .

يلتبس لها في جَنَح الشدايد طريق ، واجتماع الكلمة بعد أن نَعَق بها التفريق ،
وخلوص الموارد ، وقد كاد يتنكر الصديق ، واستقامة الأحوال على ما يجمل بمن
يَرعى حقَّ ذى الجلال ويليق ، ولأبوتكم الحق الذى لا يفارقه التحقيق ، والبرُّ
الذى سببه القوى وثيق ، والتشيع الذى تعاضد منه التصوُّر والتصديق . وإلى
هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا وصلنا كتابكم ، الذى شَفَى العِلل ،
ونَقَعَ العُلل ، ومكَّن السُرور والجَدَل ، تعرفون فيه بحال الجبل ، وما أَفْضَى إليه
أمره ، واستقر عليه زيده وعمِّره ، وما كان من مراجعة من فيه بصائيرهم ،
وإظهارهم غمرة ما أَسْرته من الطاعة سرائرهم ، وأنهم امتعضوا للواقع ، وصرفوا
الوصى للواقع ، وبادروا بدرياق الاستقالة عاد والسمُّ الناقع ، فعاد الحقُّ لربه ،
واستقام نفس الدعوة فى مهبة ، وانحطَّ سَنَام الخِلاف بعد جبه ، وباء المذنب
بذنبه ، وسوء كسبه . وإن كان الجوار يهدى الأنبياء غُضَّة ، فمن لسان مخاطبتكم
للجيب ، وجزئياتها لا تبين^(١) منها إلَّا ببيانه المذهب . واعلموا يامحل والدنا أن
هذا الأمر الذى انصدع صباح الفرج فى ليل شدته ، وطالت آماذ الآمال بقصر
مدته ، إنما هو^(٢) كان شُعْلَةٌ وقعت للإسلام فى خزانة عُدتّه ، وهى طرق إلى
أُساس سيّدته ، وداهيةٌ أصابت هذا القطر الغريب ، آخذةٌ بمصرع بابيه ، قاطعةٌ
لأسبابه . تداركها الله بسعدكم ، ليرى كيف تُجلى بالعناية الإلهية الغياهب ،
وتتضح [بالقدرة الأزلية]^(٣) المذاهب ، [وليحمد الحامد ويهب الواهب]^(٣) ،
ويعتبر بمواقع تصريف القضاء الآتى والذاهب . فالحمد لله الذى لم يُشْمِت الكفار
بوقوع فتنة تهدُّ من الإسلام ركناً ، وتشمل أهله ضغنًا ، وتُغيِّر من اتصال أيديهم
لفظاً أو معنى . وإن عم الصُّنع بها فجھتنا المعتمدة بخصوصه ، وإن كان لغيرها

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يليق) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

من الأقطار حظاً أقيسة ، فلنا حظوظ نصوصه . فنحن نبنى مقامكم الأمتى بخلوص
حسنة سلفكم المكتوبة في صحف القبول ، ومنقبة ملككم الرائقة الغرر والحجول .
فقد ظهرت طيبات كسيها لما نفى الله عنها الشوائب ، وحقق الشاهد منها للغائب ،
وتخيرت الأخاب والأطياب ، وظهر أن الله قد حفظ عليكم نعمته وصانها ،
وقصر على يدكم عناها ، وكفى شأنها من شأنها ، فإنما هي قرصة بحار تسلك ،
ومسجد عبادة لا تستحق بغير التقوى ولا تملك ، وقد ظهر من سر^(١) سعادتك
ما لم يكن في حيز الخفا ، فكم معضلة بادرها بالشفا من بعد الإسفا ، فهجعت
العين^(٢) بعد هجر الإغفا ، ووردت الآمال ، وقد تكررت الموارد^(٣) مراجعة بعد
الكدر حال الضفاء ، ما ذاك إلا لنية يعلمها من يطالع على الضمائر ، فيعلم إخفاها
وإنداءها . وكما قال صلى الله عليه وسلم ، من أسر سريرة ألبسه الله رداها . فهنياً
بهذا الضنع ، الذي أشرق شمسهُ ، ونسى بيومه أمسه ، ونحن نقابل مخاطبتكم
إيانا به بالشكر الذي كرم نوعه وجنسه ، ونضرع إلى الله في صلة بقائكم ، الذي
هو معنى الخير كله وأسه ، ونسلكه سبجانه^(٤) أن يوليكم من مواهب فضله ،
ما ينشرح به صدر كل مؤمن ، وتطيب نفسه ، حتى يرغم أتع الكفر بجهاذكم ،
وتعزذه الأقطار بإعانتكم وإمدادكم . وإن ذهبنا إلى تقرير ما لدينا من التشيع
المسلم الخجج ، والبر الواضح المنهج ، كننا كمن يروم رفع اللبس عن سنا
الشمس ، ويعدل عن المشاهدة إلى الحدس . والله عز وجل يصل سعذكم ، ويحرس
مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . [في السادس والعشرين لذي حجة
من عام ستة وخمسين وسبع مائة]^(٥) .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (يمن) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجفون) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الآمال) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط بالملكية .

وصدر عن جواب لما استقل سلطان

المغرب بملك وطنه^(١)

المقام الأسنى الذى أحسن الله له العقبى [وأعقب له]^(٢) الحسنى ، وبلغه^(٣) من فضله ما تمنى ، وجعله مثابة للناس وأمناً . فهو مقام إبراهيم لفظاً ومعنى ، مقام محل أختينا الذى جدد البيت الكريم ورفع أركانه ، واستحق النصر العزيز ، فعين زمانه ومكانه ، ونبيه القدر والحظ المبتر ، فتملاً أوطاره ، وتملك أوطانه ، واستظهر للدهر بعقوده ، طالباً إرث آبائه وجدوده ، فجاز ثرائه ، واسترد^(٤) سلطانه . السلطان الكذا أبقاء الله منسرحة بسُلطانه الصُّدور ، مستمدة من نور سعادته البُذور ، مشمراً لتتميم مآربه ، وإيضاح مذهب^(٥) القدر المقدور ، مقترباً بعزماته الظهور ، متنافسةً فى تخليد مآثره الأيام والشهور ، رافعاً رواق العِصمة عُدله المشهور ، ضاحكاً فى اليوم العيوس عِلْمه المنصور ، معظماً قدره ، ومُلتزماً برّه المسرور ، بما سنّاه الله له من إجلال قدره ، وإعزاز نصره ، [الأمير عبد الله فلان]^(٦) . سلام كريم يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته^(٧) .

أما بعد حمد الله الفتاح العليم ، مُجتنى ثمره الأمانى القاصية ، والآمال المتقاصية ، من شجرة^(٨) الرضا والتسليم ، ومُطلع أنوار الظفر بالأوطار فى [ظلمة الأخطار]^(٩) لأولى العزم من خلفائه الأبرار والتصميم ، وذخ^(١٠)ر منحة الفوز بما لديه من أوليائه

(١) هذا التعريف وارد بالإسكوريال ، ومكانه بالملكية عبارة (ومن ذلك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية (وأحسن) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (وفضله) والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واستد) والأولى أرجح .

(٥) وردت فى الإسكوريال (مآربه) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شجرات) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظلمات الأقطار) .

(٩) وردت فى الإسكوريال (وذخاير) والتصويب من الملكية .

الكرام عليه لمن أتاه بقلب سليم ، الذى جدد للملّة ملابس عزّها رائقة التسهم ، وجلى عنها بنور السعادة غياهب الليل البهيم ، ونفخ فيها الروح ، روح الحياة فى العظم الرميم ، المَلِكُ الحقُّ الذى إذا أعطى لم يفد لرد الخضم ولا مِماطلة الغريم ، فبيده مُلْكُ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ ، والتأخير والتقديم . والصلاة على سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا محمد نبيه المصطفى الكريم ، ورُسُولِهِ الرَّعُوفِ بِالْمُؤْمِنِينَ الرَّحِيمِ ، الذى أَثْنَى فى كتابه العزيز على خُلُقِهِ الْعَظِيمِ ، وأرسله بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ ، وأمر بالصلاة عليه والتسليم ، وبعثه إلى الناس كافة ، يأخذ بالحجرات عن العذاب الأليم ، ويدعو على بصيرة منه سبحانه إلى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، حتى أصبحت كلمة الله تحب بها جِيَادُ الْأَقْلَامِ فى مِيَادِينِ الْأَقَالِمِ ، وَسَرَتْ فى الْأَقْفَارِ تُبَيِّنُ لِأَوَّلَى الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ حُدُودَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ ، والرضا عن آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُتَمَيِّزِينَ بِأَصَالَةِ الْمَجْدِ وَكَرَمِ الْخِيَمِ ، الْحَائِزِينَ قِصَبَ السَّبْقِ فى الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ ، الَّذِينَ خَلَفُوهُ فى أُمَّتِهِ بِالتَّكْمِيلِ لِمَحَاسِنِهَا ^(١) وَالتَّتَمِيمِ ، وَنَصَرُوهُ فى حَيَاتِهِ نَصْرًا تَكْفُلُ بِحِفْظِ النُّفُوسِ وَصَوْنِ الْحَرِيمِ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صُنْعًا تَعْلَى أَنْبَاؤُهُ مَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَطِيمِ ، وَسَعْدًا تُغْنَى قَوَاطِعُهُ فى الْأَعْدَاءِ عَنْ اخْتِيَارَاتِ النَّصْبِ وَاعْتِبَارَاتِ التَّنْجِيمِ ، وَنَصْرًا يَدُونُهُ الذَّابِلُ وَالْحُسَامُ ، فَيَقُومَانِ بِوُظُفَيْتِ السَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ ، وَبِشَايِرِ تَسْرِى فى الْآفَاقِ مَسْرِى النَّسِيمِ ، وَتَسْفِرُ فى مَطَالِعِ التَّعْرِيفِ عَنِ الْوَجْهِ الْوَسِيمِ ، وَتُرَوِّى مِنْهَا الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، تُخَفِّةُ الْقَادِمَ وَزَادَ الْمَسَافِرَ ، وَقُوَّتِ الْمَقِيمِ . مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ، وَنَعِيمِ اللَّهِ قَدْ هَمَّتْ مِنْهَا السَّحَابُ ، وَفُتُوحَاتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ، قَدْ تَفْتَحَتْ مِنْهَا الْأَبْوَابُ ، وَالْكَلِمَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ قَدْ اتَّصَلَتْ بِهَا الْأَسْبَابُ ، وَدَوْلَةُ الْإِسْلَامِ قَدْ عَادَ لَهَا بِدَوْلَتِكُمُ الشَّبَابُ ، وَآلَاءُ اللَّهِ [لَمَّا بَهَرَتْ أَذْهَلَتِ الْأَلْبَابُ] ^(٢) . وَالظُّنُونُ فِيهِ سَبْحَانَهُ ، قَدْ صَدَّقَ مِنْهَا الْحِسَابُ .

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كآلاتى (قد ذهلت لما بهر منها

ولا زايد بفضل الله ، الذى عَمَّتْ هِبَاتُهُ ، فهو الْجَوَادُ الْوَهَّابُ ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمدرسوله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، الذى أَشْرَفَ من نور هدايته الشَّهَابُ ^(٢) إِلَّا الْغَزُّ الْمَشِيدُ ، وَالسَّعْدُ الْجَدِيدُ ، وَالْيَمْنُ الْعَرِيضُ الْمَدِيدُ . [وَالْأَمَالُ الَّتِي أَشْرَقَ مِنْهَا الْجَيْدُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَتَوَلَّى مِنْهُ بِوَسِيلَةِ الشُّكْرِ الْمَزِيدُ] ^(٣) وَإِلَى هَذَا عَرَفَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ [عَارِفَةً] ^(٤) سَعْدَكُمْ ، وَهَنَّاكُمْ مَا هَيَّأَهُ مِنَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ لِمَجْدِكُمْ ، فَإِنَّا [قَدَمْنَا] ^(٥) لَكُمْ الْخُطَابَ جَوَابًا عَمَّا أَهْدَيْتُمْ إِلَيْنَا ، وَأَوْفَدْتُمْ بِمَقْتَضَى فَضْلِكُمُ الْعَمِيمِ عَلَيْنَا ، مِنْ اتِّحَافِكُمْ بِبَوَاكِرِ الْفَتْحِ الْأَسْنَى ، وَالصُّنْعِ الْوَثِيقِ الْمَبْنَى ، وَأَنْكُمْ صَرَفْتُمْ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ ، الَّذِي اخْتَلَفَتْ لِسَعَادَةِ أَمْرِكُمْ ^(٦) أَوْقَاتُهُ ، وَمَقَرُّ الْعِزِّ الَّذِي حَفِظَ أَمَانَتَهُ عَلَيْكُمْ ثِقَاتُهُ ، وَتَشَوَّفَ إِلَى تَلْبِيَةِ مَجْدِكُمْ مِيقَاتُهُ ، وَارْتَا حَتَّ إِلَيْكُمْ عَهْدُهُ ، وَحَنَّتْ إِلَى لِقَائِكُمْ سُرُوحُهُ وَمَهْوَدُهُ ، وَسَهَرَتْ لَارْتِقَابِكُمْ عَيُونُهُ ، وَيُسِرَّتْ لِاقْتِضَائِكُمْ دِيُونُهُ ، وَنَضُرَّتْ لِمَجَالِسِكُمْ مَرَاتِبُهُ ، وَعُرِضَتْ ^(٧) بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ مَوَاهِبُهُ ، وَجُنِبَتْ إِلَيْكُمْ جُرْدُهُ وَسَلَاهِبُهُ ، وَزِينَتْ بِبَدْرِكُمْ هَالَتُهُ ، وَخَطَبَتْ بِجَلَالِكُمْ جَلَالَتُهُ . وَأَنْ الْمُلْكَ قَدْ اسْتَقَرَّ ، وَالْمَنَّةُ لِلَّهِ فِي قَرَارِهِ ، وَرَبُّ الدَّارِ قَدْ تَوَسَّطَ ^(٨) أَرِيكَةَ دَارِهِ ، وَالْوَارِثُ الْأَحَقُّ قَدْ فَازَ بِحَقِّهِ ، وَالْجَوَادُ الْكَرِيمُ قَدْ تَمَيَّزَ فِي مِيدَانِ السَّعْدِ بِخَصْلِ سَيْفِهِ ، وَأَنْ الطَّاعَةَ قَدْ اتَّسَقَتْ عَقُودُهَا وَانْتَضَمَتْ ، وَخَلَصَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ ، وَالْأَلْسِنَةُ قَدْ أَعْلَنْتْ مَا كَتَمَتْ ، وَمِلَّةُ الْإِسْلَامِ قَدْ رَضِيَتْ وَسَلَّمَتْ ، وَأَنْ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ قَدْ شَمَلَهَا

(١) هذا الدعاء وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (الشباب) والتصويب من الملكية .

(٣) ما بين الخاضرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ملككم) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وعظمت) .

(٨) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (توسد) .

الاستبشار ، وحصل إليها الأمل الذي كان إليه يُشار ، والقرب الذي كانت
تحنُّ إليه كما تحنُّ العُشار ، وظهرت آثار الاعتقاد الذي لم يزل في العقائد
كامناً يروع الناس^(١) مقام إبراهيم ، الذي مَن دَخَله كان آمناً ، وغبطناكم
بموقعها الأُسْنَى ، وعَارَفَتِهَا الْحُسْنَى ، وقلنا الحمد لله الذي ردَّ حُلِيَّ الملك المجيد
إلى الجيد ، وقلَّدَ حسام الخِلافة ، عاتق البطل النّجيد ، وزَيْنَ الْفُرْقِ الكريم
بالتّاج ، وفرق مقدمة العزم بالإنتاج ، ومعادَ الله أَنْ تجهل البلاد حقَّ والدكم ،
الذي كَفَلَ الرّعيّة وكفّاها ، وتَمَّ مآرب الإسلام على الأيام ووقّاها ، وأعذب
الموارد وأصفاها ، ومدَّ جناح العدل المنشور ، والفضل المشهور ، ووَسَّمَ بغُرر
المناقب أوجه الأيام والشهور ، وكان للملوك الإسلام أباً ، ولتمهيد الأقطار ،
وتسنى الآمال الجهادية والأوطار سبباً ، ولدين الله رُكناً وثيقاً ، ولأوليائه ولياً
وصديقاً ، وعلى الثغور شَفِيقاً ، ولأعباء الخِلافة مُطِيقاً ، وللمناقب ديواناً ،
وعلى عز كلمة الله عنواناً ، وللجهاد مُديماً ، ولنعمة الله بالشكر مُستديماً ، ولرسوم
العلم والعمل مقيماً ، وللعُدل والإحسان صِراطاً مستقيماً ، ولخصوص هذه الجزيرة
الأندلسية ، التي جعلها الله ميدان أمانيه ، من رضى الله وآماله ، وأسلف فيها
ما أسلف من أعماله ، وسمح لها بنفسه وولده وماله ، جزاه الله جزاء الخُلفاء
الصّالحين ، والأئمّة المجاهدين من أمثاله ، وأبقَى بركته في ولده وآله . فلو
لم يَدْعُ إلى السرور بما سنّاه الله لكم إلّا هذه الوسيلة ، التي تسلم لها الوسائل ،
وتقوم على فضلها البراهين والدلائل ، لكفّت ، وبرّت ووفت ، وسحت بركتها
ووكّفت ، فالفرقد من النّصل ، والفرع من الأصل ، والحبُّ يُتوارث ، كما
ورَدَ به الحديث والخبر ، وشهد به الحسُّ وهو الشاهد المعبر . وإنا لَنرجو أَنَّ
ترضوه في لَحْدِهِ ، باقتفاء سُنَنِ جهاده وجِدّه ، وتتمسوا مقاصده في سبيل الله .

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (النفوس) .

من بعده . فَأَنْتُمْ سُلَالَةُ مَجْدِهِ ، وَمَنْقَبَةُ حَمْدِهِ ، ورأينا أن تلك المراجعة دون الكنفاية ، وقاصرة عما يجب من المبررة والحفاية ، فخطبناكم بهذا الكتاب ، نؤكد سرورنا بما ألبسكم الله من تلك الحُلل ، ونسّله لكم تمام القصد وبلوغ الأمل ، فنحن الآن نُبدئ في سنائكم ونُعِيد ، ونُسهب في القول ، وأين يقع مما نريد ، ونروم أن يفي الكتاب ، بما ينطوى عليه لكم ، وهو المرام البعيد ، وإذا كانت السرائر يعلمها الشاهد الرقيب ، ويرتب عليها المجازاة ، فهو المجازى المُنيب ، فحسبنا أن نكل خَفِيَّهَا إِلَيْهِ ، وندنيه منها بما لا يخفى عليه ، فالله عز وجل يهنيكم بما أولاكم من منحة حافلة ، وصنيعة في حلل الكمال زافلة ، ويسعد بها الأقطار ، كما [مَهْدُهَا] ^(١) الأوطان ، ويسر الأوطار ، ويجعلها في العقب بعد طول المدا باقية ، ويلبسها عصمة منه واقية ، حتى لا يصرف شملها بعد الانتظام انتشاراً ، ولا طرف سَعْدِهَا من بعد الإحضار عثاراً ، ويجعلها لنجوم عزكم مداراً ، ولدعوة ^(٢) ملككم داراً وقراراً . وعيننا في هذا الغرض والقيام بواجبه [الملتزم] ^(٣) المفترض ، من رجونا أن يُنوب عنا فيه أحمد المناب ، ويمهد أفسح الجناب ، ويشرح ما لا تنى به مقاصد ^(٤) الكتاب [وهم فلان وفلان] ^(٥) ، وفَضْلُكُمْ كَفِيل بالإصغاء لما يلقونه ، والقبول على ما يودونه . والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم [ويضاعف نعمه عندكم] ^(٦) ، والسلام الكريم ، البرّ العميم يخصصكم ، ورحمة الله وبركاته .

(١) وردت في الإسكوريال (مد منها) والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ولعزة) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العبارة و) .

(٥) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

وصدر عني في هناء السلطان الكبير أبي
عنان رحمه الله عندما أُتيح له النصر
على قل بني زيّان بمدينة تلمسان ، وذلك
في عام اثنين وخمسين وسبعمائة

المقام الذي أكواسُ فتوحه على غُبُوق الزمان وصَبُوحه تدور دِراكاً ، وكفلاء
سعوده ، توجه آماله القَصِيَّة بغايتها لحاقاً وإدراكاً ، وأيدى القدر في حالتي
الْوَرْدِ والصُّدْرِ تعلق أعداءه إشراكاً ، وحدود صوارمه ، تأتي فصولها المميزة ،
أن تدع في أمره اشتراكاً ، وعناية الله تصحب ركابه وتحف جنابه ، كلما رام
سكوناً أو أعمل حراكاً .

مقام محل أخينا الذي أخبر نصره لا تملُّ على الإعادة ، وآثار نجومه مُسْطَرَّة
في أوراق السَّعادة ، وآية صُنْع الله له خارقة حجاب العادة ، ومنته الخالصة لله
ضامنة^(١) له بلوغ الإرادة ، أبقاه الله يمهّد قواعد الملك الأصيل ، فلا يعارضها
فرق^(٢) ، ويستخلص ديونه ، فلا يتعذر عليه منها حق^(٣) [ويشيم بوارق النصر
العزیز فلا يخلف منها برق]^(٤) ويفتحم الأهوال وصدره رجبٌ ووجهه طلقٌ ،
فكلما عرضت آية برٌّ كان له سبق ، معظّم مقامه الذي استوجب التعظيم بكل
اعتبار ، وما بل ملكه بكل إجلال وإكبار ، المثني على مكارمه التي جياها
للغايات ذات ابتدار ، وديمها في انهمار . فلان . سلام كريم ، طيب برٍّ عميم
كما حياً نسيم الصباح بطيب هبته ، ورفعت راية النهار على هُضْبته ، يخص
مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

(١) وردت في الإسكوريال (قائمة) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (برق) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (برق) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

أما بعد حمد الله الذي طَوَّقَتْنَا مواهبه العظيمة تطويقاً ، وأوضَحَتْ لنا هدايته من الشكر طريقاً ، الذي جعل عزمكم للنجاح رفيقاً ، ولم يعدم آراءكم السديدة توفيقاً ، وشفقاً بسيوفكم عليل ذلك القطر ، فأصبح بعد الإشفاء مفيقاً ، ورد إلى عصمة ملككم عقائل تلك الأفطار ، قد سامتها الفتنة مفارقة وتطبيقاً ، فاجتلت بكم وجه السعادة طليقاً ، وأوتِ إلى الظل الذي جعله الله باجتماع كلمة الحق خليقاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذي أطلع نور [الهداية للرسالة والهداية] ^(١) فأرشد ضالاً وأنقذ غريباً ، وسام كلمة الكفر طمساً ، وسبب لفرقه تمزيقاً ، الذي نعتلق من جاهه عند انبثات الأسباب سبباً وثيقاً ، ونقصد منه يوم الفرع الأكبر منجاً بالفوز حقيقاً ، ونؤم منه في الدنيا والآخرة شفيعاً وشفيقاً ، والرضا عن آله وأصحابه الذين اختارهم له حزباً وفريقاً ، فصدقوا ما جاء به عن الله تصديقاً ، ونصروا دعوته حتى بلغت مراد الله منها تغريباً في الأرض وتشريقاً . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذي يستعذب منه مبسّم الفضل ريقاً ، والصنع الذي يدرء روض العناية الإلهية أنيقاً . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم نصراً يطبق مفاسل الآمال تطبيقاً ، وسعداً يفوق سهامه تفويقاً ، وعزاً يوسع فصول التمهيد والتحليل تثبيتاً في الأرض وتحقيقاً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وليس لفضل الله سبحانه إلا الارتياح إلى البشائر المثناه ، والأنس بلقاء المأمّل المُتَهَنِّاه ، والكلف بوجوه الفتوح ^(٢) المُجْتَلاَه ، والترحيب بالأنباء التي تُعلَى ^(٣) البنا نواصي الفلاة ، وتركب مثنون السفن تجري في أعنة إرياح المرسلات . ونحن على ما تعلمون من اللود الذي استقرت أركانه ، وشهر مكانه ، وتمحّص إلى جهة الوجوب إمكانه ، نعتد ^(٤) بملككم الذي نرفع

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (الهداية والرسالة) .

(٢) هذه الكلمة سائطة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (تلقى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (نمتد) .

شأنه ، ونؤمل من ظهوركم على أعداء الله يوماً يرتقب زمانه ، ونثنى عليكم ثناء
الروض باكره من القَطَر هَتَانَهُ . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ،
فإنَّا وَرَدَ علينا كتابكم ، الذى صَفَرَ التعريف بالظفر وأكَّده ، وعَضَّدَ
إخاءه وأَيَّده ، تركت^(١) ظهر الشيخ خائضاً لُجَّتِهِ ، ويصدع أحشائه مُسْتَهْدِياً
مَحَجَّتِهِ . فاستجلينا غُرَّةَ البيان الحر ، وقلنا عادة البحر أن يقذف بالدر ، أى
كتاب وسعه الخطاب الفصل ووشاه ، وزائر لا يسعد الله ممساه . جدَّدنا العهد
بسماع فصوله ، والشكر لصلته وموضوعه ، وروينا حديث النَّصْر متفقاً على اختلاف
الطرق ، وقابلنا نسخة الغرب بنسخة الشرق ، وقلنا هذا أصل فى بحر ، وإلى
مثله تزد النسخ العتيقة ، وبه تحصل الوثيقة ، وأثنينا على مجادتكُم التى
لم تقتصر فى تعريفنا على خبر واحد ، ولا وثقت فيه بأول وافد ، حذراً مما
يعترض بُرد الرسائل من غوائل الطُّرُق وطوق الغوائل . فنايرت على تحصيل
هذا الغرض حتى حصل ، وصَحِبَ^(٢) كُلَّ واحد منها خبيرٌ سعدكم فسلم ووَصَّلَ ،
فتقرَّرَ^(٣) ما سناه الله للملككم من إعزاز المملكة ، وتورُّط عدوكم فى هفوة الرَّذَى
ومَهْوَاةِ الْهَلَكَةِ ، والفتح الذى قام بحساب الفتوح مقام الْفَذْلَكَةِ ، وأرْمَقَ
قلوبكم ، كما تناولت عزائمكم طرده وعكسه ، وقارعت خصماء نفوسكم نفسه ،
وجرَّتْ عليه جيوشكم الجرارة ذُبُولُ الْهَزَائِمِ ، وأذكت عليه سعودكم عيون الزمن
النائم ، فرأوا عَقْبَانَ الْخَيْلِ فى أعقابهم ، وعيون النجوم تأخذ المراقب فى ارتقابهم ،
وراموا التَّنْكَرَ فَعْرِفُوا ، واستَظْهَرُوا عليهم^(٤) سعدكم بالعدل والعلمية فصرفوا ،
وقد وكلهم الندم بعض الأياهم ، وعَوَّضَهُمُ الْقَهْرُ من امتطاء الأَداَهِمُ ، وأصبحت

(١) هكذا فى المخطوطين .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسلم) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بشفور) وهو تحريف .

(٤) وردت فى الإسكوريال (عليكم) ، والتصويب أرجح .

البلاد ، قد سكن هَائِجُهَا ، ومقدمات العزم قد صدقت نتائجها ، والكلمة قد اجتمعت ، وأحكام الخلاف قد ارتفعت ، وأودية السياسة نجعت . وقد كنّا لأوّل وُرود هذا الخبر أعطيناه حقّه من السرور بمقدمه ، وعيّنّا رسولنا الذى أوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذِمّته ، وإلقاء ما يسع فى استيفائه عادة مجده وكرمه . ونحن الآن نعيد هناكم ، ونقيّد على هذه المحافظة ثنائكم . وإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم ، والابتهاج بانتظام أموركم ، رُمنا تحصيل حاصل ، واجتهاد وادع واصل ، فجميع ماينالكم من عزّ النّصر ، وعلوّ الأمر ، نصيبنا الأوّفر فيه ، وحظنا الحظ الذى لا يرجحه غيره ولا يوازيه ، وعائده على قطرنا بما يكيّت طوائف^(١) أعاديه ، ويسكب بالأمداد غيوث عواديّه ، فتقدمها بالتشيع الضافية أثوابه ، والخلوص المفتحة أبوابه . والله تعالى يعلى مقامكم الوثيقة أسبابه ، ويؤيده حتى يمضى فى جهاد أعداء الله عِصابه . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصادر عنى فى قريب من هذا الغرض

المقام الذى تبرّع سعه برد المغصوب ، وتولت يد العناية الإلهية عقد تاج عزّه المَعصوب ، وحكمت عوامله فى سبيل الله بخفض الصّليب المنصوب ، مقام محلّ أخينا الذى أناه الله الحكم صبيّا ، وأخلص الملك فيه لله نجيا^(٢) حفيّا ، فقال مشيراً إلى مكانه ، قبل تاتى الأمر وإمكانه ، « رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِي يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أَبْقَاهُ اللهُ يرمى [بسهام عَزَمَاتِهِ]^(٣) أغراض

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظواهر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ندا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بزماته) .

السداد فيصيبها ، ويشير بيده الكريمة إلى مواهب الله العيمة^(١) ، فيتوفر لديه نصيبها ، ويطلب ميراث سلفه في الأقطار بالحسام الماضي والقنا الخطار ، فيفوز^(٢) بأقصى الآمال والأوطار من الانفراد بتعصيبها . معظّم قدر إخائه ، ومرفّع جانب علائه ، وموجب فرض هنائه ، بنعم الله وآلائه ، [ومؤمل عزمه المعتمد بمضائه]^(٣) ، الداعي إلى الله بدوام نصره وصلّة بقائه ، حتى ترثي مآثره في سبيل الله على مآثر آبائه ، فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي حفظ مؤكداً^(٤) العز منكم على من اختاره ، وأظهر عنايته بالدين الحنيف على يدى سلطانكم المنيّف ، فمهد أوطانه ، ويسر أوطاره ، فمتى شبّ ضرام فتنة ، أطفأت جداول سيوفكم ناره ، ومتى خبا ثبير^(٥) هداية ، رفعت أيدي ملككم مناره ، ومتى استأثر منازع من أطواق^(٦) إِيالتكم بلباس ولو^(٧) في سبيل اختلاس ، استرجعت عزائمكم^(٨) ما استعاره وصرمت عاره ، فملككم بفضل الله مُستدرك^(٩) ثاره ، مُقيل آثاره ، والدهر بين يديكم مستقيل عثاره . والصلاة على سيدنا محمد رسوله ، الذي رُفِع شأنه في الأنبياء الكرام ، وعُظِم مقداره ، وجعل في أشرف الخلق قومه ، وفي أشرف الأرض داره ، وأعطاه لواء الشفاعة ليجير من أجاره ، في اليوم الذي يسلم فيه الوليّ وليّه والجار جاره ، فمن انتصر بجاهه في الملمات ، وعول عليه في الشدائد المدلهمات ، رضى انتصافه وحمد انتصاره ، ومن توسّل به ، فضلاً عن زاره ، آمن برحمة الله

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجسيمة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فيعود عليه) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مركز) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (قبس) .

(٦) الزيادة من الملكية .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مدرك) .

أَوْزَارِهِ . وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأُسْرَتِهِ وَأَحْزَابِهِ ، الَّذِينَ وَرِثُوا فَخَارَهُ ،
وَاخْتَارُوا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ مَا اخْتَارَهُ ، وَكَفُّوا^(١) عَنْ دِينِهِ أَيْدِي الْعِدَا ، وَزَيْنُوهُ
بِحُلِيِّ الْبَاسِ وَالنَّدَى ، فَكَانُوا سَوْرَهُ وَسِوَارَهُ ، وَكَادَ بِنَاؤُهُ يَنْقُضُ ، وَكَنَزُ الْحَقِّ
[تَحْتَ أَسَاسِهِ]^(٢) يَنْفُضُ ، فَأَقَامُوا بَبِيضَ الْمَعَالَى ، وَالسُّمَرِ الْعَوَالَى جِدَارَهُ .
وَالدُّعَاءُ لِمَقَامِكُمُ السَّعِيدِ بِالْعَزِّ الَّذِي تُؤَيِّدُ قُدْرَةُ اللَّهِ اقْتِدَارَهُ ، وَالصُّنْعَ الَّذِي عَلَى
قُطْبِ التَّوْفِيقِ مَدَارَهُ ، وَالنَّصْرَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُنَّتَهُ وَشِعَارَهُ ، وَالْفَتْحَ
الَّذِي تَسْبَحُ فِي بَحْرِهِ الْأَقْلَامُ فَلَا يَبْلُغُ مِنْهَا الْإِعْلَامُ [وَأَنْ جَاشَ الْكَلَامُ وَجَادَتْ
الْأَحْلَامُ]^(٣) مِعْشَارَهُ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَأَيَّامِكُمُ الْجَدِيدَةَ السَّعْدَ ،
السَّعِيدَةَ الْجَدَّ ، مِنْ مَوَاهِبِهِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْجَدِّ أَفْضَلَ مَا كَتَبَ ، وَخَوَّلَكُمْ مِنْ
مِقَاسِمِ النَّصْرِ الشَّاذَةَ عَنِ الْحَصْرِ أَجْزَلَ مَاوَهَبَ ، وَجَعَلَ مُلْكَكُمْ لِيَسْتَعْتِبَهُ الدَّهْرُ
إِذَا عَتَبَ ، وَيَقْضَى مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ ، مُعْلَنًا بِضِرَاعَتِهِ إِذَا حَمَلَهُ الْقَدَرُ عَلَى تَفْرِيقِهِ^(٤)
وِإِضَاعَتِهِ مَا تَرْتَّبَ وَوَجِبَ . مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ، وَالْيَدُ بَعْلُو يَدِكُمْ
عَالِيَةً ، وَالنِّعَمُ بِتَوَالِي سَعَادَتِكُمْ مَتَوَالِيَةً ، وَالْأَمَالُ بِاسْتِقَامَةِ الْأَحْوَالِ لِأَخَوَاتِكُمُ الرَّفِيعَةَ
الْجَلَالَ حَالِيَةً ، وَالْإِرْتِيَاحَ الَّذِي [تَوَدَّى بِشَايِرِهِ]^(٥) لَا تَخْلُو مِنْهُ غَالِيَةً ،
وَالْمَسَرَاتُ لَا تَنْفِدُ مِنْهَا وَافِدَةً إِلَّا تَبِعَتْهَا نَالِيَةً . وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ لِمُلْكِكُمْ أَسْبَابَ
الْإِنْتِظَامِ وَالْإِتِّسَاقِ ، وَأَهْدَى أَنْبَاءَكُمْ طَيِّبَةَ الْعَرَفِ حَسَنَةَ الْمَسَاقِ ، وَأَطْلَعَ بِدَرِ
سَعَادَتِكُمْ فِي أَسْعَدِ الْأَفَاقِ ، [وَأَقَامَ الدَّهْرَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَهْمَى تَابٍ مِنْ ذَنْبِهِ أَوْ عَتَبَ
بَعْدَ عَتَبِهِ ، مَقَامَ الْحَيَادِ وَالْإِطْرَاقِ]^(٦) حَتَّى تَخْفَقَ [أَحْشَاءُ الْكُفْرِ]^(٧) رَعْبًا

(١) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (ومنعوا) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، وفي الإسكوريال (تحت) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٤) هذه الكلمة زائدة بالإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (تهداه الرياح) .

(٦) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال ، وورد مقابلها في الملكية كالاتي (وأقام الدهر بين

يديكم كلما تاب من ذنب أو استغيب بعد عتب موقف الحياء والإطراق) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (جوانح الأعداء) .

من لوائكم الخفّاق ، ويتفق على عقيدة طاعتكم ، فيما لكم من الأقطار والأصقاع
السنة الإجماع والإصفاق . فقد وصل كتابكم البر الوفادة ، الجم الإفادة ،
السافرة غمامته البيضاء عن بذر السعادة ، المتحف بصنع الله الذى خرق حجاب
العادة ، فاجتلينا البيان الغض^(١) من حلال^(٢) سطوره ، وقرّطنا الآذان بشدوره ،
وصدعنا^(٣) فى الحفل المشهود بمنشوره . عرفتمونا فيه بالفتح الذى فتحت لكم
أبوابه ، والنصر الذى يسّرت لكم أسبابه ، والسعد الذى ضفّا عليكم جلبابه ،
والصنع الذى ناشبت دولتكم المقتبلة الشباب فراق شبابه ، وشرّح ما آل إليه
حال مدينة^(٤) تلمسان ، تقبل الله توبّتها ، وأسعد أوْبَتها ، وحال من كان قد
تسور جدارها ، واقتحم دارها ، ومزّق بالإكراه صدارها ، لما دلّفت إليه اللبوث
واستقبلته ، فاستقبلته الكتائب والبُعوث ، وأخذت عليه ، بعرب الطاعة بغة
كقيام الساعة ، السهول والوعوث ، وما أبداه لما تغشاه^(٥) رداء من التمويه باللقاء ،
والعمل على الثبوت والبقاء ، وتظاهر به من صيد العنقاء ، والإخضار التى يستريب
منها لسان الإلقاء ، وما نشب أن ركب الليل جملا ، وترك سائمه المهتضة^(٦)
هملّا ، [ولم يصرف]^(٧) إلى غير طلب النجاة بإفلاته ، ولات حين نجاته
أملا ، وإن أولياء الدولة^(٨) السعيدية استولوا على المدينة ، فاستخلصوا حقها ،
وأوضحوا للطاعة^(٩) طرّقها ، وسكّنوا راجفها ، وأمنوا خائفها ، ورفعوا عن

(١) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خلال) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وصنعنا) والأولى أنسب السياق .

(٤) زائدة فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جوم عليه) .

(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ينو) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الدعوة) .

(٩) زائدة فى الملكية .

رعيتهما المُرزات كل تَثْرِيْب ، ولم يأخذوا برياً بمرِيب ، ولا بعيداً بقريب ، وقبلوا الأعذار حِلْماً ، ووهبوا ذنوب^(١) جُهاًلها وعُلْمائِها وسُفْهائِها وحُلْمائِها لمن وسع كل شيء رحمةً وعِلْماً ، سَجِيَّة من ملك فَاسْجَح ، وأَبَتْ له الهِمَّة العُلْيَا أن [تَتَنَحَّى أو]^(٢) تَتَبَجَّح . ورأى المزيَّة بين الخطَّتين ، فكان إلى التي هي أقرب إلى الله أَجْنَح ، فعاد الحُلَّى إلى الجيد ، بفضل ذى العرش المجيد ، وعُوْجِل الشعث بالتَّنْجيد ، وأصبحت الصَّهْوة مركب البطل النَّجيد ، ورُدَّ سيف الطاعة بيد الاجتهاد فى جدال البلاد ، من الاجتهاد إلى التقليد ، وشملت الكافية^(٣) واقية كواقية الوليد ، وتحلَّت المنابر بعد العطل ، والخطا المتعمد الخصل ، بدعوة الإمام السَّعيد ، ورأى من اعتزل المهرج^(٤) ، رحجان القول بإخلاف الوعيد ، فكأنما كانت فُلْتة تلك الإيالة الطامعة فى الإدالة ، وارتشاف البلالة ، سهواً فى عبادة ، وتَقْصِيرَ فى إجادة ، ولحناً فى وِجادة ، وغلطاً فى استغفار ، وقذاً بين أَشْفار ، ودخيلاً فى قطار ، ولحقاً بين أسطار ، وحِلْماً محبت الهقظة خيال غروره ، وتموياً ذهب الحق بنوره ، وقَلْماً أدبر شيء فاقبل ، وهل عند رسم دِارس من مُعَوِّل ، ومكابر الحق مَوْكُوس الْقَسَم ، وضدَّ السَّعيد معروف الاسم ، وما كان الله جلَّ جلاله [وتقدست صفاته وأفعاله]^(٥) لينثر قلادة الدِّين بعد نظامها ، وينسخ ثابت أحكامها بعد إحكامها . بل هو نور وعد بإمامه ، والوعد حق ، وقاعدة لا يدخلها فرق ، ومُلْكٌ تعلق بأذياله غرب وشرق ، ومُزْنٌ^(٦) أَوْمَض فى برده للغيث برق ، فإن أذنبَ الدَّهر فقد استقال ، وإن أضْحى^(٧) الملك بها فقد قال ،

(١) زائدة فى الإسكوريال .

(٢) زائدة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الخلق) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفتنة) .

(٥) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نور) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تمنى) .

[ووجد لسان الصارم القول فقال ^(١)] . والحمد لله حمداً يدرُّ من النعم السُّحْب
الثِّقال ، ويقرُّ أحوال السعادة المعادة ^(٢) فلا تعرف الانتقال ، وقد كنَّا على علم
قطعي في سبيل شرعي ، نرى أنَّ الذي اختاركم لحمل هذه [الأمانة وتقلد ^(٣)]
القلادة من بين يشارك في نسب ^(٤) أو ولادة ، وألبسكم ملابس المجادة ، وحلاكم
لما تولاكم قبل أن ولَّاكم بحلى السيادة ، وجعل جبل الفتح أفق بدركم ، وصُدِّفَ
دُرُّكم ، وبدأ بفاتحته الجهاد ، وهى أم ذلك الكتاب . كتاب أمركم ، لا يهمل
سلطانكم ، ولا تدعن بالخلاف أوطانكم . وأن له فيكم خبيَّة ^(٥) نصر يُرتقب
أوَّأنه ، ويُنْتَجَز وعده ، ويقتضى ضمانه ، حتى تبلغ الآمال ، وتنجح في مرصاة
الله الأعمال . ففي التماس ما عنده سبحانه يجب أن تُجمع الرجال وتُفرق الأموال ،
وفضله تعالى لا يخيب منه السؤل ، ولا يخيب فيه السؤل . فلما وردت الأخبار
بما منحكم الله من الفتوحات التي أبلَّغت البلاد والعباد آمالها ، ووفرت سرورها
وجلَّها ، وما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِك لها [وأشرقت الأرضُ بنورها ،
وَوُضِعَ الكتاب صدق القياس وصح الحساب واتصلت الأسباب واضطرد الباب] ^(٦)
خاطبناكم نهنيكم بما وهبه الله ومنح ، ونرى أنَّ ما فتح الله به عليكم ، فعلينا به
فتح ، فمقامكم العُدَّة التي بها تُبَاهى وتُبَاهر ، ونُضَاهى ونُظَاهر ، ونكافى ونكاثِر ،
ونصادم ونصادر . أبقاكم الله لآمال كريمة تقتضى ، وخلال شريفة تُرتضى ،
ومقاصد مبرورة ، تُنسَى ماسلف للسلف ومضى . ونحن أيضاً نعدُّ إيثاركُم إياناً
بالتعريف بهذا التكييف هديَّةً وُدِّيَّة ، تقلُّ لها المكافأة وإن جُلَّت ، وفضلاً عميماً

(١) ما بين الخاصرتين وورد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٣) هاتان الكلمتان وارتدتان في الملكية وساقطتان في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (وسيلة) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (حسنة) .

(٦) ما بين الخاصرتين وورد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

أشرقت أنواره وتجلّت ، ويستدعى القيام بحق مقامكم ، وهو المرام البعيد ،
ونجهد طرف اللسان في ميدان الشكر ، وأين يقع جهده^(١) مما نريد ، فإلى الله
نكل ما ننطوى لكم عليه من وُدّ كريم ، وحُبّ صميم ، فهو بالبوطن عليم ،
ولا ينفع لديه مال ولا بنون ، إلاّ من أتى الله بقلب سليم . وهو عزّ وجلّ يصل
سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم ، البر العميم يخصكم^(٢) ، ورحمة
الله وبركاته . وكتب في كذا من التاريخ .

(١) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يخص مقامكم المل ، وأخوتكم الفضل) .

وكان مما كتبت به لما وصلت الأخبار
بنجاة ملك المغرب السلطان المعظم أبي
الحسن من هول البحر لما هلك معه الجماعة
من أعلام ناسه بأحواز الجزاير ، وذلك
من أوليات ما كتبت في هذه الأغراض

المقام الذي عُيون أهل الإسلام ساهرة في ارتقابه ، وقلوبهم خافقة عليه
خفوق أعلامه حول ركابه ، وأكفهم إلى الله ممدودة في تيسير إيايه ، وأسبابهم
على بُعد الدار ونزوح الأقطار متعلقة بأسبابه ، مقام محل والدنا الذي
تعظيمنا على مثابته العلية موقوف ، وأملنا إلى الله في عصمة ذاته الزكية
مضرووف ، وقصدنا بالتشيع إليه ، والاعتماد بعد الله سبحانه عليه معروف ،
صاحب الجهاد المقبول ، والرّفد المبذول ، أمير المسلمين ^(١) الكذا أبقاه الله
وسعوده تستأنف الأبدار أعمارها ، والمشية تجري بأحكامه العادلة أقدارها ،
والبشائر عنه صدرها وإليه ابتدارها ، وحروف الزمان تنبسط بين يديه أعذارها ،
وتعرض ذنوبها على حلمه فنثال ^(٢) منه اعتبارها ، والملة المحمدية تنسدل بحياته
الرضية أستارها ، والفئة الغربية ^(٣) تتمهد بها أوطانها ، وتتجدد أوطارها .
معظم سلطانته الذي يجب له التعظيم باستحقاقه ، ومؤقر ملكه الذي تجلت أنوار
الفضل المبين بآفاقه ، المرتقب من طلوعه على هذه الأقطار ، صبحاً مشرق

(١) ورد في الملكية بعد هذه الكلمة ما يأتي (المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن بن السلطان
أبي سعيد بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فيستل) .

(٣) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (المسلمة) والأولى أرجح ، وقد كان يطلق على
الأمة الأندلسية في هذا العصر الأخير من حياتها (الأمة الغربية) تنوياً بانقطاعها فيما وراء البحر وافتقادها
لضروب العون والإنجاد .

الإسفار ، يصدع ليل الخطوب نور ائتلافه . ويفتح باب الفرج بعد استغلاقه ،
الأمير عبد الله فلان^(١) [سلام كريم عليكم]^(٢) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي أذن لسعود الإسلام ، بعصمة ملككم المنصور الأعلام في
انبلاج صباحها ، وجدد بها عزائم النصر قبل ركود رياحها ، وأعاد جياذ الآمال
إلى مراحها ، وألف بين قلوب المسلمين واقتراحها ، وجمع بين صدورهم وبين
انشرائحها ، وتدارك الملة المحمدية بتشديد ركنها ، وجبر جناحها . والصلاة
على سيدنا محمد رسوله الكريم ، نور الهداية ومصباحها ، ومعنى الرسالة بين
اختتامها وافتتاحها ، الرحمة الهامية^(٣) فوق وهاد الأرض وبطاحها ، مخرس
ألسنه البغي بعد إفصاحها ، ومطفى نار الفتن بعد اقتداحها ، ونبي الملاحم ، والأرض
تموج بكفاحها ، لم تشن عزمه الشدائد بإنجاحها ، وصروف الأنام بجماحها ،
حتى باءت كلمة الله بفوز قداحها . والرضا عن آله وصحابته التي ذادت عنه
بسيوفها [الماضية]^(٤) ورماحها ، وسمحت له بأموالها وأرواحها ، وباعت نفوسها
من الله في نصره ، فأعظم بأربابها ، والدعاء لمقام أبوتكم العظمى ، أعلى الله
معالم هديها وصلاحها ، ورسم آيات نصرها العزيز في صحف السعادة وألواحها ،
[بالصنيع الذي تفتتح أزهاره في خمائل الألفاظ الخفية وأذواحها]^(٥)
[فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لمقامكم سعداً جديداً ريعانه ، وعزاً مشيداً بنبانه ،

(١) ورد مكانها في الملكية ما يأتي (الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر) .

(٢) ورد مكان هذه العبارة في الملكية ما يأتي (سلام كريم ، بر عيم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الهادية) والأول أرجح .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

يقوم على [قدرة] ^(١) جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِرَهَائِهِ . من حمراءِ غَرْنَاطَةٍ ،
حرسها الله ، وليس بفضلِ الله ، الَّذِي لَا يُعَوَّلُ فِي الشَّدَائِدِ إِلَّا عَلَيْهِ . وَلَا تَمُدُّ
الْأَكْفُفُ وَتُصَرِّفُ الْوُجُوهُ إِلَّا إِلَيْهِ ، إِلَّا إِرْسَالُ جِيَادِ الْآمَالِ فِي مِيدَانِهَا ، وَسَحْبُ
حُلُلِ الْجَذَلِ يَنْمُ طَيْبُ أَرْدَانِهَا ، وَاسْتِقْبَالُ مَا تَعَوَّدَتْهُ الْمَلَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ مِنْ سَعَادَةٍ
أَزْمَانِهَا . اللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي اتَّصَلَتْ عَوَارِفُ إِحْسَانِهَا ، وَصَنَائِعُهَا الَّتِي رَاقَتْ
أَبْصَارَ الْبَصَائِرِ لِمَحَاتُ حَسَانِهَا ، وَنَحْنُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مَقَامُكُمْ مِنَ التَّشْيِيعِ الَّذِي
رَفَعْنَا لَكُمْ بِهِ فِي النَّاسِ عِلْمًا شَهِيرًا ، وَالتَّعْظِيمِ الَّذِي اسْتَعْرَنَا مِنْهُ مِهَادًا أَثِيرًا ،
وَالْإِعْتِقَادِ الْجَمِيلِ الَّذِي اتَّخَذْنَاهُ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَةً وَعَلَى أَعْدَائِهِ ظَهِيرًا ، وَالْحُبِّ
الَّذِي لَا يَزْدَادُ نَضَارُهُ عَلَى نَارِ الْبَعْدِ إِلَّا تَشْمِيرًا . نُوْمِلُ مِنْ مَقَامِكُمْ عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ ،
وَاعْتِرَاضِ الْبَحَارِ مَلَجًا وَنَصِيرًا ، وَنَذِيعِ مِنْ ثَنَائِهِ مِسْكًَا فَتِيْقًا وَغَيْرًا ، وَمَهْمَا
اجْتَلَيْنَا بِخَبَرِ سَعَادَتِهِ وَافِدًا وَبَشِيرًا ، جَعَلْنَا رِسَالَتَهُ آيَةً ، وَاتَّخَذْنَا يَوْمَهَا عِيدًا كَبِيرًا .
وإِلَى هَذَا فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمَائِرِ ، وَيَطَّلِعُ عَلَى خَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ ،
وَيَرَى فِي خَلْقِهِ ^(٢) وَهَمَّ شَهِدَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ ، مَسْرَى الْمَثَلِ السَّائِرِ ، مَا عِنْدَنَا لِمَقَامِكُمْ
الْكَرِيمِ مِنَ الْخُلُوصِ الَّذِي لَمْ يُلَابِسْ قَطُّ رِيْبًا ، وَالْإِعْتِقَادِ الْكَرِيمِ مَشْهُدًا وَغَيْبًا .
وَإِنَّا بِحَسَبِ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ أَمْنٍ رِكَابِكُمْ الْعُلَى السُّلْطَانِي فِي تَدْوِيخِ تِلْكَ الْأَوْطَانِ ،
حَتَّى نَاعَتْ الدِّيَارُ وَشَطَّتْ [وَسَاءَتْ الْمَرَاحِلُ وَحَطَّتْ] ^(٣) ، [فَانْقَطَعَتْ فِيهَا
وَخَطَّتْ . وَاخْتَلَفَتْ الْأَخْبَارُ] ^(٤) ، فَلَمْ يَتَبَيَّنْ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَوْضُوعِ ، وَالْمُتَّصِلُ
مِنَ الْمَقْطُوعِ . وَاخْتَلَفَتْ ^(٥) الْقَضَايَا الْمَطْلُوقَةُ ، وَأَعْمَلَتْ الْأَفْعَالُ الْمَعْلُوقَةُ ، وَأَوْحِشَتْ
الظُّنُونُ وَسَاءَتْ ، وَتَرَامَتْ الْأَفْكَارُ حَيْثُ شَاءَتْ ، إِلَّا لَيْسْتَطِيعَ شَرْحِ أَحْوَالِ هَذَا

(١) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (أرضه) والتصويب في الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (وثلاثمائة المراحل وتمطت) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (واختلطت) .

القطر الذى استظلَّ بظلِّ جَنَاحِهِم ، وأمن فى سِياحِ رِمَاحِهِم ، وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاؤُهُ
بغِيثِ سَمَاحِهِم ، ضاقت بها الصُّدُورُ عَنْ زَفَرَاتِهَا ، والشُّؤُونُ عَنْ عِبَرَاتِهَا ، والقلوبُ
عَنْ أَوْجَالِهَا ، والنُّفُوسُ عَنْ اعْتِلَالِهَا ، لَآكِنِ الثِّقَةُ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ مَا بَرَحَتْ تَطْلُعُ فِي
لَيْلِ ذَلِكَ الْخُطْبِ شَهَاباً ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ لَمْ يَزَلْ يَفْتَحُ فِي تِلْكَ ^(١) الشَّدَّةِ بَاباً ،
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْشُرَ عِقْدَ الدِّينِ بَعْدَ انْتِظَامِهِ ، وَيَنْسَخَ حُكْمَهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ ، وَيَكِلَ
الْإِسْلَامَ إِلَى إِسْلَامِهِ ، وَيُظْفَى النُّورَ الَّذِي وَعَدَ بِإِتْمَامِهِ ، إِلَى أَنْ تَرَادَفَتْ الْأَخْبَارُ
مِنْ جِهَاتِهَا ، وَاتَّفَقَ مَنْقُولُهَا عَلَى اخْتِلَافِ رُؤَاتِهَا ، وَشَافَهْنَاهَا مِنْ شَاهِدِ ذَلِكَ التَّمَحِيصِ
رَأَى الْعَيْنُ ، وَتَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْمَيِّنِ ، وَتَعَرَّفْنَا مَا كَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ
بِمَقْتَضَى فَضْلِهِ الْجَمِيلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَنَّ مَقَامَكُمْ قَدْ شَمَلَتْهُ الْعِصْمَةُ ، وَحَلَّتْ عَلَى
الْإِسْلَامِ بِوَقَايَتِهِ النِّعْمَةُ . ثُمَّ وَصَلَ كِتَابُكُمْ [الْمَسْتَوْلى] ^(٢) عَلَى مُطْلَقِ الرَّجَاءِ بَعْدَ
اعْتِقَالِهِ ، مَنْطَقِ لِسَانِ الشُّكْرِ لِلَّهِ بِفَصِيحِ مَقَالِهِ ، وَتَعَرَّفْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَطْرَ [سَكَنَ
رَاجِفُ زَلْزَالِهِ] ^(٣) ، وَوَضَعَ الْأَوْزَارَ وَطِيسُ نِزَالِهِ ، وَدَخَلَتْ فِي مَذْهَبِ السَّنَةِ
وَالْجَمَاعَةِ طَوَائِفُ اغْتِرَالِهِ . وَأَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ اعْتَرَفَتْ بِذَنْبِهَا ، وَالْأَرْضُ قَدْ أَشْرَقَتْ
بِنُورِ رَبِّهَا ، وَالْقَبَائِلُ وَسِعَهُمُ الصَّفْحُ وَالنَّائِلُ ، وَالْمَعَاقِلُ خَفَّتْ لِلطَّاعَةِ مِنْهَا الْمُتَنَاقِلُ ،
وَأَنْكُمْ صَرَفْتُمْ النَّظَرَ الْجَمِيلَ إِلَى مَا يَمُهِدُ الْأَوْطَانَ ، وَيُوْبِدُ السُّلْطَانَ ، وَيُؤْمِنُ الْخَائِفَ ،
وَيُؤَلِّفُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ الطَّوَائِفَ . وَأَنَّ مُحَلَّ أَحْيَانَا الظَّاهِرَ الطَّاهِرَ أَبَا عَلَى النَّاصِرِ ،
أَسْعَدَهُ اللَّهُ ، قَدِمْتُمُوهُ بَيْنَ يَدَيِ رُكَابِكُمْ طَائِعَةً الْيُمْنِ وَالسَّعْدِ ، وَرَائِدَ عِزِّكُمْ
الصَّادِقِ الْوَعْدِ ، وَأَنْكُمْ تَقْفُمُونَ أَثَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالْجِيُوشِ الْجَرَارَةِ ، وَالْكِتَابِ
الْمُخْتَارَةِ ، وَالْمُنَاصِلِ الْمَاضِيَةِ الشَّبَابِ ، وَالْمُضَارِبِ الَّتِي تُشِيبُ بِبَيْضِهَا مَفَارِقَ الرُّبَا ،
وَإِنْ غُرِّرَ هَذِهِ الْكُتُبُ ، تَقْفُوهَا غُرْرُ الْكِتَابِ ، وَخَبِرْ هَذَا الْمَرْوْمَ ، يَتْلُوهُ خَبِرَ
الْلَطَائِفِ الْعَجَائِبِ ، فَنَعْمَ مِنْ قَدَمْتُمْ ، إِنَّهَا لِمَقْدَمَةٍ لِلْعَدُوِّ سَالِبَةٍ ، وَأَدَاةٌ تَعْرِيفِ أَلْفِهَا

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ (ذَلِكَ) فَاقْتَضَى التَّصْوِيبَ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَازِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

ولأمها هي الغالبة ، وجبدا ما أطلعتم علينا من المسرة والبشائر التي حيثها هذه
الثغور بالثغور المفترة ، ليُنهى مرقبها^(١) السعيد مراقب الجهاد المقبول ، ومثابة الرّفد
المبذول ، والوعد المفعول . فلقد جدّد للإسلام ملايس الفخر والقبول ، وزوّض آمال
الصّلة من بعد الذّبول . وأما موقع هذه البشري من مُعظم أبوتكم فلا توفيه العبارة ،
ولا تودّيه الألفاظ المستعارة ، وعُذرنا عما كان يجب علينا من صلة الرسائل
وترديدتها ، وتقرير الوسائل وتجديدها ، لا يخفى على مقامكم الذي يقبل الأعذار
إذا ظهرت ، ويحمل المودة على ما عليه تقررت ، من هول البحار ، التي لا تجرى
على القياس أمورها ، ولا يُتمكن في كل الفصول عبورها ، وغدر الطريق التي
كثر بالفتنة أمورها ومأمورها ، وما أصاب السّواحل من الميتة^(٢) التي جرى في
البلاد مقدورها . ومقامكم يوالى الأعذار الصادقة وجهاً جميلاً ، ويبوءها من قبوله
ظلاً ظليلاً ، قد علم الله والناس ، وثبت بالحق الذي لا يخالطه الالتباس ، أننا
لو وجدنا سبباً ، أو صادقنا للاتصال بكم مذهباً ، لما قعدنا أولاً عن المساهمة
والدفاع في جملة أبنائكم ، وثانياً عن مُباشرة هنائكم ، حتى لا ينوب في ذلك
بعث الكتاب عن حثّ الركاب ، ولا إعلام الأقلام ، عن إعمال الأقدام . والله
تعالى يُسنّي لكم من نصره أكرم ما سنّي للصالحين من ملوك عباده ، وينشر لكم
جناح الرحمة على أقطار الإسلام وبلاده ، ويصلح بإيالتكم ما فسد من الأحوال ،
ويسكن بها ما عظم من الأهوال ، ويضفي بها رواق العِصمة على الأديان والنفوس
والأموال [وهو سبحانه وتعالى يصل سُعودكم ويحرس وُجودكم]^(٣) والسلام
الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب في كذا .

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مقدسها) .

(٢) هكذا في المخطوطين .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

ووصل كتابه رحمه الله تعالى للسلطان
أبي الحجاج رحمة الله عليه يعرفه أيضاً
بالكائنة المذكورة من أحواز الجزائر
فصدر غنى جواباً عن ذلك ما نصه ^(١) :

المقام الذي لا تُنكر حقوقه الجمّة وصنائه ، ولا يُجحد فضله الذي انتشرت
في الأرض شائعه ، فنناؤنا عليه هو الروض تارّج ذائعه ، ووُدانا فيه تصفو على
كدر الزمان شرائعه ، وأبوته الكريمة وديعتنا من ذمة الله ، والله لا نضيع ودائعه ،
مقام محلّ أبينا ^(٢) الذي يرّه واجب مفترض ، والقيام بكبير حقه لا يُقدّم عليه
غرض ، السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان الكذا
أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله يشرح للممّات الزمان صدراً رحباً ،
ويستأنف من الله صنغاً عجيباً ، ولطفاً قريباً ، ويتغمّد بالعفو ذنوب دهره مهما
أتى مستقيلاً مُستريباً ، ويُخفّض جناح القبول والرضوان خفضاً لا يبقى تبعه ^(٣)
ولا بذر تشريباً ، معظّم حقوقه العظيمة ، وموقر أبوته الكريمة ، الأمير عبد الله
يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم
[برّ عميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى] ^(٤) ورحمة الله تعالى وبركاته .
أمّا بعد حمّد الله [الملك الحق] ^(٥) ذي الكبرياء والعظمة ، مانح النعم
العميمة ، وفاتح الأبواب المبهمة ، وميسّر الأطاف الخفية عند انقطاع الأسباب
المبرمة ، وجاعل العاقبة للتقوى ، كما وعد في آياته الكريمة ^(٦) المحكّمة .
والصلاة على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم ، نبيّ المَلَحْمَة الصّائِح بالآيات

(١) هذا التعريف وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية ، ومكانه (ومن ذلك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (أخينا) وهو تعريف .

(٣) وردت في الإسكوريال (تعباً) والتصويب من الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية . ومكانها في الإسكوريال (عليكم) .

(٥) هذه الزيادة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

البَيِّنَات المسلمة ، الذى باتباعه نختال من السعادة فى الحُلل الضَّافية المعلمة .
والرِّضَا عن آلِه وأصحابه الذين وقَّوا بعهوده الملتزمة ، وتواصَّوا بالصَّبر [فى
دينه] وتواصَّوا بالرحمة . والدَّعاء لمقامكم الأعلى ، بالنَّصر على عِبْدَةِ الصُّلْبَانِ ^(١)
تشهده ملائكة السماء المُسَوِّمة ، وتغنى كتائبه عن اتخاذ الجِياذ المُسْرِجة المُلْجِمة .
فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم حُسْنَ المآبِ ^(٢) ونُجَح المآل ، وأطلع عليكم
أنوار البشائر من ثنِيَّات الآمال . من حَمَرَاءِ غَرَنَاطَةِ حَرَسِهَا الله ، وليس بفضل
الله الذى بِيَدِهِ الأمر كله ، وليس فى الوجود إلَّا فعله ، ثم ببركة الاعتقاد ^(٣)
الجميل فى مقامكم السَّامى محله . العَمِيم فضله ، إلَّا البشائر التى بابها فى موطى
السَّعادة ، هو الباب الجامع ، وأحاديثها على الإعادة لا يَمْلُهَا الراوى ^(٤) والسَّامع .
وأبوتكم الكريمة لا تعدل البشارة بعصمتها بشارة ، وإن جلت ، ولا ترجح
صنيعتها عندها صَنِيعَةٌ ، وإن أشرقت أنوارها وتجلَّت ، نَمُدُّ الأكْفَ لِعِمَامَتِهَا
كلما استهلَّت ، ونتتبع ^(٥) مساقط أندافها حيث حلت ، ونُدَاوِي بَأَنْبَائِهَا أدواء
القلوب التى لبعدها اعتلَّت ، وكيف لا وأرجاؤها بأفضالكم السابق ناطقة ،
وألفاظ ثنائها لمعانى كتابكم ^(٦) متضمنة ، وعليها متطابقة ، أبقاكم الله وأسباب
التوفيق لأحوالكم مُوَافِقَةٌ ، ورفاق الصَّنَائِعِ الإلهية لها مُرَافِقَةٌ ، ومتاجرها فى
معاملة الله تخطبها لِحُسْنِ الجزاء أسواق نافقة ، وإلى هذا وصل الله سعدكم ، فجملته
أمرنا فى هذه الأحوال التى جرت ، والشَّدَائِدِ التى خَلَصَتْ لَهَا معادن البصائر
الإيمانية وتشحَّرت ، والتَّمْحِيصِ الذى تضمنه الكتاب الموقوف [وناء بديته

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأصنام) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المآب) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الاعتداد) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (الراى) والتصويب من الملكية .

(٥) وردت فى الإسكوريال (وينبع) والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (كالكم) .

الزمن الممقوت^(١)، وطالما أصلى الياقوت [جمراً الغضا ثم انطفئ الجمر والياقوت]^(٢) أننا ما برحنا بواجب شفقة البنوة نخالف الآسى ، ونتدارس في حمل هذه الأمور باب لعل وعسى ، فتارة نَسْتَفْتِح وجوه الصَّبر وهى جميلة ، ونتعلل بنوَاسِم الأخبار وهى علية ، وتارة نفوِّض الأمور إلى من بيده مقاليد الألفاف العجائب ، ونمدُّكم من الدعاء بأعظم الكتائب . هذا والعدو الذى سالم الإسلام بسبب جهادكم ، وتقلَّصت أطماعه بامتداد ظلال أمدادكم ، قد فاض علينا بحره ، وتجنى على عهدنا غدُّه ، وشَّره إلى استِثْصَالنا نابُه وظفُّره ، ونازل^(٣) جبل الفتح ، الذى كان نصركم إِيَّاه بفضل الله سبب نجاته ، واستعدادكم^(٤) [فيه] ذريعة استمساك الدين وثباته ، بما تجدونه مَذْخُوراً يوم يسر المؤمن^(٥) بحسناته ، بعد خصام جرى بيننا وبينه ، توجهت عليه فيه الحجة ، ووضحت من سبيل غَدْر المحجَّة ، وخبرنا فلم نرض الدنيَّة التى عرضها ، وحَمَلنا الأُمُور على أشد^(٦) الوجوه التى فرضها ، ثقةً بالله الذى هو الملجأ الأحمى والركن الأقوى ، وعلماً بأنَّ العاقبة للتقوى ، فسَدَّ الباب ، وقطع الأسباب ، ورأى أَنه إذا فازت بفُرْضة المجاز قِدَاحُه ، ولان له من الجبل بطول الحصار جماحُه ، تَسْتَسِفُّ بما سواه رياحه ، وتملَّكت البلاد والعباد رماحه ، ولم يَدْرِ أَنَّ لله كتائبٌ تخفى عن عيون الكتائب ، وتكن فى مدارج الأنفاس ومياه المشارب ، وأنَّ الجديدين الليل والنهارُ يبيلان الجديد ، ويأتيان بالعجائب ، وعلى هذه الحال المهمة ، والنوائب الملمة ، فمقامكم شغل بالناس ، وفى ميدان مساهمتكم مجال آمالنا نصل السؤال عن أنبيائكم فى كل الأحيان ، ونعاقب بعث الرسائل على تعاقب الزمان ، وفى هذه الأيام وقد علينا

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (واستأصل) . والتصويب من الملكية .

(٤) الزيادة من الملكية .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المحسن) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسوأ) .

رسولناكم فلان وفلان ، وصل الله عزَّهما ، [ووالى رَفَعَتْهُما] ^(١) ويَمِّن وجهتهما ، وفادة كان اليَمِّن لها والحمد لله رائداً ، وسعد الإسلام وأمله لركابهما قائداً ، منصرفين عن مخيم الطَّاغية ، الذى بعثتموهما إليه ، بعد أن قَوَّضت رحاله ، وحالت حاله ، وحَمَّ هلاكه ، وانتشرت أسلاكه ، وأديا إلينا كتابكم ، الذى طال عهدنا باجتلاء غُرره ، وأقْبِنَا دُرَّره ، وتُعرفت عوارف الفضل والكمال بين ورَّده وصُدَّره ، جواباً عن بعض الكتب التى وجهنا إليكم وأوفدنا عليكم ، ظهر أنه لم يخلص غيره من جملة مكاتبات عديدة بعثناها ، وركائب مخاطبات إليكم حَثَّناها ، عاقت الأهوال عن وصولها ، وفصلتها الحوادث قبل بثِّ فصولها ، وشرح محصولها ، عرفتم فيه أن ركابكم العالى ، استقر بمدينة الجزائر قراره ، واطمأنت بها داره ، بعد الشدة التى هى إن شاء الله ختام الشدائد ، والأزمة التى عرفكم الله فيها جميل العوائد ، وأن القبائل بذلك الوطن قد اعتلقت من طاعتكم سبباً وثيقاً ، وسلكت من الانقياد لأمركم العلى سبيلاً واضحاً وطريقاً ، ودخلت فى طاعتكم فوجاً فوجاً ، وفريقاً فريقاً ، مُسْتَبِقِينَ ^(٢) من تجديد العهد التى أعطوها صفقات إيمانهم ، ورهنوا فى الوفا بها ، الكريم من أخلاقهم وأديانهم ، وإن الوفود إليكم قد أقبلت ، والسعود لدعوتكم قد انجلت ^(٣) ، وإن صَفْحَكُم قد شمل من أناب ، وعفوكم قد تغمد من تاب ، وقبولكم قد فتح للوارد الباب ، ووصل للمنبت الأسباب ، وإنكم لم تقدموا عملاً على مخاطبة الطَّاغية بالحجة التى أملت أن تستنزله من مهواته ، وتستنقذ مُضْعَةً الإسلام من لهواته ، قياماً بحق الله فى الحال التى يهم فيها للقلوب شأنها ، ولا ينفع النفوس الكريمة إلاَّ إيمانها ، فكان من التوفيق الغريب . والصنع العجيب ، أن رسُولَيْكُمْ وردا على طاغية الروم بقاطع أجله ، ووفدا إليه بخيبة أمله ، ونية المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (مستقيمة) . والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (احتفلت) .

من عمله ، فما كانت كتبكم إليه إِلَّا كِتَابَةً ، تقدمها طلائع النصر ، ومقدمة رفع تخصيصها عن الجبل دعوى الحضر ، وَرُقِيَ شَقِي بِهِ الزمان زمانته ، ووثيقة مكن بها الإيمان من أمانته ^(١) [وعلاجاً لم يَفُق بعده من ألم ، وسهماً من سهام الخواطر الخالصة لله أَصَاب وراميتها بذى سَلَم ، فكال رسولا كم ممن طلع علينا بشيراً بهلاكه ، وانتشار أسلاكه ، وظهور حركة الإِدبار في أملاكه ، فضحكت تُغَوِّر هذه الثغور ، ووضحت مذاهب الأمور ، وشُفِيَتْ علل الصدور ، واستأنفت الإسلام يدار الكمال وكمال البُدور ، وسفر السعد عن وجهه المشرق . ووردت علينا المسرات المختلفة من جهتي المغرب والمشرق ، هذه تَعْلُقُ بحياة الحبيب الكريم ودنوّ داره ، وهذه تفصح بمات العدو وتبّاره ، فيالهما من بشارتين اختلفتا ، فرجوعهما إلى عنصر واحد ، والتقاؤهما في أصل كريم ، وإن تشفعت المقاصد ، إذ هما عنوان على فضل نيتكم التي أنوارها قد بهرت ، وببركة سريرتكم التي بانّت شواهدا وظهرت . وإذا اعتبرنا الترجيح في هذا المحصول ، رأينا أن الفروع لا تقوى قوة الأصول ، وأن البشارة بعصمتكم ، أقوى علا قدرّاً ، وأرفع خطراً ، أوزعنا الله شكراً ، يكون لما أولى من كليهما كفاً ، وهَبْنَا قياماً بحقهما ووفاءً ، فإنهما نِعَمٌ أَذْهَلَتِ العقول ، واستصغرت المستعار من الألفاظ والمنقول ، فنحن نهنتكم بهذين الصّنعين الذين هما من آثار نيتكم ، وصدق طويّتكم ، وكان بمواهب الله قد اتّسقت ، وأفنان اليُمن قد بسّقت ، وليالى الشدائد قد أضاعها الفرج بعد ما غَسَقَتْ ، ودين الإسلام قد استحکم متائهُ ، والكفر قد أمكن منه اضطرابه وشتاته . ولا تسئلوا عن الأحوال بهذا القطر ، الذى كَلَبَتْ لهذه الأحوال عُداته ، إنما هو جسد عاودته حياته ، وبدر راجعته من بعد السّرا راياته . وأما ما عندنا من الدّعا لعهدكم ، والضراعة لله فى دوام سعدكم ، فلو علمنا أنه خفى بجهدنا فى تقريره ، ووكلنا أَلْسِنَةَ الأَقلام بِشْرَحِهِ ، وتيسيره ، إنما هو

(١) إلى هنا انتهى نص هذه الرسالة فى مخطوط الإسكوريال . وقد نقلنا تكليها من الملكية ابتداء مما ورد داخل الخاصرة .

صُبْحٌ وضح سفوره ، وتَأَلَّقَ في الآفاق نوره ، والله تعالى يصل لكم أسباب عنايته ،
ويوزعنا شكر ما مَنَّ به من عصمة مقامكم ووقايته . وقد حضر بين يدينا رسولكم
أعزهما الله ، وأَلْقيا إلينا ما دار بينهما وبين النصارى في أمر السلم الذي أَكْثَمَ
حكمها بمقتضى نظركم للإسلام وأهله ، وجرَّ مقامكم على ما يليق بفضله ، وما وعد
به من صرف الجَفْن الذي ظهر عليه العدو ، من الأَجْفَانِ الواصلة من جهتكم من
جملة ما تضمنه الشروط ؛ وتشمل عليه الربوط ، وإن الولد الذي أقام النصارى
بعد أمِّه يرضى ذلك ، ويسلك مما كان والده ينفاد إليه أوضح المسالك ، فأمسكناهما
عندنا يسيراً ، لزي ما تَنَبَّحُ عنه المرافضة ، وتفضى إليه المفاوضة . أطلع الله من
الأُمُور كلها على ما يكون فيه سعادة الإسلام والمسلمين ، وكَبَّتْ أعدائه الكافرين .
وإن تفضلتم بتعريفنا إن أمكن ببعض أحوالكم ، فهو صلة لأفضالكم ، ونمام على
الذي أحسن من كمالكم . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ^(١) .

(١) ما ورد بين الحاصرتين هو تكملة لهذه الرسالة منقول من مخطوط الملكية .

ومما صدر عني في غرض التهنية وقد استولى
السلطان أبو عثمان بن أبي زيد بن أبي زكريا
ابن السلطان أبي يحيى يغمُراسن بن زيان على
مستوطن سلفه ومحل خلافتهم من مدينة تلمسان
حرسها الله

المقام الذي نظم من عقود الدولة ما انتثر ، وأقال به مُلكها بعد ما عثر ،
فأَحْيَا السَّنن الحسن من مكارم قومه ، وأَحْيَا الأثر ، مقام محل آحينَا الذي
نُسِرُ بتجديد ودّه ، وإعادة عهده ، وصِفِينَا الذي نبتهج باتساق أمره ، واستئناف
سعدِهِ ، ونصل الثنا على أصالة مجده ، ونثق منه بالمعتمد الذي يحيى في سبيل
الله^(١) [وإعانة هذه البلاد]^(٢) سنة قومه ، وأثر جدّه ، السلطان الكذا
[أبي سعيد عثمان بن السلطان الكذا أبي زيد عبد الرحمن بن السلطان الكذا أبي زكريا
ابن السلطان الكذا أبي يحيى يغمُراسن بن زيان]^(٣) ، وصل الله لدولته الرفيعة ،
أسباب الانتظام والاتساق ، وأطلع لها كواكب السعادة باهرة الإشراق ، ومدّ
عليها من عنايته كل وارف الجناح خَفَّاق الرُّواق^(٤) ، وهنَّاهَا المُلْك ، الذي
جُدِّدت ملابسه بعد الإخلاق ، وجمعت شملُهُ بعد الافتراق ، وتناولته بواجب
الاستحقاق . معظَّم ، مقامه أتم التعظيم ، ومُمجَّد^(٥) سلطانه الرفيع ومجده الصميم ،
المنشئ على دينه المتين وفضله العميم ، والمسرور بما سناه الله لسعدِهِ من تجديد العهد
القديم ، والود الكريم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجهاد) .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (الرفاق) ، والتصويب من الملكية .

(٥) وردت في المخطوطين (مجد) والتصويب أنسب للسياق .

نصر . سلام كريم يستمد الشمس من نور محياه ، ويستعير الروض طيب ريّاه ،
ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله المبدى المعيد ، ميسر الأمل البعيد ، الذى من توكل عليه ،
ولجأ إليه ، فقد أوى إلى [الظل الظليل] ^(١) والركن الشديد ، ومن شكر نعمته ،
تكفل له بالمزيد ، ومن أسلفه فى ذاته عملاً صالحاً ، جنى على الأيام ثمرة
قصده الحميد ، والصلاة [والسلام] ^(٢) على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى
القدر الرفيع والعز المكين ، والمجد المشيد ، الهادى إلى صراط العزيز الحميد ،
والرضا عن آله وأصحابه الذين سلكوا على نهجه الواضح وقصده السديد ،
وتناسقوا فى سلك أتباعه ، تناسق الدر الفريد . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر
على أعداء ^(٣) الله والتأييد ، والصنع الذى يتجلى للعيون باسم الثغر سامى العجيد .
ولا زالت صنائعه تعتمد مصانع المكرمات بالتنجيد ^(٤) ، وتتعاهد أمها بالترديد .
فإنّا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم بليغ الأوطار ، وإحراز الآمال [وهناكم] ^(٥) بما
حولكم من الملك الرفيع الخلال ^(٦) ، وجعلكم من الشّاكرين لنعمه بالأقوال والأعمال ،
من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وليس يفضل الله [سبحانه] ^(٧) المرجو فى الشدايد
الجميل العوايد ، ثم ببركة الاعتداد بمقامكم السامى الصاعد ، والأصيل القواعد ،
إلّا ما شرح الصدور ، وأكثر السرور ، وبسط النفوس ، وأضحك الزّمن العبوس ،
من اتساق [أمور] ^(٨) ذلك الملك لديكم ، واجتماع كلمته عليكم ، وما تعرّفنا من
أن الدولة الزيّانية ، وصل الله لبدورها استئناف ^(٩) الكمال ، وأعلى أعلامها فى

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحصن الحصين) .

(٢) زائدة فى الملكية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التجديد) .

(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجليل) .

(٧) زائدة فى الملكية .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسباب) .

هَضَابُ الْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ ، تَذَكَّرْتُ الْوَسَائِلَ الْقَدِيمَةَ وَالْأَذِمَّةَ ، وَأَلْقَيْتُ إِلَى قَوْمِهَا الْأَزْمَةَ ، وَخَنَنْتُ إِلَى عَهْدِهِمْ عَلَى طَوْلِ النَّوَى ، وَأَنْشَدُ لِسَانِ حَالِهَا «نَقْلُ فَوَادِكُ حَيْثُ شَيْتَ مِنَ الْهَوَى» ، وَأَصْبَحَ شَتَيْتَ شَمْلُهَا بِأَهْلِهَا مَجْمُوعاً ، وَعِلْمُ عَلَيَّائِهَا بِأَيْدِي أَوْلِيَّائِهَا مَرْفُوعاً ، وَمَلَابِسُ اعْتِزَالِهَا عَلَى ابْتِزَارِهَا جَدِيدَةً ، وَظِلَالُ سَعُودِهَا عَلَى أَغْوَارِهَا وَنَجُودِهَا وَدِيدَةً ، وَقَبِيلُهَا قَدْ أَنْجَحَ فِي اثْتِلَافِهِ أَمَلُ الْآمَلِ ، وَمَبْتَدَاها مَرْفُوعٌ مَعَ وَجُودِ الْعَامِلِ ، وَالكَثِيرُ مِنْ أَوْطَانِهَا ، قَدْ سَلَكَتْ مَسَلَكَ تِلْمِصَانِهَا فِي الطَّاعَةِ ، وَتَبَادَرَتْ إِلَى اسْتِبَاقِ فَضِيلَةِ الْوِفَاقِ بِحَسَبِ الْإِسْطَاعَةِ ، فَعَظُمَ الْاسْتِبْشَارُ ، بِأَنَّ كَانَ إِلَيْكُمْ مُلْكُهَا ، وَفِي يَدِكُمْ ^(١) اخْتِبَالُهَا ^(٢) ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلُقَ بِأَسْبَابِهَا ، مِنْ لَيْسَ مِنْ أَرْبَابِهَا ، وَيَطْمَعُ فِي اِكْتِسَابِهَا ، مِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهَا ، وَقَلْنَا إِنَّمَا هُوَ إِرْثٌ وَجَبَ ، وَعَاصِبٌ حَجَبٌ ، وَرَكْبٌ عَاجٌ بَعْدَ الْقَفُولِ ^(٣) ، وَشَمْسٌ طَلَعَتْ بَعْدَ الْأَقُولِ ، وَجَيْدٌ حُلِّيٌ بَعْدَمَا اشْتَكَى الْعَطْلُ ، وَغَرِيمٌ قَضَى بَعْدَمَا مَطَّلَ ، وَطِرْفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَمَا هَجَعَ ، وَدُرَى اسْتَقَامَ سِيرِهِ بَعْدَمَا رَجَعَ ، وَقَضِيَّةٌ انْصَرَفَ دَلِيلُهَا عَنْ حُدُودِ الْقَوَاطِعِ ، وَطَرَحَتْ عَلَيْهِ [أَشْعَتْهَا] ^(٤) السَّعُودُ السَّوَاطِعُ ، لَا بَلَّ عَبْدٌ أَبْقَى ، لِيَغْدُرَ سَبَقُ ، حَتَّى إِذَا رَجَعَ نَهَاءً ، وَعَدَلَهُ الْعَقْلُ وَنَهَاءً ، جَنَحَ بَعْدَ هَجْرِهِ ، إِلَى كَنْفٍ مِنْ نَشَأٍ فِي حَجْرِهِ . وَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الَّتِي عَرَفْنَا مَكَانَهَا ^(٥) قَدْ دَالَتْ ، وَالْغَمَامَةُ الَّتِي شَطَرْنَا ^(٦) مَوَاقِعَهَا ، قَدْ انْثَالَتْ ، وَالْعَهْدُ الْقَدِيمُ قَدْ تَجَدَّدَ ، وَالْوُدُّ الْكَرِيمُ قَدْ تَأَكَّدَ ، فَجَرَيْنَا فِي الْمَسْرَةِ مِلءَ الْأَعْنَةِ ، وَشَارَكْنَا فِي شُكْرِ هَذِهِ الْمُنَّةِ ، مَا لِإِيَالَتِكُمْ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ مِنْ حَقُوقٍ لَا تُنْكَرُ ، وَأَعْمَالٍ لَا تَزَالُ تُشْكِرُ ، طَالَمَا خَلَصَتْ إِلَيْهَا الْأُمْدَادُ ذَوَاتِ الدُّسْرِ وَالْأَلْوَا حَ ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهَا شَرْعُهَا الْبَيْضُ طُلُوعَ فَلَقِ الصَّبَاحِ ، تَتَسَابَقُ دُهُمُ جِيَادِهَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (إِيَالَتِكُمْ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْقَبُولِ) .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (مَكَارِمَهَا) .

(٦) هَكَذَا فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (شُكْرُنَا) ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

في أعنة الرياح ، مفعمات الأعطان ، بإعانة هذه الأوطان ، مُعربةٌ عن أصالة الدين ، وعزُّ السلطان ، قد سمح لها بالخزائن الثرة ، مَنْ يستقل الكثير ، إذا سمح ، ويبلغ بهمته السما مهمى طمّح ، فحقيق أن يلبس بخبرها ^(١) حُلّ الجَدَل ، وترتاح لنسيم سَعْدِهَا التَّمَلُّل ^(٢) . فما عَدِمَتْ والحمد لله المكان ولا السلطان ، ولا حلّ بنا ما كان على ما كان . ومن قدّم في سبيل الله ما قدم ذلك السلف [الصالح] ^(٣) الذى دَرَج ، وأخلص فى إمداد الإسلام وإرفاده العمل ، الذى إلى مرقى القبول عرج ، كيف لا يقيّل الله دولته إذا عَثَرَتْ ، ويُنْظِم عقودها إذا أَنتَشَرَتْ ، ويحيى آثارها بعدما دَرَسَتْ ، ويجنيها من عفوه وإفائته ثمر ما غَرَسَتْ ، فهذا القطر الجِهَادى ، هو ميدان الأعمال الصالحة ، وسوق التجارة الرابعة . والله سبحانه أوفى مَنْ ضمن أجراً ، وأكرم من أَرْبَحَ تجراً . وإننا أصدرنا إليكم هذا الخطاب مهنيّاً ، وعن الوُدِّ الكريم والولاء الصميم مبيناً ، وفى تقرير ما بين الأسلاف [جدد الله عليهم ملابس الرضوان] ^(٤) معيداً مبدياً ، وإن تأخر منه الغرض ، وقضى لهذا العهد واجبه المفترض ، والأعذار واضحة ، وأدلتها راجحة ، وللضرائر أحكام تمضى ، والفروض الفَوَائِتُ تقضى ، فكيف والاعتقاد الجميل مُيسَّرُ ممكن ، والوقت والحمد لله متمكن . وما برحنا ^(٥) من مناط اجتهداد ، وترجيح استشهداد ، والأخبار يطرب مفهومها ، والألفاظ لا يتخصص عمومها ، والأحاديث يُتَجَوَّلُ فى معارضتها ^(٦) [النظر] ^(٧) ولا يلزم العمل ما لم يصح الخبر . فلما تحققنا الأمر من فصّه ، وتعاضد قياسه بنصّه ، لم نُقدِّم على المبادرة عملاً ، وبينّا لكم من حسن اعتقادنا ما كان مجملّاً ، فليهنّ تلك الإيالة ما استأنفت من شبابها وتسربت من جديد

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (المتقبل) .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منحنا) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (متعاهدا) .

(٧) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

أثوابها ، ولتستقبل العيش خضرًا ، والدهر معتذرًا^(١) [والسعد مسفرًا]^(٢) والزمان من ذنبه تائبًا مستغفرًا . وأما ما لدينا من الولاء المحكم الأسباب ، والاعتداد بؤداد ذلك الجنب ، فشيء يضيق عنه نطاق الكتاب : ويقصر فيه إطناب الإطناب ، فثقوا منا بالخلوص الذي تسابقت إلى الغاية القصوى جياده ، والصفا الذي تجلت بلاءي الوفا أجياده . وأوفدنا إلى مقامكم الكريم [بكتابنا هذا]^(٣) نائباً هنا في غرض هنا ، ومقررًا قواعد الحب الوثيق إلينا ، فلاناً ، وفضلكم يُصغى إليه ، ويعتبر من ذلك ما لديه . والله عز وجل [يصل إعزاز سلطانكم ، وتمهيد أوطانكم]^(٤) والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصدر عني أيضاً في مخاطبة سلطان مدينة
تلمسان الدآبل على هذا العهد ، الأمير أبي حمو
موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن الأمير
أبي زيد عبد الرحمن بن الأمير أبي زكريا
يحيى ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن
زيان ، عن السلطان بالآندلس في غرض هنا
لما دال أمر وطنه إليه وقد وصل كتابه
يعرف بذلك^(٥)

من الأمير عبد الله محمد بن مولانا^(٥) أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا^(٥)
أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، أيد الله أمره ، وأعز نصره ، إلى السلطان

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مقتدراً) .
(٢) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .
(٣) هذا ما ورد من الدعاء في الإسكوريال ، وورد مكانه في الملكية ما يأتي (يصل سعدكم ويحرس مجدهم) .
(٤) هذا العنوان الطويل وارد في الإسكوريال . وساقط في الملكية ، ومكانه فقط (ومن ذلك) .
(٥) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

الكذا^(١) وصل الله له أسباب العناية ، وعرفه سعادة الإمارة المباركة والولاية ، وحمله على سنن التوفيق والهداية . سلام كريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مجدّد العهود ، ومُنجز الوعود ، ومطلع نجوم السعود ، ومُحوّل الآباء ميراث الجدود ، و متمم الأمل ومكمل المقصود ، الذي أعادكم إلى ملككم ، والعود أحمد ، إعادة الفضل والجود ، ويسرّ عليكم مرامه على طول الحَوم على الورود . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ومصطفاه من هذا الوجود ، نبى الرحمة الهامية العهود ، وصاحب المقام المحمود ، الصّادع بالآيات البينات الزاكية الشهود ، والمعجزات الثابتة العقود ، شفيع الخلائق في اليوم الموعود ، وداعيهم على بصيرة من ربه إلى دار الخلود ، فمن اعتصم بحبله أو أوى إلى طلبه ، تمسك بالسبب المشدود ، ولجأ إلى الظل الممدود . والرضا عن آله وأصحابه السادة الأسود ، الرُكع السجود ، الذين جمعوا في نصره بين الوفا والعهود ، وفرقوا بين الصّوارم والغُمود ، ورفعوا قبة ملته ، مديدة الطنب سامية العمود . والدعا لسلطانكم بالعز الصافي الورود ، والسعد الضافي البرود . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً ثاقب الشّهاب ، وعزاً رفيع الجناب ، وتوفيقاً متين الأسباب ، وصنعاً يتكفل بتمام الأغراض ، وكمال الآراب . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ونعم الله واكفة السحاب ، وآلاؤه مفتحة الأبواب ، ضافية الأثواب ، وعندنا لكم من الوُدّ اللباب ، والاعتقاد الأنيق الجلباب . ذخائر حزنائها عن سلفنا بالإرث والاكتساب . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا تأدّى إلينا كتابكم المبرور ، وخطابكم الماثور ، فأهلاً به من وافد يحدوه الجدال والسرور ، وزائر تنشرح به من أوليائه الصّدور ، عرّفتمونا فيه بما كان من صنع الله ، الذي أوضح السبيل ، وجبر القبيل ، وأبلغ التأميل ، وجلى من

(١) وردت نسبة هذا السلطان في الملكية كالأق (ابن الشيخ الأمير الكذا ابن الأمير الكذا أبي زكريا ابن السلطان الكذا أبي يحيى يغمراسن بن زيان) .

رضاه وفضله الوجه الجميل ، وأنه سبحانه أعادكم إلى سلطانكم ، وسوَّعكم القرار في أوطانكم ، ورد عليكم ميراث جُودكم ، وأذن في استئناف سُعودكم ، فأصبحت قصوركم آهلة ، ودعوتكم [في نعمة ^(١)] من الله شاملة ، ومنَّةٍ منه كاملة ، وأن ما يُجاور حضرته من تلمسان من الجهات ، تبادرت إلى الدخول في الطاعة ، وحملت الأمر على الفور ^(٢) بجهد الاستطاعة ، فلم تكن عهودها بالعهود المُضاعة ، وانتظم العقد على وسطاه ، وتها الملك ما خوله الله وأعطاه ، وامتدت في تلك السَّاحة ^(٣) خطاه ، وفرَّح نَيْبَةُ العزِّ واقتعد مَطَاه . واستوفينا ما أشار إليه من جزئيات التعريف في ذلك التكليف ، والصُّنع اللطيف . فقابلنا ما كان من اعتقادكم إيانا بإهدائه ، وإطرافكم بأنبيائه ، بالشكر لسلطانكم الذي تأسست قواعد ولائه على سُنن سلفه [في موالة سلفنا] ونهج آبائه ، وسررنا بسعادة علائه ، وسألنا من الله دوام نعمته واتصال آلائه . وقلنا إرثُ رَدِّه الدهر على أهله ، وشيْء عاد إلى محله ^(٤) ، وجيدٌ زَيْنٍ بِعَقْدِهِ ، وسيِّفٌ أُعِيدَ إلى غِمْدِهِ ، وبدرٌ عاد إلى إبداره من بعد سَرَّارِهِ ، وساكنٌ رجع إلى داره ، وفلكٌ استقام على مداره . ورأينا أنها عناية من الله بكم ظاهرة ، وسعادة أنوارها باهرة ، إذ مثل هذه الضَّالة التي ملكتم زمامها ، والإمارة التي رفعت أعلامها ، قلما استُخْلِصَ حقُّها ، وأُوضِحت في الحديث والقديم طرقها ، إلا عن حروب مُبيرة مبيدة ، ومواقف عظيمة شديدة ، ونفوس ريعت ، وحرمة للدين أُضيعت ، فكونكم صيَّرَ الله لكم ذلك عفواً ، من غير عَنَّا [إنما هو لطف منه ^(٥)] بكم ، واعتنا . ووقعت بينكم وبين الدولة المرينية ، أعزها الله ، عقودُ أحكم منها كل بنا ، وتأسست قواعدها على وُدِّ وصفا ، فلم تمتد إلى البرى يد اعتداء ، ولا راع الخلق بذلك الوطن وقوع داء ،

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الفوز) .

(٣) هكذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (الساعة) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (أصله) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (وفي سبيل لطف) .

وذلك دليل على رضوان الله وقبول ، وسعد موصول ، وفروع سوَّغت ميراث
أصول . فنحن نهنيكم بما من الله به عليكم ، وسنّى^(١) من السعادة التي ساقها
إليكم ، ونسلّه لكم تحسين العواقب ، وإعلاء المراق والمراقب ، ونقرر سرورنا
باستقامة أحوال المسلمين على العموم والإطلاق ، وحيث اتفق من الآفاق ،
وخصوصاً فيما قرب منا جواره ، ودنّت داره ، وفيمن بينه وبين سلفنا الوُدّ الذي
لا يُجهل مقداره . ولا تخفى آثاره . والله عز وجل يسعدكم بها من رجعة ، ويمتدّكم
بها من نجعة ، ويحملكم فيها على البر والتقوى ، ويجعلنا وإياكم ممن اعتصم
بالسبب الأقوى . وهو سبحانه ينجح الأعمال ، ويُجرى على ما يرضيه الأحوال .
وهو عز وجل يصل سعدكم [ويحرس مجدكم]^(٢) ، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (رسالة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الملكية (ويوال رفتمكم) .

وصدر عني أيضاً وقد اتصل الخبر باستقلال
ملك المغرب السلطان المعظم أبي عنان
رحمه الله على الملك

المقام الذي له المجد الصّراح ، والحسب الوضاح ، والأصالة التي أخبرها
في عوالي المعالي ومعالي العوالي هي الحسان الصّراح ، والبيت الذي دعائمه العزائم
والصّوارم والرّماح ، وطنيته ^(١) الجلالة والبسالة والسّماح ، وفضائله العالية ،
ومكارمه المتواليّة [كما متّع الصّباح] ^(٢) وأخبار فخره المنشور ، ومجده
المشهور ، تسرى في جهات المعمور ، كما تسرى الرياح . مقام محلّ أخينا الذي
له المجد الوثيق الأساس ، والأصالة التي ذكرها في الناس ذات النّدى والباس ،
والمفاخر التي يشهد بها موقف الجلال ، ومثابة الإرفاد ، وظهور الجياد ، ولسان
القنّاء المياد ^(٣) ، وصفح القرطاس ، والمآثر التي أغنى فيها أعلام الإجماع عن
إعمال القياس [السلطان الجليل ، المعظم الكبير الشهير ، الإمام العادل ، البطل
الباسل ، الحافل الفاضل الكامل ، الأمّضى الموقّر المبرور أبو عنان] ^(٤) ابن محلّ
أبينّا الذي نعظم قدره ، ونوجب برّه ، السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان
الكذا [المؤيد المعان] ^(٥) صاحب الجود الشهير في الأقطار ، والفضل المتألّق
الأنوار ، والمآثر التي هي أوضح من مضيئ النهار ، أمير المسلمين ، المجاهد في
سبيل ربّ العالمين أبي سعيد ، ابن السلطان الكذا ، أمير المسلمين وناصر الدين ،
المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، المقدّس الأرضي ، المبرور المرحوم أبي يوسف يعقوب
ابن عبد الحق . أبقاه الله يرعى أغراض الأعمال الصالحة ، بمكارمه الواضحة

(١) في الملكية (وطنية) .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المناد) .

(٤) هذه الأوصاف واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٥) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

فِيصِيب ، ويمدُّ يده إلى مواهب تَوْفِيقِ اللَّهِ وتَسْديده ، فيتوفَّر له منها النَّصِيب ، ويجدُّ عهود سَلَفِهِ التي أَعْمَلَهَا الْكَرِيمَةُ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَخِيب . معظَّمُ سُلْطَانِهِ الشَّهِيرِ الْجَلَالَةِ ، الرَّفِيعِ الْأَصَالَةِ ، الْمُتَنَبِّئِ عَلَى مَنَاسِبِهِ التي يَقْصُرُ عَنْ ذِكْرِهَا لِسَانُ الْإِطَالَةِ ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَصِلَ لَهُ بِسُلُوكِ مَرْضَاتِهِ عَوَائِدُ آيَاتِهِ الْمُزْدَادَةِ ، وَنِعْمَةُ الْمُنْثَالَةِ ، الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْسُفَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ فَرْجِ بْنِ نَصْرِ . سَلَامُ كَرِيمِ طَيْبِ بَرٍّ عَمِيمٍ ، تَتَأَرَّجُ فِي رَوْضِ الْأَعْتِدَادِ بِكُمْ فِي اللَّهِ تَوَاسِيَهُ ، وَتَفْتَرُ عَنْ ثَغْرِ الْوُدَادِ الْمُحَضِّ فِيهِ مَبَاسِيَهُ . وَتَتَفَتَّحُ عَنْ زَهْرِ الثَّنَا بِأَعْلَى مَعَالَى ذَلِكَ الْمَلِكِ الشَّهِيرِ الْعُلَا كَمَامِهِ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ عَمَلٍ عَامِلٍ ، وَلَا يَخِيبُ فِي فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلٌ أَمَلٌ ، مُعَوِّذِ الْإِسْلَامِ ، وَأَهْلِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي يَتَمَسَّكُ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ ^(١) بِحَبْلِهِ ، وَيَسْتَنْظِرُ بِجَمُوعِهِ النَّاصِرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْمَوَاهِبِ كُلِّ يُسْرِ شَامِلٍ ، وَحَامِلِهِ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ الْمَوَاهِبِ عِنْدَ التَّيَّاسِ الْمَذَاهِبِ عَلَى سَبِيلِ سَابِلٍ . وَمُنْجِدُهُ فِي الْأَزْمَاتِ بِكُلِّ كَافٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَوْلَى الْعِزْمَاتِ وَكَافِلٍ ، فَإِنْ عَظُمَ كَلْبُ أَعْدَائِهِ ، وَغَفِلَ الدَّهْرُ عَنْ مَعَالِجَةِ دَائِهِ ، فَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ . وَمَهْمَى سَاعَتِ ظَنُونِهِ ، وَاقْتَضِيَّتِ بِخُصُومَاتِ الْعَدُوِّ دِيُونَهُ ، حَرَّكَ لَهُ هِمَّةَ كُلِّ مَلِكٍ فَاضِلٍ ^(٢) ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ مِنْهُ بِمُدَافِعٍ عَنْهُ بَعْدَ مُدَافِعٍ ، وَمُنَاضِلٍ عَنْهُ إِثْرَ مُنَاضِلٍ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، الرَّؤُوفِ بِالْمُؤْمِنِينَ الرَّحِيمِ ، أَصْدَقِ قَائِلٍ ، وَأَكْرَمِ فَاعِلٍ [وَأَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ بَيْنَ خَافٍ وَنَاعِلٍ] ^(٣) دَاعِي الْخَلْقِ لِلَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَمُنْقُدُهُمْ وَهُمْ غَرَقَى مِنْ بَحْرِ جَهْلٍ بِلا سَاحِلٍ ، وَقَائِدُهُمْ إِلَى مَافِيهِ السَّعَادَةِ الْمُخَلَّدَةِ ، وَالْعَنَايَةِ الْمُؤَبَّدَةِ ، فِي عَاجِلٍ وَآجِلٍ ، وَالْمُلْحَأَ الْمُنِيعِ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَى ظِلِّهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ ،

(١) فِي الْمَلِكِيَّةِ (الْأَيَّامِ) .

(٢) فِي الْمَلِكِيَّةِ (وَاصِلٌ) .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ وَسَاقِعَةِ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

وخطب غائل . والرضا عن آله وصحبه وأسرته وحزبه ، أدلة كل هامز^(١) وسائر ، وثمال كل عارف وسائل : السابقين في ميدان دين الإيمان بما شاء من بأس^(٢) ونائل ، الذين ظاهروه^(٣) في حياته بكل أبيض صارم ، وأسمّر ذابل ، وخلفوه في دينه من بعده بإقامة كل [مباد منه ومائل]^(٤) . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله إليكم من توفيقه وإسعاده : أحظى ما وهب المتقين من عباده ، وحمل عزمكم الأمضى ، وسعيتكم الأرضى ، على ما يخلد لكم الفخر^(٥) المشهور والحمد المسطور بين عباده وبلاده ، وجدّد لمقامكم المشهور عهد آبائه في نصر هذه البلاد القاصية الثغور وأجداده ، حتى يعلم عدو هذا القطر أنه لم يعد ناصر مستنصر في نصره وإمداده ، وسلطاناً يجاهد في الله حق جهاده ، وأن الملك الكريم الذى عرف صدق جهاده ، لم يبرح عن نصابه ولا خرج عن معتاده ، ولا انتقل عن أمجاده . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وليس يفضل^(٦) الله جلّ جلاله . ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد الرفيع قدره ، الكريم آله ، ثم بما عندنا من [الاعتداد بنصر]^(٧) سلطانكم الذى انفسح في طاعة الله مجاله ، وتسنّت بها إن شاء الله آماله ، إلّا ما يرجى من سفور وجه الصنع الذى يبهر جماله ، ويروق اقتياله ، وعندنا من العلم بحقوق ذلك المجد الرفيع بما لا مزيد على محصولة ، ومن الثناء على ماله من الأصالة الشهيرة الجلالة ، مالا تنفى العبارة ببعض فصوله [ومن الاعتداد بأسنته الماضية في سبيل الله ونصوله]^(٨) ما يتكفل للإسلام

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (سابر) .

(٢) وردت في الإسكوريال (با) فقط وبعدها بياض والتصويب من الملكية .

(٣) وردت في الإسكوريال (ظاهروا) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (مناد منه وقايل) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (العزم) .

(٦) وردت في الإسكوريال (بركة) والتصويب في الملكية .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال وفي الملكية (الاعتقاد بمقام) .

(٨) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

بإعلاء فروعه ، وثبات أصوله . وإلى هذا أنجح الله تعالى في مَرْضَاتِهِ أَعْمَالَكُمْ ،
وبَلَّغَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ آمَالَكُمْ ، فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابُكُمْ الْكَرِيمَ ، فَاسْتَجَلَيْنَا مِنْهُ حُلَّةً
بِإِنْ رَشَقْتِ^(١) الْبِرَاعَةَ أَعْطَافُهَا ، وَرَوْضَةَ إِحْسَانٍ أَتَتْ أَكْلَهَا ، وَأَدْنَتْ قَطَافُهَا ،
نَاطِقًا بِلِسَانِ الْفَضْلِ الَّذِي مَجَّدَكُمْ مَعْدِنَ نَضَارِهِ^(٢) وَمَطْلَعَ أَنْوَارِهِ ، جَارِيًا فِي مِيدَانِ
الْبِرِّ إِلَى أَقْصَى مِضْمَارِهِ ، عَرَفْتُمُونَا فِيهِ بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ لِلْمَلِكِ مِنْ تَيْسِيرِ الْأُمُورِ ،
وَانْشِرَاحِ الصُّدُورِ ، وَأَنْ مِنْ بَتْلِكِ الْعُدُوَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَجْمَعُوا عَلَى
مُبَايَعَتِكُمْ وَأَصْفَقُوا ، وَبَادِرُوا إِلَى الدَّخُولِ فِي طَاعَتِكُمْ وَاسْتَبَقُوا ، وَانْتَظَمُوا فِي
فِي عَقُودِهَا^(٣) وَاتَّسَقُوا ، يَطِيرُ بِهِمُ الْارْتِيَا ح إِلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْهَا ، وَالتَّيَمُّنِ
بِالْتِّمَاحِ بُشْرَاهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ اسْتِقْرَارِ مَلِكِكُمْ الْعَلِيِّ فِي قَرَارِ مَجْدِهِ ، وَمَطْلَعِ أَنْوَارِ
سَعْدِهِ ، وَمِثَابَةِ أَبِيهِ وَجْدِهِ ، وَأَنْكُمْ لَمَّا مَلَسْتُمْ أَسْجَحْتُمْ ، وَأَقْدَرَكُمْ اللَّهُ فَعَقَوْتُمْ
وَصَفَحْتُمْ ، وَأَنْ دَعَوْتَكُمْ اسْتَقَامَ طَرِيقُهَا وَعَزَّ فَرِيقُهَا ، وَخَفَقَتْ بِالسَّعْدِ أَعْلَامُهَا ،
وَأَصَابَتْ الْأَغْرَاضَ الْبَعِيدَةَ سَهَامُهَا ، عَلَى سَبِيلِ مِنَ التَّيْسِيرِ قَرِيبَ ، وَحَدٍّ مِنْ
السَّعَادَةِ غَرِيبَ ، جَعَلْتُمْ فِيهِ الرِّضَا وَالْقَبُولَ ، شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَلْبَسَكُمْ
حُلَلَهَا ، وَقَلَّدَكُمْ حُلَاهَا ، وَالْمِثَابَةَ الَّتِي أَهْلَكُمْ لِعَالَاهَا ، فَسَرَرْنَا بِمَا كَانَ مِنْ ثَبَاتِ
ذَلِكَ الْمُلْكِ فِي نَصَابِهِ ، وَاسْتِقْرَارِ الْحَقِّ فِي أَرْبَابِهِ ، وَقُلْنَا اللَّيْثُ أَحَقُّ بِغَايِهِ ،
وَالسَّيْفُ أَوْلَى بِقَرَابِهِ . وَهَلْ هُوَ إِلَّا تَاجٌ عُقِدَ عَلَى مِفْرَقِهِ ، وَبَدُرٌ طَلَعَ مِنْ مَشْرِقِهِ ،
وَوَارِثٌ قَامَ بِحَقِّ سَلَفِهِ ، وَكَوْكَبٌ حَلَّ بَيْتَ شَرَفِهِ . فَالْحَمْدُ لَكَ عَلَى أَنْ أَصْبَحَ
بِكُمْ [عِمَادُ الْمُلْكِ الْأَصِيلِ]^(٤) مَرْفُوعًا ، وَشَمْلُ الْقَبِيلِ الْجَلِيلِ مَرْفُوعًا . وَكَيْفَ
لَا نُسْرُ بِاشْتِمَالِ ذَلِكَ الْمُلْكِ الْكَرِيمِ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَرْزَمَتَهُ فِي يَدَيْكُمْ ، وَلَمْ يَطْفُرْ
بِهِ مِنْ يَرُومٍ فَسَادًا ، وَيَسُومٍ أَسْوَاقِ الْفَضَائِلِ كِسَادًا ، أَوْ يَسُدُّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (وسعته) .

(٢) وردت في الإسكوريال (رضاه) وما وردت في الملكية أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (سلك) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (عماد ذلك البيت الأصيل) .

وإخوانهم باباً ، ويقطع أسباباً ، ويوقد للفتنة شهاباً . فما عَدِمْنَا بفضل الله عَارِفَةَ
الجدِّ المساعد ، ولا بَرِحْنَا بين النحر والساعد ، نَتَقَلَّبُ فِي مَرَضَاةِ الْأَبِ [الْأَرْضِ] ^(١)
وَالْأَخِ الْمَاجِدِ ، وَنَلْتَمِسُ مِنَ اللَّهِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ جَمِيلَ الْعَوَائِدِ . أَبْقَى اللَّهُ تِلْكَ الْإِيَالَةَ
الْيَعْقُوبِيَّةَ ، فِي أَعْقَابِهَا عَلَى اسْتِمْرَارِ الدَّهْوَرِ وَأَعْقَابِهَا ^(٢) بِمَنْه ^(٣) . وَعَرَفْتُمُونَا أَنْكُمْ
بِمَقْتَضَى مَا لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْعَزْمِ الَّذِي مُضَارِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا تَفِيلُ ، وَعُرَاهُ
الْوَثِيقَةُ لَا تَنْفَصِمُ وَلَا تُحَلُّ ، أُمَدَدْتُمْ ^(٤) ثَغْرَ الْجَبَلِ بِالْمَالِ ، وَفَسَحْتُمْ لِلْإِسْلَامِ فِيهِ
مَجَالِ الْأَمَالِ ، وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ تَعَالَى فِي إِمْدَادِهِ وَسَدَادِهِ كِرَائِمَ الْأَعْمَالِ . وَحَبَّدَا الْعَمَلَ
الصَّالِحَ الَّذِي إِلَيْهِ ابْتَدَرْتُمْ ، وَنَعَمْ مَحَلَّ الصَّنِيعَةِ مَا تَخَيَّرْتُمْ بَابَ هَذَا الْقَطْرِ الْغَرِيبِ ،
وَمَهَبُ أَنْفَاسِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، وَمَطْلَعُ نَوْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْجَادِ هَذِهِ
الْبِلَادِ وَأَغْوَارِهَا ، وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ مِنْ سُورِ ذَاتِ أَسْوَارِهَا . فَإِنْ جَعَلَ اللَّهُ الْجِبَالَ
أَوْتَاداً ، تُمَسِّكُ مِنَ الْأَرْضِ فِرَاشاً لِلْخَلْقِ وَمِهَاداً ، فَجَبَلُ الْفَتْحِ بِخُصُوصٍ وَتَدِ
هَذِهِ الْأَرْضِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَرَّرَ رِجْفَانِهَا ، وَلَا نَامَتْ ^(٥) فِي كَنْفِ الْأَمْنِ أَجْفَانِهَا ،
وَجَبَلُهَا الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعْصِمُهَا مِنَ الْمَاءِ إِذَا فَاضَ لِلشَّدَائِدِ طُوفَانُهَا ، وَلَسَلَفِكُمْ
بِافْتِتَاحِهِ وَاسْتِرْجَاعِهِ وَاسْتِخْلَاصِهِ قَلْباً لِلْكَفْرِ بَيْنَ أَضْلَاعِهِ ، الْمَكْرَمَةُ الَّتِي يَكُلُّ
عَنْ وَصْفِهَا لِسَانُ قَسٍّ إِيَادَ ، وَالْمَنْقَبَةُ الَّتِي لَا يَجَارِيهَا إِلَّا فَاتِحُهُ الْأَوَّلُ طَارِقُ
ابْنِ زِيَادَ ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمْنَحَ ^(٦) فِيهِ مَلِكُكُمْ [الرَفِيعَ] ^(٧) عَنْ عِدَّةِ الْمَجْدِ ^(٨) ،
وَيَصُونَ مِنْهُ الطَّرَازَ الْمُنْذَبَ الَّذِي رَقَمَهُ اللَّهُ عَلَى حِلَّةِ السَّعْدِ ^(٩) . وَمَا كَانَ مَقَامُكُمْ

(١) هذه الكلمة زائدة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (أحقابها) .

(٣) زائدة في الملكية .

(٤) وردت في الإسكوريال (اسدتم) والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (أقامت) .

(٦) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (يمسح) .

(٧) زائدة في الملكية .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مجده) .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (سعده) .

ليترك ذلك الفخر المذكور لكم بين الركن والمقام عُرْضة للانتقام . ولا ليصرف عنه وجه الاهتمام . مع الاقتدار بالملوك الأعزّة والانتقام . ووجود أنفة الملك وحمية الإسلام . فما هي إلا مكرمة جدّدت لتلك المكارم عهداً . وأنجزت لنصر الله^(١) وعداً ، وشرحت للدين صدرأ ، وأثبتت في الصّالحات الباقيات ذكراً . وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً . وقد كنا أصدرنا إلى مقامكم الرفيع كتاباً ، وأعملنا في شأن الجبل وما إلى ذلك خطاباً ، بما يهز الشّيم الركيّة ، ويحرك الهمم الملكية ، فحصل قبل وصوله إليكم الأمل ، وسبق القول والحمد لله العمل ، وحرّك شيمكم الكريمة باعث ذاتها ، ونبّهها عليه كمال صفاتها . ومن كان سلاله ذلك الملّك الكريم النّسب : الأصيل الحسب ، أغناه مطبوع فضله عن المكتسب . ورئدة حرسها الله تعالى وما إليها ، ترتقب جميل ذلك النّظر ، وتلتبس عارفة الملّك الكريم السّير ، حتى يشمل جميعها رماق فضله ، ويسوى بينها مألوف عدله ، ويغتم فيها ثناء الإسلام وأهله . وعرفتموني^(٢) بما قرره لديكم الوليّ في الله [الشيخ الأجل المرفّع الأَرْضى المجاهد الأفضّل الأمّضى]^(٣) أبو مهدي عيسى بن الحسن ، شكر الله مذهبهم ، وحرس شاهد وُدّه وغائبهم ، من اعتدادنا بذلك الملك الرفيع العلّاء ، واستظهارنا بعزماته على الأعداء . والمذكور ، وصل الله أسباب وده ، وشكر حُسن عهده ، وإن أطنب في ذلك بمقتضى مجده ، لا يبلغ^(٤) فيما عندنا من ذلك بعض جدّه ، فغايبته بعيدة المدا ، وما خفي منه أعظم مما بدا . وقد كان المذكور قبل حركتكم من تلمسان ، كتب إلينا معلماً بما تنطوى عليه نيّتكم الصّالحة لهذه البلاد المسلمة ، وتضمّره^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (الإسلام) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (وعرفتمونا) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في الملكية .

(٤) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (مظهره) .

فيها من العزم على نصر الدين وإعلاء الكلمة ، وقرر ما يعلمه فيها من مقاصد جلالكم ، وضمن لها من الفضل [ما يضمن] ^(١) عن أمثالكم . فشكرنا له نية الولي الصريح ، ووثقنا من خبره الحسن الصحيح ، وسألنا الله لنا ولكم الخيرة فيما يقضيه ، والحمل على ما يرتضيه ، وأن يجدد للإسلام بكم عهود اعتلائه ، ويصل لكم بتوفيقه سوابغ آلائه . وعرفتمونا أيضاً أنكم خاطبتم طائفة الروم في تثبيت العهد الذي قد ربطه ، والوفاء بما في الصالح على بلاد المسلمين اشترطه ، لينسحب رواق الأمن على هذه الأقطار بيمن إقبالكم ، ويكون استصحاب العافية بها فاتحة أعمالكم ، ومثلكم من يحرص على اكتساب المكارم الفاخرة ، وتطمح همته ، أبقاه الله ، إلى الجمع بين الدنيا والآخرة . شكر الله عن الإسلام مكارمكم التي تُعنى بتشييد مبانيه وتيسير أمانيه . وطلبتم أن نطلعكم على ماتزيد لدينا بهذه الأقطار من أخبار الكفار ، بمقتضى جلالكم الرفيع المقدار . ونحن نلقي إلى مقامكم : أن هذا الطاغية ، لا أنجح الله سعيه ، ولا سدّد رأيه . لما وصل إليه سلطان ابن عثمان ، وخرج له عن مُضمره ، وألقى إليه ما يجد بركة أثره ، لم يلبث إلاّ يسيراً حتى ظهرت ثمرة الفساد ، وذاعت في أرض العدو حركة الاختشاد ، وكتب يُعرف ^(٢) أن جبل الفتح ، خرج عن شروطه ، في صلّحه ، بما كان من حصول صاحبه في إيالتكم ، وقيامه بدعوة جلال لتكم . فراجعناه نعرفه أن أمير المسلمين بالعدوة لم يبرح عن محله . ولا تقلّص مديد ظلّه ، ولا خرج عن عوايده ، ولا انتقل عن الوكّد ووالده . ونحن عقدنا معه الصالح على تلك البلاد في جملة ما عليه عقدنا ، وأكّدنا عليه من المواثيق ما أكّدنا . ثم تعرّفنا أنه يقصد الجزيرة لمباشرة أمورها ، وكتب إلينا بعض ناسه ، أنه إنما يقصد رندة أو جبل الفتح ، فلم نُقدم عملاً على توجيه مدد الرّماة والفرسان ، صعبة من اخترنا لهذا الشأن

(١) هذه العبارة ساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (يقرر) .

من القواد الأعيان ، وأمرناهم بالمقام به حتى تنزلج الأخبار ، ويظهر ما يبرزه الليل والنهار . ونرجو أن يكون دفاع الله من دوننا مدداً ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً . هذا ما عندنا شرحناه إليكم ، وألقيناه لديكم ، وأنتم تعملون في الإنجاد ، ومعاملة الله في نصر هذه البلاد ، بما يخلد لكم الذكر المسطور الأوراق ، ويتكفل لكم بالنعيم الخالد ، والسعد الباقي . والله تعالى ينصل بمَرْضَاتِهِ سَعُودَكُمْ ، ويبلِّغكم بها مقصودكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصدر عني أيضاً وقد بلغ إعمال حركته
لتمهيد وطن سِجْلَمَاسَة عندما نصير الأمر إليه ،
وحلوله بمدينة مراكش بعد أن قامت تلك
البلاد بدعوته ، وعقدت البيعة له ، وفي عام
أحد وخمسين وسبعماية ما نصه ^(١) :

المقام الذي لسانُ سِنَانِه ^(٢) في حَوْمَة الرَّدْع وميدانه بليغٌ فصيح ، وخبرٌ بأسه
ونداه في مَسْنَد الفخر البعيد مداه غريب صحيح ، ونَسَبُ جهاده المرتقب الحين
في ذُوَابَة النصر العزيز والفتح المبين أَصِيل صريح . مقام محل أخينا ، الذي
آية سَعْدِه ثابتة محكمة ، وَحُلَّةُ مجده ضافية مُعْلِمَة ، وَحِجَّةُ فخره محررة مسلمة ،
وخواطر يقينه مسددة مُلْهِمَة ، وأبواب الحوادث عن مقامه الرفيع مُبْهِمَة ،
ومناسك جوده من وهاد الأرض ونجوده محجوجة ميممة . السلطان الكذا أبي
عنان ابن محل والدنا ^(٣) الذي نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذي هو أهله ،
السلطان الكذا أبي الحسن ، ابن السلطان الكذا [صاحب المكارم الشهيرة ، والمدابر التي
هي أوضح من شمس الظهيرة ، أمير المسلمين] ^(٤) أبي سعيد ابن السلطان الكذا
[المؤيد المعان الأمضى صاحب الجهاد المبرور والسعي المشكور والأجر الموفور أمير
المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين] ^(٥) أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ،
أبقاه الله ، يُسَلِّمُ له الأسدُ الوَرْدُ في وثبات الإقدام ، [ويعترف له العلمُ الفرْدُ
بثبات الأقدام] ^(٥) ويقر له الصباح الطَّلُق بإشراقِ القِسَام ، والغمام الجود
بالآلاءِ الجسام [ولا زال سَعْدِه حاسم الحد حديد الحسام ، وأنباء مجده الماثور

(١) لم يرد هذا العنوان المفصل في الملكية ، واكتفى فيه بعبارة « ومن ذلك »

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (شأنه) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (أبينا) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

تسرى فيها لآيتي المعمور مسرى الحياة في الأجسام [^(١) معظم سلطانه الذي تعظيمه في الوجود محتوم ^(٢) الوجوب ، وصنابعه في جيوب الآفاق ألزم الأطواق من الجيوب ، وحسنات ملكه السعيد ماحية للذنوب ، ولطائف صفحه المبذول يسكن طير الأمل في أوكار القلوب ، وأسرار نصره المذخور مكتتبه السطور في أوراق الغيوب] الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر [^(٣) سلام كريم طيب بر عميم ، كما سفر القمر اللياح عن جبينه] وزوى النسيم اللدن أحاديث الطيب عن دارنيه ، وتلقى عراة المشرق بيمينه [^(٣) ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد حمد الله الذي أضفى على معاطف ملككم الأصيل ، حلل الصنع الجميل ، ففلق جماله ، وراق لباسه ، ويسر لعزمه ^(٤) المنصور مقدمات الظهور ، فأنشج قياسه ، وسل من أمركم المقصود [حساباً] ^(٥) فالجود حده ، والصفح غمده ، والمجد رياسه . ومكن له في أرضه [ليقرضه تعالى من الجهاد فيه حق قرضه] ^(٦) ، فعلت فروعه ، ورست أساسه ، وصحت له حدود المجد سالمة من النقد بما منعته فصوله ، وجمعت أجناسه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، عنصر نور الهدى الذي أضاء الظلم مقباسه ، وينبوع مواد الرحمة الواكف على الأمة مجاسه ، وسيلتنا إلى الله في اليوم العصيب ، والفوز قد أعيا التماسه ، وملجأنا عند الفزع الأكبر إذا غلب الرجا ياسه . والرضا عن آله وصحبه وناسه الكرام وحزبه ، فياحبذا صخبه الكرام وناسه وحزبه ، الذي قام به الحق

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (محترم) والأولى أرجح .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (لعزم) .

(٥) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

قسطاسه ، ما وفى للروض آسه ، ودلت على السحر أنفاسه . [والدعاء لمقامكم
الأسمى بنصر يرتاح لهبوب ريحه مَيَّاد القَنَا المياد وميَّاسه] ^(١) وصنع جميل
يتوفر مجراه وطيب مسراه جَدَل الإسلام وإيناسه ، وفتح تتفتح عن أزهار العناية
الإلهية أطراسه ، ويعنى براوية [فخره] ^(٢) من طُرُسِه الأنيق ، وخيرة ضُحَّاكه
وعُبَّاسِه . فَإِنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يروق اقتباله ، وصنعاً تصيب
شاكلة الرِّشَاد والتوفيق والسَّدَاد نباله ، ونصراً يتوفر جَدَل الإسلام به وينعم باله .
من حَمراء غَرْنَاطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله جل جلاله ، ثم بما عندنا من
التشيع لمقامكم الأسمى الذى تسنت من فضل الله آماله ، إلا الخير المتصل دوامه ،
الدائم اتصاله ، واليسر الذى انفسح لجياد الأمل مجاله ، والحمد لله حمداً يتكفل
بالمزيد رويته وارتجاله . ومقامكم هو عُدَّة الإسلام وأهله ، والمقام الذى يَأْوِى
إلى ظله ، وَيَعْوَلُ بعد الله على فضل عادته وإعادة فضله ، حكم الله للملككم [وقد
فعل] ^(٣) بَأَعْلَا محلّه ، وَأَصْحَبَه الإعانة ^(٤) والتوفيق فى طَعْنِه وحِلّه . وإلى هذا
أَيَّد الله أمركم ، وأعلى فى الملوك المجاهدين قدركم ، فَإِنَّا بحسب ما نطوى لكم
[عليه الضمائر] ^(٥) من وِدَاد أضفى من نُطْف الغمام ، وَأَصَوْن من دُرَر الأزهار فى
أَصْدَاف الكمام . واعتقاد نجدد حلله ، على بلا الأيام ، نرى أن الأيام الماضية ،
إذا اجتازت إغفالاً من خبر سار عندكم نفيده . ووجه مسرة بكم بُبْدِيه أو نُعِيدِه ،
فإنها حصص من الدهر ، لم يقع بها الانتفاع ، وضياع من الزمان استولى عليها
الضياع . فبودنا لولا الموانع ، أن تكون المخاطبة لا تَغِب ، والمكاتبة مطردة كما
نُحِب . ومن لدن تعريفكم إِيَّاناً بما كان من صُنْع الله لكم فى وجهتكم إلى سَجِلْمَاسِه .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (العناية) .

(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

التي كانت لما كتبه الله من ظهور مقامكم عنواناً ، ولما أجمله من خطاب سعادتكم بياناً ، وأنكم شرعتم في فصل البلاد المراكشية التي مناصلها ماضية ، وأغراضها [لديون الآمال] ^(١) متقاضية ، لم تزل النفوس ، تهوى إليكم تشوقاً للأنبا واستطلاعاً ، والحواس التماساً لأخباركم السائرة قد صارت كلها أسماعاً . فما سلكتم من وجهتكم طريقاً إلا اتخذنا القلق رفيقاً ، والتمسنا خبراً يكون بالركون إليه خليقاً ، واعتلقنا من الدعاء لكم بما فيه الخير والخيرة سبباً وثيقاً ، والأخبار مع ذلك أسانيداً مقلّة ، [وطرقها مُختلّة] ^(٢) فمنها المهمل والمقطوع ، والضعيف والموضوع ، لا يجد الترجيح بين متعارضها مسلكاً ، ولا يُقتبس من جملتها نور صدق يجلو من الالتباس حلكاً . فأقمنا نرتقب حديثاً يحصل به العلم ، وينبئ على أصله الحكم ، إلى أن تحقق الآن لدينا ماسناه الله لكم من الاستيلاء على تلك الأوطان [ودخولكم لمستقر أمرها الرفيع الأمر والشأن] ^(٣) وأن الله [تعالى] ^(٤) أجرى لكم عادة الظفر لما شبت نار الحرب ، وعقد لكم صفقة الظهور في سوق الطعن والضرب ، فجنّتم ثمرة العزم عذباً جناها ، واجتليتم وجوه السعد ببهر سناها ، وأن ركابكم استقر [أمره] ^(٥) بمدينة مراكش دار الملك القديم ، والبقعة الطيبة الأديم ، والقطر الذي جمع من المرافق ما تفرق في الأقاليم ، حيث الخيل والخير ، والخطة الفسيحة ، يعيا عن بلوغ مداها الطير ، والجباية الدارة الأخلاف ، والربوع المتوفرة الآلاف ، والمدينة التي رغمت الروم بسعادة نصبتها وشقيت [ولقيت من جزاء نسبتها] ^(٥) نسبتها على الأيام ما لقيت ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الملكية (لرسل الإرسال) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الملكية (ودخولها في طاعة أمرهم على

السلطان) .

(٤) زائدة في الملكية .

(٥) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

ولا تزال تُرهب منها تلك القوة ما بقيت ، وأن سلككم قد اتسق نظامه ، وملككم قد تيسر من الظهور مرامه ، فبادرنا بهذايكم مبادرة الخلوص الذي لا يشوبه الريب ، والتشيع الذي يتساوى منه المحضر والغيب ، وقياماً بحق أخوتكم التي سبق أفضالها ، وكرُمت في سبيل الله أعمالها ، وعلماً بأن نيتكم في الجهاد ، ستشرق بهذه البلاد [غرر] ^(١) محاسنها المجلوة ، ويبرز سر طباعها ، إلى عالم الفعل من عالم القوة . فمن مدينة مراکش [حرسها الله] ^(٢) هبت رياح النصر فيما سلف من الدول ، وفيها تحركت لنصر الدين هيم الملوك الأول ، وطاروا إلى إغاثة هذه البلاد ببيض الصّماح وسُمر الأسل ، حتى قصّوا جناح الشرك ، وأوقعوا وقيع الزلافة والأرك ، ^(٣) ولعلّ الثالثة إن شاء الله ، تُنسب إلى سعادة تلك المدينة التي حلتم ، وهذه الأمنية تكون ثمرة الحركة التي أعملتم . ولا تسلوا عما عندنا لكم من الحب الذي خلّص لبائيه ، وتوفرت والحمد لله أسبابه ، فقد تقرر في مدونة الصديق بابيه ، وتألّق شهابه . فلما أخذ التحقيق مأخذه من هذا الخبر ، واقتضت منه الحكم أدوات النظر ، لبينا من حق هذا الواجب النداء ، وبادرنا قبل فوات الوقت الأداء ، علمنا بأن مقامكم لا يُحجب وجه رضاه عن عُذر ، ولا يلقى من يرد عليه إلا بترحيب وبر ، وبذلك جمع الله القلوب على وده ، وصنع الصنائع لمجده ، وأطلع على الآفاق أنوار سعده . والله سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في كذا من التاريخ .

(١) هذه الكلمة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في الملكية .

(٣) موقعة الزلافة هي الموقعة التي نشبت بين الجيوش المرابطة والأندلسية المتحدة بقيادة يوسف بن تاشفين عاهل المرابطين « والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة وذلك في سهل الزلافة على مقربة من بطليوس ، وأصيب فيها النصارى بهزيمة ساحقة وذلك في رجب سنة ٥٧٩ هـ (أكتوبر سنة ١٠٨٦ م) وكان من نتائجها أن أنقذت الأندلس من خطر الفناء على يد أسبانيا النصرانية ، ولكنها انتهت باستيلاء المرابطين على الأندلس . وموقعة الأرك هي الموقعة التي اضطرت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة في تل الأرك على مقربة من نهر وادي يانة ، ومدينة ثيوداد ريال ، وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وذلك في شعبان سنة ٥٩١ هـ (يوليو سنة ١١٩٤ م) ، وهي التي أسبغت على الخليفة الموحد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، لقبه المنصور .

وكتبت أيضاً عن السلطان أبي الحجاج
ابن نصر للأمير عليّ الناصر بن أمير
المسلمين السلطان أبي الحسن في عرض
التهنئة^(١)

الإمارة التي لم تزل المكارم الراضية ، والعزائم الماضية ، والجلالة الراقية ،
والأعمال الصالحة الباقية . إمارة محلّ أختينا الذي نعظم مجده السامي العجلال ،
ونثني على شيمه الطاهرة الخلال ، ونعتد بوّده الكريم الأقوال والأعمال ،
ونُسَرِّ بما يُسْنِيه الله لعزه الفسيح المجال ، من عوائد اليُمن والإقبال ، الأمير [الأجل
الأعزّ الأسنى الأمجد الأسنى الأرفع الأسعد الأصعد]^(٢) أبي عليّ الناصر ابن محلّ
أبينا الذي نعظمه ونجلّه ، ونوجب له الحق الذي هو أهله ، السلطان [الجليل
الأعزّ ، الرفيع الأسنى الأسنى ، الصلر الأرقى ، الكبير الشهير المجاهد الأمضى ،
المعظم الموقر المبرور المقدس ، المرحوم الأَرْضِيّ أبي الحسن ، ابن السلطان [الجليل
الأعزّ المرفع الأسنى الظاهر الطاهر الخطير الماجد الأسنى ، الإمام العادل الفاضل
الكامل المبرور المقدس أبي سعيد ، ابن السلطان الجليل المعظم الخطير الحافل
الفاضل الكامل الموقر ، المبرور المرحوم أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق]^(٣) ،
أبقاه الله والسعود إليه مبتدرة مُستَبَقّة ، والمسرات لديه منتظمة مُتَسَقّة ، وغرر أيامه
واضحة مشرقة ، والأهواء على محبته متفقة . معظم إمارته الرفيعة العجائب ،
القائم من إجلالها ونشر خلاها بالحق الواجب ، المُشَيّ على ماها من السير الفاضلة

(١) لم يرد هذا العنوان في الملكية ، ورد به فقط (ومن ذلك) .

(٢) ما بين الخاصرتين وازد في الإسكوريال وساقط في الملكية .

(٣) ما بين الخاصرتين وازد في الإسكوريال ومكانه في الملكية (ابن السلطان الكذاب المؤيد المعان
المظفر صاحب الجود الشهير في الإفطار ، والفضل المتألق الأنوار ، والمآثر التي هي أبهى من بحيا النهار .
أمير المسلمين وناصر الدين وقامع الكفر ، المجاهد في سبيل رب العالمين) .

المذاهب ، والأصالة الرفيعة المناسِب : والبسالة الماضية المضارب ، والمكارم التى تشهد بها مواقف الجِلاد^(١) ، وظهور الجِياد ، وصحائف الكتب ، وصفائح الجِلاد ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر . سلام كريم برِّ عميم ، تتأرجح الأرجاء من طيب نفحته ، ويشرق نور الود^(٢) الأصيل عن^(٣) صفحته ، يخصُّ أخوتكم الفاضلة : وإمارتكم الحافلة ، ورحمة الله تعالى وبركانه . أما بعد حمد الله الذى شرح بالتوكل عليه صدوراً ، وجعل الود^(٤) فى ذاته كنزاً مَنخوراً . والأعمال التى تقرب إليه نوراً ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى بعثه بالحق هادياً ، وبالرعب منصوراً . ورفع لدعوته الغالية^(٥) ، لواءً من عنايته منشوراً ، واختاره لإقامة دين الحق ، والأرض قد ملئت إفكاً وزوراً ، حتى بلغ مُلك أُمته . وتبلغ^(٦) ما كان من الأرض معموراً ، والرضا عن آله وأحزابه [وقرباته وأصحابه]^(٧) ، الذين اتسقوا فى قلائد ملته الرفيعة شذوراً ، وطلعوا فى سمائها بدوراً ، وبذاوا نفوسهم النفيسة فى نصِّره وإعلاء أمره ، فكانت شفاعته لهم جزاءً وكان سعيهم مشكوراً ، والدعاء لإمارتكم العالية بالسَّعد الذى يصاحب منها ركانها مدداً موفوراً ، والتوفيق^(٨) الذى يُوسع عملها نُجْحاً وأهلها سروراً . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعداً متجدداً الأحكام ، وصُنْعاً مشرق الأنوار^(٩) وافر الأقسام ، وعرفكم ما عودكم من عوارف

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ومكانها بالملكية (الجهاد) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الورد) وفى الملكية (الود) وهو أنسب للسياق .

(٣) فى الملكية (وعلى) .

(٤) فى الملكية (المودة) .

(٥) فى الملكية (العالية) ونص الإسكوريال أرجح .

(٦) هذه الكلمة زائدة الإسكوريال .

(٧) هذه العبارة زائدة فى الإسكوريال .

(٨) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (التوسيع) وهو تحريف .

(٩) فى الملكية (القسم) .

الإنعام ، وعوائد النصر الواضح الأعلام ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسولہ ، الذى أوضح برهانه ، ثم بما عندنا من التشيع ، فى مقام^(١) محل أبينا ، والدكم السلطان الجليل ، أسعد الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، إلا ما يُرجى من عوائد الله الجميلة أو مننه الجزيلة ، وألطفه^(٢) الكافية الكفيلة . وعندنا من التعظيم لتلك الإمارة الرفيعة ، ما هو أشهر من الشهير ، وأعظم من أن يُحتاج إلى تفسير [فلا تزال]^(٣) تعتد بجانب إخوتها بالغنا^(٤) الكبير ، والدُّخر الخطير ، ونُثنى على مكارمها بالقلم واللِّسان والضمير . وإلى هذا أيد الله إمارتكم وسنى إرادتكم ، وأسعد إدارتكم ، فقد علم الغائب والشاهد ، والصادر والوارد ، ما عندنا لكم من الحب الذى صَفَتْ منه الموارد ، والولاء الذى تَضَوَّعت بطيبه المعاهد . وأننا تعرَّفنا ما كان من قدومكم السعيد على أحواز المَريَّة^(٥) من تلك الأقطار ، وطلوعكم عليها بالغزم الماضى والجيش الجرار . وأن محل والدنا ، وصل الله له علو المقدار ، قدَّم منكم بين يديه مقدِّمة اليُمن والاستبشار ، ورائد السعادة المشرقة الأنوار ، بخلال ما يتلاحق بها ركابُه العالى [قدره]^(٦) على الأقدار وأن مخايل النجح لإمارتكم الرفيعة ، قد ظهرت ، وأدلة الصنع الجميل قد بَهَرَتْ ومن بتلك الجهة^(٧) من القبائل المختلفة فى الطاعة قد ابتردت ، وبإمارتها^(٨)

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (مكارمكم) ، وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (واللطيف) .

(٣) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

(٤) فى الملكية (بالاعتداد) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (المدنية) والتصويب من الملكية .

(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٧) فى الملكية (الجهات) .

(٨) فى الملكية (وبأوامرها) .

الإيمانية قد اَيْتَمَرَتْ ، وإنكم قد أَخَذْتُمْ فِي تَسْكِينِ الْأَوْطَانِ وَتَمْهِيدِهَا ، وَاسْتِئْذَانِ الْعِزَائِمِ وَتَجْدِيدِهَا ، وَإِطْفَاءِ نَارِ الْفِتَنِ وَإِخْمَادِهَا ، وَإِعْلَاءِ أَرْكَانِ تِلْكَ الْإِيَالَةِ وَرَفْعِ عِمَادِهَا . فَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْكِتَابَ نَهْنِشْكُمْ بِمَا سَنَّاهُ اللَّهُ لِمَجْدِكُمُ الرِّفِيعِ مِنْ حَسَنِ الصُّنْعِ ، وَنَقَرُّرُ مَا عِنْدَنَا مِنَ الْوُدِّ الْكَرِيمِ ، وَالْحُبِّ الصَّمِيمِ ، وَنَسْتَفْهَمُ مِنْ أَحْوَالِكُمْ^(١) لَنَكُونَ مِنْ عِلْمِهَا عَلَى السُّنَنِ الْقَوِيمِ ، وَحَتَّى لَا تَزَالَ الْأَسْبَابُ مُتَصِلَةً ، وَالْمَوَدَّةُ جَدِيدَةً مُقْتَبَلَةً . وَلَوْلَا الْعَوَائِقُ الْمَانِعَةُ ، وَالشُّقَّةُ الْبَعِيدَةُ ، وَالْأَمْوَاجُ الْمُتَرَامِيَةُ [الْمُنْدَافِقَةُ]^(٢) لَمْ تَقِفْ الْمَخَاطَبَةُ ، وَلَوْصَلْنَا الْمِرَاسِلَةَ وَالْمَكَاتِبَةَ . وَمَجْدُكُمْ يَقْبَلُ الْأَعْذَارَ الصَّحِيحَةَ بِمُقْتَضَى كِمَالِهِ ، وَمَعْهُودِ أَفْضَالِهِ^(٣) . وَاللَّهُ تَعَالَى يَصْلَحُ لَكُمْ الْأَحْوَالَ ، وَيَسْكُنُ الْأَهْوَالَ ، وَيَبْلُغُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْآمَالَ . [وَلَكُمْ الْفَضْلُ فِي التَّعْرِيفِ بِمَا لَدَيْكُمْ مِنْ أَحْوَالٍ مَحَلِّ أَبْنَا]^(٤) وَصَلَّ اللَّهُ عَوَايِدَ النَّصْرِ أَسْلَاطَانَهُ ، وَتَكْمُلُ بِأَعْلَى أَمْرِهِ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ^(٥) ، وَاللَّهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَلَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ الْمَغْرِبِ

قَلَّتْ أَخَاطِبُهُ عَنِ سُلْطَانِ الْأَنْدَلُسِ مَهْنَشًا

الْمَقَامَ الَّذِي عَالَجَ زَمَانُهُ الزَّمَنَ فَشَفَا ، وَضَمَّنَ لَهُ غَرِيمَ الْقَدْرِ بَاوِغِ الْوُطْرِ فَوْفًا ، وَانْسَدَلَ بِإِيَالَتِهِ عَلَى الْأُمَّةِ لِبَاسُ الْوَقَايَةِ وَالْعَصْمَةِ فَضْفًا ، وَاسْتَظْهَرَ لِلدَّهْرِ بِعَقُودِهِ طَالِبًا إِرْثَ آبَائِهِ وَجَدُودِهِ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ^(٦) اسْتَقْلَ بِالْوَاجِبِ وَاكْتَفَا .

(١) فِي الْمَلِكِيَّةِ (أَحْوَالُ إِخْوَتِكُمْ) .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ زَائِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) فِي الْمَلِكِيَّةِ (فَضْلُهُ) .

(٤) وَرَدَّ مَكَانَ الْعِبَارَةِ الَّتِي بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ فِي الْمَلِكِيَّةِ مَا يَأْتِي : (وَغَرَضُنَا أَنْ نَعْرِفُونَا بِمَا لَدَيْكُمْ مِنَ الْمَتَرِيدَاتِ ، وَالصَّنَائِعِ الْمُتَجَدِّدَاتِ وَبِمَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحْوَالٍ مَحَلِّ أَبْنَا) .

(٥) وَرَدَّ فِي الْمَلِكِيَّةِ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا يَأْتِي : (وَقَدْ كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ صَحْبَةَ هَذَا كِتَابًا غَرَضُنَا مِنْ إِخْوَتِكُمُ الطَّاهِرَةِ أَنْ يَصِلَ إِلَى حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ تَحْتَ عَنَائِتِكُمْ وَوَصَايَتِكُمْ ، وَالرَّعَايَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِذَاتِكُمْ) .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (عَلَيْهَا) .

مقام محلّ أحيانا الذي تُغزّر الدهر لما استحقّه من عزة الأمر برؤود شَنِيب ، وقبة
الفخر قد أحكم منها على مجده الغر وفضله الغمر تَطْنِيب ، ومركب العزة القعساء
لخدمته في الإصباح والمساء^(١) جَنِيب ، ولسان الثنا على حلمه ودينه يتاوه على
الإشهاد من مريته ، إنّ إبراهيم كليم أواه منيب . [السلطان الكذا أبي سالم ابن
السلطان الكذا أبي الحسن]^(٢) أبقاء الله تُضرب [بصدق عزمه]^(٣) الأمثال ،
كما ارتفع لحجته دعوته الإشكال ، فمهما طمحت نفسه إلى غرض بعيد قُرب
منه المنال ، وطأطأت أعناقها الآمال ، وأهطعت الغاية التي لا تُنال . [معظم مقامه
السرور بسعادة آيَّامه ، وما يتصل به من فضل الله وإنعامه فلان . سلام كريم
بر عميم يخص مقامكم ورحمة الله تعالى وبركاته]^(٤) .

أمّا بعد حمد الله مدبّر الوجود ، الذي بيده مقاليد ، الملك الحق الذي ثبت
ببديهة العقل توحيدُه ، جبار [السموات والأرض]^(٥) فالأمر أمره والعبيدُ
عبيدُه ، جاعل الشكر مفتاح المزيد من نِعَمه ، فهو كما وعد يحب الشاكر ويُزيده .
فمن استعان به في المُلَمَّة^(٦) أعانه ونصره ، وأنجده تأييده ، ومن توكل عليه
في المهمات ساعده ما يريده ، ومن تذلل لعظمته ، اشرأب بالِعزّ جيّدُه . والصلاة
على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى الشرف العالى مشيده ، والحمد المتوالى [في
الذكر الحكيم]^(٧) ترديده ، والفخر الذي لا يظال سمكنه ، ولا يخاق جديده [صاحب

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الإساء) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وورد مكانها في الملكية ما يأتي : (السلطان الكذا أبي الحسن ابن
السلطان الكذا أبي سعيد بن السلطان الكذا أبي يوسف ابن عبد الحق) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (بعزم حقه) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية . وورد مكانه في الإسكوريال هذه العبارة فقط (معظم قدركم
فلان سلام عليكم) .

(٥) هكذا وردت في الملكية ، ومكانها في الإسكوريال (السماء) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الملمات) .

(٧) هذه العبارة زائدة في الملكية .

الأمة^(١) الذى امتاز بطاعته شق الخلق وسعيده ، فأصبح الباطل وسيف الحق يده ، وغدا عقد الإيمان ، وهو وثيق السبب شديده . والرضا عن آله وصحبه الذين نصره في حياته بالمعزائم الصادقة ، ويوم الروح لا يتأنى وليده ، وخلفوه في أمته بالاهتداء الذى بان فضله ، وظهر تسديده^(٢) ، وكانوا في سماء ملته كالنجوم المشرقة لمن يبتغى الخير ويستزيده^(٣) . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يطوى المراحل [بريده^(٤)] فيُشبه الغيثُ برودَ البلد الماحل بريده^(٥) ونصراً يقصر على تمهيد الأرجاء على الجهاد الذى هو مطمح الأمل ، والرجاء عدته وعديده ، حتى يزيد عطف المثقف إنشاؤه ، وخد المورد^(٦) توريده ، ويقوم خطيب الحسام [مكبراً بالفتوحات الجسام]^(٧) فيقال هذا اليوم عيده ، وهنا كتم الملك الذى ذخر لنظم مآثركم طويله ومديده . فإذا تذكركم الأفلاك ، ونظمت من الفخر الأسلاك ، فسيفكم سفاحه ، ورأيكم رشيدة . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وساجع شكر الله على الأفواه ، قد طاب بدوحة الصنم الجميل تغريده ، والمسئول فى صلة عوايده وفضله ، من يبدأ الخلق ويُعيده . وإلى هذا هناكم الله ما خولكم ، وبلغكم من فضله أملككم ، فإننا من لدن انبعث عزمكم على طلب حقكم ، وقد تأذن الله فى استخلاصه ، ومطاردة أملككم الذى أجلى الركنُ الحثيث عن اقتناصه ، ونبهكم القدر والحظ المبتر ، والسعد الذى راقى منه الغرر ، فسهل الصعب عليكم وهان الخطر ، وانقاد الوطن وتأتى الوطر ، وبرز إلى الوجود ما تضمنه اللوح المستطر ، لسر من القبول حباه ،

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (معاد فى الأنام) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (تريده) والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويستعيده) .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) ما بين الحاصرتين واردة فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المهند) .

(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

وَحْتَمَهُ لَكُمْ وَأَوْجِبَهُ ، وَمَكَانَ فِي الْإِرْثِ أَسْقَطَ بِهِ مَنْ دُونَكُمْ وَحَجَبَهُ ، لَمْ نَزَلْ
نَسْلَ اللَّهِ [لَكُمْ] ^(١) حَسَنَ الْعُقْبَى وَنُجَّحَ الْمَنَالِ ، وَنَتَشَوَّفُ ^(٢) إِلَى مَا نُرِيدُ مِنْ
قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَنَتَلَقَى مَا يَرِدُ مِنْ أَنْبَاءِكُمُ الْمَعْرَبَةِ عَنْ سَمَوِ الْقَدَرِ ، وَالسَّعَادَةِ
الْمُشْرِقَةِ الْبَدْرِ بِانْشِرَاحِ الصُّدْرِ ، إِذْ لَمْ تَوْسِعِ الْأَحْوَالُ الْمُتَعَارِفَةَ عِنْدَنَا زِيَادَةَ عَلَى
هَذَا الْقَدَرِ ، إِلَى أَنْ طَلَعَ عَلَيْنَا كِتَابِكُمْ الْأَسْنَى مُتَحَفًّا بِثَمَرَةِ السَّعْدِ ^(٣) طَيِّبَةِ
الْمَجْنَى ، قَدْ تَأَسَّسَ مِنْهُ عَلَى الْوَفَاءِ وَكَرَمِ الْعَهْدِ الْمُبْنَى ، وَتَطَابَقَ مِنْهُ فِي مَقَاصِدِ
الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، وَأَطْلَعْتُمُونَا طَلَعَ الْأَنْبَاءِ ، الَّتِي لَمْ يَزَلْ التَّشَوُّفُ
يَحُومُ حَوْلَ حِمَايَا ، وَالشَّفَقَةُ تَنْزَاحُ عَلَى مُنْتَمَايَا ، وَتَسْرِعُ الْأَفْكَارُ إِلَى فِكِّ
مُعَمَّايَا ، وَأَنْتُمْ مَا زَلْتُمْ تَرْفُلُونَ فِي لَطَائِفِ رَفَقِ اللَّهِ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَتَتَوَسَّدُونَ مِنْ
صَنَائِعِهِ وَعَنَائِيَتِهِ سَحْرًا وَنَحْرًا ، إِلَى أَنْ نَقْلَكُمْ مِنْ صَدْرِ ^(٤) الْفَلَكَ إِلَى سَرِيرِ
الْمُلْكِ ، مَرْتَجِي ثَمَرَةَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ شَجَرَةِ الْفَلَكَ ، وَسِيقَ عَلَى أَزْهَارِ الْأَنْوَارِ
كِمَائِمِ الظُّلَمِ الْحَلْكَ ، فَتَأَرَّجَتْ نَوَاسِمُ الْقُبُولِ مِنْ مَهْبِئَتِهَا ^(٥) ، وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
بِنُورِ رَبِّهَا ، وَتَذَكَّرَتْ ^(٦) الرِّعَايَا صَنَائِعِ وَالِدِكُمُ الْمُقَدَّسِ فَدَعَتْهَا ، وَانْصَبَّتْ لِدَعْوَةِ
الْحَقِّ فَرَعَتْهَا ، وَأَقَامَ اللَّهُ بَدَارَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ الْأَصْلُ وَالرِّيَاشُ الَّذِي مِنْهُ يَمْسُكُ
النَّصْلُ ، مِنْ حِمَى الْحَوْزَةِ ^(٧) ، وَأَحْيَا الْعِرَاسَةَ ^(٨) وَأَجَزَلَ ^(٩) فِي حِفْظِهَا عَلَيْكُمْ
الْجَزَالَ وَالصَّرَامَةَ ، بِمَا يَسْتَوْجِبُ بِهَا هُوَ وَعَقِبُهُ مِنْكُمْ الْحِفْظُ وَالْكَرَامَةُ ، فَلَمْ
يَجِدْ عَدُوَّهُ الْحِيلَ ، وَلَا نَفَعَ الْحَصْرَ ، حَتَّى نَزَلَ بِمَصَارِحَتِكُمْ إِيَّاهُ النَّصْرُ ، وَسَعَدَ

(١) زائدة في الملكية .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونشرف) والتصويب في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العز) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سرير) .

(٥) وردت في الإسكوريال ، (حبا) والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا في الإسكوريال وفي الملكية (وتذاكر) .

(٧) وردت في الإسكوريال (العورة) والتصويب في الملكية .

(٨) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العرافة) .

(٩) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وينزل) .

بدعوتكم العَصْر [وارتاح إلى محياكم القصر]^(١) ووردت عليكم الوقود تجر ذبول الأمل ، وتَسْتَشعر النشاط من بعد الكسل ، وتراجع الوفا المعهود ، وتذكر الحقوق السالفة والعهود ، وأنكم حثثتم السير إلى الحضرة التي فارقتم مطاعها هلالاً ، فقدمتم اليوم عليها بَدْرًا ، وارتاحت إلى لقاءكم على مر الأيام ، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا ، وأن وزيركم شكر الله وفاه ، وجعل معروف اعتقادكم الجميل كفاه ، وجه آلات الملك الذي يُستظهر بها الأمر العزيز ، ليكون بها على المدينة التبريز ، وقررت ما سلكتم بيمن أظفر الله به أمركم ، وشفا بالقدرة عليه صدركم ، من عفو عن دم ، وإيجاد بَعْدَ عدم [ورعي بعد رمم ، وإيثار عادة فَضْل موروث وكرم]^(٢) فاستوفينا ما قررت من مقاصد نظمت البلاغة شذورها وجَلَّتْ ظلم الحبر نجومها القاتمة وبدورها ، وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فزاد الخبر إيضاحاً ، وأفاد بشرح الجزئيات التي غايتها^(٣) الصدور انشراحاً ، فقابلنا نعم الله عليكم بشكره وحمده ، وسألنا لانا ولكم مزيد فضله ، فكل نعمة من عنده ، وقلنا دُخْرُ ثمين انتظم بعقده ، وحسام ماض عاد إلى غمده ، وفرع كريم ، استقل بمنبت أبيه وجده ، وما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِك لها ، وما يُمْسِك فلا مُرْسِل له من بعده ، ثم ثنينا [العنان]^(٤) إلى شكر مجدكم الذي لا ينكر حقه ، ولا تلبس في الأصالة طرقه ، فالجواد لا ينكر سبقه ، والغيث يدل عليه برقه ، وتيقنا بما قررت من استشعار العفة عمن^(٥) قصدكم من طوائف الناس ، على اختلاف الأجناس ، وخفضتم جناح الإيناس ، وسلامة الصدور [وذهاب الباس ، وسررنا والله العليم بخفايا الصدور]^(٦) وموارد الأنفاس ،

(١) هذه العبارة وأردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد بالملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (عائنها) والتصويب من الملكية .

(٤) هذه الكلمة وأردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (على من) والأولى (أرجح) .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

سروراً ننازعكم منه فضل اللباس ، وفضلة ذلك الكاس ، فإن اتصال الحقوق إلى أهلها ، وكون رتب الآباء ، تستقر في لاحقٍ بها من بنيتها ، مما جُبلت النفوس على استحسانه وإيثاره ، ويجده كل قلب وفق اختياره . فكيف إذا تعاضد ذلك وُدٌّ متوارث عن السلف ، محفوظ^(١) بدره عن الكلّف . فنحن نهنيكم والهنا شامل ، ونؤمل لكم المزيد ، والله لا يخيب لديه آمل ، ونسله أن يسعدكم بما صار لكم ، ويجعل في طاعته عملكم [ويشكركم فيمن شكر آلاءه ونعمه ، وذكر فضله وكرمه]^(٢) وهو تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (محوط) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

ووصلت الأخبار بما جرت به الحادثة من دخول
عدو قبرس مدينة الإسكندرية ، ثم رجع
المسلمون إليها ، وتدارك السلطان بمصر أمرها ،
ورام أخذ الثأر من العدو ، وأنشأ الأساطيل ،
صدرت مخاطبة السلطان بالأندلس رضى الله
عنه من إملأى ما نصه ، وتوجه الرسل بذلك
إلى بابہ

الأبواب الشريفة التي تَعْنُو لِعِزَّةِ قَدَرِهَا الأبواب ، وَيُعْتَزَى ^(١) إلى نسب عدلها
الحكمة والصواب ، وتناديها الأفطار البعيدة مفتخرة بولائها ، واصله السبب
بعلائها ، فيصدر بما يشفي الجوى منها الجواب . فإذا حَسُنْ مناب عن أئمة الهدى ،
وسبأى المدى ، كان منها عن عمومة النبوة النَوَّاب ^(٢) ، وإذا أَضَفْتَ على العفاة
بغيرها أثواب الصلاة ، ضَفَّتْ منها على الكعبة المقدسة الأثواب ، أبواب السلطان
الكبير الجليل الشهير ، الظاهر الطاهر ، الأَوَّحد الأَسعد ، الأَصعد الأَمجد الأعلى ،
العاذل ، العامل العالم الفاضل الكامل ^(٣) ، [سلطان العدل ، وحيد الفضل] ^(٤) ، جمال
الإسلام ، عَلَّمَ الأَعلام ، فخر هذه ^(٥) الأيام ، ملك البرِّين والبَحْرين ، مؤمِّل
الأَمْصار [والأَفطار] ^(٦) ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج والتُّتَّار ،
الملك المنصور ، أبو الفُتُوح شعبان ، ابن الأمير الرفيع المجادة ، الكريم البنوة
والولادة ، الظاهر الطاهر ، الكبير الشهير ، المعظم الممجد الأسمى ^(٧) ، الموقر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي صبح الأعشى (وتمتري) . وفي الملكية (تمتري) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي الملكية (الكتاب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والملكية . وفي الصبح (الكافل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت مكانها في الملكية والصبح (سلطان الإسلام

والمسلمين رافع ظلال العدل على العالمين) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصحيح والملكية (الليالي) .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الملكية والصبح .

(٧) زائدة في الصحيح والملكية .

الأعلى ، فخر الملة ، سيف الأمة ، تاج الإمارة ، عز الإسلام ، جمال الأنام ،
 قمر الميادين ، أسد أجمة الدين ، سهام الطغاة والمعتدين ، المقدس ، المظفر ، الأمير
 أبي حسن ، ابن السلطان الكبير الشهير ، ملك الإسلام وأبو السلاطين ^(١) ،
 سيف خلافة الله في العالمين ، ولي المؤمنين ، وظهير ^(٢) الدين ، سلطان الحج
 والجهاد ، وكاسي الحرم الأمين ، قانع المعتدين ، قاهر الخوارج والتمردين ،
 ناصر السنة ، محيي الملة ، ملك البرين والبحرين ، مقيم رسوم الحرمين الشريفين ،
 العامل العالم ، العامل الظاهر ، الظاهر الأسعد ، الأصعد الأوحد ، الأعلى المنصور ،
 المؤيد المعان ، المرفع المعظم ، المبجل المؤمل ، المجاهد الم رابط الغازي ، أبو عبد الله
 محمد ، بن قلاوون الصالحى ، أبقاه الله ، وفلق الإصباح ^(٣) يشهد بكماله ،
 وخليفة الحرمين الشريفين ، طراز مذهب على حلة أعماله ، ومسورات الإسلام
 آمنة على طول الأيام من إهماله ، ولا زال ركناً للدين الحنيف ، تنزاحم على
 مسئلمه الشريف شفاه آماله . [سلام كريم بر عميم ، كما استودعت الرياض
 أسرارها صدر النسيم ، وأرسلت مظالم الفجر أنهارها من بحر الصباح الوسيم ،
 يسرى من الطيب والحمد المستطيل ، المطيب في الصوان الكريم ، ويقف مواقف ^(٤)
 الأدب والفهامة ، بما استخفظ من الإمانة ، إلى مجال ^(٥) الإمامة ، وقوف الحفيظ
 العلیم ، يعتمد مشاريع تلك الأبواب الشارعة إلى الفضل العميم ، المقابلة لديمام
 وسائل الإسلام بالصدر المشروح ، والبر الممنوح ، والقلب ^(٦) السليم . من معظم
 سلطانه ، ومجل شأنه ، المفتخر بالانتظام فى سلك خلصاته ، أمير المسلمين

(١) هكذا فى الإسكوريال والصبح . وفى الملكية (والمسلمين) .

(٢) هكذا فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (ظاهر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (الصباح) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (موقف) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (محل) .

(٦) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (الصدر) .

بالأندلس ، عبد الله ، الغني^(١) بالله ، محمد بن يوسف [بن اسماعيل بن فرج]^(٢)
ابن نصر ، بلغه الله من رضاه أقصى سُؤله ، وأعانه على جهاد عدو الله وعدو
رسوله .

أما بعد حمد الله الذي جعل قلادة الإسلام على الدوام ، آمنة من الانحرام
والانتشار ، مفصلة النظام بحرز المآثر العظام والآثار ، مُعرف أهلها في حُزن
البسيطة وسهّلها ، عوارف الصُّنع المثار ، وإقالة العثار ، القوى العزيز ، الذي
لا يُغالب قدره بالاحتشاد والاستكثار ، ولا يُبدّل غيبه المحجوب ، بعد ما عين
حكمه للوجوب في خزائن الاستبشار ، حتى تظهر خبيثة عنايته بأوليائه ، المعترفين
بآلائه باديةً للأبصار ، فيما قُربَ وبُعدَ من الأعصار ، ورحمته عند الاستغاثة به
والانتصار ، في مختلف الأقطار والأمصار ، الولي الذي [لا تكدر هبات]^(٣)
فضله شروط الاعتصام ، ولا يشين خطبَ حمده ضرائر الاقتصاد والاختصار .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، نُخبة الأكوان [وسرّ الدهور والأزمان
وفائدة]^(٤) الأدوار ، نور الله المتميز باختصاصه ، واستِصفائه^(٥) واستِخلاصه ،
قبل خلق الظلمة والأنوار ، ورحمته الوارفة الشاملة الهامية ، الهاملة على الهضاب
والوهاد ، والنَّجاد والأغوار ، أقرب^(٦) عوالم الشهادة والخلق إلى حضرة الحق ،
على تعدد الرتب وتفاضل الأطوار . منقذ الناس من البوار ، ومُبوّثهم من جوار
الله خير الجوار ، نبي الرحمة والجهاد ، والغوار ، المنصور على الأحزاب ، عندما
استداروا بمُتوَى نُبوّته على الأُطم والأسوار دور السوار ، انواعد عن ربه بظهور

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والصبح (الغالب) .

(٢) هذه الزيادة واردة في الملكية والصبح .

(٣) وردت في الإسكوريال فقط (لا تك) (٠٠٠٠) وبمدها بياض والإستكمال من الملكية والصبح .

(٤) ما بين الحاصرتين واردة في الملكية والصبح وساقط في الإسكوريال .

(٥) وردت في الإسكوريال والملكية (واستضافته) والتصويب من الصبح .

(٦) هكذا في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (أمره) وهو تحريف .

دينه الحق على الأديان ، فمهما أوقدوا ناراً ^(١) تكفل الله بإطفاء النار وإخماد الأوار . والرضا عن آله وأصحابه حُماة الذَّمار ، ومُقْتَحِمِي الغِمار ^(٢) ، وباذل كرام الأموال من دونه ونفائس الأعمار ، القائمين في سَمَا مِلَّتِه للاهتداء بسننهم والاعتقاد بسُنَنِهم ، مقام النجوم الهادية والأقمار ، ما صقلت مدارس النسيم سيوف الأنهار ، وخجل الورد من تبسم البهار ، وغازلت عيون [زهر المجرة عيون] ^(٣) الأزهار ، وطرد أدهم الليل أشهب النهار ، والدعاء لتلك الأبواب المتعددة الحجاب [المعودة] ^(٤) باجتلاء ^(٥) غرر الفتوح ، والمطالع المشيدة المصانع ، على العزِّ الممنوح ، والأواوين المؤيدة بالدواوين ، بالملائكة والروح ، بإعلاء المظاهر والصورح ، وأناره الله بأهله تلك السروج ، ساحات تلك السروج ، ولا زالت أقلام بشائرها تأتي على سورة الفتح بأكمل الشروح . فإِنَّا كَتَبْنَاهَا لِمُثَابِتِكُم السلطانية ذات العزِّ الأحمى ، والمُلك الأشرف الأسمى ، والصَّيت البعيد المرمى ، كتب الله لها من عنايته - وقد فعل - أوفر مقاسم التَّعْمى ، وجعل غيث نواها الأهمى ، وحظ جلالها من الله الحظ الأنمى ، ودامت كواكب سعودها تمزق جلابيب الظلماء ، وأخيار بأسها وجودها ، وسعادة وجودها ، [تهديها على البعد] ^(٦) ركائب الدَّماء ، وترفرف برياح ارتياحها أجْنَحَة بنات الماء . من منزلنا المَحْبُور بسعادة سلطانكم المنصور ، وخزى عدوه المدخور ، بحمرَاء غَرْنَاطَة ، دار ملك الجهاد بجزيرة الأندلس ، والى الله عنها الدفاع ، وأنار بِمَشْكَاة نوره ، الذى وعد بإتمامه ، الأعلام منها والأيفاع ، ووصل لها بِشَرَف مخاطبتكم الارتِفاع والانتِفاع ، حتى تشفع بتهانيكم الأوتار ، ونور الإشفاع ، وآلاء الله لدينا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والملكية . وفي الصبح (نار الحرب) .

(٢) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (الغار) ، وهو تحريف .

(٣) ما بين الخاصرتين وورد في الملكية والصبح وساقط في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية والصبح وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (باختلاف) وهو تحريف .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية والصبح . وساقطة في الإسكوريال .

[بنعمة دين الاسلام علينا] ^(١) قد أَخَجَلَت اللسان الشُّكُور ، وإن اسْتَنْفَدَتْ ^(٢) الرُّواح والبُكُور ، والثقة بالله في هذا الثغر الغريب قد كَثُرَت العدد المَنْزُور ، والحق الصالح قد كافح الزُّور ، والتوطين على الشهادة قد شرح الصُّدُور ، واقتطع في الجنة المنازل والدور ، والمعرفة بمقام تلك الأبواب الشريفة ، عقائد لا تُبَدَّل ، وأدواح علائها حمائم الحمد بها تَهْتَدِل ، ومحافل ^(٣) ثنائها تَتَرَاكُم في سائها الألوَّة والمنْدَل . والحال ما علمتم بحر زاهر الأمواج ، وعدو وافر الأفواج ، وجياد ضَمَرَتها مصابرة الهياج ، وداء على الأيام متوقع الاحتياج ^(٤) ، وعدد إلى [الإمداد والإصرار] ^(٥) عظيم الاحتياج . فالنفوس إلى الله تَجْهَر وتسلم ، والصبيان في المكاتب تُدَرَّب على مواقف الشهادة وتُعَلَّم ، والألسنة بغير شعار الإسلام ^(٦) لا تَنبِس غالباً ولا تتكلم ، إلاَّ أن عادة الخبير اللطيف ، تخفيض الذعر المُطِيف ، ونَصْر النَّزْر الضعيف على عدد التَّضْعِيف ، والحال تُزجى ^(٧) بين الحرب والسلام ، والمكاملة ، والكلم ، وتأميل الجبر ، وارتقاب عاقبة الصبر ، على حُماة الدبر . وإلى هذا فإننا اتصل بنا ما رامت المروم من المَكِيدَة التي كان دفاع الله من دونها سداً ، والملائكة الكرام جُنُداً ، والعصمة سُوراً ، والروح الأمين مَدَداً منصوراً ، وأنها اسْتَنْفَدَتْ الوُسْع في احتشادها حتى ضاقت اللُّجج عن أعوادها ، وبلغت المجهود في استنفارها ، حتى غُصَّ كافر البحر بكفارها ، يصيح بهم التَّأليب ^(٨) ، ويذمُّرهم ^(٩) الصليب ، وسوَّل لهم الشيطان كِيادة ثغر الإسكندرية شجى صدورهم ،

(١) هذه العبارة واردة في الملكية والصبح . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) وردت في الملكية والإسكوريال (استبدت . استبعد) والتصويب من الصبح .

(٣) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (حاتم) .

(٤) هكذا وردت في الملكية والصبح وفي الإسكوريال (الهياج) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية والصبح (الإصرار والإنجاد)

(٦) هكذا في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (الألسنة) مرة أخرى .

(٧) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (ترجا) .

(٨) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (التأليف) وهو تحريف .

(٩) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (ويوثق بهم) .

وَمَرَمَى آمَال^(١) غُدُورِهِمْ ، وَمَحَوَّ قَدِيمِهِمْ ، وَمَتَعَلَّلَ غَرِيمِهِمْ ، لِيَهْتَمُوا ثُغُور^(٢) الإسلام بصدمتها ، وَيَقْدُودُوا جَنَابَ السَّوَّاحِلِ فِي رَمْتِهَا ، وَيَرْفَعُوا عَنْ دِينِهِمُ الْمَعْرَةَ ، وَيَتَلَقَّفُوا فِي الْقُدْسِ كُرَّةَ الْكُرَّةِ ، وَيَفْصَلُوا مَا أَمْتَدَ مِنْ ظِلَالِ الْإِسْلَامِ ، وَيُثْبِلِمُوا سَيُوفَ التَّغْلِبِ عَلَى الشَّامِ ، وَيَحُولُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَيْنَ مُحِطِّ أَوْزَارِهِمْ ، وَحُجَّتِهِمْ وَمَزَارِهِمْ ، وَبَيْتِ رَبِّهِمْ ، الَّذِي يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، وَيُرَكِّبُونَ إِلَيْهِ نَهْجَ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَقَبْرَ نَبِيِّهِمُ الَّذِي يَطْفِئُونَ بِزِيَارَتِهِ مِنَ الشُّوقِ كُلَّ حَرِيقٍ ، وَيُكْجِلُونَ الْجَفُونَ بِمُشَاهَدَةِ آثَارِهِ عَنْ بَكَاءٍ وَشَهيقٍ ، وَشَوْقٍ بِذَلِكَ الْحَبِيبِ خَلِيقٍ ، وَيَقْطَعُوا حَبْلَ الْمُسْلِمِينَ بِحَيْثُ^(٣) لَا يَتَأَتَّى بِلُغٍ فَرِيقٍ ، وَلَا غَرَضَ تَشْرِيقٍ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاهِهِمْ مُحِيطٌ ، وَبِدِمَائِهِمْ مُشِيطٌ ، وَبِعِبَادِهِ بَصِيرٌ ، وَلِدِينِهِ الْحَقُّ وَلِيُّ وَنَصِيرٌ « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ ظَمَأَ^(٤) جَرَادُهُمْ ، وَخَلَّصَ إِلَيْهَا مَرَادُهُمْ ، وَفَاضَ عَلَيْهَا بِحَرْمِهِمْ ، وَعَظَمَ [مِنَ الْمَحْلُوكِ]^(٥) أَمْرَهُمْ ، حَتَّى اشْتَرَكَ الشُّرَكَ بَعْضُ أَسْوَارِهَا ، وَنَالَ النَّهْبَ^(٦) بِمُسْتَطَرَفِ دِيَارِهَا ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا الْوَهْيَةَ الَّتِي لَا تُرْفَعُ ، وَالْمَصِيبَةَ الَّتِي غُلَّتْهَا لَا تُنْقَعُ ، وَاشْتَمَلَ الْبَاسُ ، وَذَعَرَ النَّاسُ ، وَأَرَى الشَّدَّةَ مِنْ يَتَدَارَكَ بِالْفَرْجِ ، وَأَعَادَ إِلَى السَّلْعَةِ مِنَ الْحَرَجِ ، وَأَنْشَأَ رِيحَ النَّصْرِ عَاطِرَةَ الْأَرْجِ ، وَنَصَرَ جَزْبَ الْإِسْلَامِ ، مِنْ لَا غَالِبَ لِمَنْ يَنْصُرُهُ ، وَحَصَرَ الْعَدُوَّ بِخَصْرِهِ [مَنْ كَانَ الْعَدُوَّ يَحْصُرُهُ]^(٧) وَظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْحَالِي بِزِينَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَاطِلِ ، فَخَرَجَ الْعَدُوَّ [الْخَاسِرَ عَمَّا حَازَهُ]^(٨) وَالسِّيُوفَ تُرْهِقُهُ حَيْثُ تَلْفِيهِ ، وَالسَّهَامَ تُثْبِتُهُ

(١) هكذا وردت في الصحيح . وفي الإسكوريال (أعمال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية والصحيح (ثغر) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية والصحيح (حتى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والملكية . وفي الصحيح (حما) .

(٥) هذه العبارة واردة في الملكية والصحيح . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الملكية والصحيح . وفي الإسكوريال (الدهر) .

(٧) هذه العبارة واردة في الملكية والصحيح . وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هذه الزيادة واردة في الملكية والصحيح . وساقطة في الإسكوريال .

وَتَنْفِيهِ ، وَغَرْمَاءُ كَرَّةِ الْإِسْلَامِ تَقْتَضِي مِنْهُ دِينَهَا وَتَسْتَوْفِيهِ ، وَالْخِزْيُ قَدْ جَلَّلَ
سُبَالَهُ الصُّهْبُ ، وَحِثَاءُ الدِّمَا قَدْ خَضَّبَتْ مَشِيخَتَهُ الشُّهْبُ ، وَالْغَلَبُ قَدْ أَخْضَعَ
رِقَابَهُ الْغُلَبُ ، فَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ أَرْدَتْهُ دُرُوعُهُ [لَمَّا حَشَى بِالرُّوْعِ رُوعَهُ] ^(١) وَطَعِينَ
نُظِمَتْ بِالسَّمْهَرَى ضُلُوعُهُ ، فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ، وَأَحَقَّ اللَّهُ الْحَقُّ
بِكَلِمَاتِهِ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، وَ « كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَبِيرَةٍ بِإِذْنِ
اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » . فَأَيَّ رَحْمَةٍ مَشْشُورَةٍ ضَمَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ ظِلَالُهَا ،
وَحُطَّةَ نِعْمَةٍ اتَّسَعَ نَاطِقُهَا وَرَحُبَ مَجَالِهَا ، وَمَجْلَى صَنِيعَةِ رَاقِ عَيُونِ الْمُؤْمِنِينَ
جَمَالُهَا ، وَاهْتَزَّتْ بِهَا الْأَرْضُ وَرَبَّتْ ، وَبَشَكَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَعْرَبَتْ ، وَاسْتَبَشَّرَتْ
[النُّفُوسُ] ^(٢) وَذَهَبَ الْبُؤْسُ ، وَضُنِيَ بِمَنَّةِ اللَّهِ اللَّبُؤْسُ ، وَظَهَرَتْ عَنَايَةُ اللَّهِ
بِمَقَامِكُمْ ، وَإِقَالَةُ عَشْرَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَيَّامِكُمْ ، فَمَا كَانَ سَبْحَانَهُ لِيُضْمِعَ لَكُمْ خِدْمَةَ ...
الْحَرَمَيْنِ ، وَأَنَّهَا الْوَسِيلَةُ الْكُبْرَى ، وَالذَّرِيعَةُ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى ، وَهِيَ
عَهْدَةُ اللَّهِ الَّتِي يَصُونُهَا مِنْ كُلِّ اهْتِضَامٍ ، وَقِلَادَتُهُ الَّتِي مَا يَتْرَكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ .
وَكَانَ مِنْ لَطَائِفِ هَذَا الْفَتْحِ الَّذِي أَجْزَلَ الْبَشَرَى ، وَأَوْسَعَ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ نَشْرًا ،
وَرُودُهُ بَعْدَ أَنْ شَفِيَتْ الْعَلَّةُ ، وَنُصِرَتْ الْمَلَّةُ ، وَبَعْدَ أَنْ جَفَاَ الدَّهْرُ وَتَجَاوَا عَادَا ،
ثُمَّ صَافَا ، وَهَجَرَ وَوَافَى ، وَأَمْرَضَ ثُمَّ عَافَا ، فَلَوْ وَرَدَ مَقْدَمُهُ ثُمَّ تَالِيهِ ، وَنَقْدُهُ
مَتَأَخَّرَ عَنْ كَالِيهِ ، أَوْ كَانَتْ أَوَاخِرُهُ بَعِيدًا مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَالِيهِ ، لِأَوْجَسَتْ
الظُّنُونُ وَسَاءَتْ ، وَبَلَغَتْ الْهُمُومُ مِنَ النُّفُوسِ مَا شَاعَتْ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ كَالْجَسَدِ
يَتَدَاعَى كُلُّهُ لِنَاقِلِهِ بَعْضُهُ ، وَيَتَسَاهَمُ إِخْوَانُهُ فِي بَسْطِهِ وَقَبْضِهِ ، وَسَمَاوُهُ مَرْتَبِطَةٌ
بِأَرْضِهِ ، وَنَفْلُهُ مَتَعَلِّقٌ بِفَرْضِهِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَفَّفَ الْأَثْقَالَ ، وَزَارَ
وَأَقَالَ ، وَسَوَّغَ فِي الشُّكْرِ الْمَقَالَ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَإِنَالَةَ الْمَطْلُوبِ . وَإِنْ
وَجَدَ الْعَدُوُّ طَعْمَ الْإِسْلَامِ مَرًّا لَمَّا ذَاقَهُ ، وَعَوَدَهُ صُلْبًا فَمَا أَطَاقَهُ ، وَرَفَعَ عَنْ

(١) واردة في الملكية والصبح . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الملكية والصبح ، وفي الإسكوريال (حرمة) .

طريق بيت الله ما عاقه ، وقاد إليكم في بيوتكم فضل الجهاد وساقه ، وردَّ المَكْرَ السَّيِّءَ على العدوِّ وأحاقه . فما كانت هذه المكيدة ، إلَّا داهيةً للكفر طارقةً ، ونكبةً لعُصْبِ التَّثْلِيثِ غارقةً ، ومعجزةً من آثار النبيِّ الشَّريفِ لهذا الدينِ المُنيِفِ خارقةً ، استأصلت العدوَّ والمال ، وقطعت للعدوِّ الآمال ، وأوهنت اليَمِينَ والشَّمال . فبادرنا عند تَعَرُّفِ الخِبرِ المُخْتَالِ من أثوابِ المسرةِ في أَبْهَى الحِجَرِ ، المَهْدَى أعظمِ العِبرِ ، إلى تَهْنِئَتِكُمْ ، تَطْيِيرِهَا أَجْنَحَةُ الارتِياحِ ، مَبَارِيَةَ للرِّيَّاحِ ، وتستفزنا دواعي الأفراح ، بحسبِ الوُدِّ الصَّراحِ ، وكيف [لا يُسرُّ اليسارَ بيمينه] ^(١) ، والوجه بجبينه ، والمُسلمُ بدينه . وخاطبناكم مهنئين ، ولولا العوائق التي لا تَبْرَحُ ، والموانع التي وضحت حتى لا تُشْرَحَ ، ومكابدةُ هذا العدو الذي يَأْسُو الدهرَ به ويَجْرَحُ ، لم نَجْتَزِ بإعلامِ القلمِ من إعمالِ القَدَمِ ، حتى نتشرف بالوُرُودِ على تلك المَثَابَةِ الشَّريفةِ ، ونَمْتَازَ بزيارةِ الأبوابِ المُنيفةِ ، فَيَقْضَى الفَرَضُ تحت رعيها ، وبركةِ سعيها ، لاكنَّ المرَّةَ جَنِيبَ أَمَلِهِ ، ونِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ من عَمَلِهِ . فهُنِيئاً بما منحكم ^(٢) الله من ظَفَرٍ شهدت برضى الله مراسمُهُ ، وافترت عن ثُغُورِ العنايةِ الرِّبَّانيةِ مباسمه ، وتوفرت لديكم مواهبه ومقاسمِهِ ، وهنئى البيتِ المقدسِ ، مكان فضل الله ومنه ، وسلامةِ مِجَنِّهِ ، والإسلامِ عَصْمَةَ ثَغَرِهِ الْمُؤَشِّرِ ، وطهارةِ كتابهِ الْمُنْشَرِّ ، وجمالِ عِوَانِهِ ، وقِفْلِ صِنْوَانِهِ ، وبابِ إِيوَانِهِ ، بِمَرْفَأِ الْفُسْطَاطِ ، ومركزِ لَوَاءِ الرُّبَاطِ ، ومحلِّ رِحَالِ الاغْتِيَابِ ، ومُتَخَيِّرِ الإسْكَندَريَّةِ عن البناءِ والاختطاطِ . ومما زادنا بُجْحاً ^(٣) بهذا الفتحِ وسروراً زائداً بهذا المنحِ ، ما تحقَّقنا أَنَّهُ يَشِيرُ من شَفَقَةِ الْمُسْلِمِينَ لهذا القطرِ الذي لا يَزَالُ يَطْرُقُهُ ما طَرَقَ الإسْكَندَريَّةَ على مرِّ الأَيَّامِ ، ويُجْلِبُ عليه بَرّاً وِبحراً عَبْدُهُ الْأَصْنَامِ ، بِحَيْثِ الْبِرُّ مُوصُولُ ، والكُفْرُ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ يَصُولُ ، ونيرانُ الْجَوَارِ مُتَرَامِيَةٌ لِلْعِيَانِ ، والفِرَاسُخُ الْقَلِيلَةُ

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية والصبح . ووردت في الإسكوريال كالأتي (الأيسر بيمينه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والملكية . وفي الصبح (خولكم) .

(٣) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (نهجا) .

متوسطة بين مختلف النحل والأديان ، والعدد لا يُنسب ، والصريح إلا من عند الله لا يُحسب ، فتتجددنا بالدعاء ألسنة فضلائه ، وتسهمنا خواطر صالحيه وأوليائه ، والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه ، ويعرفنا بركة خاتم أنبيائه ، وينصُرنا في أرضه بملائكة سمائه . وقد كان اتصل بنا في هذه الأيام الفارطة الذخر الذى ملاً اليد استكثاراً ، والجَلَد استعداداً واستظهاراً ، وألهمهم فخاراً ، وأضاء القطر أنواراً ، جوابكم الكريم ، يشيم من نفحاته شذى الأخضر^(١) والجليل ، ويلتمس من خلال حافاته بركات الخليل ، ويقرب الوجوه به آثار المعاهد ، ويلتمح من ثنابا بوارقه بوارق الفوائد^(٢) ، فأكرم به من وافد مخطوب ، وزائر مرّقوب ، صدعنا به في حفل الجهاد انتحاءً وافتخاراً ، ثم صنّاه في كرائيم الخزائن اقتناءً للخلف وادخاراً ، وجعلنا قراه [شكر العباد رَوْضاً معطّراً]^(٣) ، وثناً يبقّى في الخافقين مُطاراً ، ودعاءً يُعلّى الله به لمقامكم السنّى في أوليائه مقداراً ، ويجهز به لملككم كما فعل أنصاراً ، ويثيبكم بالجنة التى لا يرضى السعداء بغيرها قراراً . والله عز وجل يجعل لأفلاك الهنا على مخاطبة مقامكم الرفيع [العلا]^(٤) مداراً ، ويقىم الشكر ألزم الوظائف بحقكم ابتداراً ، والثناء أولى ما تحلّى به مجدكم شعاراً ، ويُبقيكم للإسلام رُكناً شديداً وظلاً مديداً ، وسماً مدراراً ، ما استأنفت البدور إبداراً ، وعاقب الليل نهاراً . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الملكية والصبح (الأذخر) .

(٢) هكذا وردت في الملكية والصبح . وفي الإسكوريال (المعاهد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الملكية والصبح (شكر معطّراً) .

(٤) واردة في الملكية والصبح وساقطة في الإسكوريال .

وصدر عني أيضاً لما استولى السلطان أبو زيان
ابن الأمير أبي عبد الرحمن ابن السلطان
أبي الحسن على مدينة مراکش ، وقد كان
اقترب بوظيفها عامر بن محمد الهنتاني ،
ما نصه :

المقام الذي سَعَدُهُ مُتَاح ، وعطفه بالصنع الجميل مُرْتَاح^(١) وجبينه بالبشر
مُلتَاح ، وإقليد سيفه للمُقَفَّلَاتِ فَتَاح ، ولأزهار أعلامه في بطاح الجلال والبطاح
بالنصر افتتاح . مقامٌ محلّ أخينا الطالع صُبُعُ سَعْدِهِ بسعادة العصر ، المثمر
نَصْلُهُ بِجَنَى النَّصْرِ ، البريّة من الإحاطة بصنع الله له أداة الحصر . السلطان
الكذا [ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا]^(٢) أَبَقَاهُ اللهُ وَأَعْلَامُ مَجْدِهِ عَالِيَةٌ
وَلَبَّاتِ أَحْوَالُهُ بِالسَّعْدِ حَالِيَةٌ ، وَالْطَّافُ اللهُ لَدَيْهِ مُتَوَالِيَةٌ ، وَأَنْوَارُ تَوْفِيقِهِ لِلخُطُوبِ
جَالِيَةٌ ، وَأَعْيُنُ الْعَصْمَةِ لَهُ كَالِيَةٌ ، وَعِزَائِمُهُ تَشْقَى بِهَا الْأُمَمُ الْمُنَاصِبَةَ ، وَتُشْفَى
الْأُمَمُ الْمَوَالِيَةَ . معظّمٌ مجده السرور بظهور سَعْدِهِ ، الْمُؤَمَّلُ^(٣) مِنْ اللهِ عَلَى يَدَيْهِ
إِنْجَازُ وَعْدِهِ [الْأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ
مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ نَصْرِ ، أَيْدِيَهُ اللهُ وَنَصْرُهُ]^(٤) [يَسْلَمُ عَلَيْكُمْ
سَلاماً لَائِقاً بِمَثَابَتِكُمُ السَّامِيَةِ]^(٥) وَفَضَائِلِكُمُ الْهَامِيَةِ النَّامِيَةِ ، بَلِ الْمُنْسَحَبَةِ
الْهَامِيَةِ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) هذه الكلمة واردة في الملكية، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين واردة في الملكية، وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (الموجل) .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال وساقط في الملكية . ومكانها (فلان) .

(٥) هكذا وردت هذه التحية في الإسكوريال . وفي الملكية (سلام كريم يحض مثابكم السامية) .

أما بعد حمد الله العليّ الكبير ، الوليّ النصير ، مُخَوِّلُ الْفَتْوح ^(١) ، ومعوذُ
 المُنُوح ، وميسرُ العسير ، الذي وعد المتقين بحسن الْعُقْبَى في الكتاب المنير ،
 وَقَرَنَ النُّجْحَ بِحَسَنِ التَّدْبِيرِ . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد، البشير النذير ،
 المرتقى بمقامه الأثير ، فوق الفلك الأثير ، بدر الرُّسُل ^(٢) المنير ، وكهف الأُمة
 المجير ، وسبب نجاتنا من سوء المصير ، الذي بجاهه نقرع أبواب [التيسير
 ونجتلى وجوه] ^(٣) التبشير ، وفي مَرْضَاتِهِ نعمل شَبَا اللَّدُن الطويل ، وظبا
 الْعَضْب الطَّير . والرضا عَمَّنْ لَهُ مِنَ الصَّحْب والآل والعشير ، مُبْسِي كسرى
 أثواب المَهْبِض الكسير ، [ومنزلى قيصر عن ذروة السَّير] ^(٤) وورثة الحق
 وقادة الجماهير ، وكواكب الهداية المستنير . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
 سَعَادَةً مَصَاحِبَةً فِي الْمَقَامِ وَالْمَسِيرِ ، وَعَنَاءَةً مُقَارِنَةً لِإِشَارَةِ النَّصِيحِ ^(٥) الْمَشِيرِ ،
 وَلَا زَالَ سَعْدُكُمْ يَغْلِبُ أَعْيَانُ الْأَقْطَارِ الشَّارِدَةِ ، وَالْعِمَالَاتِ الْمُعَانِدَةِ فَعَلَ الْإِكْسِيرِ ،
 وَيَرِدُ حِظُّوْهَا إِلَى مُحِطِّ مُلْكِكُمْ الْمُسْتَدِيرِ . مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ، وَلَا زَائِدِ
 بِفَضْلِ اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ، إِلَّا التَّمَتُّعُ مِنَ الْهُدْنَةِ الْمَكِيَّفَةِ بِبِرِّكُمْ فِي الْمَحَلِ
 الْوَتِيرِ ، وَالاعْتِرَافُ لِلَّهِ ^(٦) بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ ، وَالسُّرُورُ لِلْإِسْلَامِ عَلَى يَدِكُمْ ، بِجَمْعِ
 الشَّتِيتِ وَنَظْمِ النَّثِيرِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا قُضَاهُ ، وَعِنْدُنَا
 اعْتِدَادُ كَرِيمٍ لَا يَزَالُ يُرْهَبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حُدُّهُ ، وَنُرْتَقِبُ فِي الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَاءِ
 اللَّهِ وَعَدَهُ ، وَنَصَابِرُ الظُّلَمَاءِ حَتَّى نَرِدَ وَرْدَهُ ، وَنُشْفِيَ عِلِيلَ النُّفُوسِ عِنْدَهُ ، وَاللَّهُ

(١) واردة بالإسكوريال . ومكانها بياض في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية ، (الرسائل) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٥) وردت في الإسكوريال (الصبح) ، والتصويب من الملكية .

(٦) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

يبلغ في الإسلام قصده ، ويكيّف نصره وعَضْدَه ، ويشير من جعل معه آلهة متعددة بمن عبّده وحده ، وإلى هذا وصل الله سعدكم [وحرس مجدكم]^(١) . فإننا لما وصلنا كتابكم الكريم سافراً عن مُحْيَا الفتح الذى راق جمالاً وفاق كمالاً ، وأنشأً للإسلام آمالاً ، [ورَحَّبَ مجالاً]^(٢) ودعا بالآمانى فجاءت عجلاً^(٣) فتح مراکش لما فاء الله طاعتها ، كما رفع بعد إياتكم إضاعتها ، وأسعد فيئتها ، كما أسرع بعد إياتكم لإجابة دأعكم جيئتها ، وإنه للفتح الأغر المجحل ، والسعد الهنيّ المعجل ، دارُ المُلْك القديم ، والنصر الوسيم [والعزّ الجسيم]^(٤) وطية الحادى ومُرتاد المسيم ، حيث الجباية النامية ، والشفاعات^(٥) السّامية ، والسحب الهامية ، وسيوف الجهاد الدّامية ، وإثباج الكتائب المترامية ، ومُنْبِعث القوة المطابقة ، ومنشأ عزم الأرك والزّلافة ، والحضرة التى إليها يُنسب بالشرق والمغرب . هناكم الله مُلكة نواصيها ، واستيعاب قاصيها ، وخولكم من فضله ويُمْنه ، غاية لا يدركها القول ، ولا يحصيها . كتبنا نهئكم هناء من له فى المنحة النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، ونسل الله لكم ، توالى الصنع الذى أنواره تبهر ، ونقرر [ما لدينا من الحب]^(٦) الذى عَضَّد خبره المخبّر ، وأصبحنا نودى خطابكم الكريم ، الذى لا يجهل الفضل ببعثه ، ولا يُنكر على حال التشوّف الذى صروحه تَظْهر ، والارتقاب الذى يسنيه الله لكم من فضل طلائعه تنتظر ، وهو فلان . ثم رأينا أن لا بُدَّ من مُشَافهة تصحب المراجعة ، تَتَمِّمُاً لوظائف البر ، وإقامة لرسوم الود الكريم العلن والسرّ ، وإن كانت سعة

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها فى الإسكوريال (ودعا بالإيمان فجاء عجباً) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الإسكوريال (الشعبات) ، والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ما عندنا من الود) .

الاجتهاد ، مقصورة عن ثمرة الوداد ، ومدارك اليراع والمداد ، عاجزة عن بلوغ هذه الآماد ، وإنما يشفع فيه شافعُ القبول المعتاد ، ومسامحة المجد الرفيع العماد ، واخترنا لذلك من الفضلا حسبا ، أولى الصلاح والزكا ، القائدين الحاجين فلاناً وفلاناً ، [وصل الله عزَّتهما ، وكتب سلامتهما]^(١) وأملنا تعجيل قبولهما ، وقد شاهدا ما يسرُّ السامع ، ويُحسب المطامع من كمال هبة ، وتمام آمال عن السعد المُقْتَبَل معرفة ، وكمال مقاصدكم ، ضافية أثوابه ، متعوذة بتغمُّد التقصير أثوابه ، والله يصل لكم عزاً عالية هضابه ، مُطْنِية فوق النجوم قبابه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط في الملكية .

ولما وصل كتاب سلطان المغرب على هذا العهد
أمير المسلمين أبي فارس عبد العزيز ، ابن
السلطان أبي الحسن ، يعرف باستيلائه على
الخلافة بالمغرب ، صدر عنى فى ذلك

المقام الذى خُصَّت عبوديته للإسلام العزيز بالإضافة ، علامةً على انسداد
الأمان وارتفاع المخافة ، واختاره الملك السعيد ، وقد أُنْعِ القمر الجديد ، لرفع
الخلافة بنصب الخلافة ، وشمخ منه القَبِيل المَرِينى ، بمآزر الإباية والإنافة ،
وأورثته الفراسة العُمرية حتى أبىه بالنسب الصريح^(١) لا بالقافة ، مقام محل أخينا
الذى استبشرنا بوصل سببه وسبب وصله ، واغتبطنا منه بالفرع الكريم القريب
من أصله ، وتفرسنا فراسة المؤمن ، أن نصر الإسلام فى نَصْلِهِ ، واستظهرنا منه
بسياف الجهاد الذى اشتمل حده^(٢) على فصله ، ورجونا أن يعجنى الإسلام بهذه
البلاد^(٣) ثمرات فضله وخَصْلِهِ ، السلطان الكذا [ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ونوجب له الحق الذى هو أهله ، ابن السلطان
الكذا ابن السلطان]^(٤) أبقاه الله ، وعنايته تقيه من المكاره وتحميه ، وتُرْقِيه
إلى مراقى سلفه الكريم وتُسْمِيه ، وحمايم^(٥) البركة تُزكى فرعَه الباسق وتُسْمِيه ،
ولا زال سهمُ سعادته يصيب شاكلة الرمي إذا يَرْمِيهِ ، وشديد عزمه يَسْمُهُ التوفيق
ويُسْمِيهِ^(٦) ، معظم منصبه المسرور به ، العارف بأصالة حسبه [الداعى إلى الله

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (مده) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وغمائم) .

(٦) هذه الكلمة واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

بنتميم أمله من فضله [^(١) وتكميل أربه ، [الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد ابن نصر] ^(٢) سلام كريم طيب بر عميم ، كما سفر وجه الصباح الوسيم ، وأهدى الروض شذاه مع رسول النسيم ، يخص سلطانكم الأعلى [وأخوتكم الفضلى] ^(٣) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ملك الملوك ومولاها ، ومقدر آجالها وأعمالها وأوصافها وحلاها ، ليلبوها قيماً ولأها ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع ممن يشاء ، بطائفة ابتلاها ، وطائفة تولأها ، جاعل منصب الخلافة أسمى مطامح الانسان من بعد النبوة الرفيعة الشأن وأعلاها ، وأحقها بوجوه التجلة وأولاها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، مطلع أنوار الهدى التي جلأها ، وسر عنايته في أخرى النشآت وأولاها ، النبي الكريم الذي فاز من قذاح الاختصاص والاصطفاء بمعلأها . والرضا عن آله وصحبه ، وعترته وحزبه ، الذين خلفوه في أمته ، بالسنة التي تركها لهدايتهم وخلاها ، فسدوا مسده بضرورة الخلافة ، حتى كُفيت ^(٤) الملة التي جلأها ، وضفت على من استرعاه الله مלאها ، فانتظمت الدولة ^(٥) معمور الأرض وفلاها ، وجاس التوحيد مفارق الهضاب الشم وفلاها ، والدعا لمقام أخوتكم حرس الله جوانب علاها ، وصل لديها [أسباب الفضل الذي أولاها] ^(٦) وأولاها بالسعادة التي يروق مجتلاها ، والصنایع التي لا تنقضى ، إلا ردفها أكبر منها وتلاها ، فإننا كتبناه إليكم كتب الله لكم نعمة لحفظها ^(٧) القدر والخط

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . ومكانها في الملكية كلمة (فلان) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية ومكانها يياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الدعوة) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (أسباب الآلاء وأولاها) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (خصها) .

المبتدر وأملاها ، وعزة تفترع ثنانيا الشهرة ابنُ جلاها . من حمراء غرناطة
حرسها الله بعين عنايته وكلاها ، وعرفها عوارف لطفه التي ما ودعها معها
ولا قلاها ، ولا زائد بفضل الله الأنعم تفيهاها^(١) الإسلام ببركتكم ، وتملأها ،
وهذنة تقلد الوقت الذي لا يشوبه المقت شذورها وتملأها . وإلى هذا وصل الله
لكم سعداً يناسب عمركم في الجدة ، ويتكفل لكم بانفساح المدة ، وجعل
ملككم السعيد كملك سلفكم الكريم ، ملجأ الإسلام في الشدة ، وملاذ الأنام في
الازمات ، يمدون إليه الأكف المستمدة شادة أعداد جيوشه المنصورة وكتائبه
الموفورة عن العدة ، حتى يُمضى سيوفه في رقاب الكفرة بالله كمضاء سيوف
خلفاء رسول الله [صلى الله عليه وسلم]^(٢) في أصل الردة ، وتنفذ إفتوحه
المنتشرة^(٣) في الآفاق صفحات الطروس ، وينابيع الأمددة . فإننا اتصل بنا
وأهلاً به من بريد بُشرى ، ووافد نعمة كبرى [لا يصغر إليه]^(٤) مسراه من
مَسْرَى ، فما أفضل وأَسْرَى ، وأعرف بمواقع السرور لدينا وأدْرَى ، كتابكم الذي
عظم قدراً ، وطلع في مراقب البشائر بَدْرًا ، وأقر للدين الحنيف عيناً ، وشرح
صدرًا ، متحفًا بالنبي الذي جدد ملابس الآمال ضافية الأذيال ، وأطلع
وجوه الجمال والإجمال في آفاق الكمال ، وحلّى^(٥) سور القضايا العاطلة من
بعد الإهمال ، بأسورة تُنجح الأحوال^(٦) ، واشتمل على أشات البركات كل
الاشتمال ، بما كان من تصير مُلك أبيكم إلى يديكم المستحقة لنصابه ، الهنأة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (تهنأها) .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملكية (المبشرة) .

(٤) هذه العبارة واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الأعمال) .

برد اغتصابه ، وشفا أوصابه ، وأنكم حللتم ذرّوته المنيفة ^(١) المنيفة ، ونزعتم
هضبتة ^(٢) السّامية الرفيعة ، ونفياؤم أفياءه الخصبية المريّة ، وتقلّدتم بيعته
المُتبجّحة في ترجيح ميزان الشريعة ، فدارت ^(٣) هالة القبيل الجليل منكم على
حالي ^(٤) ظلّمة وكربه كشعبي غمه ، وبُشرى فضل من الله ونعمة ، ومظنة وفلق
أمة ، وقائد الزمن الحرون بزّمه ، وقعدتم محلّ والدكم ، كبير الملوك الكبار ،
ونُدرة معدن الحسب الثّصار ، وولى الشهرة الجامعة في الأقطار والأمصار ، ومخلّد
الآثار ، ومحتقر الأهوال في سبيل الله وراكب الأخطار ، الذى راعت الكفر
عزائمه الماضية القنا والشّفار ، وأساطيله الواطية صخر خدود البحار ،
وضبره واحتسابه تأسياً بالنبي المختار ، فى مواهب التمحيص والاختبار ، وهمته
المغرة بطلب الثّار ، واستقالة العثار . فلو أمهله الدهر ، لشفى أهل الجنة من أهل
النار ، ولجاست جياذه خلال البيوت المشتركة بالله والديار ، فى أعمال تلك
الآفاق والأقطار ، وقسمت ^(٥) أهل الصليب بين حظّ الحثوف ، وطعم السيوف
ورق الأسار ، وركّز راية الإسلام برؤية الصّفر ، وشفاف قلب الكفر ، تخفق
عذباتها بويج العزة بالله والافتدار . وعسى أن يكون دين هذا الأمل اولده مذخوراً ،
ولوليه مجموعاً موفوراً ، فخزائنه سبحانه لا تحصى وفوراً ، وحُجب غيبه كم
تضمنت صنْعاً مستوراً ، ونصراً تتلأأ صفحاته سروراً ^(٦) ، وعزاً عاد من بعد
الطّي منشوراً ، وبعد الافتراق محشوداً محشوراً . فسّرنا يعلم الله لكم بهذا الصنع
الكريم ، والمنح الجسم ، سرور من يعرف الحق لأهله ، ويقرّ عيناً ^(٧) باستقرار

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ربوته) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (فذالت) والاولى أرجح .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ومسحت) والاولى أرجح .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سفوراً) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (الأمر) والتصويب من الملكية .

الأمر في محله ، ويُنوب في رعى الدِّمام عن سلفه من قبله ، ويذهب من الوُدِّ الكريم والخلوص القديم ، على أوضح سبيله ، ويرتاد للإسلام في الأدلّات التي يسببها الاختيار اجتماع شمله ، ويقرب الآمال بين من اتفق رأى أولى العقد والحلّ على فضله ، فالإسلام حيث تعيَّنت إيايته الشريفة ، ومُلْكته المنيّفة ، نسبٌ يجمع ، وذمامٌ يشفع ، ووسيلة لا تُدفع . ومتاب ينفع ، وليوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجمع ، والجوار إذ كان خلواً من موجبات الشكر والبواغث على مقارضات البرّ ، قد ورد فيه من الأحاديث الغرّ ، والوصايا المنتظمة انتظام الدرّ . فكيف إذا كرمتم^(١) المساعي ، وتوفرت على المساهمة الدّواعي . فكتبتنا نهى الملك منكم بعروسٍ مُحَلَّاه ، والقبيل بابن سلطانه الكبير ومولاه ، والدين بإعمال الاختيار فيمن تولاه ، وقلنا رضئاً ووَرِثُ من آل يعقوب ، ونيرُ رضئاً أسرع في غيم هذه الفترة الثَّقوب [ومنهل سعد]^(٢) ينتظر بفضل الله وعد نصره المرقوب . الآن عدل^(٣) الزمان ، وانسدل الأمان ، ووفى الضمّان ، هذه نشيدة النصيح^(٤) التي أضلها فيما سلف ، ومجدد العهود^(٥) التي يُشبه الأصل ويحيي السلف ، ومركز الوفاق الذي يرجع إليه من اختلف . وإن أبطأت البادرة هذا العمل الواجب ، فربّ متأخر حقّه التقدم ، ومُتَلَوِّمٌ مخصوصٍ بالتكريم ، والزّارع يراقب الفصل ، والخطيب يطبق الفصل ، والمراجعة فرع عن الخطاب ، والفرع^(٦) لا يتقدّم الأصل ، وفي كل حال فإنها فيما يسركم السرور الوثيق البنا ، والاستبشار

(١) وردت في الإسكوريال (لزمت) . والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (ومؤمل جهاد) .

(٣) وردت في الإسكوريال (عدم) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (النجاح) .

(٥) في الملكية (العهد) .

(٦) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

المرفوع على أعلام الاعتنا ، فإذا جلتكم المحبوب أصدرنا مخاطبة الهنا ، وإذا
لِحَقَّتْكم الوقاية ، قابلنا نعمة الله بالشكر والثناء ، فثقوا بوَدُنَا على توالى الأنا ؛
هناكم الله بما جلبه ^(١) الحظُّ من ملك مُقْتَبِل الشباب ، وعزُّ مُفْتَح الأبواب ، وجعله
لكم ذريعة إلى الفخر والأجر والثواب ، وألبسكم ملابس السلامة الضافية الأثواب ،
وسلك بكم مسلك الاستقامة العائدة بالزُّلْقى وحسن المآب ، وقد وجهنا من ينوب
عنا في تقرير هذا الهنا أحسن المناب ، ويوفى ما يرضاه من برٍّ ذاك الجناب ،
ويستدرك [باللسان ما أغفله عبارة الكتاب ، وهو قاضى الجماعة وخطيب حمراينا
العلية ، الفقيه القاضى الخطيب الفاضل الحسيب الخطى الخاصة ، أبو الحسن
ابن الحسن وصل الله] ^(٢) له أسباب الكرامة وعرفه عوارف اليُمن والسلامة ،
وصحبه بعنائه فى الرِّحيل والإقامة ، ولكم الفضل فى القبول عند القُبول
عليكم [والاعتبار لما يلقيه بين يديكم] ^(٣) والإصفا لما أمرنا به من شَرْح ضرورة ،
وعُذْرٍ يبدى ^(٤) وجه الحق فى أحسن صورة ، وخواص حظوظه غير منزورة ،
ومقاصد جدُّ مشكورة . ونسل العزيز سبحانه ، أن يصل عزة عبده ، ويُنجز له
فى النصر صادق وَعْدُه ، ويتكفل له ولمن كفل أمره بياوُغ أماله فى نصر الإسلام
وعضده . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

وَرَجَعَتْ حَضْرَةُ مَرَاكِشْ إِلَى طَاعَتِهِ فَصَدَرَ عَنِى فِى غَرَضِ هَئَانِهِ :

المقام الذى ذَخَرَ له الفتح الهنى ، وَجَنَى المُنْحِ السَّنَى ، وتهدأت فوقه
الآمال يتساقط منها ^(٥) الصُّنْعُ الجَنَى ، ويسرُّ له المآرب ^(٦) القاصية الجوادُ الغنى ،

(١) وردت فى الإسكوريال (جبله) ، والتصويب من الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مقابلها فى الملكية ما يأتى (واعتبار ما لديه ،

وهو موجه الكرامة والعناية إليه) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يسر) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (منه) ، والتصويب من الملكية .

(٦) وردت فى الإسكوريال (الآمال) ، والتصويب من الملكية .

وأعرب بحكم عوامله المَبْنَى ، فإذا أشارت السُّعُود بجملها فهو المَعْنَى ، وإذا أهابت النفوس بأمانيتها كُفِلَتْ به الأمانى ، مقام محل أخينا السعيد النَّصْبَة ، الرفيع الهَضْبَة ، مالك الظواهر بالرَّهْبَة ، والقلوب بالمحَبَّة ، ذى الثنا الطيب الهَبَّة ، والرأى الحميد المغَبَّة . السلطان الكذا [أبى فارس عبد العزيز ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق] ^(١) أبقاه الله فاتح ما استُغْلِقَ ، ومجدِّد ما أُخْلِقَ ، يقيد شوارد الآمال ، كلما أرسل أعنة الغارات ^(٢) وأطلق ، ويستنزل النَّازِى ^(٣) ولو تمسك بالعنان وتعلق ، فضلاً عن أن يعدَّ لامتناعه الأبلق ، أو يركب ظهر السهم إذا أُخْلِقَ ، مجلَّ شأنه الجليل إذا ذكر الشأن ، وموجب حقه إذا تعيَّنت من فروضه الأركان المضرورة ، بما يُسْنِيه الله له من فتح يبتسم له الزمان ، وينسدل على البلاد المؤمنة الأمان ، الداعى إلى الله ببقائه فى عزه يسر بها الإيمان ، وسعادة تنتظم عقودها كما انتظم الجُمان . أمير المسلمين الغنى بالله ^(٤) عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر . سلام كريم . كما حَسَرَ ^(٥) البدرُ لِثَامِ السَّحَابِ عن محيَّاه ، وأهدى النسيم الذى عند الهبوب ^(٦) طيِّبَ ريَّاه ، يخص مقام أخوتكم السَّامِيَة عليها ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمَّا بعد حمدِ الله الواهبِ المانحِ ، النَّاصِرِ الفاتِحِ ، مُيسِّرِ المَنَاجِحِ ، ومُكَيِّفِ الخواتمِ الحسنةِ والفُتُوحِ ، جاعِلِ التَّوَكُّلِ عليه وتفويضِ الأُمُورِ إليه مُدْنِيًا

(١) ما بين الحاصرتين وأرد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الثناء) .

(٣) من نزا واترى أى ثار وثوب .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حدر) والتصويب أرجح .

(٦) وردت فى الإسكوريال (الحسوف) ، والتصويب من الملكية .

للنَّازح ، وقائِداً إلى المسلك الواضح ، ومُجَازي النِّيات الخالصة لوجهه بالصَّنائع الرائقة الملامح ، والمواهب الرَّواجح ، ممن عامله بالتَّجَرُّد الرابح . والصلاة على سيِّدنا ومولانا محمد رسولِه ، مطلع صُبح الهدى اللَّايح ، وظل الله الظليل على الغادى والرائح ، نبيُّ الرحمة الهامية ، فوق الحُزن والبَطَاح . وشفيع الأُمة يوم خوف الفضايح ، الرسول الرؤوف الرحيم الكريم النَّصايح ، العجمُ اللطيف الصَّرايح ، الذي باتباعه نظفر بالسَّعى الناجح ، وندراً في نحر العدو المكافح ، والرضا عن آله وأصحابه حُماة المسالِح ، أُولى الرُّعى للمصالح ، الذين نصرّوه في حياته بِيَبِض الصَّفايح ، وخلفوه بنقل الصَّحايح ، فكانوا أحقَّ بقلائد المدايح ، وأوَّلَى بالثناء العَطر النوافح ، والدعاء لمقامكم الأعلى بالنصر الذي تركب أنباؤه ظهور الرياح اللوافح ، والصُّنع الذي يضيء بنور الاستبصار ، في عناية الواحد القهار احناء^(١) الجوانح . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم سعداً يسهل الصَّعاب ويدنيها ، وعزاً يشيد معالم الفخر ويبنيها ، ونصراً يظهر أفنان الفتوح ويجنيها ، حتى تُسرَّ بمأمون نصركم الدنيا وبنيها ، وتتصل الملة الحنيفية بأمانيتها . من حمراء غرناطة حرسها الله ، والآمال متيسرة ، والصنائع لمجمل الرجا في الله مُفسَّرة ، والأنبياء مُبشِّرة ، والثغور ضاحكة مستبشرة ، وقضايا السعادة مُنتشرة ، والإسلام تبدو مخايل اجتماع شمله ، وسكون الثائرة بين أهله ، والجهاد في سبيل الله قد وَضَحَ بعد انسداد سُبُلِه ، والحمد لله حمداً ، نستزيد به من فضله ، والله المستعان على الأمر كله . وقد وصلنا كتابكم الكريم الذي وفد فأنفاد ، وجاد غمائه وأجاد ، [وبشَّرَ البلاد والعباد ، والنفوس التي أخلصت لله الجهاد]^(٢) . وخاضوا في سبيله الخطوب الشداد بما كان من الفتح الذي رفع الله بغيره العماد ، وفسح في

(١) وردت في الإسكوريال (أحياء) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وورد مقابلها في الملكية ما يلي (وبشر العباد والبلاد الذين أخلصوا له الجهاد) .

السُرور به الآماد ، وكفى النضال والجلاد ، فتح مراکش ، الذى هبَّته السعادة ، وأخلصته المنحة المعادة ، ويسرته المشيئة السابعة ، وعين^(١) الإرادة ، على مقررتم من التيسير ، وعين المسير ، واجتلا وجوه التباشير ، وخدمة الجبال المتعاصية ، وطاعة النجوم القاصية ، وإلقاء المنتزين بالناصية . فالأفواج تدخل فى دين الله ، بالجنوح إلى الجماعة^(٢) والشهقات^(٣) الشَّم تهرع بالطاعة ، والمنابر تنطلق بالأوامر المطاعة ، وأن من كان بها بادر النجاة بجمع قليل ، وحدٌ قليل ، وأنكم أتبعتم أثره بمن تثقون بغنائيه ، وتجنون ثمر إدنائيه^(٤) ، حتى تستأصلون مُعْضِل دائه . فقابلنا ما يسر الله لكم من الفتح الجسيم ، والصنع الوسيم ، بما يجب من ابتهاج واستبشار والسُرور المشرق الأنوار ، وسألنا الله علوَّ المقدار ، وتمهيد الأقطار ، وساهمنا كم فى المنحة الكريمة الآثار ، والموهبة التى هى علم فى المواهب الكبار ، وقلنا عاد فللك الجهاد إلى المدار ، وسح^(٥) هلال الملك المرنى بالإبدار ، وارتفع عن الإسلام ما طرق صفوه من الأكدار ، وارتفعت بارتفاع الموانع مقررة الأعذار ، وسألنا الله أن يتم على الإسلام النعمة ، بجمع كلمتهم التى فرقها الشيطان ، وذهاب فتنتهم^(٦) التى رجعت بها الأوطار ، وجَلَّتْ القِطان ، وطالما ضاقت الصدور بما شغل الأمة عن مُهمَّها الأكيد ، ونهجها السديد ، ونصر دينها مع الاعتراف بكلمة التوحيد ، وعُصِيَ الكفر قد انشقت ، وكلمة العذاب قد حَقَّتْ ، والفتن فيهم ما رَعَتْ ولا أَبَقَتْ . فلو اجتمع عز الإسلام لعادت الفتوح الأول ، وبلغ من ردِّ ما غصب الكفر الأمل ، لاكن هذه الفِدَاءات^(٧) المباركة تدل على ماوراءها

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الطاعة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والشهقات) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (وولاية) ، والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومتع) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فشتهم) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (البلاد) والأولى أرجح .

من فائت يُستدرك ، وحظوظ لله لا تترك ، وعزائم لجهاد عدو الدين ^(١) تُصرف ، وعوائد تُعاد كما يعرف . ولما أعطينا الهنا حَقَّهُ ، وإن كان جهداً لا يعنى بالمكتوم مكتوبه ، ولا يوفى إلا من بعد الترخص وجوبه ، فاستيفاء ^(٢) ما تجنيه البواطن من الود ، وتضميره من حسن القصد ، بحر عظيم المد ، إنما يعلمه الله الذى يطلع على الخفى من قلب الصديق الحفى [عل ماله فى قلب صديقه من الود الوفير] ^(٣) صَرَفْنَا أَعْنَةَ الثَنَا لما كان من مبادرتكم إليها هذه الطُرْفَةُ الواردة ، والمِنْحَةُ الوافدة ، فمثل هذه العناية شاهد بالخلوص مقبول ، ودليل على أتم وجوه الصحة محمول ، فالله عز وجل يشكر عنا ودَّكم المستولى على ميدان الكمال ، المُتَحَف من نصركم ببلوغ الآمال . ولم نقنع فى غرض الهنا ، والشكر والثنا على هذا المقصد البر ، بجواب ينوب عن لسان ، ويجتهد فى توفيه ما جلبتم من وجوه البر والإحسان ^(٤) حتى عينا من يتولى ذلك بما يجب من تقرير ، وشرح وتفسير . وهو فلان ، ومجدكم ، يصل عوائد القبول ، ويبلغ من الإصغاء لذلك أمضى المأمول ، على عوائد الفضل المبذول . والله عز وجل ، يعرفكم عوارف اليمن والقبول ، والعز الموصول ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ ، عرف الله بركته .

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الله) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (فاسنا) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تجيبه) ، والتصويب من الملكية .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (حسان) .

ومن التهاى فى الإبلال من المرض ما صدر
عنى مهنئاً أمير المسلمين أبا عنان رحمة
الله عليه

المقام الذى شفاؤه للإسلام شفاً ، وبرؤه نعمة عميمة ما بموقعها خفياً ، وشيمه
فضل وعدل ووفاء . فللقلوب به ابتهاج ، وللصدور انشراح ، وللعيون إغفا ،
مقام محل أخينا الذى نُقدِر قدره ، ونسل الله أن يحفظ من بادرة السرار بذرّه ،
ونرتقب تأييده على العدو ونصره ، ونروم الإحاطة بما بَلَوْنَا من أجناس فضله ،
فلا نطيق حَصْرَه . السلطان الكذا [أبى ، عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن
السلطان الكذا أبى سعيد بن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق] ^(١)
أبقاه الله مفدّة ذاته الطاهرة بالنفوس ، محوطة البدور والشموس ، مُبْعَدًا عن
جلاها لباس البوس ، متهللاً باتصال عافيتها وجه الزمان العُبُوس ، محمولاً مَهْرَق
السُرور برامتها فوق الرؤوس ، معظم مقامكم ^(٢) الأسمى ، ومحل أخوتكم ^(٣)
العظمى [الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، أيد الله
أمره] ^(٤) سلام عليكم ^(٥) ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمد الله ، كاشف ظُلْمة ^(٦) الغما بنور صباح النعماء ^(٧) ومُذْهِب
وُحْشة اللَّأواء بأنس رحمته المنشورة اللواء ، الحكيم الذى لا يفتقر فى إزالة

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقامها) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأخوتها) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سلام كريم طيب بر عيم ، يخض مقامكم الأعلى

ومثابكم الفضل) .

(٦) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ظل) فقط .

(٧) وردت فى الإسكوريال (الظلاء) ، والتصويب من الملكية .

الأدواء ، إلى واسطة الدواء ، ولا يفتر^(١) مع اسمه الكريم في الأسماء شئ لا في الأرض ولا في السماء ، متدارك نفوس المسلمين بما وهبهم من الشفاء بعد الإشفاء ، فالموارد بعد الكدر ظاهرة الصفا ، وأنوار الاستبشار ظاهرة بعد الاختفاء . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله خيرة الرسل وخاتم^(٢) الأنبياء ، الذي بجاهه نسحب ملابس الاعتناء ، ونرد موارد الآلاء ، ونستظهر على الأعداء ، ونستشفى عند إمام الداء ، ونتوسل إلى الله في الإعادة من الأمور والإبداء ، ونرفع النداء مهما راعنا رابع ، فنتعرف منه إجابة الدعاء^(٣) . والرضا عمن له من الصحابة والقرباة والخلفاء ، الموفين بعهدده حق الوفاء ، الأشداء على الكفار ، الرحماء الذين خلفوه في أمتهم على إيضاح الحق ، وحيطة الخلق ، وقمع الأعداء ، ورفع منار أوامره المتبعة على أوثق البناء ، فكانوا من بعده كالنجوم في الظلماء . والدعاء لمقامكم الأعلى بالنصر الكريم الأنباء ، والصنع الوسيم الرواء ، والتأييد المتكفل بتمهيد الأرجاء . ولا زال نصله^(٤) شهير المضا في كف الفضا ، وسعده مشرق الضيا في أفق العلياء ، وعزه ضافي الردا وشاهد عناية الله به معمل الأداء ، ومنار علمه قبلة الأولى الاقتيدا . فإننا كتبناه كتب الله لكم دوام العافية المديدة^(٥) الأفياء ، وعرفكم عوارف السعادة مع اتصال الأناء . من حمراء غرناطة حرسها الله وليس بفضل الله إلا مسرات براحتكم نعاطي راحها ، ونذيع أفراحها ، ونسيع قراحها ، ونحفل في مسارح حمد الله وشكره مغداها ومراحها . وقد وصلنا كتابكم الذي أهدي أسنى التحف وأعلاها ، وأسدى أجمل المنح وأولاها ، وأزال الغما وجلاها ، وأطلع أنوار البشر يروق مجتلاها ، وجمع بين الفواضل العميمة

(١) وردت في الإسكوريال (يضر) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سيد) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (النداء) .

(٤) وردت في الإسكوريال (نصره) ، والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المؤيدة) .

يعضد أولاهـا أخرـاهـا ، عرّفتم فيه بما قد ألمّ بذاتكم الطاهرة من الألم ، الذى قد ألمت له القلوب ، وثوت فى النفوس المسلمة الكروب ، ثم ما تدارك من الإبلال والاستيقلال ، ببرء ذلك الجلال ، واستيلاء جيوش الراحة [على عدو ذلك الاعتلال]^(١) فلولاً أن خبّر المرض بلغنا مقروناً بخبر الراحة ، وأمن تلك الساحة ، لعظمت الأدجال وضاق المجال [واشهب الصبر الكرب العجال]^(٢) لآكن الشرفة الظلمة^(٣) كانت مردفة بالصباح ، والشبهة مقترنة بالحق الصراح ، والمسرّات موصولة بالأتراح^(٤) . فحمدنا الله على راحتكم التى هى راحة البلاد والعباد ، وفى ضمنها النعم الواكفة العهد ، فاستقامة الفسطاط ، استقامة العِماد ، وبصلاح الأرواح ، صلاح الأجساد . والحمد لله الذى أقال وفكّ العقال ، وكفا الكرب الثقال ، ووفّى الأجر ، وهو لا يظلم منّقال ، وجدّد لسيفه الماضى الصّقال ، وجمع لكم بين الأجور الوافية ، من الصبر على الألم ، والشكر على العافية . وعلمنا فى إعلامكم أيانا بهذه النعمة ، فكأننا من إيثار أخوتكم ، فزادت المسرة أضعافاً ، وثبتت قواعدها ثبوتاً لا يحتمل خلافاً ، ووجب الشكر اعتقاداً واعتزافاً ، فلا تسلوا عما عندنا من الابتهاج والاستبشار ، والسرور المشرق الأنوار ، وكيف لا تُسرُّ بنعمة الله قبلكم هذه الجهات التى ما عدمت منكم ، ولا من سلفكم عناية ، ولا فقدت حالى الشدة والرخاء رعاية ، فكلما أفلت آية ، طلعت آية ، وكلما تعرّفت رأياً ، استقبلت راية ، والله تعالى ، يحفظ^(٥) من عزائمكم العدة التى بها نتقّ عدو العدو ، ونخطب أملها المرجو ، ونعمر بتأميلها^(٦) الرواح والغدو . ونحن نهشكم ، وإن كنا أحقّ بالهنا ، ونبدي من التشيع ما يليق بكريم الإخا ،

(١) ما بين الخاصرتين وأرد فى الملكية . ومكانه فى الإسكوريال (وأمن تلك الأعمال) .

(٢) ما بين الخاصرتين وأرد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة وأردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية وبالارتياح .

(٥) وردت فى الإسكوريال (بحفظها) والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

ونجهد في إجزال الشكر وإجمال الثنا . والله عز وجل يطلعنا من مقامكم على كل بهج من الأنبياء ، ويحرس مالكم من أصيل العلاء ، ويدافع عن ذاتكم الكريمة ، بمعهود اللطف ، وموصول الاعتناء . والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته .

وصدر عني أيضاً في غرض الهنا

بشفاء من مرض لسلطان المغرب

المقام الذي شفى المجد والكرم بشفائه ، وعاد جفن الملة بأنبا عصمته المستقيلة إلى إغفائه ، ويلقى السرور ضيف البشارة المختالة من خبر راحته في أجمل الشارة باحتفائه واعتفائه ، وثبت للدين الحنيف ما فرج به من التعريف دليل السعد المشيف ، وقد تطرق القياس الجلي^(١) إلى انتفائه ، فعاد مورد اليمن إلى صفائه ، وتبرأ الدهر من ذنبه [وعاد إلى وفائه]^(٢) . مقام محل أخينا الذي أسباب هذه البلاد الغريبة^(٣) بأسبابه معقودة ، وآمال الإسلام بوجوده موجودة ، وأبواب المخاوف بتأميل بابها العلى مسدودة [وأيدى من بها من الأمم على مجدها الراعى الذم مسدودة]^(٤) فاقطارها بقطر الإعلام بعافيته مجودة ، وأكف ناسها على اختلاف أجناسها بالشكر ممدودة ، أبقاد الله يتلقى زيارة الله بالكنف الرخب والعقد السليم ، ويعجل بريد الضراعة والاستقالة ، مهما أحسن بتغيير الحالة ، طارقاً باب السميع العليم ، ونقتنى من الأجر الموفور ، والثواب المدخور ، بضائع إنما يخصص الله بها [من عباده]^(٥) خزائن الآواد الحليم ، وجعل العصمة مصاحبة لذاته الطاهرة ، [في الأحوال الباطنة والظاهرة]^(٦) يطالع منها زاد المسافر ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الخلف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتبرع بوفائه) .

(٣) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٥) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

وتُحفة القادم [وزاد المقيم]^(١) وشُكر ما يصله بعناية تعريفه من سبب الولي
الحميم [من الولي الحميم]^(٢) معظّم قدره الذي تعظيمه مُفترض ، ومقيم برّه الذي
لا يقدم على تنميته غرض ، الذي أقصى مذاهب المساهمة لمجده مهما ألمّ
بجوهر مقامه الأبوى عَرَض ، أو شاب مؤرد صحته مرض ، فلان ومنه : وإلى
هذا حَرَسَ الله ذاتكم الطاهرة من طُرق النوائب ، وصان مواردكم المؤملة من شُبوب
الشوائب ، وكنفكم بجناح عصمته في الشاهد والغائب . فإننا في هذه الأيام ،
طَرَقَ بعض سواحلنا شائِ مَشْنُو الخبر ، وحثَّ جناح الشراع منه مارج^(٣) مكروه
العين والأثر ، جَمَحَ بكلام مُلَفَّق ، ونَبأ غير مُحَقَّق ، عللنا النفوس بتمحيله
وتكذيبه ، [ولم نعن]^(٤) بتقرير هُدُده فضلاً عن تَعْدِيه ، وغمضنا عنده
الأجفان ، طمعاً في أن يكون حليماً ، وتغافلنا عن استفسار كلام يعجر كَلِماً ، فلم
تَقْرُ الجوارح^(٥) على هذه الصّدمة المتعرّفة ، ولا سكن اضطراب النفس في مثل
هذه الأمور المصّرّفة ، فزَنَدَ القلق في مثلها أَوْرى ، واضطراب البال عثاها أخرى ،
والشفيق كما قيل بسوء الظن مُغرى . فعجّلنا إلى جبل الفتح ، من يجاب^(٦) منه
نفساً بنفس من بثّ ، وعيناً له المراحل تحت الحثّ ، فلم يكن يهبُ نسيمه ،
ويقضى إلى المطاوب سيره وتقسيمه ، حتى طَلَعَ علينا من كتابكم صُبْحُ جَلَى الظُّلْمة
المعتركة ، وعُلم عَرَفَ النكرة ، وحُكِمَ حزم^(٧) الظنون المذهلة المسكرة ، عرفتمونا
فيه بالآلم الذي ألمّ ، واتصال العافية التي خصَّ صنْعها وعم ، وشرحتم ما أوجب

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في المخطوطين .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بارع) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، ومكانها في الإسكوريال (والغز) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجوارح) .

(٦) وردت في الإسكوريال (يخلّف) ، والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا وردت في الملكية ، ومكانها بياض في الإسكوريال .

الأُلُقِيَّة التي صدَّقت الآمال بتكذيبها ، وسهَّلت العبارة بحذف وحشيها وغريبها ، وقررت استقرار العافية في مهادها ، ورجوع الحال الصحيحة إلى مُعتادها ، واستبشار قُبَّة الإسلام باستقامة عمادها ، وذهاب جِياد السُّرور في أَقطار المعمور إلى غاياتها وآمادها . فَقَدَّمْنَا أولاً شَكَرَ الله الذي تَعَزَّى لسان الفرج بتقديمه ، ونظرنا إلى وجه الإسلام ، وقد عادت نظرة أديمه ، وبهرتنا فواضل مقامكم الذي اتَّصل بفضل حديثه بقديمه . فلقد كان كتاب مقامكم إلينا أَمْرٌ من توقُّع الشفا لديكم ، وأنس من عوايد الصُّنع الذي ورد عليكم ، فنحن نُسهب في الثناء ونُطيل ، ونتحكم على الأيام ونستطيل [ونطرح بظهور الحق ما دلسته الأباطيل]^(١) ونهنيكم بمراجعة عقيلة الصحة التي لا يَنْبُو بها من بعد إن شاء الله بيئت ، ولا يتطرَّق إليها [كَيْتٌ ولا كَيْت]^(٢) ولا يعمل بسببها بعل^(٣) ولا كَيْت ، فلتهن راحتكم مجالس العلم وخلوات العمل ، لا بل الإسلام بما حمل ، فإنما عصمتكم على الدين الحنيف وأهله رواق ، وظلُّ خفاق ، ومكارمكم في أسواقها للدين والدنيا نفاق ، فإذا تَأَلَّمْتُمْ كان بالدين الحنيف^(٤) وأهله إشفاق ، وإذا عوفيتُمْ ، كان للأمن اتِّساق ، وللسَّعد إشراق . ثم أَتَبَعْم رَحْلُ المَرَّة بالحقيبة ، وجهاد الشيطان الناعق بالتعقبة [جارياً على فضل من فضل الضريبة ويمن النقيبة]^(٥) فَسَرَّحْتُمْ ما عندكم من العزم الذي جعلتم هذه الحركات المباركات^(٦) مقدِّمات قياسه ، وأنواعاً لأجناسه ، وأنكم تباشرون إعداد المنشآت وتستظهرون على قطع مسافة البحر لجيادها الكرام الشَّيات ، وعملكم على ما فيه رضى الله ، قضية لا تحتمل النقيض ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٣) وردت في الإسكوريال (ليت) ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) زائدة في الإسكوريال .

وتصريح لا يقبل التعريض . إنما هو جَدُّ خلص الله قصده ، وعَزَمَ أرهف في سبيل
الله حده ، وكريم يقفو ما سنه أبوه وجده ، فاستكثروا من الخير الذى أنتم
بسبيله ، واستعدوا^(١) على البحر القاطع بيننا وبينكم بتوفر عدد أساطيله ، فقبل
الرمي تراش السهام ، وقبل اللقاء يُكتب الجيش اللهم ، وعقل التجربة قد بين
ما أشكل ، وفي معرض الاستعداد قيدها وتوكل ، ومن قبلكم تلتبس العوارف ،
ونقتبس المعارف ، ونتوسد^(٢) الظل الوارف ، وبنظركم السديد تُحمد^(٣) الموارد
والمصارف [بفضل الله]^(٤) . وما أطرف به كتابكم الذى أطعم وسقا ، وأورد
المسرات نسقا ، وجلا من [الظلم المتظاهر]^(٥) غسقا ، خبر ما آل إليه حال مدينة
إطرابلس التى أوقعت بالقلوب وقيعتها الشنيعة ، وفرعت بمملكة الكفر هضبتها
المنيعية ، وما ذخر الله فيها للملككم من حسن الصنيعة ، وأنكم لبيتم على البعد
نداءها ، وشفيت داءها ، وعاجلتم من يد الكفار فداعها ، وذلك عنوان قبول الله
على مقامكم وإقباله ، ومنقبة حباها الله لجلاله ، فمن طمح إلى ما طمحتم إليه
نظر لمناله ، ومن شراها بالثمن الخطير ، والله ما جار على ماله ، فياله من فخر
جل قدره عن الثمن ، وذكر تخلل بغداد العراق وصنعا اليمن ، وصفقة رابحة
إن لم يعقدها مثلكم ، وإلا فمن لثل ذلك تطمح ألهم ، وفي مثله تتنافس الأمم ،
والله يذخر المال ، وعليه تحوم الآمال ، لدة الإسكندرية ، وأم من أمهات المدن
البحرية ، أراد الله أن يبقى التوحيد بها بسببكم ، وأن يجعلها بالملك الصريح من
مكتسبكم ، فاهنوا بهذه الصنائع التى يلبسكم الله أطواقها ، ويفتح بسعديكم
أغلاقتها^(٦) ، ما ذلك إلا لنية اطلع عليها من ضميركم ، فسدد إلى [الغرض

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (واستطيلوا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ويتوسل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (تحمل) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، ومكانها في الإسكوريال (الحوادث) .

(٦) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

الكريم^(١) [سهام تدبيركم ، وهو سبحانه يزيدكم من مواهبه ، ويحملكم من البر على أوضح مذاهبه . وأننا لما استجلينا من كتابكم غرة السعادة المشرقة ، وشكرنا منكم موقع الغمامة المغرقة] أمرنا برغد^(٢) المنشور ، فصعد به في الحقل المشهود [وبلغنا من الإشادة به أقصى الشهود]^(٣) ورحبنا بوافده المردود^(٤) ، وأرغمنا أنوف أعداء الله وأعدائنا بأوائه المعقود ، حتى يبدو للقريب والبعيد تشيئنا لمقامكم المحمود ، واستظلنا بظلكم الممدود ، ونحن نجمع في مراجعتنا بين الشكر والثنا ، ومضاعفة الهنا . ونسل الله تعالى أن يطيّل^(٥) بقاءكم في الملك الوثيق البناء ، ويعرفكم من لديه عوارف الاعتناء [وهو سبحانه يديم سعدكم ويحرس مجدكم]^(٦) . والسلام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (أغراض الوثائق) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية . ومكانها في الإسكوريال (أمر برقة) وهو تحريف .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الممدود) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يصل) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

كتب التعازى فى الحوادث والنائبات

وصدر عنى فى مخاطبة السلطان أبى عنان

فى غرض العزا والهناء :

المقام الذى صبره فى التوائب جميل . وشكره على المواهب بالمزيد كفى ،
وفضله لا يلتبس منه سبيل [وَحُكْمُ فخره لا يتطرقة تعليل] ^(١) ، ومحكم مجده
لا يتناوله تأويل ، مقام محل أحنينا الذى استولى على غايات الكمال مجده ، ورفع
راية العناية الإلهية سعده ، واشتهر فى مقام الصبر صبره ، وفى مقام الشكر ،
شكره وحمله ، [وطوق الأعناق بذله ورفده] ^(٢) وشف ^(٣) نور قلبه بإلهام من
ربه ، فأخلص ضميره لمن يؤده ، السلطان الكذا [أبى عنان] ^(٤) ابن السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ^(٥) . أبقاه الله مشكور المساعى والخلال ، جليل المخطر
خطير الجلال ^(٦) ، كامل الذات ذات الكمال ، جارياً على مهيع السنة فى جميع
الأحوال ، معظَّم سلطانه الذى تعظيمه فرض محتوم ، وموقَّر ملكه الذى له فى الملك
حق معلوم ، المثنى على مكارمه التى تطابق منها منقول ومفهوم ، ومساهمه فيما
ساء وسرَّ حكمها فى صحائف الصدق مرسوم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير
المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب برِّ عميم ، يخص
مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (وشب) ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة بالملكية ، وساقطة بالإسكوريال .

(٥) وردت بالملكية نسبة السلطان ابن عفان كالأق (ابن السلطان الكذا أبى الحسن بن السلطان الكذا

أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (البال) ، والتصويب من الملكية .

أما بعد حمد الله الذي بيده الأمر كله ، وليس في الوجود إلا فعله ، والتسليم لأحكامه ، والشكر على إنعامه ، أولى ما اكتسب به رضاه واستزيد به فضله .
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله [المصطفى الكريم] ^(١) ، الذي ختم به رسله ، ونبيه العظيم قدره ، الكريم محلّه ، ملجأ الأمة يوم لا ظل إلا ظله ، والرضا عن آله وأهله وأصحابه ، فسياحبذا أصحابه الكرام وأصله ، الذين كانوا في آفاق دينه الحنيف شهباً أضاءت بهم سبله ، والدعاء لمقامكم الأسنى أبقاه الله معروفاً صبره وشكره وعدله ، مجموعاً في مواقف الفراق شمله ، بالنصر الذي يعصى في مواقف السعد نصّله ، والعز الذي تُمَيِّزُ فتته الغالبة فضله .
فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بقاً يتصل باتصال الزمان حبّله ، وعزاً جَوَازاً نطاق ^(٢) السما نطاقه ، وبدرها تاجه ، وثريّاتها تَعْلُهُ ^(٣) ... من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، ومهد باتصال السعد والعافية أوطانه ، إلا الاستبشار التي أشرقت في سما الغيم كواكبُه ، ووَضَّحت بعد الالتباس مذهبُه ، وأنتم عُدَّةُ الإسلام إذا ارتاح جانبه ، وردّه الذي يَحْذَرُه من يحاربه . أبقاكم ^(٤) الله يُزِينُ بحمدكم كتبَه ، وينصركم كتائبَه ، وتُستعذب بوجودكم مواردُه [ومشاربه] ^(٥) .
وعندنا من التشيع لجلالكم الأسمى ، جمل لا تُوفِّيها العبارة وإن انفسح مداها ، ولا تُدرِكها البلاغة وإن طال مداها ، نغتنب بعصمة ذاتكم التي لو خيّر الإسلام [في المواهب] ^(٦) ما تعدّاها ، ونستنصر بعزمكم كلما غلبت على هذه الثغور

(١) هذه الزيادة من الملكية .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) وزدت في الإسكوريال (أبقاه) ، والتصويب من الملكية .

(٥) زائدة في الملكية .

(٦) هذه العبارة زائدة في الملكية .

الغريبة عداها ، وإلى هذا أيدكم الله بنصر من عنده ، ووصل للملككم أسباب سعده ،
فإننا وصلنا كتابكم المرفع ، عرفتمونا فيه بما كان من استبشار الله بمحل والدنا السلطان
الباهر العالى ، التى اعترفت بعظيم قدره ألسنة الأيام والليالى ، والدكم تغمد الله لخدمته
من الرحمة بغمام ، وحشره فى زمرة من يخاطب عند باب الجنة ادخلوها بسلام ،
فلو لم يكن له من المآثر التى يستحق بها الحمد ، ويسترقُّ المجد ، إلا أن كنتم
سُلَّاتنه ، وورثتم بالحق جلالته ، لكان فخراً لا ينزع فى حقه ، ولا يضايق فى
طرقه ، فإننا لله تسليمًا لحكمه الحتم ، وتفويضاً إلى أمره الجزم ، سبيل مبين ،
وقصد يدعو إلى الصبر فيه عقلٌ ودين . من ذا الذى سالم الأيام فسلم من غوائلها ،
وتمتع بطالعتها ، جعلنا الله من عمل عملاً باقياً ، وأسلف سعيًا صاعداً [إلى محل
القبول] ^(١) راقياً . ونحن مهما اعتبرنا هذا الحادث على انفراده ، ولم ننظر
إلى أضداده ، بلغ منا الوجد إلى غاية مراده . وإذا نظرنا إلى أصحاب الدهر ،
بعد تصعب قياده ، ولما أنعم الله به من ارتفاع سُفك الدين واستقامة عماده ،
وإن الميدان سُلِّم إلى جواده ، والغيل إلى أسد آساده ، والإسلام ظفر بمراحه ،
بما كان من خلوص الأمر إليكم ، وحصول أزمته فى يديكم ، انقلبت الحسرة حبرة ،
والكآبة نعيًا ونضرة ، وعاد الغم مسرة . وقلنا هذه نعمة بأى لسان تُشكر ،
وبشارة مثلها يُردد ويذكر . الآن صدقت الآمال فى حافظ الدين وناصره ،
والكفيل برعى أواصره . لقد آن للخيل أن يظهر عليها المراح ، ولصدور المراكب
أن يشملها الانسراح ، وللسيوف أن تضحك منها المباسم ، ولأقلام الرماح ، أن
تحيا بها للجياد المراسم . وقد كنا عند استجلاء هذا الخبر قمنا فى طرفى المساهمة
بالحق الواجب ، وسرنا من البر على السنن اللأحب ، وعيننا من يفد على مقامكم
العلى الجانب . وأبرمنا الأمر فى ذلك إبرام الحب الصافى المشارب ، وذهبنا من
عزائكم وهنائكم فى أوضح المذاهب . فلما ورد الآن كتابكم أعدنا ما أصدرنا

ابتداءً ، وأكّدتنا هذا القصد قياماً بحقوقكم ووفاءً ، ولم نأل لمجدكم العلى في التعريف به حمداً وشكراً وثناءً . فنحن نعرفكم وجلالكم في الخطوب أثبتت قدماً ، وأعلى في الفضل علماً ، من أن يَهْدَى إلى قصد سنى أو يدلُّ على عمل هنى ^(١) ، ونهنيكم بالسعد الذى إنما [في الفضل علماً] ^(٢) هو في الحقيقة علينا عائِد ، ولعز الله [دينه] ^(٣) في أقطارنا شاهد ، هنانا الله وإياكم ما خولكم من هدنة الأوطان ، وخلوص السلطان ، فلقد استقرت مقاليد منكم بيد الولي الكافل القائل ^(٤) الفاعل الذى أغمد [بالصِّفاح الصِّفح] ^(٥) ، واستحق أشتات الحمد والمدح ، وشرحت دولته الفارسية إيضاح الكلام حق الشرح . واو ذهبنا إلى تقرير ما لدينا من خلوص وضح وضوح الصبح ، وثناً كما الروض في المرعى أو النفع ، لما وفى للسان ببعضه ^(٦) ، ولا قامت البراعة عنا بفرضه ، فنكل علمه إلى العالم بخفيات سمائه وأرضه ، وهو سبحانه يشكر عنا مقامكم ، الذى نتعرف مع الأيام مزيد أفضاله ، ونستقبل وجوه إكماله بما يابق بحسبه ومجده وكماله ^(٧) ، ونسله أن يسبغ عليكم ملابس إقباله ، ويعرفكم عوارف السعد في بكر الزمان وآصاله . وأشرتم علينا أن نعجل صرف من استقر بالمرية من خدام جنابكم وارث بابكم ، ليردوا على الأمان المبذول ، والوعد الفعول ، والعفو المسدول ، وقد كنا عملنا بمقتضى ذلك لأول إشارة . والله يصل سعادتكم ويعرس مجادتكم . والسلام عليكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته .

(١) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (دينى) ، والأولى أرجح .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٣) زائدة في الإسكوريال .

(٤) زائدة في الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية . وفي الإسكوريال (الصباح بالصفتح) ، وهو تحريف .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بعض بعضه) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وجلالة) .

وَأَصْحَبَتْ فِي مَعْنَى الْعِزَاءِ وَهَذَا إِلَيْهِ فِي

غَرَضِ الرِّسَالَةِ ، كِتَاباً نَصَهُ بَعْدَ سَطَرٍ

افْتَتَاحِهِ :

المقام الذي رَسَخَتْ مِنْهُ فِي مَقَامِ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ قَدَمٌ ، فَلَا يَغْرُهُ وَجُودٌ ،
وَلَا يَذْعُرُهُ ^(١) عَدَمٌ ، وَصَدَقَتْ مِنْهُ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ عَزْمَةٌ لَمْ يَخْتَانِجْهَا وَهَنٌ وَلَا نَدَمٌ ،
حَتَّى تَصَرَّفَتْ بِحُكْمِ مَعَالِيهِ ، أَيَّامَ دَهْرِهِ وَلِيَالِيهِ ، هَذِهِ ^(٢) وَلَدَانٌ ، وَهَذِهِ خِدْمٌ .
مَقَامٌ مَحَلٌّ أَخِينَا ، الَّذِي إِنْ جَاشَتْ النَّوَائِبُ وَسِعَهَا صَدْرُهُ ، أَوْ عَظُمَتْ الْمَوَاقِبُ ،
تَرَفَّعَ عَنْهَا قَدْرُهُ ، أَوْ أَظْلَمَتْ الْكُرُوبُ ، جَلَّاهَا بِدَرْهُ ، أَوْ تَأَلَّيْتُ الْخُطُوبُ ،
هَزَمَهَا صَبْرُهُ ، أَوْ أَظْلَمَتْ سَحَابِيبُ ^(٣) النِّعَمِ ، اسْتَدْرَها حَمْدُهُ وَشُكْرُهُ ، أَوْ عَرَضَتْ عَقُودُ
[الْحَمْدِ] ^(٤) فِي سَوَاقِ الْمَجْدِ أَغْلَاهَا فَخْرُهُ ، أَوْ رَاقَتْ جُلُلُ الصَّنَائِعِ ، طَرَزَهَا
ذِكْرُهُ ، أَوْ طَبَعَتْ سَيُوفُ الْبَاسِ ، أَغْمَدَهَا صَفْحُهُ وَسَلَّاهَا قَهْرُهُ . السُّلْطَانُ الْكَذَّاءُ
أَبْنَى عَنَانَ ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَّاءِ أَبْنَى الْحَسَنِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْكَذَّاءِ أَبْنَى سَعِيدِ ابْنِ السُّلْطَانِ
الْكَذَّاءِ أَبْنَى يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ . أَبْقَاهُ اللَّهُ ضَاحِكُ السَّعْدِ ، كَلِمَا بَكَتْ
عَيْنٌ ، مَجْمُوعُ الشَّمْلِ كَلِمَا ^(٥) أَزْفَ بَيْنٌ ، وَارَى الزُّنْدَ ، إِذَا اقْتَضَى الْعِزَّ دِينَ ،
مَجْمَى الذُّمَّارُ بَانْفِاسِاحِ الْأَعْمَارِ ، كَلِمَا أَغَارَ ^(٦) عَلَى الْأَحْيَاءِ حِينَ ، وَلَا زَالُ يَفْقِدُ
مِنْهُ شُكْرُ اللَّهِ [نَعْمًا] ^(٧) ، مَا فِي وَعْدِهَا لِيَّ وَلَا فِي قَوْلِهَا مَيِّنٌ ، وَيَلْبِسُ مِنْهُ حُلُلًا ،
تَقْوَاهُ فِي عَوَاتِقِهَا زَيْنٌ ، مَسَاهِمَةٌ فِي كُلِّ خُطْبٍ غَمٌ ، أَوْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَمٌّ ،

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَفِي الْمُلْكِيَّةِ (يَعْنِيهِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمُلْكِيَّةِ ، وَفِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ (هَوَلَا) ، وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٣) وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، (الشَّعَاتِ) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمُلْكِيَّةِ .

(٤) وَارِدَةٌ فِي الْمُلْكِيَّةِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَفِي الْمُلْكِيَّةِ (مَهْمَى) .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَفِي الْمُلْكِيَّةِ (أَعَادَ) .

(٧) وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْمُلْكِيَّةِ .

ومقاسمه في كل ما أَلَمَّ ، ومهنيّه بالملك الذي خلص وتم ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل الصبر في النوائب حصناً منيعاً ، والشكر يستدعي المزيد من النعم سريعاً ، فمَتَى أعضلت للصبر دعوة ، كان لها الأجرُ سميحاً ، ومتى رُفِعت من الشكر رُقعة ، كان [المزيد] ^(١) عليها توقيعاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بوأنا من السعادة جناباً مَرِيحاً ، وبَيَّن لنا حدود أوامره [ونواهيه] ^(٢) فطوبى لمن كان مضيئاً ، وعلمنا مكارم الأخلاق ، صبراً في النوائب ، وشكراً على المواهب [تفضيلاً] ^(٣) وتنويعاً ، وكان لنا في الدنيا هادياً ، ونجده في الآخرة شفيحاً . والرضا عن آله وصحبه ، الذين كانوا على العُدّة [قيظاً] ^(٤) وعلى العُفاة [ربيعاً] ^(٥) ، فحلُّوا من الاقتداء بهم ، فيما ساء وسرّ ، وأَحَلَّى وأَمَرَّ ، مقاماً رفيعاً [وخفض] ^(٦) عليهم مضاضةً فقدّه ، مثابرتهم على ضم شمل المسلمين من بعده ، اقتداءً بقوله سبحانه ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً » . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذي تشكر منه الجياد ، والبيض الحداد صنيحاً ، وتشرح منه أَلْسُنُ الأَقلام تهذيباً وتفريحاً . والصبر الذي يقود زرافات ^(٧) الأجر قطعياً فقطيعاً ، والشكر الذي يفجر من المزيد ينبوعاً . فَإِنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم من حظوة الخير أوفرها عُدداً ، وأقطعكم من خطط السعد أبعدّها أَمداً ^(٨) وأتبعكم من كتابيب العز أطولها يداً ، وألهمكم من

(١) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت في الملكية ، ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٦) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) هكذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (رزايات) .

(٨) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مدداً) .

الصبر لما تقدمونه في اليوم فتجدونه غداً . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وعندنا من الاعتداد بالله فيكم أسباب وثيقة ، وأنساب صدق في بحبوحه الخلوص عريقة ، ومن الثناء عليكم ، حداثق روض لا تحاكيها حديقة ، ومن المساهمة لكم في شتى الأحوال ، مقاصد لا تلتبس منها طريقة ، ومن السرور بما سنّاه الله لكم نعم بشكر الله عز وجل خليفة . وإلى هذا أيدكم الله بنصره ، وحكم لمقامكم بشد أزره وإعلاء أمره ، فإننا ورد علينا الخبر الذي قبض وبسط ، وجار وقسط ، وبخس ووفى ، وأمراض وشفا ، وأضحى وظلل ، وتجهّم وتهلّل ، وأمر وأخلى ، وأوحش وأسلى ، وأساء ثم أحسن ، وبشر بعد ما أحزن ، خبر وفاة والدكم ، محل والدنا ، السلطان الكبير القدر ، الرفيع الخطر ، الذي لو لم يكن من مناقبه ، إلا أن كان لكم أباً ، وفى أن أنعم الله على الملة الحنيفية سبباً ، لكفاه شرفاً لا تجد الأشراف بعده مذهباً ، قدس الله طاهر تربه ، وكريم تحده ، كما أحيا بكم معالم مجده ، فياله من سهم رمى أغراض القلوب فأثبتها ، وطرق مجتمعات الآمال فشتتها^(١) ، ونعى إلى المجد إنسان عينه وعين أنسانه ، وإلى الملك هبولى أركانها ، وإلى الدين ترجمة ديوانه ، وإلى الفضل عميد إيوانه . حادث نبّه العيون من سنة غرورها ، وذكر النفوس بمهم أمورها ، وأشرق المحاجر بماء دموعها ، وأضرم الجوائح بنور ولوعها ، وبيّن أن شراب الآمال سراب ، وكل الذى فوق التراب تراب . فمن تأمل الدنيا وطباعها ، والأيام وأقراعاها^(٢) ، والحوادث وقراعاها^(٣) ، بدا له الحق من المين ، واستغنى عن الأثر بالعين ، فشأنها ألا تفتّر عن سهم تُسدّه إلى غرض ، وصحة يعقبها مرض ، وجوهر

(١) وردت في الإسكوريال (فثبتها) والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفى الملكية (وإسراعاها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفى الملكية (مراعاها) .

ترميه بعرّص . وداء الموت قديم ، وفريته لا يبقى عليه أديم ، وكناسه يشربها
موسر وعديم ، دبّت إلى كسرى الفرس عقاربه ، ولم تمنعه أساورته ولا مرافقه ،
وقصر قيصر عن مشاربه ، وابتز سيف ابن ذى يزن من غمدانه ، ولم ترعه
مضاربه ، وأرى تبعاً فلم يكن فى اتباعه من يحاربه . وكم فى الإسلام من ملوك
أولى فخر ما بين بنى العباس وآل صخر ، فأين مروان ودوّاره ^(١) وأبو الأملاك
وبهاره ، والوليد وأبناؤه ، وسليمان وآلؤه ، وعمر وثناؤه ، ويزيد وظباؤه ،
وهشام وآبائه ، والجعدى وآراؤه ، وابن السفاح وحسامه ، والمنصور واعتزاه ،
والمهدى وإعظامه ، والهادى وإقدامه ، والرشد وأيامه ، والأمين ونُدّامه ، والمأمون
وكلامه ، والمعتصم وأسراجّه وألجامه ، وغيرهم ممن طلع بالغرب شمساً ، وأصبح فى
مرضاة الله وأمسى عمر رمساً ، وفارق إلفاً وجنساً . لم تدافع عنهم الجنود
المجندة ، ولا الصفاح المهنددة ، ولا الدروع المحكّمة ، ولا الثياب المئلمة ، ولا
الجياد الجرد المسومة ، ولا الرماح المثقفة المقومة . كل ندم على ما قدّم ، وجدّ
إلى ما أعدّ ، جعلنا الله ممن يسرّ لنفسه زاداً ، وقدّم بين يديه رباطاً شافعاً لديه
وجهاداً ، ووثرّ لنفسه بمناصحة الله والمسلمين فى أعلى عليّين مهاداً ، وطوق ^(٢)
للمسلمين فضلاً وعدلاً وأمداداً . غير أن هذه الفاجيء الذى فجّع ، ومنع القلوب
أن تقر والعيون أن تنجع ، غمرته ^(٣) البُشرى ، وغلبته المسرة الكبرى ، وعوّضته
من بقائكم الآية المحكّمة ^(٤) الأخرى ، فاضمحل من بعد الرسوخ ، وصار دليله
فى حكم المنسوخ ، بما كان من استخلاصكم الملك الذى أنتم أهله ، واختياركم
المجد الذى أشرق بكم محله ، وكيف لسهم أخطأ ذاتكم الشريفة أن يقال فيه

(١) وردت فى الإسكوريال (ودهاوه) والتصويب من الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وطرق) والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (غلبته) والتصويب من الملكية .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

أَصْمَى أَوْ أَجْهَزَ ، أَوْ لَأْمَلْ بَعْدَ بَقَائِكُمْ تَعَذَّرَ أَوْ أَعَذَرَ . إِنَّمَا الْآمَالُ بِبَقَائِكُمُ الْمَمْلَأُ ^(١)
 مَحْوَطَةٌ ، وَسَعَادَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِحَيَاتِكُمُ الْمُتَّصِلَةِ مَشْرُوطَةٌ ، وَفِيكُمْ [لَدِينِ اللَّهِ] ^(٢)
 الْخَلْفُ مِنْ كُلِّ ذَاهِبٍ ، مَا بَيْنَ عَابِرٍ فِي سَلَفِكُمْ وَنَاصِرٍ وَوَاهِبٍ ، فَلَقَدْ أَضَاءَتْ
 الْمَرَاقِ وَالْمَرَاقِبُ ، وَاطَّرَدَتْ الْمَفَاخِرُ وَالْمَنَاقِبُ ، وَحَسُنَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ الْعَوَاقِبُ ،
 وَظَهَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِيكُمْ سِرٌّ يَدْرِكُهُ الْمَلَا حِظُ الْمَرَاقِبِ ، إِذْ هَيَّأَكُمْ لِمُلْكِ الْإِسْلَامِ
 تَهِيئَةً لَمْ يَتَعَقَّبَهَا قَطْعٌ ، وَأَيَّدَكُمْ بِالْعَزْمِ الَّذِي لَمْ يَضِقْ لَكُمْ بِمَصَابِرَتِهِ ذَرْعٌ ، فَكَأَنَّكُمْ
 كُنْتُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ وَوَعْدٌ ، وَفِي خِفَارَةِ عَصْمَةٍ وَاقِيَةٍ وَسَعْدٌ ، حَتَّى حُزِنَتْ
 عَقِيلَةُ الْمُلْكِ ، وَقَدْ رُفِعَتْ عَلَيْهَا تَيْجَانُ الصَّفَاحِ الْبَيْضِ ، يَغْشَى الْعَيُونَ مِنْهَا
 لَأَلَاءُ الْوَمِيضِ ، وَأَوْقَدَتْ حَوْلَهَا مِشَاعِلُ الْأُسُلِ ، وَأُدِيرَتْ أَكْوَاسُ الْحَتُوفِ أَلْحَى فِي
 لَهَوَاتِ الشَّمِّ الْأَنْوُفِ مِنَ الْعَسَلِ . وَضُرِبَتْ عَلَيْهَا لِقَتَامُ قَبَابٍ ، وَسُدِّلَ عَلَيْهَا لِلْعِزَّةِ
 الْقَعَسَاءُ حِجَابٌ ، فَوْقَيْتُمْ مَهْرَهَا ، وَتَوَلَّيْتُمْ أَمْرَهَا ، فَسَلَّمْتَ الْخُطَابَ ، وَاسْتَقَامَتْ
 لِلْسَّعْدِ الْأَقْطَابُ ، وَاسْتَتَبَّ الْعَهْدُ ^(٣) لَمَّا فَهَمَّ الْخُطَابُ ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ اخْتَارِهِ
 اللَّهُ لِحَمْلِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجِ الْمُلْكُ ^(٤) عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلَا انْتَقَلَ عَنْ أَهْلِهِ ، فَأَيُّ تَرَحُّحٍ يَبْقَى
 بَعْدَ هَذَا الْفَرَحِ ، وَأَيُّ كَسَلٍ ^(٥) يَنْشَأُ بَعْدَ هَذَا الْمَرَحِ . إِنْ أَقْلَ الْبَدْرُ فَقَدْ تَبَلَّجَ
 الْفَجْرُ ، وَإِنْ غَاضَ النَّيْلُ ، فَقَدْ فَاضَ الْبَحْرُ ، وَإِنْ مَالَ فَلَكُ الْمُلْكِ فَقَدْ عَادَ
 إِلَى مَدَارِهِ ، وَإِنْ أَذْنِبَ الدَّهْرُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ مَا شَاءَ فِي اعْتِدَارِهِ . إِنَّمَا كَانَ هَذَا
 الْخُطْبُ وَهَنًا أَعْقَبَهُ ضَوْءُ النَّهَارِ ، وَسَطَعَتْ بَعْدَهُ أَشْعَةُ الْبَهَارِ ^(٦) ، وَصِيصَامَةٌ
 أَغْمَدَتْ ، وَسُلَّ مِنْ بَعْدِهَا ذُو الْفَقَارِ . وَلَا خِفَاءَ عِنْدَ ذِي قَلْبٍ صَافٍ وَفَكْرٍ شَفَافٍ ،

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْمَحَلَا) .

(٢) هَذِهِ الْعِبَارَةُ زَائِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْعَمَل) .

(٤) وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٥) وَارِدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (تَسَل) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْأَنْوَار) .

أَنَّ هَذَا السَّعْدَ^(١) الَّذِي أَلْبَسَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ أَطَوَّقَهُ ، وَمَدَّ عَلَيْكُمْ رِوَاقَهُ ، إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ نِيَّةِ اللَّهِ أَخْلَصْتُمُوهَا [وَنَذِيرٌ بِإِعَانَةِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْغَرِيبَةِ خَصَصْتُمُوهَا]^(٢) ، وَعَقِيدَةُ جِهَادٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْكَمْتُمُوهَا ، وَأَسْبَابُ نَصْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ أَبْرَمْتُمُوهَا ، فَتَهْلُلُ عَارِضُهَا الصَّبِيبُ ، وَرَفَعَتْ إِلَى حَيْثُ يُرْفَعُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، فَهِيَ لِحْيَا حَسَنَاتِكُمْ وَحَسَنَاتِ سُلُوكِكُمْ مِيدَانٌ ، وَجِيدٌ عَلَى الْآيَامِ بِحَلْيِكُمْ مَزْدَانٌ ، وَوَسِيلَةُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ رَبِّ الْعِبَادِ . وَإِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ الشَّرْقِ فَخَرٌ بِإِقَامَةِ الْحَجِّ ، فَلَكُمْ بِهَا فَخْرٌ بِإِقَامَةِ الْجِهَادِ ، وَبِحَسَبِ اسْتِزَادَتِكُمْ مِنَ النَّظَرِ الْجَمِيلِ لِمَا تَسْتَزِيدُونَ مِنْ جَمِيلِ نَظَرِهِ ، وَتَسْتَقْبِلُونَ عَوَايِدَ النُّصْرَةِ فِي حَاضِرِ الزَّمَانِ وَمُنْتَظَرِهِ ، وَأَمِلَ الْإِسْلَامُ قَدْ تَعَلَّقَ بِكُمْ^(٣) ، بِالْمَلِكِ الْجَوَادِ الْكَفِّ . الْحَمِيُّ الْأَنْفُ ، الْحَلِيمُ الْعَفُّ ، الْوَاحِدُ الْمَعْدُولُ بِالْأَلْفِ ، إِلَى نَهْدِ الصَّفِّ إِلَى الصَّفِّ ، وَمَا قَدْ سَلَفَكُمْ مِنْ غَرَسِ جِهَادٍ ، فَلَكُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ جِنَاهُ ، وَمَا يَخْلُدُوهَ فِي مَسْطُورِهَا مِنْ لَفْظٍ ، فَلَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعْنَاهُ ، وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْ فَضَائِلِكُمُ الْمُتَوَاتِرَةِ ، مَا حَقَّ الثَّنَاءُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَقْفًا مُؤَبَّدًا ، وَالِدَعَاءُ أَنْ يُوجِبَ إِلَيْهِ مَدَدًا فَمَدَدًا . فَإِنَّكُمْ بَادَرْتُمْ بَابَ هَذَا الْقَطْرِ^(٤) قَبْلَ سُدِّهِ ، وَدَعَمْتُمْ حَبْلَهَا الْعَاصِمَ قَبْلَ دَكِّهِ وَهَدَّهِ ، وَسَاجَلْتُمْ بَحْرَهُ بِبَحْرِ مِنْ جُودِكُمْ ، لَا يَتَعَاقَبُ الْجَزُرُ مَعَ مَدِّهِ ، وَتَدَارَكْتُمْ أَمْرَهُ بِالْعَزْمِ الَّذِي لَا يَتَقَلَّصُ بِمُمْتَدِّهِ ، وَلَمْ تَشْغَلْكُمْ الشَّوَاغِلُ مَعَ تَغَاوُرِ بَرُوقِهَا ، وَلَا الْحَرْبُ مَعَ نِفَاقِ سَوْقِهَا ، وَتَشْمِيرِهَا عَنْ سَوْقِهَا ، حَتَّى قَمْتُمْ لِمَلَّةِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِحَقُوقِهَا ، وَرَمَى اللَّهُ الطَّاغِيَةَ لِمَا قَصَدَ مِنْهَا بَيْتَ الْقَصِيدِ ، وَحَتَمَ بِأَسْطِهَا ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ، بِكُتَيْبَةٍ مِنْ كُتَاتِبِ سَعْدِكُمْ ضَمَنْتَ لِلْمَنَاصِلِ أَنْ لَا تَتَعَقَّبَ ، وَلِغُرْبَانِ الْأَسَاطِيلِ أَنْ لَا تَنْعَبَ ، وَلِلْجِيَادِ أَنْ تَجُمَّ إِلَى مَا بَعْدَ ، وَلِلْكَتَاتِبِ أَنْ

(١) وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارَدَ بِالْمَلِكِيَّةِ وَسَاقِطٌ بِالْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (مِنْكُمْ) .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (هَذِهِ الْبِلَادِ) .

تريح إلى أن يُنجز بعد فراغكم الوعد ، فمن لها الآن بكم ، وقد ألقى الملك إلى مقامكم العلى عصا سيزه ، وجرى بيمنه سانح طيره ، وخلص إليه خلوصاً لم يُعول فيه على غيره [زادكم الله من مواهب فضله العميم وخيره ^(١)] . وأننا لما قررنا هذا الخبر عن حقه ، ورصدنا طالعه في أفقه ، قابلنا الواقع بالتسليم ، والمنحة الرادفة بالشكر العظيم ، وأنسنا في غمام الهدنة رى هذا الإقليم ، وقلنا استقر الحق ، ووضحت الطرق ، وهدي الرايد وصدق البرق ، وتقررت القاعدة وارتفع الفرق ، واستبشر بإبلال الغرب أخوه الشرق ، وتأتت آمال أولى الجهاد [إلى اقتحام ^(٢)] إلى شطّ المجاز وأولى الحج إلى مراقبة ركب الحجاز ، وأن للدنيا أن تلبس الحلا العجيبة بعد الابتزاز . فالحمد لله الذى زين بكم أفق الملك ، وكيف بسعدكم نظم ذلك السلك ، وهنأ الله بإيالتكم العباد والبلاد [والحج والجهاد ^(٣)] والمُطهمة الجياد ، وصدق الظنون فى مقامكم الذى حاز فى المكارم الآماد . وبادرنا أيديكم الله من برّكم إلى غرضين ، وشرعنا علم الله ، ومن لدينا أن نباشر بنفسنا هذين القصدين ، إلا أننا عاقنا عن ذلك ما عقده العدو الذى بلىنا بجواره ، ومصابرة تبارّه فى هذا الشهر من الميعاد الذى استدعى إليه الخلائق من كل فج عميق ، واستقدم إلى يومه المشهود وجوه كل فريق ، حتى غص بهم عرض كل طريق ، ولا يومن أن يتفق رأيهم على كيد يحذر داؤه ، ويخشى اعتداده ، وإلا فهذا الغرض قد كنا لا نرى فيه بإجراء الاستنابة ، ولا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة . فليصل الفضل جلالكم ، ويقبل العذر كمالكم ، وإذا كان الاستخلاف مما تحمله العبادة ، ولا ينكره عند الضرار العرف والعادة ، فأحرى الأخوة ، والودادة ، والفضل والمجادة . فتمهّجنا جهدنا ، واصطفينا لباب

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

(٣) زائدة فى الملكية .

اللباب فيما عندنا ، فعيناً للنيابة عنا في تقرير الحب ، والمساهمة الصافية الشرب
فلاناً وفلاناً .

وصدر عني في هذا الغرض أيضاً

المقام الذي مساهمة جلاله واجب مفترض ، ومقاسمته فيما ساء وسر لا يُقدّم
عليه غرض ، ومذاهب تسليمه لله وتعويضه ، ليس فيها مأخذ مُعترض ، وصحة
يقينه الاستفادة عن اعتدال أركان دينه لا يشوبها مرض ، ولا يحل بجوهرها
عرَض . مقام محلّ أخينا الذي نساهمه فيما ساء وسرّ ، ونقاسمه فيما أحلّ وأمر .
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تنحامي الغير^(١) حِمَاه المنيع ،
وتشمل العصمة شمله الجميع ، وتعتذر له صروف الأيام مهما أساءت الصنيع ،
وتستقبل دينها الكبير لديه وحادثها الشنيع ، معظّم مقامه ، ومُلتزم إجلاله وإعظامه ،
الأمير [عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر]^(٢)
سلام كريم [طيب برعميم يخص مقامكم العالي]^(٣) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا يُعترض حكمه تنزيهاً لعزّه المحض وتعظيماً ، ولا يُسئل
عما يفعل انقياداً لأمره الحتم وتسلياً ، مقدر حصص الأعمار والآجال ، محصورة
المدى محدودة المجال ، لا تستطيع تأخيراً ولا تقديماً ، ومُصرف صروف الأيام
بحكمة مُستبقة إلى سابقة مشيئته وعلمه ، إنه كان عليماً حكيماً . والصلاة على
سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذي نتأسى في الحوادث بهديه اقتداءً وتعليماً ،
ونهنون لمصاب فقده كل^(٤) خطب ألمّ بنا من بعده ، وإن كان عظيماً ، ونجعل
حبه وسيلة جليلة ، يوم لا يسألُ حميمٌ حميماً ، والرضا عن آله وأصحابه :

(١) واردة في الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد بالملكية ومكانه بالإسكوريال (فلان) .

(٣) ما بين الحاصرتين وورد بالملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (خل) والتصويب من الملكية .

الذين سلكوا من أتباعه سبيلاً قويمًا ، وجَلَّوْا بنور هداة ليلًا بهيمًا ، فأحرزوا بالتماس مَرْضَاتِهِ من الله فضلًا عظيمًا^(١) ، ووجدوا مِصْدَاقَ وعده ، وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كريمًا . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم من مواهب الصابرين المحتسبين حظًا جسيمًا ، وجعلكم من عَمَرِ برضاه ، والتسليم لما قضاه ، قلبًا سليمًا . من حَمَرَاءِ غَرَنَاطَةِ حرسها الله ، وعندنا من المساهمة لمقامكم الأسمى ، والأَرْغَمَاضِ والمشاركة ، في حَالَتِي الانبساط والانتقباض ، والمُقَاسَمَةِ فيما يرد عليه من شَتَّى^(٢) الأغراض ، أَوْفَى ما به من عَاطَى في الله كل^(٣) وداد ، أَوْ تَعَاطَى جَمِيلِ اعتقاد ، أَوْ أَجَالَ قِدَاحِ إِخْلَاص ، أَوْ اخْتَالَ بامتياز في الحبِّ واختصاص ، نرى العمل بذلك وجوبًا ، ونعتقده فَرَضًا مكتوبًا ، وفي الأَعْمَالِ الزَّائِكَةِ مَحْسُوبًا . وَإِلَى هَذَا حَمَى الله مُلْكَكُمْ من طَرُقِ المَكْرُوهِ وهجومه ، وَأَنَارَ سَمَاءَ مَجْدِكُمْ بِكَوَاكِبِ السَّعْدِ ونَجْوَاهُ ، وَأَجْزَلَ حَظِّكُمْ مِنَ الرِّضَا بِمَكْتُوبِ قَدْرِهِ وَمَحْتُومِهِ . فَإِنَّا اتَّصَلْنَا بِمَا أَشْرَقَ الْإِنْفَاسُ بِصَعْدَائِهَا ، وَأَشْجَى النُّفُوسِ بِدَائِهَا ، وَغَمَرَ الشُّؤُونَ بِمَائِهَا ، وَعَمَرَ الْقَاوِبَ بِغَمَائِهَا ، مِنْ اسْتِثَارِ الله عِزِّ وَجَلٍّ بِتِلْكَ الْجَهَةِ السُّلْطَانِيَّةِ [ذات البركات]^(٤) الطاهرة والمكارم الهامرة ، الَّتِي ثَبَّتَتْ فِي أَوْرَاقِ الْآفَاقِ آيَ مَفَاخِرِهَا الْمَتْلُوءَةِ ، وَأَوْجِبَ لَهَا الْمَلِكُ حَقُوقَ الْأُبُوَّةِ ، أَعْلَى الله دَرَجَتَهَا فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَسْعَدَهَا بِجَوَارِ كَرَامِهِ الْمُخْتَارِ مِنْ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ . فَيَا لِهَذَا مِنْ فَاجِعٍ^(٥) لَمْ يَنْفَعْ فِيهِ إِلَّا الاسْتِِرْجَاعُ ، وَخَطْبُ تَسَاوَى عِنْدَ الْجَبَانِ وَالشُّجَاعِ ، وَطَارِقٍ لَمْ يُغْنِ فِيهِ الدِّفَاعُ ، وَهَاجِمٍ لَمْ تَنْفُ لَهُ الْقِبَائِلُ وَالْأَتْبَاعُ ، وَالْعَشَائِرُ وَالْأَشْيَاعُ ، أَهَابَ الْمَلِكُ بِأَعْلَى ذَخَائِرِهِ الْمَحْسُوبَةِ ، وَأَسْنَى حَسَنَاتِهِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَأَعْظَمَ عُدَدَهُ الْمَصُونَةِ الْمَحْجُوبَةِ ، عَلَى حِينِ سَحَّتْ سُحْبُ الْآمَالِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (عيما) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سنا) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كامس) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فادح) .

وجادت ، وانتظمت عقود الشَّمْل أو كادت . فإننا إلى الله تَسْلِيماً لحكمه ، وانقياداً لما سبق على من خلق في علمه ، هي عادة الأيام تَعَثَّر في مرحها ، وتشرب كأس فَرَحها . لاكن الحوادث إذا تَخَطَّت مقامكم الذى هو المقلَّة الباهرة والعمدة الناصرة ، والعدَّة الفاخرة ، والقطب الذى تدور عليه الدنيا والآخرة . فهى قد أقصرت وإن أَفْصَدَتْ ، وأَصَحَّت وإن أَرَعَدَتْ ، وأَخْلَفَتْ ما أوعدت ، وإن تعدَّت أو عَدَتْ . وتلك الجهة الكريمة وإن أعجل القدر الحتم جَنابها ، وحثَّ إلى خير علم ما عند الله ركاها ، قبل أن يشاهد ما يرتقب لمقامكم من إنجاز الوعد ، وتضاعف مواهب السعد ، فسترد على مجدها المَجُود بسحاب الرحمة ، المقصود ببركائب الفضل من الله والنعمة^(١) وَيَنْشَأ فيه من حسناتكم الجهادية ، وبركات الدَّعوة التى ترفُّ عليكم من هذه الأمة المحمدية [مدد لا تعب]^(٢) زائره ووافده ، ونور تسطع بتلك التربة الزكية شواهده ، حتى يتَّصل لها بكم فى الدارين أسباب السرور ، وتَقَرُّ عيناً تَفِدُ^(٣) على ضريحها المبرور من البركة الهامية والنُّور . فمن ترك بينه وبين الله مثلكم ، فقد تخَلَّف العمل الذى لا ينقطع مدده ، والفخر الذى لا يَبْلُغ أمدّه . ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، فذكر ولدأ صالحاً يدعو له ، وصدقةً جارية ، وعملاً يُنتفع به ، وقد اجتمع لها الثلاثة والحمد لله فى نَظْمٍ متنسق ، وتألَّف لها منه كلُّ مفترق لما أعدّه الله لقدمها من أسباب الكرامة ، وعُلُوِّ الدرجة فى دار المقامة . واعلموا أيّدكم الله ، أن هذا الخطب الذى طرق ذلك الجنب الأَرَفَّع ، والجلال الذى تجلى المجد والطهارة تَلَفَّع ، لو كان مما يُقْبَل فيه الفِدا ، أو يعمل بسببه النداء ، لكانت النفوس من خُلُصان مقامه الرفيع وأوليائه

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة بالملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

بعض فدائه ، والمبادرة تسبق أول ندائه ، ولا كنه أمر تُدْعَن له المراكب المُخْتَالَة والرماح المُنْثَالَة ، والجنود المَجْنَدَة ، والصّفاح المَهْنَدَة ، وحُكْم لا يُعْتَرَض فضله ، ولا يُدْفَع نصله ، ولا يُتَأَوَّل مسنده . ومقامكم الأعلى ، يتلقى أمر الله بالتسليم والرضا ، ويرضى بحكمه جل جلاله فيما قَضَى ، ويعلم أَنَّ الدنيا لَيْسَتْ بدار القرار ، وأن ما عند الله خير للأبرار ، والصبر أعلى الذّخائر ، وأسى المفاخر . وقال الله تعالى ، اقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فقد سهّل مضضُ فقدته كل خطب من بعده ، وسلّى كلّ واجد عن وجده ، وعن مثابتهم . توخذ السّير الفاضلة وتُلتَمَس ، ومن آثاركم وآثار سلفكم تقتضى المرشد وتُقْتَبَس ^(١) ، وأننا لما اتصل بنا هذا الخبر ، وجّهنا إليكم من ينوب عنا في سُنّة العزا ، من المساهمة بأوفى الأجزاء [ولولا حكم الضروة لم نقنع برخصة هذا الإجراء] ^(٢) . لاكن الأمور مثلكم من يتأملها ، والأعذار فضلكم يقبلها ، والذي عيناً لذلك هو [قريبنا الرئيس الأجل الأعز الأود الأخلص الأصنى ، أبو جعفر ابن الرئيس الجليل الماجد الرفيع المجاهد الأشهر الأخطر الأحفل الأكمل الموقر المرحوم أبي الحسن بن نصر ، وصل الله عزته ، ووالى سعادته ورفعته] ^(٣) ومجدكم بنعم بالإصغاء إليه فيما أخلنا فيه من ذلك عليه . والله سبحانه يقي مجدكم من طَرَق الحوادث ، ويحرس حماه من هجوم الخطوب الكوارث ، ويجعله الوارث ، ويحفظ من شرب الغير تلك الموارد ، ويضاعف نعمه عندكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) وردت في الإسكوريال (وتلتمس) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية . ومكانها في الإسكوريال (الرئيس فلان) .

كتب الشفاعات

المقام الذى ظلالُ فضله محدودة ، وينابيع جوده موزودة ، وأبواب مثابته مقصودة ، [وحرركات إقباله مرصودة]^(١) وكتائب نصره مؤيدة معصودة ، وجواهر فخره على ترائب الزمان ونحره متسوقة منصودة . مقام محل أخينا ، الذى نصل الثنا على معاليه ، ونقتنص نتيجة النصر من مقدم وعده وتاليه . [ونورد مُنفصل حمده ونواليه]^(٢) ، على استمرار الدهر وتواليه ، ونتوعّد العدو الكافر^(٣) به وبمن يُواليه ، وننذر به بحلول الأثر العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا [ابن السلطان الكذا]^(٤) أبو عنان ، أبقاء الله مقصود الجناب ، واصلاً لمنبت الأسباب ، تُحي أسنة كتائبه رسوم السنة والكتاب ، وتتكفل عزائمه للإسلام وأهله ، بنيل الطلاب وبلوغ الآراب ، ولا زال سعده مُقتبل الشباب ، مفتح الأبواب ، وصنع الله له أنيق الأثواب ، ومراقبته لله تعالى كفيلة بالزلفي وحسن المآب . معظم مثابته العالية ، ومجاداته السامية ، المعتد بعزائمه الماضية ، المثنى على مكارمه الوافية ، وفواضله الكافية ، الداعي لملكه باتصال العز وتولى العافية . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن نصر ، سلام كريم برّ عميم [يعخص مقامكم الأعلى ومثابتنكم الفضلى ورحمة الله وبركاته]^(٥) .

أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله ، والثناء عليه بمتواتر^(٥) جوده ومترادف فضله ، الذى نمحض الود الخالص من أجله ، ونصل اليد على دفاع من حاد عن

(١) ما بين الخاضرين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية والفاتيكانا .

(٢) زائدة في الملكية والفاتيكانا .

(٣) ما بين الخاضرين وارد في الملكية وساقط في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاضرين وارد في الملكية والفاتيكانا ، وساقط في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بمواهب) .

سُبله ، ونُخلص الضمائر لإِعلاء دينه الحق وَجَمَعَ شمله . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد خير أنبيائه وخاتم رسله ، الذى يُعوَّل على جاهه فى الأمر كله ، ونأوى فى الدنيا والآخرة إلى ظله ، ونجعل المودة فى ابتغاء مَرْضَاتِهِ وَسِيْلَةً إلى [كَرِيم ^(١)] محله . والرضا عن آله وأصحابه ، وأنصاره وأحزابه ، وأهله المقتدين [بقوله وفعله] ^(٢) المهتدين بهديه ، فى طَعْنِهِ وَجِلِّهِ ، وَعَقْدِهِ وَحَلِّهِ ، المستمسكين بمتين حبله ، والدعاء لمقامكم الأعلى بنصر يَمْضَى فى الأعداء شَبَابُ نَصْلِهِ ، وَصُنْعُ يتكفل للإسلام ببسوق فرعه ، وثبات أصله . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللهُ لَكُمْ سعداً ، تطلع فى أفق الإسلام كواكبُه ، ونصراً تسطر فى صُحف الأيام عجائِبُه ، وَصُنْعاً إلهياً ، يعرف بالحاضر منه غائِبُه ، واعتناءً تَتِيَسَّرُ به آمال الدين الحنيف ومطالبه . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التشيع لمقامكم عقائدُ بواطنها بالظواهر مقصودة ، وأوقاتها بما يرضى الله عز وجل مشهودة ، وآمالنا بالاعتداد بكم ظلالة مَمْدُودَة ، وجهاتنا بتأميل مقامكم ، أبواب المخاوف عنها مَسْدُودَة . أَبْقَاكُمْ اللهُ بَقَاءً يشرح صدر الإسلام ، وتتهال له وجود الأيام ، وحكم للملككم على أعدائه بثبات الأقدام ، ونصر الأعلام . وإلى هذا فَإِنَّا ، بعد أن نقدم الواجب الأوَّلَ المهم ، الذى لا نوثر ^(٣) على تقديمه قولاً ، من السؤال عن أحوال ذاتكم السنية ، هو تقرير التشيع إلى تلکم المثابة ^(٤) السلطانية ، وبث ما عندنا من خاوص الضمير وإمحاض النية ، نعرفكم ، عرفكم الله أسباب السعادة الأبدية ، ونصر بعزوماتكم طائفة الأمة المحمدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية .

إن الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أبيا عبد الله بن مرزوق ، وَصَلَ اللهُ عزته ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (المقتدين به فى قوله الكريم وفعله)

(٢) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) واردة بالإسكوريال ، ومكانها بياض بالملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (الآثار) .

ويسر وجهته ، لما ورد علينا ، واستقر لدينا ، وهو جملة من جمل الفضل ،
والمستوى على أمد الخصل ، وفارس المنابر يروض صعاها ويُفِرِّع هضابها ، قمنا
جهد إمكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وبسلفكم في
ترَفِيع قدره ، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد إفادته ، وشددنا
عليه يد الاغتياب في إبدائه وإعادته ، إذ هذا القطر المنقطع ، يتوفر فيه الاغتياب
بحملة السيوف وحملة العاوم ، هؤلاء لإقامة الجهاد المحتوم ، وهؤلاء لإقامة
ما للدين من الرسوم . ومع ذلك فلم يقرُّ له بتفريق شمله قرار ، ولا فارقة إليهم
حنين ولا أدكار ، [والأوطان هي الأركان]^(١) والأولاد ثمرة الفؤاد ، وأفلاذ
الأكباد . ولما صدر فيما تقدم من التماس وصولهم ما لم يهيه المقدار ، ولا صحبه
الاختيار ، عزم الآن ، والله يسنى توفيقه ، ويسهل طريقه ، على قصد بابكم
الكفيل بالأمل^(٢) ، الضمين بنجاح العمل ، ليجدد العهد بتعظيم مثابته ، ويبث
ما يعانيه [بسبب تشتت]^(٣) شمله من كآبته ، ويباشر الرغبة بنفسه ،
واثقاً بتلبية المقام الكريم وإجابته ، ولم يزل منه هذا العزم مُعْمَل الرُّكَّاب ،
مفتِّح الباب ، لاسيما مع ما تقدَّم في شأنه من مخاطبة ذلك العناب ، وكُنَّا نَكِلُ
الأمر إلى اختياره عند ورود الخطاب ، فيعتذر بما قرر من الأمور الخاصة والأسباب .
والآن أفصح^(٤) بتغلُّب شوقه ووجدته ، وارتفاع أعذاره ، واستقامة قصده^(٥) ،
وشرع في اللحاق ببابكم الأعلى بغاية جدِّه ، وطلب منا أن نخاطبكم في شأنه ،
ونستمطر له من مقامكم سحائب إحسانه ، ونرغب منكم في تيسير أماله ورغبته ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الأوكار) والعبارة كلها ساقطة في الفاتيكانه .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الآمال) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الفاتيكانه ، وورد مكانها في الإسكوريال (بشت) ، وفي الملكية (بشتيت) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية ، والفاتيكانه (أعرب) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والفاتيكانه ، وفي الإسكوريال (صدره) والأولى أرجح .

وإسعاف غرضه ، ونيل طلبته ، ومقامكم غنى عن التنبيه على من اشتهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح في دياجى الليل وسدّفه ، والثناء الكريم ، الذى يخجل الزهر حين مُقْتَطَفه ، فبادرنا إلى إسعاف سؤاله ، وتيسير مأموله ، وتسهيل سبيله ، وترجيح دليله ، إذ هذه الجهات الودية ، لا يختلف كما ذكرنا حكمها ، ولا يعفو في المودة رسمها . وعرفنا مقامكم بذلك ، ليكون منه على علم مقرر ، وأصل محرر ، ونحن على ما يعلمه مقامكم ، من التعظيم ، الذى أسبابه مبرمة ، والتشيع الذى آياته ثابتة محكمة ، والود الذى [مطرزة] ^(١) حلّله مُعلّمة ، لا يمر يوم إلّا وأكدينا من مقامكم العلى سؤال ، وفى تسنى أمله يحول الله آمال . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم ، البر العميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

وأصدرت أيضاً

عن السلطان أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد
ابن نصر مخاطبة السلطان أبي عنان ابن السلطان
أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد في شأن والي
مربلة لذلك العهد الشيخ المكرم المبرور أبي
زكريا البرقاجي وقد تقاعد بأحواز جبل الفتح
عندما انفصل عن ولاية مربلة^(١)

المقام الذي له القدر الرفيع ، والعز المنيع^(٢) ، والمكارم التي حسن منها
الصنيع . مقام محل أئحينا الذي نعظم جانبه ونتم من الإجلال واجبه ، ونشكر
في سبيل الجهاد مذهب . السلطان أبي عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن [وعزمه
إلى الغايات البعيدة مترامياً]^(٣) أبقى الله سعده صاعداً سامياً ، وجوده هاملاً^(٤)
هامياً ، وفضله يعم قاصياً من الأقطار ودانياً . ولا زال الدين الحنيف اركان شديد
من معاضدته^(٥) ثاوياً ، مهما خاف ضداً أو شكى مُناوياً ، والوجود لأخبار جوده
وبأسه راوياً ، محل سلطانه الجارى في التشيع لأخوته الكبرى ملء عنائه ،
الداعي إلى الله في صلة سعده ، وإعلاء شأنه ، ونصره ، على أحزاب الكفر
وشيع طغيانه . الأمير عبد الله يوسف [ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل
ابن فرج بن نصر]^(٦) سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) مربلة ثغر أندلس صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوب غرب مالقة وشمال شرق جبل طارق ، وكان لها شأن بين ثغور مملكة غرناطة لحصانة موقعها وغنى مواردها .

(٢) هكذا وردت في الملكية والفايكانه ، وفي الإسكوريال (الرفيع) مرة أخرى وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الفاتيكانه وساقطة في الإسكوريال والملكية .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانه (آوياً) .

(٥) وردت في الإسكوريال (معارضته) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٦) ما بين الخاصرتين واردة في الملكية والفايكانه ، وساقط في الإسكوريال .

أما بعد حمد الله أهل الحمد والشنا ، الذى نتعاون فى ذاته ، وابتغاء مَرْضَاتِهِ ، على جهاد الأعداء ، ونلتبس بذلك الفوز لديه يوم الجزاء . والصَّلَاة على سَيِّدنا ومولانا مُحَمَّد رسولهُ سَيِّد الرسل وخاتم الأنبياء [الداعى إلى السبيل السواء] ^(١) الهادى ^(٢) إلى الحجة الواضحة البيضاء ، نبي الرحمة الذى نلجأ فى جاههِ إلى الرفيع من اللواء ، ونستدرُّ ببركته أخلاق النعماء . من رب السماء . والرضا عن آله وصحبه البرَّة الأتقياء ، أولى المفاخر الباقية على تعاقب الآناء ، المهتدى بهم من بعده كما هدى نجم الظلماء . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله بلوغ الأمل ^(٣) الرجاء ، وسنّى بنصركم حياطة الأرجاء ، من حمراء غرناطة ، حرسها الله والاعتداد بكم فى الله وثيق البناء ، والتشيع فيكم متصل [الأسانيد صحيح] ^(٤) الأنباء ، والثناء على معاليكم السامية العلاء [متوالى الإقبال متصل الولاء] ^(٥) . وإلى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ، فإن مؤديه إلى مقامكم الكريم ، [ومثابتكم التى لها فى الفضل مزية التقديم] ^(٦) ، خديمكم الشيخ الأجل ^(٧) المكرم أبا زكريا البرقاجى ^(٨) الوالى بمربلة ، وصل الله كرامته ، وسنّى سلامته ، يقرر لديكم ما ثبت عندنا من حسن أنحائه ومشكور بلائه ، وما بذله فى هذه الأيام الفارطة بمربلة وجهاتها من تسديد الأمور ، وتمشية أحوال ما يرجع إليها من الثغور ، بالجد المبرور ، والقصد المشكور ، وأنه لم

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والفاتيكانا ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانا ، وفى الملكية (الداعى) .

(٣) زائدة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الفاتيكانا ، ومكانها فى الإسكوريال والملكية كالاتى

(متصل الولاء) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانا ، وساقط فى الملكية .

(٧) زائدة فى الملكية والفاتيكانا .

(٨) الإسمان و اردان فى الإسكوريال والملكية ، وساقطان فى الفاتيكانا .

يزل يباشرها بنفسه ويتفقدّها ، ويمشى واجباتها ويسدّها ، ويحاول ما أمكن من مجابيتها ، ويبذل الأعمال المشكورة فيها ، وأنه لما عزم فيما سلف على اللّحاق ببابكم ، والتوجه إلى كريم جنابكم ، أشرنا عليه بالمقام ، لما علمنا من غنائه ، وتحققنا من اكتفائه ، ولكون مربلة حرسها الله ، كان قد توفى قائدها رحمه الله ، فرأينا أن إقامة الوالى المذكور فيها ، لتسديد نواحيها ، وقبض مالا يعرفه غيره من مجابيتها ، من الأسباب^(١) التى تعود بمرضاة أهلها ، ونكاية أعاديها ، ولما نعلم من أن هذا القصد يقع برضى من مثابتكم ، حرس الله أكناف^(٢) معاليها . فأقام المذكور جارياً مما عهد منه على سنن ، وباذلاً من الخدمة كل قصد حسن ، ولما وقع العزم الآن على إشخاصه إلى مقامكم الكريم^(٣) واستقدامه ، قررنا عندكم عُذْرَه فى مقامه [لتكونوا على علم من اجتهاده فى خدمتكم وجده وما بذله من حميد سعيه وحسن قصده]^(٤) [وجنابكم لا تضيع عنده وسيلة ولا تاتيس منها لديه مخيلة]^(٥) . وبادرنا إلى تعريف مقامكم بذلك وإعلامه ، لتكونوا على يقين ، وسبيل مبين . ونظركم فى ذلك أعلى ، وبكل جميل أولى . والله يصل سعادتكم ، ويوالى رفعتكم . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا .

وكتبت أيضاً عنه فى غرض الشفاعة بما نصّه :

المقام الذى مقاصده كلها صالحة ، ومكارمه واضحة ، ومساغيه إن شاء الله فى نصر الإسلام ناجحة . مقام محلّ أخينا الذى نجلّ مقامه ، ونصل بره وإعظامه ، وندعو الله عز وجل ، أن يبسر فى الظهور على العدو الكفور مراره . السلطان الكذا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والفاثيكانه (الأبواب) .

(٢) زائدة فى الإسكوريال .

(٣) زائدة فى الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاثيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٥) ما بين الخاصرتين واردة فى الفاثيكانه ، وساقطة فى الملكية والإسكوريال .

أَبِي عَنان ابن السلطان الكذا أَبِي الحسن ابن السلطان الكذا أَبِي سعيد بن عبد الحق
أَبَقاه الله على المجد ، مؤمِّل النصر ظاهر السعد ، كفيلاً عزمه السلطاني
للإسلام وأهله بإنجاز الوعد ، معظَّم إخائِهِ الكريم ، ومُوقَّر مجده الضميم ، المعتدُّ
بسلطانه الرفيع ووُدِّه السليم ، الملتزم لما يجب لمقامه العلى من الإجلال والتعظيم ،
المتم لشكر فضائله الجزيلة ، ومقاصده الجميلة أكمل التتميم ، العجاري في توفية
واجبه ، وإجلال جانبه على المنهج القويم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين
أَبِي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب برِّ عميم ، يخص
مقامكم الأعلى ^(١) الأسعد ، ويعتمد محلکم الأرفع الأمجد ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حمدِ الله الواجب حمده ، المتوالى إنعامه ورِفده ، الذي جعل التواصل
في ذاته سبباً لا ينفصم عقده . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرفيع
قدَّرَهُ الكريم مجده ، رسول الرحمة الذي أشرق بدعوته غور المعمور ونَجَّده ،
الداعي إلى الدين القويم ، والصُّراط المستقيم ، لا يضل قصده . والرضا عن آله
وأصحابه ، الذين أنجز بنصرهم وعده ، ورفعَت بهم أركان ملته ، بعدما ضُمَّ عليه
ضريحُه الطاهر ولحدُّه ، والدعاء لمقام أخوتكم العالية بالسعد الذي لا يبلغ حدُّه ،
والنصر الذي يمضي في الأعداء حدُّه ، والتأييد الإلهي الذي لا يتقلص مُمتدُّه . فإنَّا
كتبناه لمقامكم الأسمى ، كتب الله لكم ^(٢) من السعادة أوفرها حظاً ، ولا أعدمه رعاية
منه ولحظاً . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا متعرِّف بفضل الله الذي عودَّه ، واطفه
الخفي ، الذي لا تبلغ الأفكار أمدّه ، وصنعه الجميل لمن في هذه الأقطار الغريبة المفردة ،
ثم ببركة الاعتداد بمقامكم نصره الله وأيده ، وأعلى على العدو الطاغى يده ، إلا ما يُرجى
من أنبلج صباح النصر ، والألطف التي تجلُّ عن الحصر ، والصنائع التي تحمد

(١) زائدة في الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الفاتيكانه وساقط في الإسكوريال والملكية ونسبته وارده في الإسكوريال
والملكية ، وساقطة في الفاتيكانه .

فيها بحول الله وقوته عاقبة الصبر ، وجانبكم العدة التي يعول عليها الإسلام في جميع الأمر ، وتُتمس الإعانة من تلقائه على مر الدهر ، وثناؤنا على معاليكم الحافلة طيب النشر ، كريم الخبر والخبر ، ووُدُّنا لكم خالص السر والجهر^(١) وموجبه إليكم ، هو أنه تأدى إلينا كتابكم المبرور في قضية الشيخ أبي الربيع سليمان ابن الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلي أعزه الله . تذكرون أن من هنا لكم من قومه بسطوا يد الرغبة إلى مقامكم في أن يجتمع شملهم بالماذكور ، وتكل لهم بمقامه معهم في تلك الخدمة السعيدة أسباب السرور ، فأسعفتهم قصدهم فيما رغبوه ، وآثرتم إسعافهم فيما من مقامكم الأعلى طلبوه ، وعرضتم علينا تكميل هذا الغرض المطلوب والقصد المرغوب ، وإشارة مقامكم الأعلى عندنا مقبولة ، وأغراضه النماضلة على كاهل البر محمولة ، ومثابرتنا على توفية أغراضكم ، جهتكم^(٢) الكريمة موصولة [وقد أذننا إلى أبي الربيع المذكور في التوجه إليكم]^(٣) والقدم عليكم مثابرة على تحصيل ما قصدتم ، ووقوفاً عندما حددتم ، وعلماً أن من جنح إلى إيالتكم المنصورة ، وانتقل إلى خدمة [بابكم التي آثاره مبرورة]^(٤) فكأنه ما برح عن مكانه ، ولا انتقل عن شأنه ، إذ الأحوال كلها واحدة ، والعزائم في كلتا الجهتين على جهاد العدو مساعدة . ولو طلب منا المذكور اللحاق ببابكم ، والانضواء إلى جنابكم قبل وصول كتابكم المرفع وخطابكم ، لم يجد طلبه عندنا صدأ ، ولا عرفت رغبته رداً ، فكيف بعد أن اقتضت مخاطبتكم خلاص القضية ، وتوجهت فيها إشارة أخوتكم المرضية ، وما نحن إلا على أتم ما يجب لمقامكم من [تَتِمُّمِ المقاصد]^(٥) وتكميلها ، وإجلال الجوانب وتعجيلها^(٦) [وصلة ،

(١) واردة في الملكية والفايكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (بلدكم) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفايكانه ، وساقط في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والملكية ، وورد مكانها في الفايكانه (أخوتكم المبرورة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (تكميل المقاصد وتتميمها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (وتعظيمها) .

حديث الود يقيمها ^(١) والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم [ويحفظ دركم ويضاعف نعمه عندكم] ^(٢) والسلام الكريم عليكم كثيراً ورحمة الله وبركاته . [وكتب في آخر رجب الفرد المبارك من عام خمسين وسبعماية ، عرف الله خيرته] ^(٣) .

وكتبت عنه في قريب من هذا الغرض ما نصه :

المقام الذى تُحطُّ الرحال ببابه ، وتترامى الآمال إلى جنبه ، ويتمسك الإسلام على بعد الديار واعتراض البحار بأسبابه ، مقام محل أًخينا ، الذى آمال الإسلام ، بمظاهرة مُلكه الرفيع معقودة ، وبابه برغبات أهله مقصودة ، وسبب اعتداده بعزائمه الماضية ، ومكارمه الراضية قوية مشدودة . السلطان الكذا أبى عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ^(٤) أبقاه الله ، ومثابته حرم تهوى إليه أفئدة الناس ، ومفاخره ميدان ، تتراهن فيه جياد الجود والبأس ، ونصوص سعاده ، تغنى عن التماس القياس ، معظم مقامه الذى تعظيمه هو الغرض الأكيد ، المُنْتَى على مكارمه التى لها الصَّيْت البعيد ، المعتد بوَدِّه الذى هو السبب الوثيق بفضل الله والركن الشديد ، والذُّخْر الذى لا يَبِيد . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر . سلام كريم عليكم ^(٥) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمْد الله مُلْهم المُرْشِد ، ومُنْجِح المقاصد ، المؤمِّل فى الشدائد ، الكريم العوائد ، الذى بالتوكل عليه تُفْتَح أبواب الفوائد ، ونَدْرُأ فى نحر العدو المكائِد .

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاطيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وازد فى الملكية والفاطيكاه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وازد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاطيكاه .

(٤) الإسمان ساقطان فى الفاتيكاه .

(٥) وردت هذه التحية فى الملكية والفاطيكاه كالاتى : (سلام كريم طيب بر عيم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابتم الفضل) .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله الذى شرع من شريعة الإسلام
أعذب الشرائع ، وأَصْفَى الموارد ، وهدى الناس [سبيل السَّوَا] ^(١) وقد بان جور
الجائر ، وحيد الحائِد ، وحملهم على نهج الهدى ، كما حَمَلَت السَّوَايم عصى الرَّائِد ،
حتى تعوضوا النعيم الخالد من المتاع البائِد . والرضا عن آله وصحبه الكرام
الأمَّاجد ، المقتدين بهديه الصالح ، السالكين على سننه المقاصد ^(٢) ، والدعاء لمقام
أخوتكم السامى المراقى والمصاعد ، بالسعد الكريم الغائب والشاهد ، والنصر الذى
يقضى ^(٣) بكبت العدو المعاند . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعداً باهراً ،
وعزاً ظاهراً ، وُصْنَعاً ^(٤) سافراً ، وحظاً من عناية الله وافرأ . من حَمراءِ غرناطة
حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه إلَّا ما يؤمل من فضله ^(٥) المرجو فى كبت
هذا العدو ، ونرتقب من عوائِد صنعته الجميل فيه مع الرواح والغدو ، وجانبكم
بعد الله هو الصُّنْع ^(٦) المؤمل ، والملجأ الذى عليه المَعْوَل . وموجه إليكم وصل
الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، هو أن الواصلين بكتابنا هذا إليكم ، والواردين
بخطابنا عليكم ، وهو وفد من برُنْدَة عَصَمَها الله ووقاها ، ودفع عنها وعن سائر
مدن الإسلام شر عداها ، من قوادها وولاتها وأجنادها [وحماها وأشيائها ووزرائها
وطلبتها وفضلائها وفقهائها ، وكافة دَهْمَائِها] ^(٧) وصل الله صلاح أحوالهم ،
وإنجاح أعمالهم . يريد أن يقرر لدى مقامكم أعلاه الله وأيده ، وأظهر أمره وأسعده
أنهم لم يمنعهم من الوفاة على مثابتكم العالية الساطان ، المتَّصِفَة بالعدل والإحسان ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (إلى سواء السبيل) .

(٢) وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه (القاصد) ، والتصويب من الملكية .

(٣) ورد مكانها فى الفاتيكانه (يمضى الحكم) .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية والفاتيكانه (لطفه) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الوزر) .

(٧) ورد فى الفاتيكانه مكان هذه العبارة الطويلة ما يأتى فقط (وكافها وأشيائها ودَهْمَائِها) .

فما انصرم من الزمان ، إلا ما عليه حال هذه الأقطار من تكالب الكفار ، وتعدُّ الأوطار . ولا خفاء بحال البحر ، وتلاعب الأسطول الكافر بين أثباجه ، وتراعى غريباته في هَضَبات أمواجه ، وأخذها لجميع ثنائياه وفجاجه ، وما زلنا نعدهم بأننا نوفد على جنابكم الرَّحْبَ إرسالنا ، ونعلق بمقامكم الرفيع آمالنا ، فنشملهم بهذا الغرض ، ونقيمهم في صفٍّ^(١) هذا الواجب المفترض ، ونجعل هذا القصد للجميع شاملاً ، والجَفْنُ للطائفين حاملاً ، ورغباتهم في تعجيل القُدوم عليكم ، والبدار إليكم ، يقيم القلق فيها ويقعد ، والآمال الصادقة تقرهم من المثول بين يديكم ، وأحوال الدهر تُبعد . فلما تهباً سفر من عيناه للرسالة ، والقُدوم على تلك الإيالة ، الرفيعة الجلالة ، أو عزنا لهم أن يلبثوا^(٢) بمالقة حرسها الله ، بخلال ما يتصل بذلك النفر استدعاؤنا إياهم للسفر ، فاتفق أن كان ببحرها من حربيَّات^(٣) العدو ، من يجتاز بتلك الأحواز ، ويمنع الجواز ، اغتنم ناسنا غفلته عن مراقبتهم وانحرافه عن مُصَاقِبَتِهِمْ ، ورأوها فرصة تُنتهز ، وغنيمة تحسرس ، فركبوا البحر على عجل ، وبادروا للسفر من غير تربص ولا كسل ، ونرجو أن يكونوا قد حصلوا على القصد ، واتصلوا بتلك الإيالة الكريمة المجد ، الباهرة السعد ، ووصل هذا الوفد المبارك المذكور ، بما في استطاعتهم من بدارهم وإسراعتهم [معلنين بطاعتهم]^(٤) فحلُّوا مالقة حرسها الله ، على أثر سفر الإرسال وإقلاعتهم . [وتعرفنا الخبر فبادرنا إلى تكميل أغراضهم المبرورة وإعانتهم]^(٥) [على ما توجهوا إليه من المساعي المشكورة ، وأمروا بتعمير جَفْنٍ ثانٍ يكون فيه سفرهم إلى بابكم المقصود ، وظلكم الممدود ، والمثول بين أمثالهم من كرام الوفود . وخطبنا مقامكم الذي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والفايتيكاه وفي الملكية (نوصف) .

(٢) هكذا وردت في الملكية والفايتيكاه ، وفي الإسكوريال (ليتأتوا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايتيكاه (أجفان) .

(٤) زائدة في الفاتيكاه .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والفايتيكاه ، وساقط في الملكية .

يقبل الأعذار إذا ظهرت ووضحت وجوهها وبهرت ، تبين لكم أمرهم ، ونبسط
عُذرهم . وإنما هو ، أبقاكم الله مسعى^(١) لا يُشأن بإخفاق ، وفرض وقت أدائه
متسع باق ، ومملك مدد من الصفح خير رواق ، وأورد من موارد الجود كل رِقراق .
وهم يردون على مثابكتكم العليا ، الجامعة بين مكارم الدين والدنيا [سفراء عن مَنْ
دونهم]^(٢) [فاشرخوا صدور مَنْ وراءهم من المسلمين بقبولكم ، وأقروا عيونهم ،
وحققوا آمالهم ، وصدقوا ظنونهم]^(٣) فمقامكم رحب لمن حط بفنائيه ، وأعلق^(٤)
به كف رجائه . عرفناكم بهذا لتكونوا منه على علم ، والله يصل سعدكم ، ويحرس
مجدكم . والسلام الكريم البر العميم يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

وكتبت عن السلطان لهذا العهد

أمير المسلمين أبي عبد الله ابن السلطان
أبي الحجاج بن نصر ، وقد وصل لأول دولته
الفقيه الأستاذ قاضي حضرة المغرب أبو عبد الله
المقرئ رسولا عن السلطان أبي عنان وعزم على
الإقامة بالأندلس خارجاً عن عهدة الرسالة

المقام الذي يحسب الشفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العدة ، ويتم الفضيلة ،
[ويعرف العوارف الجزيلة]^(٥) ، ويبغى حمده الممادح العريضة الطويلة ، مقام
محل والدنا^(٦) الذي كرم مجده [ووضح سعده]^(٧) وصح في الله عقده ، وخلص

(١) وأردت في الإسكوريال والملكية ، وساقطة في الفاتيكانه .

(٢) هذه العبارة وأردت بالملكية والفاتيكانه ، وساقطة بالإسكوريال .

(٣) فيما بين الحاضرتين في الفاتيكانه تقديم وتأخير .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (اعتلق) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وورد مكانها في الملكية والفاتيكانه (ويضنى مجده

المتن الجزيلة) .

(٦) في الإسكوريال (أخينا) .

(٧) هذه العبارة وأردت في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية والفاتيكانه .

في الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده السلطان الكذا ، أبقاه الله
لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها [وأخلاق جميلة ^(١)] تجيب دعوة طبعه
الكريم مهما دعاها ، معظم سلطانه الكبير ، ومجد مقامه الشهير ، المتشيع لأبوته
الرفيعة ، قولاً باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى
والولى النصير ، الأمير فلان . سلام كريم طيب بر عيم يخص مقامكم الأعلى ،
ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى جعل [الخلق الحميدة] ^(٢) دليلاً على عنايته بمن حلا
بمحلاها ، وميز بها النفوس التى اختصها بكرامته وتولاها ، حمداً يكون كفواً
للتعم التى أولاهها ، وأعادها وأولاهها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده
ورسوله المترقى من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها ، الممتاز من أنوار الهداية
بأوضحها وأجلها ، مطلع آيات ^(٣) السعادة يروق مجتلاها ، والرضا عن آله
وأصحابه ، الذين خبر صدق ضمايرهم لما ابتلاها . وعسل ^(٤) فى الأفواه ذكرهم ، فما
أعذب أوصافهم على الألسن وأخلاها ، والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله علاها ،
بالسعادة التى يقول أنا طلاع الثنايا ابن جلاها ، والصنائع التى تخترق المفاوز ^(٥)
بركائبها المبشرات فتفلى فلاها . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عزة مشيدة
البناء ، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثنا ، وغلدكم من قلائد
مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابعة الاعتنا . من حمراء غرناطة حرسها
الله ، والود باهر السننا ، مجدد الأنا ، والتشيع رحب الدست ^(٦) والفنا . وإلى هذا

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الحمد) ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أنوار) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (عمل) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانا .

(٥) وردت فى الفاتيكانه (المفارق) وهو تحريف .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الدسعة) .

[وصل الله سعدكم وحرس مجدكم]^(١) فإننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح ، أبي عبد الله بن المقرئ ، خازن الله لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله العميم^(٢) أملة ، جواباً عما صدر عن مثابرتكم فيه من الإشارة الممتثلة ، والمآرب المُمَعَمَلَة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم [في ذلك] بالشفاعة التي مثلها بأبوابكم لا ترد ، وظماها عن مناهل قبولكم لا يحلا ولا يرد^(٣) حسبما سنه الأب الكريم والجد ، والقبيل الذي وضع منه في المكارم الرسم^(٤) والحد ، ولم تصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة ، وتبلُّج صبح الزهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة ، وظهر تخليه عن هذه الدار ، واختلاطه باللفيف والغمار ، وإقباله على ما يعنى مثله من صلة الأوراد ومداومة الاستغفار . وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره ، والقصد الذي أبرزه للعيان وأظهره ، أمرنا أن يُعْتَنَى بأحواله ويُعان على فراغ باله ، [ويجـرى عليه سبب]^(٥) من ديوان الأعشار الشرعية^(٦) وصريح ماله ، وقلنا ما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ، ففرّ من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المُنْتَمَى والمُنْتَسَب ، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسّمين^(٧) بالخير ، والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يُتَعَرَف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلّة تعريفه . ثم تلاحق إرسالكم الجِلَّة ، فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الفضل والحلم ، من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا بما تحقّقنا من أمره ،

(١) ما بين الخاصرتين وأورد في الملكية والفاتيكانه ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) زائدة في الملكية والفاتيكانه .

(٣) في الملكية والفاتيكانا (تصد) .

(٤) في الملكية (الوصف) .

(٥) هذه العبارة وأورد في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) وردت في الإسكوريال (الصنعة) ، والتصويب من الملكية .

(٧) وردت في الفاتيكانه (المتتمين) .

ففيها أحمد المناب ، ويمتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان .
ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الركاب ، يسبق إعلام الكتاب ، وأنتم
تولون هذا الفضل من مكارمكم ، ما يوفر الثناء الجميل [ويربى على التأمل]^(١)
ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل ، [وإنالة الرّفد الجزيل]^(٢) .
والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . [كتب في الحادى والعشرين من
جمادى الآخرة من عام خمسة وخمسين وسبعمائة]^(٣) .

وكتبت في شأن الذكور

وإلى هذا [وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، وضاعف نعمته عندكم]^(٤)
فإننا وقمنا على كتابكم الكريم في شأن الشيخ [الفقيه المقرئ]^(٥) ، الصالح الفاضل
الكامل ، أبى عبد الله بن المقرئ ، وفقنا الله وإياه لما يزلف لديه ، وهذان لما يقرب
إليه ، وما بلغكم من تقاعده بمالقة ، وما أشرت به في أمره ، فاستوفينا جميع
ما كررتم ، واستوعبنا ما أجملتم في ذلك وفسرتم ، واعلموا يا محلّ والدنا ،
أمتعنا الله ببقائكم ، الذى فى ضمنه اتصال السعادة المعادة وتعرف النعم المعتادة ،
أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه^(٦) ، عن انشراح الصدور ، وتكليف
الجدل على ما تفضلتم به والسرور ، تعرفنا أنه تقاعد بمالقة ، عن صحبه ،
وأظهر الاشتغال بما يخلّصه عندربه ، وصرف الوجه إلى التخلي ، مشفقاً من ذنبه ،
واحترج بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعين له فى الدنيا أرب ، وأنه عرض

(١) واردة فى الملكية والفاتيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكاه .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكاه ، وساقط فى الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكاه .

(٥) هاتان الكلمتان ساقطتان فى الفاتيكاه .

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة (وفاقه) ، والتصويب أرجح .

عليكم أن تسمحو له فيما ذهب إليه وتقرّوه عليه ، ليعجل البدار ويمهّد تحت إياكم القرار . فلما بلغنا هذا الخبر ، لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر ، ولا أعدادناه فيما يذكر ، فكيف فيما يذكر ، وقطعنا أن الأمر فيه هين ، وأن ذلك الغرض لا تلتفت إليه عين ، فإن بآبكم غنى عن طبقات أولى الكمال ، ملئ بتوسيع الآمال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء أولى المتمامات والأحوال ، والأدباء فرسان الروية والارتجال ، ولا ينفد^(١) بفقدان الحصاة أعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المُنثال ، مع ما علم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال ، واستمساكم بإسعاف من صرف وجهه إلى ذى الجلال . ولو علمنا أن شيئاً يهيج في الخواطر من أمر مقامه ، لقابلناه بعلاج سقامه . ثم لم ينشِب أن تلاحق بحضرتنا ، بارزاً في طور التقلل والتخفيف ، خالطاً نفسه باللفيف ، مذ صار نكرة بعد العلمية والتعريف ، وسكن بغض مواضع المدرسة ، منقبضاً عن الناس ، لا يظهر إلا للصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعبادة يجبُ اضاعتها . ثم تلاحق إرسالكم العجلة الذين تحن لثلهم التجلّة ، فحضرُوا لدينا ، وأدّوا المخاطبة [الكريمة]^(٢) لما ذكر إلينا ، وتكلمنا معهم في القضية ، وتنخلنا في الوجوه المرضية ، فلم نجد وجهاً أخلص في هذا الغرض ، ولا علاجاً يتكفّل ببرء المرض ، من أن كلفناهم الإقامة التي نتبرك بجوارها ، ونعمل على إثارها ، بخلاف ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب ، الذى بضمّنه شفاعة يضمن حيائكم إحسانها ، ويرعى انماها إلى الخلاص^(٣) وانتسابها ، ويفيد ما قد أعلمت الخطوة أثوابها ، ونقصدكم ومثلكم من يقصد في المهمة فأنتم المثل الذائع في عموم العلم ، وعلو المهمة ، بأن تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول ، مُقرّر

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكاه (ينقص) .

(٢) زائدة في الفايكاه .

(٣) في الفايكاه (الخلوص) .

الأصول ، يُذهِبُ الوجَل ، ويرفع الخَجَل ، ويسوغ من مأربه لديكم الأمل ، ويُخلص النية ويرتّب العمل ، حتى يظهر مالنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد ، جريباً على ما بذلتم من جميل العوائد . وإذا تحصل ذلك كان بحول ^(١) الله إِيابه . وَأَنَاخْتُ بعقدة وعدكم الوفاء ركابهُ ، وتحصل لمجدكم ^(٢) عزه ومجده وثوابه . وَأَنْتُمْ مِمَّنْ يَرْعَى أُمُور المجد حق الرعاية ، ويعجى في معاملة الله على ما أسس من فضل البداية ، ويحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحماية . هذا ما عندنا عجلنا به الإعلام ، وأعملنا فيه الأقالم ، بعد أن أجهدنا الاختيار وتنخللنا الكلام . وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا ولجميع المسلمين جميل ، والله يحرس مجدكم ، ويصل سعدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب الاستظهار على العداء والاستنجاز للغداه

كتبتُ عن السلطان أبي الحجاج رحمه الله في

شأن جَبَلِ الفتح ، ومدينة رُنْدَة وما شاع من

عمل الطَّاغية على الحركة إليها ما نصه :

المقام الذى له المجد الشهير المآثر ، الكبير المفاخر ، والأصالة المتواترة عن الملوك الأكابر ، والحسب الذى تشهد به صدور الملاحم ، وظهور الجياد ، وبطون الدفاتر . مقام محل أخينا . الذى نُكبر مقامه ^(٣) الرفيع الشأن ، ونوجب له الحق بما اقتضاه حسبه الراسخ البنيان ، المتناسق تناسق قلائد الجُمان ، بالملوك الأعيان . السلطان الكذا أبي عنان [ابن محل أبينا الذى نعظمه ونجلُّه ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان الكذا صاحب الجهاد المقبول ، والرّفْد المبدول ، أمير المسلمين ، وناصر الدين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين أبي الحسن ، ابن السلطان

(١) فى الملكية والفاتيكانه (بفضل) .

(٢) فى الملكية والفاتيكانه (لمقامكم) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجده) .

المؤيد المعان، صاحب الجود الشهير في الأقطار ، والبطل المتألق الأنوار ، والمآثر التي هي أشهر من مجيا النهار ، أمير المسلمين ، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد، ابن السلطان الكبير المؤيد المعان، صاحب الجود المبرور، والعزم المآثور ، والدين المشهور ، أمير المسلمين ، وناصر الدين، وقامع الكافرين، أبي يوسف بن عبد الحق [^(١)] وصل الله له من توفيقه وتسيديه كل متين الأسباب سابع الأثواب ، متكفل بالزرق وحسن المآب ، معظم مجده الشهير ، وحسبه الكبير ، وأصالته التي يغني مجملها عن التفسير ، العارف بما يجب لبيته الخطير، من الترفيع والتكبير ، الأمير عبد الله يوسف ابن مولانا [أمير المسلمين] ^(٢) أبي الوليد [اسماعيل بن فرج] ^(٣) بن نصر . سلام كريم بر عيم ، يخص مقامكم الأرفع ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ذي العظمة والجلال ، والإحسان والإفضال، الذي لا يُقصد إلا وجهه بالمقاصد الزاكية والأعمال ، ولا يؤمل إلا فضله في جميع الأحوال . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ^(٤) خاتم الأنبياء وخيرة الإرسال، الملجأ المنيع عند اشتداد الأزمت والأهوال . . والرضا عن له من القرابة والصحابة والآل ، بدور ملته التي لا يفارقها صفات الكمال، وأعلامها الذين سرت بهم مكارمهم مسرى الأمثال . والدعاء لمقام أخوتكم الأصيل الجلال ، سلالة الملك الطاهر الخلال، والمجد الفسيح المجال ، بالتوفيق، الذي يظفر من الله بالآمال ، ويحصل به من مرضاته على الفخر البعيد ^(٥) المثال . فإننا كتبناه إليكم كتب الله لكم من الأعمال الصالحة أوفرها وأوفاهها ، وحملكم من رضوانه على أقوم المسالك

(١) ما بين الخاصرتين كله وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) الزيادة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

وأهداها . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من المعرفة بمجدكم الذى أقلّ الملك بنيانه ورفع شأنه ، إلا ما يرجى من عوائد الله الجميلة وصنائعه الكفيلة ، وسننه الجزيلة ، وجانب أخوتكم موفى حقه من التعظيم الذى يجب لمجده العالى وحسبه الصميم ، وأصاليه المعضود حديثها بالقديم ، المتناسق فخرها ^(١) تناسق العقد النظيم . وإلى هذا أنجح الله فى مرضاته أعمالكم ، وعرفكم من عوارف رضوانه ، ما يتكفل بنيل الحسنى لكم . فموجبه إليكم أن هذه الجزيرة الأندلسية ، من لدن أذن الله فى افتتاحها بسيوف هذه الأمة الكريمة ورماحها ، وأطلع فى آفاقها القصية لهذه الأمة المحمدية ، نور صباحها ، حتى نبوأها الإسلام داراً ، وحمد فيها استقراراً ، وملاً هضابها ووهاها أنواراً ^(٢) ، وأوسع فيها من دعا مع الله آله آخر هواناً وصغاراً ، لم تزل أيدي من بها المسلمين ، بإخوانهم من أهل تلك العدو حرسها الله معقودة ، وأكفهم إلى التماس إعانتهم ممدودة وآمالهم إلى مصارحتهم مصروفة ، وعلى إمدادهم موقوفة . فهى تستروح من تلقائهم نسيم الفرج . عند الشدائد ، وتلتمس منهم جميل العوائد وملوك الإسلام بتلك العدو ، قدس الله أسرارهم ، وضاعف أنوارهم ، تنافس فى نصرها همهم ، وتطمح إلى إحراز الفخر بإعانتها شيمهم ، ويتراهن فى ميدانها بأسهم وكرمهم ، حتى دونوا فيها المفاخر الباقية ، والأعمال الراقية ، والصنائع الشهيرة ، والوقائع الكبيرة ، يتوارث ذلك الآتى عن الداهب ، ويقوم منها الحاضر بحق الغائب ، غضباً للدين الحنيف ، وحمية للملك الأصيل والحسب المنيف ، وغيره على الحريم ، وأنفة للخلق الكريم ، وامتناعاً لكلمة التوحيد وشفقة للقطر الغريب الوحيد ، بين البحار الزاخرة ، والأمم الكافرة والمرام البعيد . ولما صير الله ملك العدو إلى سلفكم الأرضى ، وجدد الله عليهم ملابس

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أنهاراً) ، والتصويب من الملكية .

رضوانه وقبوله ، وجزاهم بما أسلفوه من مَرْضَاتِهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ ، أَنَسُوا بِعِزِّهِمُ الرَّاغِبِيَّةِ [ذَكَرَ الْمُلُوكَ الْمَاضِيَةَ] ^(١) وَعَمَرُوا بِمَكَارِمِهِمُ الْعَالِيَةَ مَفَاخِرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، وَصَارَ إِلَى نَظَرِهِمْ جَمَلَةٌ مِنْ بِلَادِهَا مِثْلُ الْجَبَلِ وَرُنْدَةٍ وَمَرْبَلَّةٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ، لِيَكُونَ مَحْطَ رِحَالِ الْمَدَدِ ، وَمُسْتَقَرَّ مَا يَجِيزُونَهُ مِنَ الْفَرَسَانِ وَالْعُدَدِ . فَقَرَّ ^(٢) جَنَابُهَا ، وَقَوِيَتْ أَسْبَابُهَا ، وَأَعْدَّوْا لَغَزْوِهِمْ رُكَايَاً ، وَلِجِهَادِهِمُ الْأَرْضَى بَاباً ، وَعَامَلُوا اللَّهَ فِيهَا عَلَى الصَّفَقَةِ الرَّابِعَةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاقِيَةِ الصَّالِحَةِ ، فَكَانَ مِنْ عِزِّ السَّاطِرِ الْمَجَاهِدِ الْأَرْضِي ، جَدُّكُمْ الْأَعْلَى ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، وَفِي صَحْفِ الْفَخْرِ مَرْسُومٌ ، مِنْ اقْتِحَامِهِ لِحُجِّ الْبَحَارِ الطَّامِيَةِ ، وَتَبَجِّ الْأَمْوَاجِ الْمَتْرَامِيَةِ ، وَجِهَادِ الْأُمَمِ الْبَاغِيَةِ ، وَفَلَّ الْجِيُوشَ الطَّاغِيَةَ ، حَتَّى عَزَّ الْإِسْلَامُ بِمُضَا حُسَامِهِ ، وَسَعَدَتِ الْمِلَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بِسَعَادَةِ أَيَّامِهِ . ثُمَّ سَلَكَ وَلَدُهُ جَدُّكُمْ ^(٣) السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبِيلَهُ ، وَاتَّبَعَ دَلِيلَهُ ، فَجَهَّزَ إِلَى نَصْرِهَا جِيُوشَهُ الْمُنْصُورَةَ وَأَسَاطِيلَهُ ، وَسَرَبَ إِلَيْهَا مَالَهُ الْجَمَّ وَقَبِيلُهُ ، حَتَّى عَلِمَ أَعْدَاؤُهَا أَنَّ لَهَا نَاصِراً عَزِيزَ الْأَنْصَارِ ، وَمَاجِئاً مُنِيعَ الْجَوَارِ . ثُمَّ تَلَاهُ وَالِدُكُمْ مُحَلَّ أَيْنَا السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ أَبُو الْحَسَنِ ، فَجَاهَدَ عَدُوَّ اللَّهِ فِيهَا حَقَّ جِهَادِهِ ، وَشَهِدَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ بِصَدْقِ جِلَادِهِ ، وَسَمَحَ فِيهَا بِنَفْسِهِ النَّفِيسَةِ وَأَمْوَالِهِ الْعَظِيمَةِ وَأَوْلَادِهِ ، وَعَامَلَ اللَّهَ عَلَى الصَّفَقَةِ الرَّابِعَةِ الَّتِي يَجِدُهَا فِي مَعَادِهِ ، وَلَمْ يُضِلَّ التَّمَحْيِصَ فِيهَا عِزْمَهُ الْأَمْضَى ، وَلَا كَفَّ جِهَادَهُ الْأَرْضِي ، فَاسْتَوَى عَلَى غَايَاتِ الْفَخْرِ وَآمَادِهِ ، بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ وَبِلَادِهِ ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ نَنْتَظِرُهُنْ مَقَامَكُمْ الَّذِي هُوَ سَلَالَةُ ذَلِكَ الْمَجْدِ الصَّرَاحِ وَلُبَابُ ذَلِكَ الْحَسَبِ الْوَضَّاحِ ، وَفِرْعَ ذَلِكَ الْفَضْلِ الْمُتَأَلِّقِ تَأَلَّقَ الصَّبَاحِ ، مَا عَوَّدَ أَسْلَافَكُمْ مِنَ الْإِصْرَاحِ وَالْإِسْجَاحِ ، وَالْأَعْمَالِ الْكَرِيمَةِ الْإِخْتِمَامِ وَالْإِفْتِتَاحِ ، وَأَنْ تَسْلُكُوا مَسْلُكَهُمْ فِي نَصْرِهَا وَإِمْدَادِهَا وَحِمَايَةِ بِلَادِهَا ،

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فغز) والأولى أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (جد) ، والتصويب من الملكية .

وتثابروا على تخليد الفخر وإحراز مَرَضَةِ اللَّهِ التي هي أَنْفَعُ الذُّخْرِ ، حتى ينشرح بكم صدر الإسلام ، وتربى أيامكم فيها على غيرها من الأيام ، فمثلكم من يعجى على أعراقه الكريمة جرى الجياد العتاق ، وينافس في الأعمال التي تتكفل بالثناء الخالد والعز^(١) الباق ، إذ عرفنا أَنَّ ملك قَشْتَالَةَ ، قد طمع في تلك البلاد المذكورة وكَلَّبَ عليها ، وحشد قومه إليها ، وأعلق بها أطماعه ، وحرَّك لها أَشْيَاعَهُ^(٢) وأتباعه وإن آماله^(٣) بها حائِمة ، والحركة إليها في أرضه قائمة ، فإن من بها من الحُمَاة وذوى المرتبات قد اختلت أحوالهم ، بسبب ما تأخر من واجباتهم ، وتعمذر في هذه المدة الطويلة من مرتباتهم ، فتبدَّد الكثير من عددهم ، وضاع ما توفر على الأيام من أسلحتهم ، وعددهم ، واشتد الإشفاق على تلك البلاد المسامة أَن يعاجلها هذا العدد بانتهاز فرصة ، ويجرَّع العباد والبلاد بالله أَفْظَعَ غُصَّةً ، ويهتبل^(٤) الغُرَّة في بعض معاقلها المنيعه ، ومصانعها التي اعتمدتها أسلافكم بحسن الصنيعة ، ويطغى نور الله في آفاقها ، ويستبيح حِمَاها ، واستمساكها بذلك المُلْك واعتلاقها . فخطابناكم بهذا الكتاب ، نشرح لكم أحوالها ، ونطلب من نظركم لها من يُمهِّد خلاها ، وييسر آمالها ، وإن ظهر لكم أَن تبادروا بشيء من المال ، الذي غناؤه فيها في الوقت كبير ، وقايل ما يرد في تلك الجهة كثير ، تسبقون به حركة العدو إليها ، وتقدمونه مدداً بين يديها ، فذلك ما لا ينكر على حَسَبِكُم الرفيع الأصالة ، الشهير^(٥) الجلالة ، فلم تُدْخِر الاموال لأهم من هذا الغرض ، ولا وضعت في أُوَّلَى من هذا الواجب المفترض . وإذا تعرَّف العدو أَن غايتكم بها موصولة ، ومكارمكم فيها مبذولة ، كذُبت مساعيه ، وخاب بحول

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الفخر) .

(٢) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٣) في الملكية (بأفاقها) .

(٤) هكذا وردت في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الكريم) .

الله أمّله الذى يرتجيه . وهذه البلاد الأندلسية عصمها الله ووقاها ، وحفظ بها كلمة الإسلام وأبقاها ، هى عُدَّةٌ لأسلافكم الكرام إلى معادهم ، ومتجر حسناتهم وركاب جهادهم ، وصحيفة أعمالهم الزكية ، ومنصّة آثارهم الملوكية ، لم يزل بعزائمهم استعدادها ، ومن مكارمهم استعدادها ، وأنتم صميم ذلك المجد الذى تعودت إعانته ونصره ، وعرفت من عوارفه ، مالا يطاق حصره ، وأولى من يحقق ظنونها ، ويشرح صدورها ، ويقر عيونها . وقد وجَّهنا إلى جبل الفتح مدداً من الرُّمّة ، وشرعنا فى اتباعهم بجملة من الرجال الرامحة الحماة ، يقيمون لنظر من به بخلاف ما تُنبِّلج الاخبار . ويظهر ما يبرزه الليل والنهار ، وعرضنا عليكم هذا القصد ، الذى مازال سلفكم رضى الله عنه ، عليه يثابرون ، وبمزيته على الملوك يفتخرون ، ومرضاة الله سبحانه ، بمبادرته يمتدرون ، وأنتم تعملون فى ذلك إن شاء الله ما يليق ، بمجدكم الأصيل ، وحسبكم الأثيل ، حملكم الله على ما يكون لكم فيه الذكر الحميد ، والقصد السديد ، والعناية الإلهية التى لا تبديد . وهو سبحانه [يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم] ^(١) ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى الثالث عشر لمحرّم من عام خمسين وسبعمائة .

وكتبتُ عن أمير المسلمين أبى الحجاج
رحمه الله فى الغرض المذكور

المقام الذى يستظهر الإسلام بعزّماته فى شدائده الطّارقة وأزماته ، ويعول على همّهم العالية فى مهماته ، ويستنجز فى النصر على عدّاته سوابق عدّاته ، ويرتقب غرر الصنائع الحميدة من مطالع آرايه السعيدة وراياته ، مقام محلّ أخينا الذى سبب اعتدائنا به فى الله قوى وثيق ، وثناؤنا بالمفاخر الموقوفة على ملكه الرفيع طليق ، واعتمادنا على مظاهرتة ونصره لا يلتبس منه طريق ، ولا يختلف فيه

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية ما يأتى (يسعدكم بطاعة سعادة أوليائه ، ويصل لكم بها عوايد أعشابه) .

فريق ، ووَدَّادنا في جنابه الأسمى أَصِيل عريق . السلطان الكذا ، أُنِي عنان
[ابن محل أبينا الذى نعظمه ونجمله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان
المؤيد المَعان ، صاحب المكارم الشهيرة والمآثر التى هى أَوْضَح من شمس الظهيرة ،
أمير المسلمين أُنِي سعيد ابن السلطان الجليل الأمضى ، صاحب الجهاد المبرور
والعزم الماثور والدين المنشور ، أمير المسلمين ، وناصر الدين ، وقامع الكافرين ،
المجاهد فى سبيل رب العالمين ، المقدس الأرضى أُنِي يوسف ابن عبد الحق] ^(١) .
أَبْقَاهُ اللهُ ، وآثَرَهُ فى نصر الدين باقية صالحة ، وَغُرَّرَ مفاخره مشرقة واضحة ،
وآمال أهل الإسلام فى عزائمہ الماضية ، ومكارمه الراضية صادقة ناجحة ، وكتايبه
فى سبيل الله غادية رائحة ، وكتبه بإنجاز المواعد ، والمثابرة على كَبَتِ أَعَادِيهِ
مراجعة أو مفاتحة ، وأقلام رماحه وصحائف صفاحه ، لآيات النصر العزيز
شارحة ، وأعداء الله لحربه مدعنة ، أو إلى سلمه جانحة . معظَّم مقامه الرفيع
عماده ، الشهير بأسه ، وكرمه وجهاده ، المثنى على ملكه ، الذى به انتصار
الإسلام على مر ^(٢) الأيام واعتداده . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين
أُنِي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام تتخلل بطيب نفحاته هبوب النسيم ،
وتقتبس من سنا لمحاته أنوار الصباح الوَسِيم ، وتتضوَع من شذا أنفاسه ^(٣) معاهد
ذلك الملك الكريم ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حمد الله الذى شرع من التواصل فى ذاته ، والتعاون على ابتغاء
مَرْضَاتِهِ ، طريقاً واضحاً وسبيلاً ، وجعل التوكل عليه بخير ما لديه كفيلاً ،
ووعد بنصر ^(٤) من ينصره ، ومن أَصْدَق من الله قِيلاً ، ودَخَرَ لهذا القطر الغريب

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (صرف) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (نفحاته) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

عند اضطراب أَرْجَائِهِ ، وانقطاع رَجَائِهِ ، من أَنْصارِهِ الكرام ، وأولِيائِهِ ، كافياً وكفياً ، يوسع آمالِهِ العَصِيَّةَ ، تَتَمِيماً وَتَكْمِيلاً ، ومآرِبِهِ العَصِيَّةَ تَسِيراً وتسهيلاً ، ويقيم على لطف الله بمن فيه من المسلمين المنقطعين دليلاً . والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المَبْتَعَث رحمة للعباد والبلاد وظلاً ظليلاً ، المخصوص من الله سبحانه بمزية قوله ، إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ، الذي أيده بنصره وبالمؤمنين ، وجعل في أرضه من ملائكة سمائه المَسْؤُومِينَ قَبِيلاً ، وفَضَّلَهُ على الأنبياء والمرسلين تفضيلاً ، وعقد عليه من جاه الشفاعة العامة ، تاجاً وإكليلاً . والرضا عن آله وأصحابه ، وقرابته وأحزابه ، الذين أوضحوا طريق الحق وقد صار رسماً محيلاً ، ورفعوا معالم سُنَّتِهِ من بعده ، فإن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً ، والدعاء لمقام أُخوتكم العظمى ، أطلع الله عليها من السعادة وجهاً جميلاً ، ورسم آيات نصرها في أوراق فخرها ، لا تقبل نسخاً ولا تَأْوِيلاً ، وشفاء الإسلام بعزائمها مهمى أصبح عليلاً ، بالسعد الذي يستأنف به الدين الحنيف تأمِلاً ، والملك المنيف عزاً جديداً ، وفخراً جليلاً ، والنصر الذي تَرِنُ به الجياد صهيلاً . فإنا كتبناه إلى مقامكم ، أرهف الله في نصر الإسلام عزائمه ، وأعلى بتأميل ملكه المنصور الأعلام ^(١) معالمه ، وتدارك بإنجاده وإمداده أركانَه قبل أن تنهى ودعائمه . من حمراء غرناطة حرسها الله ، والثقة ^(٢) بالله لا تحجب ظلمات الشدائد أنوارها ، والاعتداد بصنع الله سبحانه على يد مقامكم ، أسعد الله سلطانه ، يحفظ على النفوس استبشارها ، ويمهد للقلوب قرارها ^(٣) ، ويكشف ظنونها الموحشة وأفكارها . وأما مثابتكم الكريمة فوزر الإسلام ، كلما أخذت الحرب أوزارها ، وملجأ هذه الأمة مهمى استصخرت أنصارها ، والرد الذي يطلب تارها ،

(١) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (والنعمه) ، والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مواردها) .

وَيُقْبِلُ عَثَارَهَا ، وَعِنْدُنَا لِأُخُوتِكُمُ الْكَرِيمَةِ ^(١) تَعْظِيمٌ نَعْتَرِفُ عَلَى الْآيَامِ بِوُجُوبِهِ وَلِزُومِهِ ، وَوُدٌّ لَا يَعْجُرُ اللِّسَانَ عَنْ مَضْمُرِهِ ، وَلَا يَبْقِي الْمَكْتُوبَ بِمَكْنُونِهِ ^(٢) ، وَتَشْيِيعُ ثَبَتَتْ فُصُولَ الْخُلُوصِ وَالصِّفَا فِي حُدُودِهِ الْجَامِعَةِ وَرَسُومِهِ . وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْدًا جَدِيدًا ، وَعَزًّا [مَبِيدًا ، وَسَعِيًّا فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ حَمِيدًا فَإِنَّا قَدِمْنَا مَخَاطِبَةَ مَقَامِكُمُ الْمُؤْمَلِ] ^(٣) فِي شَأْنِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، الَّتِي عَظُمَتْ فِيهَا غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ وَانْقِطَاعُهُ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى اسْتِثْصَالِ رَمَقِهَا آمَالَ الْكُفْرِ وَأَطْمَاعِهِ ، وَتَعَطَّى عَلَيْهَا الصَّلِيبُ ، فَامْتَدَّ ذِرَاعُهُ ، وَتَقَدَّمَ بَاعُهُ ، وَفِي اللَّهِ كَفَايَتُهُ ، وَبِاللَّهِ دِفَاعُهُ . وَكَتَبْنَا نَقْصَ عَلَيْكُمْ مِنْ آثَارِ سَلَفِكُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ، وَنَسْتَدِرُّ لَهَا مِنْ سَحَائِبِ تِلْكَ الْعَوَائِدِ الْمُسْتَغَاثَةِ فِي الشَّدَائِدِ ، مَا فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ شِفَا الْغَصَصِ ، وَنَهْزُ إِلَىهَا أَعْطَافَ تِلْكَ الِهْمَمِ الشَّرِيفَةِ ، وَنَمُدُّ عَلَيْهَا مَا تَقَلَّصَ مِنْ أَهْدَابِ إِيَالَتِهَا الْمُتَنِيْفَةِ ، وَنَعْرُضُ مَا أُعْضِلَ مِنْ أَدَوَاتِهَا عَلَى نَظَرِ الْآسَى الطَّيِّبِ ، وَنَسْتَنْصِرُ عَلَى عَدُوِّهَا الْبَاغِي بِالْوَلِيِّ الْحَبِيبِ ، وَنَسَائِي فِي التَّاسِ إِغَاثَتِهَا ^(٤) الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَنَطْلُبُ الصَّرِيخَةَ وَالْإِعَانَةَ مِنْ أَرْبَابِهَا ، وَنَزْدِبُ إِلَى صَفْقَةِ الْفَخْرِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا ، فَلَمْ تَخْفُقْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَسَاعَى الْقُلُوبِ الْخَافِقَةِ ، وَلَا كَسَدَتْ بِضَائِعِ الْحَمِيَّةِ الْإِلَاحِيَّةِ ^(٥) فِي أَسْرَاقِهَا النَّافِقَةِ ، وَأَفَاقَتْ الْأَوْجَالَ بِمَكَارِمِكُمُ الْفَائِقَةِ ، وَتَعَلَّقَتْ الْآمَالُ بِأَذْيَالِ مَوَاعِيدِكُمُ الصَّادِقَةِ ، وَتَجَلَّتْ بِشَنَائِا الْجَبَلِ عَصْمَةُ اللَّهِ ، غُرَّرَ صَنَائِعُكُمْ الْبَاسِمَةُ الْبَاسِقَةُ ، وَظَهَرَتْ بِهِ طَلَائِعُ فَضَائِلِكُمُ الْمُتَوَالِيَةِ الْمُتَنَاسِقَةِ .

وَلَمَّا رَأَى الطَّاعِيَةُ ، قَصَمَهُ اللَّهُ ، أَنَّ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ اسْتَأْنَفَتْ شَبَابَهَا ^(٦) ،

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الرَّفِيعَةِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (بِمَكْنُونِهِ) .

(٣) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارَدَ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَسَاقَطَ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَفِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (أَعَانَتِهَا) .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْإِسْلَامِيَّةِ) .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (شَبَابًا) .

وَأَنَّ اللَّهَ فَتَحَ لِنَصْرِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بَاباً ، وَهَيَّأَ لِبَقَاءِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فِي قَطْرِهَا الْوَحِيدَ
 أَسْبَاباً ، رَامَ مَعَاجِلَةَ الْحُكْمِ قَبْلَ إِحْكَامِهِ ، وَشَرَهُ إِلَى إِطْفَاءِ نَوْرِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ
 بِإِتْمَامِهِ ، وَاهْتَبَلَ الْغُرَّةَ ^(١) الَّتِي حَامَ عَلَيْهَا طَمَعُهُ ، وَرَضَى مِنْقَصَةَ الْغَدْرِ فِي جَانِبِ
 مَا يَخْذِرُهُ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِكُمْ وَيَتَوَقَّعُهُ . وَأَوَقَعَ فِي بِلَادِ السَّلَامِ نَارَ الْعَرْبِ ، وَلَمْ يَثْنِ
 عَزْمُهُ ضَرُّو ^(٢) وَالطَّاعُونَ عَنْ إِقَامَةِ [سَوْق] ^(٣) الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وَكَذَّبَ بِالسَّاعَةِ
 الَّتِي تَطْلُعُ ^(٤) عَلَيْهِ شَمْسُهَا مِنَ الْغَرْبِ ، وَرَمَى هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ بِشُؤْبِ ^(٥)
 شَرِّهِ ، وَصَيَّرَهَا فَرِيْسَةً بَيْنَ غَرْبَانِ بَحْرِهِ وَعَقْبَانِ بَرِّهِ ، وَسَدَّ فُرْصَتَهُ بِأَسَاطِيلِهِ ،
 وَرَاعَ الْإِسْلَامَ بِرَعِيلِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ بِلَادَهُ الَّتِي لَا قَبْلَ لَهَا بِقَبِيلِهِ ، وَدَهَمَ الْجِهَةَ
 الَّتِي بَادَرَتْ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِحُمَى مَلِكِكُمْ ، وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَلَكِكُمْ ، وَالْبِلَادَ الَّتِي
 أَمْنَتْ تَحْتَ ظِلِّ دَوْلَتِكُمْ ، وَامْتَنَعَ ذِمَارَهَا بِعِزِّ صَوْلَتِكُمْ ، عَلَى حِينِ شَحَّتْ بِسَبَبِ
 الْفِتْرَِةِ مَوَارِدُ أَرْفَادِهَا ، وَتَعَذَّرَتْ ^(٦) مُرَافِقُ حِمَاتِهَا وَأَنْجَادِهَا ، وَخَمَّ الْإِضْطِرَارُ
 وَالْإِفْتِقَارُ بَيْنَ هَضْبِهَا وَوَهَادِهَا ، وَنَقَصَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَصَابَ الْأَرْضَ مِنْ إِعْدَادِهَا
 وَصَرَفَ إِلَيْهَا أَهْلَكَه عِبَابَ سَيْلِهِ ، [وَأَجْلَبَ عَلَيْهَا] ^(٧) بَرَجْلَهُ وَخَيْلَهُ ، وَسَحَبَ
 عَلَى أَرْجَائِهَا فَضُولَ ذَيْلِهِ ، وَحَجَبَ الضُّيَا عَنْ آفَاقِهَا الْمَشْرِقَةَ بِظِلَامِ لَيْلِهِ . فَكَمْ
 حُمَى مَصُونٍ بِهَا قَدْ اسْتَبَاحَهُ ، وَرَبْعٍ مَرِيْعٍ قَدْ اجْتَنَحَهُ ، وَحَرِيمٍ مُحَرَّمٍ قَدْ أَبَاحَهُ ،
 وَمَنْ وَكَلْ بِاِقْتِضَائِهِ ظُبَاءَ وَرِمَاحِهِ ، وَشَمَلَ جَمِيعَ أَدَارٍ عَلَيْهِ شَمُولُ الْفِرَاقِ وَحِثْ
 أَقْدَاحِهِ ، وَمَصْلَى نَصَبٍ فِيهِ تَمَازِيلُهُ الْمُضَلَّةُ وَأَشْبَاحُهُ ، وَعُقَابِ حِصْنٍ هَاضِ جَنَاحِهِ

(١) هذه الكلمة ساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ضروب) .

(٣) واردة في الملكية وساقطة في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (بسر سوب) .

(٦) وردت في الإسكوريال (وتقررت) ، والتصويب من الملكية .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

وأطفا مصباحه ، جهلاً منه أماته الله واغتراراً ، وعُتُوا في الأرض واستكباراً ،
وظناً أن حبْل الإسلام قد دُمى بانْبِثَاتِهِ^(١) ، وشَمَلَهُ قد رمى بشتاته ، وحقَّ الدين^(٢)
قد أغفل رعى مَتَاتِهِ ، وأن ذلك المُلْك لا يُنجد هذا القطر في الشدائد بعزَمَاتِهِ ،
ولا عليه ما اعتاده من تفريج كربهِ ورفع^[أزماته] . وما كان ذلك المقام لينسى
البعيد من بلاده بالقرب ، ويستقبل بالأمل المتعاهد منها عن الغريب ، وصِراخه
يتصل بها على بعد المدا ، ومنابرُها تستجير بها من صرف الرِّدَا ، وبهتان العدا ، يَأْبَى
الله ذلك ، والحمية الدينية ، والمملكة المَرِينِيَّة ، والجنود المجندة ، والصفائح
المهنددة ، والجياد الصَّاهلة ، والمعاهد الآهلة ، والمراكب الهائلة ، والرِّماح المُتَمَائِلَة ،
والاساطيل السَّابِحة ، والمتاجر الرَّابِحة ، والأموال التي لمثل هذا الغرض تُدْخِر
وتقتنى ، والمعالى التي على مثل هذه الدعائم يجب أن تُبْنَى ، والهمم التي لا ترضى
بنعيم أهل^(٣) الدنيا ، ما لم تكن كلمة الله هي العليا . ولم يعلم^[أن] الإسلام^(٤)
لو طرقته داهية الكفر ببعض أقطاره النازحة وآفاقه ، أو كُلِّب عليها الصليب
بأقصى شامه أو عرافه ، لَهَزَهُ إلى استصراخ البلاد المغربية القصد الاول ، وكان
له على نصره من بها المسلمين المَعُول ، لما عرفوا به من الحمية ، والنفوس الأَبِيَّة ،
والهمم التي لا ترضى بالندية ، فكيف بهذا القطر ، الذي جناح ملككم عليه
ممدود ، وتاج فخركم بالجهاد به معقود ، وغزوكم على أعدائِهِ مقصور ، وبابكم
بآماله مقصود ، لم يستروح نسيم الفرج على توالى الحجج إلا من مَهَبَّات نصركم
العاطرة ، ولا سام بارقة السُّقْيَا إلا من خلل سحائبكم الماطرة ، ولا اختال إلا في^[]
حلل صنائعكم الفاخرة ، ولا تقلد إلا دُرَرَ مكارمكم النافقة ، في متاجر الدنيا

(١) وردت في الإسكوريال (بثاته) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الإسلام) .

(٣) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (الاسم) وهو تحريف .

والآخرة . والملك والحمد لله لم يبرح عن محله ، ولا انتقل عن أهله ، ولا تقلص
مديد ظله . إنما هي نصبة سعيدة لم تختلف أحكامها على إعادة تعديلها ، ونسبة
كريمة لم تتغير مع تبديلها ، وأسود لم ترل عن غيلها ، وجياد تجرى على أعراق
قبيلها . ولما رأينا أن هذا الطاغية أهلكه الله قد جمع في ميدان المطامع ^(١) هولا ،
وأظهر ما من الغدر نواه ، وحلّت المطامع عُروة عقده ، وخاصمناه إلى حكم الوفا
فلم يرجع في اللدد عن قصده ، وطلب منا أن نقيم على ما يخص البلاد التي
لنظرنا من عموم عهده ، ويتفرغ هو إلى ما سوى ذلك باقضى جهده ، وكلنا
أمورنا إلى الله وهو السميع البصير ، ولجأنا إلى التوكل عليه سبحانه ، نعم المولى
ونعم النصير ، ووثقنا بمصارخة ملككم الذى له الصيت البعيد ، والذكر الشهير ،
وأمرنا بإطلاق الغارات على جميع ما يلينا من بلاده ، وجعلنا يد الإسلام واحدة ،
على دفاعه وجلاده ، حتى تقضى الفروض المتعينة ، ويحيى من حيى عن بينة ،
ونرجو الله أن يخيب صفقة هذا الناكث الغادر ، ويرد عليه أسوأ الدواير .
وخاطبنا مقامكم ، الذى هو بعد الله العدة العظمى ، والمالجا الأحمى ، نشرح له
أحوال هذه البلاد المتمسكة بأسبابكم المنسوبة إلى جنابكم ، لتحاولوا علاج دائها ،
ودفاع أعدائها ، ونطلب من ملككم ، الذى حاز فى المعالى الأمد ، أن يعجل إليها
الحامية والمدد ، والمال الذى يعدل فى جبرها العدد ، والقوة التى تضعف عدوها ،
والرّفد الذى تبلغ به مرحوها ، ويمتعض لحرمتها ، ويرعى ما سلف من أذمتها ،
ويتداركها بالعزائم التى تمهد راجعها ، وتؤمن خائفها ، والمكارم التى تجبر قلوبها ،
والصّوارم التى ترد منصوبها ، فما أملّت إلا حمى ذلك الملك ، ولا اعتمدت
إلا خلّاله ، ولا عرفت فى القديم والحديث ، إلا جيوشه وأمواله ، حتى تعود
لأحسن أحوالها ، وتستأنف الحياة رمم آمالها ، وتسفر عن وجه جمالها ، وترفل

(١) وإرادة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

فى حلل اقتبالها ، ففى حَسَنَةُ سلفكم الأَرْضَى ، وركاب جهادكم الأَمْضَى ، والميدان الذى لا تزال الهمم الملكية تسابق إلى غايته ، والأيدى العالية تمتد^(١) إلى تلقى رايته ، والوسيلة منهم إلى الله التى يستزيدون بنصرها من مواهب نصره وعنايته . وأنتم سُلالة ذلك المجد ويدُرُّ أُفقه الباهر السعد ، وأولى من يعامل الله فيها ، بنصر الحق وإنجاز الوعد ، فحققوا أَمَل الإسلام فى علاكم ، واستبقوا فى ميدان النصر ما تدل عليه حلاكم ، كتب الله فى إعانتنا المآثر التى تتلى [وجدد لكم به المفاخر التى لا تبلى]^(٢) ، وسلك بكم من مَرْضاتهِ الطريقة المثلى ، وجعل سعيكم الأَرْضَى ، وملككم الأعلى . وأُننا أوفدنا على بابكم لتقرير هذه الأحوال ، واستصراخ ملككم السامى الجلال ، من يشرح لكم جزئيات الأمور ، ويحرك عزمكم لإنجاد هذه الشغور ، ويمثل لكم الحال فى صورتها ، ويبين لديكم قدر ضرورتها ، وهم الشيخان الفقيهان ، الأستاذان القاضيان ، قاضى جماعتنا^(٣) وخطيب حضرتنا [أبو فلان ، وأبو فلان ، والقائد أبو فلان]^(٤) ولقمامكم الفضل فى الإصغاء لما يلقونه إليكم ، ويقصونه عليكم ، يكون ذلك من جملة ما نعتدّه من مكارمكم الحافلة ، وشيمكم الطاهرة الفاضلة ، والله عز وجل يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته [وفى اليوم العاشر لشهر ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة]^(٥) .

(١) واردة بالإسكوريال ، وساقطة بالملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية ، وساقط بالإسكوريال .

(٣) فى الإسكوريال (حضرتنا) ، والتصويب من الملكية .

(٤) أغفل الإسكوريال أسماء هؤلاء الرسل . وقد أوردتها الملكية فيما يأتى (الشريف الأفضل الأرضى أبو القاسم الحسنى ، والخطيب الأفضل العارف الفاضل أبو البركات بن الحاج . وخديمتنا القايد الأجل أبو عبد الله ابن مرزوق ، وصل الله عزهم ووالى رفعهم) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

وكتبت أيضاً في هذا الغرض

المقام الذى يجب لمرضاته التسرع ، ويحق البدار إلى وصل اليد به والتسرع ،
[ويدعوا إلى الاستمسك بؤده التدين والتسرع] ^(١) ويخلص إلى الله فى حملة على
ما فيه رضا التضرع . مقام محل أخينا الذى نعطى أخوته حقها ، ونسلك من
مودته طرقها ، ونشيم من عزائمه فى الجهاد برقها ، ونشكر غيثها وودقها ، الساطان
الكذا ، أبقاه الله موفق المقاصد ، مهناً الموارد ، معمور التوادى بالصالحات
والمعاهد ، قائماً من حقوق نعم الله عليه مقام الشاكر الحامد ، ولا زالت عزائمه
قاطعة بالمعاند ، متلعة منه للطارف والتالد ، ومكارمه شاملة للأقارب والأبعد ،
وأقواله وأعماله خالصة فى طاعة الله الملك الواحد ، معظّم مقداره ، وملتزم إجلاله
وإكباره ، ومواخيه فى الله على إعلاء دينه الحق وإظهاره ، العارف بكرم تجاره
وفضل آثاره . فلان ، سلام كريم طيب برّ عيم يخص مقامكم الأسمى وأخوتكم
العظمى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى تُجنى من أفنان ^(٢) التوكل عليه ثمار الآمال ، ونقتنص
من مطالب اللّجأ إليه نتائج نجاح ^(٣) الأعمال ، جاعل المودة فى ذاته وسيلة
نافعة ^(٤) يوم العرض والسؤال ، وظلاً على عباده يتكفل بصلاح الأحوال ، مجازى
من أخلص فى وسيلة قصده بالصنع الباهر الجلال ^(٥) ، والمِنْحَ الوافرة [عن
اليمين والشمال] ^(٦) . أقامنا بهذا الصُّقع الأقصى ندافع عداه بالبيض القصار
والسمر الطوال ، وندعوا إلى ما فيه رضاه أهل الائتار لطاعته والامتثال ، ليصبح الأمن

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (أبناء) .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) فى الفاتيكانه (نافذة) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الجمال) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (اتى فوق الكمال) .

مديد الظلال ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الشفيع عند تعاضم
الأهوال ، والملجأ المنيع عند إعواز الاحتيال ، ذى المعجزات التى استقلت عقودها
كل الاستقلال ، خاتم الأنبياء وسيد الإرسال ، الذى نلتمس ببركته فى الدنيا
والآخرة من الله مؤمِّل الأفضال ، ونحارب ونسالم عملاً بمقتضى سنته فى الحال
والمآل ، ونتمسك بأخوة من يرجى دفاعه عن دينه حتى نبليغ قصبات الامال .
والرضا عن آله وأصحابه ، أكرم الصحابة وأسنى الآل ، الذى كانوا فى قلادة
ملته مثل اللآل ، وفى الاهتداء لأمتة مثل النجوم فى الليال . والدعاء لمقام أخوتكم
الفارسية بتوالى اليمن والإقبال [ولا زالت] ^(١) مقاصدها خالصة فى رضى الله
ذى الجلال ، وعزائمها يحفها التوفيق عن اليمين وعن الشمال . فإننا كتبناه إليكم
كتب الله لكم من السعادة أوفرها نصيباً . وسلك بكم من السداد والإسعاد مأخذاً
قريباً ، وجلى لكم من وجه العناية وجهاً عجيباً ، [وبوأكم من منازل القبول
جناباً رحيباً] ^(٢) . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونحن نمحص لكم الود فى
شاهد الأمر وغائبه ، ونثنى عليكم [ثناء] ^(٣) يبين قصد مذهب . وإلى هذا
وصل الله سعادتكم ، وحرس مجادتكم [ووالى النعم عندكم] ^(٤) . فإننا تعرفنا فى
هذه الأيام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ، ما عندكم من استدعاء الأساطيل
المنصورة من محل إنشائها ، والاستكثار من أعداد حركاتها واقتنائها ، وإن فرض
العزائم شرط فى أدائها ، وأولياء الملة قد تدامرت على أعدائها ، وحكماؤها قد
شمرت لإزالة دائها ، فسألنا الله إتاحة الخيرة ، وتكليف الصنائع المتيسرة ^(٥) ،
وبادرنا إلى سبر ^(٦) ما عندكم من التشوف إلى ما لنا من الأساطيل الجهادية والمقاصد

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكاه ، وساقط بالملكية .

(٣) واردة بالملكية والفاتيكاه ، وساقطة بالإسكوريال .

(٤) واردة بالملكية والفاتيكاه ، وساقطة بالإسكوريال .

(٥) فى الملكية والفاتيكاه (المتيسرة) .

(٦) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (تسيير) . والأولى أرجح .

الودادية ، فإن توفر لكم في الاستعانة بها أرب ، أو بان في الاحتياج إليها مذهب ، نشرع^(١) في إصلاحها وتيسيرها^(٢) ، وتنظر في إبرام أمورها ، لتكون مرهفة الحد ، آخذة أهميتها قبل القصد ، ونعلمكم مع ذلك أن رسولنا إليكم في الأيام الماضية ، والأشهر المتقاصية فلاناً ، لما وصل من لديكم ، أوصل في الطعام المعتاد من سلفكم ، قدسهم الله ، إلى هذه الجزيرة وعدا . وأنهى إلينا اجتهاداً في أمره وجداً ، وأنكم من جدتكم من حسنات بيتكم عهداً ، فأورينا في الشكر زنداً ، وأوضحنا في الثناء قصداً ، وقد كانت عادة والدكم ، أزلفه الله إليه ، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه ، أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد ، وتعيين مواضعه من ساحل البلاد ، ونحن نؤمل أن تسلكوا ذلك العمل^(٣) في سبيل الجهاد ، وتخلدوا من الأعمال الصالحة ، ما يجده من يؤمل حسن المعاد ، أذكرناكم بذلك على سبيل الأوداد ، وكرم الاعتقاد ، ووجهنا من يقرر لديكم ما عندنا من جميل الولاء في أخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم في هذه الأشياء ، ويجرى من تبين الخلوص على [السبيل السواء]^(٤) وهو القائد الأجل المكرم أبو فلان ، [وصل الله كرامته ، وكتب سلامته]^(٥) . [ومكارمكم توسع بقدمه الصدور انشراحاً ، وتبلغ من إسداء ما توجه بسبيله اقتراحاً . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويضاعف نعمه عندكم ، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته ، وكتب في كذا]^(٦) .

(١) وردت في الإسكوريال (تشرح) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتفسيرها) وهو تحريف .

(٣) واردة في الملكية والفايكانه .

(٤) هكذا في الإسكوريال والفايكانه ، وفي الملكية (سبيل الولام) .

(٥) هكذا ورد ما بين الخاصرتين بالإسكوريال ، ونظيره في الملكية والفايكانه . (وصل الله عرته

ووالى رفعته) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد كله في الإسكوريال . ومكانه في الملكية والفايكانه فقط (ومقامكم يتفضل

بالإصغاء إليه والقبول من ذلك على ما لديه والسلام) .

ومن الاستظهار أيضاً على العداة والاستنجاز
للعداة ما كتبت به

وقد هلك الوزير المستولى على ملك المغرب ،
واستقل السلطان أبو فارس عبد العزيز على
ملك أبيه . نبّهت في ذلك على جَبَل الفتح
عندما تشدّبت حاميته وانقطع من الغرب مدده

المقام الذى يصرخ وينجد ، ويتهمّ في الفضل وينجد ، ويسعف ويسعد ،
ويبرق في سبيل الله ويرعد ، فيأخذ الكفر من عزماته الماضية المقيم المقعد ، حتى
ينجز من نصر الله الموعد ، مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل ،
وحدّ الكفر بسعده قليل^(١) ، وللإسلام فيه رجا وتأميل ، ليس للمقاوب عنه
مميل ، السلطان الكذا أبقاه الله وعزّمه الماضى لصولة الكفر قامعاً ، وتدبيره
الناجح لشمّل الإسلام جامعاً ، وملكه الموفق لنداء الله مطيعاً سامعاً ، معظم مقداره ،
وملتزم إجلاله وإكباره ، المعتدّ في الله بكرم شيمته وطيب نيجاره ، المستظهر على عدو الله
بأسراعه إلى تدمير أشياعه الكافرة وبداره ، فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله
وبركاته .

أمّا بعد حمّد الله مُجيب دعوة السائل ، ومتقبل الوسائل ، [ومنيل النائل]^(٢) ،
ومتبيح النعم الجلائل ، مربح من عامله في هذا الوجود الزائف الزائل ، والبرّه
القلائل بالمتاع الدائم الطائيل ، والنعيم غير الحائل ، ومقيم أود الإسلام المائل ،
بأولى المكارم من أوليائه والفضائل ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله
المنقذ من الغوائل ، المنجى من الروع الهائل ، والصادع بدعوة الحق الصائيل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (كليل) .

(٢) زائدة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية والفاثيكاه .

بين العشائر والفصائل ، الذى خُتم به وبرسالته ديوانُ الرسل والرسائل ، وجعله فى
الأواخر شرف الأوائِل . والصلاة عليه زكاة قول القائل . والرضا عن آله وصحبه
وعترته وحزبه ، تيجان الأحياء والقبائل ، المتميزين بكرم السجايا وطيب
الشَّمائل ، والدعا لمقام أخوتكم فى البُكر والأصايل ، بالسعد الصادق المخايل ،
والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرُّح العقايل ، والنصر الذى تهز له الصُّعاد الملد
عطف المترانح المتخايل . فإننا كتبناه كتب الله لكم عزّاً يانع الخمايل ، ونصراً
يتكفل للكتائب المدونة فى الجهاد ومَرْضَاتِ رب العباد ، بسرِّد المسائل ، وإقناع
السَّائل . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه إلاَّ استبصار
فى التوكُّل على من بيده مِلْكُ الأمور ، وتسبب مشروع تتعلق به بإذن الله أحكام
القدر المقدور ، ورجاً فيما وَعَدَ به من الظُّهور ، ، يتصاعد^(١) على توالى الأيام ،
وترادف الشهور . والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلاَّ فضله ، ومكانكم^(٢)
المعروف محله ، الكفيل بالإرواء نَهْلُهُ وعُلُّهُ . وإلى هذا وصل الله سعدكم ،
وحرس مجدكم ، [ووالى النعم عندكم]^(٣) فإننا فى هذه الأيام ، أهَمُّنا من أمر
الإسلام ، ما زبن الشراب ، ونغص الطعام ، وذاد المنام ، لما تحققنا من عمل
الكفر على مكابדתه ، وسعى الضلال ، والله الواقى فى استئصال بغيته ، وعقد
النواذى للاستشارة فى شأنه ، وشروح الحيل فى هدِّ أركانه ، ومن يؤمل من
المسلمين لرفع الرُّدا وكشف البلوى ، وبث الشكوى ، وأهله ، خاطهم الله وتولاهم ،
وتم عوايد لطفه الذى أولاهم ، فهو مولاهم ، فى غفلة ساهون ، وعن المغبَّة فيه
ذاهلون ، قد شغلتهم دنياهم عن دينهم ، وعاجلهم عن آجلهم ، وطول الأمل عن
نافع العمل ، إلاَّ مَنْ نَوَّرَ الله قلبه ، بنور الإيمان ، وتَمَلَّك بمناصحة الله والإسلام

(١) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (يتضاعف) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (ومقامكم) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

تَمَلُّمُ السليم ، واستدل بالشاهد على الغائب ، وصرف الفكر إلى معاطب الأمم السوالب . فلما رأينا أن الدولة المرينية التي هي على مرَّ الأيام شجى العدا ، ومتوَعِّد كل من يكيد الهدى ، وقبَّة الإسلام التي إليها يتميز ، وكهفه الذي إليه يلجأ ، قد أذن الله في صلاح أمورها ، ولمَّ شعنها ، وإقامة صفائها ، بأن خرج عنها هنات العدو ، وأراحها من مس الضر ، ورد قوسها إلى يد باريها ، وصيرَّ حقها إلى وارثها ، وأقام لرعى مصالحها ، من يحسن الظن بحسبه ودينه ، ويرجى الخير من ثمرات نصحه ، ومن لم يُعلم إلاَّ الخير من أسعيه ، والسداد من سيرته ، ومن لا يَسْتَرِيبُ المسلمون في صحة عَقْدِهِ ، واستقامة قصده . أردنا أن نخرج لكم عن العُهدَةِ في هذا الدين الحنيف ، الذي رسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله بالعافية ، وتشبَّثت به أنفاس^(١) من صار إلى الله من السلف ، تغدِّمهم الله بالرحمة والمغفرة . وفي هذا القطر الذي بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعاً وشرعاً ، وجار يلزم^(٢) حقه ديناً ودنياً ، وحميةً وفضلاً . وعلى الحالتين فعليكم بعد الله المعول ، وفيكم المؤمل ، فارعوناً أسماكم المباركة ، نقص عليكم ما فيه رضى الله ، والمنجاة من نكيره ، والفخر والأجر وحفظ النعم ، والخلف في الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة ، والرسول المرسل . وهو أن هذا القطر ، الذي تعددت فيه المحارب والمنابر ، والراكم والساجد ، والذاكر والعابد ، والعالم واللفيف ، والأرملة والضعيف ، قد انقطع عنه إرفاد الإسلام ، وفتحت الأيدي به منذ أعوام ، وسلم إلى عبدة الأصنام ، وقوبلت ضرايره بالأعذار ، والمواعيد المستغرقة للأعمار ، وإن عرضت شواغل وفتن وشواغب وإحن ، فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته [ولا يذهب المعروف بكليته]^(٣) ، ولا بد من شكوى إلى ذى

(١) هكذا في الملكية والفتاويكاته ، وفي الإسكوريال (الفناء) ، والأولى أرجح .

(٢) واردة في الفتاويكاته ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية والفتاويكاته ، وساقطة في الإسكوريال .

مروعة ، يواسيك أو يسليك أو يتفجع . ولو كانت الأشغاب تقطع المعروف
وتصرف عن الواجب ، لم يَفْتَحِ السلطان المقدس والدكم جبل الفتح ، وهو منازل
أخاه بسجلماسة ، ولا أمدّه ولده السلطان أبوعنان وهو بمراكش ، وبالأُمس بعثنا
إلى الجبل وشمانه في جملة ما أهدنا مبلغ جهد ، وسداداً من عوز ، وقد فضلت
عن ضرارنا أموال فرضت لسبيل^(١) الله على عباده ، وطعام سمحنا به على
الاحتياج إليه في سبيل جهاده ، فلم يُسهم المتغلب^(٢) منها بجانب الله بحبه ،
ولا أقطعه منها ذرة ، مستخفاً به جل وتعالى . ، متهاوناً بنكيره الذي هو أحق
أن يُخشى . فضاعت الثغور ، واختلت الأمور ، وتشدّبت الحامية ، وتبدّد العدد ،
وخلّت المخازن ، وهلكت بها الجرذان ، وعظمت فيها حسرة الإسلام أضعاف
ما عظمت حيرته ، أيام كانت تكفلها همم الملوك الكرام ، والخلفاء العظام ،
والوزراء والنصحاء والأشياخ الأمجاد ، قدّس الله أرواحهم ، وضاعف أنوارهم ،
ولا كالحسرة في الجبل ، باب الأندلس ، وركاب الجهاد ، وحسنة بنى مرين ،
ومأثرة آل يعقوب ، وإكرامة الله السلطان المقدس ، والد الملوك ، وكبير الخلفاء
المجاهدين ، والدكم ، الذي نرد على قبره منه مع الساعات والأنفاس ، وفود
الرحمة ، وهدايا الزلفة ، وريحان الجنة . فلولاً أنكم على علم من أحواله ، لشرحنا
المجمل ، وشكلنا المهمل . إنما هو اليوم شبحٌ ماثل ، وظلٌّ بايد^(٣) ، لولا أن الله
شغل العدو عنه بفتنة قوم^(٤) ، لم يصرف وجهه إلّا إليه ، ولا حوّم طيره
إلّا عليه ، ولكان بصدد أن يتخذ الصليب داراً ، وأن يقرب به عيناً ، والعدوة ،
فضلاً عن الأندلس ، قد أوسعها شراً ، وأرهق ما يجاورها عُسراً . نسل الله بنور
وجهه ، أن لا يسود الوجوه بالفجع فيه ، ولا يسمع عويل المسلمين لشكله ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكاه (من أجل) .

(٢) هكذا وردت في الملكية والفايكاه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (فايل) .

(٤) زائدة في الإسكوريال .

وما دونه قصد ، وإن أنعش بالتعليل عليه ، ورفع بالجهد^(١) خلقه ، لحم على
 وضم إلا أن يصل الله وقايته ، ويوالى دفاعه وعصمته . لا إله إلا هو الولي النصير ،
 وما زلنا نشكو إلى غير المصمت ، ونمد اليد إلى المدبر عن الله المعرض ، ونخطب
 له زكاة الأموال المباني الضخمة ، والخزائن الثرة ، والأهراء^(٢) الطامية ، والحظ
 التافه من المفترض برسمه ، وقلوب المسلمين بالنزول عنه من أجله . فتمضي الأيام
 لا تزيد الضرر فيها إلا ضيقاً ، ولا الأحوال إلا شدة ، ولا الثغر إلا ضعة^(٣) ،
 ولا نعلم أن نظراً وقع له ، ولا فكراً أعمل فيه ، إلا ما كان من تسخير رعيته
 الضعيفة ، وبلالة محياه السخيفة في بنا قصر بمئت ميور^(٤) من جباله ، شاده
 مرمرأ وجلله كلساً ، فلطير فيه ذراه وكور . جلب إليه الزليخ ، واختلفت فيه
 الأوضاع في رأس [نيق لأمل نزوه]^(٥) وسوء فكره ، فلما تم أقطع الهجران ،
 فهو اليوم مُتمتع اليوم وحظ الخراب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، حتى جاء
 أمر الله ، خالى الصحيفة من البر ، صفر اليد من العمل الصالح ، نعوذ بالله من
 نكيره ، ونسله الإلهام والسداد [والتوفيق والرشاد]^(٦) ، ولقد بذلنا جهدنا
 قولاً وفعلاً ، وموعظة ونصحاً ، واستدعينا لتلك الجهة صدقات المسلمين ، محمولة
 على أكتاف العباد الضعفا الذين كانت صدقات فاتحه رضوان الله عليه ترفدهم ،
 ونوافله تتعهدهم ، مما حرك ذلك الجوار حلوباً ، ولا استدعى مطلوباً ، ولا رُفداً
 مجلوباً ، فإلى متى تمضي^(٧) ركاب الصبر ، وقد بلغ الغاية ، واستنفد البلالة ،
 بعد أن أعاد الله العهد ، وجبر المال ، وأصلح السعى ، وأجرى ينابيع الخير ،

(١) هكذا في الإسكوريال والفاثيكانه ، وفي الملكية (بالجهد) .

(٢) واردة في الإسكوريال (الأهواء) ، والتصويب من الملكية .

(٣) واردة في الملكية والفاثيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) واردة بالملكية والفاثيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) ما بين الحاصرتين وازد بالملكية والفاثيكانه ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية والفاثيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاثيكانه (تمضي) .

وانشقَّ رياح الإقالة . وجملة ما نريد أن نقرره ، فهو البابُ الجامع ، والقصد الشامل ، والدَّاعى والباعث ، أن صاحب قشتالة ، لما عاد إلى ملكه ، ورجع إلى قُطره ، جرت بيننا وبينه المراسلة ، التي أسفرت بعدم رضاه عن كَدْحِنَا لنصره ، ومظاهرتنا إياه على أمره ، وإن كنا قد بلغنا جهداً ، وأنفدنا وسعاً ، وأجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها ، وأغراض صعبة لم نكملها ، ونحن نحقق أنه إما أن تهيج حَفِيظَتُهُ ، وتثور إِحْنَتُهُ ، فيكشف وجه المطالبة ، مستكثراً بالأُمة التي داس بها أهل قشتالة ، فراجع أمره غلاباً ، وحقه ابتزازاً واستلاباً ، أو يصرفها ويهادن المسلمين ، بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه القريبة ، إلّا عقد معها صلحاً ، وأخذ عليها بإعانتها إياه عهداً . ثم تفرغ إلى شفا غليله وبلوغ جهده ، ولا شك أنها تجيبه ، صرفاً لبأسِهِ^(١) عن نُحُورِها ، ومقارضة^(٢) لما وَقَعَ بآطريرة من ضيق صدورِها ، ومن سَفِّ جمهورِها . وكل من له دين فهو يحرص على التقرب إلى مَنْ دانه به ، وكلّفه وظائف تكليفه ، رجاً لوعده ، وخوفاً من وعيده . وبالله ندفع ما لا نُطِيق ، من جموع تداعت من الجزور ، ووراء البحور ، والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ، ولا تحصى ذرعه الحُدّاق . وقد أصبحنا بدار غربه ، ومنحل رَوْعِهِ ، ومُفْتَرَس ضَوْهِ^(٣) ، ومظنّة فِتْنِهِ ، والإسلام عددٌ قليل ، ومنتجعه في هذه البقعة حديث ، وعهده بالإرْفاد . والإمداد من المسلمين بعيد [ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا]^(٤) . ربنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعفُ عَنَّا ، واغفر لنا ، وارحمنا أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين .

(١) وردت في الإسكوريال (لبوسه) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٢) وردت في الإسكوريال (ومعارضه) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (نبوة) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفايكانه ، وساقط في الإسكوريال .

وإذا تداعت أمم الكفر، نعمة^(١) لدينها المكذوب ، وحمية لصليبيها المنصوب ، فمن يُستدعى لنصر الله ، وحماية أمانة نبيه إلا أهل ذلك الوطن ، حيث المآذن بذكر الله تملأ الآفاق ، وكلمة الإسلام قد عمت الرُّبَا والوهاد . إنما الإسلام غريق قد تشبث بأهدابكم ، يناشدكم الله في بقية الرَّمَق ، وقبل الرَّمَى تراش السهام ، وهذا أوان البُنا والإغنا ، واختيار الحماة ، وإعداد الأقوات ، قبل أن يضيق المجال ، وتمنع الموانع . وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم ، مقررًا للضرورة ، مُنهيًا للرغبة ، مذكّرًا بما يقرب عند الله ، ومؤكدًا لدمام الإسلام ، جالبًا على من وراءهم بحول الله من المسلمين ، البشرى التي تشرح الصدور ، وتُسنى الآمال ، وتستدعى الدعا والثنا . فالؤمن كثير بأخيه ، ويد الله مع الجماعة ، والمسلمون يدٌ على من سواهم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، والتعاون على البر والتقوى مشروع ، وفي الذكر الحكيم مذكور ، وحق الجار مشهور ، وما كان يوحى به جبريل في الصحيح مكتوب ، وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر ، فخرجوا أن يروع الكفر من العز بالله ، وشد الحيازيم في سبيل الله ، ونفير النعرة [في سبيل الله]^(٢) ، والشروع في حماية الثعور وعُمرانها ، وإزاحة عللها ، وجلب الأقوات إليها ، وإنشاء الأساطيل وجبر ما تلف من عُدّة البحر ، أمور تدل على ما وراءها ، وتخبر بمشيئة الله عما بعدها . وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .

ومن خطب على رضى الله عنه . أمّا بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رهبة ، ألبسه الله سيما الخسف ، ووسمه بالصغار ، وما بعد الدنيا إلا الآخرة ، وما بعد الآخرة إلا إحدى دارى البقاء . أفى الله شك . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والاعتنا بالجبل بعنوان هذا الكتاب ، ومقدمة هذا

(١) واردة في المخطوطين ، وساقطة في الفاتيكانيه .

(٢) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانيه ، وفي الملكية (لدين) .

الباب ، والغفلة عنه منذ أعوام ، قد صيرته لا يقنع باليسير ، وقد أبرمته المواعد ، وغير رسومه الانتظار ، [ونفقتة على قدره] ^(١) . ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس . والإسراف في الخير أرجح في هذا المحل من عكسه . وكان بعض الأجواد يقول وقد أقتر ، اللهم هب لي الكثير ، فإن حالي لا يقوم على القليل . وعسى أن يكون النظر له . بنسبة الغفلة عنه ، والامتعاظ له مكافياً للإزراء به ، وخلق البحر يُغتم لإمداده وإرفاده قبل أن يثوب نظر الكفر إلى قطع المدد وسد البحر . ومن صنع الحزم نديم ، ولا عذر لمن علم . والله عز وجل ، يطلع من قبلكم ما فيه شفا الصدور ، وجبر القلوب ، وشعب الصدوع . وما نقص مال من صدقة ، وطعام الواحد كافي الاثنين ، والدين دينكم ، والبلاد بلادكم ، ومحل رباطكم وجهادكم ، وسوق حسناتكم ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . وقد قلدنا العهدة الحفيظ عليها المصروف العناية بفضل الله إليها . والله المستعان ، وعليه التكلان . والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

وصدر عني فيما يقرب من هذا الغرض وفيه إشارة إلى ترك الحركة إلى مراکش ، والعمل على إنجاز وعد التغلب على دولة الملوك بالمغرب ، وقد تأذن الله عز وجل بعكس ما قصد منه ، ودافع بقدرته عن هذا الوطن دون إعانته

المقام الذي يؤثر حظاً الله إذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ، ويشرع إلى الأدنى منه إذا تفاضلت المشارع ، وتمايزت الموارد ، ويستأنف ^(٢) عادة حلمه وفضله الشارد ، ويسع وأرف ظله الصادر والوارد ، والغايب والشاهد ، ويُعيد

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية والفايكانه .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (وتشمل) والأولى أرجح .

من نصر الله للإسلام العوايد [ويسد الذرايع ويدر الفوائد]^(١) ، مقام محل أختينا
الذى سبب اعتدائنا به في الله قوى وثيق ، وثناؤنا بالمفاخر الموقوفة على ملكه
الرفيع طليق ، واعتمادنا على مظاهرتة ونصره لا يلتبس منه طريق ، ولا يختلف
فيه فريق ، وودادنا في جنبه الأسمى أصيل عريق . السلطان الكذا أبى عنان ،
أبقاه الله ، وآثاره في نصر الدين باقية صالحة ، وغرس مفاخره مشرقة واضحة ،
وآمال أهل الإسلام في عزائمه الماضية ، ومكارمه الرأضية ، صادقة ناجحة ،
وكتائبه في سبيل الله غادية رابحة ، وكتبه بإنجاز المواعد والمثابرة على [كبت
أعدائه مراجعة أو مفاتحه ، وأقلام رماحه وصحاف صفاحه لآيات إلى]^(٢) الذى
حسنت في الدين^(٣) ، أسيره ، وتعاضد في الفضل خبره وخبره ، ودلت شواهد
مداركه للحقوق ، وتغمده العقوق على أن الله لا مهله ولا يذره . فسلك مجده
متسقة دُرره ، ووجه ملكه [شادخة غرره ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاوة هامية لديه منن الله وآلاؤه] شارقة^(٤)
بكواكب السعد سماؤه ، محروسة بعز النصر أرجاؤه ، مكلا من فضل الله في نصر
الإسلام وكبت عبدة الأصنام أمله ورجاؤه ، معظم قدره الذى يحق له التعظيم ،
وموقر سلطانه الذى له الحسب الأصيل والمجد الصميم ، الداعى إلى الله
باتصال سعاده ، حتى ينتصف من عدو الإسلام الغريم ، ويحتاج على يد سلطانه
الفتح الجسيم . فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يخيب لمن أخلص
إليه الرغبة أملا ، وموفى من تركه له حقه أجره المكتوب متمما مكلا ، وجاعل

(١) ما بين الحاصرتين وازد في الفاتيكانه ، وساقط في الملكية والإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين كله وازد بالإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٣) في الملكية والفاتيكانه (الملك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانه (مزداته) .

الجنة لمن اتقاه حتى تُقَاتَهُ نُزُلًا^(١) ، ملك الملوك الذى جلَّ وعلا ، وجبار [القلوب]^(٢) الجابرة ، الذى لا يجلبون عن قَدَرِهِ محيصاً ، ولا من دونه موئلاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى أنزل عليه الكتابُ مَفْصَّلاً ، وأوضح طريق الرشد ، وكان مُقَفِّلاً ، [وفتح باب السعادة ولولاه لكان مُغْفَلاً]^(٣) . والرضا عن آله وأصحابه ، وعِترته وأحزابه الذين ساهموا فيما أَمَرَ وَجَلَّ ، وخلفوه من بعده بالسَّيرِ التى راقَتْ مُجْتَلَا ، ورفعوا عماد دينه ، فاستقام لايعرف ميلاً ، وكانوا فى العفو والحلم مثلاً . والدعاء لمقامكم الاسمى^(٤) بالنصر الذى يلقى نصه صريحاً لا متأولاً ، والصَّنْع الذى يُبْهَرُ حالاً ومستقبلاً ، والعز الذى يرسو جَبَلًا ، والسعد الذى لا يبلغ أمداً ولا أجلاً . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، أَصْحَبَ اللَّهُ رِكَابَكُمْ حليف التوفيق جَلًّا ومُرْتَحَلًا ، وعَرَفَكُمْ عوارف اليُمن الذى يثير جدلاً ، ويدعو وافد الفتح المبين ، ويردُّه متعجلاً . من حَمَرَاءِ غَرَنَاطَةِ حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم ، حَرَسَ الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، إِلَّا الْخَيْرَ الذى نَسَلَ الله بعده تحسين الْعُقْبَى ، وتوالى عادة الرحمى . والحمد لله على التى هى أَزْكَى ، وسَدَّلَ جناح الخير^(٥) الْأَضْنَى ، وصلة اللَّطَائِف التى هى أَكْفَلُ وَأَكْفَى ، وأَبْرُ وَأَوْفَى . ومقامكم عندنا هو الْعُدَّة التى بها نضول ونُرْهَب ، والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونُسْهَب ، وقد أوفدنا عليكم كل مازاد لدينا ، أو فتح الله به علينا . ونحن مهما شُدَّ الْمُخَنَّق ، بكم نستنصر ، أو تراخى ففى وُدِّكم نستبصر ، أو فتح الله بآبوابكم نهْنَى ونبشر ، وقررنا عندكم أَنَّ العدو فى هذه الأيام تَوَقَّفَ عن بلاد المسلمين ، فلم يصل منه إِلَيْنَا سُرِّيَّةً ، ولا بطشت

(١) وردت فى الإسكوريال (بدلا) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال والفاتيكانه .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٤) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الستر) .

له يد جريّة ، ولا افتترعت من تلقاياه ثنيّة ، ولا ندرى المكيدة تدبر أو آراً تنقص بحول الله وتُقهَر^(١) ، أو لشاغل في الباطن لا يَظْهَر . وبعد ذلك ورد على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون فيها إلى جنوحنا للسلم في سبيل النصح لأَيّاد سلفت مِنّا لهم قَدَرُوها ، ووسائل ذكروها ، فلم يخف^(٢) عنا أنه أمر دُبّر ليليل ، وخبيثة تحت ذيل ، فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الأمر ، فوجهنا إليه على عادتنا مع سلفه ، [من يهنيه على ما صار إليه]^(٣) ويعتبر ما لديه وينظر إلى باطن^(٤) أمره ، ويبحث عن زَيْد قومه وعَمْرَه ، فتأتى ذلك ، وجرّ مفاوضة في الصلح ، أعدنا لأجلها الرّسالة ، واستشعرنا البسالة ، ووازنّا الأحوال واعتبرنا^(٥) ، واعززنا في الشُّروط ما قَدَرنا ، ونحن نرتقب ما يخلق الله من مهادنة تحصّل بها الأقوات المهيأة للانتيساف ويسكن [ما ساء البلاد المسلمة]^(٦) من هذه الأرجاف ، ويفرغ الوقت لمطاردة الآمال العجاف ، أو حرب يبلغ الاستبصار فيها غايته ، حتى يظهر الله في نصر الفِئّة القليلة آيته . ولم نجعل بسبب الاعتزاز فيما أردناه ، وشموخ الأنف فيما أصدرناه ، إلّا ما أشعنا من عزمكم على نصره الإسلام ، وارتقاب خفوق الأعلام ، والخفوف إلى دعوة الرسول عليه السلام ، وأنّ الأرض حميّة الله قد اهتزّت ، والنّعة قد غلبت النفوس واستفزّت ، واستظهرنا بكتبكم التي تضمنت ضرب^(٧) المواعد ، وشمّرت عن السّواعد ، وأنّ الخيل قد أطلّقت إلى الجهاد في سبيل الله الأعنة ، والثنايا سدّتها بروق الأسنة ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية ((وتشبر) .

(٢) وإزدة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٤) في الملكية والفاتيكانه (بواطن) .

(٥) في الملكية والفاتيكانه (واختبرنا) .

(٦) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) وردت في الإسكوريال (صرف) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون ، والأموال قد سمح بها المسلمون . وهذه الأمور هي التي تمشت بقريبها أو بعيدا أحوال الإسلام ، والآمال ^(١) المعدة لتوجيه الأيام . ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من خور العزائم المؤمنة بعد كورها ، وتسوييف مواعيد النصرة بعد استشعار فورها ^(٢) ، وأن الحركة معملة إلى مراكش الجهة التي في يديكم زمامها ، وإليكم وإن ترائى الطول ترجع أحكامها ، والقطر الذي لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم مع الصولة ، ولا يطلبكم إن تركتموه ، ولا يمنعكم إن طرقتموه وعركتموه . فسقط في الأيدي الممدودة . وأخلفت المواعد المحدودة ، وخسئت الأبصار المرتقية ، ورجعت المكاتل ^(٣) الآشبة ، وساءت الظنون ، وذرفت العيون ، وأكذب الفضلاء الخبر ، وأنفو أن يُعتبر ، وقالوا هذا لا يمكن ، حيث الدين الحنيف ، والمُلك المنيف ، والعلماء الذين أخذ الله ميثاقهم ، وحمل النصيحة أعناقهم . هذا هو المفترض الذي لا يبعد ، والقائم الذي يقعد ، ياباه الله والإسلام ، تأباه العلماء الأعلام ، تأباه المآذن والمنابر ، تأباه الأهمم الأكابر . فبادرنا نستطلع طلُع هذا النبأ الذي إن كان باطلا فهو الظن والله المن ، وإن كان خلافا لرأى رجع ، [وتنفق الملك وتبجح] ^(٤) فنحن نوفد كل من يقدم إلى الله بهذا القطر في شفاعته ، ويمد إليه كف ضراعة ، ومن يوسم بصلاح وعبادة ويقصد في الدين ببث إفادة . يتطارحون عليكم في نقض ما أبرم ، ونسخ ما أحكم ، فإنكم تجنون به على من استنصركم عكس ما قصد ، وتحلون عليه ما عقد . وهب العذر يُقبل في عدم الإعانة ، وضرورة الاستهانة والاستكانة ، أي عذر يُقبل في الأطراح ، والإعراض الصراح ، كأن الدين غير واحد ، كأن هذا القطر لكلمة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (والأمانى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (صورها) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٣) وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال والفايكانه (المائل) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في الفايكانه .

الإسلام جاحد ، كَانَ ذمام الإسلام غيرُ جامع ، كَانَ الله غير راءٍ ولا سامع ، فنحن نَسَلُكم الله الذى تسألون به والأرحام ، ونأنف لكم من هذا الإحجام ، ونتطرح عليكم فى أَنْ تتركوا الله حظكم فى أهل تلك الجهة ، حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذى يتكالب علينا بإذباركم بعدما تضاءل لاستنفازكم ولإنصافكم^(١) [ولا نكافكم]^(٢) غير اقتراب داركم ، وما سامكم المسلمون به شططاً ، ولا حملوكم إلا قصداً وسطاً ، وما ذهبتم إليه لا يفوت ولا يبعد ، وقد تجاوزت البيوت ، إنما الفائت ما وراءكم من حديث تأنف من سماعه أو دأؤكم ، ودين يشمت به أعداؤكم . فاسعفوا بالشفاعة لمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا ، وحاشى إحسانكم أَنْ يرضى فيه ردنا ، وأنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على أيديكم من قدره ، أو يلهمكم إليه من نصره ، وجوابكم مرتقب بما يلقى بكم ، ويجمل بحسبكم ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم بمنه . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وفى كذا .

(١) ساقطة فى الفاتيكاه .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

كتب الشكر على الهدايا الواردات

راجعتُ السلطانَ الكبيرَ أبا عنان رحمه الله عن
هدية بعث بها إلى الأندلس ، تشتمل على خيول
ومُهَنَّداتٍ مُحَلَّاةٍ ، ومهاميزٍ مُحَكَّمةٍ ، ودنانير
من الذهب العين ، بقولى بعد الفاتحة :

المقام الذى شأنه هَبَّاتٌ تُبَثُّ^(١) ، وعَزَمَاتٌ تُحَثُّ ، وهمُّ يَبُثُّ الإسلامَ
إليها همومه فيذهب البُثُّ ، مقام محلِّ أخينا ، الذى قضايها مجده مُنَشِّرَةٌ فى
الجهات ، فَرْدِيَّةٌ بحسب الوصف والذات ، عُرْفِيَّةٌ فى الأزمان ، مشروطة فى
مذاهب^(٢) العَزَمَاتِ . يُزْهِى بوجودها الزمن الحاضر ، وباستقبالها الزمن الآتِ ،
وَيُطَرِّزُ بها فخر الدين رواق^(٣) . الآيات البينات . السلطان الجليل الرفيع ، الأَسْنَى
الأمجد الأسعد الأوحد الأسمى الأعزَّ ، الكبير المجاهد الأمضى أبى عنان ابن
السلطان الجليل الكذا أبى الحسن ، أبقاه الله ، وحيد العلماء على تعدُّد فضله
واشتراكه ، فَذَلِكَ حِسَابُ أُولَى الْأَحْسَابِ ، من خلائف الإسلام وأُمَلَاكِهِ ،
ولا زال بدرٌ هَدَى صهوة الطرف من أفلاكه ، وبحر نداءً ، يُنسب جيد الوجود
إلى عنصره العيم الجود درر أسلاكه . فمضى حاول قصداً جَنَحَ منه النَّجَجُ إلى
ملاكه ، ومهما كاد ضِدًّا كانت النجوم الشوايك من شباكه ، حتى يرى سعه
عن قوس الأفق ، ويظفر بسماكه . معظَّم مقامه ، الذى هو بالتعظيم مخصوص ،
[وموجِبُ حَمْدِهِ الذى مُحَكَّمه فى كتاب البر منصوص]^(٤) ، وموقَّرُ ملكه الذى

(١) وردت فى الإسكوريال (تحث) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مواقف) .

(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

ثناؤه على أساس^(١) الأصالة مرصوص . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر مفترضاً ، وألّف بين [قلوب المؤمنين]^(٢) بعواطف فضله المرحوب ، فلم يبق فيها مرضاً ، وخلّص جواهر الاعتقاد من شبه الانتقاد فلم يترك عَوْضاً ، وسدّد الأعمال الودية والأقوال الاعتقادية إلى مرامي التوفيق فأصابته سهامها غرضاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي سلّ من الحق حُسَاماً مُنْتَضِماً ، وندب إلى التماس الخلال التي تُحمد ، والأخلاق التي تُرتضى ، وبَيّن من المآخذ والمشارك^(٣) ما كان مُسَلِّماً أو مفترضاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين اقتضوا من آدابه الكريمة أَسْنَى مُقْتَضَى ، وباعوا نفوسهم النفيسة من الله في نصر دينه ، ففازوا بدار الخُلْدِ عَوْضاً ، والعزم^(٤) الذي يحرض النفوس على جهاد عدو الدين حتى يعود حَرَضاً . فإنّا كتبناه إليكم كتب الله لكم من العز أفسحه جناباً^(٥) ، ومن السعد أسبغه أثواباً ، ومالاً صحائف صفاحكم الماضية فخراً وثواباً ، وجعل الصُّنْعَ الإلهي لندا دعوتكم جواباً ، وأسعد الإسلام بآياتكم التي استأنفت شباباً . ووصلت بأسباب التمهيد أسباباً . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وللتشيع في سلطانكم العلى سبيل لا يَلْتَبَسُ ، والاعتقاد في رفيع جلالكم نورٌ يَقْتَبَسُ منه المقتبس . وإلى هذا أيّد الله أمركم ، ورقّع قدركم ، فقد تقرر جبلة مطبوعة ، وسنة متبوعة ، أن المهادة تغرس المحبة وتثبتها ، [وتُصَرِّح الأضغان وتوزعها]^(٦) ، وتسلّل السخائم وتنزعها ،

(١) وردت في الإسكوريال (ثنا) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الملكية ، وفي الإسكوريال (القلوب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المسالك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العز) .

(٥) في الملكية (مجالا) .

(٦) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (الادعان وترعها) ، وهو تحريف .

فكيف إذا وردت على ضمائر أَصْفَى [في ذات الله] ^(١) من نُطَف الغمام ، وأصدق من دُرر الأزهار في أَصداف الكمام ، وقلوب متعاقدة على مرضاة الله والإسلام ، فياها من مودّات تزكو حينئذ ثمارها ، واعتقادات تسطع أنوارها . وإننا ورد علينا كتابكم الكريم على حال اشتياق لوارد ، وظما إلى موارد ، حائزاً في ميدان البلاغة مزيّة التقديم [واصلأ سبب البر الحديث والقديم] ^(٢) إلى ألفاظ مصقولة الأديم ، ومعان حلت من البيان محلّ الكأس من كفّ النديم ، مُصْحَباً بالهدية الجهادية والمقاصد الودادية ، والمواعيد السنّية ، والعزائم المتكفلة بنيل الأُمْنِيَّة . فوقفنا من ذلك كله على أنواع بر في أصنافها مختارة ، وضروب فضل ^(٣) تختال من الاحتفا في أكمل شارة ، وتشير إلى ما وراءها من العزم الجهادي أكرم إشارة ، من كل طَرفٍ ذكّى الجنان ، طموح في العنان ، مسرج بالهلال ، ماتحف بالعنان منقاد ^(٤) ، لوحى الطرف وإشارة البنان ، مُمْتَرٍ في كلام النقع بذيال السنّان ، كأنما زاحم النجم بتليله فالجم بثُرياه ، وقلد بإكليله ، وكانّ الصباح غمر وجهه بمسيله ، والنسيم اللدن مسح عطفه بمِنديله ، ونهر المجرة أبقي الليل في تحجيله ، فلوراه القسّ لثله في ظهر إنجيله ، متبخترٌ في مشيه ، مختالٌ في عصبه ووُشيّه ، يلاعب ظلّه نشاطاً وترفيهاً ، ويُطَرف عن مُقلّة ملئت تيهاً ، وأودع سحر هاروت فيها وكل صارم صقيل الحدّ ، كامل الفصل في الخدّ تيممة [من تمام المجلد] ^(٥) ما شيت من ماء في الجلد مسكوب ، وحزام في الغمد منشوب ورؤى إلى الهند منسوب ، كلّف بالعلا ، وازدان بأنّهى الحالا ، وهام بيض الطلّا ، حتى بان نحوه بالهوى ورقّ جُمانه ، وتضاءل بين الأجفان إنسانه ، من اللائى عودتهما الإيالة الفارسية

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (بر) مرة أخرى .

(٤) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

خَوْضُ الغمار ، وجَرْنَتها من مَخِيطها للحج بين مقامها والاعتار ، وعلمتها بنِشار^(١) الجماجم رَمَى الجمار ، وكل محكمة المقدار مُحَلَّات ببحث النُّظار ، منظومة الخرز نظم الفِيقار ، أبدعتها أرباب الحروف في أشكال المحاريب^(٢) وأبرزتها في المرأى الأنيق والشكل الغريب ، تُهَمِّزُ بها حروف الجياد عند سكونها ، وتُثار عقبان الصفوف من ركوبها . فيالها من هدية ، أزرى فيها العيان بالسمع ، وثنيّة قامت عندنا مقام الجمع ، وذكرتنا بازدواجها الحكمة في ازدواج الجوارح كالعين والسمع ، وعرفتنا بثنيّة أشكالها ، وانفراد الكتاب المُعَرَّب عن جلالها ، بركة الوتر والشَّعْغ ، فأغرينا لسان الشكر بخلال مُهديها ، وأقبلنا وجوه الوُدِّ وفادة موديا ، وقُلْنَا لا ينكر العذب من منبَعه ، ولا النور من مطلعهِ ، ولا الفضل إذا صدر من موضعه . وهذه البلاد أيدكم الله ، أسمع أعدائنا مُصِيخة إلى مثل هذه الأنبياء ، وقلوبها من اتصال اليد بذلك العلا ، محمّلة بِاثقال الأعباء ، فإذا عَرَفَت اعتناءكم بِأمرها ، وعملكم على نَصْرِها ، واهتمامكم بِشأنها ، ومواعيدكم المتكفلة بِاتِّصال أمانها^(٣) ، قُصِّر شأن عدوانها ، وتضاءل نار طُغيانها ، ووازنّت الأحوال عِمِزاتها . ونحن إن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من التشيع الذي آياته محكمة ، ومقدماته مسلحة ، فلا يعترض منها رسم ، ولا ينازع فيها والحمد لله خصم . لم يتسع نطاق النطق لأداء معاومها ، ولا وفّى المكتوب ببعض مكتومها ، فحسبنا أن نكل ذلك إلى من يعلم ما خفي من السرائر ، ويَبْلُو مخبآت الضمائر . وعرفتمونا بعزمكم على الحركة الشرقية التي قد حتمَ زَنْدُها فأورى ، وأثرتم طرفها فانبرى ، وأنكم تتهدون إلى الجهاد في سبيل الله سبيلا ، وترفعون الشواغب جملة وتفصيلا ، ولكون نيتكم الصادقة تقصد هذا المرمى ، وتخطب هذا الغرض الأسمى ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بنجار) .

(٢) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (آمالها) .

نخصكم الله بالأثرة الأثيرة ، ونصركم في المواطن الكثيرة ، فإنكم إنما تعاملون من لا يضيع عمل عامل ، ولا يخيب لديه أمل أمل . والله تعالى يقدم الخيرة^(١) بين يديكم ، ويتم نعمته عليكم ، ويجزل عوارف المواهب لديكم بمنه وفضله . واعلموا ، وصل الله لكم سعادة متصلة الأسباب ، ووقاية سايغة الأذيال ضافية الأثواب ، أنه حضر بين أيدينا خديمكم الشيخ الأجل الأعز المرفع أبو فلان ، كتب الله سلامته ، ووالى إكرامته ، فألقينا إليه من شكر مقامكم الكريم ، ما لزم ووجب ، وجلّونا منه بعض ما تستر بالعجز عن إدراكه واحتجب ، فلمجدكم أبقاه الله الفضل في الإصغاء لما يلقيه ، والقبول على ما من ذلك يودّيه ، والله سبحانه يصل لكم عوارف آلائه ، ويحملكم من مرضاته على ما يضاعف لديكم مواهب نعمائه ، ويحقق الظنون فيكم من الدفاع عن دينه ، وجهاد أعدائه ، والقيام بسنن الجلة من خلفائه ، وهو جل وعلا يحفظكم في كل الأحوال ، ويسدل عليكم عصمته الوارفة^(٢) الظلال . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته . وكتب في كذا من التاريخ ، عرفنا الله خيره .

ومن ذلك ما كتبت به للسلطان أبي عنان المذكور رحمه الله ، وقد وجه^(٣) إلى بابيه سلطان الأندلس أمير المسلمين أبو الحجاج ابن نصر رحمه الله عليه ، هدية تشتمل على فره من البغال وغير ذلك . وهذا الكتاب فقره على حروف

المعجم

المقام الذى طُيب الأفواه ثناؤه ، وطرّزت صحف الحمد أنباؤه ، وزُيّنت

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الخيرات) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الوافرة) .

(٣) وردت في الإسكوريال (توجه) فاقتضى التصويب .

بكواكب المفاخر والمناقب التي ترك الأول للآخر منها سماءه ، وعلى أساس الملك الأصيل والمجد الأثيل بناؤه ، واشتهر اهتمامه بالمكارم واعتناؤه ، وتعددت مكارمه العميمة وآلاؤه . مقام محل أختينا الذي بره محتوم الوجوب ، وحبّه مرسوم في أسرار القلوب ، وسعده كفيل للإسلام بنيل المطلوب ، ومآثره تشهد بها صفوف المحاريب ومضارب الحروب . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يمهّد قواعد الملك الرفيع ويثبتها ، ويتقبل الأعمال الودية بقبول حسن ، ويثبتها ، ولا زال معصوماً بوقاية الله من كل حادث ، معصوباً منه حق الدين بأقرب وارث ، معزز أمنه من السماء بثالث ، معظّم مقامه الجاري من التعظيم له على منهاج ، الصّادع بحجة التشيع فيه يوم تبارى الحجاج ، المستند من تأميله إلى مقدّمات مجد صادقة الإنتاج ، المبتهج بما يسنيه الله من أسباب سعادته كل الابتهاج ، فلان.

أمّا بعد حمّد الله الذي أطلع في أفق الإسلام من أنوار إِيالتكم المنصورة الأعلام صباحاً ، وملأ بها العيون قرة والصدور انشراحاً ، فجياد الأمل تزهى نشاطاً ومراحاً ، وأعطاف المكارم تبدى اهتزازاً ، وارتياحاً ، والإسلام يستأنف عزّاً صراحاً ، ويحمد مغدّاً في ظل الأمان ومراحاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله الذي طلع في سماء الهدا بدرّاً ليّاحاً ونوراً وضّاحاً ، وكانت رسالته المؤيدة بالحق لأبواب السعادة الأبدية مفتاحاً . فبذكره تُقرع أبواب الرغبات تيمناً واستنجاحاً ، وبجأه نتوسل استنزالاً لرحمة الله واستمناحاً ، وفي مرّضاته نصل الوداد سداداً لأتمته وصلاحاً . والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا غيوثاً كلما سئلوا سماً ، وليوثاً كلما شهدوا كفاحاً ، الباذلين في نصره أموالاً وأرواحاً ، المُعمّلين في مظاهرة أمره عزائم راضية ، ومناصل ماضية ورماحاً ، حتى أدوا إلينا سنّته حسناً^(١) أحاديثها وصحاحاً . والدعاء لمقامكم الأسنى بالنصر الذي يورى^(٢)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (حسناً) .

(٢) وردت في الإسكوريال (يورى) ، وفي الملكية (يرى) فاقضى التصويب .

زندهُ في العدوِّ اقتِداحاً ، والعز الذي يضيئ على الدين الحنيف جناحاً ، والصنع الذي يعم البسيطة وهاداً وهضاباً وبطاحاً ، ولا زال رأيه مؤيداً ^(١) ، وعلمه منصوراً ، وسيفه سفاحاً . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عزاً باذخاً ، وسعداً سامياً شامخاً ، ومُلْكاً راسخاً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وصنع الله بادٍ ، ولطفه جلّ وعلا مُتّاد ، والتشيع في مقامكم [العلی] ^(٢) لا يحتاج ^(٣) مُستسلمه إلى استشهاد ، ولا يفتقر جاهله إلى إعادة ولا تردّاد . وجنابكم بعد الله ، هو المعتمد إذا اضطر إلى إعانة وجهاد أو التماس إرفاد . وإلى هذا عرفكم الله عوارف السعادة جُملاً وافذاً ، كما جعلكم في مُهمّات الدين ملاذاً ، ومن وقع الخطوب عياداً . فقد علم وتقرر ، وتأكّد وتحرر ، ووضح وضح الصباح ^(٤) لمن أبصر ، ما عندنا من الوُد الذي تألّق نوره ، وثبت في صحف الخلوص مسطوره ، وخلصت من الشوائب بحوره ، وتحلّت بجواهر الصفا نحوره ، فهو على الأيام ، يخلص خلوص الإبريز ، وتصفو حلله ^(٥) موقية التطرّيز ، وتحصن مُضمراته من معاقل الاعتقاد الجميل بالمحل ^(٦) الحريز ، وتنتصب حقوقه الجمة للعيان مع الأحيان على التمييز . وكيف لا تحلّ كرام صنائعكم من متبوء الشكر بالمحل المغبوط ، وتتلّزم موجبات الثناء على مُلككم الرفيع البنا ، تلتزم المشروطات ^(٧) مع المشروط ، وتختال مكارمكم من الإشادة بمواليها ، والإذاعة ^(٨) لمقدمها وتاليها ، في البرود المذهبة والمروط ، وقد شمل هذه البلاد منكم الرعي واللّحظ ، وكرم

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مزيداً) وهو تحريف .

(٢) زائدة في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يخرج) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (النهار) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (حلاه) .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يا لحد) .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المشروط) .

(٨) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (والإعادة) .

منكم في إمدادها وإنجادهما المعنى واللفظ ، وتوفر لها من اعتنايكم الكفّل والحِفظ .
وأننا بحسب هذا الاعتماد والاستمسك ، والود المستقيم الأفلاك ، والولا الذي
يصرع نوره دياجي الأخلاك ، نود أن لا يمر جزء من الزمان إلّا عن رسالة تُعمل ،
أو مخاطبة تُتحمل ، أو مكاتبة تُحشر فيها حروف الهجا كهذه فلا تُعمل ، أو وجه
تعريف يُستقبل ، أو استطلاع لما يسنيه الله من مزيد عناية تُرجى لكم وتؤمل .
وإن كنّا لا نسوف الإمكان بهذا الغرض الحرّ بالتقديم ، ولا نغفل صلة الحديث
بالتقديم ، ولا نبرّح عن التكميل له والتّتميم^(١) ، قد جعلنا ذلك شأنًا ، واستشعرناه
سرًا وإعلانًا ، وشغلنا به لسانًا وجنانًا ، فودنا على الاستكثار حريص ، وله مع
العموم^(٢) تنّصيص ، ومن بعد العموم تخصّيص . وغرضنا لو نستنفذ الأوقات
في فروض برّ تقضى ، واغتنام ملاطفة تُرضى ، واستحاثات مراسلة تنفذ وتمضى .
ولأجل ذلك رأينا أن أوفدنا على بابكم من يجدد عهدنا بأنبياء ذلك المقام السعيد
المطالع^(٣) ، الرفيع المصاعد والمصانع^(٤) وينهى إلينا عنه إن شاء الله قرّة العيون
وسرور السامع ، وشافهنا بما يتأكّد قبله من نعمة الله سابعة ، ومنّة منه سابقة ،
وموهبة بالغة ، فيشاركه في الشكر على فضل الله المترادف ، ويسرّه البادى
والعاكف ، ونسئله صلة ما عوّد من اللطائف ، ونرى أن ما ينشأ بتلك السّما من
غيث ، ففضله عائِد على هذه الآفاق ، وأن ما يرومه من تمهيد الأقطار ، وتأمين
الرفاق ، ذريعة إلى الجهاد فيها ، وتخليد الذكر الباق . هياّ الله من حُلّ العزّ
ما يستأنف لباسه ، ومن مصانع الصُّنع ما يمهّد أساسه ويُسنّى به قومه الكرام
وناسه^(٥) ، وأبقاه لفخرٍ فاشٍ ، وحمد يشى حلته واشٍ ، وفضل لا يختلف

(١) وردت في الإسكوريال (التّحيم) ، والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في الإسكوريال (المفهوم) .

(٣) زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (المطالع) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وتأييده) .

عليه راكب ولا ماشٍ . فنبعثنا في هذا الغرض مولى نعمتنا غالباً ، وصل الله له ،
بالوجهة إلى بابكم ، أسباب الوجهة ، وحفظ عليه لباس الحظوة والنباهة ،
وألقينا إليه في هذا المعنى ما يجدى إلى غايته ^(١) القصوى ، وجلالكم الذى
مآثره تُردى ، ومكارمه تردّها ألهم فتروى ، يعلم أننا جعلنا بين يدي حركتكم
السعيدة بالاً ، فيؤليه قبولاً واقبالاً ، وينعم بالإصغاء إليه على عادته التى راقبت
جمالاً ، وفاقّت كمالاً ، فسبح الله له فى السعادة مجالا ، وجعل له النصر مآلاً .
والسلام العاطر رياه الرائق مُحَيَّاه ، المعتمد بالرحمة والبركة أسخّاره وعشاياه ،
يخص مقامه الذى كرمت خصائصه ومزاياه ، وطابت شمائله الزكية وسجاياه ،
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وفى مدرجة طيّ هذا الكتاب

يامحلّ أحنينا ، وصل الله بقاءكم ، ووالى فى سماء السعد ارتقاءكم ، حملنا
الود ^(٢) الذى ملك الإدلال ^(٣) مقادته ، وكفل الخلوّص إبداءه وإعادته ، أن
وجهنا إلى بابكم العلى ، وصل الله إسعاده ، وفسح فى العز آماده ، أن يتفضل
بقبوله من الفاكهة المعتادة ، اعتماداً على إغضا تلك المجادة . ولما تعرّفنا حركتكم
التى تستقبلان بها إن شاء الله وجوه السعادة ، وجهنا معها ما أمكن من الدواب
البغليّة ، مما أن عسى يسعد بخدمة مثابرتكم العلية ، على سبيل السمع وسنة الهدية .
ولو وقع فى الهدايا الاعتبار ، ولُوَحِظت الأقدار . لم يوجد فى الوجود ما يتعين
لذلك المقام الكريم هدية ، فيسلك فى مكافأة فضله سبيلاً سوياً ، وإن قصرت
الأعمال فما قصرت النية . والسلام .

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عنايته) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإدلال) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الود) .

ومن ذلك جواب على هدية
بعث بها سلطان المغرب أمير المسلمين^(١) أبو عنان
رحمة الله عليه ولم يصل كتاب مع الهدية

المقام الذى يهبُ العِيَادَ عِراباً ، ويرسلها أَسْرَاباً ، ويصل للأمداد أسباباً ،
ويقدح العزم شهاباً^(٢) . مقام محل أخينا الذى نؤمل منه ظهيراً مدافعاً ، ونصيراً
لأعلام الملة رافعاً ، ونَسْتَوْكف من غمام عزماته السامية القتام رياءً نافعاً^(٣)
السلطان الكذا ، أبقاءه الله ، وهباته^(٤) جزيلة ، ومقاصده فى الإسلام جميلة ،
ومظاهرتة بكل أمل كفيلة . معظّم قدره الكبير ، المثنى على فضله الشهير ،
ومجده الأثير ، الأمير عبد الله فلان . سلام كريم يجعله البدر تاجاً^(٥) فوق جبينه ،
ويحمل منه الفخر الصادق لوأب بيمينه ، يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله فاتح أبواب السعادة لمن تمسك بسبب طاعته ، وموضح
أسباب نجاح^(٥) الإدارة ونيل الإرادة لمن أفردّه بمقام رغبته وضراعتة ، جاعل
التواصل فى ذاته علاجاً يكفل بصلاح الأحوال من حينه وساعته . والصلاة على
سيدنا ومولانا محمد رسولہ ، ضامن حسن المال ، وعُقبى الظَّفَر بالآمال ، لمن
تعلق بستته وجماعته ، وعقد بجاهه المكين أكف طاعته^(٦) ، صاحب الحَوْض
المورود ، واللّواء المعقود ، المُجِير^(٧) بوسيلته ، المنقذ بشفاعته . والرضا عن
آله وأصحابه ، وأحبابه وأحزابه ، الذين أنفُوا لدينه الحق من إهماله وإضاعته

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أمير المؤمنين) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسباباً) .

(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) فى الملكية (وهته) .

(٥) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٦) وردت فى الإسكوريال (طاعته) ، والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النقيب) .

وَكَلَّفُوا بِإِظْهَارِهِ وَإِعْلَانِهِ ، وَإِشْهَارِهِ وَإِذَاعَتِهِ . والدعاء لمقام أخوتكم السلطانية ،
 وصل الله ترفيع شأنه ، وحرس جوانب سلطانه ، ووالى الدفاع عن أوطانه ،
 بالسَّعد الذى يخدمه خطى الكتائب بسنانه ، وخط الكتب ببراعته ، والصنع
 الذى يقوم الوجود لأنبيائه ، المبشرة بحق إشاعته ، [ويعمل فيها ^(١)] البيان
 جهده استطاعته . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم سعداً ، تسطر فى نصر الإسلام
 جملة ، ونصراً يدنو به [للدين الحنيف أمله ، وعزاً يبدو به ^(٢)] سروره
 وجذله . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وحجكم ^(٣) فى ذات الله لاجية ^(٤) سُبيله ،
 وأخوتكم يحضها التشيع ضافية حلَّه . وإلى هذا وصل الله لكم سوابغ الآلاء ،
 وحرس ما لأخوتكم الفارسية من العلاء ، فمن المعلوم عامة وشرعاً ، والذائع الذى
 ليس له نُكْرًا ولا بَدْءًا ، أن الهدية ، وإن كان غيثها رذاذاً ، وحسانها أفذاذاً ،
 يستخلص ضمائر المودات ، وتزكى نقود الأذمة المعتقدات . فكيف إذا كانت
 جياداً عتاقاً ، وجُرداً تستبق الصريخ استباقاً ، ومداكى ملأ الشُّموس منها أحداقاً ،
 وأتلع العُجب لها أعناقاً . وأنفأ وردت علينا هديتكم التى غنيت بدالة ^(٥) الحُسن
 عن خطاب يلتمس لها أدناً ، وكتاب يزيدها حُسناً من كل جواد يردُّ من ماء
 الشبية رى جواد ، [ويقضم حباً ^(٦)] كل فؤاد ، تود الأهله أن تكون لها
 سروجاً ، وخضراء ^(٧) السَّما أن تصير لرحها مروجاً ، وترتاح إلى الجهاد فى
 سبيل الله أعطافها ، وتجنح إلى الاختِصاب بمهج أسود الغاب أطرافها ، وتكلف
 بالاتصال بسورة الأنفال أعرافها ، فيالها من كِثْبَةٍ ، أغنت عن الكتاب ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويحمل منها) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٣) فى الملكية (وودكم) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (لايحة) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بذات) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويقبض حجب) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (وخضر) ، والتصويب من الملكية .

وطليعة أنسٍ من الإغتاب بعد العتاب ، كأن خُضِرَها عُيَسِن في ماء الشَّباب ،
 وشهَّبها تحلِّين في بيض الدِّمَا بساطع الجلباب ، وحُمِرَها استَرْفَقن صُنْع الأنامل
 المُطَرِّقة بالعناب ، فبرز إلى مُشاهدتها النظَّار ، وسارت بوفادتها الأخبار ، وسرَّ
 المسلمون لها ، وسيء الكفار . وكيف لا تُنظَّم بها للبُشرى عُقود ، وتُحسب أكُفُ
 الأنامل بِيسرٍ منقود^(١) ، وقد أخبر الصادق عليه السلام ، ان الخَيْر في نواصيها
 معقود . ولما مثَّلت لدينا تلك الجياد ، والروض الذي صدق فيه الارتياح^(٢) رأى^(٣)
 أن يهتزَّ في أدواحه ، الأسَل الميَّاد ، وعيَّنَّا لها في الحين المواقع التي عيَّنَها الاجتهاد ،
 ورضيها الجهاد ، وارتضاها الارتباط في سبيل الله والاستعداد . قابِلنا الهدية
 بالثناء والاستحسان ، وقلنا لا يُنكر الوابل على الغمام الهتان ، والفضل على
 مثابة من مثابات العدل^(٤) والإحسان . وقد كان ذاع الخبر الذي ترون فوق
 أعطاف الإسلام منه الحبر ، بما صَرَفَ الله إليه عزمكم من تجديد ما دَرَس ،
 وإحياء ما أَلْقَح سلفكم واغترس من الأساطيل السابحة ، والتجارة الرابعة ،
 والأعمال الباقية الصالحة ، وإن الإنشا قد استدعى إليه الخلق والعزم ، تتبَلَّج
 منه الصباح الطلق ، وشيم منه البرق ، وذهب الفرق ، فلا تسلاوا عن موقع هذه
 الأنبا ، من صديق يعدها فضلاً من الله ومَنَّا ، وعدو يسئ به ظناً ، فاكل منها
 شرب معلوم . وحظَّ مقسوم ، جعله الله قصداً بحجّه محتوم ، وغرضه بمناصحة
 الله والمسلمين مرسوم . وحضر بين يدينا مُؤدِّي الهدية السنية خديمكم فلان ،
 وألقى من مقاصدكم الجميلة ، وأعراقكم الأصيلة ، ومواعيدكم الكفيلة ، ما
 أغرَبنا به لِسَانَ الشكر بأقسامه ، وأقبلنا مرآة البرِّ مشرق قسامه ، وحملناه من

(١) وردت في الإسكوريال (معقود) .

(٢) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) في الملكية (وراق) .

(٤) وردت في الإسكوريال (الفضل) ، والتصويب من الملكية .

تقرير مثله ، مايفى إن شاء الله بإتمامه ، وإن تشوفتم إلى أخبار النَّصْرَى ^(١) ، فلم يزد بعد ما تقدم به إعلامكم إلا أن طاعيتهم رأى أن يعاجل من أخوته من له ببلاد المسلمين اتصال ، وفي الاستنصار بهم خصال . وليكون منه لما سوى ذلك ممن يستدرك أمره بعد الوقت إغفال ، فطوى المراحل ونازل أخاه المبشر ^(٢) ، صاحب قنطرة السيف بمدينة شُقُورَة ^(٣) ، وأقام عليه ثمانية أيام بين قتال لم يُجَد ^(٤) مع مَنَعَة المدينة معنى ومرام صلح أبى الله أن يتسنى ، واتصل به غياث من خلف وراء ظهره في أرضه ^(٥) . وهلك بعضه والحمد لله ببعضه ، فارتحل عن منزله الذى نزله ، ورجع أدراجه ، ولم يبلغ أمله . هذا ما عندنا في شأنه ، وما يتزید نعرفكم به لمكانه ، ونحن على ما يجب لأخوتكم من التعظيم والإجلال ، والثناء بما لكم من الشيم الكريمة والخلال . وهو سبحانه يبلغ الجميع من مَرْضاته غاية الآمال . فهو ولى الإجابة ، وملجأ السؤال . والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

وأهدى أيضاً جمالاً مختارة بعث بها إلى

الأندلس ، فصدرت عن ذلك مراجعة من

إملاءى بما نصه

المقام الذى من هباته الإبل الهادِرة ، والبُذُن المسارعة ، إلى داعى [الله
المبادرة] ^(٦) قمنا فيه المناقب الفاخرة ، ومكارمه فى ضمنها الدنيا والآخرة .

(١) يقصد بها هنا ملك قشتالة النصارى أو المملكة النصرانية .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحشيرة) .

(٣) هى بلدة أندلسية من بلاد الشرق الإيبانى تقع على مقربة من مدينة البسيط . وبالإسبانية :

Segura de Sierra

(٤) وردت فى الإسكوريال (يوجد) ، والتصويب من الملكية .

(٥) وردت فى الإسكوريال (ظهره) ، والتصويب من الملكية .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، ومكانه يباض بالإسكوريال .

مقام محلّ أخينا الذى إن وهب احتفل ، وإن اعتمد فى الله كفى وكفله . فجلاله فى حلّ المكارم قد رَفَلَ ، وشهاب سعدة من بعد الشرون ما أَقْل . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله ، ومبراته فروض مؤدّة ، وسيوفه [هندية ، وعطاياه] ^(١) هُنَيْدَات ، ولا زال ينجز منه بالنصر على أعداء الله عُدَات ، ويصرخ دينه منه ، جنود مُجَنَّدَات . معظّم قدره ، وملتزم برّه ، المطنب فى حمده وشكره فلان . سلام كريم برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله ، مُطرّز صحائف الأعمال بالوسائل البرّة ، ومروّض رياض الآمال بسحائب النعم الثرة ، الذى وضع عدله فى الدنيا والآخرة قسطاً من الجزا ، فلا يضيع مثقال ذرّة ، [ولا أقل من مثقال ذرّة] ^(٢) معود هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة ، من يتعاهد بها بالإزفاد والإمداد فى القديم والحديث ، المرة بعد المرة ، ويعاملها برعى المصلحة ودرء المضرة ، فتغورها تبتسم عن الثغور المفترة ، وتحيل عليها ريح الأنبا السارة ^(٣) راح المسرة . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، مؤمل الأنفس العائذة ، وملجأ الأكفّ المضطرة ، الذى بالتواصل فى ذاته نستجلى سعادة الحال والمال رائقة الغرة ، ونقتبل وجوه العناية الإلهية متألفة الأسيرة . والرضا عن آله وأصحابه أولى السجايا الكريمة ، والفضائل العميمة ، والنفوس الحرة ، والدعاء لمقامكم الأسمى بالسعادة الدائمة المستمرة ، والنصر الذى يمضى نصله فى عدو الله أيدى القدرة ، ولا زال عزّ ملككم يوالى سبيل الجهاد والرّباط والحجّ والعمرّة ، ويوضح خطيه فى خط الدفاع عن الدين أشكال النصر ، ويقتضى لغريم الإسلام دين ما وعد الله من الكره . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من حظوظ السعد أوفرها ، وأقطعكم من جوانب الصنع أينعها وأنضرها ، وتولى صنائعكم الجميلة ، بشكرها . من حمراء غرناطة

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

حرسها الله ، والثناء عليكم يَسْتَعْرِقُ أوقات الزمان آصالها وبُكرها ، وفضائلكم هي الشمس ضلّ من أنكرها . وإلى هذا وصل الله علاءكم ، ونشر بالنصر على أعداء الله لوائكم ، فإننا نعرف جناب أخوتكم السلطانية ، بعد تقرير الشكر ، وتمهيد قواعد البر ، بورود الهدية الغربية ، السّافرة عن يمين النقيبة ، وفَضْل الضريبة ، هدية الجمال ، اللّابسة أثواب الجَمال ، والفِلاص التي أصبحت بحمل أزواد أهل الجهاد ذات اختصاص . فلقد طلع منها على هذه البلاد المباركة ، ركب له في العناية والأصالة مجال ، رَحَّب من كل نجيب ، ماثل في المرأى العجيب ، وكرماً إلى الأنساب ^(١) العربية ذات انما كأنها أهلة حَلَك ، أو قسى من دارّة الفلك ، سفارين برّ ، وخزائين قانع ومُعْتَر ، وكيف لا يسبح لها باليُمن طيّر ، ويكون لها في مجال السعادة سَيْر ، والله عزّ وجل يقول لكم فيها خير ، أذكرت أهل هذه البلاد أيام الحجّ والثَّجّ ، وصيّرت طريق الجهاد كطريق الحج . تزهق ^(٢) فتجيبها الصواهل ، وتعرض عن الما ، فتشتاق إليها المناهل . ووصل مؤديها فلان ، وهو الخبير بجزئياتها ، والحافظ لمعانى آياتها ، ومن أنس بجوارها طبعه ، وطرب بجديها سمعه ، واتسع لمعرفة أحوالها دَرْعُه . وكان أمله يقدم بها على حضرتنا إبلاغاً في المبرّة ، وتضمُّنا للمسرة ، إلا أننا رأينا أن نعفيها من السفر ترفيهاً ، ونرفع عنها من توغّر الطريق ، ما يتوقع أن يؤثر فيها ، ونتركها بفحص مالقة حرسها الله ، في مَسْرَح يخصبها عُشبه ^(٣) ، ويرويها شُرْبِه ، إلى أن نشاهدها بالعيان ، ونعطى حروفها من الخطابة عليها ما يقتضيه علم البيان . ونحن نقابل مقاصدكم الفاضلة بالثناء والاستحسان ، ونشكر ما لأخوتكم الفاضلة من المزايا البرة والسجايا الحسان . والله تعالى يصل لكم سعداً وثيق البيان ، ويعلى بمظاهرتكم

(١) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ترغو) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ريمه) .

إيانا شعار الأيمان . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس الطاهر مجدكم ، ويضاعف نعمه عندكم بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في كذا من التاريخ عرفنا الله خيرته وبركته .

ومن ذلك ما كتبت به عن السلطان أبي الحجاج
رحمة الله عليه جواباً عن هدية بعثها السلطان
أبو عنان
مشملة على خيل وعدة من المهندات والذهب
العين

المقام الذى من سجاياه الشيم الغلا ، ومن عطاياه الجُرد العتاق تختال في
الحُلا ، وتحاسن عقبان الجو وغزلان الفلا . والأحوال^(١) التى جلا ، روض الجود
من أزهار صَفْرَائِهَا للوجود أبهى مُجْتَلَا . مقام محل أخينا الذى قسم زمانه
بين رِفْد مقسوم ، ووعد بالصدق موسوم ، وفضل في صحف المجد مرسوم .
السلطان الكذا أبي عنان [ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي يوسف
يعقوب بن عبد الحق]^(٢) أبقاء الله على الهمم ، متوالى الجواد والكرم ، مُجْمَعٌ
يمينه من سيفها المرهوب ، وسببها الموهوب ، بين الرى والقصرم ، وتأمّن النفوس
في ظلّ عدله الممدود ، وفضله المقصود أمن حمام المحرم ، ولا زال ثناؤه في
الخافقين كنصر خافق العلم ، وأخبار عزه الماثور ، ومجده المشهور هجير اللسان
والقلم . [وأنوار سعده ماحية للظلم]^(٣) وعزمات سيوفه ترتقب في الفضا أمد
السلم قبض السلم . معظم أخوته الرفيعة ، المشئى على ماله من كرم الصنّعة ،
المستند من التشيع إليه ، [والاعتداد به]^(٤) إلى المعقل المنّية . [الأمير عبد الله

(١) هكذا في الملكية ، وفي الإسكوريال (الأموال) .

(٢) ما بين الخاصرتين وأرد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وأرد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الاعتقاد عليه) .

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ^(١) سلام كريم ، طيب عميم ، يخلص مقامكم الأسمى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكارم وقفا ، ونهج منه بازائها سبيلا لا يلتبس ولا يخفى ، وعقد بينه وبين المزيد سبيلاً وحلماً ، وجعل المودة في ذاته مما يقرب إليه زُلًى ، مريح تجارة من قصد وجهه بعمله ، ومباغته من القبول أقصى أمله ، حتى يرى الشيء ضعفاً ، والواحد ألفاً ، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة ، بمن يوسعها فضلاً وعطفاً ، ويدنى ثمار الآمال يتمتع بها اجتنأً وقطفاً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي قد من الرحمة على الأمة سَجَفاً ، وملاً قلوبها تعطفاً وتقارباً ولطفاً ، القايل من أيقن بالخلف ، جاد بالعطية ، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية ، وعداً لا يجد خلفاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين كانوا من بعده للإسلام كهفاً ، وعلى أهله في الهواجر ظلاً ملتفاً ، غيوث النداء كلما ساموا سباحاً ، وليوث العدا كلما شهدوا زحفاً . والدعاء لقيام أخوتكم الأسمى ، بالنصر الذي يكف من عدوان الكفر كفاً ، والعز الذي يغض ^(٢) من الشرك ناظراً ويرغم أنفاً ، والمجد الذي لا يغادر كتابه في المفاخر التي ترك الأول منها للأخر حرفاً ، والعزم الذي يفيد جوارح الإسلام قوة لا تعرف بعدها ضعفاً . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً خافقاً علمه . وعزاً ^(٣) يتبارى في ميدان الاستقلال بحسب وظائف الأعمال سيفه وقلمه ، وفخراً ^(٤) تجلى به عن أفق

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، ومكانه في الملكية (فلان) .

(٢) في الإسكوريال (يقصر) ، والتصويب من الملكية ، وهو أنسب للسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وفخراً) .

(٤) وردت في الإسكوريال (وعزاً) ، والتصويب من الملكية .

الدين الحنيف ظلمه ، ويشنى بعلاجه الناجع^(١) الله ، وشكراً عن هذه البلاد
جودكم الذى وكفت ديمه ، وأبقى عليها وجودكم الذى راقى شيمه . من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ، والتشيع فيكم لا يعرف النسخ محكمه ، ولا يقبل
الالتباس معلمه . وإلى هذا شكر الله عن الإسلام صنائع مقامكم ، وعرفكم عوارف
العز فى غرر أيامكم . فإننا وصلنا كتابكم الكريم الوفاة ، العظيم الإفادة ، مصحباً
بالهدية التى صاحبها الكمال ، وصدقت فى احتفائها واحتفالها الآمال ، واشتملت على
نكايتى العدو ، وهما الخيل والمال ، فكأنه كان لواء نصر خفق أمام كتيبة ،
ونسيم زهر عبق عن روضة عجيبة . ويالها من هدية اتخذ الناس يومها عيداً ،
وموسماً سعيداً ، وعزماً رآه العدو قريباً ، وكان يحسبه بعيداً ، نتيجة الأهمية
التي تقف الأهمم دون مداها ، وتستقرى الغيوث مساقط نداها ، والشيم التى ترى
العواذل فى الوجود من عداها . فلو خير المجد لما بعد مداها . وقفنا من مضمنه
على لجة جود ، للسان فيها سبوح طويل ، ومحجة فضل للأقلام فيها نصر من
كل طرف وسم بالصباح منه جبين ، ناشئ فى الحلية وهو فى خصام الحرب
مبين ، من أشهب للشهب فارح ، ولإحراز الغايات مسارع ، حاسر فى شكل دارع ،
كأنما خلعت عليه البزة البيض^(٢) صدورها ، وقلدته الكواكب شذورها ، وأشقر
عسجدي اللباس ، شعلة من شعل اللباس ، كأن أذنه ورقة الآس ، وغرته
الحبابة الطافية فى الكاس . وأحمر وردى الأديم ، حازر فى حلبة الحسن مزية
التقديم ، كأنما صنع من العندم ، أو صبغ بالرحيق المغدّم ، يعسد الأسد الورد
فى لونه ، ويدعى الريح أنها مادة كونه . وكُميت ما فى خلقه من أمت ، كأنه
قطعة من الغسق خالطت دهمتها حمرة الشفق . وقرطاسى كأنه درة سمع
استحسان الغرر فجاء وكله غرة ، كأنه أفق الفجر ، وسرجه هلاله ، وخالص الدر

(١) وردت فى الإسكوريال (القاضى) ، والتصويب من الملكية .

(٢) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

وَصَدَفُهُ جَلَالَهُ . وَأَدَهْمَ زَنْجَى الْبَزَّةِ ، مُرْتَدَّ بِرْدَاءِ الْبَأْوِ وَالْعِزَّةِ ، كَأَنَّ الْعَيُونَ
النُّجُلَ نَفَضَتْ عَلَيْهَا سَوَادَهَا ، وَالْغُصُونَ ^(١) الْمُلْدَ عَلِمَتْهُ انْتِثَاءُهَا وَانْقِيَادُهَا .
وَكَالْصَّامِتِ نَاطِقٍ مُتَصِفٍ بِزَيْنَةِ ^(٢) مَعْشُوقٍ وَلَوْنِ عَاشِقٍ مَرِيئِي الْأُمْنَمَى وَالضَّرْبِ ،
عُدَّةً فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ ، قَامَتِ قِيَامَةُ الْعَدُوِّ لَطُلُوعِ شَمْسِهِ مِنَ الْغَرْبِ ، أَشْبَهَ شَمْسَ
الْعَالَمِ فِي اسْتِدَارَةِ قُرْصِهِ ، وَانْتِقَالَ شَخْصِهِ ، وَاعْتِدَالَ طَبْعِهِ ، وَعُمُومِ نَفْعِهِ ،
تَعَشَوْ ^(٣) غَيُونَ الْأَمَانِي إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ، وَتَدَوَّرَ فَرَاشُ الْمَطَامِعِ حَوْلَ أَنْوَارِهِ ، وَتَحَوَّم ^(٤)
نُحْلُ الْأَمَالِ عَلَى نَوَارِهِ ، وَكَالْصَّقِيلِ الْفِرَنْدِ ، مَنْسُوبٍ إِلَى الْهِنْدِ ، يَخْطُبُ مِنَ
الْكَلَامِ بِمُقْتَضَبِهِ ، وَيَضْحَكُ فِي الرُّوعِ عِنْدَ غَضَبِهِ ، وَمِنَ الْآلَاتِ كُلِّ مِثَالَةٍ فِي
الْمُرَايِ الْجَمِيلِ ^(٥) [بَعْضُ مَغْمَزِهَا إِلَى السَّمْعِيلِ] ^(٦) فَمَنْ لِلْسَّانِ الشُّكْرَانِ ^(٧)
أَنْ يَوْفَى حَقًّا أَوْ يَهْتَدِيَ فِي هَذِهِ الْبِيدَاءِ طَرَقًا . إِنَّمَا نَكِيلُ الشُّكْرِ لِمَنْ سَمَحَ بِذَلِكَ
الْمُدَدِ فِي سَبِيلِهِ ، وَأَمَلَمَ فِيهِ مُوهِبَةٌ قَبُولُهُ . فَمَا هِيَ فِي التَّحْقِيقِ إِلَّا كِتَابٌ لِلْعَدُوِّ
جَهَنَّمُ ثَمَرُهَا ، وَمَوَاعِدُ نَصْرِ أَنْجَزَ نَمُوها ، وَمَنَاقِبُ أَسْلَافٍ جَدَّدَتْ نَمُوها وَأَحْرَزَتْ نَمُوها .
وَحَضَرَ لَدَيْنَا رَسُولُكُمْ فَلَانَ فَأَلْقَى مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي صَدَّقَهُ الْفِعْلُ ، وَاللَّفْظُ ^(٨) الَّذِي
شَرَحَهُ الْمَجْدُ وَالْفَضْلُ ، وَمَا أَوْثَقَ أَسْبَابِ الْأَمَالِ وَوَصَلَهَا ، وَأَحْرَزَهَا وَحَصَلَهَا ،
وَقَرَّرَ اعْتِقَادَ الْوُدِّ الْجَمِيلِ وَأَصْلَهَا . وَقَدْ رَأَيْتُمْ بِالِاسْتِقْرَارِ الصَّرِيحِ ، وَالنَّظَرَ الصَّحِيحِ ،
مَا أَثْمَرَ اعْتِنَاؤَكُمْ بِهَذَا الْقَطْرِ الْمُتَمَسِّكِ بِأَسْبَابِكُمْ ، الْمُعْتَمِدِ عَلَى جَنَابِكُمْ ، مِنْ صِلَةٍ
نَصْرِكُمْ ، وَإِعْزَازِ أَمْرِكُمْ ، وَاتِّسَاقِ سَعْدِكُمْ ، وَإِسْعَافِ قَصْدِكُمْ ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الْفَضْنُ) ، وَالتَّصْوِيبِ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (بَرَقَةُ) ، وَالتَّصْوِيبِ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (تَعْشَقُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (وَتَحْوَلُ) .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْعَجِيبُ) .

(٦) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَمَكَانُهَا بَيَاضُ الْإِسْكُورِيَالِ .

(٧) وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَشَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٨) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (وَالْفَضْلُ) .

أَجْرَى الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْكُمْ ، وَأَلْهَمَكُمْ مَا يَحْفَظُ نِعْمَهُ الْجَزِيلَةَ لَدَيْكُمْ ، وَيُضْفِي سِتْرَ عَصْمَتِهِ عَلَيْكُمْ . وَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْكِتَابَ ، فَلَوْ أَنَّ حُمْرَةَ مِثْلَهُ مَعْتَادَةٌ حَسْبَهَا اقْتِضَاءَهُ عَرَفَ وَعَادَةً ، لَقَلْنَا خَجَلٌ مِنْ تَقْصِيرِهِ ، فَعَلَّتْهُ حُمْرَةُ الْخَجَلِ لَمَّا ضَاقَ عَنْ مَرَادِهِ ذَرْعُ الْمَرْوِيِّ وَالْمُرْتَجِلِ ، لَآكُنْ عَلَى إِغْضَا ذَلِكَ الْمَقَامِ الْمَعْتَمِدِ ، فَهُوَ الَّذِي يُعَدُّ مِنْهُ فِي الْفَضْلِ الْأَمْدُ ^(١) . وَاللَّهُ يَصِلُ سَعْدُكُمْ [وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ] ^(٢) وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكَتَبْتُ أَيْضاً

الْمَقَامَ الَّذِي بَرَّ وَوَقَّى ، وَكَفَلَ وَكَفَى ، وَخَلَصَ عَلَى كَدْرِ الزَّمَانِ وَصَفَا ، وَشَفَا الْأَمْرَ عَلَى شَفَا ، وَأَوْجِبَ مَا أَوْجِبَهُ الْمَجْدُ وَنَفَا ، وَسَجَّلَ عَقْدَ الرِّعَى وَالْوَفَا الْحَمِيدِ السَّعَى ، فَاسْتَقْلَ رَسْمَهُ وَاکْتَنَى ، وَسَكَنْتْ صَوْلَةُ عِزِّهِ رِيحَ الْكُفْرِ وَقَدْ كَانَ هَفَاً ، وَقَامَتْ عَلَى قَصْدِهِ الْجَمِيلِ الْأَدْلَةُ [الَّتِي تَسْعُدُ] ^(٣) بِهَا الْمَلَّةُ مِمَّا بَدَأَ عَمَّا خَفَا . مَقَامٌ مُحَلٌّ أَبِينَا الَّذِي إِلَى ظِلِّ فَضْلِهِ الْإِسْتِنَادُ ، وَبِحِجَّةِ نَصْرِهِ يَرْتَفِعُ الْعِندَادُ ، وَعَلَى مَجْدِهِ الْإِعْتِمَادُ ، وَتَشْيِيعُنَا إِلَى أَبَوْتِهِ يَشْهَدُ بِهِ الْحَيُّ وَالْجَمَادُ ، أَبْقَاهُ اللَّهُ يَخْلِفُ أَوْلِيَاءَهُ فِي أَبْنَائِهِ ^(٤) أَحْسَنَ الْخَلْفِ ، وَيَتَحَلَّى ^(٥) مِنْ حَسَنِ الْعَهْدِ بِأَكْرَمِ مَا يُوَثِّرُ عَمَنْ شُهِرَ مِنَ السَّلَفِ ، وَيَتَحَمَّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثَقِيلَ ^(٦) الْمَوْنِ وَبَاهِظَ الْكُلْفِ ، وَحَرَسَ بَدْرَ عُلاهِ مِنَ السَّرَارِ وَالْكُلْفِ . مَعْظَمُ مَقَامِهِ ، وَمِلْتَزَمُ إِجْلَالِهِ وَإِعْظَامِهِ ، فَلَانِ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) وإرادة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) وإرادة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة وإرادة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (أبنائهم) .

(٥) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (ويتملق) ، وهو تحريف .

(٦) وإرادة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا تُحْصَى آيَاتُهُ ، وَلَا تُعَدُّ صُنَايِعُهُ ، وَلَا تَفْتَقِرُ إِلَى
 الْمِثْلِ الْمَحْدُودَةِ ^(١) وَالرَّسُومِ الْمُتَلَوَّةِ بِبَدَائِعِهِ ، قِيُومِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
 فَلَا يَنَازِيهِ ضِدٌّ ، وَلَا يَنَازِعُهُ ، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، فَمَا مِنْ ضَمِيرٍ إِلَّا
 وَهُوَ مُجْتَلِيهِ ^(٢) وَلَا نِدَا ^(٣) إِلَّا وَهُوَ سَامِعُهُ ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَأَسْنَدَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ ،
 أُخْصِيَتْ بِالْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ مَطَامِعُهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى فَضْلِهِ ، عَلَتْ مَرَاتِبُهُ ،
 وَأَخْصِيَتْ مَرَابِعُهُ . وَالشُّكْرُ لِنِعْمَةِ ^(٤) الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرَةِ ، وَالزَّيْدُ مِنْهَا مُقْتَرَنٌ بِالشُّكْرِ
 مُتَتَابِعُهُ . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، نُورُ الْكَوْنِ الَّذِي بَهَّرَ سَاطِعُهُ ،
 وَبِرَهَانِ النَّبَوَةِ الَّذِي فَصَحَ الْمَعَانِدِينَ قَاطِعُهُ ، الَّذِي أَنْارَتْ بِمُصْبَاحِ آيَاتِهِ الْبَيْنَاتِ ،
 مِرَاقِبَ الْهُدَى وَمِطَالِعَهُ ، وَغَمَامَ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَغَاثَ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ هَامِئُهُ . فَإِنْ
 تَوَقَّعَ الْخُطْبُ فَجَاهَهُ دَافِعُهُ ، أَوْ عَظَّمَ الذَّنْبَ ، فَهُوَ فِي الْقِيَامَةِ ^(٥) شَافِعُهُ ، وَأَتَمُّوْجِ
 الْكَمَالِ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَكَارِمِ أَخْلَاقُهُ وَطَبَائِعُهُ ، وَعُنْوَانُ أَمْرِ اللَّهِ ، يَبَايِعُ اللَّهَ
 مِنْ يَبَايِعِهِ ، وَيَشَايِعُ الْحَقَّ الْمُبِينِ مِنْ يَشَائِعِهِ . وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ
 أَقِيمَتْ بِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ شَعَائِرُهُ وَشَرَائِعُهُ ، وَحُفِظَتْ رُسُومُ دِينِهِ فَرُوعِيَتْ مُصَالِحُهُ ،
 وَسُدَّتْ ذُرَائِعُهُ ، فَضَفَّتْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى مِدَارِعُهُ ، وَأَثَرَتْ اسْتِقَامَةُ الْأَحْوَالِ وَنَجَاحُ
 الْأَعْمَالِ مِزَارِعُهُ ، وَشَقِيَ بِهِمْ عَاصِيهِ وَسَعَدَ ^(٦) طَائِعُهُ ، وَتَأَرَّجَ عَنْ رِيَاضِ الْحَقِّ
 نَسِيمُ ثَنَائِهِمُ الْجَمِيلِ فَمِنْ ذَايِعِهِ ، وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِ أَيْبُوتِكُمْ بِالصَّنْعِ الْإِلَهِيِّ ، الَّذِي
 يَشْهَدُ بِالْعَنَاءِ الْأَزَلِيِّ رَاقِبُهُ وَرَايِعُهُ ، وَالنَّصْرَ الَّذِي يَتَجَلَّى [فِي مَنْصَبَاتِ الْمُنَازِرِ
 فَتَكَاتِهِ بِالْكَفْرِ وَوَقَائِعِهِ . وَالسَّعْدَ الَّذِي يَتَجَلَّى] ^(٧) تَجَلَّى الصَّبَاحَ الطَّلُوقَ ، فَلَا

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (الْمَحْدُودَةِ) ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْمَحْدُودَةِ) ، وَالتَّصْوِيبُ أَنْسَبُ لِلْمِثَالِ .

(٢) وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَمَكَانُهَا بِيَاضُ بِالْإِسْكَوْرِيَالِ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (دَاءٌ) ، وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (عَلَى نِعْمَتِهِ) .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (يَوْمٌ) ، وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (وَيَسْعَدُ) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ ، وَسَاقِطٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ .

يخفى عن أعين الخلق ناصعه ، والعز الذى لا تُناجزه الكتابيبُ المشتركة ولا تدافعه ، ولا زالت الأقدار^(١) الإلهية توافقه وتطاوله . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله أَسْنَى ما أثبت الخلفا الكفلا وكتبه ، وأوجب لكم من جزا الأئمة الأوفيا خيرا ما أَوْجَبَهُ ، وكافاً ملككم الذى تقلد مذهب أهل الحق وارتكبه ، وجدّد عادة الفضل ، ووصل سببه ، بما يكافى به من أخلص إليه النية فيما وهبه ، وعصّد الرعى الذى ورثه ، بالرعى الذى كسبه ، وولى وجهه شطر ما عند الله وقصّر عليه طلبه . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ونِعْمُ الله علينا ، ببركة أبوتكم منسحبةً ظلّالها ، وآلاؤه متوال نوالها ، نتعرف وجوه السعادة يروق جمالها ، وترجى بنيتكم سبل المصالح ، الذى يحمد مآلها ، ونستزيد من جميل نظركم ما تطاول به للنفوس آمالها ، وعندنا من الثناء على معاليكم^(٢) أعلام^(٣) عقدت فى قِنن الأقالم ، فحققت وظهرت ، وبضايح طيب خلقت بها هبوب الرياح فذاعت فى الآفاق واشتهرت ، ومن الوُدّ الأصيل أُصولُ تقررَت ، وحججٌ تخلصت من شوب الشُّبُهات وتحرّرت ، ومقاصد طافت بذكر ذلك المقام الأبوى واعتُمرت ، وضامير أثمرت من صاغيتها^(٤) المنقادة لداعى الكرم والحرية ما أثمرت . وإلى هذا وصل الله لنا ببقايكم ، فإننا نوُمِّلُ إغضاءكم حتى عن قُصور الألسنة من الثناء على أبوتكم المُحْسِنَةِ الْمُحْسِنَةِ ، فإن المدارك إذا بعدت غاياتها^(٥) ، عُدِرَ طلابُها ، والكمالات إذا نالت من آياتها ، رحم خطابها . ومن للعبارة أن تدرك شأو فضل تجاوز العادة بخرق حجّابها ، ويرفع عن طور الأمور المألوفة فتخطى حسابها . ونعرفكم بوصول كتابكم الكريم جواباً عما

(١) وردت فى الإسكوريال (الأقطار) ، والتصويب من الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (معاليه) ، والتصويب من الملكية .

(٣) واردة بالإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عناياتها) ، والأولى أرجح .

خاطبنا به أבותكم مع رسولنا إليكم كاتب سرنا [ووزير أمرنا] ^(١) الكذا الكذا [أبا عبد الله بن الخطيب] ^(٢) وصل الله عزته ^(٣) ، [ووالى رفعته] ^(٤) ، متضمناً من الهداية التى تنقاد النفوس بزمامها وتجبرها على الرضا بالمقادير وأحكامها ، والحفظ وأقسامها ، والآجال وبلوغ أيامها ، معزياً عن فقيدنا العزيز فقدّه ، مخمداً من الحزن الذى اشتعل وقْدُه [داعياً إلى الصبر الذى ضمن كالى الأجر نقده] ^(٥) . واستقل بين يدي ذاكم الخلق الجميل عقْدُه ، مقررأ فى المساهمة بما يليق بمثلكم من يحمله عليها الدين الوثيق ، والحسب العريق ، والوفا الذى صَحَّ ^(٦) منه الطريق ، مهنياً بما سنّاه الله بنيتكم من وراثة المُلْك الذى تأمىلكم مدار أمره ، وقبّلكم فطنة نصره ، ومولاتكم أنفُس دُخْرُه . فاجتنبنا من ضروب هذه الفضال ^(٧) الحسّية والمعنوية ضرباً مشوراً ، واجتلبنا من طُرُس ذلك الخطاب ، لواء النّصر منشوراً ، وصدّعنا به فى الحفل اعتزازاً به وظهوراً . وقدّخنا منه فى ظلام الخطبِ نوراً ، وشرحنا به للمسلمين صدوراً ، وأطلعنا من أنبيائه ، شمساً وبدوراً ، وأضحكنا بمسرتّه من هذه الثغور القاصية ثغوراً ، ووقف رسولنا بين تقرير بصور ^(٨) لمجدكم وتمهيد ، وتفسير لسور فضلكم وتجويد ، وتقسيم ^(٩) لضروب محاسنكم وتعيد ، حتى ظننا النجوم

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية مكانها (فلان) .

(٣) فى الملكية (سعادته) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية ما يأتى (وحفظ ولاءه المتوارث ووراثته) .

(٥) ما بين الخاصرتين واردة فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وضح) .

(٧) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتقصير) ، وهو تحريف .

تَنْظُمُ عَقُوداً وَشُدُوراً ، وَالرِّيحَ تَحْمِلُ مِسْكَاً مَنْشُوراً ، وَرِقَاقَ الْهِنْدِ تَحْدُوا^(١)
 قِطَاراً مَسْطُوراً ، [وَرَوْضَةَ الْحَسَنِ تُحْيِي بِالنَّفُوسِ اللَّطِيفَةِ دَوْحاً مَمْطُوراً]^(٢)
 وَاسْتَصْحَبَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي يَقِيمُ الْأَوْدَ ، وَيُوضِّحُ^(٣) الْمُسْتَنْدَ ، وَالْهَدَنَةَ الَّتِي حَازَتْ
 مِنْ مِيدَانِ الْفَضْلِ الْأَمْدَ [وَأَوْصَلَ مِنَ الْمَوَاعِدِ]^(٤) تَتَحَمَّلُ الْمُونُ الْعَرِيصَةَ ،
 وَاجْتِنَاءَ الْأَمَالِ الْحَرِيصَةَ ، مَا نَقَلْتَهُ الدَّوَابُ [مِنْ] الْأَسْبَابِ^(٥) ، وَوَضَحْتَ
 مِنَ الثَّقَةِ بِإِنْجَازِهِ الْغُرُورَ وَالشَّيَاتِ ، وَمَا لَا يَنْكُرُ عَلَى تِلْكَ الشَّيْمِ ، وَلَا يَسْتَغْرِبُ
 فِي مَوَاقِعِ تِلْكَ الدَّيْمِ ، فَالْعَمَائِمِ شَأْنُهَا أَنْ تَهْمِيَ هِبَاتُهَا ، وَالشَّمْسُ عَادَتُهَا أَنْ
 تَعْمَّ إِفَادَتُهَا . فَقَلْنَا الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِهَذِهِ الْأَبُوةِ ، وَذَخَّرَ لَنَا زَمَانَهَا ، وَعَظَفَ
 عَلَيْنَا هَذِهِ السَّرْحَةَ الْكَرِيمَةَ ، نَسْتَظِلُّ ظِلَالَهَا ، وَنَسْتَجِيعُ أَفْئَانَهَا ، وَشَرَحَ لَنَا هَذِهِ
 الْمَثَابَةَ الَّتِي رُفِعَ شَأْنُهَا ، وَلَمْ نَكِدْ نُشَابِهَ شَطَ هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي عَبْرَهُ ، وَنَسْتَوْفِي
 شَرْحَ مَا خَبِرَهُ إِلَّا وَتَلَا حَقَّتْ مَرَاقِبُ الطُّعْمَةِ ، وَبَوَاكِرُ مَا يَعْمُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النُّعْمَةِ ،
 فَانْتَجَعَ الْمُتَقَدِّمُ وَالتَّالِي ، مَطْلُوبَ الْقَبُولِ ، وَأَفْصَحَ لِسَانَ الْحَالِ وَلِسَانَ الْمَقَالِ
 بِالنَّسَبِ^(٦) الْمَوْصُولَ ، وَزَادَتْ [وَالْحَمْدُ لِلَّهِ]^(٧) فَنُونَ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ ، وَصَحَّ
 عَنْ ابْنِ الْخَطِيبِ حَمْلَ ذَلِكَ الْمَحْصُولِ ، وَإِنَّا وَإِنْ عَجَزْنَا عَنْ الْمَجَازَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ
 الْحَقَائِقُ مِنَ الْمَجَازَةِ ، لَنُشَمِّرَ فِي التَّشْيِيعِ ، وَالْحَبِ [عَنْ سَاعِدِ]^(٨) لَا يُطَاوِلُ
 بِحَوْلِ اللَّهِ وَلَا يَظْهَرُ ، وَيَجُولُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى جَوَادِ هُوَ الْأَسْبَقُ الْأَشْهَرُ ، وَنَعْلَمُ فِي
 مَجَالِ الشُّكْرِ بِسِيمَةِ لَا تُلْتَبَسُ وَلَا تُنْكَرُ ، وَنَلْتَزِمُ مِنَ الْأَبُوةِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ

(١) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ويصلح) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

(٥) وردت في الإسكوريال (الأسات) ، وفي الملكية (الأثبات) ، والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (السب) .

(٧) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٨) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

سبيلا ، تُحمد للأبناء وتُشكر ، حتى يعلمَ الله أننا [أبلينا عُذراً ^(١)] وقضينا
نذراً ، ورعيناً حقاً ، وسلكنا من البر طرقاً . وقد كنّا على حياة مولانا الوالد ،
نحمل أحاديث مجدكم بالإجازة العامّة ، ونعمل حُكْم التواتر بشروطه الثامنة ،
فالآن صحت لنا المناولة والسماع ، وصدّقت في الإفادة الأَطْماع ، ووقع على
القضية الإجماع . وكتبنا إليكم هذا الكتاب لنُودى فروض الشكر الذي وجب ،
ونثنى بالفضل الذي اجتلينا منه العَجَب . وما عسى أن يبلغ الثنا وإن اتسع نطاقه ،
وجاشت آفاقه ، وكان إلى داعي [الإجابة اشتياقه ^(٢)] في تلك الشِّم التي
راهنّت العُلما فبذلّها ، وتخطّت مراقي الرتب فاطرحتها ، إلى ما فوقها ونبلّها ،
والهمة التي سمت نحو الحظوظ الباقية وطمحت ، واحتقرت في الله ما به سمحت ،
وهامت بأنواره التي التُمحت لتهنها السعادة الكبرى ، والعناية التي
تجمع لها بين عزّ الدنيا والأخرى . وهذه الجزيرة الأندلسية لكم ولسلفكم
محراب مناجاة ، وسوق بضائع غير مُزجاة ، وميدان جهاد ، وخلوة ذكر واجتهاد ،
فلا تعدم منكم متعضا لحرمتها ، راعياً لأدّمتها ، مُصرخاً عند الشدائد لأُمّتها ،
ولو سُئِلت عدلى كثرة من عرّفت لأقرت بفضلكم واعترفت ، فإنكم شفيتم
منها داءً ، وسبقتموها بالجيل ابتداءً ، ولم تشغلّكم الشواغل عن تداركها ، حتى
فرّج سعدكم شدائدّها ، وكان إمدادكم طبيبها ، وإنجادكم عائدها ، فكيف
بعد تهديد ملككم الأمل . وإذا كرّم الماضي ، فأولى أن يكرّم المستقبل . نسل الله
أن ^(٣) يمتعكم وإيانا ببقائكم مادّة سعودها ، وحياة وجودها ^(٤) ، ويبقى بمناصحة

(١) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (الإجابة استبقاه) .

(٣) وردت في الإسكوريال (عن) . والتصويب من الملكية .

(٤) وردت في الإسكوريال (سعودها) مرة أخرى . والتصويب من الملكية .

الله فيها ذكركم ، ويعلى بجهاد عدوه قدركم . وهو سبحانه يَصِل بركم ، ويوزع شكركم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في كذا .

وكتبت هذا أيضاً في هذا الغرض جواباً

لصاحب البلاد القبلية عن خَيْلِ عِناق

بعث بها إلى الأندلس رحمة الله عليه

من الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر [أيده الله بنصره وأمه بمعونته ويسره] ^(١) إلى محل أخينا الذي وداؤنا له في ذات الله وثيق البُنيان ، وخلوصنا له كبير ^(٢) الأثر والعيان ، وتشيعنا لجانبه فسيح الميدان ، وثناؤنا على مكارمه ومكارم سلفه ، تركض في مجاله الرَّحْب جِياد البيان . [السلطان الكذا أبي عثمان ابن الأمير أبي زيد بن الأمير أبي زكريا ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيَّان] ^(٣) أبقاه الله ، وقواعد ملكه به راسخة راسية ، ومعالم فضله سامية عالية ، وعناية الله له كالية ، وفواضله لديه متواترة متوالية ، حتى ينسى بآثره الراضية ، مَنَاقِب أسلافه الماضية ، ويُخَلد له في سبيل الجهاد المفاخر الباقية ، والأعمال الصَّاعدة إلى محل القبول الراقية . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بَعْد حَمْدُ الله ولى الحمد وأهله ، والثناء عليه [بما أولاه] ^(٤) من مواهب فَضْله ، والاستِعانة به سبحانه على الأمر كُلِّه ، والضراعة إليه في صلة تيسيره وحَمْلِهِ . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد الكريم المصطفى ، خيرة أنبيائه وخاتم

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (كريم) .

(٣) هذا التعريف وارد في الإسكوريال ، ومكانه في الملكية (السلطان) الكذا بن السلطان الأمضى

الشهير الجلالة المضروب به المثل في المضاء والبسالة المبرور الموقر أبي يحيى يغمراسن بن زيَّان) .

(٤) وردت في الإسكوريال (بالولاه) ، والتصويب من الملكية .

رساله ، المفضل بعلمو مكانه ورُفَعَة محلّه ، ملجأ الخلق يوم لا ظل غير وارف^(١) ظلّه ، الذى هدانا إلى سلوك الحق ، واتباع سبيله ، وأمدنا بالمؤاخاة فى ذاته ابتغاء مَرْضَاتِهِ ومن أَجَلِهِ ، والرضا عن آله وصحابته وقرابته وأهله ، المشابزين على اتباع سُنَّتِهِ فى قوله وفعله . والدعاء لمقام أَخَوَتِكُمُ الْفُضْلَى بتأييده ، ونَصْرِهِ فى سبيل الله وَمَضَاءِ نَصْلِهِ ، واستيلائِهِ من ميدان السَّعْدِ على قَصَبِ خَصْلِهِ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم سعداً^(٢) باسمائِنا بِاسْمِنا ، وعزاً^(٣) متناسباً متناسقاً ، وصنعاً جميلاً رائعاً ، وتوفيقاً من لدنه موافقاً . من حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، حَرَسِهَا الله ، ولا زائد بفضل الله جل جلاله ، ثم بما عندنا من جميل الاعتقاد فى مقامكم الرَّفِيع ، الذى تَسَنَّتْ من فضل الله آماله ، وسَعِدَ حاله ومآله ، إِلَّا النِّعَمُ الْوَاقِفَةُ ، وَالصَّنَائِعُ الْمُتَرَادِفَةُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ ، فلا فضل إِلَّا فَضْلُهُ . وعندنا لِأَخَوَتِكُمُ الْكَرِيمَةِ تَشْيِيعٌ وَاضِحٌ مَذَاهِبُهُ ، وَوُدَادٌ كَرِيمٌ شَاهِدُهُ وَغَايِبُهُ ، وَإِخْلَاصٌ أَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الصَّفَا كَوَاكِبُهُ ، وَلَيْمَ لَا وَوُدَادُكُمْ ، قد أَحْكَمَ السَّلَفُ الْمُبَارَكُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]^(٤) مَعَاقِلَهُ ، وَأَوْضَحَ فى مَرْضَاةِ اللَّهِ مَوَارِدَهُ ، وَأَقَامَ عَلَى التَّعَاوُنِ فى سبيل الله سبحانه قَوَاعِدَهُ ، فهو بِتَأَكُّدٍ وَعَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ يَتَجَدَّدُ . وإلى هذا وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، فَلَوْ اسْتَطَعْنَا ، لَاتَمَرُ سَاعَةٌ إِلَّا عَنْ مَكَاتِبَةٍ ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ تَتَرَدَّدُ ، وَذِمَامُ كَرِيمٍ يَتَأَكَّدُ ، اغْتِبَاطًا بِوَلَائِكُمْ ، وَارْتِبَاطًا إِلَى مَصَافَاةِ عِلَائِكُمْ ، وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَصَلْنَا كِتَابَكُمْ صَحْبَةَ الْخَيْلِ الَّتِي تَفَضَّلْتُمْ بِإِهْدَائِهَا ، وَسَلَكْتُمْ بِهَا سُبُلَ الْمَاوِكِ مَعَ أَوْدَائِهَا ، فَكَرَّمْ عِنْدَنَا مَوْقِعَ وَدُّكُمْ ، وَوَصَلْنَا الثَّنَا عَلَى أَصَالَةِ مَجْدِكُمْ ، وَقَلْنَا فَضْلُ صَدْرٍ عَنْ مَحَلِّهِ ، وَبَرٌّ جَاءَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَإِمْدَادٌ أَتَى

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نصرأ) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسعداً) .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

من عنصر الإمداد ، وإعانة وصلت من مكان الإعانة والإرفاد ، والمعاضدة في سبيل الجهاد ، وماجد سلك سبيل سلفه الأمجاد ، فوجب علينا أن نبعث إليكم هذا الكتاب ، نشكر به ما كان من أفضالكم ، ونشير بآثنا على كمالكم وباهر خيالكم ، ونستطلع ما يسر إن شاء الله من متزيّدات أحوالكم ، عملا على شاكلة الودّ الكريم ، والاعتقاد السليم ، والرعى لما سلف بين قومنا وقومكم ، من الذمّام القديم . ولم يتزید عندنا ما نطالع به مقامكم الرفيع لما نعلمه من تشوّفكم لأحوال المسلمين بهذا القطر ، دافع الله عن أهله ، وحملهم على أنهج طرق السداد وأقوم سبيله . إلا أننا عقّدنا في هذه الأيام الفارطة السلم مع سلطان قشتالة وأحكمناها ، وجدّدنا شروطها ورسمناها ، وتم المراد من ذلك بنيتكم التي منها يُلتمس ، ومن بركتها يُقتبس ، والناس والحمد لله قد شملهم التمهيد ، وتشاور في الأمر منهم القريب والبعيد . والله سبحانه المستعان في جميع الأحوال ، والمرجو لصلة النّوال . هذا ما تزيّد عندنا طالعنا به مقامكم ، وبأدرنا به أعلامكم ، فعرفونا بما يتزيّد لديكم ، ويتجدد من فضل الله عليكم ، لنسر بوارده ، ونستأنس بوافده ، [والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم]^(١) ، والسلام الكريم عليكم كثيراً كثيراً ورحمة الله وبركاته ، وكتب في كذا من التاريخ عرّف الله خيرَه .

وكتبت أيضاً جواباً عن هدية بعث بها المذكور

المقام الذي تجلّدت بسعادتِه^(٢) دولة أسلافه ، واتفق بها قولها^(٣) بعد اختلافه ، وعاد العقْد إلى انتظامه ، والشمل إلى ائتلافه ، مقام ولينا في الله ، الذي هياً الله له من جميل صنعه أسبابا ، وفتح به من مُبهم السعد أبوابا ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (سعادة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت في الإسكوريال (قوله) ، والتصويب من الملكية .

وأطلع منه في سما قومه شهابا . وصَفِينَا الذي نَسَهب القول في شكر جلاله ووصف خلاله إسهابا . السلطان الكذا أُنِي سعيد عثمان ابن الأمير أُنِي زيد ابن الأمير أُنِي زكريا ابن السلطان أُنِي يحيى يغمراسن بن زِيَان ، أبقاه الله للدولة الزِيَانِيَّة ، يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ، ويملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويجزى في ميدان النَّدى ، والبأس ، ووضع العرف بين الله والناس جياها . سلام كريم ، كما زحفت ^(١) للصباح شُهب المواكب ، وتفحّت على نهر المجرة أزهار الكواكب ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله جامع الشَّمْل بعد انصداعه وشتاته ، وواصل الحبل بعد انقطاعه ، وأنبتاته ، سبحانه لا مبدل لكلماته ^(٢) ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الصَّادِغ بآياته ^(٣) المؤيد ببيِّناته ، الذي اصطفاه لحمل الأمانة الكبرى ^(٤) ، وحياه بالقدر الرفيع والمحل الأسنى ، والله يعلم حيث يجعل رسالاته . والرضا عن آله وأنصاره وحزبه وحُماته ، المتواصلين في ذات الله وذاته ، القائمين بنصر دينه وقهر عداته . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم سعداً ثابت الأركان ، وعزاً سامي ^(٥) المكان ، ومجداً وثيق البنيان ، وصُنعاً كريم الأثر والعيان . من حَمَاءِ غُرْنَاةِ حرسها الله ، والثقة بالله سبحانه أسبابها ^(٦) وثيقة ، وأنسابها عتيقة ، والتوكل عليه لا تلتبس من مذهبهِ ^(٧) طَرِيقُهُ ، ولا تختلط منه بالمجاز حقيقته . وعندنا في الاعتداد بكم في الله عقودٌ مُبرمة ، وآيٌ في كتاب

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (رجفت) .

(٢) وردت في الإسكوريال (لكلمته) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بأمانته) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العظمى) .

(٥) هكذا في الملكية ، ووردت في الإسكوريال (نامى) والأولى أرجح .

(٦) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مسالكة) .

الإخلاص مُحْكَمَةٌ . ولدينا من السرور بما سناه الله لكم من أسباب الظهور الذى حُلَّه مُعْلَمَةٌ ، وَحُجَّجَه البالغة مُسَلِّمَةٌ ، ما لا تنفى العبارة ببعض حقوقه الملتزمة . وإلى هذا أيد الله سلطانكم : [وَسَنَى أَوْطَارَكُمْ ، وَمَهَّدَ أَقْطَارَكُمْ] ^(١) ، فإننا ورد على يابنا فلان وصل الله كرامته ، وَسَنَى سلامته صادراً عن جهتكم الرفيعة العجائب ^(٢) ، السامية المراتب ، طلق اللسان بالثنا بما خَصَّصَكم الله به من فضل الثمائل ، وكرم المذاهب ، محدثاً عن بحر مكارمكم بالعجائب ، فحضر بين يدينا . ملقياً ما شاهده من ازديان المشاهد بتلك الإيالة ، واستبشار المعاهد بعود ذلك الملك الرفيع الجلالة ، الشهير الأصالة ، ووصل صحبته ما حملتم جفنه من الطعام إغاثة لهذه البلاد الأندلسية ، والأمداد التى افتتحتم به ديوان أعمالكم السنية ، وأعربتم عما لكم فى سبيل الله من إخلاص ^(٣) النية . وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام وطلیعة من جيش لُهام ، ورفد من عدد ، وبعض من مدد ، وإن عزائمكم فى الإعانة والإمداد على أولها ، ومكارمكم تُنسى الماضى بمستقبلها ، فأنئينا على قَصْدكم الذى لله أنخلصتموه ، وهذا العمل البر ^(٤) الذى [الذى] خَصَّصْتُمُوهُ ، وقلنا لا يُنكر الفضل على أهله ، وهذا بر صدر عن محلّه ، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع ، والإشارة فيما أسدى على الأيام من حسن الصنيع . فقد علم الشاهد والغائب ، وأو سكتوا ، أثنت عليك الحقائق ، ما تقدم لسلفكم [فى هذه البلاد] ^(٥) من الإرفاق والإرفاد ، والأخذ بالخط المفور من المدافعة والجهاد ، وأنتم أولى من جدّد عهود قومه ، وكان غداً فى الفخر أكبر من يومه . وقد ظهر لله فى جبر [تلك] ^(٦) الإيالة

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٢) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الجانب) ، والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خالص) .

(٤) اختصاهن . الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٦) وأردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

الربّانية نتيجة تلك المقدمات ، وعرفت بركة ما أسأفته من المكرمات ، وسنى الله سبحانه بين يدي وصول ما به تفضلتم ، وفي سبيله بذاتم ، أن فتح جيشنا حصناً من الحصون المجاورة لغربي مالقة ، يعرف بحصن قنيط ، من الحصون الشهيرة المعروفة ، والبقع المذكورة بالخَصْب الموصوفة ، دفع الله مضرتّه عن الإسلام وأهله ، ويسّره ^(١) بمعهود فضله . فجعلنا في ذلك الطعام الذي وجهتم ، طُعمة حماته ، ونفقات رجاله ورُماتِهِ ، اختياراً له في أرضي المرافق من سبيل الخير وجهاته . وأما نحن فإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من الثنا على مُلككم الأصيل البنا ، والاعتماد على مقامكم الرفيع العمد ، والاستناد إلى ولائكم الثابت الإسناد ، لم نَبْلُغ بعض المراد ، ولا وَفَى اللسان بما في القواد . فمن الله نسل أن يجعله في ذاته ، ووسيلة ^(٢) إلى مرّضاته ، ومرادنا من فضلكم العديم ، وودكم السليم أن تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يعنُّ من الأغراض ، ليعمل [في تميمها] ^(٣) [يحسب الود الصافي الحيّاض] ^(٤) . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام .

وكتبت في غرض الشكر

على الهدية للسلطان أبي فازس ابن السلطان

أبي الحسن وفي أول عام سبعين وسبعمائة

المقام الذي جدّد العهد ، وخلف وليه العهد واستأنف السّعد ، وتأذّن الله في كتابه أن ينجز له الوعد . مقام محلّ أّحننا ، الجارى في الفضل جرّى الجواد على أعراقه ، التّمييز بحميد شيمه وكريم أخلاقه ، مُطلع ذرى السعد من

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وبشره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وذريعة) .

(٣) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (فيه) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الملكية (بمقتضى الود العذب الموارد) .

آفاقه ، ومُلبس الإسلام ما تعود من أطواقه ، وناظم عقد الشتيت على أحسن اتساقه . السلطان الكذا ، أبي فارس عبد العزيز ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد بن السلطان الكذا ابى يوسف بن عبد الحق^(١) أبقاء الله رفيعاً شأنه سعيداً زمانه ، واضحاً فى المكرمات برهانه ، سابقاً إلى الغايات أولى الغرر من قومه ، والشتات^(٢) ، إذا احتفل ميدانه ، معظم قدره العالى فى الأقدار ، المسرور لجلاله ، السعيد بجلالة الأبدار ، واستقامة المدار ، الداعى له بمساعدة الأقدار وعُقبى الدار . الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد ابن نصر . سلام كريم طيب بر عيم ، كما أهدت الرياض شذاً رباباً ، وجلت الشمس مُحياها ، ينخص مقامكم الأعلى ، [ودولتكم الفضلى]^(٣) ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ [الولي الحميد]^(٤) ، الْمُبْدَى المَعِيد ، مُعِيد^(٥) القلادة إلى الْحَمِيدِ المَجِيد^(٦) ، ومعرّف عوارف التجديد [لمعالم السعد الجديد]^(٧) وَالْجَدِّ السعيد ، ومظهر العناية بالإسلام ، واضحة الأعلام للقريب والبعيد ، رابط عوايد النصر والتأييد بمبادئ التوفيق والتشديد ، وناظم الخلال السميّة^(٨) نظم

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (وانشبات) .

(٣) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

(٤) زائدة فى الإسكوريال .

(٥) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٦) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السنية) .

الغريد لأولى المَزِيد ، التي اقتضتها إرادة المُريد . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الظلّ المديد ، والملجأ المنيع في الخطب الشديد ، جالى ظلم الكفر والإلحاد بنور التوحيد ، وهادى من سبقت له سابقة الفوز إلى صراط العزيز الحميد ، الذى نتعاون فى إعلاء كلمته بالمُناصحة البالغة والقصد السديد ، ونصل المودة فى ذاته ، كفيلاً من مَرْضاته ومَرْضاة ربّه بالمزيد ، ونجاهد العدو جهاداً ، يوسع السيوف اجتهداً من بعد التقليد ، ويملاً الأكف بالأنفال ، من بعد فضّ الأفقال ، مستوعبة للطّارف منها والتّليد . والرضا عن آله وأصحابه وأوليائه وأحزابه ، السّادة القادة الصّيد ، فذلكم الحساب وبيت القصيد ، العايشة سيوفهم الباترة وغراماتهم المتواترة فى أعداء ملته ، عياث النار فى يَبَس الحَصيد ، الذين ظاهروه فى حياته بالعزائم الصادقة على بأس الحديد ، وخلفوه فى أُمته ، بحفظ ما أنزل عليه من الوعد الصّادق والوعيد ، فكانوا فى سماء ملته نجوماً هادية [للسمت الرشيد وأعلاماً مائلة] ^(١) تهدى السّارى فى عُراض البيد ، والدعاء لمقامكم الأعلى ، ومثابرتكم الفضلى بالعزّ المَشيد ، والنصر الذى يرغم أنف الجبّار العنيد ، والصّنع الذى لا يُمل حديثه على التّريد ، ولا زال سيفكم ^(٢) الماضى يقوم فى أبواب المآرب الصّعب مقام الإقليد ، وأنباء فخركم تهديها إلى نازح البلاد ركابُ الرّياح ، فضلاً عن راكب البريد . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً مصاحباً للتأييد ، وتوفيقاً يصيب شاكلة الرّعى بالسّهم السديد . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله مُحسبة ^(٣) أمل المستفيد ، وآلؤه مجيبة داعى المُستزيد ، ومجدكم ^(٤) الخلق بالتمجيد ، ووُدّكم المخصوص

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (سلفكم) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مسحبة) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ومجد) ، والتصويب من الملكية .

بتبعية العطف والتوكيد . والحمد لله كما هو أهله [فلا فَضْلُ إِلَّا فَضْلُهُ] ^(١) ،
فهو مستحق التَّحْمِيدِ . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، [وضاعف
مواهب عنايته عندكم] ^(٢) فَإِنَّا ورد علينا كتابكم الكريم الفصول ، المتعاضد
الفروع بالأصول ، المستولى من ميادين الفضل على أبعد آمادها ، المجرى شِمَمَ
المجد على مُعتادها ، الرافل من أثواب البلاغة والبراعة في حلل ، المتكفل للإسلام
بأَرْذَى غُلل ، وتجديد أَمَل ، أطال وأصاب ، وزين بالخط الخطاب ، ودنت
معاطفه لما استكملت الأوطاب ، نُجَّة بيان تَقْذِفُ بالدُّر ، وأُفُقُ لَزهر المعاني
الغُرِّ ، مصحّباً بأشْثات الهديات حساً ومعنى ، أما الحسنُ فالصّواهل الضامرة ^(٣)
والآلات الفاخرة ، والمهندات الباقرة ، والذخائر الباهرة ، والعروض المخزونة
المصونة ، واليلب المنيعه الحصينة ، واللُّطف المجتناة ، والطُّرف التي تباهى
بعيونها الهبات ، والطَّيْب يَنْتَشِقُ له المهبّات ، وأما المَعْنَوَى ، وهو أَعْلَقُها
بالنفس ، وأَعُودُهما بالمزيد من الأنس ، وإن كان الكل نفسياً ، وبُرهان مجده
لا يحتمل تَلْبِيساً . فالتعريف بما أنتم عليه من استقامة التدبير ، وإسعاف المقادير
واضطراد التمهيد ، واستشعار العناية من الله والمزيد ، واستئناف الصُّنْع الجديد ،
واستقبال الزَّمن السعيد ، وما كَيْفَهُ الْقَدَرُ والحِظُّ المبتدر ، واليُمْنُ الذي راقى
منه الغُرر ، من تنوع الأحوال بمراكش وجهاتها ، وعزمكم على انتهاز الفرصة واهتباها ،
وعدم مُطاولتها وإهمالها ، وأنكم أنهدتم وزيركم مرتاداً لركاب النَّصر ،
مصحّباً أداة الحَصْر ، مغتنماً هبوب الريح وسعادة العَصْر ، فابتدر الخطُ بين
يدى تلك العزائم الماضية [والسُّعود المتقاضية] ^(٤) والشِّم الراضية ، والله

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الظافرة) .

(٤) هذه العبارة زائدة في الإسكوريال .

عز وجل يجعل التوفيق مُوَاقِبَ رِكَابِكُمْ ، [والسَّعْدُ ملازِمٌ مُصْرَاعٌ بِأَبْنِكُمْ]^(١)
ويتم علينا وعليكم النعم ، ويجزل من مواهبه القسم ، ويطلعنا من أنبائكم على
ما يُبْهِجُ النفوس ، ويشرح الصدور ، ويمهد الجهات ، ويصلح الأمور ، ويُطِيبُ
الأسنة ، وَيُضْحِكُ الثغور . وثناؤنا على نوعي هذه الهدية ، ثناء الرّوض على
الغمام الواكف ، والعارض المترادف ، فقد جدد الله عهد الزمن السالف ، والظّل
الوارف . فالله يشكر مجدكم الذي احتفى واحتفل ، واختال في حلل الفضل ورَفَل ،
وأطلع نير العناية بهذه البلاد بعد ما أَقْل ، وكفى بدولتكم السعيدة وكَفَل ،
فلا تسلاوا عما للإسلام فيكم من أمل مذخور ، ورجاء موفور ، ونية لخشيتهما
الصالحة ظهور ، ولنورها سفور . [فقد شاع ما تحليتكم به من الشيم الباهرة ، والمكارم
الباطنة والظاهرة ، وأنكم وارث السلف الذي شكر الله سعيه ، وأوجب الله ذكره
ورعية]^(٢) عَفَّةٌ مُنْسَدَلَةُ الْأَطْنَابِ ، واستظهاراً بكل حسن المناب ، وأتصافاً بطهارة
الجناب ، ومشاورة [لذوى الألباب ، وغبطة بمودة الأهداف والأحباب ، وتقرباً
إلى الله باكتتاب ما أنزل من سور الكتاب ، ومحافظة على الأركان ، ومباشرة]^(٣)
لِلرُّسُومِ مع الأحيان ، واستكفاءً لذوى الأديان . وإذا علم الله منكم الاتّصاف
بهذه الصفات المرضية ، والشيم الطاهرة الزكية ، والأعمال الصادرة عن خلوص
النية ، تكفل الله لكم في الدنيا والآخرة بالأمنية ، وأنبت دولتكم النبات الحسن
وأجزل لكم المنن ، وأضفى عليكم من وقايته العُجْن . زادكم الله من فضله ، وحَمَلَكُمْ
على ما فيه السَّعْدُ المجدّد ، والفخر المخلّد ، بعيد الأمر كله ، [ولا قَطَعَ عَنَّا
وعنكم عادة لُطْفِهِ ، الذي نأوى إلى ظله]^(٤) . وماذا عسى أَنْ نشئ على فضلكم

(١) ورد في الملكية مكان هذه العبارة ما يأتي (اليمين مصاحب ظعنكم وإيابكم) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وورد مكانها في الملكية ما يأتي : (هناك الله دولة مقتبلة الشباب ، واهلة كريمة الانتساب) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية ، وساقط في الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الملكية .

الطالع من أفق الجلالة أو نقرر من وُدِّكم التوارث لا عن كَلالة ، وقدركم عندنا
أجل ، وذكركم بالجميل يملا فلا نَمَل . وقد حضر بين يدينا رسولكم الكريم
المُناب فيما قرره من الوُدِّ الوثيق^(١) ، وأدى من البر^(٢) الجدير بالشكر الخليق ،
وأحكم من معاهد العهد^(٣) الوثيق ، وأوضح في الفضل منه الطريق ، الشيخ
الفقيه المرفع الحسب السني الحظي ، المتعدد الأذمة أبو يحيى بن أبي مدين
والحاج المكرم المبرور أبو محمد بن عبد الواحد ، وصل الله لهم ولأمثالهم عادة
إنعامكم ، وأعانهم على خدمة مقامكم ، وقرراً ما يُسرّ سماعه على التكرار والإعادة ،
وإن كان غنياً عن الإشادة ، وملياً فلا يُتَشوف إلى الزيادة ، فالقاوب تبني بعضها
بعضاً بما تجنُّ ، والنفوس تجنح إلى أشكالها وتحنُّ ، وتلقى من الجواب عن ذلك
جهد عبارة ، لا تجلى عن كُنْه المفهوم^(٤) ، ولا تُوفى مع الإطالة بالغرض المروم .
والله عز وجل يجعله في ذاته ودّاً وثيقاً ، وينهج به إلى ما يرضاه طريقاً ، ويريه
المسلمين تصوّراً وتصديقاً ، حتى تجتمع الأيدي المسلمة على جهاد الكافرين ،
وتلوح آيات النصر واضحة للمُبْصرين . وهو سبحانه يصل لكم عوايد النصر
والتّمكنين ، ويعرّفكم عوارف النصر العزيز والفتح المبين ، ويطلع من أنبائكم على
كلّ واضح الغرّة ، مشرق الجبين . والسلام الكريم البرّ العميم يخصكم ورحمة
الله تعالى وبركاته . وكتب في كذا من التاريخ ، عرفنا الله ببركته بمنه .

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (العتيق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الود) .

(٣) وردت في الإسكوريال (البر) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (المكتوم) .

كتب تقرير المودات

صدر عني مخاطبة السلطان أبي الحسن بن
السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف
ابن عبد الحق ما نصه :

المقام الذي أخبر سَعْدَه توسّع الصدور انشراحاً ، وتَطَلَّع في ليل الشدائد صباحاً ،
وتورّد ظمأً الأمل من موارد السرور والجَدَل عَذْباً قراحاً . مقامٌ محل والدنا الذي
مناهل ودُّنا فيه على كدر الزمان صافية ، [وحل تشيعنا لمقامه الاسمى أذياها
ضافية]^(١) ، وحظوظ برّة لدينا نامية وافية ، وابتهاُلنا إلى الله في اتصال سَعْدَه
وتيسير^(٢) قصده كافية . السلطان الكذا ، [ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان
الكذا]^(٣) ، أبواه الله يَصْحَبه من عنايته^(٤) ، سبحانه ، أَلطافٌ خافية ، وصنایعُ
يكنفها يسرٌ وعافية ، حتى تداوى^(٥) علل الأيام منه سياسة شافية ، معظّم مقداره
الذي يحق له التعظيم ، المُعْتَرَف بفضلِه الغميم ، المحافِظُ على وده الأصل وعهده
الكريم ، محافظة [الولد الرضى]^(٦) والصنى المخلص والولى المحميم . الأمير
عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد [اسماعيل بن فرح]^(٧) بن نصر . سلام
كريم [طيب بر عميم يخض مقامكم الاسمى وأبوتكم الفضلى]^(٧) عليكم ورحمة الله .
أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى من توكل عليه ، فقد اسْتَمْسَك بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، ومن
اعتمد عليه ، فقد ظفر بما هو خيرٌ وأبقى . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد

(١) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والملكية ، وساقطة في الفاتيكانه .

(٢) وردت في الإسكوريال (بتيسير) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٣) هذه الزيادة واردة في الفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال والملكية .

(٤) وردت في الإسكوريال (غايتة) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٥) واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية والفاتيكانه .

(٧) هذه الزيادة واردة في الفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال والملكية .

رسوله ، منقذِ الناس ، وهم في لُجَّةِ الجهل غرقى ، الذى لم ترعهُ الشدائد ، وقد تبارت كتابيُّها سبقاً ، حتى ملأت [جهتي] المعمور غرباً وشرقاً . والرضا عن آله وصحبه الذين وفوا بعهدہ ، وسلکوا من اتباعه من بعده مذاهب واضحة وطرقاً ، حتى وجدوا ما وعد ربُّهم حقاً . والدعا لمُلُککم^(١) الأعلى ومقامکم الآرقی^(٢) ، بالصُّنع الذى ينطق ألسنة الأفلام من بعد الجِماج نُطقاً ، ويوسع صدر الإسلام التثاماً ورتقاً ، ويتكفل للإسلام بالعاقبة الحسنى ، الذى لا یُضِلُّ بعدها ولا یُسْقَى . فإننا كتبناه إليکم ، كتب الله لكم عناية منه واضحة الغرر ، وسعادة يساعدها تصريف القدر . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وأبوتکم مُعْتَمَدة بالبرِّ الكريم الأثر ، والخلوص المنزه عن الكدر [وعندنا من التشيع لمقامکم ما لا تحمله الايام إذا حالت ، ولا تميل دعائمه كلما مادّت أو مالّت]^(٣) ، رعيّاً لفضائلکم التى سَبَقَتْ وتَوَالَتْ ، وقياماً بحق أبوتکم التى صَابَتْ برکتها وانشألت . وإلى هذا وصل الله سعدکم ، وحرس مجدکم ، فإننا ورد علينا کتابکم المبرور ، وخطابکم المأثور ، يطلع بارجائنا من صُنع الله لكم أنوار البشر ، ويُنشئ سحاب الآلاء هامية الدُرر ، عرفتمونا فيه بما خَوَّلَ الله سلطانکم من إعزاز الجانب ، وإعذاب المشارب ، وانجلاء الغياهب ، والتثام الجيوش واجتماع الكتابب ، وأن الدهر وقف بين يدي مقامکم موقف الثائب ، والسعد قد أبدى لكم وجوه العجايب ، وأن قبائل تلك البلاد دخلت في دين الله باتباع دعوتکم المرضیة أفواجاً ، وسلکت من التَّقوى والبرِّ منهاجاً . وراجعت البصائر الصادقة ، وآثرت النعم البالغة السابقة ، وشمرت أشياخُها إلى المُناصحة تَشْمِير الأحرار ، وتبادروا إلى المدافعة^(٤)

(١) واردة في الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (الأتق) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط في الملكية .

(٤) وردت في الإسكوريال (المبادرة) ، والتصويب من الملكية .

عن حمى سلطانكم أكرم الابتدار ، وبذلوا العزائم التى حكمت لكم بالإعلاء والإظهار ، والعز الذى جَنَوْا أفنانه من أغصان الذوايل وأوراق الشُّفار . وأن مقامكم لمن يلحق بركابه العلى من وفود العرب على قدم الانتظار . وقد كنا نعرفنا من كتابكم الوارد قباه بما سنَّاه الله لمقامكم العلى من اتِّساق سعده وانتظامه ، واستئناف عزه وإبلال أيامه ، واشتغال شمله على الأميرين المكرمين [الأسعدين الأمجدين الأظهرين]^(١) أخويننا أسعدهما الله . ثم عظم الابتهاج بمُضْمَن كتابكم هذا الذى قاد إلينا السرور بزمامه . واعلموا أن مقامكم الأسمى طَوَّق البلاد وأهلها فواضل لا تفارق أجيادها ، وأوسعها أيادى ملكت قيادها ، وأوجبت برّها وشكرها وانقيادها . فمن وقى ببعضها ، وأقام بأداء فرضها ، فإنما سلك سوا المحجّة ، وسلم لصدق الحجّة ، وأوى من البر إلى برّ يقيه غائلة اللجّة . ونحن نقرر لديكم^(٢) ما لدينا من المسرة ، بعصمة مقامكم الرفيع ، ونشكر الله على ما أسداه لكم^(٣) من حسن الصنيع ، ونهشكم بتيسير العز المنيع ، والشمل الجميع ، ونرتقب للإسلام ببركة نيتكم الصالحة ، إطلال النصر السريع ، وتمهيد الجناح المريع . وقد أعلمنا مقامكم بما كان من أثر نيتكم الصالحة للإسلام ، وخواطركم الصافية السهام فى أخذ الله تعالى طاغية قشتالة أشد ما كان طُغياناً ، وأنه سبحانه أرانا فيه عجائب قُدْرته عياناً ، له الحمد على نعمه التى لا نطيق لها حساباً ، والآية المتواترة مثنى ووحداناً ، وهو سبحانه الكفيل بأن يصل للجميع عوارف فضله ، ويسلك بنا من إعانته وإسعاده أوضح سُبُل . ووقفنا على ما أشرتم إليه فى الاجْتِماع الغزوية الثلاثة ، وما تعرفتم عن خبرها ، وخاطبكم به خدامكم [أعزهم الله فى شان] سفرها . والذى عندنا فى ذلك هو أن الخواطر ما برحت بما يُرضى مقامكم الكريم معمورة ،

(١) ما بين الخلاصتين واردة فى الملكية والفاطيكاه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكاه (عندكم) .

(٣) زائدة فى الفاتيكاه .

والآمال في ميدان بركم ممدودة ، وعليه مقصورة ، إلا أن العوائق عديدة ، والأحوال أزماتها شديدة ، والأيام في ثبها بالآمان مبدية مديدة ، وفيما سلف كانت [الأساطيل المدمرة ^(١)] تسد المسالك ، وتقطع ما يراد من ذلك ، ولما كفى الله تعالى شره ، ودافع ضره ، تعرفنا الآن أن أجفان سبتة عمر منها إلى مرسى الجزائر سبع قطعات ما بين صغير وكبير تحققنا خبر انصرافها إلى جهاتكم عصمها الله من خبير . وهذه أيدكم الله موانع لا تخفى أعدارها ، ولا يُجهل مقدارها ، والقلوب بعد لما تقتضيه المودة الكريمة جانحة ، والآمال في ميدان ذلك غادية ورائحة ، وعندنا منه ما أن ذهبنا إلى تقريره ، ضاق ذرع البراعة عن شرح يسيره ، فضلاً عن كثيره ، لاكن العلم بأصيله وشهيره ، يُغنى عن بسطه وتفسيره . وقد حضر بين يدينا مودى كتابكم إلينا خديعكم الانصح المبرور فلان ^(٢) ، وصل الله حفظه ، وأجزل من مواهب السلامة حفظه ، وألقينا إليه من جزئيات الأحوال ما يلقيه إلى مقامكم السامي العجلال ، وما يتزيد عندكم من الأنبياء فتعريفنا به صلة لعوايد الافضال منكم والإجمال . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم يخص مقامكم ، ورحمة الله وبركاته . [وكتب في كذا من التاريخ عرف الله بركته ^(٣)] .

ومن هذا الغرض ما صدر عنى

المقام الذى أقدمار سعده فى انتظام وأتساق ، وجياد عزه [أس لل غاية] ^(٤)
القُصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله عليه مديدة

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وورد مكانها بالملكية والفاثيكاه ما يأتى (كانت أساطيل الطاغية التى أراح الله منه) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاثيكاه (أبو عبد الله الجزيرى) .

(٣) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاثيكاه .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الفاثيكاه ، وساقط فى الإسكوريال والملكية .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاثيكاه (إلى غاية) .

الرَّوَّاق ، وأياديه الجمّة في الأعناق ألزم من الأطواق ، وأحاديث مجده سَمَر النّوَادى وحديث الرفاق . مقام محلّ أبينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشأنه ، وأعظمُ مطلوبنا من الله سعادة سلطانه ، السلطان أبى الحسن ابن السلطان أبى سعيد ابن عبد الحق ، أبقاه الله والصنایع الالهية تحطُّ ببابه ، والألطف الخفية تغرس في جنابه ، والنّصر العزيز يحف بركابه ، وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه ، والقلوب الشجيّة لا تفارقه مسرورة بإيابه . معظّم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل المشهورة المعلومة ، والمكارم المَسْطُورة المرسومة ، والمفاخر المَنْسُوقَة المَنْطُومَة ، الداعى إلى الله في وقاية ذاته المَعْصُومَة ، وحفظها على هذه الأمة المرحومة . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد [إسماعيل ابن فرج] ^(١) بن نصر . سلام كريم [طيب بر عميم ، كما سطعت في غيبه الشدة أنوار الفرج ، وهبت نواسم ألطف الله عاطرة الأرج ، يخص مقامكم الأعلى] ^(٢) ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمّد الله جلّی انظّم بعد اعتكافها ، ومُقيّل الأيام بعد عثّارها ، ومزيّن سما الملوك بشموسها المنجبة ^(٣) وأقمّارها ، ومريح القلوب من وحشة أفكارها ، ومشئى سحاب الرحمة على هذه الأمة بعد افتقارها وشدة اضطرارها ، ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها ، وتيسير أوطارها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صفوة النبوة ومختارها ، ولباب مَجْدِها الباذخ ونجّارها ، نبيّ الملاحم وخائِض تيّارها ، ومذهبُ رسومِ الفتن ^(٤) ، ومطىُّ

(١) زائدة في الفاتيكانه .

(٢) ما بين الخاصرتين وازد في الملكية والفاتيكانه ، وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (المحتجبة) .

(٤) هكذا وردت في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

نارَها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع أنوارها ^(١) ووضوح آثارها . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين تمسكوا بعهده على إحلاء الحوادث وأمرارها ، وباعوا نفوسهم فى إعلاء دعوته الحنيفية وإظهارها . والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال السعادة واستمرارها ، وانسحاب العناية الإلهية وانسداد أستارها ، حتى تقف الأيام بباكم موقف اعتذارها ، وتعرض على مثابنتكم ذنوبها ، راغبة فى اغتفارها . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أوفى ما كتبت لصالحى الملوك من مواهب إسعاده ، وعرفكم عوارف الآلاء فى إصدار أمركم الرفيع وإيراده ، وأجرى الفلك الدوار بحكم مُرده ، وجعل العقبة للحسى كما وعد فى محكم كتابه الكريم [الميسر] ^(٢) للصالحين من عباده . من حمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد ، وإلى كنف فضله الاستناد ، ثم ببركة نبيه ^(٣) الذى وضح بهدايته الرشاد ، إلا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها ، وتخبر سيمائها بطلوع السُعود واستقبالها ، وتدل مخايل يُمنها على حسن مآلها . لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالاتها ، ونستدر عذب زلالها ، وعندنا من الاستبشار بانساق أمركم وانتظامه ، والسرور بسعادة آيَّامه ، والدعا إلى الله فى إظهاره وإتمامه ، ما لا تنفى العبارة بإمكانه ، ولا يتعاطى اللسان حصر أحكامه . وإلى هذا أيَّد الله أمركم وأعلاه ، وخار لسلطانكم الرضا وتولاه ، فقد علم الحاضر والغائب ، وخلَص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ، ما عندنا من الحب الذى صفت منه المشارب ، والتشيع الذى وضحت منه المذاهب . وإننا من لدن اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الأمور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة ، وجلبت على العباد والبلاد الوقاية

(١) واردة بالإسكوريال وساقطة بالملكية .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال . وفى الفاتيكانه (المبين) .

(٣) فى الملكية (نبينا) .

والنعمة ، لا يستقرُّ بقاويننا القرار ، ولا تتأنى بأوطاننا الأوطار تشوفاً لما تنتجه
لكم الأقدار ، ويبرزه من سعادتكُم الليل والنهار . ورجاؤنا في استئناف سعادتكُم
يَشْتَدُّ على الأوقات ويقوى : علماً بأنَّ العاقبة للمتقوى : وفي هذه الأيام عميت
الأنبا ، وتكالبت في البر والبحر الأعدا ، واختلقت الفصول والأهواء ، وعاقبت
الوراد الأنوا ، وعلى ذلك فلم ينقطع من فضل الله الرجا . ولو كنا نجد للاتصال
بكم سبباً أو نلقى لإعانتكم مذهباً ، لما شغلنا البُعد^(١) الذى بيننا اعترض ،
ولا العدو الذى بساحتنا خيم^(٢) في هذه الأيام وربَّض ، وكان خديكم الذى
رفع من الوفاء راية خافقة ، واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة ، الشيخ
[الأجل الأعز المرفع]^(٣) أبو محمد بن أجانا ، سنَّى الله مأمولَه ، وبلغه من سعادة
أمركم سوله ، قد ورد على بابنا ، وتخير اللحاق بجانبنا ، ليتيسر له من جهتنا
عليكم القدوم ، ويتأتَّى له بإعانتنا الغرض المروم : فبينما نحن ننظر في تميم
غرضه ، وإعانتَه على الوفا الذى قام بمقترضه ، إذ اتصل بنا خبر قرقورتين
من الأجفان التى استعنتم بها على الحركة ، والعزمة المقترنة بالبركة ، حطت
إحداها بمرسى المنكب ، والأخرى بمرسى ألمرية ، في كنفِ العناية الإلهية ،
تلقينا فيها من الواصلين بها الأنباء المحققة بعد التباسها ، والأخبار التى يغنى
نصها عن قياسها ، وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر ، وحركتكم المقرونة
بالئمن والظفر ، وأنكم استخرتم الله في اللحاق بالأوطان التى يؤمنُ قدومكم
خائفها ، ويولِّف طرائقها ، ويُسكن راجفها ، ويصلح أحوالها ، ويخفف أهوالها ،
وأنكم سبقتم حركتها بعشرة أيام ، مستظهرين بالعزم المبرور ، والسَّعد الموفور ،

(١) هكذا وردت في الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (جثم) وفي الفاتيكانه (ربض) .

(٣) وردت في الفاتيكانه (الأجل الأوفى الأود الأخلص الأصق) .

واليمين الرائق^(١) الشغور ، والأسطول المنصور ، فلا تسالوا عن أنبياء الآمال
بعد سُكُونِها ، ونهوض طيور الرجا من وُكُورِها ، واستبشار الأمة المحمدية منكم
بقرّة أعينها ، ومحقق ظنونها ، وارتياح البلاد إلى دعوتكم التي ألبستها ملابس
العدل والإحسان ، وقلدتها قلائد السير الحسن ، وما منها إلا من باح بما يخفيه
من وجده ، وجهر [بشكر الله وحمده]^(٢) ، وابتهل إليه في تيسير غرض
مقامكم الشهير وتتميم قصده ، واستأنس نور سعدة ، وكم مطل الانتظار بديوان
آمالها ، والمطاوله من اعتلالها . وأما نحن فلا تسالوا عمن استشعر دنو حبيبهِ بعد
طول مغيبه ، إنما هو صَدْرٌ راجعه فؤاده ، وطرف عاد إليه رُقادهِ ، وفكر ساعده
مراده ، فلما بلغنا هذا الخبر ، بادرنا إلى إنجاز ما بذلنا لخدمتكم المذكور من
الوعد ، واغتنمنا ميقات هذا السعد ، ليصل سببه بأسبابكم ، ويسرع لحاقه
بجنايبكم ، فعنده خدمٌ نرجو أن ييسر الله أسبابها ، ويفتح بنيةكم الصالحة أبوابها .
وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع الكريم الوداد [ونصل
على بعد المزار ونزوح الأقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد]^(٣) . وقد
ألقينا إليه من ذلك ما يلقيه إلى مقامكم الرفيع العماد ، وكتبنا إلى من بالسواحل
من ولاتنا ، نحثهم ما يكون عليه عملهم في برٍّ من يرد عليهم من جهة أبوتكم
الكريمة ، ذات الحقوق العظيمة ، والأيدى الحادثة والقديمة ، وهم يعملون في
ذلك بحسب المراد ، وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ، ويعلم الله أننا لو لم تَعْقُ
العوائق الكثيرة ، والموانع الكبيرة ، والأعداء الذين دهيت بهم في الوقت هذه

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الزايد) .

(٢) هكذا وردت في الملكية والفاتيكانه ، وفي الإسكوريال (بحمد الله وشكره) ، والأول أنسب

للسياق .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفاتيكانه ، وساقط في الإسكوريال .

الجزيرة ، ما قدمنا عملاً على اللحاق بكم ، والاتصال بسببكم ، حتى نوفي لأبوتكم
الكريمة حقها ، ونوضح من المبرّة طرقها . لاكن الأعذار واضحة وضوح المثل
السائر ، ونيتنا لكم يعلمها علّامُ السرائر ، وإلى الله نبتهل في أن يوضح لكم من
التيسير طريقاً ، ويجعل السعد مصاحباً لكم ورفيقاً ، ولا يعدمكم عناية منه
وتوفيقاً ، ويتم سرورنا^(١) عن قريب بتعرف أنبائكم السارة ، وسعودكم الدارّة ،
فذلك منه سبحانه غاية آمالنا ، وفيه أعمال ضراعتنا وسؤالنا . هذا ما عندنا
بادرنا إعلامكم به أسرع البدار . والله يوفد عليكم أكرم الأخبار بسعادة ملككم
السامى المقدار ، وييسر ما له من الأوطار . [ويصل سعدكم ، ويحرس مجدكم]^(٢)
والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك قولى أيضاً

المقام الذى لا تغلُّ الشدائد غُرب عزمه ، ولا تستخف الحوادث^(٣) هُضبة
حلمه ، فنفسه الكريمة مُسلّمة لأمر الله السابق فى علمه ، ونيتّه الصالحة تستنجز
منه سبحانه وعدّ نصره ، واثقة بحكمه ، وسعد ملكه قد استقام على رُسْمه ،
والدهر قد تاب لديه من ظلمه . مقامٌ محلّ والدنا الذى تشيّعنا إليه مشدود
الأواخى ، وأوامر أبوته محمولة لدينا على الفور لا على التراخى . السلطان الكذا
أبقاه الله ماضية^(٤) إلى الأغراض البعيدة سهاؤه ، مسطور فى صحف الأيام
صبره وحلمه وجوده وإقدامه ، مذخوراً بجهاد الكفار حُسامه ، خاضعة لديه
بالتوبة النصوح لىالى الدهر وآيامه ، حتى تحفّق بنصر الإسلام ألوينه وأعلامه ،
معظم مقامه الذى يجب إعظامه ، المثنى على فضله الذى راق قسامه ، وتوفرت

(١) وردت فى الإسكوريال (سرورها) ، والتصويب من الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاثيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المودات) ، والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خالصة) ، والأولى أرجع .

أقسامه . الأمير عبد الله [يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج ابن نصر] ^(١) سلام كريم ، طيب بر عميم يخصكم ^(٢) ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَلِيِّ الْمُحَامِدِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا ، وَمَوْضُحِ الْمَذَاهِبِ بَعْدِ التَّبَاسُهَا ، وَمُؤَلِّينِ صُرُوفِ الْأَيَّامِ بَعْدِ شِمَاسِهَا ، ذُو الْأَلْطَافِ الْخَفِيَّةِ عَنِ الْأَفْكَارِ وَقِيَّاسِهَا . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ أَكْرَمِ الرُّسُلِ مَا بَيْنَ شَيْئِهَا وَإِلَيْسِهَا ، شَهَابُ الْهُدَايَةِ وَنَبْرَاسُهَا ، الَّذِي بَاتِّبَاعِهِ نَخْتَالُ فِي حُلُلِ السَّعَادَةِ ، وَنَسْتَمْتِعُ بِلِبَاسِهَا ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ ، عِتْرَةِ الْحَقِّ ، الْمُقْتَدَى فِي الْخُلُقِ بِنِدَاهَا وَبِأَسَاسِهَا ، الَّذِينَ لَمْ يَأْلُوا فِي اتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ وَالتَّاسُّهَا ، فَهَمَّ الْأَنْوَارِ الَّتِي هُدِيَتْ الْأُمَّةُ بِاِقْتِيَّاسِهَا ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرَاسِهَا ، وَالدَّعَاءِ لِمَقَامِ أُبُوتِكُمْ الْعَظْمَى ، الَّتِي يَبْنِي الْمَجْدُ الصَّرَاحَ عَلَى أَسَاسِهَا ، بِالنَّصْرِ الَّذِي تَرْسُمُ آيَاتِهِ فِي أَوْرَاقِ السَّعَادَةِ وَأَطْرَاسِهَا ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي تَقْصُرُ أَيْدَى اللَّيَالِي عَنْ اخْتِلَاسِهَا ، وَلَا زَالَتْ عِزَّمَاتِهِ تَفَرَّقُ الْآسَادَ مِنْ افْتِرَاسِهَا ، وَنِيَّتِهِ الصَّالِحَةَ تَجْتَنِّي ثَمَارَ الْأَمَانِي مِنْ زَاكِي غِرَاسِهَا ؛ فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مَجْدًا عَالِيًا ، وَصُنْعًا مُتَوَالِيًا ، وَعِزًّا حَافِظًا كَالْيَا ^(٣) . مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ حُرْسِهَا اللَّهُ ، وَنَعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَا تَعْرِفْنَاهُ مِنْ خَيْرِ مَلِكِكُمْ أَعْلَى اللَّهِ سُلْطَانَهُ ، وَمَهْدِ أَوْطَانَهُ ، لَا يَغِبُ انْسِكَابُهَا ، وَلَا يَشْخُ سَحَابُهَا ، وَعِنَايَتُهُ تَنْسُدُ عَلَيْهِ أَطْنَابُهَا . وَعِنْدَنَا مِنَ التَّشْيِيعِ إِلَى جَنَابِكُمْ الرَّفِيعِ قَدْرُهُ ، الْوَاجِبُ بَرُّهُ ، مَا لَا تَتَعَاطَى الْعِبَارَةُ شَرْحَ مُجْمَلِهِ ، وَلَا يَنَالُ اللَّسَانُ مِنْ إِيضَاحِهِ بَعْضُ أَمَلِهِ . فَحَسْبُنَا نِيَّةٌ يَعْلَمُهَا عَلَامُ السَّرَائِرِ ، وَنِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرُ مِنْ عَمَلِهِ . وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ثَنَاؤُنَا عَلَى مَعَالِيكُمْ الْبَاهِرَةِ مَقْصُورًا ، وَدَسْكُهُ فِي جُيُوبِ

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الفاتيكانة ، ومكانه في الإسكوريال والملكية (فلان) .

(٢) في الملكية والفاتيكان (يخص مقامك الأعلى) .

(٣) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

الآفاق منشوراً ، وقد أسلفتم في هذه الأقطار الغربية ما يسطع نوراً ، ورفع للفخر
لواء منشوراً ، عرفكم الله عزاً وظهوراً ، وجعل^(١) رأيكم مأموماً وعلمكم منشوراً .
وإلى هذا أدام الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا في جميع هذه الأمور التي
تعاقبت فيها ألوان الزمان وصروفه ، وتنكر فيها معروفه ، نظوى الصدور على
المضض الأليم ، ونرز الجيوب من مساعيكم على ما يعلمه السميع العليم ، ونمدكم
من الدعاء بمدد عظيم ، ونجعل شغل بالنا بما أهمكم هجير اليوم الشامس ، وسمير
الليل البهيم . ولو استطعنا لأطاعنا عليكم ثمرة الاعتقاد السليم ، والعهد الكريم ،
وما غفلنا عن حث الكتاب على بعد الشقة ، ونزوح الركاب ، وعادية العدو
وغائلة العباب ، والاستنشاق لنسيم يهب من ذلك الجنب ، فتارة نتعلل بعليل
الأخبار ، ونشيم في ليل الخطب بارقة الاستبشار ، وتارة نظوى القابوب على آخر
من الجمر ، ونفوض الأمور إلى من بيده ملاك الخاق والأمر ، وأمانا قوى فيما
عودكم الله من اليسر [بعد العسر]^(٢) ، ووعد من ينصر دينه من مواعد البصر ،
إلى أن وصلنا كتابكم الذي هو عندنا الوافد الكريم الوفاة ، العظيم الإفادة على
يدى التاجر النصراني فلان^(٣) أكرمه الله بتقواه . فجددنا العهد بمخاطبةكم
التي فيها لأمراض القابوب شفاً ، ولسهر الجفون غفاً ، عرفتمونا فيه
بما سناه الله لكم من الفضل الكبير ، وأنه سبحانه يفتح لكم الأبواب التي
أبهمت ، ويحل بسعدكم العرى^(٤) التي أحكمت ، ويصل لكم الأسباب التي
فصمت ، وأن جيشكم المنصور ، افتتح المدينة^(٥) عنوة وقهراً واستولى على

(١) وردت في الإسكوريال (وجعلكم) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت مكانها في الملكية (مرتليس سفر) ، وفي الفاتيكانة (مرتلين سفر) .

(٤) واردة في الملكية ، ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانة (لمريه) .

[من كان بها] من الفُرسان والرجال قسراً ، وإن تلك الجهات التي تخالفكم قد اضطربت [وعن هَيْبَة] مقامكم أعربت ، وأنكم على قدم الحركة التي جعلتم فيها التوكل على الله دليلاً [والاستعانة به ولياً ^(١)] وقبيلاً ، وكان بكم ، وقد سلك الله بكم من الظهور واليُمن البادئ السُفور سبيلاً ، فارتحنا لهذا النبأ ، الذي شفا منا غليلاً ، وسجب على آمالنا الضاحية ظلاً ظليلاً ، فجميع ما ينالكم من عناية الله وتأييده سهمنا فيه المعلن والرقيب ، ولنا فيه المحظ الوافر والنصيب ، فأعمالكم في هذه الأقطار الغريبة لا تخيب ، ولا يضيعها الشاهد الرقيب . وخاطبناكم في كتابنا هذا نشكر في التعريف فضل مجدكم ، ونحمد الله على ما كيّفه من سعدكم ، ونسله أن يبلغكم من عنايته تمام قصدكم ، ونقرر لديكم ما عندنا من التشجيع الذي موارد على كدر الزمان صافية ، وسجيته على تقلبات الأحوال ثابتة وافية ، ومعرفتكم بما تقرر لدينا من ذلك عن تقريره بحمد الله كافية . وإن ذهب مقامكم حرس الله أكناف جلاله ، إلى ما يخص هذا القطر من أحواله ، فإن سلطان قشتالة أصابه مرض ، أفضى به إلى زمانة مقعدة أو وقعت بينه وبين الزعماء الغزمانيين وحشة مبرقة مرعدة ، أشعلوها ببلادهم ، وكشفوا وجه عنادهم ، وسلطان برجلونة يرليان آخر نواحيه . يستدعى قومه إلى المفاوضة [في وحشة وقعت بينه وبين أخيه ^(٢)] وأهل هذه البلاد المنقطعة ، قد أنسوا بوُحشة عدوهم ، وشاموا بارقة الأمن في رواحهم وغدوهم ، ويرجى أن يكمل الله سرورهم ، ويشرح صدورهم ، بما يتصل بهم من وفور نعم الله لديكم ، وتوالى غمائم السعادة عليكم . وجهة الغرب ليس عندنا فيها زيادة على ما وصفتم ، وما حدث ببعض جباله من الحال التي تعرفتم ، وما أشرتم به في قضية من بأمرية جرسها الله من خدامكم ، فلم يمنعهم من اللحاق بمقامكم إلا ما يُحذر من غائلة

(١) هذه العبارة واردة في الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الخاضرتين واردة في الملكية والفاتيكانة ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

البحر ، الذى عدّوه فى الوقت موفور ، واقتحامه مخوف محذور ، والله تعالى يمين
بجمع كلمة الإسلام ، ويعرف أهله ما عودهم من نعمه الثرة وآلائه العظام .
وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله
وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ .

وكتبت فى ذلك

المقام الذى أغراضه موفاة الحقوق ، ومخائل برّه صادقة البروق ، وقواعد
ودّه^(١) لا تعارض بالفروق ، وأنبياء مجده تتلى مع الغروب والشرق . مقام
محلّ أختينا الذى نيتنا فى وده أبلغ من الأعمال ، وإن كانت والحمد لله بالغة ،
[وشموس جميل اعتقادنا فيه لا تزال لايحة بازغة]^(٢) فلا نزال نلبس من
موالاته الكريمة حلّة سابعة [ونتعرف منها نعماً سابعة]^(٣) السلطان الكذا
[أبى الحسن]^(٤) أبقاء الله معروف الحق ، حائزاً فى ميدان السعادة قصب السبق ،
مغيث الغيث صادق البرق ، معروف الحلم والفضل فى الغرب والشرق . معظم
قدره ، وملتزم إعظامه وبره ، المثابر على مواصلة حمده وشكره ، الأمير [عبد الله
يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر]^(٥) سلام كريم
[طيب برّعيم]^(٦) يخصص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ميسر المآرب ، ومبين المذاهب ، ونشكره على آلائه الهامية
السحائب ، حمداً وشكراً ، يتكفلان بمزيد المواهب . والصلاة على سيدنا ومولانا

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاثيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) زائدة فى الملكية والفاثيكان .

(٥) هذا التعريف وارد فى الملكية والفاثيكانة ، ومكانه فى الإسكوريال (فلان) .

(٦) هذه العبارة واردة فى الفاثيكانة ، وساقطة فى المخطوطين .

محمد رسوله الهادى إلى السبيل الواضح، والنهج اللأجب، الذى بجاهه نعتصم
عند النوائب ، وببركته نستفتح أبواب المطالب، والرضا عن آله وأصحابه
الكرام الخلال والضرايب ، الذين خلفوه فى أمتهم [بالسير الجميلة والمناقب]^(١)
ودافعوا أعداءه بالسمر المواضى والبيض القواضب ، وكانوا من بعده كالنجوم
الثواب ، والدعاء لمقامكم الأسمى بأعزاز العجائب ، ولا زال حالا من هضاب
المجد^(٢) بأعلى المراقى والمراتب ، متكفلاً سعيه بعواقب الحسنى ، وحسن العواقب .
فإننا كتبناه إليكم^(٣) من حمراء غرناطة حرسها الله ،
ولا زايد بفضل الله سبحانه إلا الخير الواكف الدرر ، واليسر
المشرق الغرر . والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله . وعندنا لكم
وُدٌ مشرق قسامه ، وخاوص وافرة أقسامه ، وتشيع تشهد به ليالى الدهر وأيامه ،
وإلى هذا [أيد الله أمركم]^(٤) ، [وأعز بتأييده نصركم]^(٥) فإننا وقفنا على
كتابكم الكريم الوفاة ، السافر عن السعادة ، الذى وجهتموه مع خديكم فلان^(٦)
وصل الله عزته ، وتعرفنا بما التمسه من كان بأمرية حرسها الله ، من عفوكم
الممنوح ، وما أظهره من الطاعة إلى على سلطانكم والجنوح ، وما ارتاحوا إليه
من الوفاة [على بابكم المفتوح]^(٧) وأنكم بذلتم لهم فى ذلك ما سأأوه ، وأنلتموهم
ما رغبوه^(٨) ، وهى سجية بذرتكم فى أرض السياسة زرعتها ، فأينع نباته وأثمر ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (بالسير الجليلة المناقب) .

(٢) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) لم يزد بعدها فى المخطوطين ، ولا فى الفاتيكانة العبارة المعتادة .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (أيدكم الله ونصركم) .

(٥) واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانة .

(٦) ورد اسم هذا الخديم فى الملكية والفاتيكانة كالاتى (خديمكم الشيخ الأجل الرفيع الأخطى المبرور

أبى سرحان سعد بن يوسف بن فتح الله) .

(٧) هذه الزيادة واردة فى الملكية والفاتيكانة .

(٨) فى الفاتيكانة (أملوه) .

وعاملتم فيها الله فزكى فيها المتجر ، وخاطبتموهم ^(١) بمجهود الشفقة التي تجبر الأحوال ، وتجمع الشمل بالأوطان وتخلّف الأموال . شكر الله ذلك الجلال ، وكافاً ذلك الكمال . وأشرتم علينا أن نعينكم ^(٢) على هذا الغرض ، ونيسر لكم أسباب القيام بهذا الواجب المفترض ، ولم يضل كتابكم هذا بما يعلمه من أوصله من خدامكم ، وأولياء مقامكم ، إلا ونحن قد عملنا فيه العمل الذى يرضيكم ، وتمننا الأرب بما يحق لمعاليتكم ، وألقينا إلى الشيخ الأجل أبي ثابت الهنتاني : أعزه الله ، في هذا المعنى بالمشافهة ما يغبطه بالقدوم عليكم ، والتزم ما لديكم ، وأصحبناه منا مخاطبة في شأنه إليكم . فانصرف عنا قريير العين ، منشرح الصدر ، واثقاً بقبول مقامكم الرفيع القدر ، وعيننا من أسطولنا من يتولى الخدمة في هذا الأمر . فلما ورد علينا كتابكم الآن ألقى حاجة قد قضيت ، ومثابة كريمة قد أرضيت ، وحقوقاً واجبة قد وقيت ، وموارد ووداد قد أعذبت وأصفيت ، والخواطر إذا طابت كفيافة إن شاء الله ببلوغ الآمال ، والنيّات أباغ من الأعمال . واو ذهبنا إلى تقرير ما لدينا فيكم من الحب الواضح الشواهد ، والاعتقاد الكريم الموارد ، والتشيع الراسخ القواعد ، لضاق الكتاب عن تقرير ما لدينا ، ولم يقدّر بعشر ما يخفيه من حبكم ما أبدينا ، وإلى الله نكل العلم بذلك ، ونسأله أن يسلك بنا من الإعانة على ما فيه رضاه أوضح لمسالك [وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم] ^(٣) والسلام ،
وصدر عنى أيضاً

وكلمنا تقدم في هذه الترجمة من

أوليات ما كتبت به

المقام الذى عقود سعده متناسقة ، ووعود دهره بإعزاز نصره صادقة ،

(١) وردت في الإسكوريال (وخاطبتموه) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (نعينهم) ، لهم .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الملكية والفاتيكانة ، وساقط في الإسكوريال .

وجياد مكارمه سابقة متلاحقة ، وعناية الله بؤودها^(١) عليه خافقة . مقام محل
أخينا الذى من أنصاره القدر والقضاء ، ومن خلاله السماحة والرجاحة والمضاء ،
ومن سجاياه^(٢) الصّبح والمنح والإغضاء . الساطان الكذا أبقاءه الله ، تُسَطَّر فى
ديوان المجد أخباره ، وتروى على الأيام مآثره^(٣) وآثاره . ويقضى فى أعدائه
وأوليائه اختياره ، وتُمد أوطانه ، وتُيسر مآربه^(٤) وأوطاره . معظّم مجده الذى
تعظيمه حكم لا يبدل ، وإجلاله فرض لا يضيع ولا يُهمل ، المثنى على مكارمه
التي غمر منها الفارض المُسبل ، وكرّم الآخر منها الأول . الأمير عبدالله ،
فلان بن فلان^(٥) . سلام عليكم [يخص مقامكم الأسنى ، ومثابتكم التي تأسس
من أصالتها المبني ، وتطابق منها اللفظ والمعنى]^(٦) ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله واصل أسباب المزن^(٧) ومواليها ، ومُسدى الآلاء الرّغاب ،
إلى من هو أحق بها من أهليها ، وجامع كرامات^(٨) الإسلام ، ليرفع قواعده
ويُعاليها ، ومجازى من أخلص النية لعباده بالعناية التي تروق عيون مُجتنأيها .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، ذى الرسالة التي بهّرت معاليها ،
والآيات التي لا يَمَلُّ تأليها ، على تعاقب العصور وتواليها ، حافظ الأمة بما عقد
من سياج العصمة وكأليها ، ونبي الرحمة الذي لا يزال فى حال الحياة^(٩) والممات

(١) وردت فى الإسكوريال (بقودها) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٢) فى الفاتيكانة (بحيته) .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن

فرج بن نصر) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانة ، وفى الملكية (التوفيق) ، والأولى أرجح .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (كلمة) .

(٩) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

يوليها . والرضا عن آله وأسْرته وصحابته وعِترته الذين ذادت عنه بصفاحها الماضية وعواليها ، وكانت الأُمته من بعده ، كالنُجوم الزاهرة إذا أربدت لياليها . والدعاء لمقامكم الأعلى ^(١) باتصال الصنائع الإلهية ، التي لا يزال لسان السنان ^(٢) يملئها ، وتوالى السعادة التي تُبلى الزمان ولا يُباليها ، فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً جديداً ، وجدداً سعيداً ، ولا أعْدمكم فضلاً منه ومزيداً ، وعرفكم عوارف اليُمن كلما رميتم غرضاً بعيداً . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولدينا من جميل الاعتقاد في أصالتكم الرفيعة العماد ، مالا يزال موصول السبب ، واضح المذهب ، متحلياً من الصّدق والوفاء بالعلّاء المذهب . وكيف لا يكون التشيع ^(٣) إلى مقام تلك الأخوة الكريمة الذي به يُتجمل ، ورواقنا الذي به نتظّل ، وعُدَّتْنا التي بها نقول ونفعل ، وقد تواترت من فضائلكم قبيلنا ما يُعجز الشكر والحمد ، ويستحق الخلوص والود ، أبقى الله مقامكم ^(٤) عُدّة للآمال ، متكفلاً للدين بباوِغ الآمال ، جليل العلي ، على الجلال ، منيل المواهب موهوب النوال ، متعرفاً عوارف النجح في جميع الأحوال . وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإن كتابكم الأكرم ، طلع علينا منه شهاب وقاد ، وتأرّج منه لدينا نسيم عطر ، خاوض واعتقاد ، إجتلينا منه أنباء ذلك المقام الذي عَصُد ^(٥) الله له مصاحب ، وسبيل سعده لاحب ، تعرفون باتصال المواهب ، ووضوح المآزب ، واضطراد التوفيق العذب المشارب ، واتساق العناية المتكفلة ببلوغ المآرب . فسررنا بما كان من انتظام النصر لكم واضطراد ^(٦) السعد في

(١) في الملكية والفاتيكانة (الأسنى) .

(٢) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٣) واردة في الملكية والفاتيكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) واردة في الملكية والفاتيكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانة (صنع) .

(٦) واردة في الملكية والفاتيكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

مجاله ، واستخلاص الأمر واستكماله ، وسعادة ذلك الملك ونجاح أعماله ، وسألنا الله أن يزيدكم من مواهب أفضاله ، ويعرفكم من عوارف الخير ما يروى الإسلام بزلّالته ، ويستند إلى أروقته الوارفة^(١) وظلاله . فأنتم ملجأ المسلمين^(٢) إذا رماهم^(٣) العدو بأهواله ، وناصرهم الذى [يسمع دعاءهم]^(٤) فيسمع فى الله بنفسه النفيسة^(٥) وما له . فكتبنا هذا إلى مقامكم نقرر من ودكم ما ثبت وتقرر ، وتردد وتكرر ، ونخلّص بالحق والمُشاهدة وتحرر . وقد علم الله والناس أن وُدادنا فيكم أصبى مورداً ، وأوضح مقصداً ، وأبعد فى مَرْضات الله أمداً ، من أن يحصره تقدير^(٦) ، أو يشرّحه تفسير ، فثقوا بما يسرّ مما يتعاقب لديكم من السعد الجديد ، والعمر العريض المديد ، ونهتكم بالصنع السامى المجيد ، ونضرع لكم إلى الله فى اتصال المزيّد ، ونعلم أن ما يترادف لديكم من مواهب الله كفيل لمن بهذه الجزيرة الغربية بالنصر والتأييد^(٧) ، والله يصل سعدكم ، [ويحرس مجدكم]^(٨) والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبت أيضاً فى غرض تقرير المودة

المقام الذى جياّد سعده^(٩) إلى الغاية القُصوى ذات استِيقاق ، وأكواسُ فتوحه المؤيدة بفضل^(١٠) الله وروحه ، تحثها أيدي اصطباح واغْتِياقٍ ، وعقود حمّده^(١١)

(١) واردة فى الفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الإسلام) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (رماه) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانة .

(٥) زائدة فى الملكية والفاتيكانة .

(٦) وردت فى الإسكوريال (تقصير) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٧) وردت فى الإسكوريال (البأس) ، والتصويب أنسب للسياق .

(٨) وردت فى الملكية والفاتيكان ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٩) فى الفاتيكانة (سعوده) .

(١٠) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بملائكة) .

(١١) هكذا فى الملكية والفاتيكان وفى الإسكوريال (سعده) .

ذات انتظام فى لَبَّاتِ الليالى واتَّساق ، وآثار مجده كواكبُ آفاق ، وأحكام
وُدّه مذاهب إجماع وإصفاق ، فله من عناية الله وَاق ، ومن عصمته أَى رِواق ،
والقلوب على طاعته ذات اتفاق ، وجداول سيوفه قد آلت ألا تُبقى على الأرض
شُعْبَة ^(١) نفاق . مقام محلّ أّخينا الذى قضيا سعده وجوديّة منتشرة ، ورياح
سعده ^(٢) مبشرة ، ووجوه الدين بما ينتجه الله للملكه المكيين [من النصر العزيز
والفتح المبين] ^(٣) مستبشرة ، وقُدرة عزّمه وصفات كماله على توقُّد ^(٤) جلاله متكثرة ،
ونهار نصره آياته مُبْصِرة ، وأقلام اللوح المحفوظ عند قَسَمِ الحدود والحظوظ
مطيلة لا مختصرة ، وموارد العيش الهى لموارد ملكه السنى بادرة خَصْرة . السلطان
الكذا أبّقاءه الله ناصر الكلمة العليا يُمَهِّدُ منها الإيالة ، ويؤسس لها الجلالة ،
ويستدّر من صنع الله الزيادة والإئالة ، معظّم مقامه التعظيم الذى لا يبرح ، وناشر
كماله الذى طيور حمده فى روضات مجده الدهر تَسْرَح ، وجياد [ثنّايه فى
ميدان علائِه] ^(٥) تَسْرَح ، وأقلام إطابة ذكره فى صحف فخره تطنّب ^(٦) وتشرح ،
فلان ، سلام كريم طيب برّ عَميم ، كما تَأْرَج غيث السماء زهره ، وفاض الصبح
على دوحة الليل نهره ، يخص مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته .

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى جعل الفتوح لِمُلْكِكُمْ دِيماً تصوب وتنثال ، والصنائع
عجائب تضرّ بها الأمثال ، وروّى نصركم ^(٧) فى ولائِمِ النّصر العزيز ، والصُّنْعِ
الوحيّ الوفير ^(٨) ، ما أطعنى وسقانى بعد أن عظم الاحتفاء والاحتفال ، وسمّاكم

(١) وردت فى الإسكوريال (شعلة) ، والتصويب من الملكية .

(٢) فى الملكية والفاتيكان (نصره) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) وردت فى الإسكوريال (توحيد) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا فى الملكية والفاتيكان ، ووردت فى الإسكوريال (علاية فى ميدان ثنّاية) . والأولى أرجح .

(٦) فى الفاتيكانة (تسهب) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (نصر لكم) ، وهو تحريف .

(٨) فى الفاتيكانة (الوجيز) .

فارس هذا الملك لما ذكركم لنظم مُنتشر السلك ، فصدقت السمة ونجح الفأل .
ففيهما رمت غرضاً أصابته شاكلة النبال ، ومهما أثرت عزمًا رَجَفَت العجبال ،
ومهما أردتم رأياً نجحت بعده الأعمال ، ومهما خطبتم عناية الله تسنت منها
الآمال ، ومهما رمت وجهة ، صَحِبَ ركابكم اليُمنُ والإقبال : والصلاة على سيدنا
ومولانا محمد رسوله ، ونبيه الذي خُتم به النبيون والإرسال ، الملجأ الذي له
الآفئاء الوارفة الظلال ، والمورد الذي هو العذب الزلال ، نور الله الذي لا يفارقه
التمام حسب وعده والكمال ، وآيته التي لا يالحقها الدُّثور ولا الاضمحلال ،
الهادي إلى الحق وقد ارتبك الظلام واشتبك الضلال ، صاحب المقام المحمود إذا
اشتد الظمأ وعظمت الأهوال ، والشفاعة المذخورة إذا شهدت الجوارح وحقق
الحساب ودقق السؤال ^(١) . والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وأتباعه
والصحابية والآل ، سيوف جلاده ^(٢) إذا اشتد النزال ، وأُسيه جداله إذا انجمي ^(٣) في
الدين الحجاج وتعوطي الجدل ، والنجوم الزاهرة من بعده في سما دينه التي
سمت منها الخلال . فبهم عرف الحرام والحلال ، ووضحت المقاصد وزال ^(٤)
الإشكال . والدعاء لمقامكم الأعلى بالصنع ^(٥) الذي رحب منه المجال ، والنصر الذي
زان ^(٥) منه الجمال ، والعز الذي لا يرومه المقال ، والسعد الذي تساعده المطالع
والمواضع والاجتماع والاستقبال ، ولا زال ملككم يرضى منه في أعداء دين ^(٦) الله
النصال ، وتخدمه البكر والآصال ، ويتجدد بينه وبين عناية الله الاتصال .
فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم فتوحاً منظومة ، ومنوحاً باليزيد موسومة ،

(١) في الفاتيكان (الحساب) .

(٢) وردت في الفاتيكان (جياده) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانة (عمل) .

(٤) وردت في الإسكوريال (النصر) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٥) في الملكية والفاتيكانة (راق) .

(٦) زائدة في الفاتيكانة .

وصنایع فی صحف الأيام مرسومة ، وعناية إلهية منطوقة دلالتها ومفهومة .
من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله واكفّة ، ومواهبه مترادفة ، ومذاهب
التشيع على رسوم الاعتماد الجميل^(١) عاكفة ، وركائب الاستمداد بركن مقامكم
الرفيع العماد طائفة . وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، كما شرح
لشكر أنعمه صذرکم ، وأعلى بإضمار ما يرتضيه أمرکم . فإننا ورد علينا كتابكم
الكریم الوفادة ، الذي رقمته أطراف اليراع ، وإنهاء الصنّاع ، وجادته سحائب
الإبداع ، فجاء روضة ذات إيناع ، وما على الصبح غطاء ، ولا على الشمس قناع .
تعرفون اتساق الطاعة ، وخطبة البلاد الإفريقية لإمرتكم المطاعة ، وما كان من
دخول أشياخ القبائل الذين سمّيت في دينها أفواجاً ، وأن دواء السياسة الفارسية
أوسع أدوائها علاجاً ، وملاً القلوب منها بعد الهم ابتهاجاً ، وأنكم أعدتم حاجبكم
إلى سدّ مدينة بجاية بعد التقدم عليكم بمن خلصت نيته من أعيانها ، وما اعتمدتم
به تلك المثابة من إحسانها ، وما ضمن وليكم الشيخ أبو يعقوب من إصلاح
شأنها ، وتمهيد أوطانها ، وإطفاء نار عدوانها .

ومنه : وإن تشوّقتم إلى ما تزيّد في هذه البلاد من الأخبار بما يقتضيه فضلكم
الباهر الأنوار ، فاعلموا أن صاحب قشّالة توجّه في هذه الأيام إلى بلاد [خوان
منوال] ^(٢) التي هلك صاحبها ، والتبست مذاهبها لينظر في مصرف أمرها ، الذي
رجعت إليه ، وأحكامها الذي توقفت عليه ، بعد أن صالح القنّد أخاه ، الذي
كان له حريباً ، وعليه ألباً ، ووجّه إلينا رسوله ، يعرفنا بعزمه إلى منازلة حصن
بُلى المخالف لطاعته ، الخارج عن حكم جماعته ، وطلب منا مدداً كثيراً من
الرماة والرجال ، وإعانة على القتال . فراجعناه بأننا إنما نقف في المدد عندما

(١) زائدة في الملكية والفايكانة .

(٢) في الفايكانة (جوان منوال) .

وقع به الشرط ، وتضمنه العمد والربط ، من تعيين ثلاثمائة من الفرسان ، يكونون في جملة أتباعه ، يستظهر بهم على من يخالفه من أشياعه بطول ثلاثة أشهر من العام الذى يتوجه فيه إليهم احتياجه ، ويصح في تعيينه بسبب الصلح احتياجه . ويوم كتبنا هذا كان رسولنا إليه متوجهاً في هذه الأمور . والله يُطلع على ما يكون فيه للإسلام سبب^(١) الظهور . عرفناكم بذلك عملاً على برِّكم الماثور . وما يتزيد فمقامكم يطالع به صلة السبب البر بسببه . والسلام الكريم يخصصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى تتراعى إلى اتصال سعادته منا الآمال ، وتتوارد [على التماس]^(٢) مرَّضاته النيات منا والأعمال ، ويتعمد إخضاعه ما تدعو إليه المودة ويوجبه الإدلال ، ويتعرف منه على مر الأيام الفضل والكمال . مقام محل أخينا الذى له القدر السامى ، والرَّفْد الهامى ، والسَّعد المصيب المرامى ، والنصل الدامى ، والرأى الإلهامى ، والمآثر التى يتدارسها العراقى والشامى : السلطان الكذا ، أبقاء الله متصلة بالسعد أسبابه ، مقصوداً بجانب الثناء جنابه ، غاصاً بوفود التعظيم بابيه ، تُفرق لسطوته أعداء الله ، وترتاح لنصرته أحبابه ، معملاً فيما يرضيه حزمه وعزمه وركابه ، مؤنسة في حومة الحرب كتيبته وفي حالة السلم كتابته ، معظم قدره الرفيع العالى ، المعتمد بملكه الشهير المعالى ، والمثنى على فضله المتوالى . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم طيب برِّ عميم ، يخصص مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

(١) زائدة في الفاتيكاة .

(٢) هذه العبارة واردة في الفاتيكاة ، وساقطة في الإسكوريال والملكية .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي شَمَلْنَا فَضْلَهُ ، وَنَهَجَ لَنَا مِنَ التَّحَابِّ مِنْهُجاً تَفْضِي إِلَى السَّعَادَةِ سَبِيلَهُ . فَالَّذِينَ مُتَّصِلَ حَبْلُهُ ، مُجْتَمِعُ شَمْلُهُ ، وَالْأَمْنُ مَدِيدُ ظَلُّهُ ، وَالْيُمْنُ رَحِيبُ مَحَلُّهُ ، وَالْإِسْلَامُ مُتَحَقِّقُ عِزِّهِ ، وَالْكَفْرُ مُتَوَقَّعُ ذُلُّهِ . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ ، وَبِيَدِهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، الَّذِي بِهِ خَتَمَ ^(١) رِسْلَهُ ، وَالَّذِي بِغِنَاءِ جَاهِهِ نَأْتِي رَحْلَ الرِّجَاءِ وَنَعْلَهُ ، وَبِحَبْهِ نَسْتَدْرُ خَلْفَ السَّعَادَةِ فَيُدْرِرُ رِسْلَهُ . وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَحْزَابِهِ وَأَشْيَاعِهِ الَّذِينَ عَزَّيْهِمْ نَصْرُهُ ، وَمُضَى فِي الْأَعْدَاءِ نَصْلُهُ [حَتَّى سَمَا فَرَعَ دِينَهُ وَثَبَتَ أَصْلُهُ] ^(٢) وَرَمِمَ بِالْعِزِّ جَنْسَهُ وَفَصْلَهُ . وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِكُمْ الْأَعْلَى بِالنَّصْرِ الَّذِي لَا يَنْفَضِلُ سَبَبُهُ ، وَلَا يَنْفَصِمُ وَصْلُهُ ، وَالسَّعْدُ الَّذِي تَصِيبُ أَغْرَاضَ الْأَمَالِ نَبَاهُ ، كَمَا خَصَمَكُمْ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَسْعَ جَهْلُهُ ، وَذَخَرَكُمْ لِنَصْرِ الدِّينِ يَوْمَلِ دِفَاعَكُمْ نَاشِئُهُ وَكِهَاهُ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْعِزِّ أَوْفَاهُ قِسْماً ، وَمِنَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ أَوْضَحَهُ رَسْماً ، وَمِنَ السَّعْدِ [الْمُسَاعَدِ أَثْبَتَهُ] ^(٣) رَسْماً ، وَأَكْرَمَهُ اسْماً وَمُسْماً ، وَلَا زَالَتْ بِعِزِّكُمْ حُوزَةُ الْحَقِّ تُحْمَى ، وَشَاكِلَةُ النَّصْرِ تُرْمَى . فَإِنَّا لَوْ تَنَخَّلْنَا آمَالَنَا ، وَاعْتَبَرْنَا بِمَعْيَارِ الْإِخْتِيَارِ أَعْمَالَنَا ، لَوَجَدْنَا صِلَةَ وَدُّكُمْ لِأَبَائِهِ ، وَحَسْبِنَاهَا جِسْماً وَقَوَى التَّشْيِيعَ لَكُمْ أَلْبَابُهَا ، وَبُودُنَا لَذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ الْمُخَاطَبَاتُ تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ أَجْزَاءِ الزَّمَانِ وَتَتَنَظَّمُ عَلَى السَّاعَاتِ انْتِظَامَ الْجُمَانِ . فَلَا نَزَالَ نَشَابِرُ عَلَى ذَلِكَ بِجَهْدِ الْإِمْكَانِ ، وَنَعْذِرُ الْعِزْمَ مَهْمَا احْتَجَّ بِنَزْوَحِ الْمَكَانِ ، وَإِنَّا الْآنَ وَجَهْنَا مِنْ يَجِدُ الْعَهْدَ بِهَذَا الْغَرَضِ ، وَيَقُومُ مِنْهُ بِالْوَاجِبِ الْمَفْتَرَضِ ، وَيَصْحَبُ مَا حَمَلَ الْإِدْلَالَ عَلَيْهِ مِنْ قَائِلٍ ، سَوَّغَهُ الْفَضْلُ الْكَثِيرُ ، وَيَسِيرَ بِحُلِّ غِنَاءِ الْمَجْدِ الْكَبِيرِ ، مِنْ مَطَايَا تَشْرِفَتْ بِمُخْدَمَتِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعْتَادٍ يَتَوَسَّلُ إِلَى قَبُولِهِ بِمَا سَبَقَ مِنْ أَدَمَّتِهِ ، وَهُوَ

(١) وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَمَكَانَهَا بِيَاضُ بِالْإِسْكُورِيَالِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَسَاقَطٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَارِدٌ بِالْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَمَكَانُهُ بِيَاضُ بِالْإِسْكُورِيَالِ .

فلان . وألقينا إليه من تقرير الوُدِّ ما يرحى أن يضطلع به ، وإن كان تحصيل حاصل : وتوصيل واصل ، ولما نعلمه من تشوُّف مقامكم الأعلى للأخبار ، بمقتضى عنايتكم المشرقة الأنوار ، نعرفكم أنَّ الرسول الذى كننا وجهناه إلى صاحب قشتالة فى هذه الأيام متطعاً على أحواله ، وما توجهت إليه وجوه أعماله ، والكلام فى حقوق المسلمين قبل أرضه ، وبأيدي رجاله ، وصل مجالاً فى الشكايات على من عينه هو من ظهراء محاله ، مستوعباً جميع أنبيائه فى مقامه وارتحاله . فأنخبر أنَّ أمور الصُّلح جارية على مجاريها ، وأنَّ أحواله لا زيادة فيها ، وأنه متفرغ لاسترجاع ما كان لوزيره الفار عنه من البلاد ، وماله من الطَّارف والتَّلاذ ، يعرض على معاقله ، لإقامة الحجة نفسه : ويواصل بيومه فى الجدِّ فيهم أهله . والوزير المذكور قد لجأ إلى كنف غيره : واستشعر الحذر فجذَّ فى سيره : وإن هذا الشاغل فى الوقت هو همُّه الذى نُصب عينيه ، وجده مصروف إلى اقتضاء دينه ، وأنَّ الأمور ببركة الاعتداد بكم ملحوظة ، والعهود محفوظة ، والله يصل إشغالهم ، ويمكن فى الفتنة إيغالهم ، ويعلى بعز نصركم كلمة الإسلام ، ويجعل لكم الطائفة على أعداء الدين وعبدَةِ الأصنام . بادرنا لكم بالإعلام بمقتضى الود الثابت الأحكام . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى لا يُغفل من برِّه واجب مُفترض ، ولا يقَدِّم على التشيُّع فيه غرض ، مقام محلِّ أخينا الذى له القَدْر السامى والرُّفد الهامى ، والعز السعيد المرام البعيد المرامى . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاءه الله كريم الخلال ، رفيع الجلال ، مُبلِّغاً من فضله أقصى الآمال ، معظِّم قدره ، وملتزم بره ، القائم

بواجب حمده وشكره ، العارف بأصالة حسبه ، وكرم نجره . فلان . سلام
كريم ، طيب برِّ عَمِيم : يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على آلائه الوافية ، ومُنَّه الكافية ، وألطفه الظاهرة
والخافية ، والصلاة على سيدنا محمد ذي المعجزات البادية والآيات الهادية . والرضا
عن آله وأصحابه أولى المكارم الباقية ، والأعمال الصالحة الراقية . والدعاء
لمقامكم الأسمى بالعناية الصافية ، [واتصال النعم الضافية] ^(١) ، ودوام البشر
والعافية . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من الخيرات أوفرها نصيباً ، وأثبت
لكم في ثغرة السداد سهماً مصيباً ، وخول ^(٢) ملككم الأعلى ^(٣) في أعداء الله صنماً
عجيباً ، وهياً لكم من لدنه نصراً عزيزاً وفتحاً قريباً . من حمراء غرناطة ،
حرسها الله ، وعندنا من التعظيم لجلالكم مالا يزال متصل الذمام ^(٤) ، على توالى
الأيام ، ومن التشيع لمقامكم آيات ثابتات الأحكام . ودلائل واضحة الأعلام .
وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا بمقتضى الود الذى رسخت قواعده
ووضحت شواهد ، وتساوى غائبه وشاهده ، لا نزال نسل عن أحوال مقامكم
الرفيعة مصاعده ^(٥) : ونلتمس ما نستفتح به ودكم الذى انضحت في الفضل
مقاصده . وكنا نعرفنا فيما سلف من الأيام أن لملككم اهتماماً بجوارح الصيد
من الطير ، عملاً على شاكلة الملوك الكبار ، في تنويه الملك الرفيع المقدار ،
والاستزادة من آلائه والاستكثار ، وجعل المباح موضوعاً للملاذة حسماً يحققه
الاعتبار . فصرفنا وجه النظر إلى ما يوفد من ذلك عليكم على بابكم ، ويتحف

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والفاتيكانة ، وساقطة في الملكية .

(٢) وردت في الإسكوريال (وتولى) ، والتصويب (من الملكية والفاتيكانة) أنسب للسباق .

(٣) في الملكية والفاتيكانة (الأسمى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانة (الدوام) .

(٥) هكذا في الملكية والفاتيكانة ، وفي الإسكوريال (مقاصده) .

به على جنابكم ، ووجهنا إلى ما نأى من البلاد الرومية في هذا الغرض المروم ، وكلفنا ذلك من يقوم بخدمتنا فيه بالمَحْدُود والرسوم ، واختيرت لنا منه جملة كافية ، وعدة بهذا القصد وافية من الحرَّافين والبُرَّاة وغير ذلك . ولما اقتحمه جالبُها من هول البحار ، وما عارضها من اختلاف الطعام وغوائل الأسفار ، هلك معظمها قبل وصولها وبعده ، ولم يخلص منها إلَّا من استشعر قوة زائدة وشدة ، وتأخرت منيته لكي يحظى بخدمتكم المدة ، وهى ما يصل على يدى بازيارنا ^(١) الخديم فلان . ومجدكم يلقى ذلك بالقبول الذى يليق بفضله ، والإغضاء الذى لا ينكر على محله ، فيعلم الله ما عندنا من البر الموصول لذلك الجلال ، والثناء على ماله من كريم الخلال ، والعمل على ما يوافق أغراضه فى كل الأحوال ، ولنا تشوُّف إلى أحوال مقامكم الذى فى تسنى عافيته منتهى الآمال ، فإن تفضل بإطلاعنا على ما يسر من ذلك بمقتضى الإفضال ، فذلك مما نعهده من غرر الأعمال ، ونحسبه من عيون ما له من الإجمال . والله تعالى يصل لكم أسباب السعادة الضافية الأذيال ، والعافية الكفيلة ^(٢) بتمهيد الخلال . والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى برَّه بعين الملاحظة ^(٣) ملحوظ ، وحقه فى صحف الواجبات المتأكدات محفوظ ، واعظامه تتوفر منه لدينا أقسام وحظوظ . مقام محل أخينا الذى مجده ثابت الأركان ، وعِزُّه وثيق البنیان ، وصنع الله يغنى عن الأثر بالعيان ، ومكارمه على أحاديثها السلوان ، وعزائمه يشهد بها موقف الروح ، وصدر الميذان ، ومقاصده الجميلة كفيلةٌ للإسلام وأهله باليُمن والأمان ، السلطان

(١) هو المتولى شئون البزاة .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الكافية) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية والفايكانة (المثابرة) .

الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله مرفعاً جانبه ، كريمة أنحاؤه ومذاهبه ،
عميمة مواهبه ، معموراً براضى الله تعالى شاهده وغائبه ، مصحبة بتأييد الله
كتائبه ، معظّم مقامه ، ومُلتزَم إعظامه ، المثني على معجده ، في تتابع الدهر ،
وتوالى أيامه ، العتد في جهاد الأعداء بعلّ مقامه ، فلان .

أما بعد حمّد الله الغنى الحميد ، المتكفل لمن اعتمد عليه بالحسن من فضله
والمزيد ، الذى نَسَـله أن يسلك بنا سبيل التوفيق والتسديد [ويمدنا على أعدائه
الكافرين بالإعانة ^(١) والتأييد ^(٢)] . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله
ذى العز العريض المديد ، والشرف الغضّ الجديد ، مظهر كلمة التوحيد ،
الذى لجأه نلجأ فى الأمر الشّديد ، ونَسْتَظْهر بالعدّة الواقية والعديد ، ونرتقب
الصُّنع الجميل ، وضّاح الجبين ، مشرف الجيد . والرضا عن آله وأصحابه
المستولين على الفخر البعيد ، والعز المشيد ، الذين لا تمل أحاديثهم على الإعادة
والتريد ، والدعاء لسلطانكم الأعلى بالسّعد الجديد والجد السعيد ، والنصر الذى
يجلو حدود الصّفا ح رائقة التّوريد ، ويصرف قضاة الصّوارم إلى الاجتهاد من
بعد التقليد . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من أقسام السعادة أوفرها نصيباً ،
وسدّد منكم إلى هدف الحق والتماس الصدق سهماً مصيباً ، وأوضح لكم فى ابتغاء
مرّضاته سبيلاً رحيباً ، كما نصركم نصراً عزيزاً ، وفتح لكم فتحاً قريباً . من
حمراء غرناطة ، حرسها الله ، والوُدّ فى مقامكم الأعلى على أوّله ، والتشيع ينسبى
ماضيه بمستقبله ، والخلوص يعضد نيته بعمله . وإلى هذا أيّد الله أمركم ،
وأعزّ نصركم ، فإننا لما تشابّر عليه من تعرف أنبائكم الكريمة على الأحيان ،
ونرومه من تقرير الوُدّ الصادق الإسرار والإعلان ، رأينا أن وجهنا إلى بابكم

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانيه .

الكریم^(١) بكتابنا صحبة إرسالكم الواصلين إلينا الوافدين علينا من يجدد العهد ، بتقرير ما نبديه من الود ونعيده ، ونلتسمه من جميل اعتقادكم ، ونستزريه ، ونشرح ما لدينا من التشيع الصحيحة أسانيده ، وهو القائد أبو فلان وهو ممن له ببساطنا مكانة ، وله في طرف الرسالة دربة بها وأمانة . أصحابنا إرسالكم ، وصل الله كرامتهم ويمنّ ظعناتهم وإقامتهم ، فألقينا إليه في جميع الجزئيات التي وردوا فيها ما يلقيه ، وحملناه ما يعيده لمقامكم ويبديه مما رجونا حسن منابه فيه . والمراد من مقامكم ، أسماء الله وأعلاه ، وأعانه على ما تولاه ، أن يتفضل بالإصغاء لما لديه ، والقبول عليه ، ومحلكم مؤثر للنصفة ، مثابر على الإنصاف ، من إيثار الحق بأحسن الصفة . والله تعالى يزيد ملككم بسطة وتأييداً ، ويطلع عليكم وجه العناية سعيداً ، ولا يعدمكم من فضله مزيداً ، ويؤتكم من فضله توفيقاً وتسديداً ، حتى يعود ركن الإسلام بكم شديداً ، وظل الأمان على الإيمان مديداً بمنه .

ومن ذلك

المقام الذي يُبدي الفضل ويُعيده ، ويحقّ الحقّ ويشيده ، ويزيح الباطل ويُبيده ، ويسبغ الطول ويفيده^(٢) ، فلا يشرّيب للترّهات جيده ، [ولا يخلق من وُدّه الأصيل جليده]^(٣) ولا ينفق عنده من القول والعمل إلّا ما ظهر صدقه ، وبان تسديده . مقام محلّ أخينا ، الذي برهان وُدّه لا يعارض بالشبهات ، وأصيل اعتقاده لا يُستنزل بالترّهات ، وشمس فضله باهرة الآيات ، وجياد مجده مُستولية على الغايات . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (الرفيع) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (ويعيده) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط في الملكية .

الكذا ، أبقاه الله يُعْطَى الأمور بعقله الرّصين حقوقها ، ويحرس ^(١) أرجاء المودة في الله ، أن تَعْتَاد الأَلَاقي الكاذبة طروقها ، ويُنْجِي على غِرَاس السَّعَايات .
بِتَتَبِع ^(٢) عروقها . معظّم ، مقامه الحقيق بالتعظيم ، مَنْصِباً وسيماً ، وموقّر ملكه توقيراً دائماً مُلْتَزِماً ، المُثْنَى على فضله ثناءً مُتَمِّماً ، الدّاعى إلى الله ، في صلة بقاءه يرفع للإسلام عِلْماً ، ويعمّر من ريع المجد معلّماً . الأمير عبد الله فلان . سلام كريم طيب برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حَمْدِ الله ، مُظْهِر الحق ومُعلِّيه ، يحكم آياته ، وينسُخ ما يَبْقَى الشَّيْطَان ^(٣) وعِلميه ، حتّى يروق وجه ^(٤) اليقين لمُجْتَلِيه ، ويفوز بحُسن العُقْبَى حزبه ومُتَوَلِّيّه ، والصَّلَاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ونبيّه ، الذى جُمِعَ الفضل فيه ، وأنقذ الخَلْق من مهاوى التَّلَف بتلافيه ، فثَبَّت ما كان الضلال يَنْفِيه ، وقُصِّت ^(٥) قَوَادِم الباطل وخَوَافيه . والرضا عن آله وأصحابه وقرابته وذَوِيه ، الذين كانوا نجوم ناديه ، وبروق غَوَاديه ، [وسيوفه على أعاديهِ] ^(٦) ، والدعا لمقامكم الأسمى حراس الله أَكْنَاف معاليه ، وعرفه مُقَدِّم الفتح وتاليه ، وأبقاه لفخر يَبْنِيه ، وأمل للدين يُسْنِيه بالنصر الذى كرمته أَلْفَاظُه ومعانيه ، والصَّنْع ^(٧) الذى عَذَّبَتْ مَجَانِيه ^(٨) ، والصنع الذى يجمع للإسلام شتى أمانيه .
فإنّا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعياً رايته منشورة ، وصنعاً كتائب عناية ^(٩) الله

(١) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (ويحرس) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانه (فيتتبع) .

(٣) واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) في الفاتيكانه (وخصت) ، وهو تحريف .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقطة في الملكية .

(٦) في الفاتيكانه (والسعد) .

(٧) واردة في الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٨) زائدة في الفاتيكانه .

لديه محشودة محشورة ، ومجداً آياته مؤرخة مسطورة ، وقضاياه شائعة ،
 ووصاياه ذائعة مشهورة . من حمراء غرناطة حرسها الله ، والتشيع فيكم قوى
 بسببه جدير أن يتسنى به للإسلام مطلبه ، ويتحصل للدين الحنيف أربه . وإلى هذا
 وصل الله سعدكم ، ووالى تأييدكم وعضدكم ، فإننا ورد علينا كتابكم الكريم
 الأنباء ، الباهر السناء ، السافر عن محيا المودة والولاء ، تعرفون بما انتهى إليه
 حال من عاندكم من التضييق على جهاته ، وأخذكم عليه طريق منجاته ، وأنكم
 أقمتم تلقاء الحصص ، وجرعتموه الغصص ، وإن الحاين الذى دللاه بالغرور ،
 وقدح زناد هذه الشرور ، ورام شق عصا الأمة بعد سكون هذه الأمور وإشراق
 النور ، يعقوب بن أبى عباد ، أورطه الله فى حال مكيدته التى نصبها ، وأشرقه
 بإكلته التى اغتصبها ، وأمكن منه يد قدرتكم التى عودها التمكن ، وعرفها
 العز المكين ، بما جحد من عفوكم الذى ألبستموه ، وحلمكم الذى أولتموه ،
 فأطفأتم بجدول السيف نار شره ، وحسمتم بعلاج اليد سبب ضره ، وأنفذتم
 فيه حكم الله سبحانه ، بمقتضى أمره ، وأنه لما استفهم عن شأنه ، وأسباب خذلانه ،
 ختم عار فعله بعار لسانه ، ورغم أن هذه الفعلة التى ارتكبها ، والدرة التى جلبها ،
 إنما كانت بإشارة من جهتنا اعتمدها ، ورمى أمدها ، وأن مقامكم الذى أقامه
 الله قسطاس من حق ، وعقلكم الذى لا يلتبس لديه باطل بحق ، أنحى على هذه
 الدعوة الخبيثة بالتكذيب ، ولم يعدّها من الممكن القريب ، وأضرب عن قول
 العدو فى الحبيب ، فاستوفينا ما فسرتم ، وحصلنا ما قررتم ، فقابلنا نعم الله عليكم
 بحمده وشكره ، وسألنا لكم مزيد رفده . ومعلوم أن مقامكم محفوف من الله
 بعناية [ملابسها لا تخلق مكنوف برعاية]^(١) أنوارها تتألق ، وأنه سبحانه ،
 قد اختاركم ، وهو أعلم باختياره ، وقلدكم الأمانة ، ولا يفتات عليه فى مقداره ،
 والعجب ممن خفيت عن بصيرته هذه الدلائل والشواهد ، أو غابت عنه هذه

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاثيكاف ، وساقط فى الإسكوريال .

القواعد ، زادكم الله من فضله ، وحكم للملككم باعثناء محله . ونحن نصل
شكركم على التعريف ، ثم على رَفُض [ما ألقاه] ^(١) ذلك الخبيث من الكلام
السخيف ، بين يدي الرعب المخيف ، والحين المُطِيف ، ومقامكم آصل عقلاً ،
وأشهر فضلاً من أن يُضغى إلى كلام يقوم البرهان على بطلانه ، ويشهد الحسن
بخسار قائله ^(٢) وخذلانه ، فالدعوى إذا وقعت من برى الجانب ، واضح المذهب ،
لا تُقبل عن غير دليل يعضدها ، أو شهادة تؤيدها ، فكيف إذا صدرت عن
ناكث غادر ، مسارع إلى شق عصا الأمة مُبادر ، مَسْلُوب العدالة ، يستنجد خدع
النفس الختاله ، ويشاهد في السيف مجرى حَوَائِثِه المُسَالَة . ونحن نكل الأمر
إلى علمكم بسيرتنا ، وسيرة سلفنا في اجتناب هذه الشُّبُهَات ^(٣) ، والإعراض ^(٤)
عن شيم بوارق الترهات ، والتحفّظ عن مداخلة ، الفتن ، مهما وقعت بتلك
الجهات ، ولا دليل أرجح ولا برهان أوضح مما شاهده كثير من خدامكم الذين
بين يديكم ، حسباً تقرر لديكم ، من أن والدكم محلّ أبينا ، السلطان ، الواجب
علينا حقه ، الواضحة في البر والتشيع لدينا طرفه ، لما طلب منا الإعانة ، لما كان
يسّيله ، وصرف إلى الأنجاد في الأجفان وغيرها ، وجه تأميله ، قابلنا طلبه
بالإعذار ، وأمسكنا عن الرّكض في ذلك المضمار ، حذراً أن تكون بيننا ، وبين
تلك الجهات تَرَه ^(٥) تتعقب عن الهدنة ، أو مداخلة في شئ من أسباب الفتنة .
هذا وحقوقه تحجُّنا بالسنة فصيحة ، وتجادلنا بأدلة صريحة . ولكننا اخترنا
الوقف مذهباً ، ولم نُترك للحجّة علينا سبباً . والحال في جهتكم عندنا الآن
أعظم ، والسبيل بحمد الله أقوم ، فإنكم رُدْتُم في البر وأرَبَيْتُم ، وأعدتُم في الفضل

(١) واردة في الملكية والفايكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) وردت في الإسكوريال (أقاول) ، والتصويب من الملكية والفايكانة .

(٣) وردت في الإسكوريال (الشهادة) ، والتصويب من الملكية والفايكانة .

(٤) وردت في الإسكوريال (الأرض) ، والتصويب من الملكية والفايكانة .

(٥) وردت في الملكية والفايكانة ، ومكانها يبايض بالإسكوريال .

وأبديتُم ، وما حمل أخوكم على ارتكاب الخطأ الذى قل ما نجا راكمه ، واقتحام البحر المحيط ، الذى لا تبين مذاهبه ، ولا تُهدى السارين كواكبه [وتقبيل يد العدو الكافر] ^(١) وهو العمل ^(٢) الذى لا تُمحي مثالبه ، إلا لما يئس من مداخلتنا فى أمره الذى أبرمه ، وأعانتة ^(٣) على ما يممّه ، وبعد أن سُدت عليه المسالك القريبة من مرمى أمله ، ولم يجد فينا طمعاً لقبول قوله ولا عمله ، فانفرد بغائلةٍ ضميره ، ولم يُطلع غير طائفته على تدبيره ، فالذى عملتم من رفض هذا القول هو اللأئق بدينكم ، وصدق يقينكم ، فمثلكم لا يرتاب فى أحبائه وأوليائه ، ولا تلتبس لديه مذاهب التشيع لعلائه ، وتعريفكم عندنا مقابل شكر مقامكم الرفيع وثنائه ، على اتصال الدهر ، وتوالى آنائه . والله تعالى يعرفكم عوارف آلائه ، ويُجزىكم عن الإسلام خير جزائه ، وينصر عزمكم على أضداد دين الله وأعدائه . والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادته ، وجرى الفلك الدوّار بحكم إرادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه ، فاضطرد والحمد لله ، جريان عادته ، فوليّه متحقق لإفادته ، وعدوه مرتقب لإبادته ، وحُلّ الصنائع لإلهية تضى على أعطاف مجادته . مقام محل أخينا ، الذى سَهْمُ سعده صائب ، وأمل من كاده خاسر خائب ، وسِرّ الفلك الدوّار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله له تصحبها الألفاظ العجائب ، فسيان مشاهد منه فى عصمة الله وغائب . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله مسدّد السهم ، ماضى العزم ، تجلّ

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاثيكانة ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاثيكانة ، وفى الملكية (العدد) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (وَأَعَانَتْكُمْ) ، والتصويب من الملكية والفاثيكانة .

سعوده عن تصور الوهم ، ولا زال مرهوب الحد ، ممتثل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله ^(١) عند تعود القسم ، فايضاً بفلج الخصام عند لدُد الخصم ، معظّم قدره ، وملتزم برّه ، المبتهج بما يُسنيه الله له من إعزاز نصره ، وإظهار أمره ، فلان ، سلام كريم ، طيب برّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ^(٢) السعيد ، ومثابنتكم التي حازت في الفخر الأمد البعيد [وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد] ^(٣) ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمد الله الذي فسح للكم الرفيع في العزّ مدّاً ، وعرفه عوارف آلائه ، وعوائد النصر على أعدائه ، يوماً وغداً ، وحرس سما علائيه ، بشهّب من قدره وقضايه ^(٤) ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رَصِداً ، وجعل نجح أعماله ، وحُسن مآله ، قياساً مضطّرداً ، قرب مزيد ضرّه ، ضُرّ نفسه ، وهادٍ إليه الجيش أهدي ، وما أسدى ^(٥) . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، نبيه ورسوله ، الذي ملاّ الكون نوراً وهدي ، وأحيا مراسم الحق ، وقد صارت طرائق قِداداً ، أعلى الأنام يداً ، وأشرفهم مَحِداً ، الذي بجاهه ، نلبس أثواب السعادة جُداداً ، ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع أبداً . والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنّته عُمداً ، فأوضحوا من سبيل اتباعه مقصداً ، وتقبلوا شيمه الطاهرة ، عَدلاً وفضلاً وبأساً ونداً ، فكانوا في النهار أَسْداً ، وبالليل ركعاً سَجْداً ، سيوفاً على من اعتدى ، ونجوماً لمن اهتدى ، حتى علت فُروع ملته صُعداً ، وأصبح بناؤها مديداً مَخْلداً . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذي يتصل سرّمداً ، والصُّنع الذي يتوالى مَثْنَى وموَحّداً ، كما جمع للكم ما تفرق من الألقاب ، على توالى

(١) واردة في الملكية والفايكانة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) زائدة في الفايكانة .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في « الاستقصا » ، وساقط في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت في الملكية والفايكانة والاستقصا ، وفي الإسكوريال (فضله) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانة والاستقصا (هدي) .

الأحقاب ، فجعل سيفكم سفاحاً ، وعلمكم منصوراً ، ورأيكم رشيداً ، وعزمكم مؤيداً .

فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم صنعا ، يشرح للإسلام خلداً ، ونصراً يقيم للدين الحنيف أوداً ، وعزاً يملأ أفئدة الكفر كمداً ، وجعلكم من هياً لأمره رشداً ، ويسر لكم العاقبة الحسنى ، كما وعد في كتابه ، والله أصدق موعداً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله . ولا زايد بفضل الله سبحانه ، إلا استطلاع سعودكم في آفاق العناية ، واعتقاد جميل صنع الله لكم في البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم ، تحدى من الظهور على أعدائه بآية ، وأجرى جياذ السعد في ميدان لا يحد بغاية ، وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر إلا لأصحاب الكرامة والولاية . ونحن على ما علمتم من الشُّرور بما يهزُّ للملكم المنصور عطفاً ، ويسدل عليه من العصمة سَجَافاً ، تقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله يصفأ ويصفأ ، وبفقد بين أنبياء مسرته ، وبين الشكر لله حلفاً ، ونعد التشيع مما يقرب إلى الله زُلْفَى ، ونؤمل من أمداده ، ونرتقب من جهاده وقتاً يُكفَّل به الدين ويكفأ ، وتروى هلل النفوس وتشفى . وإلى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعُضدكم ، فإننا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ، ما صدر من الانقياد ، لخدع الآمال ، والاغترار بموارد الآل ، وقال رأيته في اقتحام الأحوال ، وتورط في هفوة ، صار فيها حيرة أهل الكلام في الأحوال ، وناسب من أمركم السعيد ، جبلاً قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ، ومن ذا يزاحم الأطواد ويزحزح العجال ، وأخلف الظن منا في وفائه ، وأضمر هملاً استأثر عنا بإخفائه ، واستظهر^(١) من عدو الدين بمعين قل ما ورى لمن استنصر به زند ، ولا حقق لمن تولاه بالنصر بند ، وأن الطاغية أعانه وأنجده ، ورأى أنه سَهْمٌ على المسلمين سدده ، وعَضْبٌ للفتنة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه والاستقصا (واستعان) .

جرده ، فسخر له الفلك ، وأمل أن يستخدم بسببه ذلك الملك ، فأورده الهلك ،
والظلم الحلك . وعلمنا أن طرف سعادته كاب ، ومنجاة آماله غير ذات انشكاب
وقدم غرة لم يستقر من السداد في غرز ركاب ، وأن نجاح أعمال النفوس ،
مرتبط بنياتها ، وغايات الأمور تظهر في بداياتها ، وعوائد الله فيمن نازع قدرته
لا تجهل ، ومن غالب أمر^(١) الله خاب منه المعول . فبينما نحن نرتقب خسار
تلك الصفقة المعقودة ، وخمود تلك الشعلة الموقودة . وصلنا كتابكم يشرح
الصدر بشرح الأخبار ، ويهدي طرف المسرات على أكف الاستبشار ، ويُعرب بلسان
حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق لخواصنا
الذى يعلمه عالم الأسرار ، فأعاد في الإفادة وأبدا ، وأسدى من الفضائل الجلائل
ما أسدى . فعلمنا منه مال من رام أن يقدح زبد الشنات [من بعد]^(٢) الالتئام ،
ويثير عجاج المنازعة من بعد ركود القتام . هيهات تلك قلادة الله التي ما كان
يتركها بغير نظام ، ولم يدر أنكم نصبتُم له من الحزم حباله لا يفلتها قنيص ،
وسددتم له من السعد سهماً ما له عنه من محيص ، بما كان من إرسال جوارح
الأسطول السعيد في مطاره ، حائلاً بينه وبين أوطاره ، فما كان إلا التسمية^(٣)
والإرسال ، ثم الإمساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال ، فبما له من زجر ،
استنطق لسان الوجود فجذله ، واستنصر بالبحر فخذله ، وصارع القدر فجذله
لما جد له ، وأن خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنسب
إلى نصابة غير سعيدة ، وشأنى عمرته من الكفار خدام الماء ، وأولياء النار ،
فحكمت فيهم أطراف العوالى ، وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحِمام ،
في قبضة الإسار . فعجبنا من تيسير هذا المرام ، وإخماد الله لهذا الضرام ، وقلنا

(١) واردة في الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، ومكانها بياض في الإسكوريال .

تَكْثِيفَ لَا يَحْصُلُ فِي الْأَوْهَامِ ، وَتَسْلِيدَ لَا تَسْتَطِيعُ إِصَابَتُهُ السَّهَامَ ، كَلِمَا قَدَحَ
الْخِلَافَ زَنْدًا ، أَطْفَأَ سَعْدَكُمْ شُعْلَتَهُ ، أَوْ ظَهَرَ الشُّتَاتُ أَلْمَا ، أَبْرَأَ يَمَنَ طَائِرِكُمْ
غُلَّتِهِ . مَا ذَلِكَ إِلَّا لَنِيَّةٍ صَدَقَتْ مَعَامِلَتُهَا فِي جَنْبِ اللَّهِ وَصَحَّتْ ، وَاسْتَرْسَلَتْ
بِرَكَّتِهَا وَسَحَّتْ ، وَجِهَادَ نَذَرْتُمُوهُ ، إِذَا فَرَعْتَ شَوَاغِلَكُمْ وَتَمَّتْ ، وَاهْتِمَامَكُمْ^(١)
بِالْإِسْلَامِ يَكْفِيهِ الْخُطُوبُ الَّتِي هَمَّتْ . فَنَحْنُ نَهْنِيكُمْ بِمَنْحِ اللَّهِ وَمِنْهُ ، وَنَسْلُهُ أَنْ
يَلْبِسَكُمْ مِنْ اغْتِنَائِهِ أَوْفَى جُنْهِهِ ، فَاْمَالْنَا أَنْ تَطْرُدَ آمَالَكُمْ ، وَتَنْجَحَ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ
أَعْمَالَكُمْ ، فَمَقَامَكُمْ هُوَ الْعُمْدَةُ الَّتِي نَقَاتِلُ^(٢) الْعَدُوَّ بِسِلَاحِهَا ، وَتَتَبَلَّجُ ظُلُمَاتُ كُفْرِهِ
بِأَنْوَارِ صِبَاحِهَا ، وَتَنَامُ الْعَيُونَ السَّاهِرَةُ تَحْتَ ظِلَالِ صِفَاحِهَا . فَكَيْفَ لَا نَهْنِيكُمْ
بِضُنْعٍ عَلَى جِهَانِنَا يَعُودُ ، وَبِآفَاقِنَا تَطْلُعُ مِنْهُ السُّعُودُ ، فَتَيَقِنُوا مَا عِنْدَنَا مِنَ الْإِعْتِقَادِ
الَّذِي رَسُومُهُ قَدْ اسْتَقَلَّتْ وَاكْتَفَتْ ، وَدِيعُهُ بِسَابِحَةِ الْوُدِّ قَدْ وَكَّفَتْ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
يَجْعَلُ لَكُمْ الْفَتْوحَ عَادَةً ، وَلَا يَعْدِمُكُمْ غَايَةَ وَسَعَادَةً ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَعْطِي مَقَامَكُمْ ،
وَيَهْنِي الْإِسْلَامَ أَبْيَامَكُمْ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُصُكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ

الْمَقَامَ الَّذِي يُغْنِي عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ بِوُجُودِهِ ، وَيَهْزُبُهُ إِلَى جَمِيلِ الْعَوَائِدِ
أَعْطَافَ بَأْسِهِ وَجُودِهِ ، وَنَسْتَضِيءُ عِنْدَ إِظْلَامِ الْخُطُوبِ بِنُورِ سَعُودِهِ ، وَنَرِثُ مِنْ
الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ أَسْنَى ذَخْرِ يَرِثُهُ الْوَلَدُ عَنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ ، مَقَامُ مَحَلِّ أَبِينَا الَّذِي
رَعَى الْأَذْمَةَ شَانَهُ ، وَصَلَةَ الرَّعْيِ ، سَجِيَّةَ انْفِرَادِهَا بِهَا سُلْطَانَهُ ، وَمَوَاعِدَ النُّصْرِ
يَنْجِزُهَا زَمَانَهُ ، وَالْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، تَكَفَّلَتْ بِهَا يَدُهُ الْكَرِيمَةُ وَلِسَانُهُ ،
وَتَطَابَقَ فِيهَا إِسْرَارُهُ وَإِعْلَانُهُ . السُّلْطَانُ الْكَذَا ، ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا ، أَبْقَاهُ اللَّهُ
مَحْرُوسًا مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ جَنَابِهِ ، مَوْصُولَةً بِالْوَقَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَسْبَابِهِ ، مَسْدُولًا عَلَى

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ وَالْإِسْتَقْصَا (وَاهْتِمَامَ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ ، وَفِي الْفَاتِيكَانَةِ (نَدَافَعُ) .

ذاته الكريمة سترُ الله وحجابه ، مصروفاً عنه من صرف القدر ما يعجز عن رده
بوابه ، ولا زال ملجأً تنفق لديه الوسائل التي يدخرها لأولاده أولياؤه وأحبابه ،
وتُسَطَّر في صحف الفخر نوابه ، ويشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه ،
ويتكفل بنصر الإسلام ، وجبر القلوب ، عند طوارق الأيام كتائبه أو كتائبه ،
معظم ما عظم من كبير حقه السائر من إجلاله وشكر خلاله على لاجب طرفه ،
المستضيء في ظلمة الخطب بنور أفقه . الأمير عبدالله محمد بن أمير المسلمين
أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر ، سلام كريم ،
طيب برِّ عميم يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ، الذي لا راد لأمره ، ولا مُعارض لفعله ، مصرف الأمر
بحكمته وقدرته وعدله ، الملك الحق ، الذي بيده ملك الأمر كله ، مقدر الآجال
والأعمار ، فلا يتأخر شيء عن ميقاته ، ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ
قلقة ، لا يغتبط العاقل بمائه ، ولا ظلّه ، وسبيل رحله ، فما أكتب ظعنه من
جلّه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد [صفوته من خلقه] ^(١) ، وخيرة أنبيائه ،
وخاتم رسله ، الذي نعتمد بسببه الأقوى ، ونتمسك بحبله ، ونمد يد الاقتدار إلى
فضله ، ونجاهد في سبيله ، من كذب به ، أو حاد عن سبيله ، ونصل ^(٢) اليد
ابتغاء مَرْضاته ومن أجله ، والرضا عن أصحابه وأحزابه وأنصاره وآله ، المستولين
من ميدان الكمال على خصله ، والدعاء لمقامكم الأعلى بعز نصره ، ومضاء نصله .
فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم وقاية ، لا تطرق الخطوب حماها ، وعصمة
ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورمائها ، وعناية لا تغير الحوادث
اسمها ولا مسماها .

(١) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكانة (صفوة خلقه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ونمد) .

من حمراء غُرناطة حرسها الله ، ونعم الله تتوافر لدينا دفعاً ونفعاً ، وألطافه نتعرفها وَتَرَأْ وشَفْعاً ، ومقامكم الأبوى ، هو المستند الأَوْفَى ، والمورد الذى تدره آمال الإسلام ، وتهدى إليه أَفْئِدَتِهِمْ ، فتجد ما تهوى ، ومثابرتكم العدة ^(١) التى تَأَسَّستْ مبانيها على البرِّ والتقوى . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وأبقى مجدكم ، فإننا لما نعلم من مساهمة مجدكم ، التى يقتضيها كرم الطباع ، وطباع الكرم ، وتدعو إليها ذِمُّ الرِّعَى ، ورعى الذم ، نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله عن حَوْبَاتِهِ ، وإمتاع الله المسلمين ببقائه ، بما كان من وفاة مولانا الوالد ، نفعه الله بالشهادة التى ألبست حُلَّتَهَا ، والسعادة التى فى أعماله الزكية كتبها . والدرجة العالية التى ختمها له وأوجبها ، وبما تصبَّرَ إلينا من أمره ، وضمَّ بنا من نشره : وسدل على من خلفه من سِتْرِهِ ، وإنها لِعِبْرَةٌ ^(٢) لمن ألقى السمع ، وموعظة تهز الجمع ، وترسل الدَّمْعَ ، وحادثة أجمل الله فيها الدفع ، وشرَّحْ مجملها ، وإن أَّخْرَسَ اللسان هَوْلُهَا ، وأسلم العبارة قَوَّتْها وحولها ، أنه رضى الله عنه لما برز الإقامة سنة هذا العيد ^(٣) مستشعراً شعار كلمة التوحيد ، مظهراً سِمَةَ الخضوع للمولى ، الذى تخضع ^(٤) بين يديه رقاب العبيد ، آمناً بين قومه وأهله ، مُتَسَرِّباً فى حلل نعم الله وفضله ، قريير العين بإكمال عِزِّهِ ، وإجتاع شمله ، قد احترس بأقصى استطاعته ، واستظهر بخلصان طاعته ، والأجل المكتوب قد حضر ، والإرادة الإلهية قد أنجزت ^(٥) القضاء والقدر ، وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته ، أتاه أمر الله لميقاته على حين الشَّباب غَضُّ جِلْبَابِهِ ، والسلاح زاخراً عُبابِهِ ، والدين بهذا القطر ، قد أينع بالأمن جنبابه ، وأمر من يقول للشئء كن فيكون ، قد بلغ

(١) وارده فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (لموعظة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الملكية (العهد) ، وهو تحريف .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (تضرع) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أنفذت) ، والفاتيكانة (أبدت) .

كتابه ، ولم يرعه ، وقد اطمأنت بذكر الله القلوب ، وخلصت الرغبات إلى فضله المخطوب ، **إِلَّا شَقِيٌّ قَيَّضَهُ اللَّهُ لِسَعَادَتِهِ** ، غير معروف ولا منسوب ، [وخبث لم يكن بمعتبر ولا محسوب] ^(١) تخذل الصفوف المعقودة ، وتجاوز الأبواب المسدودة ، وخاض الجموع المشهودة ، والأُمم المحشودة [إلى طاعة الله المحمودة] ^(٢) لا تدل العين عليه شارة ولا بزة ، ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة ، وإنما هو خبيث مرور ، وكلب عقور ، وحيّة سمها وحى محذور ، وآلة منصوبة ^(٣) لينفذ بها قدر مقدور . فلما طعنه وأثبته ، وأعلق به شرك الحين ، فما أفلته ، قبض عليه من الأولياء الخلفاء من خير ضميره ، وأحكم تقديره ، ولم يجب عن الاستفهام جواباً يعقل ، ولا عشر منه على شيء ينقل ، لطفاً من الله أفاد براءة الذم ، وظهر من دنس الظنة من حضر من الأُمم ، وتعاورته للحين أيدي التمزيق ، وأتبع شلوه بالتحريق . واحتمل مولانا الوالد رحمه الله إلى القصر ، وبه ذماً لم يلبث بعد الفتكة العمرية إلا أيسر من التيسير ، وتخلف الملك ، ينظر عن الطرف الحسير ، وينهض بالجنح الكسير ، وقد عاد جمع السلامة إلى صيغة التَكْسِير ، **إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَدَارَكَ هَذَا الْقَطَرِ الْغَرِيبِ** ، بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ، ورفع بنا عماد مملكته ، ولم شعث ^(٤) دينه ، وكان جمع من حضر المشهد من شريف الناس ^(٥) ومشروفهم وأعلامهم ولقيفهم ، قد جمعهم ذلك الميقات ، وحضر الأولياء الثقات ، فلم تختلف علينا كلمة ، ولا شذت منهم عن بيعتنا نسمة مسلمة ، [ولا أخيف برى ، ولا حذر جرى ، ولا فر من فرى ، ولا وقع ليس] ^(٦)

-
- (١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفايكةانة ، وساقط في الملكية .
 (٢) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفايكةانة ، وساقط في الإسكوريال .
 (٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكةانة (مصرفة) .
 (٤) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
 (٥) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .
 (٦) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفايكةانة ، وساقط في الإسكوريال .

ولا استوحشت نفس ، ولا نبض للفتنة عرق ، ولا أغفل للدين حق ، فاستند
الثقل إلى نصه ، ولم نعدم من فقيدنا غير شخصه . وبادرنا إلى مخاطبة
البلاد ، نمهدّها ونسكنّها ، ونقرر الطاعة في النفوس ونمكّنّها ، وأمّرنا الناس
بها بكفّ الأيدي ، ورفع التّعدي ، والعمل من حفظ الشروط المسالمة المعقودة
بما يجدى . ومن شره منهم بالعوار^(١) عاجلناه بالإنكار ، وصرفنا عن النصري^(٢)
ما أوصلوه^(٣) مصحّباً بالاعتذار ، وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده
في صلة السّلم ، إلى أمدها من الأخبار ، واتصلت البيعات بنا من جميع الأقطار ،
وعفّى على حزن المسلمين بوالدنا ، ما ظهر عليهم بولايّتنا من الاستبشار ،
واستبتموا تطير بهم أجنحة الابتدار ، جعلنا الله من قابل الحوادث بالاعتبار ،
وكان على حذر من تصارييف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، وأعاننا على
إقامة دينه في هذا الوطن الغريب ، المنقطع بين العدو الطاغى^(٤) والبحر الزّخار ،
وألمّنا من شكره لما يتكفل بالمزيد من نعمه ، ولا قطع عنا عوائد كرمه ، وإن
فقدنا والدنا ، فأنتم بعده الوالد ، والذّخر الذي تكرم منه العوائد ، والحب
يُتوارث ، كما ورد في الأخبار التي وضحت منها الشواهد . ومن أعدّ مثلكم
لبنيه ، فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه ، وتأسّست^(٥) قواعد ملكه ، وتشيدت
مبانيه ، فالاعتقاد الجميل موصول ، وللفروع في التشيع إليكم أصول ، وفي
تقرير فخركم محصول ، وأنتم رداء المسلمين بهذه البلاد المسلمة ، الذي يعينهم
بإرفاده ، وينصرهم بإنجاده ، ويعامل الله فيهم بصدق جهاده ، وعندما استقرّ

(١) في الملكية والفاثيكانة (للعوار) .

(٢) في الملكية والفاثيكانة (النصاري) .

(٣) في الملكية والفاثيكانة (ما أوصله) .

(٤) وازدة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاثيكانة (وتأسست) .

هذا الأمر الذى تبعث^(١) المحنة فيه المنحة ، وراقت من فضل الله ولطفه فيه الصفحة ، وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم ، وتزاحمت على رقبها المنشور خطوط إيمانهم ، وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم ، وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه ، وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضماهم . بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر ، وأحلى وأمر ، عملاً بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر ، والحب الذى ما مال يوماً ، ولا ازور ، وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الأمر المحذور . وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور ، وإن كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر إعلامكم بالأمور ، إلا أنه أمر له ما بعده ، وحادث يأخذ حده ، ونبعث إلى بابكم من شاهد الحال ، ما بين وقوعها ، إلى استقرارها رأى العيان ، وتولى تسديد الأمور بأعماله الكريمة ، ومقاصده الحسان ، ليكون أبلغ فى البر ، وأشرح للصدر ، وأوعب للبيان ، فوجهنا إليكم وزير أمرنا ، وكاتب سرنا الكذا ، أبو فلان ، وألقينا إليه ، من تقرير^(٢) تعويلنا على ذلك المقام الأسنى ، واستنادنا من التشيع إليه ، إلى الركن الوثيق المبني ، ما نرجو أن يكون [له فيه المقام]^(٣) الأغنى ، والثمرة العذبة المجتنى ، فاهتمامه بهذا الغرض الأكيد ، الذى هو أساس بنائنا ، وقامع أعدائنا ، آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج إليه ، ومدار الحال عليه ، والمرغوب من أبوتكم المؤملة ، أن يتلقاه قبولها ، بما يليق بالملك العالى ، والخلافة السامية المعالى . والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ، ويحفظ مجدكم ، من غير الأيام والليالى . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالى نصركم وعضدكم . والسلام الكريم بخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

(١) ساقطة فى الفاتيكانة .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانة ، وفى الإسكوريال (فى مقام) .

ومن ذلك

المقام الذى برّه ، الفرض الأكيد ، وقصده القصد الحميد ، وتأميله للإسلام وأهله^(١) هو الركن الشديد . [فليباس فخره هو المعلم الجديد ، وسهم سعادته السهم السديد]^(٢) . مقام محل والدنا ، الذى نستولى من تعظيمه على أمده ، ونثابر على برّه ، وتتميم مقصده ، ونرتاح إلى تعرف أحوال محلّ الأخ الكريم ولده . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله قرير العين بشمول العافية فى النفس والولد ، مستولياً من ميدان الكمال على الأند ، على الصيت واليد ، عدّة الإسلام وأهله فى اليوم والغد ، معظم مقداره ، وملتزم إجلاله وإكباره ، المعترف بمآثره الكريمة وآثاره ، والشاكر لفضله العميم فى إيراد وإصداره ، المعتد بمضاغره ، المثنى عليه ثناء [النسيم على]^(٣) الرّوض غبّ قطاره . فلان سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمد الله ، وإصل أسباب الودّ الكريم ، وموضح مناهج القصد القويم ، مُنجد من توكل عليه باللطف العميم . المتكفل لمن شكر بالمزيد منها والتميم ، والصّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرؤوف الرّحيم . الذى أُننى فى كتابه الحكيم على خلقه العظيم ، فبجاهه يتجلّى لنا وجه السعادة فى المرأى الوسيم ، ونلبس أثواب العز رائقة التّسهم ، وبهذه نهتدى فى الليل البهيم . والرضا عن آله وصحبه ، [أولى الفضل الحديث ، والمجد القديم]^(٤) السّائرين

(١) وأردت فى الملكية والفاثيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الجاصرتين وأردت فى الإسكوريال والفاثيكاه ، وساقط فى الملكية .

(٣) ما بين الجاصرتين وأردت فى الملكية والفاثيكاه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاثيكاه (أولى المجد الحديث والقديم) .

(الريحانة - ٣٠)

من أتباع مرضاته على الصراط المستقيم ، الذين ظاهره في حياته بالعزم الصميم ،
 وخلفوه بعد وفاته في أمته بالهدى الكريم ، والدعاء لمقامكم الأسى بالعز الخالد ،
 والسعد المقيم ، والنصر الكريم الإجمال والتقسيم ، والصنع الذي يقضى ^(١) ازتياده
 بنجح المسيم . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه
 ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم ، [أعلى الله سلطانته ، ورفع شأنه] ^(٢) ومهد
 بالعز أوطانه ، إلا الخير الدائم الانسكاب ، واليسر الخفيل الجنب ، والسعد
 المقبل الشباب ، ونحن نتمسك بالوؤد المتين الأسباب ، ونختار من حلل
 التعظيم في آنيق الأثواب ، ونمت بالولاء الخالص والحب اللباب . وإلى هذا
 وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، وشكر غرضكم في نصر الإسلام وقصدكم ،
 فإننا لما ورد رسولنا من بابكم ، مُشرح الصدر بما أولاه مقامكم من البر ، تعرفنا
 منه بأن محل أخينا ، الأمير الأسعد أبا زيان ، أقر الله عين الإسلام بكمال بديره ،
 ووفر برضاكم عنه ، أسباب علو قدره ، وأمتع ببقاء مقامكم ، وانفساح عمره ،
 حتى يسر لكم الله بنجح جهاده ، في طاعتكم ، وإعزاز نصره ، لما عاد من وجهته
 التي لها عينتموه ، وحركته التي بها أمرتموه ، وأصابه ألم ، تدارك الله برفعه ^(٣)
 وإزالته ، وأعاد جسده ^(٤) إلى حالته ، فسألنا الله عز وجل اتصال العافية ، وتوالى
 الألطاف الخافية ، والمواهب الوافية ، وحمدناه على ما أتاح من النعمة الكافية ،
 ومع هذا فلم نقنع ، إلا بمزيد السؤال ، واستطلاع الأحوال [وتعرف أنبائه على
 الكمال] ^(٥) فكتبنا هذا الكتاب نرغب أن يشرح لنا حاله عن أمركم الكريم
 شرحاً يقر العيون ، ويخلص من الشك والظنون ، فإن عافيتنا لدينا ، أهم ما يُلتمس ،

(١) واردة في الملكية والفايكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وازد في الإسكوريال ، ومكانه في الفايكانه ما يأتي (الذي عظم قدركم ورفع شأنه) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بعفوه) ، والتصويب من الملكية والفايكانه .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (فراجة) .

(٥) ما بين الحاصرتين وازد في الملكية والفايكانه ، وساقط في الإسكوريال .

والسرور براحته أبهى ما يُلبس ، وصل الله أسباب عصمته ، ووالى لديه ولديكم ، مواهب نعمته . وألقى إلينا الرسول المذكور ما أشرتم به من تَوْجِيهِ الطَّبِيب لمباشرة إِعْقَاب هذا المرض ، الذى يُرجى أن يكون قد انفصل ، وتَمَام الغرض من الراحة قد حَصَلَ . ولولا أَنَّ الطَّبِيب الذى ذكرتم ، وإلى بَعْثِهِ أَشْرْتُمْ ، كان أَصَابَتْهُ شِكَايَةٌ التزم لها داره ، لأَوْجَبْنَا للوقت والحين بدارَه ، وعلى الأَثَرِ يصلُكم كيف ما تيسَّر ، وعلى أى حال قدَّر ، فلا شَيْءٌ أَهَمَّ عَلَيْنَا من المَسَارعة لانتميم ، ما يعن لأبوتكم من غرض ، لاسيما ما يُرجى به شفاء مرض . فلا تسَلُوا عُمَالَنَا عَمَّا يَهِمُّ مقامكم من اِهْتِمَامٍ بِمَقْتَضَى مالنا لَدَيْكُمْ من وَسِيلَةٍ وَذِمَامٍ ، أَطْلَعْنَا الله من أحوالكم على ما يُرْضَى فى افتتاح واختتام ، وهو سبحانه يصل لكم سعادة لا تُؤذَنُ بِانْصِرَامٍ ، ويحرس مقامكم فى كل مقام ، ويعين على أداء مالكم من حقوقِ جِسام . والسلام الكريم يَخْصُكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى بَهَرَ فضله ، واشتهر عدله ، وسما فى الملوك الصالحين محلُّه ، وتظاهر فى نصر دين الله قوله وفعله ، فمجده واضحة سُبُلُه ، وعِزُّه وارِفٌ ظله ، مقام محل أخينا ، الذى سبب اعتمادنا عليه ، بَعْدَ الله شديد ، الأواخى ، وأمر إشارته ^(١) لدينا محمولٌ على الفَرَز لا على التراخى ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعاً جلاله ، [رحيباً فى السَّعد مجاله ، ميسرة من فضل الله آماله ، ناجحة فى سبيله أعماله] ^(٢) مكنوفة بالعصمة خِلاله ، وارفة بالعزِّ ظلاله ، معظَّمٌ قدره الذى يجب تعظيمه ، وشاكر فضله الذى اتصل بالحديث قديمه ، الأمير فلان . سلام كريم ، طيِّبٌ برٌّ عميم ، يَخْصُ جنابكم ^(٣) الأعلى ورحمة الله وبركاته .

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (مبرته) .

(٢) ما بين الغاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساق فى الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (مقامكم) .

أما بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَوَّلَى النِّعَمَ وَخَوَّلَهَا ، وَوَالَى الْإِنْسَانَ وَوَصَّلَهَا ، وَتَمَّ الْمَآرِبَ وَكَمَّلَهَا ، وَعَرَّفَنَا بِبِرْكَةِ أَبُوتِكُمْ عَوَارِفِ الْعَافِيَةِ ، نَسْحَبُ حُلُلَهَا وَنَحْمَدُ^(١) حَالَهَا وَمُسْتَقْبَلَهَا. وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، الَّذِي شَرَّفَ ذَاتَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى الدَّوَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَقَضَّلَهَا ، وَبَعَثَهُ شَافِئاً أَذْوَاءَ النُّفُوسِ وَعِلَلَهَا ، وَمَدَّ بِهِ أَرْوَاقَ النِّجَاةِ وَسَدَّلَهَا ، خَاتَمَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ [وَإِنْ كَانَ بِالْعَنَاءِ أَوَّلُهَا ، الَّذِي عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِبِرْكَةِ دَعْوَتِهِ]^(٢) وَشَمَلَهَا ، [وَحَمَلَ عَلَى جَادَةِ الْحَقِّ حَمْلَهَا]^(٣) وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِثْرَتِهِ وَحِزْبِهِ ، أَعْلَامَ الْهُدَى ، الَّذِي انْتَخَبَهَا لَهُ وَانْتَخَلَهَا^(٤) وَقَوَاعِدَ الْمِلَّةِ الَّتِي مَهَّدَهَا وَأَصَّلَهَا ، وَشُهَبَ الْاِقْتِدَا الَّذِينَ أَوْضَحُوا مُحَرَّمَ الدِّيَانَةِ وَمُحَلَّلَهَا ، وَبَيَّنُّوا مُجْمَلَهَا ، وَشَرَحُوا قَوْلَهَا وَعَمَلَهَا ، وَالِدَعَا لِمَقَامِ أَبُوتِكُمْ الْأَسْمَى بِالنَّصْرِ الَّذِي يُبَلِّغُ النُّفُوسَ الْمُسْلِمَةَ أَمَلَهَا ، وَيُوفِّرُ نِعَمَ اللَّهِ قَبْلَهَا ، وَالصَّنْعَ الَّذِي يَرُوي غِلَّهَا ، وَيَشْفِي عِلَلَهَا ، وَالْفَتْحَ الَّذِي يَطْلُعُ أَنْوَارَ الْبِشْرِ لَهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، سَعَادَةً كَرِيمَةً [السَّمَاتِ ، وَغُرَّةَ مَشْرِقَةِ الْقَسَمَاتِ ، وَعِنَايَةً]^(٥) تَتَكْفَلُ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ الْمُتَبَهَّمَاتِ .

مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ، وَلَا زَائِدَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ التَّشْيِيعِ لِمَقَامِكُمْ ، أَعْلَى اللَّهِ سُلْطَانَهُ ، وَمَهْدَ بَاتِّصَالِ الصَّنْعِ الْكَرِيمِ أَوْطَانَهُ ، إِلَّا الْخَيْرَ الَّذِي يَتَوَالَى مَدَدُهُ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْمَرَامَى الْقَاصِيهِ أَمْدُهُ ، وَالْيَسَرَ^(٦) الَّذِي يَتَصَلُّ سَنَدُهُ ، عَلَى أَسَاسِ السَّعَادَةِ عُمْدُهُ ، وَعِنْدَنَا لِمُتَابِتِكُمُ الْعِظْمَى ، عَقَائِدَ

(١) وإرادة في الملكية والفاتيكاه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والملكية ، وساقط في الفاتيكاه .

(٣) هذه العبارة وإرادة في الملكية والفاتيكاه في موضعها ، ووردت من قبل في الإسكوريال ، واقتضى حذفها لورودها في غير موضعها .

(٤) وإرادة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والملكية ، وساقط في الفاتيكاه .

(٦) وردت في الإسكوريال (السير) ، والتصويب من الملكية .

واختُ قواعِدُ الاعتقاد ، ومذاهبُ ترفعت عن قبول الانتقاد ، وحجج^(١) وثيقة الإسناد ، وأبيات أمنت من الأنواء والسناد . وإلى هذا وصل الله لكم أسباب الإسعاد ، وكتب لكم محتوم العناية في المبدأ والمعاد . فإننا لما ورد رسولنا القريب عهدُه بمثابتكم ، مثابة العدل والإحسان ، وعنصر الشيم الكريمة والأثر الحسان ، منبثاً عما كان ألمٌ بأخينا الأمير الأسعد الأطهر أبي زيّان ، إنسانٌ عين عالم الإنسان ، ألبسه الله بطاعتكم المقترنة بطاعته ملابس الرضوان ، من الألم الذي تفديه من مثله الصدور بلبائها ، والقلوب بحبائها ، لا بل البُذور بآياتها ، ثم بما من الله به من معافاة المجد بمعافاته ، وإعادته من لباس الصّحة إلى أفضل عاداته ، وأن الله أسبغ على الإسلام بسلامته لباس المنة ، وزاير الألم راعى في التخفيف أعمال السنة ، أنهى إلينا الإشارة بتوجيه الطبيب الإسلامي الذي صدقت إلى بابنا هجرته ، وبانت لدينا ولدى سلفنا أثرته ، الحكيم العارف إبراهيم بن زرزار ، وصل الله بتقواه سعادته ، وسنّى له من الخير بها إرادته ، فكان من الاتفاق أن الفنى^(٢) المذكور ، وقد أصابته شكاية تردّد بين لهواتها ، وكاد يتردّى في مهواتها ، إذ عالم الكون والفساد ، لا بدّ أن تعترضه العلل ، وأشارك القدر لا تنجى منها الحيل . فلما أبلّ أو كاد ، وغلب بإذن الله الكون والفساد ، وجب صرفه لإزالة العلة التي منعت ، وارتفاع العواقب التي قطعت ، وإن كانت العافية قد أغنت ، وملابس العصمة ، والحمد لله ، قد أجنت . فرأينا أن البرّ إنما هو في توجيهه وبعثه ، وحاله تغنى عن تقرير العذر في لبثه . وأضحبناه إلى محل أخينا العزيز علينا ، العظيم الحق لدينا ، على الإدلال الذي يُحمل فيه كماله ، ويُغضى عنه جلاله ، من يخدم في مثل هذا الغرض ، الذي توجه إليه ، ويتصرّف في مثل هذه الأمور بين يديه . وإغصاؤكم عن التّقصير معتاد ، وفضلكم قد شهد به حتى وجماد ،

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (وحجة) .

(٢) هكذا في المخطوطين .

ومجدكم قد بُدِدت منه آماد . نَسَلُ الله أَنْ يُؤَيِّدَ الْإِسْلَامَ بِتَأْيِيدِكُمْ ، وَيَعِزُّ فِيهِ الْحَقَّ بِاعْزَازِ نَصْرِكُمْ ، وَيُوْتِيَكُمُ فِي النَّفْسِ وَالْوَلَدِ ، مَا يَتَكْفَلُ بِقَرَّةٍ عَيْنِكُمْ ، وَانْشِرَاحِ صَدْرِكُمْ ، وَالسَّلَامِ الْكَرِيمِ بِمَخْصُوكُمْ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

ومن ذلك

المقام الذى اتَّصَلَ عَافِيَتُهُ نِعْمَةً عَمِيمَةً ، وَكَمَالَ رَاحَتِهِ مَنَّةً جَسِيمَةً ، وَدَوَامَ سَعَادَتِهِ سُقْيَاً لِلْأَقْطَارِ وَدِيمَةً ، وَتَمَامَ صَحَّتِهِ عَلَى الْعَدُوَّتَيْنِ تِمِيمَةً ، فَشِيمَ فَضْلِهِ ، لَا يَفْضُلُهَا فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ شَيْئَةٌ ، وَمَذَاهِبُ عَدْلِهِ وَاضِحَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ ، وَمَكَارِمُهُ شَامِلَةٌ عَمِيمَةٌ ، وَآثَارُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَادِثَةٌ وَقَدِيمَةٌ . مَقَامُ مَحَلِّ أَبِينَا ، الَّذِى لَنَا بِاتِّصَالِ نَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ابْتِهَاجٌ ، وَفِي مِيدَانِ التَّشْيِيعِ فِيهِ إِجْجَامٌ وَإِسْرَاجٌ ، وَفِي مَنَازِلِهِ الثَّنَاءُ عَلَى مَجْدِهِ الْعَالِىِ اسْتِذْلَالٌ وَاحْتِجَاجٌ . فَقِيَاسُ حُبِّنَا الْمُتَوَارِثِ لَا يَعْدَمُ فِيهِ إِنْتَاجٌ ، وَعَقْدُ أَخْلَاصِنَا ^(١) لَا يَنَظَرُهُ ^(٢) عِنَادٌ وَلَا لُجَاجٌ ، وَتَعْوِيلُنَا عَلَيْهِ بَعْدَ اللَّهِ فِي الظُّهُورِ وَسُلُوكِ السُّنَنِ الْمَشْهُورِ سِرَاجٌ وَهَاجٌ . السُّلْطَانُ الْكَذَّابُ ، ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَّابِ ، ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَّابِ . أَبْقَاهُ اللَّهُ يَلْبِسُ ثِيَابَ الْعَافِيَةِ جُدُدًا ، وَيَتَعَرَّفُ عَوَارِفَ السَّعَادَةِ الْمَعَادَةِ يَوْمًا وَعَدَاً ، وَيُفْسِحُ لَهُ فِي الْعُمُرِ الطَّوِيلِ مَدَاً ، وَأَعْلَى عَلَى الْأَعْدَاءِ الْكَافِرِينَ يَدَاً ، وَأَبْقَى مُلْكَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مُسْتَنْدَاً ، وَالْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مُعْتَمِدَاً ، يَتَعَرَّفُونَ مَا بَيْنَ سَلَامِهِ وَحَزْبِهِ النَّصْرِ عَزِيزَاً ، وَالْعَيْشِ رَعْدَاً . مُعْظَمُ قُدْرَةِ السَّامِىِ فِي الْأَقْدَارِ [وَمَوْجِبُ حَقِّهِ] ^(٣) الْمُتَأَكَّدُ الْوُجُوبِ الْمُشْرِقُ الْأَنْوَارُ ، الْمُشْنَى عَلَى فَضْلِهِ الْكَرِيمِ الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ وَالْأَخْبَارُ ، السَّاحِبُ لِلْأَنْبَاءِ عَصْمَتِهِ وَرَاحَتِهِ أَثْوَابُ الْجَدَلِ وَالِاسْتِبْشَارِ ، الدَّاعِى بِاتِّصَالِ نَعْمِ اللَّهِ لَدَيْهِ ، اتِّصَالًا يُؤْذِنُ بِاللَّوَامِ وَالِاسْتِقْرَارِ الْأَمِيرِ فَلَانِ .

(١) فِي الْمَلِكِيَّةِ (إِصْلَاحُنَا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (يَعَارِضُهُ) .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ .

أما بعد حمد الله ، وإهيبُ النعم ومُديمُها ، ورافع قواعد الدين الحنيف ومُقيمُها ، وواصل حديث الصنایع الإلهية والألطف الخفية بقديمها ، متمم الآلاء حق تميمها ، ومُنسّق أنفاس العناية ، ينشط النفوس أريج نسيمها ، ومعرّف العوارف الكريمة ، تظهر معاني الفضل العميم عند سبرها وتقسيمها ، ومبدى صفحات المنن ، تروق الأبصار لمحات وسيمها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، منقذ الخلائق ، بتبيين مأخذ الهداية وتعليمها ، ذى المعجزات ، التى تلقّت صحيحها^(١) العقول بإقرارها وتسليمها ، سيد الأنبياء ، بين خليلها وكليمها ، خاتم النبوة ، والفائز بتقديمها ، الموصوف من الأوصاف القدسية برءوفها ورحيمها ، ومن الخلق الرضية ، بعظيمها . فبجاهه نلبس أثواب السعادة ، يروق صُبْح أديمها ، ونتفياً ظلال اليمن والأمان ، فنستمتع بنعيمها ، والرضا عن آله وصحبه ، وشيعته وأحزابه ، دُرر الملة ، التى عُنت أيدى العناية بتنظيمها ، ووقفت الألسن على توقيرها وتَعْظيمها ، الذين دافعوا بسيوفهم الماضية عن نفوس الملة الرّاضية وحرّيمها^(٢) ، والدعاء لمقامكم الأعلى بالعناية التى لا مَطْلَ لغيرِهما ، ولا ظَنَ لمقيمها ، والسعادة التى تغنى كواكبها^(٣) عن تعديل النُّصب وتقويمها ، والعزة التى تتناول تَحْصِيص كل عز بتعميمها . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عافيةً مديدة الظلال ، وصحةً ضافية السُّربال ، وعصمة مُستَضجة فى الحال والمآل ، وأبقى علينا مكان اعتقادكم الجميل ، مثابةً لنجاح الأعمال ، وبلوغ الآمال ، حتى نتعرّف فى هذه الجزيرة عوارف الأمن ، المُسَدِّل الجناح على النفوس والأموال ، وتَتَهَنأ أيامكم الأبوية فى صُنْع يقتضى صلاح الأحوال ، ونمهد الخلال . وإلى هذا وصل الله سَعْدكم ، وحرس

(١) فى الفاتيكانه (حججها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وحليمها) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية فى موضعها ، ووردت مكانها (كواكب) بعد كلمة (تعديل) ،

والأولى أرجح .

مجدكم ، فإننا لما ورد علينا كتابكم الذى كَفَّ وكفا ، وداوى بخبير شفائكم وشفأ ، وقد كانت الحال على شفا ، وسكن من الآمال ، ما كان هفا ، ونظر فى موضوعى المودود والمكروه ، فاثبت ونفا ، وأخبر بذهاب البوس ، وتنفيس الله عن النفوس ، وأضفى السرور وأسبغ اللبوس ، وأضحك وجه الزمان العبوس ، راجعنا نشكر صنع الله ، فيما تخلق به طيف ذلك الألم من التخفيف ، ونسكه أن يعظم ، وقد فعل أجر المضيف ، ونثنى بذكر^(١) مقامكم فى تعجيل التعريف ، وإطلاع صبح البشائر فى جنح الخطب المخيف . ثم إن نفس الشفيق لا تقنع فى مثل هذا بخبير واحد ، ولا تجتزئ بمعان مفرد أو مشاهد ، حتى يتصل التحقيق ، ويتضح الطريق ، وتقوى قوة التصور والتصديق . فوجهنا من يباشر أحوال ذلك المقام ، الذى صلاح الأمور بصلاح أمره منوط ، والسعادة مع استقامة عاقبته شرط ومشروط . فإنكم العدة التى تمتد اليد إلى نصره ، كلما طمح العدو إلى اعتدائه ، أو جمح فى غلوائه ، والثمال المعول عليه فى ابتداء كل أمر وانتهائه . ونحن أولاً وآخرأ نشكر الله على ما من به من عصمة ذاته ، ونسكه دوام سيره عليه واتصال حياته ، ونعتد به على ابتغاء ما فيه ابتغاء خير ما عند الله ، والتماس مرضاته ، فهذه البلاد لا تجهل ما سلف فيها لسلفه الأرضى ، من أعمال أمنت الخائف ، وأجزلت اللطائف ، وأنست الأملاك الماضية والخلائف ، وطرزت بالبر الصحائف ، وهو إن شاء الله يُربى على الماضى بمستقبله ، وينسى بآخره أوله ، حتى يزكو فى البر عمله ، ويساعده فى ابتغاء الفخر ، وبقاء الذكر أمله بحول الله . واخترنا لتقرير هذا الفرض الأكيد ، والقصد السديد ، من يقوم فيه بالمقام الحميد ، وينتقل إلى مرتبة الاجتهاد عن مرتبة التقليد ، ذلك القايد الكذا ، وألقينا إليه ما يلقىء إليكم ، ويورده عليكم ، وأنتم تولونه برا وإقبالا ، وتفتحون له فى الإصغاء إلى ما عنده مجالا بحول الله ، والله يصل سعادتكم ،

ويحرس أصالتكم السلطانية ومجادتكم . والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى لا تشوب معاملته فى الله الأوشاب ، ولا يتطرق إلى يقينه الارتياب ، ولا ينقطع مع تأمله الأسباب ، مقام محلّ والدنا الذى نجرى ^(١) فى محل ^(٢) التشبُّث بوده ملء العنان ، ونجعل التشيع إليه شغل الجنان ، والثناء على معاليه هجير اللسان ، ونستند منه فى سبيل الله إلى المعتم الصديق البنيان ، ونهيب به إلى ما هو أحرص عليه ، من ابتغاء مرضاة الرحمن ، ونعرض ^(٣) على جلاله من الأنبياء ما بهم المسلمون شأنه بهذه البلدان . أبقاء الله خالص العمل لوجهه الكريم ، مصدّق ظنون من يؤمل إنجاده من أهل الإسلام بهذا الإقليم ، وجعله ممن أناه [فى غد] ^(٤) بالقلب السليم . معظّم قدره حق التعظيم ، المثنى على مجده السامى ، وفضله العميم [المعند بعزمه الأقصى ، وجهاده الأَرْضَى ، ومجده العظيم] ^(٥) فلان . سلام كريم طيب برّ عميم ، يخصص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمْدِ الله ، الذى تغمّدنا جميعاً فضله وكرمه ، وجادت آمالنا البعيدة ديمه ، وجعل اتصال اليد من أجله فى الإسلام بين أهله ، متأتاً تُرعى ذممه ، فمن عول عليه ، وصرف القصد إليه ، علت هممه ، وكانت شيم المتقين الأبرار شيمه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، الخافق بالهداية علمه ، المؤتى جوامع الحكم كلمه ^(٥) ، الذى أطلع نور الحق ، فانجابت حنادس الباطل

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نجد) ، وهو تحريف .

(٢) فى الفاتيكانه (ميدان) .

(٣) هذه العبارة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانه .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الإسكوريال (الكلم) ، والتصويب من الملكية .

وظَلَّمُهُ ، ودَلَّ على كنز المعرفة بالله ، فَأَثَرَى بِهِ (بَائِسُ الْوُجُودِ)^(١) ومَعْدَمُهُ ، فهو المَلْجَأُ الذي يُوَوِّينَا حَرَمُهُ ، وَتُنْجِينَا مِنَ الْكَارِهِ عَصَمَتُهُ . وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، الَّذِينَ شَفَا جِهَادُهُمُ الدِّينَ ، وَقَدْ أَعْيَا آلَهُ ، وَحَمَى الْخَلْقَ فَحَفِظَ مَالٌ كُلُّ مُسْلِمٍ وَدَمَهُ ، وَالِدَعَاءُ لِمَقَامِكُمُ الْأَسْمَى ، بِالصُّنْعِ الْوَافِرَةِ قِسْمِهِ ، وَالتَّوْفِيقِ الْمَشْرِقَةِ أَنْجُمِهِ ، وَالسَّعْدِ الَّذِي تُنْجِدُهُ الْأَقْدَارُ وَتَخْدُمُهُ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْدًا وَاضِحَةً حَكَمَهُ ، وَعِزًّا يَتَبَارَى فِي الْإِفْتِخَارِ بِمَا فِيهِ سَعَادَةُ الْأَمْصَارِ وَالْأَعْصَارِ ، سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ .

من حمراء غُرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ، وَلَيْسَ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْإِبْنَةُ شَأْنُهَا الدَّهْرُ صَدَقَ اعْتِدَارُ^(٢) وَحَقَّ ابْتِدَارُ ، وَاعْتِرَافٌ بِمَا لَتَلِكِ الْأَبْوَةِ^(٣) مِنْ حَقُوقِ كِبَارِ ، وَمَدُّ أَيْدِي انْتِصَارٍ وَاسْتِظْهَارٍ ، وَمَطَالَعَةُ بَأْنِبَاءٍ مُهِمَّةٍ وَأَخْبَارِ ، وَاقْتِبَاسِ رَأْيٍ سَدِيدٍ ، يَسْتَمِدُّ الضِّيَاءُ مِنْ مَشْكَاةِ أَنْوَارِ ، وَاللَّهُ يَجْعَلُ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ مُتَّصِلَ السَّبَبِ ، كَفِيَالًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَنِيْلَ الْأَرْبِ . وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، فَإِنَّا بِحَسَبِ أَوْدِ الْوَثِيقِ عَقْدِهِ ، الْمُورَى زِنْدُهُ ، وَالتَّشْيِيعُ الْخَافِقُ بِنْدُهُ ، نُوْدُ أَنْ لَا يَمُرُّ زَمَانٌ ، إِلَّا عَنْ تَجْدِيدِ مَخَاطَبَةٍ ، وَتَرْجِيدِ مَكَاتِبَةٍ ، نُودَى مِنْهَا فَرَضًا وَاجِبًا ، وَنَسَلَكُ سُنَنًا لَاحِقًا ، وَنَقَلْنَا مِنْهَا الْمَرَاجِعَةَ [مُسَلِّكًا فِي]^(٤) فِي التَّشْيِيعِ ، عَلَى مَهْبِيعِ^(٥) السَّنَةِ رَاغِبًا ، وَلَا ذِيَالِ الْإِغْضَاءِ وَالتَّوْدَةِ مُصَاحِبًا ، فَانْبَاؤُكُمْ عِنْدَنَا رُقَى يُشْفَى بِهَا لِلشَّوْفِ الْأَلَمِ ، وَكُتِبَكُمْ سَحَائِبُ بَرَكَاتٍ لَا يَغُوبُ مِنْهَا غَمَامٌ ، وَبِحَسَبِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ ، الَّذِي هُوَ أَصْلٌ لَا يِعَارِضُ ، وَفَصْلٌ لَا يَنْقَاضُ ، وَجَهْنَا هَذِهِ الْمَخَاطَبَةَ ، نَجْدُدُ لِمَقَامِ أَبَوَتِكُمْ عَهْدًا ، وَنَسَلِكُ مِنْ تَعْظِيمِ مَثَابَتِكُمْ قَصْدًا ،

(١) وردت في الإسكوريال (مجلس الجود) ، وفي الملكية (يابس الجود) ، والتصويب من الفاتيكانه

(٢) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (اعتبار) .

(٣) وردت في الإسكوريال (النبوة) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٤) واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (منهج) .

ونستطلع جميل نظركم صدرأً وورداً ، ونقرر من أحوال العدو المحارب والمسالمة ،
ما نلتمس به بركة رأيكم ، ونجاح قصدكم لله وسعيكم ، فاعلموا أن منها
كذا ، وكذا .

ومن ذلك

المقام الذى إليه اللجأ والجنوح ، وله الرقء المنوح ، والصدر المشروح ،
والفضل الذى تألق منه الوضوح ، والعزومات التى تؤيدها الملائكة والروح ،
مقام مؤملى الذى إليه الاستناد ، وبعره الاعتداد ، وعليه بعد الله الاعتماد ،
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله ، يجير الكبير ،
ويسنى الظهير^(١) ويضم الشتيت ، وينظم النثير ، ويؤمل القاصد ملكه الكبير ،
ويستدرك الفائت بعز دخيله ، من أضاع الحزم وأهمل التدبير ، مؤمل نصره ،
ومؤمل أمره ، وقاصر الرجا بعد الله على قصره ، الداعى إلى الله بإعلاء قدره ،
واتصال عمره . فلان .

أما بعد حمد الله على كل حال ، عاطل أو حال ، والتسليم لقدرته سبحانه
فى كل حل وارتحال ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الماحى ببرهان
الحق كل محال ، منقذ الناس بشفاعته ، وقد تورطوا من الغى فى أحوال ،
وتشبثوا بسوء انتحال . والرضا عن آله وصحبه ، خير صحب وآل . فكشبه إليكم
من ظاهر مربلة حرسها الله ، وقد استظل^(٢) فى ظل^(٣) إياتكم القرار ، واطمأنت
الدأر ، وتمحض لعز خيلكم الانتصار ، لما خذلت الأنصار . وإلى هذا أبقاكم الله ،
فقد كان تقدم إفاد المخاطبة على بابكم ، التماساً لنظركم الجميل ، وبابكم^(٤)

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (العير) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (استقر) .

(٣) زائدة فى الفاتيكانه .

(٤) فى الفاتيكانه (ورأيكم) .

الأصيل ، وجعل في يدكم العليا زمام التأميل ، ورُجيت الأيام بانتظار ما يرد من ذلك المقام الجليل ، وقد أعيأ على من تعدى على شيعتكم الأمر ، وضاق منه الصدر ، ووقع الانتصاف في المجال ، وصدقت عزائم الأولياء من الرجال ، وأمل فضل الله الذي يُفرج الشدائد ، ورحمته المتعرفة العوائد ، إلى أن وصل رسولكم الفقيه الشريف ، الميمون النقيية السعيد^(١) الإدارة ، الذي شهدت شيمته بالانتماء الصادق إلى المختار وسلائته المختارة ، أبو القاسم ، وصل الله عزة شرفه ، ونفع بحبته سلفه ، وألقى مضمّن ما توجه فيه ، وعرض الدواء الذي يبرئ الداء ويُشفيه ، فصادف قلباً إليه مقلوباً ، وهُدَى بتأييد الله وتوفيقه مغلوباً ، فيمّن من الجنوح إلى مثابتكم أملاً مطلوباً ، وقد كان شيعتكم بين أمرين ، من المقام بين أظهر الأولياء من أهل وادي آش محصلاً من عهدهم ، مالا يتطرق النكث إلى وفاته ، ولا يتصدر^(٢) الكدر إلى صفائه ، يقدون من النفوس بكرام النفوس ، ويستظهرون من الصبر الجميل بأضفى اللبوس ، ويُعينون بما ملكت أيديهم ، وتدل على حسن الخواتم ، كرائم مبادئهم ، إلى أن يحيى من حي عن بينة ، أو يهلك من هلك عن بينة ، أنفاً لبيعة موثقة ، وطاعة مُتسقة ، أو اللحاق بأرض الكفر ، مؤثراً والحمد لله ، على الوقاية ، من ذلك داعية الهوى ، منخرطاً في سلك من تعدى وهوى ، لتحرق الفتنة من آثارها ، أو تبُلغ النفس ثارها . فوقع بإشارتكم الدينية الاجتزا ، ورُجى من أهل^(٣) الله الخلف وأمل منه الجزاء ، وارتفع اللبس ، وطابت بالمشول ببابكم النفس ، وظهر لشيعتكم كفاء لعناية مقامكم الأسمى ، وعملاً بما يجب من طاعة جلالكم العظمى ، أن استَحْضَر أهل العقد والحل ، ووجوه أهل الدين والفضل ، فخرج لكم عن المدينة بما اشتملت

(١) واردة في الملكية والفايكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) في الفايكانه (يتوصل) .

(٣) زائدة في الإسكوريال .

عليه من الحصون والأقوات^(١) والبقاء ، والمستخلصات والرُّباع ، والحقوق على اختلاف الأنواع ، بحُكم الهبة التي أوضح الشرحُ سبيلها ، وأثبت دليلها ، وحازها رسولُكم ، أبقاء الله ، حيازة ، لم تبق شبهة ملُك ، لغيركم فيها ، وسلمها من أمرِكم العزيز ، إلى من يكفلها ويكفيها ، فيدُكم عليها ، لا يرفعها غُضبُ غاصب ، ولا يدفع حجتها لغو مكاييد للحق مُنَاصب ، وهي ما هي من جباية ، يَفْضُلُ فيها الدُّخْلُ على الخرج ، وبلد الزرع والضَّرْع ، والظُّهر والسَّرج ، ومعقل الإباية والمنعة ، أعزها الله بعز طاعتكم ، وهنأ أهلها ، نَظْمُكم إياها في سلك جماعتكم ، وانصرف عنها إلى بابكم ، وتحت خفارة جنابكم ، بعد أن أقام أهلها مأتماً للفرار وخَلَدُوا الخدود بدموع الآفاق ، وحكَّوا الزفير في الأطواق ، ولم يقع الخطور على بلدة ، إلَّا وبرَزَ أهلها يعج عجيجُهم ، ويعلو بكأؤهم ونَشيجُهم حسرة ، لبيعة مكفورة ، وذمة مخفورة ، وعقد بغير الحق مَحْلُولَةٌ ، وحقوق مجهولة . وقد صُرفت الوجوه إلى الباب الذي يضم الشَّارد ، ويُغذِّب الموارد ، ويَرَوِي الوارد ، ويؤنِّس الغريب ، ويضمن النصر العزيز ، والفتح القريب ، والدُّنيا وأهلها ما علمتم ، رَهْنِ نفاذِ وزِيال . [والأعمار تطوى بين أيام تمر وليال]^(٢) ولا يبقى إلَّا فخرٌ ، يُخَلَّدُ في الأعقاب ، ومَنْ تَعَقَّدُ في الرُّقاب ، وأجر يحسب يوم الحساب . والملك وإن تفاضل ، يقوم بين أهله مقام الانتساب ، والنَّعْرة المرينية باقية ، والهَمُّ اليَعْقُوبِيَّةُ عالية ، والحرمة متوالية ، وحقوق الدخيل في ذلك القبيل جديدة غير بالية . وهذا أمر قَدِيمُ العهد به ، ونرجو أن يكون الامتِعاظ له مناسباً ، والحقُّ عاصباً ، والنفوس الكريمة لهضمه مُشْفِقة ، والمساعي غير خافية ولا مُخْفِقة ، وإذا وقع الشرف بلقائكم^(٣) تَسْتَوِي المشافهة ما قَصُرَ عنه الكتاب ، وتوصل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاثيكانه (الأحواز) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والفاثيكانه ، وساقط في الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة في الملكية والفاثيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

الأسباب ، ويُفْتَح من قبول الله على يديكم الباب ، وهو سبحانه ، يقيمكم عشرات الأزمان ، ونُكْتُ الإيمان ، ويفنى ذوى العدوان ، ويُلبس الأرض بإيالتكم ملابس الأمان ، ويجعل طاعتكم عنواناً على طاعة الرحمن ، ويوصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

ومن ذلك

الإمارة التى نَقِيها بالنفوس ونُقِيها ، ونلحم برود برّها ونُسَلِيها ، ونستطلع أنباء عافيتها ونُسْتَهْدِيها . إمارة محل أخينا الذى مجده صراح ، وصبح فضله وضّاح ، ولنا بتعرّف راحته ارتياح . الأمير الأجل الأعز ، الأسنى الأطهر ، الأظهر، الأسمى ، الأسعد ، الأرشد الأَرْضَى ، المؤمل الأمْضَى ، الأفضل الأكمل ، أبو زيّان ابن محل^(١) والدنا ، الذى نُدِين بإجلاله ، ونعترف بأفضّاله ، ونستظهر بأقواله وأفعاله ، ونُمُتْ بالوُدِّ المتوارث إلى جلاله ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله محفوظاً من السّرار بَدْرُهُ ، رفيعاً بالعز قدره ، رحيباً بالفضل صدره ، ماضياً فى طاعة الله ، وطاعة أبيه ، نَهَيْه وأمره ، معظمٌ أخوته الكريمة الأصالة وموقرٌ إمارته الرفيعة العجالة ، الداعى إلى الله لها بالعافية الدائمة ، والنعم المُنْثَالَة ، كما زَيْنَ بيدرها مدار تلك الهالة ، وجعلها حلياً لتلك الإيالة ، فلان سلام كريم ، طيِّبُ برٍّ عَمِيم ، يخص مقامكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله الذى جعل بإزاء تألم عبده أجراً وثواباً ، وبإزاء شكره مزيداً وعطاءً حساباً ، ووصل من نعمه العميقة أسباباً ، وألبس ذاتكم الظاهرة من العافية أثواباً ، وسوّغ الإسلام من الاستبشار بإقبالها موارد عذاباً . والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذى نفتبس من سنّته الكريمة أخلاقاً حميدة وآداباً ، ونلبس من الاقتدا بمراسمه الواضحة جلباباً ، ونصل الوُدِّ فى مرضاته ،

(١) هكذا فى الإسكوريان ، وفى الملكية (محمد) ، وهو تحريف .

فنسعد حالاً ومثالاً ، والرضا عن آله وأصحابه الذين فضّلوا الأمة أذهانا ^(١) وألباباً ، ومكارم رغباً ، وتصادقوا في دينه ، فحمد منهم مآباً ^(٢) ؛ والدعاء لإمارتكم السامية ، التي أطلعت في سماء الجلالة شهاباً ، وأنشأت في أفق الفضل سحاباً ، ونادتها ألسن التوفيق ، فكانت المبادرة منها جواباً ^(٣) [بالسعد الذي يفتح إلى مرضاة الله أبواباً ، ويمهد منه جناباً] ^(٤) فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من آلائه أجزل الأقسام ، ووفر أسباب عافيتكم ، التي فيها أمل الإسلام ، ودافع عن ذاتكم الإمارية طوارق الآلام ، وألهمكم من الشكر على العافية ما يستدعي مزيدها ، كما وعد في كتابة الثابت الأحكام .

من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع لمقام محل والدنا أبيكم ، أعلى الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، ثم بما يتبع ذلك من الاعتداد بوذكم الذي يؤثر شأنه ، ويجل مكانه ، إلّا الخير الدائم ، واليسر الملازم ، والحمد لله . وموجه إلى جلالكم الذي نؤمله ونعده ، ونوثقه ونشده ، فلا يبلى لدينا وده ، هو أن رسولنا ، الآيب في هذه الأيام من أبوابكم ، الصادر بالبر والثناء على جنابكم ، كان مما عرفنا به ، أن ثواب الله تفقد ذاتكم الطاهرة ، وزيارته أوجبت لكم الأجور الفاخرة ، ثم تدارك سبحانه بالعافية التي أطلعت الأنوار الباهرة ، وسحبت البركات الطاهرة ، فلولا أن الخبر اشتمل على خبر الراحة ، وأمن الساحة ، لعظم الأمر ، واشتغل الفكر . لا كنا لم ننع في هذه القضية بخبر واحد ، ولا اجترينا بمعاین مفرد [أو مشاهد] ^(٥) فبعثنا هذا الكتاب لنستزيد به وضوحاً ، ونطلب الخبر مشروحاً ، ونستشق من جو

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (أفهاماً) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (مناباً) .

(٣) في الفاتيكانه (جناباً) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والملكية ، وساقط في الفاتيكانه .

(٥) واردة في الملكية ، وساقطة في الإسكوريال .

السرور بمزيد عنايتكم روحاً ، ونهنيكم أولاً بإيابكم من السفر ، وثانياً بما من الله من رفع الضرر ، فإننا ننطوي من وُدِّكم وتعظيمكم على عقائد لا تلتبس أصولها ، ولا تتعارض فصولها ، ونؤمل من مظاهرتكم ، في طاعة الله ، وطاعة والدكم ، ما يعود بعز الإسلام وأهله ، وقمع الكفر وذله ، وإظهار دين الله على الدين كله ، والله [يحقق الأمان ، ويبلغ الآمال] ^(١) فمرادنا منكم أن تتفضلوا بالتعريف بحالكم لتكون على علم برفع الالتباس ، وذهاب الباس ، وتقام السرور والإيناس ، وفضلكم يتم المقاصد والمآرب ، ويعذب من البرّ المشارب ، إن شاء الله .

ومن ذلك

الإمارة التي أشرق في سماء الملك شهابها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها ، وأجبلت قداح المفاخر فكان إلى جهة الله أشربها . إمارة محل أخينا الذي تأسس على مَرَضاة الله أصل فخره ، واتسم بالمرابط المجاهد ، على اقتبال سنّه ، وجدّة عمره ، وبدا بفضل الجهاد صحيفة أجره ، وافتتح بالرباط والصلاح ، ديوان نهيه وأمره ، لما يسره من سعادة نصيبته ، وخباه من عز نصرد ، الأمير الأعز الأرفع ، الأسنى الأطهر ، الأظهر ، الأمنع ، الأصعد الأسمى ، الموفق الأرضي ، محل أخينا العزيز علينا ، المهداة أنبياء مأمول ^(٢) جواره إلينا ، أبي بكر السعيد ابن محل والدنا ، الذي مقاصده للإسلام وأهله على مرضاة الله جارية ، وعزائمه إلى نصر الملة الحنيفيّة مُتسارية ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله سديدة آراؤه ، ناجحة أعماله ، مُسيرة أغراضه ، من فضل الله متعة آماله ، رحيباً في السعد مجاله ، يكنفه من الله [ومحل أبينا غمام] ^(٣) وارفة ظلاله ، هام نواله ، حتى يرضى الله

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، ووردت في الملكية والفاتيكانه كالاتي (يحقق الآمال وينجح الأعمال) .

(٢) واردة في الملكية والفاتيكانه ، ومكانها يباض بالإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

مصاعه بين يديه ومصاله ، وتمضى فى الأعداء أمام رايته المنصورة نصاله ، أخوه
المسرور بقربه ، المنطوى على مضمر حبه ، فلان . سلام كريم ، طيب بر عميم ،
يخص أخوتكم الفضلى ، وإمارتكم التى آثارها بحول الله تتلى ، ورحمة الله
وبركاته .

أما بعد حمد الله ، على ما كيف من أطفاه المشرقة الأنوار ، ويسره هذه
الأوطان بنصرته من الأوطار ، فكلما دجت بها شدة ، طلع الفجر عليها طلوع
النهار ، وكلما اضطرب منها جانب ، أعاده بفضل من أقامه لذلك واختاره ،
إلى حال السكون والقرار ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى
المختار ، الذى أكد جبريل ، صلوات الله عليهما حق الجوار ، حتى كاد يلحقه
بالوسائل والقرب الكبار ، وصانا بالالتئام [واتصال اليد]^(١) فى نصر الإسلام ،
فنحن نقابل مرصاته بالبدار ، ونجرب على نهجه الواضح الآثار ، ونرتجى
باتباعه^(٢) الجمع بين سعادة^(٣) هذه الدار ، وتلك الدار . والرضا عن آله وأصحابه
وأنصاره وأحزابه ، أكرم الآل والأحزاب والأنصار ، الذين كانوا كما أخبر الله
عنهم على لسانه الصادق الأخبار ، رُحماء بينهم ، أشداء على الكفار ، والدعاء
لإمارتكم السعيدة السعيدية^(٤) بالتوفيق الذى تجرى به الأمور على حسب الاختيار ،
والعز المنيع الدمار [والسعد القويم المدار]^(٥) والوقاية التى تأمن بها أهلئتها من
السرار ، فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، أسنى ما كتب للأمرء الأرضياء
الأخيار ، ومتعكم ، من بقا والدكم ، بالعدّة العظمى والسيرة الرّحمة ، والجلال
الرفيع المقدار .

(١) هذه العبارة واردة فى الفاتيكاه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (بسعاده) ، وفى الملكية (بإجماعه) ، والتصويب من الفاتيكاه .

(٤) زائدة فى الفاتيكاه .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكاه ، وساقط فى الملكية .

من حمراء غُرْنَاظَة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى أوضح برهانه ، إِلَّا أَلْطَافٌ بَاهِرَةٌ ، وعناية من الله باطنة وظاهرة ، وبشارة بالقبول واردة ، وبالشكر صادرة ، والله يَصِلُ لدينا نِعَمُهُ ، ويوالى فضله وكرمه . وإلى هذا ، فإننا اتصل بنا فى هذه الأيام ، ما كان من عناية والدكم محل أبينا ، أَبْقَاهُ اللهُ هَذِهِ الْبِلَادَ ، المستندة إلى تَأْمِيل مجده ، وإِقْطَاعِهَا الغاية التى لا فوقها من حُسْنِ نظره ، وجميل قصده ، وتعيينكم إلى المقام بِجَبَلِ الْفَتْحِ ، إِبْلَاجًا فى اجتهاده الدينى وجَدُّهُ ، فقلنا هذا خبر إن صدق مخبره ، وتحصل منتظره ، فهو فخر تجددت أثوابه [وإِعْشَاءُ تَفْتَحَتْ أَبْوَابُهُ وَعَمِلَ بَرٌّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُهُ] ^(١) فَإِنَّ الْأَنْدَلُسَ عَصَمَهَا اللَّهُ ، وإن أنجدها عدده وأمواله ، ونجحت فى نصرها ، مقاصده الكريمة وأعماله ، لا يذر موقع النظر لها من نفسه ، وزيادة يومها فى العناية على أَمْسِهِ ، حتى يسمح لها بولده ، ويخصها بقرة عينه ، وَفَلَدَةٌ كَبِيدُهُ ، فلما ورد الْخَبَرُ الذى راقبت منه الْخُبْرَ ، ووضحت من سعادته الْغُرْرَ ، بإجازتكم البحر ، واختياركم [فى حال الشببية] ^(٢) الْفَخْرَ ، وصدق مُخَيَّلَةَ الدِّينِ فيكم ، واستقراركم فى الشجر الشهير ، الذى افتتحه سيفُ جَدِّكُمْ واستنقذه ^(٣) سَعْدُ أَبِيكُمْ ، سررنا بقرب المقام ^(٤) ودنوُّ الدار ، وقابلنا صنع الله بالاستبشار ، ووثقنا وإن لم نزل على ثقة ، من عناية الله ، وعناية محل والدنا بهذه الأقطار ، وحمدنا الله على هذه الآلاءِ الْمُشْرِقة ، والنَّعْمِ الْمُغْدِقَةِ ، والصنایعِ المتألِّقة ، بادرنا نهنى أخوتكم أولاً بما يسر الله تعالى لكم من سلامة المجاز ، ثم بما منحكم من فضل الاختصاص بهذا القرض والامتياز ، فإمارتكم الإمارة التى أخذت بأسباب العلأ ، وركبت إلى الجهاد فى سبيل الله ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية والفايكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفايكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفايكانه (المزار) .

جِيَادُ الْخَيْلِ ، وَجِيَادُ الْمَاءِ ، وَأَصْبَحَتْ عَلَى حَالِ الشَّيْبَةِ شَجًّا فِي حَاقِقِ الْأَعْدَاءِ ،
وَسَبَقَتْ الَّتِي مِنْهُ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ ، كَانَ جِهَادُ الْأَعْدَاءِ . وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا الْهِنَاءِ ،
وَلَكِنَّهَا عَادَةُ الْوُدِّ ، وَسُنَّةُ الْأَخَا ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، يَجْعَلُهُ مَقْدَمًا مِمَّنْ الطَّائِرِ ،
مُتَّصِلِ الْبَشَائِرِ ، مُتَهَلِّلِ بِصَنْعِ اللَّهِ بَعْدَهُ ، وَجُودِ الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَيَجْرَى خَيْرُ
سَعَادَتِهِ مَجْرَى الْخَيْرِ السَّائِرِ ، وَبَشَكَرِ مَحَلِّ الدُّنَا ، فِيمَا كَانَ مِنْ اخْتِيَارِهِ ، وَمَزِيدِ
إِيشَارِهِ ، وَيَجَازِيهِ جَزَاءً مَنْ سَمَحَ فِي ذَاتِهِ بِمُظَنَّةِ ادِّخَارِهِ . وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ هَذَا الْفَرَضَ
لَا يُجْتَنَزَأُ فِيهِ بِالْكِتَابَةِ دُونَ الْإِسْتِنَابَةِ ، وَجَهْنَا لَكُمْ مِنْ يَقُومُ بِحَقِّهِ ، وَيَجْرَى
مِنْ تَقْرِيرِ مَا لَدَيْنَا عَلَى أَوْضَحِ طَرَفِهِ ، وَدَوِ الْقَائِدِ كَذَا ، وَمَجْدُكُمْ يَصْغَى لِمَا يَلْقِيهِ ،
وَيُقَابِلُ بِالْقَبُولِ مَا مِنْ ذَلِكَ يُوَدِّيهِ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ سَعَادَتَكُمْ وَيَحْرُسُ
مَجَادَتَكُمْ . وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ ذَلِكَ

الْإِمَارَةُ الَّتِي إِلَى مَشَابِثِهَا تَهْوَى رِكَابُ الْأَمَالِ ، وَعَلَى أَصَالَتِهَا تُقْصَرُ أَوْصَافُ
الْكَمَالِ ، فَأَفْعَالُ إِشَارَتِهَا الْكَرِيمَةُ مُعْتَمِدَةُ الْإِعْمَالِ ، وَمَعْلَمُ غَرَضِهَا مَوْصُولُ الْبَالِ الْكَمَالِ .
إِمَارَةُ مَحَلِّ أَخِينَا ، الَّذِي مَهَرَتْ جَلَالَتُهُ ، [وَظَهَرَتْ ظُهُورُ] ^(١) الصُّبْحِ الْمُبِينِ
طَهَارَتِهِ وَأَصَالَتِهِ ، وَسَعِدَتْ فِي سَمَا الْمَلِكِ هَالَتِهِ . الْأَمِيرُ الْكَذَا ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا
ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَذَا . أَبْقَاهُ اللَّهُ بِعِيدَةِ النَّظِيرِ وَالشَّيْبَةِ ، مُمْتَعًا بِأَيَّامِ أَبِيهِ ،
جَارِيًا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ عَلَى مَا يُرْضَى اللَّهُ وَيُرْضِيهِ ، حَتَّى تَصْدُقَ آمَالُ الدِّينِ فِيهِ ،
وَتَشَقَّ بِجِهَادِهِ تَحْتَ رَايَتِهِ الْمَنْصُورَةِ أَحْزَابُ الْكُفْرِ وَذَوِيهِ . مُعْظَمُ قَدَرِهِ الْأَسْمَى ،
وَمَوْقَرُ إِمَارَتِهِ الْعُظْمَى ، فَلَان . سَلَامُ كَرِيمٍ ، طَيِّبُ بَرٍّ عَمِيمٍ ، يَخْصُ أَخَوَتَكُمْ
الْكَرِيمَةَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَتَطَهَّرَتْ طَهَارَةً) ، وَالتَّصَوُّبُ مِنَ الْمُلْكِيَّةِ .

أما بعد حمدِ الله ، وأصل الأسباب ، ومُسْدَى^(١) الآراب ، الذى جعل المودة فيه كنفيلة بالزُّلْفَى وحُسْنِ المآب ، والصَّلَاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المجد الصَّراح اللَّباب ، والعزَّ الرفيع الجنب ، رسول الرحمة المفتحة الأبواب ، وهادى الخلق إلى مستقرِّ الكرامة ومثابة الثواب ، والرضا عمن له من الآل والقراية والأصحاب ، الذين نصرّوه فى حياته بإعمال السُّمر اللُّدان والبيض العَضَاب ، وخلفّوه فى أُمته ، بالهَدَى المشرق الشَّهاب . والدعاء لمقام والدنا أبيكم بالسَّعد الضَّافى الأثواب ، والنصر الحميد المآب ، والصُّنع الذى تروى سِماته عند تجلّيتها لأبصار أُولى الألباب . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كتب الله لكم من السَّعادة أَسْنَى ما كتبه لثلكم من عِلْية^(٢) الأمراء ، ووفّر حظكم من مقاسم السَّراء ، وأضفى عليكم ملابس الاعتناء ، وحفظ من طوارق الحدّثان ، إمارتكم السامية البناء .

من حمراء غَرْناطة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله ، الذى يؤمّل بعد وصول^(٣) التشيع فيكم اتصاله ، والسير الذى راقى بفضل الله ، ثم ببركة إمارتكم ، بُكره وآصاله ، وجبنا فيكم قد تمخض زلاله ، ووقفت علينا أمانى الدين وآماله . وإلى هذا ، وصل الله أسباب سعدكم ، وحفِظَ علينا ، ما نستعذبه من ودّكم ، فإننا لو أمكنا ، أن تكون المراسلة والمخاطبة بيننا وبينكم ، تتردّد مع الأنفاس ، فضلاً عن الساعات ، لأنّصينا ركاب الاستطاعات ، واقتنينا من ذلك أنفَس البضاعات . ولكن الأعذار تتيح التأخير فى العبادات والطّاعات ، فضلاً عما للمودة من المراعات . وكنتم عندما أصابكم التَّألم^(٣) الذى توفّر فيه الثواب ، وضفّت بعد العافية الأثواب ، وردت علينا الإشارة الكريمة بترجيه طبيب دارنا كى

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مضى) .

(٢) واردة فى الملكية والفاثيكاته ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

يباشر خدمتكم ، في جملة مَنْ ببابكم من الأطباء والحكماء ، أولى الألباب . ووافق ذلك الطبيب المذكور ، وقد أصابته شكاية تخبّط في أشراكها ، ونحى منحى الحارث بن همام في وطيس عراكها ، وعجز النفوس البشرية عن الإدراك غاية إدراكها ، وببند باريها سبحانه أزمّة سكونها وحراكها . فلما بان إبلاله ، وظهر استقلاله ، صرفنا نحو مثابيتكم الإمارية وجه ابتداره ، وأمرنا ببحث تسياره ، فتلبّيته النداء بذلك مشروعة ، ودعوته بكل فج عميق مسموعة ، ومن آخر واجباً لعذره ثم قضاءه ، فهو كمن أوقعه في ميقاته المختار وأمضاه . وغاية الطّب كما تقرر غرضان ، أحدهما إزالة المرض ، ورفع السبب الكفيل بدفع العرّض ، وثانيها حفظ الصّحة بحالها ، وإيجاد الأفعال الطبيعية بكاملها . فمدّ أغنى الله عن الأول بكمال العافية ، وانسحاب أثوابها الضّافية ، ومنّ على المسلمين بإناحة راحتكم بلطائفه الخافية ، فعسى أن يكون لهذا الحكيم في الغرض الثاني ، غناً زائداً ، ونجح بتسنّى الآمال رائداً ؛ فأنتم مُقلّة الإسلام ، التي بها يُبصر ، ومقامكم وأبيكم ، هو العُدّة التي بها يَنْتَصِر ، فإن شَمَلْتُمْ العافية ، شملت الأقطار ومن فيها ، وإذا ألمّ بكم ألمٌ ، أكبّت ليديها وفيها ، فمرضُكم يمرضها ، وشفاؤُكم يُشفيها ، وقد حملنا الإدلال ، الذي هو عنوان الوداد ، وعلامة خلوص الاعتقاد ، أن وجّهنا إلى بابكم معه من يتصرف فيما تعين من هذه الأغراض من خدمة ، ويتطوَّق من قبولكم عليه بأعظم نعمة ، وذلك كذا من الروميّات وكذا من صبيان الرُّوم ، وكذا من البَغلات . ولو كان قدْرُكم بحيث تلقى هدية تناسبه ، أن توجد تحفة يُكافأ بها جانبه ، لذهبنا مذهب الاعتذار ، واعترفنا بالتقصير في حقوقكم الكبار ، ولكنه إن عظم الحق الكبير ، وجلّ أن يأخذه التقدير ، يتساوى فيه العجم واليسير ، والتّاف والخطير ، فليس إلّا ودّ لا يُتّهم بالنقص والتقصير جانبه ، ولا تُرى بالالتباس مذهبُه ، والله تعالى يصله محفوظاً من الغير ، مكنوفاً بفضل السّير ، حتى تجتمع اليد على جهاد العدو ، وتفوز [تلك

المثابة الكريمة [^(١)] بالثناء المتلّو ، والفخر المجلّو . وقد ألقينا إلى موصّليه الحكيم المذكور من تقرير الودّ اللّباب ، والخلوص الوثيق الأسباب ، بيان ما أجملته عبارة هذا الكتاب ، وفضلكم يتكفل بالإصغاء إلى ما مِنْ ذلك يُودّيه ، والقبول على ما يُعيدّه ويُبديّه ، بفضل الله سبحانه ، وهو يصل سعدكم ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذي تقلد نافلة الفضل شفّعاً ، وجوّد سورة الكمال أفراداً ^(٢) وجمّعاً ، وجمع بين المنّح ، والتهنئة بالفتح ، فأحرز الكمال أصلاً وفرعاً ، واستحق الشكر عقلاً وشرعاً ، وأغرى أيدي جوده بالمقصد الذي هو حظّ وليه من وجوده ، فأثار من جيش اللّقا نفعاً ، ووسّط به جمعاً ، مقام محلّ أخينا ، الذي أقلام مقاصده درية ، بحسن التوقيع ، وعيون فضله مذكاة لإحكام الصّنيع ، وعذبات فضله ^(٣) تنفق بذروّة العلم المنيع ، ومكارمه تتفنّن فيها مذاهب التنويع . أبقاه الله ، وألّسن فضله ناطقة ، وأقيسة سعده صادقة ، وألويته بالنصر العزيز خافقة ، وبضائع مكارمه في أسواق البر نافقة ، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، وأخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته ، مُجلّ قدركم ، ومُلتزم برّكم ، وموجب حمْدكم وشكركم ، فلان .

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكرّمات وقفاً ، ونهج منه بإزائها ، سبيلاً لا تلتبس ولا تحق ، وعقد بينه وبين المزيد سبباً وخلفاً ؛ وجعل المودة في ذاته مما يقربُ إليه زُلْفى ، مُريخ تجارة من قصد وجهه بعمله ، حتى يرى الشئء ضِعْفاً

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الملكية والفايكانه ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال والفايكانه ، وفي الملكية (سورة) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفايكانه (فخره) .

وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السَّير ، بمن يوسعها فضلاً وعطفاً ، ويدنى ثمار الآمال ، فنتمتع بها اجتناءً وقطفاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، النبي العربي الكريم ، الرعوف الرحيم ، الذى مدَّ من الرحمة على الأمة سَجَفاً ، وملاً قلوبها تعاطفاً وتعارفاً ولُطفاً ، القائل من أيقن بالخلف جاد بالعطيَّة ، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السَّنية ، وعداً لا نجد فيه خِلفاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين كانوا من بعده للإسلام كهفاً ، وعلى أهله فى المواجه ظلاً ملتقاً ، غيوثُ النِّدا ، كلما شاموا سَمَاحاً ، وليوثُ العِدا كلما شهدوا زحفاً . والدعاء لمقام أُخوتكم الأُسعد بالنصر الذى يكفُّ من عدوان الكفر كفاً ، والمجد الذى لا يغادر كتابه من المفاخر ، الذى ترك الأوَّل للآخر حرفاً . وإلى هذا أيدكم الله بنصر من عنده ، وحكمٍ للملككم الأسمى باتصال سَعده ، وأنجَحز فى ظهوره على من عاند أمره سابق وَعِده . فإننا نقرر لدى مقامكم ، وإن كان الغنى بِأصاله عقله ، عن اختلاف الشاهد ونقله ، [وجلاء البيان وصقله] ^(١) أنَّ الهدايا ، وإن لم تحلُ العين بها كلما حلَّت ، أو تناوبها الاستنزار ، فما نبهت فى لحظ الاعتبار ولا جلَّت ، أو كانت زيفاً كلما أغرى بها الاختيار قلَّت ، لا بد أن تترك فى النفوس ميلاً ، وأن تستدعى من حُسْن الجزاء كيلاً ، وأن تنال من جانب التعاطف والتراحم نيلاً . وأى دليل أوضح محجَّة ، وأبين حجة من قوله صلى الله عليه وسلم ، تهادُّوا تحابُّوا ، من غير تبين مقدار ، ولا إعمال اعتبار ، ولا تفرقة بين لُجَيْن ولا نُضار . فكيف إذا كانت الهدية ، قلَّة الكبد ، الذى لا يلد العيش بعد فراقها ، ولا تضىء ظلم الجوانح إلَّا بعد طلوع شمسها وإشراقها . وجمع الشَّمْل الذى هو أقصى آمال النفوس الألفة ، والنواظر ^(٢) المصاحبة للحنين المحالفة ، ولا سيما إذا اقتعدت مَحْمَل الهنا ، بالفتح الرائق السَّنا ، وحفَّت بها

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (البواطن) .

من خلفها وأمامها صنایع البر وقومة الاعتنا ، فهناك تفخر ألسن السنا ، وتتطابق
أعلام الشكر السامية البنا ، وأنا ورد علينا كتابكم الذى سطره البر وأمله ،
وكنفه اللحظ وتولاه ، ووشحه البيان وحلاه ، مهناً بما منحه الله جل جلاله
من رد الحق ، وتحقيق الحق ، وتعين الجمع ورفع الفرق ، وتطويق الأمان
وأمان الطوق ، وإسعاد السعد ، وبإوغ القصد ، وقطع دابر من جمحد نعمة الأب
والجد ، وسل سيف البغي دأى الخد ، فالحمد لله حمداً يلهمه ويُتيحه ، [ونسله
أمداداً يسوغه ويُسيحه] ^(١) على أن أحسن العقبى ، وأعقب الحسنى ، وأرى
النعم بين فردى وشتى ، وجمع الشمل وقد تبدد ، وجدد رسم السعادة لهذا القطر
فتجدد ، وأخذ الظالم ، فلم يجد من مَحِيص ، وجمع لنا الأجر والفخر ، بين
تَحْصِيص وتَمَحِيص ، وقلد برءوس أولئك الفجرة الغدرة شرفات الفرضة التى
فرعوها ، وأطفأ بمراق ^(٢) دماهم نار الضلالة التى شرعوها ، وكتب لقبيلكم
الفضل الذى يُحمد ويشكر ، والحق الذى لا يُجحد ولا يُنكر ، فلقد أوى
لما تبرأت الخُلصان ، وتخفى عند ما تنكر الزمان ، وسبب الإدالة ، وطاوع
الأصالة ، والجلالة ، حتى فرج الله الكربة ، وأنس الغربة ، وأقال العثرة ،
وتقبل القربة ، له الحمد على آلائه وصلة نعمائه ^(٣) ملء أرضه وسماؤه ، ووصل
صحبته الولد مكنوفاً بجناح اللطف ، مُمهّداً له ببركتكم مهّاد العطف ، فبرزنا
إلى تلقية تنوياً بهديتكم وإشادة ، وإبداء فى برّكم وإعادة ، وأركبنا الجيش
الذى آثرنا حين استقلالنا عرضه ، وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه ، فبرز
إلى الفضاء الأفّيح ، حسن الترتيب ، سافراً عن المرأى العجيب . واولا الحنين
الذى تجده النفوس للأبناء وتستشعره ، والتشوق للقاء الذى لا يعجده منصف

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفايتكانه ، وساقط فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (بأراق) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (آلايه) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية والفايتكانه .

ولا ينكره ، لما شقَّ علينا طول مقامه في حِجْرِكُمْ ، ولا ثُوَاژه لِصُقِّ أَرِيكَةِ
أَمْرِكُمْ ، فجوارِكُمْ محل لاستعادة رسوم الإمارة ، وتعلُّم السياسة والإدارة ، حتى
يرد علينا يُقَدِّم كِتَابَةَ جهادِكُمْ ، ويقود إلينا طليعة نصرِكُمْ إِيَاناً وإِمْدَادِكُمْ . فنحن
الآن نشكر مَقَاصِدَكُم التي اقتضى الكمال سِياقَهَا ، وزَيْنَ المجد آفاقَهَا ، وقَدَّرَهَا
فَأَحْكَمَ طِبَاقَهَا ، ونقرر لديكُم أَنَّ حَظَّنَا من وِدَادِكُمْ ، ومَحَلَّنَا من جميل اعتقادِكُمْ ،
حَظٌّ بَانَ رَجَحَانَهُ وفضله ، ولم يَتَّأَتِ بين من سلف من السَّلَفِ مثله ، من الصُّحْبَةِ
في المنزل الخشن ، وهى الوسيلة ، وفي رعيها تظهر الفضيلة ، والاشتراك في لازم^(١)
الوصول إلى الحق ، وَضَمَّ أَشْتَاتَ الخَلْقِ ، والمودة الواضحة الطُّرُقِ إلى ما بين
السلف من الود الآمن بدره من الكلف ، المذخور إِذْمَتَهُ للخَلْفِ ، فإذا كانت
المعاملات جاريةً على حَسَبِهِ ، وشعبها راجعة إلى مذهبه ، جَنَى الإسلام ثَمَرَةً حَافِلَةً ،
واستكنى الدين إِيَالَةَ كَافِلَةً . فالله عز وجل يُمهد البلاد بِيَمْنٍ تدبيرِكُمْ ، ويُجرى
على مَهْيَعِ السَّدَادِ جميع أُمُورِكُمْ ، ويجعلِكُمْ من زَيْنَ الجهادِ عَوَاتِقَ أَعْمَالِهِ ، وكان
رضا الله أَقْصَى آمَالِهِ ، حتى تُرَبِّي مَآثِرَكُم على مَآثِرِ سَلَفِكُمْ ، الذى عرف هذا
الوطن الجهادى أَمْدَادَهُمْ ، وشكر جهادَهُمْ ، وَقَبِلَ الله فيه أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، وَحَسَّنَ
من أَجَلِهِ مَعَادَهُمْ . وقد حضر بين يدينا رسولكُم الذى وَجَّهْتُم الولدَ أَسْعَدَهُ الله إلى
نظَرِهِ ، وتخيرتموه لصُحْبَةِ سفرِهِ ، فلان . وهو من الأمانة والفضل ، والرَّجَاحَةِ
والعقل بحيث طابَقَ اختيارِكُمْ ، واستحقَّ إِيثَارِكُمْ . فَأَطْنَبَ في تقدير مالديكُم
من عناية هذه الأوطان ، عَيَّنْتَ الرَّفْدَ ، وَضَرَبْتَ الوَعْدَ ، وَأَخْلَصْتَ في سبيل
الله القصد ، وغير ذلك مما يُوَكِّدُ المودة المستقرَّةَ الأركانَ ، على التقوى والرِّضْوَانِ .
فَأَجْبَنَاهُ بِأَضْعَافِ ذلك مما لدينا لَكُمْ ، وقابلنا بالثناء الجميل قولكُم وَعَمَلِكُم ،
والله يصل سعدكُم ، ويحرس مجدكُم ، والسلام الكريم يَخْصُكُمْ ، ورحمة الله
وبركاته .

(١) وردت في الإسكوريال (ضم) ، والتصويب من الملكية .

ومن ذلك

الأبوابُ التي تُفتحُ لنصرها أبواب السماء ، وتُستدّرُ من آفاقها سحب النعماء ،
وتجلى بأنوار سعدا دياجي الظلماء ، وتعرف نكرة^(١) العباد والبلاد بالانتساب
إلى محبّتها ، والانتفاء ، على اختلاف العروض ، وتباين الحدود ، وتعدد الأسماء ،
وتجتزئ من صلاة صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيمان ، وتحمل
لها التحية ذات الدسر والألواح ، طاعةً نَحْرُ الصباح على كَيْدِ الماء [أبواب]^(٢)
السلطان الكبير الجليل الشهير الظاهر الطاهر الأوحد الأسعد الأضعد الأمجد الأعلى ،
العادل العالم الفاضل الكامل ، سلطان الإسلام والمسلمين ، عماد الدنيا والدين ،
رافع ظلال العدل^(٣) على العالمين . جمال الإسلام ، علَمُ الأعلام ، فخر الليالي
والأيام ، ملك البرّين والبحرين (إمام الحرمين)^(٤) ، مؤمّل الأمصار والأقطار ،
عاصِبُ تاج الفِخار ، هازِمُ الفَرَنْجِ والترك والتُّطار^(٥) ، الملك المنصور ابن الأمير
الرّفيع المجادة ، الكريم الولادة ، الظاهر الطاهر ، الكبير الشهير ، المعظم الممجّد
الأسْمى الموقر الأعلى ، فخر الملة ، سيف الأمة ، تاج الإمارة ، عز الإسلام ،
مُستَظِلُّ الأنام ، قمر الميدان ، أسد الحرب العوان^(٦) المقدس ، المطهر ، الأمير
أحمد ابن^(٧) والد السلاطين وملك المسلمين ، وسيف خلافة الله على العالمين ، ووليّ
المؤمنين ، سلطان الجهاد والحج ، ومقيم رسم العجّ والبيجّ والشجّ^(٨) ، محيي

(١) هذه الكلمة زائدة في الفاتيكاه .

(٢) هذه الكلمة واردة في الفاتيكاه ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) وردت في الإسكوريال (الغزو) ، والتصويب من الملكية والفاتيكاه .

(٤) واردة في الإسكوريال والفاتيكاه ، وساقطة في الملكية .

(٥) أي التتار .

(٦) واردة في الملكية والفاتيكاه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) ساقطة في الفاتيكاه .

(٨) ورد في هامش اللوحة المخطوطة ١٣٠ إسكوريال ما يأتي : في الحديث أنفصل الحج ، العجّ والشجّ .
أما العجّ في لغة العرب فرفع الصوت ومنه العجيج . أما الشجّ فهو عندها سيلان ماء الهدى .

معالم الدين ، قانع المعتدين ، قاهر الخوارج والتمرديين ، ناصر السنة ، مُحيي
 الملة ، ملك البرّين والبَحْرَيْن ، سلطان الحرّمين ، الملك العادل العالم العامل الطاهر
 الظاهر ، الأسعد الأصعد الأوحد ، الأعلى ، المنصور المؤيد المعان ، المرفّع المعظم
 المبجل ، المجاهد المرابط الغازي ، المعجّد المكمل المطهر ، الكبير الشهير ، المقدس
 الملك الناصر ، أبو عبد الله محمد بن قلاؤن الصالحى ، جعل الله قسطاس دعوته
 معموداً بعمود الصبح ، وحركات عزمه مبنية على الفتح ، ومجمل سعادته
 غنياً عن الشرح ، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح ، وزناد آرابه وإريّة
 عن القدح . موجبُ حقّه وجوب الشعائر الخمس ، المرحب لأجل أفقه الشرق
 بوفادة الشمس ، المجدد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف ، رحمه الله ، في الأمس ،
 أمير المسلمين بالأندلس ، عبد الله الغالب به ، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن
 فرج بن نصر . سلام كريم طيب كما زَحَفَت راية الصباح ، تُقدّمها طلائع
 مبشّرات الرياح ، تُفأوح زهر الأدّواح ، وتحاسنُ طُرُر الوجوه الملاح ، يخص
 أبوتكم ، التي رَتَبَ العز فصولها ، [وعضدت نصوص النظر فصولها] ^(١) ،
 ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله الذى جَعَلَهُ فاتحة القرآن ، وخاتمة دعا أهل الجنان ، وشكره
 على ما أوى من مواهب الاحسان حمداً وشكراً ، استخدمنا زَمَر الإحسان ^(٢) ، ملكتنى القلب
 واللسان . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، زهرة كمامة الأكوان ،
 وسيد ولد آدم ، على اختلاف اللُّغات والألوان ، الذى أذلَّ بعزة الله أنوف
 الطُغَيان ، وغطى بدينه الحقّ على الأديان ، وزُوِيَتْ له الأرض ، فرأى مُلكَ
 أمته ، يبلغ ما زوى له ، فكان الخبر وفق العيان ، والرضا عمن له من الأصحاب
 والأحباب والأعمام والأخوال والإخوان ، صلاة يَجِدُّهَا الجديدان ، ويمليها

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والفاثيكانه ، وساقط في الملكية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانه (الإنسان) .

الملوان ، وتتراحم على تربته المقدسة مع الأحيان ، ما سَجَّعت طيور البراعة في
أُغماد اليراعة على الأفنان ، والتفتت عيون الالتفات من بين أجفان البيان .
والدعاء لمقام أبوتكم الشريفة ، جعل الله عصمته يقيم بها وظيفتي الحجابة
والاستئذان ، وضرب بدعوتها التي هي لدّة الإمامة والأذان على الآذان ، واستخدم
بروح الفلك الدوّار في أمرها العزيز الأنصار والأعوان ، حتى يعمل في المدافعة
عن حماها مخالب السّرحان ، وفي الإشادة بعلمها كفتى الميزان ، ويهدى لها من
الزهرة كُرّة الميدان ، ومن الحلال عَوْض الصّولجان ، وأبقى في عواملها ضَمِير الأمر
والشّان ، إلى يوم تُعنى وجود الملوك إلى الملك الديّان . فإننا كتبناه إلى تلك
الأبواب ، كتب الله لعبها النصر الداخلة ، كما أُنجل^(١) بمكارمها السحاب الباخلة ،
وجعل مفارق مناصلها المُختَصبة ، من نَجيع عداها ، عين الناصلة ، وقرن بكل
سبب من أضدادها فاصلة .

من دار ملك الإسلام بالأندلس ، حمراء غرناطة ، وصل الله سبحانه عادة
الدفاع عن أرجائها ، وشد بأيدي اليقين عرى أَمَلها في الله ورَجائها حيث المصاف
المعقود ، وثمن النفوس المنقود ، ونار الحرب ذات الوقود ، حيث الأفق قد
تردى بالقتام وتعمّم ، والسيف قد تجرّد وتيمّم ، وغبار الجهاد يقول أنا الأمان
من دخان جهنّم ، حيث الإسلام من عدوه ، كالشّامة من جلد البعير ، والتمرة
من أوسق العير ، حيث المصارع تتراحم الحور على شهدائها ، والأبطال يعلو بالتكبير
مسمع ندائها ، حيث الوجوه الصّاحكة المستبشرة^(٢) قد زينتها الكلوم ، وفرّ عن
سماتها اللوم ، ودارت بها الجوامع تواريها ، وسلّمت^(٣) منها النفوس إلى الله مشتريها ،
حيث لا إله إلا الله قد اقتطعها عمن وراءها ، بحر يزخر ، وكفر عن الإقدام

(١) هكذا وردت في الفاتيكانه ، وفي المخطوطين (أحجب) .

(٢) واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في المخطوطين (وسلّمت) ، والتصويب من الفاتيكانه .

عليها لا يتأخر ، وكلمة بتثليث الله تفخر ، [تعالى الله عن ذلك] ^(١) ، وأمة لا تصون نفوسها عن الموت ولا تذخر . وعندنا من التعظيم لتلك الأبواب ، ما لو اعتقدته الرياح لسكنت وقاراً ، أو الأفلاك ما ألفت مداراً ، توسع عن أنبائكم مطالع الصباح استخباراً ، ونستهدي لطائفها أنفاس الرياح أصائل وأسحاراً ، ونقنع بالقليل قنوع المحب إذا لم يجد مزاراً ، ونعد من الاستغراق بجهد المراد المراق عن مراسلة تلك الآفاق أغذاراً ، لا يوسعها الحق إلا قبولاً وإيثاراً . ولما ضاق نطاق الصبر عن ذلك عما يواريه ، وأصبح بين خجل يُلقيه ، وأمل يُغريه ، وبرى ^(٢) الميراع [إلى مكة] ^(٣) شوق كاد يُفنيه عن بُريه ، أصدرنا هذه المخاطبة الحمرا ، قد ورد خدّها الخجل ، وقصر عن القيام بعُذرها المروى والمرّجل ، تنوب عن الكلام بالإشارة ، وتخاف الردّ لإغفال الزيارة . واقفة بباب الإيوان ، مُتقاصرة بدارة الخوان عن رتب الإخوان ، قُصّارها تحصيل الإغضا عن قصورها ، ورفع الإهمال عن سورها ، والارتما عن غُرْبَتها ، وبُعْد رتبتها ، ورغى وسيلتها وقُرْبَتها . فلتنعم الأبواب الشريفة ، بالإصغاء ، وليُبلغ عن باب الإلغا ، ولتعلم مجالسها الممهّدة على التقوى المؤسّسة ، وحاموها المشرقة المقدسة ، أن هذا القطر الذي أفضت إلينا رعاية رعاياه ، ومهّدت لسياستها أكوار مطايه ، وجعلت بيدنا ، والمنة لله ، عُباب عطايه ، قطرٌ مستقل بنفسه ، مرب يومه في البرّ على أمسه ، زكى المنابت ، عذب المشارب ، متمم المآمل ، مكمل المآرب ، فاره الحيوان ، مُعتدل السمن والألوان ، وسيطة في الأقاليم السبعة ، شاهدة لله بإحكام الصنعة ، أما خيلُه ففارهة ، وإلى الرّكض شارهة ، وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة ، وأما أسله فحسن النعت ، ليّن العطف ، وأما أسننه فمتدركة الخطف ، وأما عوامله فيينة الحذف ، وأما نباله فمحدورة القذف ،

(١) واردة في الإسكوريال والملكية ، وساقطة في الفاتيكانه .

(٢) هكذا في الفاتيكانه ووردت في الإسكوريال (وراع) ، وفي الملكية (جرى) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ فِي سَفْطٍ مَعَ الْحَيَّاتِ ، وَدَرِيئَةٍ لِّلْمَنِيِّاتِ الْوَحِيَّاتِ ، وَهَدَفًا لِّلنَّبَالِ ،
وَأَكَلَةً لِّلسَّبَالِ ، تَطَاهَمُ الْغَارَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ ، وَتَتَخَيَّفُهُمُ الْحُدُودُ الْمُصَاقِبَةُ ، وَتَعْجُوسُ
خِلَالِهِمُ الْعُيُونُ الْمُرَاقِبَةُ ، وَتُزَيِّبُ مِنْ أَشْكَالٍ مُّخْتَلِفَةٍ ، إِلَّا بِفَضْلِ اللَّهِ الْعَافِيَةِ .
فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ ، وَالضَّرْبُ الْهَيَّزَ وَالْهَنْئَ وَالتَّبَرُّ وَالْمُقَابِلَةَ وَالْجَبْرَ . وَقَدْ حَالَ الْبَحْرُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِ مَلَّتَهُمْ وَأَسَاةَ عَلَّتَهُمْ ، يَقُومُونَ بِهَذَا الْغَرَضِ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ،
وَيَقْرِضُونَ مُلْكَ يَوْمِ الْعَرْضِ أَحْسَنَ الْقَرَضِ ، فَلَوْلَا بَعْدَ الْمَدَى ، وَغَوْلُ الرَّدَى ،
وَلَغَطُ الْعَدَا ، وَمَا عَدَا عَمَائِدَا ، لَسَمِعْتُمْ تَكْبِيرَ الْحَدَلَاتِ ، وَزَيْئَ أُسُودِ تِلْكَ
الْفَلَاتِ ، وَدَوَى الْحَوَافِرِ ، وَصَلِيلَ السِّيُوفِ مِنْ فَوْقِ الْمَقَاصِرِ ، وَصَرَخَ الثُّكَالَى ،
وَالْإِرْتِفَاعُ ^(١) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ ارْتَفَعَ قَيْدُ الْمَكَانِ ، وَهُوَ لِلْأَوْلِيَاءِ مِثْلُكُمْ ، مِنْ حَيْزِ
الْإِمْكَانِ . لَمَغْلَمٌ مُّقْلَ الْأَسْنَةِ الزَّرَقِ ، حَالَةً مِنْ أَطْرَافِ قَضْبِ الرِّمَاحِ مَحَالِ الْوَرَقِ ،
وَأَبْصَرْتُمْ الْقَنَا الْخَطَّارَ قَدْ عَادَ أَخْلَهُ ، وَالسِّيُوفَ قَدْ صَارَتْ فَوْقَ بُدُورِ الْحُدُودِ
أَهْلَةً ، وَعَقُودَ الشَّهَادَةِ عِنْدَ قَاضِي السَّعَادَةِ مُسْتَقْلَةً . وَكَانَ كَمَا تَحْضُرُهُ عُلُومُكُمْ
الشَّرِيفَةِ ، حِذْقُ سُورَةِ الْفَتْحِ ، وَآخِرُ دَلَاءِ ذَلِكَ الدَّمْعِ ، عُرْضُ عَلَى الْفَارُوقِ
فَاحْتَاطَ ، وَأَغْرَى بِهِ مَنْ يَبْعُدُهُ فَاسْتَشَاطَ ، وَاخْتَطَّ وَخَاطَ ، وَسَرَحَتْ خَيْلُ ابْنِ
أَنَّى سَرَحَ ، فِي خَبَرٍ يَدْعُو إِلَى الشَّرْحِ ، حَتَّى إِذَا وُلِدَ مِرْوَانُ تَقَلَّدُوا كُرْبَتَهَا الَّتِي
هَوَتْ ، وَخَضَمُوا مَا أَنْصَجَتْ وَرَثَتُهُ ^(٢) الْحَقُّ وَشَوَّبَتْ ، وَيَدُهُمْ عَلَى الْأَمْرِ
أَحْتَوَتْ ، وَفَازَتْ مِنْهُ بِمَا نَوَتْ ، نَفْلٌ وَلَايَدُهُ الْوَلِيدُ ، وَجَابَ لَهُ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ ،
وَطَرَقَتْهُ خَيْلُ طَارِقٍ ، وَضَاقَتْ عَنْ أَخْبَارِهِ الْمَهَارِقُ ، وَجَلَّتْ الْفَائِدَةُ ، وَظَهَرَ
عَلَى الدَّخِيرَةِ الَّتِي مِنْهَا الْمَائِدَةُ . ثُمَّ اسْتَرْسَلَ الْمَهْبُ ، وَنَصَرَ الرَّبُّ ، وَكَثُرَ الطَّيْرُ ^(٣)
حَيْثُ يَنْتَشِرُ الْحَبُّ ، وَصَرَفَتْ أَسْرَابُ ^(٤) الشَّامِ أَعْفَتَهَا إِلَى التَّمَّاسِ خَيْرِهِ ، وَطَارَتْ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (إِرْتِفَاعٌ) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَزَنَةٌ) .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (الطَّائِرُ) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ وَالْفَاتِيكَانَةِ (أَشْرَافُ) .

بأجنحة الغرام تيمُّنا بطيِّره ، وقصدته الطلائع صُحبة بلُج بن بشر وغيره ،
 ففتحت الأقفال ، [ونفّلت الأنفال ، ونَجَح الفال] ^(١) ودُسمت الأغفال ،
 وافتتحت البلاد الشهيرة ، وانتقيت العذارى الخيرة [واقتنيت الذخيرة] ^(٢)
 وتجاوز الإسلام الدُّرُوب وتخطَّأ ، وخَضد الأَرطى وأَرْكَب وأَمْطى ، واستوثق
 واستَوَطى ، وتثأب وتمطَّى ، حتى إذا تعددت مراحلُ البَريد ، وسخُنَت عين
 الشيطان المريد ، واستوسق الإسلام ملك ضخم السَّرادق ، مرَّهوب البوارق ، رفيع
 العُمد ، بعيد الأمد ، تشهد بذلك الآثار والأخبار ، والوقائع الكبار ، والأوراق
 والأسطار ، وهل يَخْفَى النهار . ولكل هُبوب رُكود ، والدَّهر حُسود لمن يَسود ،
 فراجعت الفرنج كرَّتها ، واستدركت معرَّتها ، فدَوَّخت جوارِحها . وحلَّقت ،
 وأومَضت بوارِقها وتألَّقت ، وتشبَّثت وتعلَّقت ، وأرسلت الأَعنة وأطلَّقت ،
 وراجعت العقائل التي طُلِّقت ^(٣) ، حتى لم يبق من الكتاب إلَّا العاشية ، ولا من
 اللَّيل إلَّا الناشية ، وسقطت الغاشية ، وأخلدت أَلْفِيَّة المُتلاشية ، وتقلَّصت
 الظلال الفاشية . إلَّا أن الله تدارك بقوم ^(٤) [رجح] من سَلَفنا ، استثبتوا ^(٥) في
 مُستنقع الحَرْب ^(٦) أقدامهم ، وأخلصوا لله بأسهم وأقدامهم ، ووصاوا سيوفهم
 الباترة بخطاهم ، وأعطاهم منشور العزِّ من أعطاهم ، حتى تعين الدِّين وتمجِّز ،
 واشتھر بالموافقة وتميِّز ، وعادت الحُرُوب سجالات ، وعَلِمَ الروم أن لله رجالاً .
 وقد أوفد جدنا رضى الله عنه ، على أبواب سَلَفِكُم من وقائعِهِ في العدو كل
 مُبَشِّرة ، ووجودية منتشرة ، ضحككت لها ثغور الثغور . وسرَّت في الأعطاف حُمياً

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط في الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (أطلقت) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) وردت في الملكية وفي الإسكوريال والفاتيكانه (أثبتوا) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (الموت) .

السُرور ، وكانت المراجعة عنها شِفَاءً بالصدر ، وتماثَمَ في الدُّور ، وخَفَرًا في وجوه
البدور . فإن ذِمَامَ الإسلام مَوْصُول ، وفروعه تجمعها في الله أَصُول ، وما أَقرب
الحق من داره صُول ، والمِلَّةُ والمِنَّةُ لله واحدة ، والنفوس لا منكرَةُ الحق ولا جاحِدة ،
والأقدار معروفة ، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مَصْرُوفَةٌ ، فإذا لم يكن الاستِدعاء
أمكن الدُّعاء ، والخواطر فعالة ، والكل على الله عالة ، والدين غريب ، والغريب
يحنُّ إلى أصله ^(١) ، والمرءُ كثير بأخيه على بُعد محله . ولما صَيَّرَ الله إلينا تراثهم
الهنى ، وأمرهم السَّنى ، وبناءهم العبادى [وملكهم الجهادى] ^(٢) أَجْرَانَا
وله الطول على سُنَنهم ، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرقة وقَنِينهم ، وحملنا
فهم خير حمل ، ونظم لنا بهم أَى شَمْل ، وأَلْبَسَ أَيْامنا سَلْمًا ^(٣) فسيح
الإثارة ، وأحكم الإدارة ، وهنَّا الإمارة ومكَّنَ العِمارة ، وأَمَّنَ في البر
والبحر السَّيَّارة والعبارة ، لولا ما طَرَقهم فيها من تَمَحُّيص [أَجلى عن
تَخْصِيص ، وتمَحَّض بتره بعد تَخْلِيص] ^(٤) ومرام عَوِيص ، نبشكم بثه ،
ونوالى لديكم حثه ، ونجمع مُنبِئَةً . فإن [فى قصٍّ] ^(٥) الحوادث ذِكْرَى ، ومعروف
الدهر لا يومن أن يكون ^(٦) نُكْرًا ، وشرُّ الوجود معاقبٌ بخيره ، والسَّعيد من
اتَّعَظَ بغيره ، والحزْمُ أَفْضَلُ ما إليه يُنْتَسَب ، وعقل التجربة بالأمران يُكْتَسَب ،
وهو أن بعضاً ممَّن ينتسب إلى بَيْتِنَا بوشايح الأعراق ، لا بكارم الأخلاق ،
ويمتُّ إلينا بالقرابة البعيدة ، لا بالنَّسْبة السَّعيدة ، ممن كَفَلْنَاهُ يَتِيمًا ، وصنَّاهُ

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاطيكاه . (أهله) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاطيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاطيكاه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكاه .

(٥) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاطيكاه .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاطيكاه (يعود) .

ذميماً شتيماً ، وبوأناه مُبَوِّاً كريماً ، بعد أن نشأ حرفوشاً ذميماً ، وملعوناً لثيماً ،
ونوّهناه من خُمُوله بالولاية ، ونَسَخْنَا حُكْمَ تَسَحُّبِهِ بِآيَةِ العِناية ، داخل أخاً لنا ،
كنا أَلْزَمْنَاهُ الاقْتِصَارَ على قَصْرِهِ ، ولم نجعل أداة تدل على حَصْرِهِ ، وسامحنَاهُ في
كثير من أَمْرِهِ ، ولم نَرْتَبْ بزيده ولا عَمْرِهِ ، واغثرنا بِرَمَادِهِ على حَجَرِهِ ،
فاستدعى له من الصعاليك شيعته^(١) كل دَرَبٍ بفك الأغلاق ، وتسَرَّبَ انفاق
النِّفاق ، وخارق للإجماع والإصفاق ، وخبير بمكايد الخراب ومذاهب الفُسَاق ،
وتسوّر بهم القلعة من ثلم شرع في سدّه بعد هدّه ، ولم تكمل الأقدار المميّزة في حدّه ،
في ليلة آثرنا مبيتها ببعض البساتين خارج قصرنا ، واستنَبْنَا من يضطلع
بأُمُورنا ، فاستمّ الحيلة التي شرعها ، واقتحم القلعة وافترعها ، وجدّل حَرَسَ
العَوْرَةِ وصَرعها ، وكبَسَ محلّ النّائب عنا وحدّله ، ولم ينشب أن جدّله ،
واستخرج الأخ اليائس فنصبه ، وشدّ به تاج الولاية وعَصَبِهِ ، وابتنز أَمْرُنَا
وغَصَبِهِ ، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تَمَّت ، والدَّبرَةُ بنا قد أَلَمَتْ ،
ولقد هَمَّتْ^(٢) بِخَذْلِ النّاصر وانقطعت الأواصر ، وأقدم المُتَقاصِر ، واقتُحمت
الأبهاء والمقاصر ، وتفرّقت الأجزاء وتحلّلت العناصر ، وفقد من عين الأعيان
النور الباصرة فأعطوه طاعةً معروفة ، وأضحت الوجوه إليه مَصْرُوفَةٌ ، وركضنا
وسرعانُ الخيل تقفو أثر شجانتنا والظلام يخفيها ، وتكفّى علينا السّماء والله
يَكْفِيهَا ، إلى أن خلصنا إلى مدينة وادی آش خاوص القمر من السّرار ، لا نملك
إِلَّا نَفْساً مُسَلِّمَةً لحكم الأقدار ، ملقيةً لله مقادة الاختيار ، مَسْلُوبَةُ المُلْكِ [والبلد
والأهل]^(٣) وأُولد والشعار والآثار^(٤) ، لا تعرف سبباً لنكث العهد من بعد
العمل بموجبه والاستقرار . وناصَحْنَا أهل المدينة فعملوا على الحصار ، واستبَصَرُوا

(١) هذه الكلمة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (سمت) .

(٣) هذه العبارة واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) زائدة في الملكية والفاتيكانه .

في الدفاع عنا أتم الاستبصار ، ورضوا لبيوتهم المصحرة ، وبساتينهم المُستبحرة ،
بفساد الحديد وعبث النار ، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفار ، ولا لنفوسهم بالعار .
إلى أن كان الخروجُ عن الوطن : بعد خطوب تسبحُ فيها الأقلام سبْحاً طويلاً ،
وتوسعها الشجون شرحاً وتأويلاً ، ويلقى القصص منها الأذان قولاً ثقيلاً ، وجُزْناً
البحر ، وضلوع موجه إشفاقاً علينا تخفّق ، وأكف رياحه حَسرة تُصَفّق ، ونزلنا
من جناب سلطان بني مَرّين على المثنوى الذي رَحّب بنا ذرْعَه ، ودلّ على كرم
الأصول قرْعَه ، والكريم الذي وهبَ فأجزل ، ونزل لنا عن الصّهوة وتنزل ، وخير
وحكم ، وردّ على الدهر الذي تهكّم ^(١) ، واستعبر وتبسّم ، وآلى وأقسم ، وبسّمَل
وقدّم ، واستركب لنا واستخدم . ولما بدا لما وراءنا سيئات ما اكتسبوا ، وحققوا
ما حسبوا ، وطفأ الغنا ورهبوا ، ولم ينشب الشق الجريّ أن قتل البائس الذي
مدّه بزيفه ، وطوّقه بسيفه ، ودلّ ركبُ المخافة على خيفه ، إذ أَمِنَ المغضوب ^(٢)
من كيّده ، وجعل ضرغامه بازياً لصيّده ، واستقلّ على أريكته استقلال الظّليم ،
على تريّكته ، حاسر الهامة ، مُتَنَفِّحاً بالشّجاعة والشّهامة ، مُسْتَظْهِراً بأولى الجهالة
والجهامة ، وساءت في محاولة عدوّ الدين سيرته . ولما حَصَصَ الحق انتكشت
مَريّته ، وخبثت سَريّته ، وارتابت ^(٣) لحيته المستور جيرته ، وفقر عليه طاغية
الرّوم فمه فالتهمه ، ومدّه عليه الصّليب ذراعَه فراعَه ، وشدّ عليه الكُفْر يده ،
فما عضده الله ولا أيّده ، وتخرّمت ^(٤) ثغور الإسلام بعد انتظامها ، وشكّت إلى الله
باهتِصامها ، وغصّت بإشلاء ^(٥) عباد الله وعظامها ظهور أوصامها ، ورُكِلت
السّنة والجماعة ، وانقطعت من النّجح الطّاعة ، واشتدّت المجاعة ، وظلمت

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (تحكم) .

(٢) في الفاتيكانه (المضوف) .

(٣) واردة في الملكية والفاتيكانه ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) في الفاتيكانه (وتخربت) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (بابتلاء) ، والتصويب ألزم للسباق .

شمسُ دعوتنا من المغرب ، فقامتُ عليها السَّاعةُ ، وأَجَزْنَا البحرَ تكادُ جهتهَا
تَتَقَارِبُ تَبَسِيرًا ، ورياحُه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرًا . وكأنَّ ماءه ذوبٌ
لَقِيَ إِكْسِيرًا . ونَهَضْنَا يَتَقَدَّمُنَا الرَّعْبُ ، ويتبعنا الدُّعا ، وتُحَاجِي ^(١) بنا الإشارة
ويَحْفِرُنَا ^(٢) الاستِدْعَا ، وأَقْصَرَ الطَّاعِيَةُ عن البلاد ، بعد أن ترك ثغورها مَهْتُومَةً ،
والإخافة عليها مَحْتُومَةً ، وطوابعها مَفْضُومَةً ، وكانت بنا مَحْتُومَةً . وأخذت
الخائِنِ الصَّبِيحَةَ ، فاختَبَل ، وظهر هَوْرُهُ الذي عليه جبل ، فجمع أَوْبَاشَهُ السَّفَلَةَ
وأَوْشَابَهُ ، وطَرَقَهُ الذي غَشَّ به المَخْضُ وشَابَهُ ، وعمد إلى الذَّخِيرَةِ ، التي صَانَتْهَا
الْأَغْلَاقُ الْحَرِيرِيَّةُ ، والمعَاقِلُ الْعَزِيزَةُ ، فمَلَأَ بِهَا الْمَنَاطِقَ ، واستَوَعَبَ الصَّامِتَ
وَالنَّاطِقَ ، وَالْوَشْخَ وَالْعَرَاطِقَ ، واحتمل عُدَدَ الْحَرْبِ وَالزَّيْنَةَ ، وخرج ليلاً عن
الْمَدِينَةِ ، واقتَضَتْ آراؤُهُ الْفَائِلَةَ ، وهَامَتُهُ الشَّائِلَةُ ، ودَوْلَةُ بَغْيِهِ الزَّائِلَةُ ، أن يقصد
طَاعِيَةَ الرُّومِ بِقَضِيَّتِهِ وَقَضِيضِهِ ، وَأَوْجِهَ وَحَضِيضِهِ ، وطَوِيلَهُ وَعَرِيضَهُ ، من غير
عَقْدٍ اقْتَضَى وَثِيقَتَهُ ، ولا أَمْرٍ عُرِفَ حَقِيقَتُهُ ، إِلَّا مَا أَمَّلَ اشْتِرَاطُهُ مِنْ تَبْدِيلِ
الْكَلِمَةِ ، واستِئْصَالِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ ، فلم يكن إِلَّا أن تحَصَّلَ في قبضته ، ودَنَا
مِنْ مَضْجَعٍ ^(٣) رَبَضَتْهُ ، واستَشَارَ نَصَحَاهُ فِي أَمْرِهِ ، وَحَكَّمَ الْحِيلَةَ فِي جَنَابَةِ غَدْرِهِ ،
وشَهَرَهُ بِبَلَدِهِ ، وتَوَلَّى بَعْدَ قَتْلِهِ بِيَدِهِ ، وأَلْحَقَ بِهِ بَعْدَ جَمِيعٍ مِنْ أَمَدِهِ فِي
غِيَّهِ ، وظَاهَرَهُ عَلَى سُوءِ سَعْيِهِ . ووَجَّهَ إِلَيْنَا بَرءَ وَسْهَمٍ ، فنُصِبَتْ بِمَشُورِ غَدْرِهَا ،
وَقُلِّدَتْ لِبَةِ تِلْكَ الْبَنِيَّةِ بِشَدْرِهَا ، وَأَصْبَحَتْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وآيَةً لِلْمُبْصِرِينَ
وَأَحَقَّ اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ، وقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . وَعُدْنَا إِلَى أَرِيكَةٍ مُلْكِنَا ، كما
رَجَعَ الْقَمَرُ إِلَى بَيْتِهِ ، بَعْدَ كَيْتَةٍ وَكَيْتَةٍ ، أَوِ الْعَقْدُ إِلَى جِيدِهِ ، بَعْدَ انْتِثَارِ
فَرِيدِهِ ، أَوِ الطَّيْرُ إِلَى وَكْرِهِ ، مَفْلَتًا مِنْ غَدْرِ الشُّرْكِ وَمَكْرِهِ ، ينظر ^(٤) النَّاسُ

(١) وردت في الإسكوريال (ويحامي) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٢) هكذا وردت في الفاتيكانه ، ووردت في المخطوطين (ويحفظنا) ، والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (بجمع) ، والأولى أرجح .

(٤) وردت في الإسكوريال (ينطق) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

إِلَيْنَا بَعُثُونَ لَمْ تَرَ مِنْذُ غِنْنَا مِنْ مُحِيَّا رَحْمَةً ، وَلَا طَمِثَتْ ^(١) عَلَيْهَا بَعْدُنَا غَمَامَةٌ نِعْمَةٌ ، وَلَا بَاتَتْ لِلسِّيَاسَةِ فِي ذِمَّةٍ ، وَلَا رَكَكَتْ لِدِينٍ وَلَا مِثَّةٍ . فَطَوَّيْنَا بِسَاطِ الْعِتَابِ طَيِّ الْكِتَابِ ؛ وَاعَاجَلْنَا سَطُورَ الْمُؤَاخَذَةِ بِالْإِضْرَابِ ، وَأَنَسْنَا نَفُوسَ أُولَى الْإِفْتِرَاقِ بِالْإِقْتِرَابِ ، وَسَهَّلْنَا الْوُصُولَ إِلَيْنَا ، وَاسْتَغْفَرْنَا اللَّهُ لِنَفْسِنَا وَلِنَ جَنَى عَلَيْنَا ، فَلَا تَسْلُوكُوا عَمَّا أَثَارَ ذَلِكَ مِنْ اسْتِدْرَاكِ نَدَمٍ ، وَرُسُوخِ قَدَمٍ ، وَاسْتِمْتَاعِ بِوُجُودٍ بَعْدَ عَدَمٍ . فَسَبْحَانَ الَّذِي يُمَحِّصُ لِيُثِيبَ ، وَيَأْمُرُ بِالْدَّعَاءِ فَيُجِيبُ ، وَيَنْبَهُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَيُهَيِّبُ ، وَيَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَرَأَيْنَا أَنَّ نُطَالِعَ عُلُومَكُمْ الْمَشْرِفَةَ [بِهَذَا الْوَاقِعِ] ^(٢) تَسْيِيْبًا لِلْفَاتِحَةِ الْمُعْتَمِدَةِ ، وَتَهْيِيدًا لِلْمُؤَالَاةِ الْمَجْدُودَةِ ، فَأَنْخَبَارَ الْأَقْطَارِ مِمَّا تُنْفِقُهُ الْمُلُوكُ عَلَى أَسْمَارِهَا ، وَتَرْقُمُ بِيَدَائِعِهِ هَالَاتِ أَقْمَارِهَا ، وَتُسْتَفِيدُ مِنْهُ حُسْنَ السَّيْرِ ، وَالْأَمَانَ مِنَ الْغَيْرِ ، وَتَسْتَعِينُ عَلَى الدَّهْرِ بِالتَّجَارِبِ ، وَتَسْتَدِلُّ عَلَى الشَّاهِدِ بِالْغَائِبِ . وَبِلَادِكُمْ يُنْبِغُ الْخَيْرُ وَأَهْلِيهِ ، وَرِوَاقُ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَأْوِي قَرِيبَهُ وَبَعِيدَهُ إِلَى ظِلِّهِ . وَمُضْلَعُ نُورِ الرِّسَالَةِ ، وَأَفْقُ الرَّحْمَةِ الْمُثَنَّالَةِ ، تَقُومُ عَلَيْنَا الْكَوَاكِبُ تَضْرِبُ آبَاطَ أَفْلَاكِهَا ، وَتَسْتَخْلِلُ مَدَارِهَا الْمُدْهَبَةَ غَدَائِرَ أَحْلَاكِهَا ، وَتَسْتَدْعِي ^(٣) الْبُدُورَ ، ثُمَّ يَدْعُو بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ الْخُدُورَ ، وَتَطْلُعُ الشُّمُوسُ مُتَجَرِّدَةً مِنْ كِمَامِ لَيْلِهَا ، مُتَهَادِيَةً فِي دُكَّانِ ^(٤) مِيلِهَا ، ثُمَّ تَسْحَبُ إِلَى الْغُرُوبِ فَضْلَ ذَيْلِهَا . وَمَنْ تَلْقَائِكُمْ وَرَدَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ ، وَأَرْعَى ^(٥) الْهَمَلَ . فَنَحْنُ نَسْتَوْهَبُ مِنْ مِظَانِ الْإِجَابَةِ لِدَيْكُمْ ، دُعَاءً يَقُومُ لَدَيْنَا مَقَامَ الْمَدَدِ ، وَيَعْدِلُ مِنْهُ الشَّيْءُ بِالْمَالِ وَالْعُدَدِ ، فَفِي دُعَاءِ الْمُؤْمَنِ ، يُظْهِرُ الْغَيْبُ مَا فِيهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُبْدِيهِ الْعَبْدُ وَمَا يُخْفِيهِ ، وَإِيَاهُ نَسْلُ أَنْ يَدْفَعَ عَنَّا وَعَنْكُمْ عَوَادِي الْفِتَنِ ، وَغَوَائِلَ الْوَحْنِ ،

(١) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكاني (شطت) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والفاتيكاني ، وفي الملكية (بهذه الموانع) .

(٣) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكاني (تستعمل) .

(٤) وردت في الإسكوريال (ليلها) ، والتصويب من الملكية والفاتيكاني .

(٥) هكذا في الإسكوريال والفاتيكاني ، وفي الملكية (راعى) .

وَيَحْمِلُنَا عَلَى سُنَنِ^(١) السَّنَنِ ، وَيُلَيْسَنَا مِنْ تَقْوَاهِ أَوْفَى الْجَنَنِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ
يَصِلُ لِأَبْوَابِكُمْ سَعْدًا تَسْتَقِيلُ لَدَى قَاضِي الْقَضَاةِ رِسْوُهُ ، فَتُكْتَبُ حَقُوقُهُ ،
وَتُكْتَبُ خُصُومُهُ ، وَلَا تَكْلَفُهُ الْآيَامُ وَلَا تَسُومُهُ ، بِمَغْضَلِ اللَّهِ وَعِزَّتِهِ ، وَكَرَمِهِ
وَمُنَّتِهِ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ ، بَدَأَ بَعْدَ عَوْدِ ، وَجُودًا أَثَرَ جُودِ ،
وَرَحْمَةً اللَّهِ وَبِرَكَاتِهِ .

ومن ذلك

من الأمير فلان أَيْدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ . وَأَعْلَى نَصَرَهُ وَأَظْهَرَهُ . إِلَى وَلِيِّنَا فِي اللَّهِ
الَّذِي لَهُ الْقَدْرُ الرَّفِيعُ الْمُنَاصِبُ ، وَالْمَجْدُ السَّامِيُّ الذَّوَائِبُ ، وَالسِّيَاسَةُ الَّتِي أَخْبَارُهَا
سَمَرُ الْمُشَاهِدِ ، وَحَدُوثُ الرُّكَائِبِ ، الشَّيْخُ الْجَلِيلُ ، الْكَبِيرُ الشَّهِيرُ ، الْهُمَامُ الْخَطِيرُ ،
الْأَمْضَى الرَّفِيعُ ، الْأَعْلَى الْأَمَّجْدُ الْأَوْحَدُ ، الْأَصْعَدُ الْأَسْعَدُ ، الْأَرْقَى ، الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ
الْفَاضِلُ الْبَاسِلُ ، الْأَرْضَى الْأَنْقَى ، الْمَعْظَمُ الْمَوْقِرُ الْمَبْرُورُ ، عَلَّمَ الْأَعْلَامَ ، سُلَّالَةَ
أَكْبَارِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ . مَعِيذُ دَوْلَةِ التَّوْحِيدِ إِلَى الْإِنْتِظَامِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنُ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ الْمَاجِدِ الْخَطِيرِ الرَّفِيعِ ، الْأَسْعَدُ الْأَمَّجْدُ ، الْحَسِيبُ
الْأَصِيلُ ، الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ ، الْأَرْضَى الْأَمْضَى ، الْأَفْضَلُ الْأَكْمَلُ ، الْمَعْظَمُ الْمُقَدَّسُ
الْمَرْحُومُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ تَيْفَرَا جِينِ ، وَصَلَّ اللَّهُ لَهُ عِزَّةً تُنَاسِبُ شَهْرَةَ فَضْلِهِ ، وَسَعَادَةً
تَتَكَفَّلُ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ بِرَفْعَةِ مَحَلِّهِ . سَلَامُ كَرِيمٍ يَخْصُ مَجَادَتِكُمُ الْفَاضِلَةَ ،
وَرُبُّتَيْكُمُ الْحَافِلَةَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبِرَكَاتِهِ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يُمَحِّصُ لِيُثِيبَ ، وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِقَالَةِ لِيُنْجِبَ ، وَيُعْقِبَ
لَيْلَ الشَّدَةِ بِصَبْحِ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ ، وَنَجِّنِي مِنْ شَجَرِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَالتَّسْلِيمِ إِلَيْهِ
ثَمَرَ الصَّنْعِ الْعَجِيبِ ، وَيُظْهِرِ الْعِبَرَ مَهْمَى كَسَرِ ثَمِ جَبَرٍ ، لِكُلِّ عَبْدٍ^(٢) مُنِيبٍ .

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (أَحْسَنُ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ ، وَفِي الْفَاتِيكَانَةِ (ذِي قَلْبٍ) .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى نلجأ إلى ظلِّ شفاعته فى اليوم
العصيب ، ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ، ونستكثر بمدد بركاته فى
هذا الثغر الغريب ، ونصول منه على العدو بالحبيب . والرضا عن آله وصحبه ،
نجوم الهداية من بعده ، ولأئمة من الأقول والمغيب . فإننا كتبناه إليكم ، كتب
الله لكم عزّة متصلة ، وعصمة بالأمان من نوب الزمان متكفلة . من حمراء غرناطة
حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله الذى لطف وجبر ، وأظهر فى الإقالة وحسن
الإدالة العبر ، وجعلنا ممن كتب له العقبى لما صبر ، إلا الخير الذى كسا
الألطف الجبر ، والصنع الذى صدق الخبر والخبر . والحمد لله كثيراً كما هو
أهله ، فلا فضل إلا فضله ، ولما كانتكم عندنا المحل الذى ^(١) زقررت شهرة فضلكم
قواعده ، وأعلت مصاعده ، وأثبت التواتر شواهده ، إذ لا نزال نتحف [بسيركم
التي هى ^(٢)] فى التدبير أثر يقتضى ، وعلم يسترشد إذا العلم اختفى والسبيل
عفا ، وإن تلك الدولة بكم استقام أودها ، وقامت والحمد لله عمدها ، وإنكم
رعيتم فى البنين حقوق آبائهم ، وحفظتم عليها ميراث عليائها ، وأو لم تتصل بنا
أنباؤكم الحميدة ، وآراؤكم السديدة ، بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ، ويقوى
قوى الاستحسان بصفاتكم ، لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل
إليكم طبعاً وجيلة ، من غير أن نعتبر سبباً أو علّة ، فالتعارف بين الأرواح
لا ينكر ، والحديث الكريم يؤيد ما من ذلك ينقل ويذكر ، وبحسب ذلك
نطلعكم على غريب ما جرى به ملكنا القدر ، وحيث بلغ الورد ، وكيف كان
الصدر ، وربما اتصلت بكم الحادثة التى أكفها على دار ملكنا من لم يعرف
غير نعمتنا غادياً ، ولا يرح فى جوانب إحسانها رايحاً وغادياً ، يتيم حجرها

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (بسيركم الذى هو) ، والأولى أرجح بالنسبة للسياق .

(٣) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (يقوى) ، والأولى أرجح .

الكافل ، ورَضِيعَ دَرَّهَا الحافل ، الشَّقِيَّ الخاسر الخائِن ، الغادر محمد بن إسماعيل
المُسْتَجِيرَ بَنَّا من لُومِ غَدْرِهِ ، الخَفِيَّةَ عَنَا حِيلُ مَكْرِهِ ، الخُمُولُ قَدْرُهُ ، إذ
دعاه محتوم الغَدْرُ [لِيُهْلِكَ] ^(١) إلى أَنْ يَهْلِكَ وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةَ بالسوءِ أَنْ
يَمْلِكَ أَنَاخَا الخاسر ثم يَمْلِكُ . وسبحان الذى يقول يا نُوحُ إنه ليس من أَهْلِكَ .
وكيف تَمَّ لَهُ ما أَبْرَمَهُ من تَسْوِيرِ الْأَسْوَارِ ، واقتحامِ الْبُورِ ، وتَمْلِكِ الدَّارَ ، والاستيلاء
على قُطْبِ المَدَارِ . وإِنَّا كَنَفْتُنَا عَصْمَةَ اللَّهِ بِمُتَحَوِّلِنَا الذى كان به ليلتئذ محل
ثَوَانِنَا ، وكَفَّتِ القُدْرَةُ الإِلَهِيَّةُ أَكُفَّ أَعْدَائِنَا ، وَخَلَصْنَا غَلَاباً بِحَالِ انفراد
إِلَّا مِنْ عُنَايَتِهِ وَنِعَمِ الرَّفِيقِ ، وَصِدْقِ اللَّجَأِ إِلَى رَحْمَتِهِ التى سَاحَتْهَا ^(٢) عَنْ مِثْلِنَا
لَا تَضِيقُ ، مَهْمَى تَنْكُرِ الزَّمَانِ وَتَفَرِّقِ الْفَرِيقِ ، وَشِرْدَمَةِ الغَدْرِ تَأْخُذُ عَلَيْنَا كُلَّ فَجٍّ
عميق ، حَتَّى أَوَيْنَا مِنْ مَدِينَةِ وَادَى آشَ إِلَى الجبلِ الْعَاصِمِ مِنَ الْحَادِثِ الْقَاصِمِ ،
وَالْحِجَّةِ الْمَرْغَمَةِ أَنْفِ الْمُخَاصِمِ ، ثُمَّ أَجَزْنَا الْبَحْرَ بَعْدَ مَعَانَاةِ خُطُوبِ ، وَتَجَهَّمْ
مِنَ الدَّهْرِ وَقُطُوبِ ، وَبَلَى ^(٣) اللَّهُ هَذَا الْوِطْنَ بِنِ لا يَرْجَى اللَّهُ وَقَاراً ، وَلَا يَأْلُوا لَشَعَائِرِهِ
المُعْظَمَةَ احْتِقَاراً ، فَأَضْرَمَهُ نَاراً ، وَجَلَّلَ [وَجُوهَ] ^(٤) وَجُوهَهُ خِزْياً وَعَاراً ، ثُمَّ
انْتَهَكَ الْبَاطِلَ حِمَاهَ ، وَغَيَّرَ اسْمَهُ وَمُسَمَّاهَ ، وَبَدَدَ حَامِيَّتَهُ الْمُتَجَبِّرَةَ وَشَدَّهَا ،
وَسَخَّمَ دَوَاوِينَهُ التى مَحْصَاهَا التَّرْتِيبُ وَالتَّجْرِبُ وَهَدَّهَا . وَأَهْلَكَ نَفُوسَهَا وَأَمْوَالَهَا ،
وَأَسَاءَ لَوْلَا تَدَارُكُ اللَّهِ أَحْوَالَهَا . وَلَمَّا تَأَذَّنَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي إِقَالَةِ الْعَشَارِ ، وَدَرَكَ الثَّارَ ،
وَأَنْشَأَتْ نَوَاسِمُ رِضَاهِ إِدَامَةَ الْاسْتِغْفَارِ ، وَرَأَيْنَا أَنْ قِلَادَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ أَذِنَ انْتِثَارُهَا
وَالْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ كَادَتْ تَذْهَبُ آثَارَهَا ، وَسَائِلُ الْخِلَافِ يَتَعَدَّدُ مِثَارُهَا ، وَجَعَلَتْ
الْمَلَّتَانِ نَحُونَا تَشِيرُ ، وَالْمُلْكُ يَأْمُلُ أَنْ يُوَافِيَهُ بِقُدُومِنَا الْبَشِيرِ ، تَحَرَّكْنَا حَرَكَةَ
خَفِيفَةٍ تُشْعِرُ أَنَّهَا حَرَكَةُ الْفَتْحِ ، وَنَهَضْنَا نَبْتَدِرُ مَا كَتَبَ اللَّهُ مِنَ الْمَنْحِ ، وَقَدْ

(١) واردة في الفاتيكانه ، وساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (ساحلها) .

(٣) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكانه (وجلا) ، وهو تحريف .

(٤) زائدة في الإسكوريال .

امتعض لنا الكون بما حَمَل ، واستخدم الفلك نفسه بمشيئة الله واكتمل ، وكاد يقرب لقرى طريقنا الثور والحمل ، وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير ، الرفيع المعظم المقدس ، أبو سالم ، الذي كان وطنه مأوى الجنوح ، ومهبط النصر الممنوح ، رحمة الله عليه ، من مظاهرة مثله من الملوك الأعظم ، وختم الجميل بالجميل والأعمال بالحوادث ، وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة ، وحقوقنا المستورة ، فأصبح وإن كان العدو حبيبا ، وعاد بعد الإيابة منييا ، وسخر أساطيله تحضيضا على الإجازة وترغيبا ، واستقبلنا البلاد وبعثر البشر يزخر موجة ، وفلك الإسلام ، قد خر على الحضيض أوجه ، والرؤم مستولية على الثغور ، وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبي ، ولله عاقبة الأمور ، والخبث الغادر الذي كان يمؤه بالإقدام ، قد ظهر كذب وعده ، وهان مثواه ، وتورط في إشراك المندمة تورط من اتبع هواه ، ومجد نعمة مولاه . فلو أن الله عز وجل تدارك جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسيكابنا ، لكانت القاضية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من باقية ، لا كنا والفضل لله ، رفعا وطأة العدو ، وفقدنا بكلكل ، وابتزناه منها إلى مشرب ومأكول ، واعتزنا عليه بالله ، الذي يعز ويذل ، ويهدي ويضل ، فلم نسامحه في شرط يجر غصاصة ، ولا يخلف في القلوب مضاضة ، وخضنا بحر الهول ، وبررنا إلى الله ربنا من القدرة والحول ، وظهرت للمسلمين ثمرة سيررتنا [وما بذلنا في مضاعة العدو عن الإجهاز عليهم ، من حسن سيررتنا] ^(١) فقيوت فينا أطماعهم وانعقد على التحوم بنا إجماعهم ، وقصدنا مألقة ، بعد أن انثالت الجهة الغربية ، وأذعنت المعازل الأبية ، فيسر الله فتحها ، وهنأ منحها . ثم توالى البيعات ، وصدرخت بمآذن البلاد الوعظ ^(٢) واضطرب أمر المخالف ^(٣) وقد ذلقت المخاوف إليه ، وحسب كل صيحة عليه ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطين ، وساقط في الفاتيكانه .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (الدعاء) .

(٣) هكذا وردت في الملكية ، وفي الإسكوريال (الخلايق) ، وفي الفاتيكانه (الحائر) ، والأولى أرجح .

فاقتضت نعامته الشّاملة ، ودولة بغيه الزّائله ، وآراؤه الفائله ، أن ضمّ ما أمكنه من ذخيرة مكنونه ، وآلة ، للملك مَصُونَة ، واسترّكب أَوْبَاشَه الذين استباح الحقّ دِمايهم ، وعَرَفَ الخلقُ اعتزائهم للغدر وانتاعهم ، وقصد سلطان قَشْتَالَة ، عن غير عهد ولا ثقة ، ولا مُثْلِي طَرِيقَه ، ولا شَيْمَة بالرعى خليفه ، لا كن الله عز وجل حمّله على قدمه لإِراقَة دِمِه ، وزَيَّن الوجود بَعْدَمِه ، فلحين قدمه عليه ، راجياً أن يستفزّه بعرض ، أو يحيل صحّة عقده ^(١) المُبرم إلى مَرَض ، ومؤملاً هو وشيعته الغادرة ، كَرَّة على الإسلام مجهّزه ، ونصرة لمواعيد الشيطان مُسْتَعْجَزة ، تقبّض عليه وعلى شيعته ، وصمّ عن سماع خديعته ، وأفحش بهم المثلّة ، وأساء بحسن رأيه فيهم القتلّة ، فأراح الله بإيادهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم أَرْمَاق البلاد ^(٢) . وحشّنا السير إلى دار مُلكنا ، فدخلناها في اليوم الأغر المُحْجَل ، وحصلنا منها على الفتح الهنيّ المُعْجَل ، وعُدنا إلى الأريكة ، التي نبا عنها التّمحيص ، فما حَسَبناه إلّا سِراراً أَغْصَبه الكمال ، ومَرَضاً عاجله الإبلال ، فثابت للدين الآمال ، ونجحت الأعمال . وبذلنا في النفوس ^(٣) من العفو ما تغمّد الذنوب ، وجبّر القلوب ، وأشغنا العفو في القريب والقصى ، وألبسنا المريب ثوب البرى ، وتألّفنا الشّارد ، وأعذبنا الموارد ، وأجرينا العوايد [واسنينا الفوايد] ^(٤) إلّا ما كان من شِرْذِمَة عظمت جرايرهم ^(٥) ، وخبثت في معاملة الله سرايرهم ، وعرف شوؤمهم ، وصدق من يلوّمهم ، فأَقْصَيْنَاهُمْ وشرّدناهم ، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى ، وأبعدناهم .

ولما تعرف سلطان قَشْتَالَة باستقلالنا ، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا ؛

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (عزمه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (العباد) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكانه (الناس) .

(٤) هذه العبارة واردة في الفاتيكانه ، وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (جرايمهم) .

بادر يعرف بمن كان من عمله فيما لحق به من طائفة الغدر وإخوان الخديعة والمكر ، وبعث إلينا برءوسهم ، مابين ريسهم الشقي ومرءوسهم ، وقد طفا على جداول السيوف حبابها ، وراق بحناء الدماء خضابها ، وبرز الناس إلى مشاهدتها معتبرين وفي قدرة الله مُستبصرين ، ولدفاع الله الناس بعضهم لبعض شاكرين ، وأحقَّ الله الحقَّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين . فأمرنا بنصب تلك الرءوس بمُتَسَوِّر الغدر التي فرَعَتْهُ ، وجعلناها علماً على عاتق العمل السيئ الذي اخترعته ، وشرعنا في معالجة الكلام ، وأفضنا على العباد والبلاد حكم السَّلم ، فاجتمع الشمل كأحسن حاله ، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله ، وأفاق من أهواله . ولعلمنا بفضلكم الذي قضياه شائعه ، ومُقدِّماته ذائعه ، أخبرناكم به على اختصارٍ ، واجتزاءٍ واقتصارٍ ليسرَّ دينكم المتين بتناسك هذا الثغر الأقصى بعد استرساله ، وإشراقه على سوء ماله . وكنا نخطب محلَّ أنحننا السلطان الجليل المعظم ، الأسعد الأوحد ، الخليفة أمير المؤمنين أبو إسحق ابن الخليفة الإمام المعظم المقدس أبي يحيى أبي بكر ابن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين ، وصل الله أسباب سعده ، وحرس أكناف مجده ، لو أننا تعرَّفنا مقيماً بغير تلکم الحضرة التونسيه ، فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السَّنيه لتنبؤوا عنا في حفظ مُلكه^(١) وعمادة داره ، فبين سلفنا وسلفكم الكريم ، من الوُدِّ الراسخ البنيان ، والخواص الأثر والعيان ، ما يدعو إلى أن يكون سببُ المخاطبة موصولاً ، وآخره الود خيرٌ من الأولى ، لكن الطريق جمُّ العوائق ، والبحر معروف البوائق^(٢) وقبول العُدْر بشواغل هذا القطر بالفضل لائق ، ومرادنا أن يتصل الوُدُّ ، ويتجدد العهد ، والله عز وجل ، يتولَّى أمور المسلمين بمُتَعَوِّد^(٣) إحسانه ، ويجمع قلوبهم ، حيث كانوا على طاعة الله ورضوانه

(١) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه ، وفي الملكية (ماله) .

(٢) هكذا في الملكية والفاتيكانه ، وفي الإسكوريال (الطوابق) .

(٣) في الملكية (بتعدد) .

وهو سبحانه يصل سعادتكم ، ويحرس مجادتكُم . والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

إلى الأمير المؤمن على أمر سلطان المسلمين ، المقلد تدبيره السديد قِلادة الدين ، المُثني على رسوم بره ، المقامة بباب الحرم الأمين ، الآوى من مَرَضَاتِ الله ورسوله إلى الرَبَّوة ذات القرار والمعين ، المستعين من الله على ما حَدَله وأَمَله بالقوى المعين ، سيفُ الدَّعوة ، رُكنُ الدَّولة ، قوامُ المِلَّة ، مؤمِّلُ الأُمَّة ، تاج الخواص ، أسدُ الجيوش ، كافى الكُفَاة ، زينُ الأُمراء ، عَلمُ الكبراء ، عينُ الأعيان ، حَسَنَةُ الزمان ، الأَجَلُ المرفَّع ، الأَسنى الكبير الأشهر ، الأسمى الحافل الفاضل ، الكامل المعظم ، الموقر ، الأمير الأَوحَد يَلْبُغُ^(١) الخاصِكي وصل الله له سعادة تشرق عزَّتُها ، وصنائعُ تَسحُ فلا تشحُ دَرَّتُها ، وأبقى تلك المثابة ، قِلادة الله وهو دُرَّتُها ، سلام كريم طيب برُّ عميم ، يخصُّ إمارتكم التى جعل الله السَّعد^(٢) على سعادتها إمارة ، واليسر لها شارة ، فساعدُ الفُلك الدَّوار مَهْمَى اعمات بإداره ، وتمثِّل الرسوم كُلِّما أَشارَتْ إشارة .

أما بعد حمْدِ الله الذى هو بعلمه فى كل مكان من قاصي ودان ، وإليه تُوجَّه الوجوه ، وإن اختلفت السَّير ، وتباعدت البُلدان ، ومنه يُلتمس الإحسان ، وبذكره يَنشرح البَصر ، ويُطهَّر^(٣) القلب ، ويمرَّحُ اللسان . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله العظيم الشَّان ، ونبيِّه الصادق البيان ، الواضح البرهان ، والرضا عن آله وأصحابه ، وأَعمامه ، أَحلاسِ الخيل ، ورُهبانِ اللَّيل ، وأَسودِ

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة (لفا) وهو تحريف ، والتصويب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (الفضل) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (يطمن) .

الميدان ، والدعاء لإمارتكم السعيدة بالعرز الرائق الخبر والعيان ، والتوفيق الوثيق البنيان . فإننا كتبناه إليكم كتب الله لكم حظاً من فضله وافرأ ، وصنعاً من محباً السرور سافراً ، [وفي جو الإعلام بالنعم الجسام مسافراً ^(١)] . من حمراء غرناطة حرسها الله ، دار مملك ^(٢) الأندلس ، دافع الله عن حوزتها كيد العداة ، وأتحف نصلها ^(٣) ببواكر النصر المهداة ، ولا زائد [بفضل الله ^(٤)] إلا تشوق إلى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم ، وببيت قصيدها المنظوم ، والتماس بركاتها الثابتة الرسوم . وتقرير المثل في سبيل زيارتها بالأرواح ، عند تعثرها بالجسوم . وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا ، تقبل الله جهادهم ، وقُدس نفوسهم ، وأمن معادهم ، وبين تلك الأبواب السلطانية ، أبقى الله على المسلمين والإسلام ظلالها ، كما عرفهم عدلها وأفضلها ، مراسلة يتم عرف الخلوص من خلالاتها ، وتسطف أنوار السعادة من آفاق كمالاتها ، وتلتج من أسطار طرويسها ، محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد ، وتغرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد ، اشتقنا إلى أن نجدد لها ، بحسن منابكم ، ونصلها بمواصلة جنابكم ، ونعتنم في عودها الحميد ^(٥) مكانكم ، ونؤمل لها زمامكم ، فخطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض بمخاطبة حجة من التقصير ، وحجة من الناقد والبصير ، نؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض ، والموارد التي لا تغيض . ومثلكم لاتخيب المقاصد في شمائله ، ولا تهمل ^(٦) المآمل ^(٧) في ظل خمائله ، فقد اشتهر من جميل

(١) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطين ، وساقط في الفاتيكاه .

(٢) هكذا في الإسكوريال والفاتيكاه ، وفي الملكية (خلافة) .

(٣) وردت في المخطوطين (فصلها) ، والتصويب من الفاتيكاه .

(٤) زائدة في الفاتيكاه .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (الجميل) .

(٦) في الفاتيكاه (تضحى) .

(٧) هكذا في الإسكوريال والفاتيكاه ، وفي الملكية (الآمال) .

سَيَّرَكُمْ مَا طَبَّقَ الْآفَاقَ ، وَصَحَّبَ الرَّفَاقَ ، وَاسْتَلْزَمَ الْإِصْفَاقَ . وَهَذِهِ الْبِلَادُ مَبَارَكَةٌ ، مَا أَسْلَفَ أَحَدٌ فِيهَا مِشَارَكَةً إِلَّا وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ ^(١) وَدِينَهُ وَمَالَهُ ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ وَفَّى الْأَمْرَ بِمِثْلِيَالِهِ . وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَنْفَعُ بِوَسِيلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّذِي نَعُولُ عَلَى شَفَاعَتِهِ ، وَيَبْقَى تِلْكَ الْأَبْوَابُ مَلْجَأً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَظِلًّا لِلَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَإِقَامَةً لَشَعَائِرِ الْحَرَمِ الْأَمِينِ ، وَيَتَوَلَّى إِعَانَتَكُمْ عَلَى وَظَائِفِ الدِّينِ ، وَيَجْعَلُكُمْ مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُصُكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ومن ذلك

من الأمير فلان ، إِلَى الشَّيْخِ الْكُذَا ابْنِ الشَّيْخِ الْكُذَا ، وَصَلَّى اللَّهُ لَهُ سَعَادَةً تَجْذِبُهُ ، وَعِنَايَةً إِلَيْهِ تَقْرُبُهُ ، وَقَبُولًا يَدْعُوهُ إِلَى خَيْرٍ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَيَنْدِبُهُ . سَلَامٌ كَرِيمٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ الْمُرْشِدِ الْمُثِيبِ ، السَّمِيعِ الْمَجِيبِ ، مُعَوِّدِ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ ، وَالصُّنْعِ الْعَجِيبِ ، الْمُتَكَفِّلِ بِإِنْجَازِ وَعْدِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ ، وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، ذِي الْقَدْرِ الرَّفِيعِ ، وَالْعِزِّ الْمُنِيعِ ، وَالْجَنَابِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي بِهِ نَرْجُو ظُهُورَ عِبَادَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدَةِ الصَّلِيبِ ، وَنَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى الْعَدُوِّ بِالْحَبِيبِ ، وَنُعِذُّهُ [فِي الشَّدَائِدِ] ^(٢) عُدَّتْنَا لِلْيَوْمِ الْعَصِيبِ . وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَنْبِهِ ، الَّذِينَ فَازُوا مِنْ مَشَاهِدَتِهِ بِأَوْفَى نَصِيبٍ ، وَرَمَوْا إِلَى هَدَفِ مَرْضَاتِهِ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ عَمَلًا صَالِحًا ، يَخْتَمُ الْجِهَادُ صَحَائِفَ بَرِّهِ ، وَيَتِمَخَّضُ لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا جَوَامِعَ أَمْرِهِ ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ تَهْنَأٍ فِي الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحَ فِيهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ حَصَّةَ عُمْرِهِ .

(١) زائدة في الفاتيكاه .

(٢) واردة في المخطوطين وساقطة في الفاتيكاه .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولطف الله هامي السحاب ، وصنعه رائق
الجناب ، والله يصل لنا ولكم ما عود من صلة لطفه عند انبئات الأسباب . وإلى
هذا ، أيها الولي في الله ، الذي هو بركة المغرب المشار إليها بالبنان ، وواحد في
رفعة الشان ، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان ، المتقلل من المتاع الفان ،
المستشرف إلى مقام العرفان من درج الإسلام والإيمان والإحسان . فإننا لما نؤثره
من برِّكم [الذي نعهده من الأمر الأكيد ، ونضمّره من ودِّكم ^(١)] الذي نُحله محلّ
الكنز العتيق ، ونلتئمسه من دعائكم التماس العدة والعديد ، لانزال نسل عن أحوالكم
التي ترقّت ^(٢) في أطوار السعادة ، ووصلت جناب الحق بمجرى ^(٣) العادة ،
وألقّت يد التسليم لله ، والتوكل عليه بالمقادة ، فنسّر بما هيّأه الله لكم من القبول ،
وبلّغكم من المأمول ، وألهمكم من الكلف بالقرب إليه والوصول ، والفوز بما لديه
والحصول . وعندما ردّ الله علينا ملكنا الردّ الجميل ، وأنالنا فضله الجزيل ،
وكان لعتارنا المقييل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا ، ومحلّكم من حسن
اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتقادنا ، والله ينفع ^(٤) بجميل الظن
في دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ويجمع الشمل ^(٥) بكم في الجهاد عن الدين .
وتعرّفنا الآن ممن له بأنبائكم اعتنا ، وعلى جلالكم حمّد وثنا ، ولجانِب ودِّكم
اعتزاز وانما ، أنكم يتحاول عزمكم بين حج مبرور ، ترغبون من أجره في ازدياد ،
وتجدّدون العهد منه بأليف اعتياد ، وبين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثّر
مهّاد بين ربّي أثيرة عند الله ووهّاد ، تحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم
الله عليهم من النبيّين والصّديقين ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، والله أصدّق

(١) ما بين الخاصرتين وازد في المخطوطين وساقط في الفاتيكاه .

(٢) وردت في الإسكوريال (توقّت) والتصويب من الملكية والفاتيكاه .

(٣) وردت في الإسكوريال والفاتيكاه (يهجر) والتصويب من الملكية .

(٤) في الفاتيكاه (ينفعنا) .

(٥) واردة في الإسكوريال والفاتيكاه وساقطة في الملكية .

الصَّادِقِينَ ، [حيث الإغارة لعدو الإسلام تُتَّقَى ، ولا ثِنْيَةٌ إِلَّا لابتغاء ما لدين الله تُرْتَقَى] ^(١) ، حيث رحمة الله قد فُتِحَتْ أَبْوابُها ، وَحُورُ الْجَنَانِ قد زُيِّنَتْ أَتْرَابُها بدار ^(٢) الْعَرَبِ الَّذِينَ قَارَعُوا بابَ الْفَتْحِ ، وَفَازُوا بِجَزِيلِ الْمَنْحِ ، وَخَلَدُوا الْآثَارَ ، وَأَرْغَمُوا الْكُفَّارَ ، وَأَقَالُوا الْعِثَارَ ، وَأَخَذُوا الثَّأْرَ ، وَأَمْنُوا مِنْ لَفْحِ جُهَنَّمَ بِمَا عَلَا وَجُوهَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعُبَارِ . فَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا نَقْوَى بِصِيرَتِكُمْ عَلَى جِهَةٍ ^(٣) الْجِهَادِ مِنَ الْعَزَمِينَ ، وَهَبُّ بِكُمْ إِلَى إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ، وَالصُّبْحِ غَيْرِ خَافٍ عِنْدَ ذِي عَيْنِينَ ، وَالْفَضْلِ الْجَاهِزِ لِإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا حَجَجْتُمْ أَعَدْتُمْ فَرْضاً أَدَيْتُمُوهُ ، وَفَضْلاً ارْتَدَيْتُمُوهُ ، فَائِدَتُهُ عَلَيْكُمْ مَقْصُورَةٌ ، وَقَضِيَّتُهُ فِيكُمْ مَحْصُورَةٌ ، وَإِذَا أَقَمْتُمْ الْجِهَادَ ، جَلَبْتُمْ إِلَى حَسَنَاتِكُمْ عَمَلاً غَرِيباً ، وَاسْتَأْنَفْتُمْ سَعِياً مِنْ اللَّهِ قَرِيباً ، وَتَعَدَّدَتْ ^(٤) الْمَنْفَعَةُ إِلَى أُلُوفٍ مِنَ النُّفُوسِ الْمُسْتَشْعِرَةِ لِبَاسِ الْبُؤْسِ ، وَلَوْ كَانَ الْجِهَادُ بِحَيْثُ يَخْفَى عَلَيْكُمْ فَضْلُهُ لَأَظَلْنَا ، وَأَعْنَةُ الْإِدْلَالِ أَرْسَلْنَا . هَذَا لَوْ قَدِمْتُمْ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ ، وَفَضْلُكُمْ غُفْلٌ مِنَ الْاِشْتِهَارِ ، وَمِنْ بِهِ لَا يُوجِبُ لَكُمْ تَرْفِيعَ الْمِقْدَارِ ، فَكَيْفَ وَفَضْلُكُمْ أَشْهَرُ مِنْ مُحِيَا النَّهَارِ ، وَلِقَاؤُكُمْ أَشْهَى الْأَمَالِ ، وَآثَرُ الْأَوْطَارِ ، فَإِنْ قُوَى عَزْمُكُمْ ، وَاللَّهُ يَقْوِيهِ ، وَيُعِينُنَا مِنْ بَرِّكُمْ عَلَى مَا نَنْوِيهِ ؛ فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ ، وَمَا فِيهَا طَرِيفُكُمْ وَتِلَادُكُمْ ، وَكِهُولُهَا أَخْوَانُكُمْ ، وَأَحْدَاثُهَا أَوْلَادُكُمْ ، وَنَرْجُو أَنَّ تَجِدُوا بِذِكْرِكُمْ اللَّهَ فِي رُبَاهَا ^(٥) حَلَاوَةً زَائِدَةً ، وَلَا تَعْدَمُوا فِيهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ فَائِدَةً ، وَتَتَكَيَّفُ نَفْسُكُمْ فِيهَا تَكْيِيفَاتٍ تَقْصُرُ عَنْهَا خُلُوتُ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ . حَتَّى تَغْتَبِطُوا بِفَضْلِ اللَّهِ الَّذِي يُؤَلِّيكُمْ ، وَتَرَوْا أَثَرَ رَحْمَتِهِ فِيكُمْ ، وَتَخْلِفُوا

(١) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال والفاتيكانه وساقط في الملكية .

(٢) واردة في الإسكوريال والفاتيكان ومكانها بياض الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال والفاتيكانه وفي الملكية (تعدت) .

(٤) هكذا في الاسكوريال وفي الملكية (رياضها) .

فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنبيكم ، وتختتموا العمر الطيب بالجهاد الذي يُخليكم^(١) ، ومن الله يُذنيكم ، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه ، نبيُّ الملاحم ، ومعمل الصّوارم ، وبجهاد الفِرَنج خُتم عملُ جهاده ، والأعمال بالخواتم . هذا على بُعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده ، والاستباق إلى آماده . هذا ما عندنا حثّاكم عليه ، ونَدَبْنَاكم إليه ، وأنتم في إيثار هذا الجوار ، ومُقارضة^(٢) ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عندكم ، من بيده مقادة الاختبار ، وتصريف الليل والنهار ، وتقلب القلوب ، وإجالة الأفكار . وإذا تعارضت الحظوظ ، فما عند الله خيرٌ للأبرار ، والدار الآخرة دارُ القرار ، وخير الأعمال عملٌ أوصل إلى الجنة ، وباعد من النار . ولتعلموا أن أهل الكشف والاطلاع بهذه الأرجاء والأصقاع ، قد اتفقت أخبارها ، واتحدت أسرارها على الإشارة بفتح قُرب^(٣) أوانه ، وأظلّ زمانه ، فخرجوا الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ، ويكرم فيه مسعاه ، ويسلّف فيه بالعمل الذي يشكّره الله ويرعاه . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الفاتيكاه (يعليكم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (ومقاومة) .

(٣) هنا الكلمة واردة في الملكية والفاتيكاه وساقطة في الإسكوريال .

جمهور الأغراض السلطانيات

من ذلك ما كتبت به

المقام الذى رَمَى له المُلْكُ الأَصِيلُ بأفلاذه ، وأَوَى منه الإسلام إلى ملجأه الأَحْمَى وملاذه ، وكَلِيفَتِ الشُّعُودُ بِإِمضاءِ أمره المطاع وإنفاذه ، وشا حُلْبَةُ الكُرُومِ فكان وحيدَ آماده ^(١) ، وفدَّ أفذاذه [وابتدع غريب الجود فقال لسان الوجود نعم البدعة هذه] ^(٢) . مقامُ محلِّ أخينا الذى أركان مجده راسيةٌ راسخةٌ ، وغُرَّ عِزُّه باديةٌ باذخةٌ ، وأعلامُ فخره ساميةٌ شامخةٌ ، وآياتُ سعده مُحْكَمَةٌ ناسخةٌ . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يَجْرَى بسعده الفلَكُ ، ويُجلى بنور هَدْيِهِ الحَلَكُ ، ويسطر ^(٣) حسنات مُلْكِهِ المَلِكُ ، ويشيد بفضله بأسِهِ ونداءه ، الذَّادى والمُعْتَرَك . معظَّمُ حقوقه التى تَأْكُدُ فرضُها ، المُثَنَّى على مكارمه التى أَعْيَا الأَوْصافُ البليغة بعضها ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب بر ^(٤) عَمِيمٌ يَخْصُصُ أُخُوَّتَكُمْ الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى هَيَّأَ ^(٥) لِمَلَّةِ الإسلامِ بمظاهرة مُلْكِكُمُ المنصور الأعلام ، إظهاراً وإعزازاً ، وجعل لها العاقبة الحُسْنَى بِيُمنِ مقامكم الأسمى ، تصديقاً لدعوة الحق وإنجازاً ، وسَهَّلَ لها يسعدكم كُلَّ صعب المرام ، وقد سامَتْها صُروف

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (آساده) ، وفى الفاتيكاه (آحاده) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الفاتيكاه وساقط فى المخطوطين .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكاه ، وفى الملكية (ويسر) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مبارك) .

(٥) هكذا فى الملكية والفاتيكاه ، وفى الإسكوريال (ملا) .

الأيام ليا وإعوازاً ، وأتاح لها منكم ولياً يسوم أعداها إسلاماً وابتزازاً . وسكن آملها ، وقد استشعرت انحناءاً . حمداً يكون على حلل النعم العميمة والآراء الكريمة طرازاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله : الذي بهرت آياته وضوحاً^(١) وإعجازاً ، واستحدثت الكمال صفاته حقيقة لا مجازاً ، ونبيه الذي بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعاً وجوازاً ، ويسر لهم وقد ضلوا في مفاوز الشك مفازاً ، والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين ، اختصاصاً بها واختباراً^(٢) فكانوا غيوثاً إذا وجدوا مَخْلأً ، ولُيُوثاً إذا شهدوا برازاً ؛ والدعاء لمقام أخوتكم الأسمى ينصر على أعدائه ، تبدى له الجياد الجرد ارتياحاً ، والرماح الملمد اهتزازاً ، وعزُّ بطاً من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلاً وعزازاً ، ويمن يشمل من بلاد الإيمان أقطاراً نازحة ويعمُّ أخوازاً ، وسعد تجول في ميدان ذكره المطاع^(٣) أطراف أسنة^(٤) اليراع إسهاباً وإيجازاً ، وفخر يجوب الأقطار جوب المثل السيار عراقاً وحجازاً [ولا زالت كتاب سعدة تنتهز فرص الدهر انتهازاً وتوسع ملكات الكفر انتهاباً واحتيازاً]^(٥) فإننا كتبناه إلى مقامكم كتب الله له سعداً ثابت المراكز ، وعزاً لا تلين قناته في يد الغامر ، وثناء لا تشنى عنان مداه^(٦) عرض المفاوز ، وصنعاً رحيب الجوانب رغب الحوايز .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، وفضله عز وجل ، قد أدال العسر يسراً ، وأحال القبض بسطاً ، وقرب نوازح الآمال بعد أن تضاءت ديارها شحطاً ، وراض

(١) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الفاتيكاه (معجزة) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الفاتيكاه (وامتيان) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الفاتيكاه (المذاع) .

(٤) هكذا في المخطوطين ، وفي الفاتيكاه (السنة) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الفاتيكاه ، وساقط في المخطوطين .

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (سراه) .

مركب الدهر^(١) الذى كان لا يلين لمن استمطى ، وقرب غريم الرجا فى هذه
الأرجاء وكان مشتطاً ، والتوكل عليه سبحانه قد أحكم منه اليقين ، والاستبصار
المبين ربتاً ، ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطاً ، ومقامكم هو
عدة الإسلام إذا جد حفظه ، وظله الظليل إذا أفتح الكفر شواظه ، وملجأه
الذى تنام فى كنف أمنه إيقاظه ، ووزره الذى إلى نصره تمتد أيديه وتشير
ألفاظه ، ففى أرجاء ثنائه تشرح معانيه وألفاظه ، ولحطبت تمجيدته وتحميدته
يقول قسه عكاظه . وتشيعنا إلى ذلك الجنب طويل وعريض ، ومقدمات ودنا
إياه لا يعترضها نقيض ، وأفلاك تعظيمنا له ، ليس لأوجها الرفيع خفيض ،
وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الجبر عن أوجهها^(٢) البيض ، وإلى
هذا ألبسكم الله ثوب السعادة المعادة فضفاضاً ، كما صرف بإيالتكم الكريمة ،
على ربوع الإسلام ، وجوه الليالى والأيام ، وقد ازورت إعراضاً ، وبسطت آمالها ،
وقد استشعرت انقباضاً . فإننا ورد علينا كتابكم الكريم الذى كرم أنجاء
وأغراضاً ، ومادت البلاغة من طرسه الفسيح المجال ، الفصيح المقال ، رياضاً ،
ووردت الأفكار من معانيه الغرائب ، وألفاظه المزرية بدور النحور والترائب ،
بحوراً صافية وحياضاً ، واجتلينا منه حلة من حلل الود سابعة ، وحجة من
حجج المجد بالغة ، وشمساً فى فلك السعد بازغة ، الذى بين المقاصد الكريمة^(٣)
وشرحها ، وجلّى الفضائل العيمة وأوضحها ، فى أكرم شيم ذلك الجلال
وأسمجها ، [وأفضل خلال ذلك الكمال]^(٣) وأرجحها ، حشمت فيه على إحكام
السلم الذى يحوط الأنفس والحريم بسياج ، ويدأوى القطر العليل منها بأنجى
علاج ، والحال ذات احتياج ، وساحة الجبل^(٤) عصمه الله ميدان هياج ، ومتبواً

(١) واردة فى الفاتيكاه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) واردة فى الفاتيكاه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٣) واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكاه .

(٤) زائدة فى الإسكوريال والفاتيكاه .

أَعْلَاج ، ومُظَنَّةُ اختلاف الظنون الموحشة واختِلَاج ، فحضر لدينا متحمِّله ،
وزيرُكم الشيخ الأجل ، المرفَّع المعظم الأسمى ، الخاصَّة الأخطى ، أبو على ابن
الشيخ الوزير ، الأجل ، العاقل الفاضل ، المجاهد الكامل ، أبي عبد الله بن مُحَلَّى ،
والشيخ الفقيه ، الأستاذ [الصالح المبارك] ^(١) الأعرف الفاضل الكامل ، أبو
عبدالله ابن الشيخ الفقيه ، الأجل العارف ، الفاضل الصالح المبارك ، المبرور
المرحوم أبي عبدالله الفِشْتَالِي ، وصل الله سعادتَهما ، وحرَّص معادتهما ، حَالَيْنِ
من مراتب ترفيعنا أعلى محال الإعزاز وواردين على أَحْلَى القبول ، الذى لا تشاب
حقيقته بالمجاز ، عملاً بما يجب علينا ، لمن يَصِل إلينا من تلك الأنحاء الكريمة
والأخواز ، فتلقينا ما اشتملت عليه الإحالة السلطانية من الوُدِّ ، الذى كَرُم مفهومه
ونصاً ، والبرِّ الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال إلى الأمد الأقصى ، وقد
كان سبقهما ، صُنِعَ الله جل جلاله ، بما أَخْلَفَ الظنون ، وشرح الصدور ، وأقرَّ
العيون ، فلم يصل إلينا ، إلَّا وقد أَهْلَكَ الله الطاغية ، ومزَّقَ أَحْزَابَ الباغية ،
نعمةً منه سبحانه ، ومِنَّةً ملأت الصدور انشراحاً ، وعمَّت الأرجاء أفرحاً ،
وعنواناً على سَعْدِ مقامكم ، الذى راق غرراً فى المَكْرُمات وأوضحاً ، ومدَّ يده
إلى سهام المواهب الإلهية ، فحاز أَعْلَماً قِداحاً ، فتشَوَّفَت نفوس المسلمين إلى
ما كانت تؤمِّله من فضل الله وترجوه ، وبدت فى القضية التى أشرتُم بإِعْمَالِهَا
الوجوه ، وانْبَعَثَت الآمال بما آلت إليه هذه الحال أنبعاثاً ، والتأثت أمور العدو
قَصَمَهُ الله التَّيَّاثُ ، وانتَقَضَ غزله من بعد قُوَّتِهِ بفضل الله إنكاثاً ، واحتمات
المسئلة التى تَفَضَّلْتُم بعرضها ، وأشرتُم إلى فرضها ، مآخذ وأبحاثاً ، فألقينا فى
هذه الحال إلى رُسُولِكُم ، أعزَّهما الله ، ما يُلْقِيَانِهِ إلى مقامكم الأعلى ، ومثابرتكم
الْفُضْلَى ، وبما يتزَيَّد عندنا من الأمور ، فركائبُ التعريف بها إليكم محثوثة ،

(١) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

وجزئياتها بين يدي مقامكم الرفيع مَبْنُوثَةٌ ، وقد اضطربت أحواله ، وفالت
آراؤه ، واستحكم بالشتات داؤه ، وارتجت بزلزال الفتنة أرجاؤه ، وتيسرت
آمال الإسلام بفضل الله ورجائه ، وما هو إلا السَّعد ، يَدُلُّ لكم صعب العُدُوِّ
ويروِّضُه . والله يُهَيِّئُ لكم فضل الجهاد حتى تقضى لكم ^(١) فروضه . وأما الذى
لكم عندنا من الخُلُوص الصافية شرائعه ، والثنا الذى هو الروض تَارَّج ذائِعُه ،
فأوضح من فَلَق الصُّبح إذا أَشْرقت طلائِعُه ، جعله الله فى ذاته وسيلةً إلى مَرْضاتِه .
ورسولاكم يشرحان الحال بجزئياته ، ويقرران ما عندنا من الوُدِّ الذى سطع
نور آياته . وهو سبحانه يصل لكم سعداً سامى المراقب والمراقى ، ويجمع لكم بعد
بُعد المدا ، وتمهيد دين الِهْدَى ، بين نعيم الدُّنيا ، والنَّعيم الباقي . والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

بِسْمِ

ومن ذلك

من الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج
ابن نصر . إلى محل أخينا ، الذى نُثْنِي على مَجادته أَكْرَم الثنا ونجدد ما سلف
بين الأسلاف الكرام من الولاء ، ونُتَحِفُه من سعادة الإسلام وأَهله ، بالأخبار
السَّارة والأنباء . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه
الله رفيع المقدار ، كريم المآثر والآثار ، وعَرَّفْنَا ^(٢) من عَوارف فَضله . كل مُشرق
الأنوار . كَفِيلٌ بِالْحُسْنَى وَعُقْبَى الدَّار . سلام كريم يخص جلالكم الأَرْفَع ، ورحمة
الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله على عَمِيمِ آلائِه ، وجزيل نعمائِه ، مُيسِّرِ الصَّعب بعد إِبائِه ،
والكفيل بتقريب الفَرَج وإِدْنائِه ، له الحمد والشكر ملء أرضه وسماؤه ، والصلاة

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بكم) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (وعرفه) .

على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه ، الهادى إلى سبيل الرشد وسوائيه ، مُطْلِع نور الحق يَجْلُو ظُلُم الشك بضياءه . والرضا عن آله وأصحابه وأصهاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه ، الباذلين نفوسهم فى إظهار دينه القويم وإعلائه ، والدُّعا لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه ، واختصاصه بأوفر الحُظوظ من اعتنائه . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتبكم الله فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه ، وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وأبتدائه .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه ، وعظَّم أمره ورفع شأنه ، ثم بما عندنا من الوُدِّ الكريم ، وتجديد العهد القديم لمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، إلا الخير الهامى السحاب ، واليسر المبين الأسباب ، واليُمن المفتح الأبواب ^(١) ، والسعد الجديد الأثواب ، ومقامكم معتمد بترَفيع الجناح ، مُتَعَهِّد بأوَدِّ الخالص والاعتقاد اللباب ، معلوم ماله من فضل الدين وأصاله الأحساب . وإلى هذا وصل الله لكم سعداً مديد الأطناب ، ثاقب الشهاب ، وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النُّقاب . فإنه قد كان بلغكم ما آلت الحال إليه بطاغية قشتالة ، الذى كَلَب على هذه الأقطار ، الغربية من وراء البحار ، وما سامها من الإرهاق والأضرار ^(٢) وأنه جرى فى ميدان الإملاء والأغترار ، ومحص المسلمين على يديه بالوقائع العظيمة الكبار ، وأنه نكث العهد الذى عقده ، وحلَّ الميثاق الذى أكَّده ، وحمله الطمع الفاضح على أن أَجْلَب على بلاد المسلمين بخياله ورجله ، ودهمها بتيار سيِّله وقطع ليله ، وأمل أن يستولى على جَبَل الفتح ، الذى منه بدأ فتحها ،

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية مرة أخرى (الأسباب) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الاضطرار) .

وطلع للملّة المحمدية صُبْحُهَا ، فضَيِّقَهُ حصاراً ، واتخذهُ داراً ، وعندما عَظُمَ
الإِشْفَاق ، وَاظْلَمَتِ الآفاق ، ظهرَ فينا بِقدرةِ الله ، الصُّنْعُ العَجِيبُ ، ونَزَلَ الفرج
القريب ، وقَبِلَ الدُّعَا السَّمِيعُ المَجِيبُ ، وطَرَقَ الطاغية جُنْدٌ من جنودِ الله ،
أَخَذَهُ أَخْذَةً رَابِيَةً ، ولم يَبْقَ لَهُ من باقية ، فهلكَ على الجَبَلِ حَتَفَ أَنْفِهِ ، وغالته
غَوَائِلُ حَتَفِهِ ، ففترَقَتِ جموعه وأَحْزابه ، وانقطعتِ أسبابه ، وتَعَجَّلَ لنارِ الله
مآبُهُ ، وأصبحتِ البلادُ مُسْتَبْشِرَةً ، ورحمةُ الله مُنْتَشِرَةً ، فرأينا أَنَّ هذه البشارة
التي يأخذُ كل مسلمٍ منها بالنَّصِيبِ الموفور ، ويشاركُ فيها جَلْبَتَهُ من السُّرور ، أَنتم
أَوَّلَى من تُحْتَفَ بِطِيبِ رِيَّائِهَا ، ونُظْلَعُ عَلَيْهِ جَمِيلٌ مَحْيَاها ، لما تقرر عندنا من
دينكم النَتِينِ ، وفضلكم المَبِينِ ، وعَمَلُكم من المِساهمة ، على شاكِلَةِ صالِحِي
السلَاطِينِ ، فما ذاكَ إِلا بِفضلِ نَيْتِكُمْ للمسلمين في هذه البلاد ، وأثر ما عندكم
من جَمِيلِ الاعتقاد . وقد وردَ رسولُنا عليكم ، القَائِدُ أَبُو عبدِ الله بنِ أَبِي الفَتْحِ ،
أَعَزَّهُ اللهُ ، مقررّاً ما لديكم من الوُدِّ الراسخِ القواعد ، والخُلُوصِ الصَّافِي المِواردِ
الواضحِ الشواهد ، وأَثْنَى على مكارمكم الأَصِيلَةِ ، وأَلْقَى ما عندكم من المِذاهبِ
الجليلة ، فقايلنا ذلكَ بالشكر الذي يَتَّصِلُ سَبْبُهُ ، وَيَتَضَحُّ مَذْهَبُهُ ، وسألنا الله
بِأَنْ يجعله وُدّاً في ذاته ، ووسيلةً إلى مَرَضَاتِهِ ، وتَعَرَّفْنَا ما كان من تَفْضِلِكُمْ
بِالطَّرِيقَةِ المَفْتُوحَةِ المُوَخَّرِ (١) ، وما صدرَ عن الرَّئيسِ المعروفِ بالناظرِ من خِدامِ
دارِ الصَّنِعةِ بِالمَرِيَّةِ من قُبْحِ مَحاولتهِ وَسُوءِ معاملتهِ (٢) ، فَأَمَرْنَا بِقُطْعِ جِرايتهِ وَثِقافِهِ
بِمَطْمُورَةِ القِصْبَةِ ، جزاءً لجنائِتهِ ، ولولا أَننا تَوَقَّعْنَا أَنَّ يكونَ عَظِيمُ عِقابِهِ
مما لا يَقَعُ من مَقامِكُمْ بِوَفْقِهِ [لِمَشْهُورِ عَفافِهِ وَرِفْقِهِ] (٣) ، لَجَعَلْنَاهُ نَكالاً لَأَمْثالِهِ ،
وَعِبْرَةً لَأَشْكالِهِ . وقد وَجَّهنا جَمْعاً سَفَرِيّاً لِإِسْواقِ الخيلِ التي ذَكَرْتُمْ ، وإِصالِ ما إِلَيْهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والفاتيكانه، وفي الملكية (المدخر) .

(٢) واردة في الفاتيكان ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط في الملكية .

من ذلك أشرتكم ، ويكمل القصد إن شاء الله تحب لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم .
هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به عملاً على شاكلة الود الجميل ، والولاء الكريم ،
الإجمال والتفصيل ، فعرفونا بما تزيد عندكم يكون من جملة أعمالكم الفاضلة ،
ومكارمكم الحافلة . والله يضل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى عناية الله به موجودة مؤمّلة ، وأزمنة سعادته إن شاء الله حاضرة
مستقبلة ، وواجبات برّه فى علق الأمر وسره متممة مكّملة ، وقضايا التشيع فى
أبوته يأتى الحق أن ترى وهى مهملة ، مقام محلّ أبينا الذى ودادنا له صافى
الورود إذا كثرت المشارب ، واضح السبل إذا التّبست المذاهب ، وتعظيمنا له
فسيح الجانب ، ووفائنا بعهد فضله من أوجب الواجب ، وثناؤنا على مكارمه ،
تخلّدو نجائبه الصّبا والجنائب^(١) . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ، أبقاه الله يستقبل وجه السّعد سافراً نقابه ، ويستأنف العزّ ضافياً جلبابه ،
والاعتناء الإلهى مفتحاً أبوابه ، موصولة أسبابه ، معظّم أبوته التى لها الحقوق
المرعية ، والمذاهب المرصّية ، المثنى على مكارمه التى راقّت أنوارها السّنية ،
وتعاضدت منها الأعمال والنّية ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى
الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم طيب برّ عميم يخلص مقامكم
الأعلى وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمّد الله ميسّر اللّطاف ، عدّبة الجنى دانية القِطاف ، ومُبدّل
الشّدائد بعد الاستيساد والاستشّراف^(٢) ، ومسكن الأهوال بعد الإرجاف ، وجامع

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الجانب) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الاستزاف) .

الآهوا من بعد الاختلاف ، الذى لا معول إلا على فضله الكاف ، ووعدده الواف ،
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المختار من لباب هاشم بن عبد مناف ،
الآتى بالآيات البيّنات ، والبرهان الشّاف ، والرضا عن آله وصحبه الكرام البررة
الأشرف ، المتّصفين من طاعة الله وطاعته بأحسن الخلال وأكرم الأوصاف ،
والدعاء لمقامكم الأسّمى ، بسعدٍ يغنى عن الإيجاف ^(١) ، ونَصْر على أعدائه تُفنى
به الآحاد عن الآلاف . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله
سبحانه ، ثم بنية مقامكم ، أعلى الله سلطانه ، ووالى لديه إنعامه وإحسانه ، إلا
ما جرّت به العوائد من صلة نِعَم الله بعد الافتقار ، وإدالة ^(٢) اليُسْر من الإِعْسار ،
عرّفنا الله وإياكم عوارف إحسانه المِدرار ، وكان لنا ولكم حيث لا يكون
لأنفسنا من مواطن الشّدائد والاضطرار ، وجنابكم عندنا عظيم المقدار ، كريم
المآثر والآثار . نصل الدُّعاء له ، بالإعلاء على دين الله والإظهار ، ونُلْزِم التشيع
فيه على بعد الدار ، ونثنى على فضائله التى ثبّتت حسناتها فى صحائف الليل
والنهار . من ذلك مُجْمَل يضيق عنها نطاق الأخبار ، [ويعجز عن استيفائها
إنشاء الرسائل وِخلال الأسْطار ، فنكِّلُها إلى العالم بخفّيات الأسرار] ^(٣) ، وإلى هذا ،
أيّد الله سلطانكم ، ونصركم على أعدائه وأعانكم ، فإنّا كتبناه إليكم مع أرسالكم
لنا يبين إليكم ، وصل الله كرامتهم ، وسنّى سلامتهم ، بما عليه الأحوال ^(٤)
بهذا الأرجاء ، وبما نحن نُروُّه من عقْد المهادنة بيننا وبين الأعداء ، وبما كتبنا به
فى شأن الجَفْن الذى استقر لكم فى مُلك مُلك قشتالة ، بحكم القدر الحتم والقضاء ،
وأننا أمسكنا رسولكم الشيخ الفقيه الفاضل أبا العباس الحِصَّار ، أعزه الله ،
بخلال ما يعود جواب الطّاغية بما كتبناه فى ذلك الجَفْن إليه ، وعرضنا فى

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الإخاف) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (وإقالة) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٤) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (الإخوان) والأول أرجح .

قضيته عليه ، ليرجع إليكم في المسئلة بجواب يَحْصُلُ به الإنجاز الصَّريح ، أو اليأس المُريح ، وأخذنا في القضية بما يوجب الحُبَّ الخالص ، والاعتقاد الصحيح ، وآبَ أَرْسَالُنَا ، وقد عقدوا الصلح ببركة نيتكم التي هي للإسلام عُدَّةٌ ، ومُلْجَأُ الإسلام . كلما نالته شِدَّةٌ ، وأَحْكَمُوا شُرُوطَهُ على ما جرت به العوائد القديمة ، [وتَوَخَّيْهَا في تَثْبِثِهَا الطرق القويمة] ^(١) وصدر من سلطانهم ^(٢) في قضية الجَفْنِ المذكور كتابه الذي وَجَّهَنَا إليكم صحبة هذا الكتاب ، بعد أن أَمَرْنَا بشرح ما تضمنه ، ووقفنا على ما أعلنه ، وأحوال النَّصْرَى معروفة ، وأمورهم في هذا الباب موصوفة ، ولكم عند الله خَلْفٌ في كل مفقود ، وإذا سلمتم فلا خوف بفضل الله من مكروه ولا فايث ومردود ، والله تعالى يعرفكم عوارف إحسانه الموجود ، ولطفه الذي ظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ في الوجود ، ويظفركم من مَرَضَى خير الدنيا والآخرة بالغَرَضِ المقصود . هذا ما عندنا شرحناه إليكم [وأَوْضَحْنَاهُ لِدَيْكُمْ] ^(٣) ورسولكم الشيخ الأجل أبو العباس الحَضَّارُ أعزه الله ، يشرح لكم جزئيات الأمور شرح المعاین المشاهد ، وَيَسْتَوْفِي لَكُمْ مِنْهَا كُلَّ شَارِد . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذي بَنَيْتَهُ الصَّالِحَةُ ، تَجْرَى الْأُمُور على أَفْضَل مُعْتَادِهَا ، وَيُؤْمِنُ نَقِيبَتُهُ تَرْسِيرَ السُّعُودِ عَنْ وَجْهِهِ إِسْعَادِهَا ، وَبِبَرَكَةِ دَوْلَتِهِ تُوَضِّحُ الْأَيَّامُ مَذَاهِبَ صِلَاحِهَا وَسِدَادِهَا ، وَفِي مِيدَانِ جُودِهِ ، تَرْكُضُ جِيَادُ الْأَمَلِ إِلَى أَقْصَى آمَادِهَا . مقامٌ محلُّ أَخِينَا الَّذِي لَهُ الْقَدَرُ الرَّفِيعُ ، وَالْمَكَارِمُ الَّتِي رَاقَ مِنْهَا الصَّنِيعُ ، وَالْفَوَاضِلُ الَّتِي مُقَدِّمَاتُهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا تَضِيعُ ، السَّالِطَانُ الْكَذَا ابْنُ السَّالِطَانِ الْكَذَا ابْنِ

(١) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطين ، وساقط في الفاتيكانه .

(٢) وردت في المخطوطين (سلطانكم) ، والتصويب من الفاتيكانه .

(٣) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في الملكية .

السلطان الكذا ، أبقاه الله عاليةً أعلامه ، موسومةً باليمن والأمان أيامه ، كريماً
عهده في الله وذمامه ، مُيسراً من فضله سبحانه قصده البرّ ومرامه ، جارياً بما يرضى
الله ، حربته وسلّمه ونقضه وإبرامه ، حتى يَنْتَشِرَ في الخافقين ثناؤه ، كالزهر
فُضَّ كِمَامه ، وترد الآمال مورد جوده ضافية جِمامه ، وتوى^(١) بعلاج عزمه
في هذا الدّين ولو بعد حين كلامه ، معظّم مقامه الذي تعظيمه فرض أكيد ،
وموقّر كماله الذي ظل أفضاله مديد ، المتجمل من التشيع فيه بلباس إخلاص
تخلّق ملابس الدهر وهو جديّد ، المُنْتَنَى على مكارمه التي توالى لدينا وانثالت
والمنزّار بعيد ، وسفّرت عن وجوه الرّجا والوقت شديد ، المعتدّ بوده اعتداداً ما عليه
مزيد . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن
نصر . سلام كريم برّ عميم يخصّ مقامكم الأعلى ومثابرتكم الفضلى^(٢) ، ورحمة
الله وبركاته .

أما بعد حمّد الله مُيسّر المصاعب ، وموضّح المقاصد بعد انبهاهما والمذاهب ،
ومعرّف أهل هذا القطر الغريب عوارف الصّنع العجيب ، بيّمن مقامكم الرّفيع
الجانب ، حتى تنام عيونه في كنف أفضالكم الدائم الدّائب ، وتصبح ظنونه
آمنة من النّوائب ، وتجرى أموره من التمهيد والنظر السديد على السبيل اللّاحب .
والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الحاشير العاقب ، المُجْتَبَى من ذرية
أوى بن غالب ، الذي جلى بنوره الحقّ قطع الغياهب ، ووصل أسباب الوُدّ في
الله بين الشاهد من أمته والغائب . والرضا عن آله وصحبه أولى المفاخر والمناقب ،
الذين عمّروا في طاعة الله وطاعته صفوف الحروب و صفوف المحارب ، وكانوا
لأمّته من بعده كالنجوم الثواقب . فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله للملكم أعلى
صلاح العواقب ، وأطلّع كواكب سعده [في أعلى]^(٣) المراقى وأسعد المراقب .

(١) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانه (توى) .

(٢) زائدة في الفاتيكانه .

(٣) وردت في الإسكوريال (صرح) ، والتصويب من الملكية .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا الخير الذى
تبينيت ببركة نيتكم أحواله ، فأنتم عقدة الإسلام وثمانه ، وفى ميدان فضائلكم
العميمة ومكارمكم الحديثة والقديمة ، تَمْرُحُ آماله ، وباتصال اليد بسلطانكم
الأسعد، تنجح أعماله وترفُّ ظلاله ، وعندنا من التشيع الصافى ولاؤه ^(١) ، المنزهة
عن الريب خلاله ، ما لا يزال متصلاً دَوَامه ، دائماً اتصاله ، شاهدة به بكرة الزمان
وآصاله . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم . فإننا بحسب الوداد الصريح ،
والاعتقاد الصحيح ، نودُّ أن لا يمر لنا يوم إلا عن مخاطبة نوردها عليكم ،
ومراسلة نتعرف بها ما استقرَّ من فضل الله لديكم ، وقد كنَّا فى متقدِّم التاريخ
عرفنا مقامكم بما شرعنا فيه من محاولة الهدنة ، التى تأخذ فيه العزائم مأخذ
اعتدادها ، وتنامُ العيون بعد إنضائها فى الجهاد وإجهادها ، فأخذنا فى ذلك بمعونة
الله أكمل الأخذ وأتمه ، وأمضينا بعزِّ مظاهرتكم الكريمة حُكمه ، فإن [جهتكم
هى العدة] ^(٢) التى تنسئى بها فى العدو الآراب ، وتنتأى الصنائع العجائب
واللطائف الغراب ، وآب أرسلنا من إشبيليه ، أعادها الله ، وقد عقدنا ^(٣) السلم
وعقدوها ، وأخذوا الموائيق وأكثدوها ، على الشروط التى تصلكم نسخة من عقدها
صُحبة هذا الكتاب ، وضمننا عنكم [إمضاءكم] ^(٤) لما عقدناه على جهتكم
العلية ، ووصول كتاب كريم منكم بما يكون فيه خلاص القضية . وهذه الهدنة
من يُمْن مُلككم الأصيل محسوبة ، وإلى ديوان سعادتكم منسوبة ، والرجا فى
فضل الله أن تتمهد فيها أيامكم الفاضلة ، وتستكثر من عُدَّة الجهاد فى مدتها
دولتكم العادلة ، وتكون اليد عن استكمالها بخير وعافية ، إن شاء الله مُجتمعة ،
والعزائم إلى ما يرضى الله من العمل الصالح مسرعة ، لتضربوا فى جهاد العدو

(١) وأردت فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية ، وفى الفاتيكانه (زلاله) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الفاتيكانه ، ومكانها بياض فى المخطوطين .

(٣) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (احكوا) .

(٤) وأردت فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

بأعلى القِداح ، وتأخذوا بأوفر حظ ناله لسلفكم الكريم من هذه الأرباح . أعانكم الله وأيدكم ، وأعلى على أعدائه بدكم . وجوابكم العلى مرتقب بإمضاء ما ذكر في الشروط ، والإذن في إعمال تلك الرُّبوط . هذا ما زاد عندنا طالعنا به مقامكم الأسمى ، ومثابرتكم العظمى ، عملاً بما يجب ، وإبداءً لوجوه البر التي لا تحتجب . والله يوصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى أبوته مرعية الحقوق ، وآثار فضله متلوّة مع الغروب والشروق ، وقواعد ودّه لا تعارض بالفروق . مقام محل أبينا ، الذى نعظمه ونجلّه ، ونوجب له الحق ، الذى هو أحق به وأهله ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يستطلع وجوه السعادة رائقة ، ويتلقى وجوه العناية والآهيات متسابقة ، ويجتلى ثغورها باسمه ، وأفنانها باسقة ، ويتقلد عقودها الرائقة متناسقة ، معظم مقداره ، ومُلتزم إجلاله وإكباره ، العارف بمآثره الكريمة وآثاره ، المثنى على أصالة مُلكه وكرم نِجاره ، وفضله التى ثبتت صحائحه^(١) أخباره ، ثنا الروض على واكفات أمطاره . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب برّ عميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمّا بعد حمد الله ولى المحامد على اختلافها ، ومستحقها على تباين أصنافها ، مُسنى أسباب السعادة وميسر استئنائها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المنتخب فى لباب العرب ما بين بنى زهرتها وبنى كلابها^(٢) يمهّد الأرض بالدعوة الحنيفية ، عند اضطراب أكتافها ، والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه ، سادة الأمة

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (صحاح) .

(٢) فى الفاتيكانه (وعبدمنافها) .

وأشرفها . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً أسبابه وثيقة مُبرمة ،
وعزاً آياته ثابتة محكمة . من حمراء غرناطة حرسها الله . ولا زائد بفضل الله
سبحانه ، وبركة سيدنا ومولانا محمد [صلى الله عليه وسلم] ^(١) الذى رفع قدره
وأعلى شأنه ، ثم بما عندنا من الاعتقاد الجميل فى مقامكم ، أسعد الله سلطانته ،
إلا الخير المنهمل السحاب ، وأيسر المفتّح الأبواب ، والصنع الكفيل بنيل
الآراب . ونحن نعتدّ بنيتكم الصالحة فى تكييف اللطاف ، وتيسر الأسباب ،
ونصل الشنا على مجدكم الرفيع الجناب ، ونمحص لكم من الوُدّ الخالص والحب
اللُّباب ، ما تُرجى عليه إثابة العزيز الوهاب ، ونعترف بما لكم من المكارم الجلائل
والفواضل الرغاب ، عندنا من ذلك ، ما لا تُحيله الأيام ، ولا تُبليه الأحقاب .
وإلى هذا وصلّ الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا وإن حالت بيننا البحار
المُترامية ، والمراحل القاصية ، لو استطعنا أن نجعل المخاطبة سبباً موصولاً ،
والمكاتبة لا تنفصل آخرتها عن الأولى ، لم نقدّم عملاً على ذلك ، ولا تورعنا عن
سلوك هذه المسالك ، وأننا خاطبنا مقامكم الكريم فى هذه الأيام القريبة مع خديمكم
المكرم المبرور أبى عبد الله ^(٢) الجزيرى حفظه الله ، مراجعة عن كتابكم الرفيع
المقدار ، وإلماعاً ببعض الأخبار ، وتقريراً للودّ الكريم الإعلان والإسرار ، ولم
يتزيد بعده ما يحمل على الإسراع بالتعريف والبدار . غير أن الحال بصدد
الصلاح والاستقرار ، والقابول تستروح من الله سبحانه نسيم الاستيثار ، ونرتقب
ما وعد به الدّين الحنيف من الإظهار ، فالفرج موكل ^(٣) بالشدة ، والجبر موكل
بالانكسار ، والآمال قد أشرقت آفاقها من بعد الاعتكار ، بما يتوقع من اتصال

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال ، وفى الفاتيكانه (رسوله) .

(٢) مكانها بياض فى المخطوطين .

(٣) فى الفاتيكانه (مولع) .

شَتَات الكُفَّار ، واشْتِعَالِ الفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ النَّارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلْجَةَ ^(١) الَّتِي كَانَتْ خَاصَّةً صَاحِبَ قَشْتَالَةِ الْهَالِكِ ، عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الثَّقَافِ وَأَوْلَادِهَا وَقَرَابَتِهَا ، قَدْ شَبُّوا نَارَ الْخِلَافِ ، وَالْوُحْشَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سُلْطَانِهِمْ مُقْتَبِلَةً ، وَأَسْبَابَ الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُمْ ^(٢) مَتَّصِلَةً ، وَسُلْطَانِهِمْ يَجْتَهِدُ فِي مَصَالِحَتِهِمُ الْحِيلَ ، وَيُرُومُ مَصَالِحَهُ مَا أَصَابَ كَلِمَةَ النُّصْرَانِيَّةِ مِنَ الْعِلَلِ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بِأَسْهَمِ بَيْنَهُمْ شَدِيداً ، وَيُضْنِي عَلَى الْإِسْلَامِ ظِلَّ عِنَايَتِهِ مَدِيداً بِفَضْلِهِ . وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ لَدِينَا مِنْ أَرْسَالِكُمُ الْجَلَّةِ الْأَثَرَا الْفُضَّلَا الْمَبْرُورِينَ خَدِيمِكُمْ ^(٣) أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُوسَى ، وَالْفَقِيهَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْحَضْرَاءِ ، وَالْقَائِدَ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْحَاجِّ ، وَصَلَ اللَّهُ عَزَّتْهُمُ وَوَالَى مَبَرَّتْهُمُ مِنَ الْقُدُومِ عَلَى بَابِكُمْ ، وَاللِّهَاقِ بِخِدْمَةِ رُكَّابِكُمْ . إِلَّا أَنَّ الْأَنْوَاءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ شَدِيدَةُ الْإِلْحَاحِ ، وَالْآفَاقُ غَاصَّةٌ بِالْأَمْطَارِ الْهَامِيَةِ وَالرِّيَّاحِ . وَأَسْبَابُ السَّفَرِ مُتَعَذِّرَةٌ مَعَ الْمَسَاءِ ، وَالْإِضْبَاحِ . وَإِذَا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنْجِلَا الْأَنْوَاءِ ، وَاسْتِقَامَةِ حَالِ الْهَوَا ، فَنَحْنُ نَنْظُرُ لَهُمْ ، وَلَمِنْ بِالْمَرِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ ، مِنْ خِدَامِكُمْ مَا يَسَافِرُونَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ، وَيَحْمِلُ كَلَامَهُمْ عَلَى مَا يَرْضِيهِ ، عَمَلًا بِمَا تُوجِبُهُ مَبَرَّةُ الْأُبُوءِ الْكَرِيمَةِ وَتَقْضِيهِ . وَاللَّهُ الْمُسْتَوَّلُ أَنْ يَقْضِيَ خَيْرَ مَا يَقْضِيهِ ، وَيَحْرُسُ مَقَامَكُمْ الْبَاهِرَةَ مُعَالِيَهُ . هَذَا مَا عِنْدَنَا بِأَدْرَانَا بِهِ أَعْلَامَكُمْ ، وَأَخْبَرْنَا بِهِ مَقَامَكُمْ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ومن ذلك

المقام الذي تكفل فضله بتيسير الأغراض ، وَضَمَّنَ مُلْكُهُ لِلْإِسْلَامِ صَلَاحَ الْأَحْوَالِ ، وَشَفَاءَ الْأَمْرَاضِ ، وَتَبَرَّاتِ مَذَاهِبِ مَجْدِهِ عَنْ شُبِّهِ الْأَعْرَاضِ ، وَحَسَدَاتِ أَنْفَاسِ الثَّنَا عَلَى مُعَالِيهِ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ . مَقَامَ مَحَلِّ أَخِينَا الَّذِي نَجْتَلِي عَلَى الْأَحْيَانِ

(١) هكذا في الإِسْكُورِيَّالِ وَالْفَاتِيكَانَةِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (الْعُلْجَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْفَاتِيكَانَةِ (لَدَيْهِمْ) .

(٣) زَائِدَةٌ فِي الْفَاتِيكَانَةِ .

من برّه وجوهاً ضاحكة مُسفرة ، [أو نستنشق من أفقه الأعلى رياح النصر مُبشرة]^(١)
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يختال في ملابس
السعد ، ويُشيد أركان المجد ، ويتكفل للإسلام ببلوغ القصد ، ويخلد في صفحات
الأيام سطور الحمد ، معظّم سلطانه الأعلى السالك من بره وإيجاب شكره على
الطريقة المثلى ، المتحلّى من أمحاض ودّه ، وإجلال مجده بأنفس ما يتحلّى ،
المنشئ على مكارمه التى أخبارها تتلى ، وأنوارها تُعجلى ، الأمير عبد الله يوسف
ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل من فرج بن نصر . سلام كريم برّ عميم ،
يخص مشابتكم العظمى وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمّا بعد حمد الله الذى ، فى ذاته تزكو ثمرات الوداد ، ولدى ابتغا مَرْضَاتِهِ ،
تُخلّق موارد الاعتقاد ، مُنجد الإسلام على مر الأيام ، بمظاهرة مُلككم الرفيع
العماد^(٢) . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله . هادى العباد إلى سبيل
الرشاد ، المستولى من كمال الخلال وخالل الكمال ، على أقصى الآماد ، الذى شهد
بصدقه^(٣) لسان الحى والجماد ، وبهّرت أنوار معجزاته كالصباح الباد ، والرضا
عن آله وصحبه وعشرته وحزبه ، أولى الجدال فى نصره والجلاد ، المدافعين عنه
بالبیض الرقاق والسمر الجداد ، حتى استقرت أنوار دعوته راسية الأطوار .
والدعا لمقام أخوتكم العظمى بتوالى الإسعاد ، وإتصال اليسر الخصيب المراد .
فإنّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله أجزل المواهب ، وحملكم من توفيقه
وتسديده على أوضح المذاهب ، وطرز بنصركم على أعدائه صحائف الكتب
وصفحات الكتائب ، وبلغ الإسلام ما يؤمله فيكم ، ويرجوه فى معاليكم ، من
تمهيد الأرجاء ، وكتبت كفرة الأعداء ، وتكيف الصنائع العجائب .

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكاه .

(٢) فى الفاتيكاه (المقداما) .

(٣) فى الفاتيكاه (بفضله) .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله سلطانه ، ومهد بالخير العاجل والآجل أوطانه ، إلا ودُّ يستحكم سببه ، وتشيع يتضح مذهبه ، واعتقاد سما عمادته ، وانفسحت طنئته ، وولاء ثبت في شجرة الخلوص نسبه . وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا ورد على بابنا خديمكم الشيخ الفقيه الخطيب ، الأفضل الأرضي ، العابد المجاهد الأمضى ، المبرور ، أبو العباس بن الخطيب ، وصل الله كرامته ، وسنى سلامته ، فألقى إلينا مشافهة من جميل اعتقادكم ، وكريم ودادكم ، ما لو اجتهدت الأقلام في تنميقة ، وثابرت الكتب على تحصيله وتحقيقه ، لم تجد مزيداً عليه ، ولا فضلت ما لديه ، وبالع في تقرير ما لديكم بهذه الجهات من العناية بأحوالها ، والتحقيق لآمالها ، والنية الخالصة لله في جهاد أعدائها ، وتمهيد رحابها . فحمدنا الله ما وهبنا من ودكم ، وعلمنا أن نية الجهاد كفيلة لكم في الدارين ببلوغ قصدكم ، وما أعمالكم ، والحمد لله ، منذ أقامكم الله ذلك المقام ، إلا متسابقة ، في النظر لها متوالية ، ولا همتمكم في العناية بها إلا عالية ، أعانكم الله على ما يعظم لكم الأجر ، ويخلد الفخر . وقد ألقينا إليه من شكر أفضالكم ، والثناء على جلالكم ، ما نرجو أن يقوم فيه أحسن القيام ، ويعمل فيه عمل مثله من سُرارة الخدام ، وإن كان ما ألقيناه إليه تعجز عنه فصول الكلام ، وألسنة الأقلام . وتلاحق بنا أيام مقامه لدينا رسولكم ، والقائد الأجل خديمنا أبو عبد الله بن غرّون ، أعزه الله ، وأوصل إلينا كتابكم متضمناً ما سناه الله لكم من مساعدة الأيام ، وتيسير المرام ، واستصحب أيضاً ما عقدنا على مقامكم في صلح العدو من الأحكام ، فحصل الغرض المطلوب ، واستبشرت بتمام الصلح القلوب ، وما زال ملككم ، حفظ الله معاليه ، وشكر مكارمه المتوالية ، يتم لهذه البلاد المصالح ويوفيهها ، ويسلك بها سبل الخير ويقتفيها ، ويثابر على الأعمال التي يرضى الله فيها ، فيلى فضائلكم المترادفة ، فضل الشكر ، وتوجب (الريانة - ٣٤)

البر، أَيْمَلُفُوظُهَا أَمْ بِمَكْتُوبِهَا ، أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى الْقِيَامِ بِوُجُوبِهَا ، وَمَا عِنْدَنَا مَا نَعْرِفُكُمْ بِهِ إِلَّا الْخَيْرَ الَّذِي يُرْجَى بِمُظَاهَرَتِكُمْ اتِّصَالَهُ ، وَالْيُسْرَ الْمَتَدَةَ ظِلَالَهُ . وَعِنْدَنَا مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّكُمْ الْوَاجِبِ ، وَالثَّنَاءَ عَلَى مُحَلِّكُمْ الرَّفِيعِ الْجَانِبِ ، مَا لَا يَزَالُ مُتَّصِلَ الدَّوَامِ ، بَاقِيًا عَلَى الْأَيَّامِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْضِي عَلَى يَدَيْكُمْ بَعْزَ الْإِسْلَامِ ، وَيَصِلُ لَكُمْ مِنْ عَنَائِهِ كُلِّ وَافِرِ الْأَقْسَامِ بِفَضْلِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

ومن ذلك

المَقَامُ الَّذِي حَقَّقَ بَرَّهُ مَوْفَاةً مُؤَدَاةً ، وَوَاجِبَاتٍ شَكَرَهُ مُقَدِّمَاتٍ مَبْدَاةً ، وَأَخْبَارَ عَصْمَتِهِ تَحَفُّ هُدَاهُ . مَقَامَ مُحَلِّ الدُّنَا الَّذِي نَعِظُمُهُ وَنَكْبِرُهُ ، وَنَجْلُهُ وَنَوْقُورُهُ ، وَنَعْتَرِفُ بِمَالِهِ مِنَ الْمَجْدِ الزَّاكِي عَنْصَرَهُ ، وَالْفَضْلِ الْكَرِيمِ أَثَرَهُ ^(١) السُّلْطَانِ الْكُذَا ، ابْنِ السُّلْطَانِ الْكُذَا ، ابْنِ السُّلْطَانِ الْكُذَا . أَبْقَاهُ اللَّهُ ، وَمَسَاعِيهِ فِي اللَّهِ نَاصِحَةً ، وَمَعَالِيهِ بَاقِيَةً صَالِحَةً ، وَغُرَّرَ مَآثِرَهُ مَشْرِقَةً وَاضِحَةً ، وَآيَاتِ سَعَادَتِهِ لِمَعَانِي الْعَنَاءِ الْإِلَهِيَّةِ شَارِحَةً ^(٢) . مَعْظَمُ سُلْطَانِهِ الرَّفِيعِ الْجَلَالَةِ ، وَالْمُنْتَنَى عَلَى فَضَائِلِهِ الْمُتَنَائِلَةِ ، وَمَكَارِمِهِ الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا لِسَانُ الْإِطَالَةِ ، الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ بْنِ نَصْرٍ . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طِيبُ بَرِّ عَمِيمٍ يَخْصُ مَقَامَكُمْ الْأَسْمَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُبَسَّرُ الْأَلْطَافِ الْخَافِيَةِ ، وَمَحْوَلُ الْمَوَاهِبِ الْوَافِرَةِ الْوَافِيَةِ ، وَمَنْحِ الْعِصْمِ الْكَافِلَةِ الْكَافِيَةِ ، وَجَاعِلُ الْعَاقِبَةِ لِلتَّقْوَى ، إِسْبَاغًا لِلنَّعْمِ الضَّافِيَةِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، ذِي الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ ، وَالْمَعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَادِيَةِ [وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الْعَالِيَةِ ، وَالْبَرَكَاتِ الْمُتَرَادِفَةِ الْمُتَوَالِيَةِ] ^(٣) وَالرِّضَا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (أَمْرُهُ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (سَارِحَةٌ) .

(٣) مَا بَيْنَ الْخَاصَرَتَيْنِ وَآوَدَ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَسَاقَطَ فِي الْمَلِكِيَّةِ .

عن آله وصحبه ، أولى الآثار^(١) الصالحة الباقية ، والهيم السامية الراقية ،
والدعاء لمقامكم الأسمى بنجح الأعمال الراضية ، ونصر العزائم الصادقة ، في
في جهاد العدو الماضية ، والصنائع التي تُسفر عن وجود اليُسر والعافية . فإننا
كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً واضح السمات ، وصنعاً يتكفل بدرء الشدائد
ورفع الأزمات .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله جل وتعالى ، وآلائه
التي لم تنزل تترادف وتتوالى إلا الخير الكامل ، واليُسر الشامل ، والفضل الذي
تُقضى به الحاج ، وتُنال المآمل^(٢) ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل
إلا فضله . وعندنا لمقامكم الأسمى تشيع ثابتة أركانه ، ووُدُّ جديد على بلى
الجديدين ريعانه ، وخواص لا تغيره حوادث الدهر وإيوانه . وإلى هذا وصل
الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا في هذه الأيام ، أجبنا مقامكم الكريم عن
فصول الكتابين الواردين علينا ، المُهْدِيَيْن تحف أنبائكم السارة إلينا ، المتأديين
على يدي خديمكم الشيخ الأجل المكرم المبرور أبي بكر بن موسى وأبي عبد الله
الجزيري ، أعزهما الله في خطاب آب به أبو عبد الله الجزيري المذكور إلى بابكم ،
وتوجه إلى ، جنابكم ، إلا ما كان من مُضمن المدرج في شأن الغرقورة ، فإننا
أرجأنا جوابه خلال ما يتجه لنا في ذلك نظراً يعمل أو وجه لا يهمل . وظهر لنا
الآن^(٣) أن وجهنا إلى سلطان قشتالة قريبنا الرئيس الأجل أبا جعفر بن نصر،
وصاحب ترجمتنا ، وصل الله كرامتهما ، ويسر سلامتهما . لئلقيا إليه في شأن
ما جرا على أبيه من هلاكه ، وما تصير إليه من ميراث ملكه ، مالا ينكر بين
الملوك تردده ، ولا يُجهل في أبواب التدبير مقصده ، وجعلنا قضية الغرقورة

(١) وردت في المخطوطين (الأثر) والتصويب أنسب للسباق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الملكية (المنال) .

(٣) زائدة في الإسكوريال .

الغرض المقدّم ، والسبيل المتّعمّ ، وكتبنا إلى صاحب قشتالة في هذه القضية كتاباً يصلحكم نسخته طيّ كتابنا هذا ، لتكونوا على علم من فصوله ، وإطلاع على فروع هذا الحال وأصوله ، وأذنّا للشيخين الأجلّين رسوليكُم الوافدين علينا ، والواصلين إلينا ، الخديم الأجلّ أبي بكر بن موسى ، والقائد أبي سالم بن الحاج أعزّهما الله في اللحاق بمقامكم الأسمى ، والقدوم على أبوتكم العظمى ، لكونهما من لهما في الحركة بين يديكم غناً ، ومذاهب سبيلهما في الخدمة سوا ، وأمسكنا ثالثهما الفقيه أبا العبّاس الحصار حفظه الله لا يعدمه بحول الله مبرّة ولا اعتنا ، حتى يقف من جواب الطاغية على ما يكون فيه إعلام لكم وإنبا ، أطلع الله تعالى من الأمر كله ، على ما يكون فيه لاغتلال الأيام شفأ ، ولدين الله ظهوراً واعتيلاً ، ولعوائده سبحانه اتّصال وولا . هذا ما عندنا خاطبنا به مقامكم العليّ ، وصل الله أسباب سعده ، وحرس أكثاف مجده . وهو سبحانه يصل لديكم مواهب آلائه ، ويشملكم بمواهب نعمائه ، ويوفّر حظّكم من اعتنائه . والسلام الكريم يخص مقامكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذي شأؤ مجده فسيح المدا ، وتتراكض فيه جياد البأس والنّدا ، وأخبار فخره ، يروى صحائفها كلُّ من راح وغدا . ونبيّته في نصر الإسلام يعرفه عوارف النّعم الجسام يوماً وغدا . مقام محلّ أخينا الذي مقاصد ودّه سافرة الغرر ، وآيات مجده خالدة الأثر ، ومكارمه هامية الدّرر ، ومواعيد نصره على أعداء الإسلام ، يتشوف الدّين إلى ميقاتها المنتظر^(١) ، ورايات جلالته لا تُوقى^(٢) من ضعف الخبر ، وصنابعه في سبيل الله ، يرفل الإسلام منها في رايق الحبر .

(١) وإاردة في المخطوطين . وساقطة في الفاتيكاه .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكاه (توق) .

السلطان الكذا بن السلطان الكذا . أبقاءه الله على المجد ، كريم
القصد ، رافلا في حُلِّ الفخر والسعد ، معظَّم مقامه السَّامى المصاعد ، المثنى على
مجده الأثيل^(١) القواعد ، ووُدَّه العذب الموارد ، وفضله الواضح الشواهد ، الأمير
عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام
كريم برِّ عميم ، يخصُّ أخوتكم الفاضلة ، ومملاككم الحافلة ، ورحمة الله تعالى
وبركاته .

أما بعد حمد الله ، ولِيَّ الحمد وأهله ، الذى تخلص المودات الصادقة من
أجله ، ويُسْتَعان بحوله وقوته فى الأمر كله ، فلا يخيب من اعتمد على كرمه ،
أو عَوَّل على فضله ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، خيرة أنبيائه ، وخاتم
رسله ، الذى نَأْوَى عند الفزع الأكبر إلى ظلِّه ، ونَرْتَجِي النجاة فى التمسك
بحبله ، ونستجير بجاهه على شدائد الدهر وأزله ، ونتوسَّل إلى الله بعزَّة قدره
لديه ورقة محله ، فنسئلك من الإسعاد على أوضح سُبُلِه ، والرضا عن آله وصحبه
وعترته وأهله ، المقتدين به فى قوله الكريم وفعله . فإننا كتبناه إليكم ، كتب
الله لكم من عنايته أَوْفَى الحظوظ والأقسام ، وعرفكم عوارف الآلاء والجسام ،
وأنجَح [فى نصركم]^(٢) على أعدائه الكافرين ، أَمَلْ أهل الإسلام ، حتى ترتسم
[حسنات جهادكم]^(٣) فى صحف الأيام .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا
من الاعتداد بمقامكم الأسمى ، مهَّد الله سلطانه ، إلَّا الخير المديد الرِّواق ، والصُّنْع
الباهر الإشراق ، والأَمْن المُنسحب على الآفاق ، وتشيعُنَا إلى مثابنتكم العليَّة
محكم الميثاق ، ومَوْرَد ثنائنا على مكارمكم السَّنية عَذْبُ المذاق ، ولا نزال نجتلى

(١) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكاه (الأصيل) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكاه (قصدكم) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والفاتيكاه ، ومكانها فى الملكية (حسناتكم) .

من مخاطباتكم البرّة أزهار البيان ، من فوق الأوراق ، ونقّنتى من أنفاسها إثميد الأحداق ، ونشئ بما خولكم الله تعالى من المجد الذى أحرزتموه بالاستحقاق ، وجريتم فيه جزي الجياد على الأعراق . وإلى هذا أيّدكم الله بالنصر على أعدائه ، وعرفّكم عوارف العناية الإلهية^(١) فى مختّم كل أمر وابتدائه^(٢) . فإننا ورد علينا كتابكم السّافرة عن مُحيّا الدّين فصوله ، القائمة على كريم العهد أصوله ، الناطق بلسان الفضل المبين محصّوله ، اجتنينا منه روضة نمت صوادح البرّ بأفنانها ، وحلّة نمّ طيب الخلوص من أردائها ، تعرّفون بما كان من وجهتكم التى اتخذتم فيها الحزم طريقاً ، والعزم مُصاحباً ورفيقاً ، والتوكل على الله سبحانه قبيلاً وفريقاً^(٣) ، وإنّ ركابكم لم يلو على من تلوم ، وطرق عزمكم ما اغضى ولا هوم . فلم تقفكم الأطواد ، وقد سمّت صياصيتها [وشابت بالثلج نواصيها ، حتى ألحقتم أذانيها بأفاصيها^(٤)] ، وحلّتم بسجلماسة ، حلول الإضرخ والبدار ، والمعالجة^(٥) المُسقطّة للأعدار ، وطلّعت بأفاقها طلوع النهار ، وأعدتموها إلى ما كانت عليه من التّمهيد والقرار ، ووقّدت بها عليكم من سمّيت من الأشياخ الكبار ، ووُجّوه القبائل الأحرار ، على اختلاف الصّفات ، وتباين الأقدار ، وأنهم وردوا من قبولكم على أعذب المشارب ، وشملهم صفح مقامكم الرفيع الجانب ، وانتظموا فيمن حفّ بكم من الجيوش والكتائب ، وأنتم صرفتم إلى الأحواز المرّاكشية صُدور الرّكائب ، وشرعتم فى صلة العزم الدّائب . واستوفينا ما قرره مقامكم الأعلى بمقتضى الوُدّ الكريم الواضح المذهب ، ورأينا أنّ الذى يحمل أخوتكم

(١) زائدة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (وانتهائه) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (رقيقاً) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٥) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (المعاملة) والأولى أرجح .

الكرامة على تعريفنا بجزئيات أحوالها في مقامها الرفيع وارتحالها ، على انتزاح^(١) حلالها ، [وشواغل جلالها]^(٢) إنما هو الود الذي زكّت شهوده ، وثبتت عقوده ، وعذب في الله وروده ، فأطلقنا في الثناء على مقامكم أعنة اللسان ، وأطنبنا في ذكر فواضلكم العميمة ، ومقاصدكم الحسان ، وقلنا نعم الود الذي أصبح على مرّضاة الله قائم البنيان ، فلو استعرنا لسان بديع الزمان ، وغيره من فرسان البيان ، لما وقّينا بعض شكركم الفسيح الميدان ، الكريم الأثر والعيان . واعلموا أن ذلك القطر ، وصلّ الله له ، عوائد التمهيد ، وعرفه عارفة اليمن المديد ، إذا سكن زلزاله ، وحسنت عواقبه . وكرّم ماله ، وصلحت باجتماع الكلمة أحواله ، عادت على بلادنا عوائد الأمان ، وأغضى عن هذا القطر جفن الزمان ، وعلم العدو أن ناصر الإسلام ، يمكنه الدفاع عن أرجائه ، والتفرغ إلى تيسير رجائه ، مع الأحيان ، فمن الله سبحانه ، نسل أن يعرفنا من تلك الجهات العلية المؤمّلة ، ما يكون فيه سكون الأقطار ، وتمهيد الديار ، والصنع الكفيل بعز الإسلام ، وثبار الكفار . وأمّا ما لدينا من الاعتداد بمقامكم العلى المقدار ، والثناء على فضلكم^(٣) المتألق الأنوار ، فشئ تضييق عنه أسنة الأقلام ، وبُطون الأسفار ، فواصلوا تعريفنا بما يتزيّد لديكم ، ويتجدّد من الأمور عليكم ، يكون ذلك صلة لما عودتم من مكارمكم الفاتية^(٤) وفواضلكم السابقة^(٥) . والله تعالى يشكر مجدكم ، ويبلغكم من نصر الإسلام والمسلمين قصدكم بمنه ، والسلام الكريم يخصصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذي وسع [الأمتين]^(٦) عدله وإحسانه ، وتكفل بجبر القلوب

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (امتزاج) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الفاتيكانه ، ومكانها بياض في الملكية .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية والفاتيكانه (أفضالك) .

(٤) في الفاتيكانه (البالغة) .

(٥) في الفاتيكانه (السابقة) .

(٦) مكانها بياض في المخطوطين ، والتكلمة من « كناسة الله كان » .

وتفسير الأمل المطلوب عمله ولسانه ، واشتمل على المكارم المتعددة شأنه ، وقام على الفضل المبين ، والمآثر الرائقة الجبين برهانه ، مقام محل أخينا الذي حكمه عدل ، وشيمته مجد وفضل ، وملكه لنصر الله إياه أهل ، وحقوقه على أهل^(١) الإسلام لا يصدعها جهل ، وسيل مكارمه لا حب سهل . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله ، مخولاً من التوفيق أسنى المواهب ، سالكاً نظره في السداد أوضح المذاهب ، متعمداً جوانب الإسلام بألطافه العجائب ، ذاخراً من نصره إياه جيوش عزم ، تسير أمام الكتائب ، صارفاً إليه من وجوه سياسته ، ما يقضى بحفظ الشاهد منه والغائب ، معظم مقداره الذي فاق الأقدار ، ووضع فضله فاشبه النهار ، وموَّقر ملكه الذي حاز الفخار ، وعمَّ فضله الأقطار فلان .

أما بعد حمد الله الذي آلاؤه العميمة لا يقلع مِدرارها ، وألطافه الخفية لا تلتبس آثارها ، وعناياته بمن وقف عليه رجاؤه تشرق أنوارها ، الذي أقامكم لنصر كلمة الإسلام ، ليحمي ذمارها ، ويعلو منارها ، فأراؤكم له تتعدى السداد أنظارها ، وعزائمكم تنتظر مقطع الوفا شفارها ، ومكارمكم تعب في سبيل الله بحارها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، وسيلتنا الذي عظم عند الله مقدارها ، وعمدتنا التي في التعويل على شفاعته من هذه الأمة استينصارها ، وملجأها الذي تمدد إليه أيديها وأبصارها . والرضا عن آله وصحبه ، شمس سماء الدعوة الحنيفية وأقمارها ، الذين كانوا غيوثاً تستسقى أمطارها ، وليوثاً يرهَّب زارها ، وأعلاماً تمهد سنن الاقتداء أخبارها . والدعاء لإيالتكم العليا بالعر الذي تعمُر به أقطارها ، والسعد الذي يتسنى به أوطارها . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم غناية تكرم أسرارها ، وسعادة تجنى في سبيل الله ثمارها .

من حمراء غُرْنَاطَة ، حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه . إلا الخير
الْمُنْسَحَب البرود ، واليُسْر المنتظم العُقود . والحمد لله . ونحن نعتمد من مقامكم
على الظل الممدود ، والمورد المقصود . وإلى هذا وصل الله لكم أسباب السعود
وإنجاز الوعود ، فإننا وصلنا كتابكم بسطع أرجه نشرأ ، وتزف عزته بشرأ ،
تعرفون بما كان من لحاق الشيخ أبي زكريا يحيى بن رحو ، بمثابته العلية وشرحه
ما انتهى إليه عمله في تلك القضية ، ووقوفه عند مذاهب العدل المرصية ،
وما ظهر لكم من شمائل الأمة النصرانية ، من دغل الطوية ، والحيدة عن المذاهب
الجلية ، وإنكم آثرتم الحق طريقاً ، وارتضيت العدل في جنب العدو صديقاً ،
وأمرتم بخلاصهم من الشكايات التي تقتضى عليها إيمانهم ، وطلبتم بما يثبت
للمسلمين بمثل ذلك مما يقتضيه ضمانهم ، وتوجيه من يباشر هذا الغرض ، الذي
تفضلتم بإبرام عقده ، وإتمام قصده ، فقابلنا هذه المقاصد الكريمة ، التي لم تدع
سبيلاً في الوفا إلا تهجته ، ولا مطلوباً إلا أنتجته بالشكر الطويل المديد ، والثناء
الغض الجديد ، والدعاء لمقامكم بصلة التوفيق والتسديد ، واعلموا أيّدكم الله ،
أن النصرى^(١) كما تقدم ، أمة تجادل في الحق بعد بيانه ، وتتمسك بالحبال
الرئيسية^(٢) بعد وضوح برهانه ، ولو كانوا على آثاره من إنصاف ، وأنصفوا من
الانقياد للواجب ببعض أنصاف ، لم يكونوا أهل باطل معتقد ، وزيف مُنتقد ،
ولا كن أبلغ عدلكم الأمور مُنتهاها ، ونعم أسباب النصفة ووقاها ، ونحن ناظرون في
تعيين من يباشر ما ذكرتم ، حسبما به أشرتُم ، وعندنا من الشكر الجزيل ما يقصر
عنه اللسان ، ومن الثناء على هذه الأغراض الكريمة مالا يُذكره الاستحسان ،
فما زالت أعمالكم في سبيل الله كريمة الخواتم والفوائح^(٣) شاهدة بما لكم عند الله

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الملكية والفاتيكانه (النصارى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الملكية (الدنيّة) .

(٣) هنا ينتهي مخطوط الفاتيكانه .

من التَّجَرُّ الرابع ، كافياً اللهُ قَصْدَكُمْ المتكفِّل برغى المصالح . وإن تشوقتم إلى أحوال النَّصرى ، فهى على حَسْب ما عَرَفْنَاكُمْ به فى كتابِ أَصْدَرْنَاهُ إلى مقامكم قبله ، نُؤَكِّدُ الْوُدَّ وتقرُّره . ونُشْرَحُ من ذكر ونُفَسِّره ، وبحسب ما يتزَيَّد عندنا نَعْمَلُ أَعْلَامَكُمْ ، ونُطَالع بمتزيِّده مقامكم . والله تعالى يَغْمُرُ بالعز أَيْامَكُمْ ، ويبشِّرُ بالنصر على أعدائه أَعْلَامَكُمْ . وهو يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام يعتمدُ أخوتكم الفاضلة ، ومجاداتكم الحافلة ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى يَكِلُ لصالح الأُمُور نَظَرَهُ الجميل ، وَيَعْدِلُهَا كلما هَمَّتْ أَنْ تَمِيلَ ، وتبلغ هذه ^(١) السُّتْمَسْكَةُ بِأَسْبَابِهِ الْقَصْدُ والتَّأْمِيلُ ، ويُلاحِظ من مصلحتها الكثير والقليل ، ويذهب عن مَذْهَبِ أَمَانِهَا التَّأْوِيلُ والتَّعْلِيلُ ، ويؤوِّبها من جَنَابِ رَغِيهِ الظِّلِّ الظِّلِيلِ ، مقام محلِّ أَلْحِينَا الذى على وُداده الاعتماد ، وإلى جميل نَظَرِهِ الاسْتِنَادُ ، وبه الانتصار إذا وَقَعَ العناد ، ومن جهته التمهيد إذا قَلِقَ المهاد ، ومن تِلْقَاءِ تدبيره العلاج ، إذا تطرق إلى كَوْنِ المُدْنَةِ الفساد . فمكارمه قد وَضَحَتْ منها الأَشْهَادُ ، ومفاخره يعرفها الحسام العُصْبُ والقَنَا المِيَادُ ، وعزماته [يدخرها الجهاد ، وفضائله يعرفها العباد والبلاد ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أَبْقَاهُ اللهُ مؤمِّلُ النظر ، كريم الخُبْرِ والخُبَرِ كَفِيلاً] ^(٢) عدله يرعى المصلحة وِدْرَهُ الضرر ، ولا زالت سعوده متألِّقة الغرر ، ومكارمه هَامِيَةُ الدُّرر ، مرجوًّا للنصر المنتظر ، حميد المساعى مَرْضَى السَّير ، محروساً مقامه من الحوادث والغير ، معظم قدره ، ومُلتَزِمُ بره المطتب بملء اللسان فى حمده وشكره ، العارف بكبير مجده ، وأصيل فخره . فلان .

(١) بياض فى المخطوطين .

(٢) بياض فى المخطوطين ، وفيما بين الحاصرتين والتكلمة من « كناسة الدكان » والفاثيكاه .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ الْمُتَوَالِي حَمْدُهُ ، الْمُتَوَالِي إِنْعَامُهُ وَرَفْدُهُ ، الَّذِي جَعَلَ التَّوَاصِلَ فِي ذَاتِهِ سَبَبًا لَا يُقْصَمُ عَقْدُهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الرَّفِيعِ قَدْرُهُ ، الْكَرِيمِ مَجْدُهُ ، رَسُولِ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَشْرَقَ بِدَعْوَتِهِ غَوْرُ الْمَعْمُورَةِ وَنَجَّدَهُ ، الدَّاعِيَ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ ، ، وَالْبَصْرَاطِ [الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا يَضِلُّ قَصْدُهُ ، وَالرَّضَا عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَنْعَزَ بِنَصْرِهِمْ وَعَدَهُ ، وَرَفَعَتْ بِهِمْ أَرْكَانَ مِلَّتِهِ ، بَعْدَ مَا ضَمَّ عَلَيْهِ ضَرِيحُهُ الطَّاهِرَ وَلَحْدَهُ] ^(١) ، وَالِدَعَاءِ [لِمَقَامِ أَخَوَتِكُمُ الْعَالِيَةِ] ^(٢) بِالسَّعْدِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ حَدَّهُ ، وَالنَّصْرِ الَّذِي يَمْضِي فِي الْأَعْدَاءِ حَدَّهُ ، وَالتَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا يَتَقَلَّصُ مُنْتَدَهُ . فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْدًا بِأَهْرِ الْأَنْوَارِ ، وَمَجْدًا عَلَى الْمَقْدَارِ ، وَصُنْعًا تَجْرَى بِمُصَاعِدَتِهِ ^(٣) أَحْكَامُ الْأَقْدَارِ ، وَتَتَصَرَّفُ وَفْقَ إِرَادَتِهِ ، حَرَكَةُ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَأَجْزَى مَجْرَى أُمُورِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْغَرِيبَةِ وَالْأَقْطَارِ ، مِنْ تَذْبِيرِكُمُ الْحَمِيدِ الْآثَارِ ، وَنَظَرِكُمُ الْجَمِيلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْبَارِ ، عَلَى مَا يَقَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَوْقِعَ الْاِخْتِيَارِ ، وَيَتَكَفَّلُ بِتَأْمِينِ الْحَالِ وَالْذِّيَارِ .

مِنْ حَمَرَاءِ غَرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَيْكُمْ بَعْدَ اللَّهِ وَثِيقُ السَّبَبِ ، وَاضِحٌ ^(٤) الْمَذْهَبِ ، وَالتَّشْيِيعُ لَكُمْ [كَفِيلُ الْمَدِينِ بَنِيْلُ الْأَرْبِ] ^(٥) وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، [فَإِنَّا إِن] ^(٦) عَقَدْنَا سَلْمًا عَقْدَنَاهُ بِرِيحِكُمُ الَّتِي [يَحْدَرُ الْعَدُوُّ وَهَبُوبُهَا] ^(٧) وَإِنْ شَنَّا حَرْبًا اسْتَعَثْنَا بِعَزَمَاتِكُمْ ، الَّتِي تَنَالُهَا الْمَلَّةُ الْمَطْلُوبُهَا ، وَإِنْ ضَمَّنَّا عَنْكُمْ أَمْرًا ، صَدَقَ الضَّمَانُ ، وَإِنْ وَثَّقْنَا بِكُمْ انْقَادَ الزَّمَانِ ، وَرَأَى مَا يَسُرُّهُ الْإِيمَانُ . فَأَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْقَطْرِ ، عَلَى جَمِيلِ نَظَرِكُمْ مُعْتَمِدَةٌ ،

(١) بياض في المخطوطين ، وفيها بين الحاصرتين ، والتكلمة من « كُناسة الدكان » والفاتيكانة .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والفاتيكانة ، ومقابلها في الملكية (لمقامكم العلية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والملكية ، وفي الفاتيكانة (بمساعدته) .

(٤) ساقطة بالمخطوطين ، وواردة في الفاتيكان « الكُناسة » .

(٥) بياض في المخطوطين ، وفيها بين الحاصرتين ، والتكلمة من « الكُناسة » والفاتيكانة .

(٦) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين ، وواردة في الفاتيكانة « والكُناسة » .

(٧) ما بين الحاصرتين وورد في « الكُناسة » والفاتيكانة ، ومكانه بياض في المخطوطين .

وعناياتكم في كل يوم مُتجدِّدة ، فكلما تُوقَّع في أسباب هُذنتها مرض ، عُرض منكم على الأسي الطَّبيب ، أو حُرِّر من عدوِّها مكروه ، صرَّفت الوجوه منكم إلى الولي الحبيب ، فوجَّوه لَحْظَكم سافرة على حال المغيَّب ، وهي وإن كانت بعيدة منكم ، تُوجِّبون لها بدينكم حقَّ الغريب ، وإن هذا الصلح الذي تسنَّى في أيامكم وانقِاد [إليه العدو بسبب] ^(١) اعتِزامِكم ، واتصال اليد بمقامِكم [تكاثرت فيه بين الفريقين] ^(٢) شكايات وهي إذا [تكاثرت في النفوس] ^(٣) نِكايات ، وإن تُغوفل في حَسَمِ عِلْمِها ، وإصلاح خَلَلِها ، والتنزل فيها الإنصاف ، ورفع النزاع في سببها والاختلاف ، أدَّت لانطلاق الأيدي ، ومجازات التعدَّى بالتعدَّى حتى تنقلص ظلال الهدنة والمساهمة . وينتقل الحكم من الكلام إلى المُكاملة ، والحاجة إلى الهدنة ، لاختفاء بها عن مقامكم الرفيع العِماد ، إذ في اقتضا ما عين لها الآن من الآماد ، جَبُر الأعداد ، وإمكان الاستعداد بخلاف ما يُستوفى إن شاء الله ، على المهل أغراض الجهاد ، وأن رسول قَشْتاله ، ردَّد إلينا الإرسال بطلب خلاص ناسه ما به إليه ستُظهروا ، وقد حشدوا كثيراً من الشكايات ، وحضروا بين يدينا ، فآلقوا ما يختص بآياتنا ، منسوباً إلى المواضع والبلاد [وما يختص بما رجع] ^(٤) لا ياليتكم الرفيعة العماد ، وطلبوا [بالإنصاف مما تشبَّت] ^(٥) دعواه وخلاص كل شاكٍ من شكواه ، فبلغنا [الجهد] ^(٦) فيما يرجع إلينا في دَفْع الحُجَّة التي فيها مدْفَع ، والإتيان بما فيه مُقْنِع ، وغَرْم ما لزمنا ، وأتَّجِه علينا حكمة بحسب التسديد الذي تتمشَّى به الأحوال ، ويحمد فيه بفضل الله المآل ، وقيدوا

(١) ما بين الخاصرتين وأرد في « الكناسة » والفاثيكانه ، ومكانه بياض بالمخطوطين .

(٢) بياض في المخطوطين فيما بين الخاصرتين والتكلمة من « الكناسة » والفاثيكانه .

(٣) بياض في المخطوطين فيما بين الخاصرتين ، والتكلمة من « الكناسة » والفاثيكانه .

(٤) هذه العبارة واردة في « الكناسة » والفاثيكانه ، ومكانها بياض بالمخطوطين .

(٥) واردة في « الكناسة » والفاثيكانه ، ومكانها بياض في المخطوطين .

(٦) واردة في الكناسة والفاثيكانه ، وساقطة في المخطوطين .

بتلك الجهة التي لجميل نظركم قضايا مقررة ، ودعاوى مفسرة . ذكرنا لكم منها في مَدرَج كتابنا ، أشهرها عند الاعتبار ، وأولها بالإيثار ، وسابرها كثير يقع الكلام فيه بين مُنتحلي الجِوار من المسلمين والكُفَّار ، وتبني الأحكام فيه على ثبوت الآثار ، ولم تجد فيها حيلةً إلا مخاطبة مقامكم الرفيع المقدار ، إذ وُجوه خدامكم بهذه البلاد ، أعزَّهم الله قد تنزَّلوا من هذه [الدعاوى منزلة الخصوم]^(١) وطال الكلام في المنطوق [منها والمفهوم]^(٢) . فنحن الآن نرغب من مقامكم الأعلى ، ومثابَّتكم الفضلى ، أن يتعيَّن من بابكم ، من يصل لخلاص الحق حيث تعين ، ويفصل بالواجب فيما ظهر وتبيَّن ، ونعين نحن من يقوم فيما يختص بجهتنا هذا المقام ، ويعيِّن سلطان قشتالة من جهته من يروم هذا المرام ، حتى يَرْتَفِع النزاع ، ويظهر الحق الشعاع ، وتُسْتَأْنَف الهدنة والأمان الأصقاع . فما زال مقامكم يلتَمِس لها أسباب الرِّفق ، ويُدِرُّ لها سحائب الرِّزق ، ويلتمس في التماس صلاحها أوضح الطرق . وبهذا النظر الذي سألناه من علاكم تَتَمَثَّلُ الأمور ، وتُشْرَحُ بالحقِّ الصدور ، ويُطْلَبُ بجميع ما للمسلمين من الشكايات على ما تضمنه العهد المنشور^(٣) ، والعقد المسطور ، وملك الروم في الوقت قريب الدَّار ، داني الجوار ، يُعْتَمَدُ دَنُوهُ لخلاص هذه الأمور ، التي يعوق عنها المطال إذا بَعُدَ مكانه ، وشطَّت داره ، ونزَحَتْ أوطانه ، عرضنا عليكم هذا الأمر المهم قبل أن يختل ما عُقد ، ويَهَيَّ ما سدد ، وأنتم أكفَى وأكفَل . وجميل نظركم المؤمل ، وعلى مقاصدكم الكريمة المعول . وقد وجهنا إلى بابكم في هذا الغرض من يشرح الأمور فيها ، ويقرِّر المقاصد ويستوفيها ، وله بذلك دربة وجبرة ومعرفة مستقرة ، ذلك القائِد الكذا ، ومقامكم يتفضل بالإصغاء لما يُلقِيه ، والقبول

(١) وإردة بالفاثيكاته ، ومكانها بياض في المخطوطين والتكلمة من « الكناسة » .

(٢) في الفاثيكاته (المأثور) .

لما يُؤديه . والله تعالى يبقى مقامكم ساميةً معاليه ، عائداً بجميل نظره بالخير على من يواليه . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى تبادر بالمتزيدات أعلامه ، ويتأكد على مرّ الزمان إكباره وإعظامه ، ويقابل جانبه بالتشيع الثابتة أحكامه ، الواضحة أعلامه . مقامٌ محلّ أخينا ، الذى سعه كفىلٌ بحسن العواقب ، ومجده كلفٌ بإحراز المناقب ، وسما فخره قد زينت من نجوم الفخر بالشهب الثواقب ، مكابده مسدود المذاهب ، ومنازعه مغالب ، ونيته الصالحة ضمنية لنيل المطالب ، وإدراك الرغائب . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن الله عزيز الجلال ، كريم الخلال ، قريب النوال ، بعيد^(١) المنال ، كفيلاً توكله على الله يحسن المال^(٢) منشرحاً صدره فى جميع الأحوال ، تشهد بمجده ظهور الجياد ، وألسنة البيض الجداد ، ومواقف النزال ، معظم مقامه الذى تعظيمه الفرض المحتوم ، وإجلاله تطابق^(٣) منه المنطوق والمفهوم ، والمنقول والمعلوم ، المثنى على مكارمه التى خجلت^(٤) منها الغيوم ، ومناقبه التى اقتبست منها النجوم . فلان .. سلام كريم برّ عميم يخص مقامكم الأعلى وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله عالم خفيات الصدور ، الذى أحاط علمه بما خفى من جزئيات الأمور ، الكفيل لمن توكل عليه ، وفوض الأمور إليه بالعلو والظهور ، جاعل العاقبة للتقوى ، كما وعد فى كتابه الحكيم المسطور ، الذى فى ذاته تُعقد أسباب المودة الخالصة على مرّ الدهور ، ولابتغاء مرضاته ، نصل اليد على جهاد

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بديد) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الخال) .

(٣) وردت فى المخطوطين (نظار) ، والتصويب من « الكتاسة » .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية (حجبت) . والأولى أرجح .

العدو الكفور . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المُبْتَعَث^(١) بالهدى والنور ،
الهادى إلى السبيل الواضح والسُنَن الماثور ، الذى بجاهه نرد موارد السرور ، وببركته
نستقبل وجوه الخير بادية الشفور . [وبالاغتماد على ركنه الأقوى نتعرف عوارف
السعد فى الدنيا ويوم النشور]^(٢) والرضا عن آله وصحبه الذين كانوا فى سماء
الملّة الحنيفيّة أمثال البدور ، وفى لَبَّتْها كاللآلى والشُدور ، الذين دافعوا عنا
فى حياته بالحسام المطرور ، وخلفوه بعد مماته بالسعى المبرور ، والدعا لمقامكم
الأعلى بصلة النصر المشهور ، والصنع الكفيل^(٣) للإسلام وأهله بالسرور . فإنّا
كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أسنى مواهب الخير الموفور ، وجعل العاقبة الحميدة
لملككم المنصور .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، وعندنا من التشيع فى مقامكم الأعلى ، ما هو
أوضح من النهار ، وأجلى من شروق الأنوار ، فبحسبه نبادر إلى مقامكم بأنباء
الأخبار ، ونحرس على بسط الأعذار ، ونبذل من إمخاض النية لكم ما يعلمه
العالم بخفيات الأسرار . وإلى هذا أيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإن الإنسان
وإن توصل إلى معرفة الظواهر والبواطن عنه محجوبة ، والخفيات إلى علم الله ،
لا إلى غيره منسوبة ، وله فى كل شىء أحكام مكتوبة . وكنا عرفنا مقامكم الأعلى
بما عندنا من صرّف نظّر الملاحظة إلى من لدينا من إخوانكم وقرابتكم ، بحيث
لا يبرح رقيبها ولا يختل ترتيبها ، وإننا نصل التفقد إلى أحوالهم ، ونُدلّ
العيون إلى أقوالهم وأعمالهم ، فعجربنا من ذلك على السُنَن اللّاحب وقمنا منه
بالواجب ، ولم ندع جهداً إلّا سلكتنا منه أوضح المذاهب . ومن أضمر المكيدة
يرتقب أوانها ، وياتمس مكانها ، والخواطر لا يعلم إلّا الله شأنها ، ويظهر

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المبعث) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) وارادة فى الإسكوريال ، ومكانها بياض فى الملكية .

حَضَرْتَنَا أَمَا كُنْ مَبَارَكَةً مَشْهُورَةً ، وَزَوَايَاهَا مَبَارَكَةٌ مَقْصُودَةٌ ، يَنْفُرُ إِلَيْهَا الْجُمْهُورُ
فِي اللَّيَالِي الَّتِي يَقُومُ بِهَا لِلرَّسُولِ ، وَتُوفَّى مِنْ تَعْظِيمِهَا حُقُوقٌ ، وَخُصُوصاً لَيْلَةُ
مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ابْتِغَاءَ الْبَرَكَةِ لَدَيْهِ ، فَهِيَ بِحَيْثُ ذَكَرَ
مِنَ الْمَوَاسِمِ الَّتِي يَنْتَدِبُ إِلَيْهَا النَّاسُ ، وَتَتَسَابَقُ مِنْهُمْ الْأَنْوَاعُ وَالْأَجْنَاسُ ، وَإِنْ
أَخَاكُمُ أَبَا الْفَضْلِ ، لَمَا كَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَ عَقِيدَةَ الْمَكِيدَةِ ، وَأَثَرَ اتِّبَاعِ الْآرَاءِ غَيْرِ
السَّيِّدَةِ ، جَعَلَ قَصْدَ ذَلِكَ لِيَلْتَمِثَ سَبَباً لِأَرْبِهِ ، وَوَرَى بِهَا عَنْ مَذْهَبِهِ ، وَمِنْ
الْغَدِّ تَفَقَّدْنَا فَفَقَدْنَاهُ ، وَوَصَلْنَا عَادَتَنَا فِي طَلْبِهِ ، فَتَعَرَّفْنَا مَا كَانَ مِنْ هَرَبِهِ ،
فَبَادَرْنَا إِلَى تَوْجِيهِ الْفَرَسَانِ فِي أَثَرِهِ ، وَطَيَّرْنَا مِنْ أَنْجَادِ الْخُدَّامِ مَنْ يَعُوقُهُ عَنِ
وَطَرِهِ ، وَالْمَرْحَلَةِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَلَدِ النَّصْرِيِّ ^(١) قَرِيبَةً عَلَى مَنْ يَرْكُضُ الْخَيْلَ ،
وَيَقْطَعُ بَحْثَ رُكَابِهِ اللَّيْلَ ، فَأَلْفَوْهُ قَدْ لَحِقَ بِأَرْضِ النَّصْرِيِّ ^(١) ، رَاكِباً فِي
قَصْدِهَا الْخَطَرَ ، وَمُقْتَحِماً فِي تَأْمِيلِهَا الْغُرْرَ ، فِي حَمِيلَةٍ تَنْتَمِي إِلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ بِهِ عِبْرَةٌ ، وَلَا مَنْ تُمَيِّزُهُ شُهْرَةٌ ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي عِيَادٍ
شَيْطَانَهُ الَّذِي أَغْوَاهُ ، وَجَدَّ بِهِ مِنْ شَطَنِ هَوَاهُ ، وَأَرْدَاهُ فِي وَرْطَةٍ ، يَتَعَذَّرُ مِنْهَا
مَنْجَاهُ ، فَإِنْ مِنْ خَاطَرِ بِنَفْسِهِ فِي قَصْدِ بِلَادِ النَّصْرِيِّ لِلْغَرَضِ الَّذِي قَصَدَهُ ، وَالْمَذْهَبِ
الَّذِي اعْتَمَدَهُ ، قَلَّ مَا نَجَحَ لَهُ عَمَلٌ ، وَلَا تَأْتَى لَهُ مِنْهَا أَمَلٌ ، وَلَا يُسَاعِدُهُ حَاضِرٌ
مِنَ الزَّمَانِ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ ، فَهِيَ مَثَابَةٌ وَجُودُهَا عَدَمٌ ، وَمَفَازَةٌ ، لَيْسَ عَلَى الطَّرِيقِ
بِهَا عِلْمٌ ، قَطَعْتَ عَنْ قَصْدِهَا عَلَى الْقَدَمِ ، وَقَضَيْتُ بِتَمْزِيقِ الشَّمْلِ ، وَمَذَلَّةِ النَّدَمِ .
فَامْتَعْضُنَا لِهَذَا الْوَاقِعِ عِنْدَمَا تَعَرَّفْنَاهُ ، وَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ وَجْهَ الْعِزِّ وَصَرَفْنَاهُ ، وَرَجَعْنَا
عَلَى أَخِيهِ وَأَبْنَاءِ عَمِّهِ بِالْإِثْمَةِ الَّتِي لَمْ نَقْبَلْ فِيهَا عُذْراً ، وَلَا أَثَرْنَا فِيهَا صَبْراً ،
إِذْ كُنَّا قَدْ أَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ ، فَجَعَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ عِيُوناً سَاهِرَةً ، وَرُقُباً تَبْحَثُ
عَنْ كُلِّ خَافِيَةٍ وَظَاهِرَةٍ ، فَاتَّهَمْنَاهُمْ بِكُتْمَانِهِمْ مَا اسْتَوْثَقْنَا مِنْهُمْ فِيهِ ، وَالْمُدَاهَنَةَ
فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَا تَرْتَضِيهِ ، فَكَبَسْنَا مَنَازِلَهُمْ بِالرِّجَالِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، لَمْ نَوْسِعْهُمْ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ ، وَفِي الْمَلِكِيَّةِ (النَّصَارَى) .

فيها إمهالاً ، ولا فسحنا لهم في الإقالة مجالا ، وَقَبَضْنَا عَلَى جَمِيعِهِمْ ، مع تباين أمورهم ، وتباعد منازلهم ودورهم قبضاً هائلاً ، لم يفلت معه منهم أحد ، ولا انخرم من جملتهم عدد ، وثَقَّفْنَاهُمْ بِحِمَارِنَا فِي أَمَاكِنَ لَمْ أَعْدَدْنَاهَا ، وَرَتَّبْنَا عَلَيْهِمُ الْحِرَاسَةَ وَجَدَّدْنَاهَا ، نِكَالاً لَمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي حَرَضْنَا عَلَى سَدِّ بَابِهِ ، وَجَهَدْنَا فِي قَطْعِ أَسْبَابِهِ ، وَبَادَرْنَا إِلَى تَعْرِيفِ مَقَامِكُمْ الَّذِي نَعْتَدُ بِجَنَابِهِ ، وَنُحْمِضُ لَهُ مِنَ الْوُدِّ صَفْوَةَ لُبَابِهِ ، لِيَكُونَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ الَّذِي اتَّفَقَ ، وَالْأَمْرِ الَّذِي غَلَبَ الْحَزَمَ عَلَيْهِ قَدْرَ سَبْقٍ ، بِمَقْتَضَى الْوَدِّ الَّذِي تَقَرَّرَ وَتَحَقَّقَ ، وَالْخُلُوصِ الَّذِي فَرَعَ وَانْبَثَقَ ، وَنَحْنُ عَلَى عِلْمٍ بَأَنَّ أَخَاكُمْ رَكِبَ بَحْرًا لَا نَجَاةَ لِرَاكِبِهِ ، وَامْتَطَى صَعْبًا يَقْطَعُ بِهِ عَنْ مَآرِبِهِ ، إِذْ لَا بَدَ لِلنَّصْرِيِّ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى سُلْطَانِهِمْ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ بِدَاخِلِ سُلْطَانِ قَشْتَالَةَ ، بِحَيْثُ تَتَعَدَّدُ الْمَرَاحِلُ ، وَتَطُولُ الْأَيَّامُ ، وَيتَعَذَّرُ عَلَى قَاصِدِهِ الْمَرَامُ ، وَأَحْوَالُ النَّصْرِيِّ فِي فُتُورِ هَذِهِ الْأُمُورِ لَدَيْهِمْ لَا تَتَخِيلُهَا الْأَوْهَامُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَّصِلُ بِهِمْ أَهْلُ الْبَسَالَةِ مِنْ كِبَارِ الْبِئْسِ وَالْإِقْدَامِ ، وَأُولُو الْمَضَا الْمَشْهُورِ وَالْاعْتِزَامِ ، فَيَسْتَوِلِي عَلَى أُمُورِهِمُ الْاِخْتِلَالُ ، وَتَشْمَلُهُمُ الْحَاجَةُ ، وَتَضْيِيقُ مِنْهُمْ الْأَحْوَالُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُ أَدْرَاجَهُ ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الصَّفْحُ وَالْإِقَالَةُ أَقْصَى أَمْنِيَّتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْتَجِيهِ مِمَّا تَوَرَّطَ فِيهِ حُلُولُ مَنِيَّتِهِ ، وَسَعَادَتُكُمْ تَتَكْفَلُ بِجَرَيَانِ الْأُمُورِ أَفْضَلَ مَجَارِيهَا ، وَاسْتِقَامَةَ الْأَحْوَالِ عَلَى أَوْثَقِ مَبَانِيهَا ، وَقَدْ وَجَّهْنَا إِلَيْكُمْ بِكِتَابِنَا هَذَا الْقَائِدَ الْكَذَا لِكُونِهِ مِمَّنْ اتَّفَقَ لِمُشَاهَدَةِ هَذَا الْأَمْرِ حُضُورَهُ ، وَحَدَّثَتْ بِمَرَأَى مِنْهُ أُمُورُهُ ، فَهُوَ يُلْقَى إِلَيْكُمْ مَا قَرَرْنَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحُبُّ ، وَيُشْرَحُ مِنْهُ مَا أَجْمَلَهُ الْكُتُبُ . وَمَقَامُكُمْ يُصْغِي إِلَى مَا يُلْقِيهِ ، وَيُقَابِلُ بِالْقَبُولِ مَا يُؤَدِيهِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ومن ذلك

المقام الذى وُدّه متأكد الوجوب ، ووجه فضله ليس بالمحجوب ، وعقد فضله متقرر فى القلوب ، ونيته الصالحة متكفلة للإسلام وأهله بنيل المطلوب ، وبإلغى المرغوب ، مقام محلّ أخينا الذى شأننا كُله تشييع له وخلوص ، وحكم وُدنا فيه عموم وخُصوص ، وثنا اعتقادنا الجميل فيه على أساس ابتغاء رضوان الله مرصوص ، [أبقاء الله] ^(١) رفيع القدر ، عزيز الأمر ، مُعترفاً بوجوب حقّه لسان الدهر ، مُعظم مقداره الخلق بالتعظيم ، المُثنى على مجده العالى ، وفضله العميم ، المُعتدّ منه بالذخر الكريم ، فلان .

أمّا بعد حمد الله الذى إلهامنا إليه من أعظم نعمه ، وهدايتنا إليه من أكرم كرمه . مُنحج بإخلص من وسائل الودّ وذممه ، وموفق الآراء إلى سلوك قصده الواضح وأُمنه ، الذى عليه نتوكل فى مبدأ كل أمر ومُختتمه ، فنظفر من السعد بأوفر قسّمه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى تسيّر الأنبياء والإرسال تحت علمه ، سيّد الكون بين عربيه وعجمه ، ونور الله الذى أذهب ما تكاثف من غياهب الباطل وظلمه ، وغيث الرحمة الذى تُمد يد السؤال إلى استقامة ديمه . والرضا عن آله وأنصاره ، السالكين مناهج سجاياها الشريفة وشيّمه ، الآوين من اتباعه إلى أَمْن حرّمه ، المثابرين على إعلاء معلّمة المهتدين بفعله وكلمة . والدعاء لمقامكم الأسمى بنصر عزيز تكون الفتوح الغر من خدّمه ، وسعد يغنى عن اختبار نُصب الفلك الدوّار وتعدّل أنجمه ، وصنع تكفل العناية الإلهية بإيضاح مُحكمه . فإنّا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم تأييداً يقر عين الإسلام برسوخ قدمه .

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله ، إلا الخير الذي يقوى
 باعتداد بابكم سببه ، ويبين مذهبه ، واليسر الذي يتأتى بإعانتكم أمل الإسلام
 ومطلبه . وعندنا من البر لكم عقائد لا يدخل الشك أصولها ، ولا يعترض^(١)
 النقد فصولها ، ولا تفوت الأيام محصولها ، ومن الاعتداد بجهااتكم عزومات يشجذ
 الحق نصولها ، وآمال يرتب حسن الظن بالله صلتها وموصولها . وإلى هذا أيد الله
 أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا بادرنا تعرفكم بما حدث عندنا من قضية أخيك
 أبي الفضل الذي كنّا وثقنا فيما كنّا شرطنا عليه من الهدوء والاستقامة بحسن
 عهده ، ورجونا عمله فيه على شاكلة مجده ، وأصلنا له أصلا ظننا وقوفه عند
 حده ، وأنه قيض له من يعقوب بن أبي عياد مثير عجاجه ومُنْفَق^(٢) لُجاجة ،
 صدع بها شمل سكونه ، وانسحاب العافية عليه ، صدع زجاجه ، فورى بقصده
 رُبُط العبادات ، وأماكن القرب المودات وقد أضمر الحيلة ، وأكذب فيه المخيلة ،
 ولحق بالروم في عدد نذر ، وطائفة لا تستقل بأمر ، متورطاً في لُجج هائلة ،
 بآراء فائلة ، وأننا اتهمنا أخاه ، وابنى عمّه بالإدمان في قضيته ، والعلم بما كان
 في طويته ، وأنكرنا عليهم ما كان من إخفاء هذا الغرض ، الذي أخذنا عليهم
 بإعلامنا به أشد الميثاق ، وركننا إلى ما تقتضيه أصالة الأحساب ، ومكارم الأخلاق ،
 فنصا شمل جماعتهم واستوعبها ، وراع جملتهم وأرعبها ، وما زلنا نبحت عن
 أحوالهم ، ونواصل النكير عن أقوالهم وأعمالهم ، ونختبر ما نطنا بهم من الشيم
 الداعية إلى اعتقالهم ، والريب الحاملة على نكاحهم ، فثبت عندنا براءة جوانبهم ، وسلامة
 مذاهبهم ، وحققنا من بسط الأحوال ، واستقلّ لدينا أتم الاستقلال أن أبا الفضل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الملكية (يعتقد) . والاولى أرجح .

(٢) واردة في الملكية ، ومكانها بياض في الإسكوريال .

انفرد عنهم بتدبيره ، وطوى عنهم ما هجس بضميره ، حتى ركب الخطر الذى
يتعذر الخلاص معه ، وآثر الطمع ، الذى قل ما صارح أحداً إلا صرعه ، وانقضت
مدة من تعرف ركوبه البحر لم يسمع له خبر ، ولا دلت منه عين على أثر ، حتى
أن حالة التلف أقرب إليه ، بحسب ما تدل العوائد عليه ، وما كان الله ليظهر
لملككم من العجائب ما أظهره ، وأيد سلطانه فى كل موطن ونصره إلا لخبيثة
عناية لا يضر معها كيد من كاده ، ولا ينجح بسوء أراحه .

تم المجلد الاول

من كتاب « الريحانة »

بيان عن رسائل الريحانة

المترجمة إلى اللغة الإسبانية

وأمكنة نشرها في مجلة « مركز الدراسات التاريخية الغرناطية ومملكتها »

أشرنا في المقدمة بصفة عامة إلى رسائل الريحانة المترجمة إلى اللغة الإسبانية في المجلة المشار إليها .

ونقدم هنا البيانات الخاصة بمواضع نشرها في المجلة المذكورة :

- ١ - ظهرت ترجمة الرسالة الأولى ، وهي تتعلق بفرار الأمير أبي الفضل المريني أخى السلطان أبي عنان من غرناطة ، حيث كان يقيم تحت حراسة سلطان الأندلس ، وثورته ضد أخيه ، يتقدمها تمهيد للأستاذ جسيار رميرو في مجلد سنة ١٩١٢ من المجلة المذكورة (ص ١٥١ - ١٩٥) .
- ٢ - وظهرت ترجمة الرسالة الثانية ، وهي تتعلق بتبادل الهدايا بين أبي الحجاج يوسف سلطان غرناطة ، وأبي عنان سلطان المغرب ، في نفس السنة والمجلد (ص ٢٥٣ - ٢٦٥) .
- ٣ - وظهرت ترجمة الرسالة الثالثة ، وهي خاصة بتهنئة السلطان أبي الحجاج للسلطان أبي عنان بنجاحه في فتح تلمسان ، في المجلد الثالث من نفس المجلة سنة ١٩١٣ (ص ٥ - ٢٣) .
- ٤ - وظهرت ترجمة الرسالة الرابعة ، وهي خاصة بهدية بعث بها السلطان أبو الحجاج إلى السلطان أبي عنان ، في نفس المجلد (ص ٧٧ - ٩٥) .
- ٥ - وظهرت ترجمة الرسالة الخامسة ، وهي خاصة بتهنئة السلطان أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان بفوزه بسحق مقاومة بني عبد الواد بتلمسان والقبض على زعيمهم أبي ثابت ، كذلك في المجلد الثالث (ص ٨٦ - ١٩٦) .
- ٦ - وظهرت ترجمة الرسالة السادسة ، وهي مرسله من السلطان أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان بتهنئة جديدة لانتصاره على بني عبد الواد ، في نفس المجلد الثالث (ص ١٧٠ - ١٨٦) .
- ٧ - وظهرت ترجمة الرسالة السابعة ، وهي مرسله من السلطان أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان يهنئه فيها بالاستيلاء على ثغر بجاية ، في نفس المجلد (ص ١٨٧ - ٢٠٠) .
- ٨ - وظهرت ترجمة الرسالة الثامنة ، وهي مرسله من السلطان محمد الخامس (الفتي بالله) ملك غرناطة إلى السلطان أبي عنان في موضوع ثورة عيسى بن أبي الحسن بن علي بجبل طارق (جبل الفتح) ، في المجلد الرابع من المجلة المذكورة سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٧ - ٢٥٧) .
- ٩ - وظهرت ترجمة الرسالة التاسعة ، وهي تتضمن نص خطابين مرسلين من السلطان أبي الحجاج إلى عيسى بن أبي الحسن بتهنئته على نجاحه من أسطوله الفارق ووصوله سالماً إلى الجزائر ، في المجلد الرابع المتقدم ذكره (ص ٢٥٨ - ٢٧٤) .

١٠ - وظهرت ترجمة الرسالة العاشرة ، وهي مرسله من السلطان أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان بتهنته في تدعيم سلطانه بفاس بما قام به من أعمال التحصين في جبل طارق .

والرسالة الحادية عشرة ، وهي مرسله من السلطان أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان خاصاً بما ارتكبه حاكم مريلة أبو زكريا يحيى الفرقاشي ، وخطابات كتبها ابن الخطيب بأمر أبي الحجاج ، ثم محمد الغني بالله يظليان فيها من السلطان أبي عنان العون ضد ملك قشتالة . وذلك في المجلد الرابع من المجلد المذكورة سنة ١٩١٤ (ص ١ - ٣١) .

١١ - الحلقة الثامنة ، وهي عبارة عن رسالة من أبي الحجاج إلى أبي عنان يطلب فيها إرسال قوات عاجلة للدفاع عن جبل طارق ، ثم مختارات من خطابات أخرى إلى أبي عنان بطلب الإمداد ضد النصارى . وخطابات أخرى إلى سلطان تلمسان أبي سعيد عثمان يشرح له عدوان قشتالة ، ثم خطابين آخرين من أبي الحجاج إلى ابن عنان يشرح فيهما عدوان قشتالة . وقد نشر ذلك كله بالمجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ١٠٥ - ١٣٥) .

١٢ - الحلقة التاسعة ، وتشمل خطابات من أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان يخبره فيها بما قامت به القوات الفرنجية من الغارات الموفقة في الكرم وإستجه وقيجاطة . ثم خطابات أخرى إلى أبي عنان يخبره فيه بالحادث السعيد المنقذ وهو موت ألفونسو الحادي عشر تحت أسوار جبل طارق ، وانسحاب الجيش القشتالي ، وخطابات أخرى عن مفاوضات الصلح مع قشتالة ، وخطابات منه إلى سكان الجبل يخبرهم فيها بنعمة وفاة ملك قشتالة وأرتحال الجيش النصراني ، وقد كان الجبل على وشك السقوط في أيدي النصارى ، وقد نشرت ترجمة ذلك في المجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ٢٠٥ - ٢٥٢) .

١٣ - الحلقة العاشرة ، وهي تشمل رسالة من سلطان غرناطة محمد الغني بالله إلى السلطان أبي عنان فارس يخبره فيها بأحوال قشتالة الداخلية المترتبة على الخلاف القائم بين الملك بيدرو القاسي وإخوته ، وعن معاهدات الصلح التي عقدت بين غرناطة وقشتالة (سنة ١٣٥٤ - ١٣٥٧) . وخطابات من محمد الغني بالله إلى أمير مكة وسلاطين إفريقية ، يروي فيها قصة الغزوات الهامة والغارات التي قام بها ضد مواقع الحدود القشتالية . وخطابات منه إلى سلطان فاس أبي فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن في نفس الموضوع يروي فيها الغني بالله قصة غزواته لأطربة وما حو لها . ورسالة لابن الخطيب بعصفته نائباً عن السلطان الغائب مع جيوش الغزو إلى الشعب الفرناطي ينبئه بالاستيلاء على أطربة ، ورسالة من محمد الغني بالله إلى السلطان عبد العزيز يصف فيها غزو جيان واقتحامها ، وتخريب سائر أنحائها ، ثم الاستيلاء على أبدة وتخريبها ، ثم الإغارة على قرطبة ، وما أوقعه بها من الخراب . وأخيراً رسالة من محمد الغني بالله إلى عاهل تونس الخليفة أبي إسحق يخبره فيها بكل ما تقدم . وقد نشر ذلك كله في المجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ٢٨٥ - ٣٦٥) .

فهرست الشعر

- | | | | |
|----|-------------------------------|---------------------|--------------------------------|
| ٤٣ | أهلاً بطيفك زائراً أو عائداً | أبو الطيب المتنبي : | |
| ٤٣ | وبدا له بعد ما انتمل الهوى | ٣٤ | ضروب الناس عشاق ضروباً |
| ٤٣ | يا من أدار من الصباية بيتاً | | على بن العباس (ابن الرومي) : |
| ٤٤ | بلاقي الحب فيك بما بلاقي | | وحبيب أو طان الرجال إليهم |
| ٤٤ | أليس قليل نظرة أن نظرتها | | لسان الدين بن الخطيب : |
| ٤٨ | صدفني عن حلوة التشيع | ٣٥ | أحبك يا مغنى الجمال بواجب |
| ٤٩ | على وجهى مسحة من ملاحه | | |
| ٤٩ | منغص العيش لا يأوى إلى دعة | ٣٩ | مررت بالعشاق قد كبروا |
| ٤٩ | يا قلب كم هذا الجوى والخفوت | | لسان الدين بن الخطيب : |
| ٥٠ | أعشاق غير الواحد الصمد الباقي | ٣٩ | سلمت لمصر فى الهوى من بلد |
| ٥٥ | إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه | ٤٢ | جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما |
| ٦٢ | دعاك بأقصى المغربين غريب | ٤٢ | دعنى عيناك نحو الصبا |

فهرست الكتب والرسائل

- الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٥٥ ، ٩٠ ، ٧٠ .
استئزال اللطف الموجود في أسرار الوجود ؛ ٥٢ ، ٤ .
الإشارة إلى أدب الوزارة ؛ ٤ .
الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛ ٣٧ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٣٧ .
بستان الدول ؛ ٢١ ، ٤٤ .
التاج المحلى في مساجلة القدر المحلى ؛ ٣٥ ، ٥٥ .
تاريخ غرناطة ؛ ٣١ ، وراجع الإحاطة في تاريخ غرناطة .
تخليص الذهب ؛ ٢٢ ، ٤٤ .
جيش التوشيح ؛ ٢٣ ، ٤٤ .
خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف ؛ ٤ .
ديوان الصباية ؛ ٣٩ .
رسالة السياسة ؛ ٦ ، ٤٤ .
- رقم الحلل في نظم الدول ؛ ٢٦ .
روضة التعريف بإحلب الشريف ؛ ٤ ، ٤٧ ، ٣٨ .
ريحانة الكتاب ونجمة المنتخب ؛ ٤ ، ٤٤ ، ٣٠ ، ٩٠ ، ٦٤ ، ٥٠ .
السحر والشعر ؛ ٢٦ .
عمل من طب لمن حب أو كتاب الطب ؛ ٣٧ .
كليلة ودمنة ؛ ٢٨ .
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٨ ، ٥٥ .
مجلة مركز الدراسات التاريخية الغرناطية ؛ ٩ .
المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس ؛ ٩ .
اللمحة البدرية في الدولة النصرية ؛ ٢٤ .
معيار الاختيار ؛ ٤ .
مفاخرة بين مالقة وسلا ؛ ٤ .
الوصول لحفظ الصحة في الفصول ؛ ٥٣ .

فهرست البلدان والأماكن

- ١ -

أبدية ٦٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
١٩٦ ، ٢١١ .
إستجة ١٣٢ .
الإسكندرية ٢٨ ، ٧٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،
٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ .
إشبيلية ٧٣ ، ٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
إطرابلس ٣٢٤ .
أطريفة ٢٨٠ ، ١٩١ ، ٧٣ ، ٦٥ ،
الأقطار الغربية ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٦٢ .
ألمرية ٢٨٨ ، ٣٢٩ ، ٤٣٧ .
الأندلس ٤٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ،
١١ ، ٣٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥ ، ٢٨٥ ،
٤٠٠ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٨٢ ،
٤٩١ .

الإيالة الفارسية ٣٩٠ .

الإيالة النصرية ٨٧ ، ٩٧ .

ب - ت

باغة ١٦٩ .

بجاية ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ .

برجلونة ٤٣٥ .

برغة ، وحصن ٥ ، ٧١ ، ١٩١ ،
٢١٠ .

بغداد ٣٢٤ .

البلاد الأندلسية ؛ انظر الأندلس

البلاد النصرية ٩٨ .

ألبنية ٢٠٤ .

التربة المقدسة ؛ انظر الصريح النبوي .

تلمسان ٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،

٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ .

تونس ٦ ، ٩ ، ١٧٩ .

ج - خ

الجامع الأعظم ٥ .

جبل الثلج ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٥١٩ .
جبل الفتح ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٢٣٥ ،
٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٤٥ ،
٣٥٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ .
الجزائر ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ .
الجزيرة الخضراء ٣ ، ٥ ، ٢٠٣ ،
٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٧٩ .
جيان ٦ ، ٥٠ ، ٧٤ .
الحرمين الشريفين ٢٩٦ .
حصن إمتبونه ١٤٤ .
حصن أشر ٥ ، ٦ ، ٧٢ ، ١٩٠ ،
٢٠٠ .
حصن الحوار ٢١١ .
حصن روط ٢١١ .
حصن قنبيل ١٣٦ ، ٢١١ .
حصن قنيط ١٣٤ ، ٤١٨ .
حضرة غرناطة ٣٤ .
حراء غرناطة (الحمراء) ٣٥ ، ٦٨ ،
١٦١ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ،
٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٠ ،
٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ،
٣٤٦ ، ٣٧٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٩ ،
٤١٦ ، ٤٣٥ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ،
٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ،
٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٥١٠ ،
٥١٤ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ .
حصن ؛ انظر لإشبيلية .
الخزائن المغربية ٣٠ .
الخزانة الملكية المغربية ٣ ، ٧ ، ٨ .
الخلافة ٢٠٢ .
الخلافة النصرية ٨٥ .
د - ز
دار الصنعة ٥١٩ .
دار الكتب المصرية ٨

القطر الغريب : ٥٢٣ .
قنشرين (كورة) : ١٦٢ .
قنطرة السيف : ٤٠٠ .
قيجاطة : ١٣٢ .
القيروان : ٢٠٢ .
الكرس ، مدينة : ١٣١ .

ل — م — ن

لوشة : ٤ .
مالقة : ٤ ، ٧١ ، ١٩١ ، ٤٠٢ .
المدينة المقدسة (المدينة المنورة) : ٢١٣ .
مراكش : ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٨٢ .
مريلة : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
مرسى الجزائر : ٤٢٧ .
مصر : ٢٣٩ ، ٣٩٥ .
المغرب : ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٢٣ .
٣٨٢ .

مكتبة الإسكوريال : ٨ ، ٣ .
مكتبة أوبسالة : ٨ .
مكتبة الجزائر الوطنية : ٨ .
مكتبة الفاتيكان الرسولية : ٨ ، ٣ .
مكتبة القرويين الكبرى : ٨ .
مكة : ٢٠٦ ، ٤٩٣ .
ملكة غرناطة : ٩ ، ١٠ ، ١١ .

ه — ي

الوادي الكبير : ١٧٤ .
اليمامة : ١٢٢ .

الدولة الإسماعيلية : ٩٩ .
الدولة المرينية : ٩٦ .
الدولة النصرية : ١٨ ، ١٩ ، ٨٤ ، ٩٦ .
الرصافة : ١٩٨ .
رندة : ٧١ ، ١٩١ ، ٣٥٩ .
رومة : ٧ ، ٢٧٣ .

س — ض

سبتة : ٤٢٧ .
سجلماسة : ٢٨٠ .
سلا : ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ .
السوس : ٩ .
الشرق : ٣٣٦ .
شقووة : ٤٠٠ .
صنعا : ٣٢٤ .
الضريح النبوي : ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٨٠ .
٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ .

ط — غ

الطوبتين : ٢٠٣ .
الغرب : ٣٣٦ ، ٣٧٥ .
غرناطة : ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢٤ .

ف — ك

فارس : ١١٩ .
فاس : ١٢٤ ، ١٠٨ ، ٢٢٣ .
الفسطاط : ٣٠٢ .
قبرس : ٢٩٥ .
قرطبة : ٥ ، ٧٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ .
١٩٦ ، ٢١١ .
قشتالة : ٩ ، ١٦ ، ٣٨٠ ، ٤١٥ .
٤٤٤ ، ٤٦٣ ، ٥٠٥ ، ٥٢٧ .

فهرست الأعلام

أبو زيان ، السلطان ؛ ٣٠٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ .
 أبو سالم المريني ، السلطان ؛ ١٠ ، ٣٧ ، ١٠١ ، ٢٨٩ .
 أبو سرحان مسعود ؛ ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ .
 أبو سعيد عثمان ؛ ٩٩ .
 أبو سعيد بن نصر ؛ ١٢٣ .
 أبو سعيد ، السلطان ؛ ٩٧ ، ٢٨٠ ، ٣١٨ .
 أبو الطيب المتحفي ؛ ٣٤ .
 أبو العباس بن الحصار ؛ ٥٢١ ، ٥٢٧ .
 أبو عبد الله الجزيري ؛ ٥٢٩ .
 أبو عبد الله بن عمران ؛ ١٠١ ، ١١٥ .
 أبو عبد الله الفشالي ؛ ٥١٦ .
 أبو عبد الله المقرئ ؛ ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ .
 أبو عثمان بن أبي زيد بن زيان ، ٢٦٥ ، ٤١٢ ، ٤١٦ .
 أبو علي منصور ؛ ٩١ ، ٩٧ .
 أبو عنان فارس السلطان ؛ ٩٠ ، ٩٠٥ ، ١٠٠ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ .
 أبو فارس عبد العزيز ، السلطان ؛ ١٧١ ، ٣٠٨ ، ٣٧٥ .
 أبو الفتوح شبان ، السلطان ؛ ٢٩٥ .
 أبو الفضل المريني ، محمد ؛ ٤٠١٠ ، ٥٤٤ .
 أبو محمد بن عبد الواحد ؛ ٤٢٣ .
 أبو النعم رضوان ؛ ١٣٦ .
 أبو الوليد ، السلطان ؛ ٨٦ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ٥٢٠ .
 أبو يحيى بن أبي مدين ؛ ٤٢٤ .
 أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ؛ ٩٧ ، ٢٧٣ ، ٣٦٠ ، ٣٣٠ ، ٣١٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٠ .

- ١ -

ابن أبي السرح ؛ ١٨٢ .
 ابن تيفراجين ، أبو محمد عبد الله ؛ ٥٠١ .
 ابن الرومي ، علي بن العباس ؛ ٣٥ .
 أبو إسحق الحفصي ، الخليفة ؛ ١٨٠ .
 أبو إسحق بن أبي يحيى أبو بكر ، الخليفة ؛ ٥٠٦ .
 أبو إسحق بن الحاج ؛ ٥٢٧ .
 أبو بكر بن موسى ؛ ٥٢٧ .
 أبو ثابت الأمير ؛ ٢٢٥ .
 أبو جعفر بن أبي الحسن بن نصر ؛ ٣٤٠ .
 أبو الحجاج ، يوسف ، السلطان ؛ ٩٠ ، ٩٠٥ ، ١٠٠ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢١ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ .
 أبو الحسن البنا ؛ ١٧٩ .
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ٣١٣ .
 أبو الحسن عجلان ؛ ٢٠٦ .
 أبو الحسن المريني السلطان ؛ ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦٠ ، ٣٨٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ .
 أبو الحسن بن نصر ، ٥ .
 أبو حو ، موسى بن عبد الرحمن ؛ ٢٦٩ .
 أبو زكريا البرقاجي ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

خوان منوال ؛ ٤٤٤ .
دارا ؛ ١٩٧ .

ر - ص

رسول الله ؛ ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، وراجع
النبي صلى الله عليه وسلم .
الرشيد ؛ ٣٣٣ .
الروم ؛ ٤٩٥ ، ٤٩٩ .
سعد بن عباد ؛ ٤٠ ، ٨٥ .
السفاح ؛ ٣٣٣ .
سليمان بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .
سيف بن ذي يزن ؛ ٣٣٣ .
الصحابه ؛ ١٧ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٤٤٣

ع - ك

عامر بن محمد الهنتاق ؛ ٣٠٤ .
العرب ؛ ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٢٢ .
العرب الشاميون ؛ ٢٦٦ .
العرب العاربة ؛ ١١٩ .
على بن أبي طالب ؛ ١١٣ .
على بن نصر ؛ ٨١ .
عيسى بن الحسن بن أبي منديل ؛ ٢٣٥ .
الغنى بالله (محمد بن يوسف ، السلطان) ؛
١٧١ ، ١٢٥ ، ١٢٢ ، ٦٢ ، ٩٠ ، ٦
٢٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ،
٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٤١٩ ،
٤٦٠ ، ٤٩١ .
الفاروق ؛ ٢٠٢ .
فاطمة الزهراء ؛ ١٠٨ .
فرج بن إسماعيل بن نصر ، أبو سعيد ؛ ٨٦ ،
٢٨٠ .
الفرس ؛ ٢٨ .
قيائل بن مرين ؛ ٢١٩ .
القند ؛ ٤٤٤ .
قيصر ؛ ١١٩ ، ٣٣٣ .
كسرى ؛ ١١٩ ، ٣٣٣ .
كوديرا ، فرانثيسكو ؛ ٩ .

أحمد بن عبد الله البقي ؛ ٧

الأدارة ؛ ١٠٨ .

إدريس بن عبد الحق ؛ ٩٥ .

إدريس بن عبد الله بن الحسن ؛ ١١٣ .

الإسلام ؛ ٧٧ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ،

١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ،

٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ،

٢٦٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٧٦ ،

٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ،

٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٨٧ ،

٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٩ ، ٥٢٢ ،

٥٢٧ ، ٥٢٨ .

آل عباس ؛ ١٠٨ .

امراة العزيز ؛ ٣٩ .

الأمين ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .

الإنجيل ؛ ٩٣ .

الأبصار ؛ ٩٨ .

ب - ث

بنو زياد ؛ ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ .

بنو العباس ؛ ٣٣٣ .

بنو مزين ؛ ٩٩ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ٩٩ .

بنو نصر ؛ ١١٠ .

بيدرو الثاني ؛ ١٠٠ .

تبع ؛ ٣٣٣ .

الترك ؛ ٢٩٥ .

الطوار ؛ ٢٩٥ .

التوراة ؛ ٩٣ .

ج - د

جرجير ؛ ١٨٢ .

جسار ريمرو ، ماريانو ؛ ١٠٠ ، ٩٩ .

الحسن ؛ ١١٣ .

الحسين ؛ ١١٣ .

ل — م — ن

لؤى بن غالب ؛ ١٠٨ ، ٥٢٣ .

مالك ، الإمام ؛ ٢٠٢ .

المأمون ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .

محمد بن عمران ؛ ١١٣ .

محمد بن قلاوون الصالحى ، السلطان ؛

٢٩٦ ، ٤٩١ .

محمد بن مرزوق أبو عبد الله ؛ ١١١ ، ٣٤٢

مروان بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .

المستنصر بالله الحفصى ؛ ١٨٠ ، ١٨٨ .

معمودة ؛ ٩٩ .

المسلمون ؛ ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،

٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٢ ،

٣٠٢ ، ٣٦٩ ، ٥١٨ .

المعتصم ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .

المنصور ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .

المنصور ، الملك ؛ ٤٩٠ .

المهدى ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .

المهلب بن أبي صفرة ؛ ١٨٦ .

موسى بن نصير ؛ ١٢٢ .

موقعة الأرك ؛ ٣٠٦ .

موقعة الزلاقة ؛ ٣٠٦ .

النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ ١٧ ، ٢٥ ،

٢٧ ، ٣١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٣ ،

٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ،

١١٠ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٨ ،

١٦١ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ،

٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ،

٢٤٥ ، ٢٤٨ .

ه — ي

الهادى ؛ ٣٣٣ .

هشام بن عبد الملك ؛ ٣٧٣ .

الوليد بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .

يعقوب بن أبي عياد ؛ ٤٥٣ .

يوسف أبو الحجاج ؛ راجع أبو الحجاج .

استدراك

حدث مع الأسف في صفحة عنوان الكتاب الأولى
خطأ في العبارة الآتية المذكورة فوق اسم محقق الكتاب
« حقه ووضع مقدمته وشواهد » وصحتها :
« حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه »

WALTER C. WILSON
Chairman of the Board
The Wilson Company

Dear Mr. Wilson:

I am very pleased to hear from you.

Very truly yours,

Walter C. Wilson
Chairman of the Board
The Wilson Company
1000 Broadway
New York 10, N.Y.

Very truly yours,

Walter C. Wilson

Walter C. Wilson

**RIHANAT - UL - KUTTAB
WA NUGAAT UL - MONTAB**

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - UL - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

**Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the
Almoravides and Almohades. End of the Moorish
Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana
Y Portugal. Life and Work of Ibn Khaldun.
Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.**

Vol. I

Publisher : Al - Khanghi Bookshop, Cairo

Modern Arabic Press

Cairo - 1981